ABU ABDO ALBAGL

مذكرات أكرم الحوراني

مدونة أبو عبدو

الناشر: مكتبة مدبولي

1949: نص تقرير اللجنة البرلمانية التي تشكلت للتحقيق في أوضاع وزارة الدفاع والجيش السوري بعد حرب 1948 .

تعرضت في فصل سابق لقضية تشكيل اللجنة البرلمانية للتحقيق بقضايا وزارة الدفاع وهي اللجنة التي تم تشكيلها بناء على طلبي، وكان المتهم الرئيسي فيها وزير الدفاع أحمد الشرباتي، وقد تألفت هذه اللجنة من جميع الأحزاب والتكتلات، ووضع قائد الجيش حسني الزعيم، بأمر من الحكومة، تحت تصرفنا مكتبا في وزارة الدفاع لهذا الغرض.

وقد استجوبنا وناقشنا في الاجتماعات العديدة التي كنا نعقدها يوميا وبلا ملل، كلا من أحمد الشرباتي وزير الدفاع السابق، وأحمد اللحام الأمين العام للوزارة، والزعيم عبدالله عطفة والزعيم حسني الزعيم والعقيد عبد الوهاب الحكيم والعقيد محمد ناصر والعقيد فوزي سلو والعقيد محمود الهندي والمقدم عزيز عبدالكريم والمقدم جميل رمضان والمقدم محمد صفا والرئيس أكرم عكر والرئيس حسني جروس والملازم سليم الشطا والملازم فريد كلاس، والمدنيين ميشيل فتال وفيصل العسلي وغيرهم من العسكريين والمدنيين. كما أنه أتيحت لي بهذه المناسبة أن أتعرف مباشرة على الكولونيل فوكس، الخبير العسكري البريطاني الذي دأبت خلال سنتي 1946 و 1947 على كتابة المقالات في جريدة اليقظة طالبا طرده من البلاد.

لقد ظل هذا الجاسوس البريطاني الخطير صاحب الصولة والجولة في وزارة الدفاع باسم خبير منذ التعاقد معه عام 1946 الى ما بعد كارثة فلسطين 1948، أي إلى يوم تشكيل لجنة التحقيق، وقد تبين لنا خلال جلسات الاستجواب انه على غاية من المكر والذكاء والتملص من الأسئلة المحرجة.

استمرت أعمال لجنة التحقيق عدة أسابيع خلال شهر آذار عام 1949 عشت خلالها فترة من أكثر فترات حياتي جهدا ومشقة، وأغناها مردودا على صعيد اغنائي بالمعلومات عن ملابسات حرب عام 1948، وفيما يلي نص التقرير الذي وافق على ما ورد فيه جميع أعضاء اللجنة البرلمانية.

تطلعت البلاد السورية في سائر أقطارها وأمصارها منذ استئناف الحياة الدستورية فيها عام 1943 الى ان ترى لها جيشا يعزز كيانها ويحمي استقلالها، ويدفع الأذى والعدوان عنها، ويكون رمزا لسيادتها وحريتها، وكانت للجيش السوري قصة طويلة مع فرنسا ليس الآن مجال البحث فيها، وإنما نكتفي بتقريرنا هذا بالاشارة إليها لانها معلومة لدى كل الناس، وذائعة في كل الاوساط، الى أن كان العدوان الفرنسي في أيار عام 1945، وما سبقه وما تبعه من التحاق الضباط والجنود السوريين بالحكومة السورية وانفصالهم عن القيادة الفرنسية.

ولقد ثارت في مجلس النواب انذاك عواصف شديدة مليئة بالحماسة والقوة أثارها كثير من نواب الامة في سبيل انشاء جيش جديد الا أن الازمة حلت من تلقاء نفسها ونزلت فرنسا عند مطالب الأمة المحقة وسلمت جيش البلاد الى أهلها، ورأينا عام 1946 أول عرض عسكري وطني قومي يختال في البلاد معبرا عن أمانيها وآمالها.

ولقد كانت هنالك نظريات مختلفات نحو هذا الجيش الذي تلقيناه بخيره وشره من فرنسا وليس هنا مجال القول أيضا في شرح هذه النظريات ومناقشتها ونقدها والرد عليها، وانما نكتفي بالاشارة أيضا إلى أن هذه النظريات مهما كانت مختلفات الا أن هنالك اجماعا كليا من جميع القائمين على أمور الأمة، ومن غيرهم ممن لهم صلة من قريب أو من بعيد، ومن غيرهم ممن ليس لهم أية صلة ما بالامور العامة، ان هذا الاجماع كنت تسمعه من كل لسان، وتقرؤه في كل وجه، ويتردد على كل شفة، ويعتلج في كل صدر، ذلك أن واجب هذه الدولة الفتية ان تبذل قصارى جهدها وغاية وسعها في تعزيز هذا الجيش وتقويته وتسليحه وبث المعنويات الوطنية والآراء القومية بين ضباطه وأفراده، وعلى الجملة رفعه إلى المستوى الذي يكون فيه قدوة بين جيوش الدول الفتية الصغيرة ونموذجا من نماذج الأعمال الأولية التي يجب أن تنهض بها الأمم الحديثة العهد بالحرية والاستقلال.

ولقد كان لهذا الشعور اسبابه القريبة والبعيدة، فالأمة ما زالت تحن إلى جيش فيصل الأول الذي حلته فرنسا، والأمة أنت كثيرا وتبرمت كثيرا من وطأة احتلال جيش فرنسا لبلادها، فهي تواقة الى أن ترى ابناءها يختالون في أراضيها وبين جنباتها، والأمة ذاقت الامرين من عدوان المحتل واذاه خلال ربع قرن، فهي تحب أن ترى لها جيشا قويا مهيبا يدفع عنها الأذى والعدوان، وقد تحققت لها الخطوة الأولى باستلام جيشها، فهي ترنو بابصارها الى أن تجعل الدولة من هذا الهيكل الذي استلمناه جسما قويا ذا حياة وروح ونشاط.

ولقد كان موقف مجلس النواب في دوريه التشريعيين المتعاقبين موقفا يدل على تقدير قيمة هذا الجيش حق قدره، وعلى المنزلة العليا التي يحتلها في قلوب ممثلي الأمة. فما كانت للحكومة مطالب ترد أو يماطل فيها أو يطول البحث عنها، خلافا لعامة المشاريع الأخرى العائدة لسائر وزارات الدولة ومصالحها التي كانت تبقى بين اللجان والهيأة العامة والحكومة شهورا وشهورا. ولم يبخل مجلس النواب على الجيش بأي اعتماد طلب منه، ولا بأي مبلغ طلب تخصيصه، ولم يبخل مجلس النواب ايضا على الجيش -مقدرا ظروفه- بقوانين خاصة تتعلق باجراء عقود بالتراضي خلافا لسائر الوزارات الاخرى، ولسنا في معرض تعداد ما قدم مجلس النواب للجيش، وانما نحن في معرض اعطاء فكرة عن الاستعداد العظيم الذي كان لدى مجلس النواب لتلبية أي رغبة أومطلب يتقدم به الجيش، لثقة المجلس بأن الجيش لا يشبه أية مؤسسة أخرى في الدولة، وأن من يقدم روحه ودمه، فلا أقل من أن تقدم له الأمة المال.

وهكذا كان عام 1946 أول عام تمتعت فيه البلاد بجيشها الوطني الباسل، ورأت أعلامه تخفق في سمائها وابطاله تترنح على جيادها وفوق مدرعاتها وسياراتها، وفي هذا العام نفسه عقدت دورة جامعة الدول العربية في بلودان وبحثت قضية فلسطين، وقيل يومئذ أن هنالك مقررات سرية اتخذت في هذه الدورة، وقد كانت لفظة "سرية" وحدها كافية لأن توحي إلى كل قلب وتهمس في كل نفس أن الدول العربية قررت انقاذ فلسطين بالقوة، وأن الهمة قد انصرفت الى تعزيز الجيوش وتقوية الروح المعنوية والايحاء الى عناصر الأمة بالبذل والتضحية.

ولكن الحوادث تتابعت دون أن ترى الشعوب العربية أي اثر لهذه المقررات السرية لدى دولها، وبتنا نقضي الأيام والليالي ننتظر ما يخبيء القدر

وما يمكن أن يهبط من السماء دون أن ندري شيئا عما يبيت في الخفاء لدى الدول الكبرى، ولدى اليهود انفسهم.

وبقيت الحوادث الدولية تتعاقب على شكل مخالف لرغبات الشعوب العربية الى أن صدر قرار التقسيم الذي استقبلته الدول العربية والشعوب العربية بالاستنكار الشديد، وقررت الدول استخلاص حق العرب في فلسطين بجيوشها التي أعدت لمثل هذا اليوم. واتخذت الدول العربية قرارا يقضي باقتحام الحدود الفلسطينية في الخامس عشر من أيار 1948، وكان الجيش السوري في جملة الجيوش العربية التي اشتركت بهذا الاقتحام ولقد أضحى معروفا وشائعا أن كارثة فلسطين قد كشفت عن عورات كثيرة، أهمها قلة استعداد الدول لهذه الحرب التي كانت مقررة في عام 1946، وكان من جراء قلة الاستعداد كوارث كثيرة في الانفس والأرواح والأموال فضلا عن الكارثة الكبرى في الفشل الذريع الذي منيت به دول العرب في فلسطين، فقامت انعكاسات كبرى من الشعوب ومن ممثليهم للبحث عن الكارثة واسبابها ومسبيبها وتفاصيلها وما سبقها وما لحقها وما نشأ عنها وكل ما له علاقة بها، وكان مجلس النواب السوري في طليعة المجالس التي أخذت تبحث هذا الأمر بالجد والاهتمام وبعد أخذ ورد، **قر الرأي على تأليف لجنة برلمانية للتحقيق في مختلف شؤون وزارة الدفاع الوطني والجيش والتسلح وتشمل صلاحيتها التحقيق في مختلف الوزارات والدوائر والاشخاص بكل ما له صلة مباشرة بأمور وزارة الدفاع الوطني والجيش والتسليح منذ استلام الجيش في عام 1945 برئاسة السيد صبري العسلي ومقررها السيد أكرم الحوراني، وأعضائها السادة ابراهيم طيفور، أحمد قنبر، جمال علي أديب، رزق الله الانطاكي، عادل العجلاني، عبدالرحمن العظم، فرزت المملوك، نديم شومان، نورى الايبش، هاني السباعي.**

وقد كانت الأسباب المباشرة لتأليف هذه اللجنة، عدا عن الأسباب البعيدة التي قدمناها والتي كانت شائعة على كل لسان، أن الجيش السوري قد مني بهزيمة ارتد على أثرها من أمام مستعمرتي دكانيا آ ودكانيا ب وأخلى مدينة سمخ بعد أن احتلها وارتد إلى التلال الواقعة على الحدود السورية الفلسطينية ووقع في هذه المعركة كثير من الشهداء والجرحى، وكثر اللغط عن قلة استعداد الجيش وتفاهة تسلحه وتجهيزه. وأعقبت هذه

الحوادث الأليمة استقالة وزير الدفاع الوطني يومئذ السيد أحمد الشراباتي في جو من الشائعات مريب، وكثرت الأقوال والاتهامات ولا بد في الحوادث المشابهة من أن تتركز النظرات والآراء حول شخص ما، لتجد لهذه الحوادث متكأ تتكيء عليه، أو مخرجا تنفذ منه، وكان من الطبيعي أن تتركز النظرات والآراء حول شخص وزير الدفاع الوطني الذي يعتبر رأس الجيش والمهيمن على شؤونه والمسؤول عن مصيره ومستقبله. وقد رحب السيد أحمد الشراباتي نفسه بهذا التحقيق لا بل طالب به وألح في طلبه.

وهكذا اجتمعت اللجنة عدة جلسات متعاقبات في الليل والنهار بكامل أعضائها حينا وبأغلبية أعضائها أحيانا وباشرت عملها الذي عهد إليها به، واستمعت الى كثير من الاشخاص الذين رأت في استماعهم ايضاحا للحقيقة أو تنويرا للواقع، وكان السيد الشراباتي نفسه في جملة من استمعت إليهم.

ويمكن القول أن نتائج التحقيق قد أسفرت عن عدة تهم يمكن ان تلخص فيما يلي:

1- استلام وزير الدفاع الوطني الصلاحيات والاختصاصات كافة، مما لا يتمشى مع الانظمة المعمول بها في الجيش ودون وجود قانون يؤيد ذلك.

2- **تفسيخ الجيش مما جعله كتلا متنافرة، والقاء بذور الشقاق والبغضاء بين ضباطه وقادته وتحطيم معنوياته وصرفه عن غاياته الأساسية الى غايات شخصية مما أفقده الانضباط والطاعة والنظام.**

3- خروج المكتب الثاني عن الغاية التي وجد من أجلها بتشجيع الوزير.

4- انقاص عدد الجيش، استخدام المدنيين بكثرة، تسريح الجنود القدماء، وقف التطوع.

5- عرقلة أعمال تدريب الجيش السوري.

6- التقصير في تجهيز الجيش.

7- التقصير في تسليح الجيش.

8- تأخير ارسال الاجوبة لبرقيات الموفدين إلى أوروبا لأجل شراء السلاح وعدم فتح اعتمادات لهم وقت اللزوم.

9- اشتراك الجيش في السياسة وتدخله في الانتخابات.

10- استثمار نفوذ الوزارة في أمور شخصية ومنافع ذاتية.

هذه هي خلاصة التهم التي وجهت إلى وزارة الدفاع أو على الاصح الى شخص وزير الدفاع الوطني السابق السيد أحمد الشراباتي، وما من واحدة منها الا وعليها أكثر من دليل. وإذا كان يمكن أن تكون هنالك مسؤولية ما على غيره كرئيس الأركان يومئذ السيد عبدالله عطفه الذي سرح عقيب استقالة وزير الدفاع الوطني وكالأمين العام للوزارة السيد أحمد اللحام، فان مسؤوليتهما على كل حال جزئية، وربما لا تتعدى الحدود المسلكية أو ربما تعدتها أو قصرت عنها بقليل، ولكن المسؤولية الكبرى على كل حال تقع على عاتق المسؤول الأول السيد أحمد الشراباتي كما سيتبين من تلخيص التحقيق وتلخيص الأدلة الواردة فيما يلي بحثا بحثا.

عن التهمة الأولى

1- استلام وزير الدفاع الوطني الصلاحيات والاختصاصات كافة، مما لا يتمشى مع الانظمة المعمول بها في الجيش ودون وجود قانون يؤيد ذلك.

تأيدت هذه التهمة بأقوال الكثيرين من كبار الضباط الذين كانوا يرون في تصرفات السيد الشراباتي ما يدل ويؤكد على أنه استأثر بالسلطات جميعا، فلا يكاد يبرم رئيس الأركان أمرا ضمن حدود صلاحياته واختصاصاته حتى ينقضه الوزير بقرار وزاري، وأهمل رئيس الأركان في الأمور الهامة الكبرى كمذكرات تعبئة الجيش قبل خوضه غمار الحرب في فلسطين، وكمشروع ملاك وزارة الدفاع الذي وضع دون علم رئيس الأركان، وكثير ذلك من الأمور التي إن لم يفرضها الواجب فرضها الذوق، وتجاهلها وزير الدفاع تجاهلا كليا، وها نحن نورد أمثلة على أدلة هذه التهمة من أقوال الشهود أنفسهم:

أ- العقيد عبد الوهاب الحكيم "يقول في مذكرته المرفوعة إلى لجنة التحقيق في الصفحة الثانية:

"قام الوزير بسحب الصلاحيات التي كان يتمتع بها رئيس الأركان حتى أصبح هذا الأخير خيالا لا يحل ولا يربط..."

ويقول:

"أما الوزير فبعد أن صفا له الجو وصار الجيش بقبضته صار يدير الأمور العسكرية ويقود القطعات بواسطة غرفته العسكرية والشعبة الثانية... "

ب- المقدم عزيز عبدالكريم يقول في الصفحة 13 :

"وكنا نحن كعسكريين نرى أن نزع الصلاحيات من رئيس الأركان مضر بالجيش".

ويقول "صفحة 14 :

"ان ملازما ما يستطيع أن يتصل مباشرة بالوزير ويترك رئيس الأركان... وهذا عمل غير طبيعي أن يتصل ملازم بالوزير ... ".

جـ- الملازم سليم الشطا يقول في الصفحة 72 :

"ان الوزير كان يأمر بتعديل أوامر رئيس الأركان أو بالغائهما".

د- المستر فوكس يقول صفحة 91 :

"وباعتقادي أن الوزير جمع عامة الاختصاصات في شخصه".

هـ- الزعيم عبدالله عطفة "وثائق تثبت سلب الوزير لصلاحية رئيس الأركان.

وثيقة رقم 688 / ض / 1 1948/4/19. جاء فيها :

"علمنا بصدور أمركم الاداري رقم 688/ ض/ 1 ان هذا العمل يخرج عن اختصاصكم لارتباط الطيران والصحة بالوزارة مباشرة. "التوقيع أحمد الشراباتي"

وفي وثيقة رقم 325 / 3س 1948/4/29 جاء فيها:

"الاقتراح من حقنا وحدنا وليس لكم أن تذكرونا بواجباتنا ونحن نعمل اللازم، متى أعلن مجلس الوزراء حالة الطوارىء".
"التوقيع أحمد الشراباتي".

وقد أجاب السيد أحمد الشراباتي على هذا السؤال في الصفحة 119:

"أنا لم آخذ أيا من الصلاحيات أو الاختصاصات التي تعود الى رئاسة الأركان أو غيرها من المديريات أو المصالح وإنما عملت حسب النصوص القائمة في التشاريع".

عن التهمة الثانية:

2- تفسيخ الجيش مما جعله كتلا متنافرة، والقاء بذور الشقاق والبغضاء بين ضباطه وقادته وتحطيم معنوياته وصرفه عن غاياته الاساسية الى غايات شخصية مما أفقده الانضباط والطاعة والنظام.

كان مرتقبا أن تنصرف همة وزير الدفاع إلى أن يجعل من جيش هذه الأمة صخرة واحدة تتكسر عليها كل الأهواء والاطماع، وتقف عندها كل الغايات والمآرب، وإذا كان هنالك من خلل أورثته اياه القيادة الفرنسية لغاياتها الاستعمارية، فكان منتظرا ان يسارع الوزير بكل قواه لاصلاحه وابداله بالمزايا والحسنات. ولا بد في الجيش من الطاعة والثقة المتبادلة والاحترام والعطف من الكبير على الصغير وغير ذلك من الاعتبارات المعروفة. ولكن وزير الدفاع السيد أحمد الشراباتي قد سعى الى عكس هذا كله وإذا كنت حسن النية فليس باستطاعتك أن تقول أقل من أنه شجع على هذا كله. وإذا كانت هذه التهمة خطيرة بحد ذاتها فانها تغدو أشد خطرا إذا كان الوزير يعلم بحسب سياسة الحكومة المرسومة وبحسب سياسة الدول العربية أن جيشه بين يوم وآخر سيقتحم الحدود إلى فلسطين لمقاتلة قوى البغي والعدوان. ومن الثابت الأكيد ان اقوى جيوش العالم وأعظمها سلاحا وعتادا وأوفرها عددا إذا فقد الطاعة والنظام والانضباط كانت كل امكانياته عدما وهباء.

وها هي الأدلة على هذه التهمة الثانية نسوقها كما جاءت على السنة الشهود أنفسهم :

أ- عبد الوهاب الحكيم (أوراق رقم 17، 18، 19، 21، 24) مذكرات (2) يقول:

"الشراباتي قام باضعاف معنويات الجيش، بالتكنل وبالحكي ضد رؤساء الجيش أمام الضباط الصغار، فقل الاحترام والطاعة".

" يا سيدي، رماني انا وعطفه، ورمى عطفه مع اللحام، ورماني انا والعقيد زهران وكان يأتي ويقول لي أن عطفه يقول عنك هذا كيت وكيت".

"أظن أن السياسة العليا للحكومة كانت تقضي بالتكتل لعدم ثقتها في الجيش".

"وصار همه الوحيد مراقبة رئيس الأركان وقادة القطعات الكبيرة ويحصي عليم سكناتهم وحركاتهم ولا يدع فرصة تمر دون أن يتكلم بحقهم أمام الضباط الصغار كما أنه مشى على سياسة فرق تسد فصار يبث في صدور الضباط الحقد والضغينة لرؤسائهم ففسدت الطاعة والانضباط وعمت الفوضى وصار الرئيس لا يثق بمرؤوسيه والمرؤوس لا يحترم رئيسه".

ب- عبدالله عطفه يقول صفحة 25 :

"بعد توليه منصب الوزارة بشهر شرع يتصل ببعض الضباط الكبار والصغار مباشرة خلافا للقواعد الانضباطية، وغايته من ذلك أن يرتبطوا بشخصه حتى يجعلهم متفرقين عن بعضهم خوفا من أن يؤدى اتفاقهم كمجموعة في الجيش الى القيام بانقلاب ضد الحكومة".

وقال:

" انني حطمت القيود الانضباطية وأرغب أن كل ضابط وكل جندي أن يتصل بي مباشرة وأن يكتب لي ما يشاء- وان كثيرا من الضباط يتصلون بي الآن وارغب ان يتصل بي الباقون- وانني وزير شاب ويجب على جميع الشباب ان يتصلوا بي".

ويقول في الصفحة 31 :

" اعتقد ان ذلك تبرير لسياسة فرق تسد التي اتبعها في الجيش".

جـ- الرئيس حسني جروس يقول في الصفحة 59 :

" أما الأمر الآخر الذي أضعف الجيش هو انصراف معالي وزير الدفاع الى احداث تكتلات في الجيش حتى أصبح المكتب الثاني لا يهتم الا بالتجسس على الضباط وأفراد الجيش".

د- السيد أحمد اللحام يقول في الصفحة 86 :

"ولا استطيع أن أغفل في هذه المناسبة الوزير الشراباتي وتكتل بعض الضباط حوله ايضا الذين لا استطيع تعدادهم، لأن الوزير بحكم وظيفته، بمقدوره أن يتصل بعامة الضباط، وكنت الاحظ أنه يشجع بعض الضباط الشبان".

وقد جاء في افادة السيد حسني جروس صفحة 59 :

"أما الأمر الآخر الذي أدى لضعفه أيضا هو انصراف معالي وزير الدفاع إلى إحداث تكتلات في الجيش حتى اصبح المكتب الثاني لا يهتم الا بالتجسس على الضباط وأفراد الجيش". أما السيد أحمد الشراباتي، فينكر وجود تحزبات وتكتلات ويقول بأنه "كانت على زمن الافرنسيين وانه سعى جدا للقضاء عليها، وتوفق في ذلك.

عن التهمة الثالثة:

3- خروج المكتب الثاني عن الغاية التي وجد من أجلها بتشجيع من الوزير.

مهمات المكتب الثاني خطيرة وجسيمة والتبعات الملقاة على عاتقه ذات أهمية كبرى، وربما كانت سياسة الجيش العليا متأثرة في كثير من الأحيان بتقرير المكتب الثاني في موضوع من المواضيع ومن أولى واجبات المكتب الثاني الاهتمام بمن يتجسس على الجيش، ومعرفة ما يحوطه من المشبوهين ومن فيه من المخلصين، وعلى الجملة العمل لكل ما فيه مصلحة الجيش وحده، إلا أن المكتب الثاني قد اتخذ خلال هذه المدة الطويلة للتجسس على الضباط أنفسهم واحصاء حركاتهم وسكناتهم وغدوهم ورواحهم واتصالاتهم. وانفقت امواله في غير الطريق الذي أعدت له، هذه الأموال التي كان مفترضا أن تكون أداة صالحة لجلب الخير إلى الجيش، ولدفع الأذى والضر عنه، وقد وقع التصرف فيها بشكل شخصي لا ضابط له إلا الأهواء والنزعات والرغبات، **ومن المؤسف حقا أن نرى هذا المكتب في أيام الفرنسيين تدور تقاريره على سياسة فرنسا لا في سورية ولبنان وحدهما بل سياستها في الشرق الأوسط بكامله، ونرى هذا المكتب في ايامنا لا يقدم من الاخبار إلا اتفهها ولا يعير الشؤون الهامة ما تستحق من العناية والنشاط.**

وهذه هي الأدلة على هذه التهمة من أقوال الشهود أنفسهم :

أ- العقيد عبد الوهاب الحكيم يقول في الصفحة 16، والتقرير صفحة 2 :

"المكتب الثاني كان يتجسس على الضباط".

1- "التجسس على الضباط ونقل ما يتكلمون عنه إلى الوزير أو رئيس الأركان".

2- "التجسس على الضباط ونقل ما يتكلمون عنه إلى الوزير ورئيس الأركان".

3- "الاشتغال بوضع شبكة جاسوسية محكمة لمعرفة ما يجري داخل القطعات من الأمور التي ليس لها أهمية تذكر".

ب- المقدم عزيز عبدالكريم يقول في الصفحة 15 :

"وفي اعتقادي الشخصي أن الشعبة الثانية لم تقم بواجباتها في يوم من الأيام".

"نعم قناعتي ان الشعبة كانت بمهمات سياسية".

جـ- الزعيم عبدالله عطفة يقول في الصفحة 26 :

"ان المكتب الثاني لم يقم بعمل من الاعمال الأساسية التي أنشيء من أجلها، وانما كان يقوم بعمل التجسس داخل قطعات الجيش على الضباط غير المنتمين الى كتلة احمد الشراباتي".

"انه أراد ربط هذه الشعبة بشخصه لاستخدامها في سبيل الدعاية والعمل لشخصه حتى أنه صرف بعض الأموال الخاصة بهذه الشعبة للدعاية لنفسه".

د- الرئيس حسني جروس يقول في الصفحة 59 :

"أصبح المكتب الثاني لا يهتم الا بالتجسس على الضباط وأفراد الجيش".

هـ- تقرير لجنة التحقيق البرلمانية عن أموال الشعبة الثانية ص78.

عن التهمة الرابعة

4- انقاص عدد الجيش، استخدام المدنيين بكثرة، تسريح الجنود القدماء، وقف التطوع:

لا شك في أن هذه التهمة تهم متعددة، فكل واحدة من هذه الفقرات تشكل بحد ذاتها تهمة ذات شأن يحمل المقدم عليها مسؤوليات جساما. فبينما كان مفترضا أن يزيد الجيش السوري يوما عن يوم، لنقف أمام الطوارئ التي تواجهنا في الجنوب، والتي كنا على علم بها ولسنا جاهلين إلا لتفاصيلها، وبينما كان مفترضا أن يقل عدد المدنيين ليكثر استخدام العسكريين، وبينما كان منتظرا أن يبقى على الجنود القدماء الذين كسبوا الخبرة والمران، واصبحت لديهم مميزات الجندي الصحيح وخصائصه وصبره وجلده واستهتاره بالحياة واقدامه على الموت وبينما كان مرجوا ابقاء باب التطوع مفتوحا على مصراعيه حتى لا تضعف عند افراد الشعب غرائز العمل الشاق، ولا هذه العواطف الجياشة في الصدور حبا بالجيش والعمل فيه، اذا بنا نرى وزير الدفاع السيد الشراباتي يعمل على عكس هذا كله، فينقص العسكريين، ويكثر المدنيين ارضاء لغايات انتخابية شخصية، ويسرح الجنود القدماء، ليستعيض عنهم بافراد شباب من الأحياء وشباب المدن الذين لم يبلوا حياة الجندية وما يكتنفها، وأخيرا يأمر بوقف التطوع فتعارض رئاسة الاركان في هذا الأمر معارضة كلية.

وها هي الأدلة على ذلك من أقوال الشهود .

الزعيم عبدالله عطفة يقول في افادته (الصفحة 34):

"وها أنا أوجه نظر اللجنة إلى أن الجيش يوم تسلمناه عام 1945 كان عدده يربو على العشرة آلاف في عام 1945 ثم أنقص الى ثمانية آلاف وخمسمائة بما فيه قوى البادية في موازنة عام 1947 وكان من الملحوظ انقاصه أيضا في موازنة عام 1948 لولا حوادث فلسطين".

"وبالرغم من هذا النقص في عدد الجيش سنة عن سنة، كان عدد الموظفين والمستخدمين المدنيين يزداد على الدوام سنة فسنة، واليكم المثال:

كان عدد المستخدمين المدنيين في عام 1946/ 400/ وفي عام 1947 / 585/ وفي عام 1948/ 993/ مستخدما وموظفا مدنيا".

"ثـم أن رئاسـة الأركـان سـبق لهـا بتـاريخ 1947/10/8 أن أرسلت تقريرا برقم 363 الى وزارة الدفاع قبل صـدور قـرار التقسـيم بوجوب اعادة المسرحين العسكريين لأن القطعـات العسـكرية كانـت ناقصة وملاكها غير كامل من حيث الضباط والنقباء والجنـود حـين بـدء المعـارك وخاصـة أن هنالـك نقصـا حصـل مـن جـراء افـراز قسـم لا يستهان به ومن خبرتهم إلى قيادة وتدريب المتطـوعين والمجاهـدين ثم صدر أمـر مـن قبـل الـوزير تحـت رقـم 499 س تـاريخ 1948/3/25 بتسريح الجنود القدماء ووقف التطوع، وذلك قبل دخول الجـيش إلـى فلسطين بشهر واحد تقريبا) انظر الوثيقة رقم .23

1- وثيقـة مـن رئاسـة الأركـان إلـى الـوزارة رقـم 3/390 س تـاريخ 1947/10/12 تطلب فيها:

"اسـتدعاء المسـرحين مـن النقبـاء والرتبـاء وبعـض الجنـود الاختصاصيين لاكمال نقص الفوج، اقرار المبالغ اللازمة لتجهيـز الفوج من معدات وأسلحة وسيارات".

2- وثيقـة مـن رئاسـة الأركـان إلـى الـوزارة رقـم 823/س/1 تـاريخ 1948/3/25 تطلب فيها :

"لا نـتمكن مـن وقـف التطويـع بتاتـا للأسـباب التاليـة (تعـدد الأسباب)".

3- وثيقة رقم 3/14 س تاريخ 1948/1/7 صادرة عن رئاسة الأركان كأمر اداري:

"تشكيل لجان للتطويع في كـل مركـز لـواء عـلاوة علـى مركـز التدريب في قطنا".

عن التهمة الخامسة:

5- عرقلة أعمال تدريب الجيش السوري.

هذه هي التهمة الأولى التي يشترك فيها كل من وزير الدفاع السابق السيد أحمد الشراباتي ورئيس الأركان السابق السيد عبدالله عطفة، بالرغم عن محاولته بكل الجهود التملص من المسؤولية الكبرى التي يمكن أن تلحقه من جراء هذا القصور، فإذا كان ثابتا أن رئيس الأركان كانت له ملاحقات متعددة

من أجل تجهيز الجيش وتسليحه تذكرها له اللجنة بالشكر، فان من الثابت أيضا أن تدريب الجيش الذي يرأس أركانه السيد عبدالله عطفه لم يكن موضع اهتمامه ولا عنايته. ومن المتفق عليه أن الجيش غير المدرب، لا يمكن أن يسمى جيشا، وانما هو كتل من الخلائق- البشرية التي لا يجوز أن تساق إلى أية معركة من المعارك، وإلا كان سوقها إلى معركة ما كإرسالها إلى مجزرة لذبحها. ولا شك في أن التدريب هو تطبيق للتوجيهات النظرية والنصائح المتمادية التي يقدمها الأعلى إلى الأدنى من الضباط والجنود، فإذا فقد التدريب في حياة الجيش يعني ذلك فقدان الجيش بكامله وكليته، وانما تتفاضل جيوش الدنيا، في جملة ما تتفاضل فيه بكثرة التدريب واتقانه. لان التدريب يكسب الجندي صبرا ومقاومة لشدائد الطبيعة ومكارهها ويعوده الشظف وخشونة العيش التي يفترض أن يحياها في أية لحظة من لحظات حياته. **لم يكتف وزير الدفاع- ورئيس الأركان باهمال هذه الناحية الهامة، وإنما أضيف إليها أنه يوم جرى التدريب الوحيد في أراضي القنيطرة دعي اليها السلك السياسي ومراسلوا الوكالات الاجنبية، فكانت صور جيشنا بكامل معداته لدى اليهود، عثر عليها في كتاب مطبوع مصور في مشمار هايردن.**

وهذه هي الأدلة كما جاءت على السنة الشهود:

العقيد عبد الوهاب الحكيم يقول في افادته:

س - ما سبب الاهمال في التدريب من القيادة :

ج - وضع في مراكز تدريب الضباط ضباطا لا يفهمون شيئا، وتكلمت مع الزعيم كثيرا بصورة شفوية ولم تكن بصورة خطية، والتدريب لم يكن بقيادتي لأن الزعيم لم يقبل رغم أن الوزير طلب منه، وشكيت من قلة تدريب الجيش وقلته لطه باشا عن أن لوائي غير مهيأ للحرب.

ويقول في مذكرته صفحة (3) :

"إهمال رئيس الأركان لتدريب الجيش وتهيئته للحركات".

ويقول في تقريره صفحة (3) :

"أما فيما يتعلق بالتدريب العسكري الصحيح فكان مفقودا تماما للأسباب التالية:

أولا - كثرة الخدمات والسخرات والحراسة التي كانت تطلب من الأفواج فقد بلغت في الأيام الأخيرة - 350 - يوميا وذلك عدا الخدمات الداخلية للأفواج".

ان هذه الخدمات كانت تتطلب استخدام فوج ونصف مشاة بصورة دائمية انه ما كان يمكن جمع أكثر من أربعين إلى خمسين جنديا من فوج واحد من المشاة إلا مع الجهد الجهيد لأجل التدريب.

ثانيا - لم يكن عدد الضباط يتجاوز واحدا لكل سرية مشاة أو أكثر، هؤلاء ليست عندهم المقدرة الكافية لتدريب سريتهم لأن الأكفاء جرى تعيينهم للمصالح والدوائر وقوى الانقاذ ومركز التدريب ولم يبق في القطعات سوى الحصالة. وكما يقال عن الضباط أيضا يقال عن النقباء.

ثالثا - ان نسبة الجنود الأغرار في الأفواج كانت كبيرة فانهم وان اتبعوا دورة في مركز التدريب ولكنهم خرجوا لا يفقهون شيئا وبقي تدريبهم ناقصا - وقبل الحركة ببضعة أيام نقل الى قطعات اللواء الأول ما يقرب من مائة جندي من أغرار فوج الهندسة الذي استقل بتدريب جنوده، ولكنه كان تدريبا ناقصا من جميع الوجوه ايضا، فقد كان يقود هذا الفوج ملازم ما كان يشاهد مرة واحدة بميدان التدريب، وكان الضباط الذين يقومون بالتدريب من الأحداث الذين تنقصهم الخبرة والتدريب العسكري ايضا.

رابعا - عدم كفاءة قادة أفواج المشاة وعدم تعيين قائد فوج أصيل لفوج المدرعات بدلا من المقدم سعيد حبي الذي ظهر بأنه غير كفؤ لقيادة فوجه".

المقدم عزيز عبد الكريم يقول في الصفحة 18 :

"وأما افواج المشاة فاعتقد أن تدريبها كان قليلا جدا والسبب الرئيسي في هذا هو كثرة الخدمات التي كانت تلقى على عاتق هذه الافواج وقلة تعداد هذه الافواج، مثلا "الفوج ملاكه التقريبي 800 لنفرض لا يوجد 800 بل يوجد 400 وهؤلاء بدك تشيل منهم الحارس وغيره.

أما المقدم محمد صفا فيقول في الصفحة 38 :

س - هل تعلم ان الجيش كان يقوم بعامة تدريباته العسكرية حسب الأصول المتبعة عسكريا:

ج - نحن من الوجهة العسكرية نعتبر المناورات النصفية والمناورات السنوية هي نهاية وزبدة برامج التدريب في فصول السنة، وقد جرت العادة أن تحصل هذه المناورات المسماة مناورات اجماعية واحدة في الصيف وأخرى في الخريف. وعلى علمي لم يقم الجيش بسوى مناورة واحدة من هذا النوع اقتصرت على قوة لواء هزيل في نواحي القنيطرة على أثر الحوادث التي كان موضوعها مسألة فلسطين (اي على أثر قرار التقسيم).

أما تدريب الضباط واعدادهم وهو المعول عليهم في القيادة فلم يجر لهم أي تدريب منذ سنة 1945 حتى ساعتي هذه، اللهم إذا استثنينا عددا من الضباط أرسلوا الى انكلترا على سبيل النزهة لا اكثر ولا أقل، وفيما يتعلق بالنقباء والجنود فلم يكن هناك من تدريب مضبوط يرضي الضمير، وسبب ذلك ناتج عن عدم كفاءة الضباط الذين كانوا مكلفين بقيادة الأفواج من جهة ومن جهة ثانية عدم مراقبة القيادة للمؤوسين في متابعة أوامرها واجبارهم على تنفيذها كما أن هنالك نقطة لها أهميتها هي أن القيادة للجيش لم تقم بأي مجهود لوضع انظمة أو لاستيراد انظمة تعمم ليقوم الجيش بالتدرب على أساسها، وأكبر دليل فقدانها حاليا من الجيش السوري لأنه لم يوضع حتى الآن. ان التدرب على الرماية لم يكن يجري بصورة عسكرية مضبوطة وأحيانا فيما يتعلق ببعض المناطق لم يجر بتاتا لعدم توفر الذخيرة لهذا النوع من التدريب".

الزعيم عبدالله صفحة 45 يقول :

"أما من حيث التدريب لقد قام رئيس الأركان بواجباته كاملة من هذه الناحية بتوجيه قواد الألوية ومدير الكلية العسكرية توجيها شفهيا وتحريريا للقيام بالواجبات وكان يحضر المناورات في المناطق والألوية اثناء تفتيشه وكان التدريب يسير سيرا طبيعيا مع الصعوبات الآتية:

أولا - قلة عدد الجيش وعدد الأفراد في القطعات وانشغال القسم الكبير منهم بالخدمات الداخلية ومختلف الحراسات على الثكنات والمستودعات وسواه.

ثانيا - توزيع القطعات في مراكز عديدة مما كان يحمل كل قطعة من هذه القطعات بخدمات داخلية تنوء بها، وكان عدد الأفراد الذين يشتركون

بالتدريب اليومي هو ما تبقى من الجنود، وهنا ألفت النظر الى عدد الضباط الذي كان قليلا جدا في القطعة ومع ذلك اصدر مدير شؤون الدفاع - تعليمات بخصوص استلام الاعاشة من قبل لجنة مؤلفة من ثلاثة ضباط. هذا ما سبب انشغال بعض الضباط بأمور خارجة عن التدريب رغم قلتهم، والصعوبة الثانية "هي عدم وجود كثير من التجهيزات والمعدات الضرورية للتدريب مثلا "خرطوش المناورة / الذخائر/ أواني الطبخ وغيرها من التجهيزات ووسائل تصوير نار العدو وسواها، ثم لاجل اجراء مناورات بقطعات عديدة، يجب نقل بعض القطعات من مواقعها الى مراكز الألوية، وهذا ما يتطلب عددا وافيا من السيارات والمحروقات، وكانت المخصصات المعينة لهذه الأمور ضئيلة جدا لا تفي بالحاجة.

ثالثا - الخدمات العامة التي كان يؤديها الجيش للدوائر العامة كمكافحة الجراد وانقاذ العشائر واشتراكه بترحيل عشيرة النعيم، اشتراكه بعمليات جبل العلويين، والكوليرا، وحراسة الحدود وتأسيس مخافر على الحدود.

رابعا - كان التدريب يجري تحت اشراف قواد الألوية المباشر، وكلما قام بتفتيش رئيس الأركان، كانت جميع القطعات الموجودة في مركز التفتيش تقوم بمناورة بحضوره، حتى أنني أذكر على سبيل المثال عدة مناورات قمنا بها بمنطقة دمشق على طريق الكسوة وسببت شكايات بعض الأهلين لتخريب اكثر المزروعات والمناورة الوحيدة الذي استطعت أن أقوم بها حين جمع اللوائين الأول والثاني في منطقة دمشق القنيطرة في خريف عام 1947 وكانت المناورة بين سعسع والقنيطرة وعلى ما اعتقد أن التدريب كان يسير بصورة طبيعية رغم الصعوبات التي تعترضنا، وأحيلكم لإثبات ذلك إلى تقارير قواد الألوية انفسهم. مع أن القيام بمناورات كبيرة لقطعات تفوق قوة اللواء تتطلب نقل قطعات لواء أو لوائين إلى مركز إحدى الألوية للقيام بمناورات من هذا النوع".

عن التهمة السادسة :

6- التقصير في تجهيز الجيش :

بالرغم عن الاعتبارات التي قدمناها في صدر هذا التقرير من أن مجلس النواب كان يهدف دوما إلى تلبية جميع الطلبات والرغبات التي تتقدم بها وزارة الدفاع الوطني إلى ممثلي الأمة، من أجل استكمال حاجات الجيش

وتجهيزه على الشكل الذي يضمن الغذاء والكساء والراحة لأفراده وضباطه، إذا بنا في هذا التحقيق الذي تولياه نرى نقصا عجيبا في التجهيز من جهة، واساءة في التجهيز من جهة أخرى فكثير من الطلبات لا تلبى من قبل الوزارة، واذا لبيت وقع ذلك على شكل مخالف للحاجة، وهذا ضرره اكبر واكثر. واذا كان ليس من داع لهذا التقصير في التجهيز، باعتبار أن الأموال موجودة واذا كانت غير موجودة فطلبها يسير، ومجلس النواب لم يسبق له أن رفض طلبا لوزارة الدفاع، اذا كان ليس من داع للتقصير في التجهيز كما قلنا، فان هنالك داعيا لتلبية الطلب خلافا للحاجة، وهذا الداعي هو شخصي محض يراد منه إفادة شخص معين، ولسنا مستطيعين ان نجد تفسيرا غير هذا، ويتحمل مسؤولية هذه التهمة على كل حال الوزير في الدرجة الأولى والأمين العام السيد أحمد اللحام في الدرجة الثانية. وها هي الأدلة من الوثائق والشهادات.

العقيد عبد الوهاب الحكيم صفحة 16 يقول :

"القوائم التي طلبتها لتأمين حاجيات الجيش قبل الدخول في الحرب لم أجب عليها وهي موجودة في قيادة اللواء الأول".

ويقول في مذكراته صفحة 3 :

"طالما قررت الحكومات العربية في مؤتمر بلودان عام 1946 دخول الجيوش العربية لتخليص فلسطين كان من واجب الحكومة توجيه الأركان لهذه الناحية والطلب منه لتهيئة الجيش من الوجهة التدريبية والتجهيزات قبل القيام بهذه الحركة بستة أشهر على الأقل".

"إن شيئا من هذا لم يكن فقد أهمل الجيش وتدريبه وتسليحه وتجهيزه ولم يعلم رئيس الأركان بالقرار المتخذ الا قبل القيام بدخول فلسطين بعشرين يوما تقريبا".

"اهمال الوزير الصيانة والتموين لتسليح الجيش وتهيئة التجهيزات اللازمة في المستودعات".

ويقول في تقريره رقم الصفحة 3 :

"فنواقص اللواء آنئذ "قبل دخول الحرب مباشرة" من حيث التجهيزات والتسليح كثيرة، فحالة الآليات يرثى لها، والرحبة تعمل طاقتها لاجراء التصليحات ولكن كثرة العدد المطلوب تصليحه والموجود لديها من الآليات

المعطلة، جعلت انتاجها قليلا، وكان ينقص الأفواج الآلية كثير من السيارات حاملة المدافع والبك آب وسيارات الشحن وكذلك الحال لأفواج المشاة التي لم يكن لدى كل منها سوى أربع أو خمس سيارات لنقل جنودها واعتدتها وتجهيزاتها، اما اوائل الحفر فتكاد تكون مفقودة رغم اهميتها الحربية وكان ينقص القسم الاعظم من المخيمات توابعها من أدوات الطبخ والقصعات الافرادية ولم يكن هنالك قمصان صيفية ولا حقائب ظهر كافية ولا خوذ فولاذية، اللهم الا قسما ضئيلا من الخوذ الافرنسية القديمة البالية، اما وسائل المخابرات اللاسلكية او الهاتفية فمفقودة من أفواج المشاة وضئيلة جدا في الافواج الآلية وقديمة، كما ينقصها مدخرات وعمال لاسلكيين قديرين".

الزعيم عبدالله عطفه يقدم بعض وثائق تثبت ان الأركان لم تقصر في طلب ما يلزمها من تجهيزات الجيش:

وثيقة رقم 4241 / 4 تاريخ 1947/5/3 يطلب فيها عدد المطابخ اللازمة لقطعات الجيش.

وثيقة رقم 4/1653 تاريخ 1946/4/8 يطلب فيها تجهيزات منامة الجيش.

وثيقة رقم 3/561 س تاريخ 1947/12/5 يطلب فيها تكميل تجهيزات الجيش من السيارات واصلاح ما يلزم منها.

وثيقة رقم 4/3873 تاريخ 1947/5/17 يطلب فيها إكمال عدد الخيام.

وثيقة رقم 3/106 س تاريخ 1948/2/9 يطلب فيها اكمال نقص المطابخ، الغذاء، الآليات، الصابون، مفروشات، تدفئة.

وثيقة رقم 3/522 س تاريخ 1947/11/19 يطلب فيها اكمال النقص الواقع في البغال.

السيد أحمد اللحام يقول في الصفحة 88 :.

س - ما هو السبب في نواقص تجهيزات الجيش.

ج - اننا كنا هيأنا تجهيزات لملاك الجيش لا يتجاوز الثمانية آلاف، وقد أرسل من هذه التجهيزات إلى قوى الانقاذ.

س - الذي أعرفه في جميع الجيوش انه يوجد هنالك احتياط في التجهيزات عادة، فما قولك بهذا الشأن.

ج - كان لا يوجد في الموازنات اعتمادات لتدارك التجهيزات الاحتياطية.

س - لا بد وأنكم شعرتم من الأمة ومن المجلس النيابي استعدادا كبيرا للانفاق على الجيش، وأعداده وتجهيزاته، فلما لم تطلبوا وضع هذه المخصصات.

ج - ان الوزير هو الذي يتولى مع مدير الصيانة والمحاسبة قضية تجهيز الجيش كما كان يتولى قضية التسليح.

س - لقد تبين حين دخول الجيش الى فلسطين انه فقير جدا من ابسط الحاجات الأولية اليه كالمطابخ النقالة وصهاريج الماء والقصعات الفردية والبطانيات والملابس ومعظم الأدوات الفردية مع أنه لم يكن قد تجاوز العدد الذي ذكرته، فمن أين نشأ هذا النقص.

ج - انني لست مسؤولا عن كل تقصير من هذه الناحية ايضا أن هذه الأمور عائدة كما قلت سابقا إلى الوزير.

الكولونيل فوكس في الصفحة 91 - يقول :

"ان معسكر القابون بحاجة ماسة الى بعض الاجراءات فيه كاصلاح المراحيض التي تؤثر على صحة الجنود وغير ذلك من النواحي التي تتطلب مثل هذا الاصلاح، كنت قدمت بشأنها تقريرا الى وزير الدفاع مباشرة، فلم تنفذ مما أدى إلى مرض الجنود.

ولا استطيع ان اغفل ان دوائر الصحة في الجيش كانت ضعيفة من حيث عدد الاطباء ومن حيث وجود الادوية اللازمة".

ويقول الكولونيل فوكس :

"قبل كل شيء يجب اطعام الجندي واكساؤه والاعتناء بصحته، فلم يحقق ذلك في الجيش، بل عوضا عن ذلك، شرينا سيارات جديدة فخمة، وأمورا ثانوية لا تفيد الجيش إلا بالمظاهر.

فمثلا "ان الجيش بحاجة إلى سيارات كبيرة لنقل الجنود ولكن بدورها تحتاج إلى الحفظ والصيانة، في أوائل عام 1947 فاتحني الوزير احمد الشراباتي لشراء دبابات وتشكيل كوكبة منها وثقلها 33 طن الواحدة، فنصحت الوزير بعدم شرائها، لانه قبل الشراء يجب التفكير بايجاد رحبات لاصلاحها كما

أنه يجب التفكير بناقلات لنقلها، كما يجب دراسة الجسور والطرق التي ستمر عليها، وهل هي تتمكن من تحمل ثقلها، وما الفائدة من دبابات شرمن إذا كان الجندي الذي سيقودها عاريا جائعا. واضرب لكم مثلا "شراء الجيش عشر سيارات اسعاف جيدة وهي الآن مهملة في الرحبة مشلحة من كثير من اجزائها واطاراتها بسبب عدم وجود الصيانة والحفظ.

وإنني أقول بأن حالنا في الوقت الحاضر في الجيش لم يكن بافضل من حالنا في عام 1946".

المقدم جميل رمضان يقول في الصفحة 104 :

"لا يفوتني أن أذكر أن مديرية العينية مرتبطة رأسا بالوزارة، وكنا نشعر بتدخل من قبل مديرية الصيانة والتموين، فمثلا:

ان صلاحية مديرية الصيانة والتموين هي أن تؤمن طلبات مديرية العينية والمستودعات فقط ولكنها كانت في الحقيقة تستقل في العمل وتجري عقودا واشياء وتجهيزات لكميات لم نطلبها ولذلك كان هذا الأمر من جملة الأسباب التي منعت تأمين حوائج الجيش الضرورية فرب تجهيزات شرتها مديرية الصيانة والتموين ليس الجيش بحاجة اليها، ورب تجهيزات ضرورية قدمت طلبات بشأنها من قبلنا لم تؤمن شراءها مديرية الصيانة والتموين وشرت بدلا عنها أمورا أخرى.

لأن من صلاحية مديرية العينية والمستودعات رفع الطلبات من التجهيزات التي يحتاج إليها الجيش، وما على مديرية الصيانة والتموين الا تلبية هذه الطلبات دون أن يكون لها صلاحية تقدير هذه الطلبات وضرورتها للجيش إلا إذا كان مجلس الدفاع الأعلى قرر شراء مثل هذه الحاجات".

س - هل تذكر لنا مثلا عن شراء حوائج من قبل مديرية الصيانة والتموين ليس الجيش بحاجة إليها أو انها أكثر من حاجة الجيش.

ج - على ما اذكر كنا طالبين خيم بعدد 500 تقريبرا تسع الواحدة منها عشرة اشخاص، فعوضا عن أن يشتروا لنا هذه الخيم عملوا عقدا مع الادلبي (على ما أذكر) أو غيره فشروا ما يقرب من ألف خيمة صغيرة لا تتسع الواحدة إلا لشخصين مع أنه من الواجب أن تلبى طلبات مديرية العينية والمستودعات لتحقق حاجات الجيش الضرورية، مثلا بدلا من أن تجتمع

القطعات بحال شراء الخيم الكبيرة وسيطرة الرئاسة على القطعات، فانه بشراء الخيم الصغيرة توزع القطعات على خيم عديدة ولا يخفى ما بذلك من محاذير لسنا مضطرين لتحملها.

وهنالك أمثلة كثيرة يمكنني أن أوردها لكم إذا اردتم ذلك".

ويقول الزعيم حسني الزعيم في تقريره صفحة 2 بعد استلامه القيادة العامة للجيش والقوى المسلحة اثناء معركة فلسطين:

"قمت بتفتيش للجبهة فراعني ما شاهدت فيها "جندي يتناول طعامه بطاسته أي خوذته الحديدية لعدم وجود قصعة فردية، وآخر يلتحف بطانية بالية ممزقة لا تقيه طوارئ الطبيعة، ذخيرة أكلها الصدأ، أثمال بالية على الجنود، تذمر من سوء التغذية".

عن التهمة السابعة

7 - التقصير في تسليح الجيش .

ولعل هذه التهمة اخطر التهم وأعظمها شأنا، وأبلغها أثرا في حياة جيشنا الفتي ومستقبله، والمعارك التي خاضها في فلسطين، والتأثير على معنويات ضباطه وجنوده. ولقد ثبت لدى اللجنة بحوادث متعددة، وبأقوال كثيرة على ألسنة أفراد مختلفي النزعات والآراء، بأن الوزير السابق السيد أحمد الشراباتي ما كان يعير موضوع تسليح الجيش الاهتمام الذي يستحقه، بالرغم من التنبيهات الكثيرة التي تلقاها من مختلف الجهات، لا بل أن كثيرا من العروض لم تكن لتلقى لديه الا الاهمال، وأن كثيرا من العروض قد استغرق البحث فيها أشهرا طوالا ثم أمر بحفظها، وأن عروضا كان من نتائج البطء في البحث فيها وعدم الاهتمام بشأنها أن انخفضت امكانيات الحصول عليها من جهة وارتفعت أسعارها اضعافا مضاعفة من جهة أخرى، وأن عروضا أخرى لم يعد ممكنا الحصول عليها بالكلية بسبب تدخلات اجنبية أو صهيونية أو غير هذا وذاك من العوامل التي لولا البطء والاهمال لأمكن تدارك الكثير منها.

وترى اللجنة ان هذه التهمة بما تجمع لديها من الأدلة والبراهين ليس لها ما يبررها بأي وجه من الوجوه، مهما انتحلت الاعذار، ومهما قيل في شأنها من الاسباب، وأن اللجنة لتوجه النظر الى أن هذا الموضوع الخطير

يشكل الدعامة الأولى لا في حياة الجيش ومستقبله فقط، وانما في حياة الأمة ومستقبلها، ويشترك في تحمل مسؤوليتها الوزير في الدرجة الأولى والأمين العام في الدرجة الثانية.

وها هي الوثائق وأقوال الشهود :

العقيد عبد الوهاب الحكيم يقول في مذكراته صفحة 3 :

"ان شيئا من هذا لم يكن فقد أهمل الجيش وتدريبه وتسليحه وتجهيزه ولم يعلم رئيس الأركان بالقرار المتخذ الا قبل القيام بدخول فلسطين بعشرين يوما تقريبا".

"اهمال الوزير الصيانة والتموين لتسليح الجيش وتهيئة التجهيزات اللازمة في المستودعات" ويقول في تقريره صفحة 3 :

"أما من حيث التسليح فقد سحبت البنادق الافرنسية من فوجي المشاة واستعيض عنها منذ اسبوعين ببنادق انكليزية لم يتدرب الجنود على الرمي بها، لعدم تخصيص ذخيرة للرمي، أما مدافع الهاون عيار 81 فكان ينقص البعض منها أدوات تسديد، أما الفوج الأول فكان ينقصه مدفع هاون 81 كان أعطي إلى قوة التحرير وكذلك كان ينقص لقطعات اللواء أربع مدافع هاون عيار 60 للسبب نفسه".

"أما السبب الاساسي لهذه النواقص فترجع إلى سببين:

1- عدم اهتمام شؤون الدفاع ومديرية العينية لاتمام نواقص القطعات واهمال الطلبات التي كانت ترد من قادة الوحدات بصورة دائمية، والسبب في ذلك عدم اضطلاع القائمين على شؤون الجيش بمسؤولياتهم وعدم فهمهم واجباتهم كل فيما يختص به، فليس هنالك برنامج موضوع لتسليح الجيش وتجهيزة وكانت المستوعات فارغة.

2- رغم النواقص الموجودة في قطعات الجيش صارت القيادة تسلح وتجهز قوى تحرير فلسطين من موجود القطعات بمدافع من كل العيارات واسلحة الى ذخيرة الى لباس ومفروشات وهلم جرا من الأشياء، والاسلحة، وزد على ذلك سحب أحسن العناصر من الضباط والنقباء والجنود لتعيينهم بالقوى ضاربين بعرض الحائط ما سببته هذه التدابير

من تهديم للجيش حتى أنه لم يبق للقطعات روح عسكرية لفقدان التجهيزات والاسلحة وكذلك الضباط والنقباء القديرين".

المقدم عزيز عبد الكريم يقول في الصفحة 10 عن صفقة شراء السلاح من اسبانيا:

" بعد أن انجزت الصفقة وتمت يقول المقدم :

أنا حملت معي العرض المفصل والبرقية واعلمت الوزارة بصورة مختصرة ولا أعلم ماذا حدث بعد ذلك وأنا سلمت العرض للوزير الشراباتي، ويظهر أن القضية اهملت، وكنت اصر على الوزير لانجاز شراء هذه الاسلحة واجبت بأن من يكون بعيدا وغير مطلع على مجريات الأمور، لا يعرف.

ولم يجب المفوضية على البرقية التي أرسلت، ولا أعرف إذا بحثوا مع غيري أو أنه أهملت، وفي الواقع اهمل"

س - ولا تدري عن عرقلة نشأت من الشركات في اسبانيا.

ج - كلا، كان هناك اندفاع تام من قبل السلطات الاسبانية العسكرية والوسيطين اللذين كانا في الصفقة، لأنهم يريدوا أن يبيعوا البضاعة.

ويقول المقدم عبد الكريم عن صفقة كاشفات الالغام الصفحة 10 و 11 ما ملخصه:

"بعد أن تمت الصفقة في تشيكوسلوفاكيا، جاءتني برقية بوقف الصفقة، لأنهم؟ حصل لهم من أمريكا على كاشفات الغام بخمس وعشرين دولار الواحدة، وأنا كنت اشتريت بسعر مئة وثمانين دولار تسليم مرفأ بلجيكي، عند ذلك اضطررت ان اطلع الشركة على أن هذه الصفقة لا توافقنا.

وبعد وصولي بشهرين كتبوا الى الوزارة والمفوضية منذرين باقامة الدعوى إذا لم آخذ الكاشفات لأنهم اشتروا ذلك لحسابنا.

ثم قال "وعرض امريكا (طلع خلط) ولم يتم.

ويقول الزعيم عبد الله عطفه في الصفحة 28 :

س - هل علمت أن الملحق العسكري الفرنسي في بيروت عرض على الحكومة السورية بيع أسلحة لتسليح الجيش .

ج - ان ذلك قد وقع وقد أشرت اليه في الفقرة التاسعة من تقريري المجمل بأن وزارة الخارجية أرسلت إلى وزارة الدفاع كتابا رقمه 44/232 تاريخ 1947/12 يتضمن اعلام الوزارة بأن الملحق العسكري الافرنسي في بيروت مكلف من قبل وزارة التسلح الفرنسية بالبحث مع السلطة السورية المختصة في أمر شراء أعتدة عسكرية من مختلف النماذج، إلا أن معالي الوزير رغم موافقة رئاسة الأركان رفض ذلك وكتب حاشية على الكتاب الوارد من وزارة الخارجية يقول فيه:

لا حاجة إلى الذخيرة الافرنسية الآن. التوقيع "احمد الشراباتي".

حتى أنني علمت بأن ضابطين افرنسيين قد حضرا لمقابلة الوزير في نهاية عام 1947 واجتمعا اليه بوجود أحمد اللحام ورفعة خانكان ورسمي القدسي بدون حضوري، ولكن الوزير لم يوافق على الشراء.

ويقول الزعيم عبدالله عطفة في الصفحة 29 :

ان الوزير السيد احمد الشراباتي منذ تولى الوزارة شرع في خطة تؤدي إلى اضعاف الجيش من حيث تنزيل عدده وعدم تجهيزه بالمعدات الضرورية، مع أن تسليح الجيش كان متيسرا لسبب العروض الكثيرة قبل حظر السلاح عن الشرق الأدنى وكان الوزير لا يلبي الطلبات التي كانت توجه إليه.

س - لم تجاوب عن السؤال المتضمن "هل تعتقد انه قصر أو أهمل التسليح عن عمد أو عن غير عمد؟؟

ج - اعتقد أنه عن عمد، لأنه كان لا يلبي الطلبات المحقة بخصوص تجهيز وتسليح الجيش وشراء العتاد وتأسيس المعامل اللازمة، ولم يطلع رئاسة الأركان على التوجيه السياسي الذي كان واجبا عليه أن يوجهه.

وهنالك وثائق مقدمة من الزعيم عبدالله عطفة تبين مطالبة رئاسة الأركان الوزارة بتسليح الجيش وإكمال نواقصه وهي :

وثيقة رقم 3/16 تاريخ 1945/10/25 تتضمن الاسراع بشراء مخلفات الجيوش الاجنبية بالشرق الأوسط.

وثيقة رقم 3/363 س تاريخ 1947/10/8 تتضمن شراء أسلحة وذخيرة لاكمال موجود القطعات.

وثيقة رقم 4/5699 تاريخ 1947/7/29 تتضمن طلب الكميات اللازمة من الذخيرة للجيش.

وثيقة رقم 4/7521 س تاريخ 1947/10/2 تتضمن الطلب بارسال ضابط الى بيروت لشراء ذخيرة من الافرنسيين للرشيش الافرنسي.

وثيقة رقم 4/8824 س تاريخ 1947/11/28 تتضمن طلب شراء ما يلزم من ذخيرة واسلحة وتجهيزات للجيش وخدمة العلم.

وثيقة رقم 4/2341 تاريخ 1946/5/9 تتضمن شراء ما أرسل للعراق من سلاح افرنسي أيام ثورته ولم يستعمله للزومه إلينا.

وثيقة رقم 3/366س تاريخ 1948/5/6 يطلب فيها اعداد فوج مدرعات احتياطي كامل التجهيزات والمعدات ويطلب وضع مصفحات قوى البادية تحت تصرف رئاسة الأركان. فيكتب عليها الوزير:

يعاد إلى رئاسة الأركان - تعطى الأوامر في حينه".

ويقول في الصفحة 47

ولا يفوتني في هذه المناسبة إلا أن أذكر أنه سبق للجيش ان كان بحاجة ماسة الى البارود حتى إلى اطلاق المدافع في ايام الاعياد ورمضان وذلك في عام 945 فبعثت بالضابط رسمي القدسي مزودا بعشرة آلاف ليرة لشراء البارود من الافرنسيين في لبنان، والذي لم يتمكن من هذا الشراء بسبب تعنت الافرنسيين وامتناعهم عن بيعنا، فحاولت بعد هذا الرفض أن أعمل على صنع بارود وخرطوش في الرحبة العسكرية واسهم نارية وغيرها مما يحتاجه الجيش في كثير من عملياته، وقد نجحت هذه المحاولة في اخراج نماذج صالحة للاستعمال، فعرضت الأمر على الوزير السيد أحمد الشراباتي، فما كان منه الا الامتناع والرفض بحجة اننا غير اكفاء لصنع ذلك، بالرغم من مشاهدته التجارب التي وقعت لهذا البارود ولهذه الخراطيش وعندي انه لو تم انشاء هذا المصنع واستمراره على هذه العمليات لكنا في معركة فلسطين مهيئين الكثير من هذه اللوازم التي اضطر الوزير نفسه بعد ذلك أن يأمر بصنع هذه الأدوات مجددا في بدء معركة فلسطين".

ويقول السيد أنور الشلاح في صفحة 50 :

عرضت على وزارة الدفاع الوطني صفقة معامل سلاح، لم توافق الوزارة على هذا العرض. ويقول العقيد رفعة خانكان في الصفحة 53 :

س - ما هي معلوماتك عن نتائج صفقة اسبانيا بعد مجيء عزيز عبد الكريم وتقديمه تقديره الخاص بشأنها الى وزارة الدفاع.

ج - كل ما أعلمه أن الوزير تولى هذا الأمر ورغب أن يعمل مع الحكومة الاسبانية رسميا بشأن هذه الصفقة".

ويقول الرئيس حسني جروس في الصفحة 54 :

كلفت بمهمات لجلب سلاح وذخيرة الى الجيش السوري من مناطق مختلفة منها مدينة بيروت حيث كان الافرنسيون يبيعون بالمزاد العلني مخلفاتهم في الشرق الأوسط غير أن الافرنسيين كانوا يعرضون علينا تلك المخلفات قبل تنزيلها بالمزاد العلني وهي :

1- معمل الكاوتشوك الذي عرض علينا بمبلغ ثلاثين ألف ليرة سورية، وكنا قدرناه بمائتي وخمسين الف ليرة. فلم يوافق على شرائة وزير الدفاع ولا أعلم سبب رفضه ذلك". وقد عدد محتويات المعمل في افادته المدونة في الصفحة 54 .

2- مستودع رقم ثمانية الذي عرض علينا بثمانين الف ليرة سورية وكنا قدرناه بنصف مليون ليرة سورية فلم يقبل الوزير شراءه". وقد عدد أيضا محتويات هذا المستودع في افادته المدونة.

3- رحبة المدفعية وكنا قدرناها بمبلغ مليون ليرة سورية عرضت علينا بثمانين الف ليرة سورية، لم يقبل الوزير شرائها ايضا على الرغم من الحاحنا" وقد عدد محتويات الرحبة في افادته المدونة.

4- مخزن القطع التبديلية للدبابات الذي قدرنا قيمته بأربعمائة الف ليرة سورية فاشترياه بتسعة عشرة الف ليرة سورية ولولا هذا المستودع لما كانت دباباتنا قادرة على العمل الآن.

5- دبابات هوشكيس وعددها ثمانية عرضت علينا بثمانية آلاف ليرة ووزن كل واحدة عشرة طن وسرعتها أربعون كيلومتر في الساعة وحالتها متوسطة، فعرضت شراءها على الوزير شخصيا بحضور زوجته فلم يقبل لعدم وجود سلاح فيها.

وبصفتي ضابط دبابات اقول انه بالامكان ان تجهز وتسلح بما يلزمها من السلاح الموضوع على مصفحات دودج التي عرضت من الافرنسيين علينا أو من السلاح الموجود على المصفحات التي هي بحوزتنا، فلم يقبل الوزير على الرغم من انني افهمته كل ذلك. فعدت للاتصال بالافرنسيين وطلبت منهم وعدا قاطعا باعادة الاسلحة الى تلك الدبابات فوعدوا بذلك واقسموا على أنهم سيعيدون تلك الأسلحة. ويسلموننا إياها، ولكن الوزير ظل مصرا على الرفض.

واعتقد أن القيمة المعروضة علينا لهذه الدبابات لا تتجاوز قيمة المحرك او المدفع في حالة تسليمنا اياه وتاريخ هذه المهمة أول كانون الأول من عام 1945، وكان المال يومئذ موفورا لشراء كل هذه اللوازم والمعدات.

ويقول الرئيس حسني جروس في الصفحة 55 :

"وقد سمعت بأن الافرنسيين عرضوا مستودعات بكميات كبيرة من الذخيرة وهي تحتوي على جميع ذخائر جيش الشرق الافرنسي فلم تشتر وزارة الدفاع تلك الذخيرة على الرغم من الحاح الأركان والضباط بشرائها وانتهى أمرها بان اغرقها الافرنسيون".

دبابات قبرص :

عن تقرير اللجنة الموفدة بمهمة رسمية الى قبرص بتاريخ 1948/1/17

1- دبابات آرم سترونغ وزن 6 طن عدد 50.

"وتجد اللجنة نتيجة الاختبار الدقيق امكان اعداد اربعة وثلاثين دبابة بحالة جيدة على أن يتم تدارك ما يبقى من العرض وعدده ست عشرة دبابة ليصار الى اتمام ما ينقص من الاجهزة الاربعة والثلاثين وادخار بقية الاجهزة والاعضاء كقطع غيارية ضرورية لتعهد الصيانة وادامة الدبابات التي ستوجد في الخدمة الفعلية".

2- دبابات كوفنتور - كرويزر وزن 18 طن عددها 47.

"وقد قامت اللجنة بفحص دبابتين من هذا النوع انتقتهما عرضا واتمت تجهيزات محركاتها وتأكدت من سيرها فوجدت سير محركاتها كأنها جديدة وتأكدت اللجنة من سير هاتين الدبابتين بمختلف سرعها الخمسة فلم تجد فيها أية شائبة، ونظرا لمتانة هذه الدبابات وحالها وسرعة حركتها البالغة 45

ك م في الساعة في السهل تجد اللجنة الفاحصة امكان اعداد أربع وثلاثين دبابة من هذا النوع اعدادا كاملا بحالة شبه جيدة وادخار الثلاث عشرة دبابة الباقية كقطع غيارية لتعهد صيانة وادامة هذا النوع من السلاح".

3- ناقلات برين كاريير وزن 4.5 طن عددها 130 .

صالحات للسير اذا ما استحصل على محركات. (وهذه المحركات موجودة بوفرة). وقد تعهد العارض بتسليمها في مرفأ سوري أو لبناني جاهزة كاملة وباسعار جد موافقة ورخيصة. ثم رفعت اللجنة هذا التقرير الى مدير شؤون الدفاع العقيد محمود الهندي الذي رفعه بدوره إلى وزير الدفاع الوطني بكلمة جاء فيها:

إلى معالي وزير الدفاع الوطني[1] .

أرفع اليكم طيه تقرير اللجنة الموفدة الى قبرص، وقد درست اللجنة العسكرية هذا التقرير فوجدت انها ليست بحاجة لشيء مما جاء فيه، وقد ظهر لنا من دراسة التقرير أن الناقلات برن كاريير هي بحالة جيدة وصالحة للاستعمال، كما أن المتعهد اخبرنا بأن لديه المحركات اللازمة لهذه الناقلات ونحن نرفع إليكم هذا التقرير لتتعاقدوا مع المتعهد فيما إذا كنتم بحاجة لشيء من هذه المعروضات.

التاريخ 1948/2/3

وقد أمر الوزير مرافقة السيد سليم الشطا أن يكتب عليها "العقيد رفعة، للحفظ فسئل مرافق الوزيرالسيد سليم الشطا عن معنى كلمة للحفظ فقال "يعني الاهمال".

ويقول الرئيس حسني جروس في الصفحة 57 :

"استؤنفت المعارك بتاريخ 9 تموز 1948 وعينت أمر سرية المصفحات الثانية لفوج المدرعات الأول، وفي اثناء هذه المعارك لمست حاجة الجيش إلى القوى المدرعة وخاصة الدبابات التي يفتقر اليها الجيش تماما، لأن معارك فلسطين اخذت تدور رحاها في محيط من الابراج والحصون والخنادق والاسلاك الشائكة التي يتعذر على الجندي الراجل اجتيازها، وخاصة الحصون

(1) كان أحمد الشرباتي وزيرا للدفاع عند البدء بهذه الصفقة.

الصهيونية التي هي قريبة من بعضها البعض ومتساندة باسلحة فتاكة على مسافات قريبة، والسلاح الوحيد الذي يستطيع عزلها عن بعضها بعضا وتدميرها هو الدبابات". ثم يقول :

"توقفت المعارك وبدأت الهدنة الثانية في 24 تموز 1948 فكان من واجبي اخبار القيادة عن حاجاتنا وبصفتي ضابط دبابات وضعت تقريرا وافيا وشديد اللهجة رقمه 4/12003 ووجهته لحضرة القائد العام للجيش والقوى المسلحة الزعيم حسني الزعيم وقد أعيد الى اللواء الأول بتاريخ 1948/8/29 الذي أرسله الى فوج المدرعات تحت رقم 4/2316 بتاريخ 1948/8/31.

إثر هذا التقرير استدعاني القائد العام واهتم بدبابات قبرص الاهتمام الكلي واوفدني الى قبرص بصحبة المتعهد بوليكاريوس فيما إذا كانت هذه الدبابات لم تزل موجودة. فلما وصلت قبرص رأيت أن كل شيء في مكانه وكذلك المعدات فاخبرت الزعيم القائد العام بالنتيجة فقابلني بعد عودتي بدولة رئيس[2] مجلس الوزراء فالح عليه بضرورة شرائها، فأحالنا رئيس الوزراء الى السيد أحمد اللحام لكتابة عقد بالتراضي مع بوليكاريوس، واثر مقابلتي للسيد اللحام اجابني بقوله "(نحن لسنا اهلا لاقتناء مثل هذه الدبابات وتصليحها وتركيبها وقيادتها).

فاجبته "من الرجل الفهيم الذي افادك بذلك".

فغضب الزعيم بالنتيجة، فقابلني بفخامة رئيس الجمهورية الذي أحالني الى السيد اللحام آمرا باجراء عقد وشراء ما أمكن من الدبابات فقابلت السيد اللحام، وكان موجودا عنده العقيد رفعت خانكان والرئيس شاتيلا والمقدم نظام الدين، فصنفوا العقد الأول بثلاثين دبابة زنتها 6 طن وسبع عشرة دبابة زنتها 18 طن.

فعاد السيد احمد اللحام وتراجع عن العقد في اليوم الثاني كاتبا بتوقيعه عدم موافقته على هذا العقد فجرت مناقشة شديدة بيني وبينه ومن جملة اقواله :

(اننا لسنا بحاجة الى دبابات لاننا لا نود الهجوم، بل نحن قوم مدافعون عن انفسنا فقط). فقلت له "اننا ولو كنا مدافعين عن انفسنا فان هذا السلاح

(2) جميل مردم وكان قد استلم وزارة الدفاع بالاضافة إلى رئاسة الوزراء.

يفيدنا كل الفائدة في الدفاع كما في الهجوم ثم أخبرت الزعيم الذي رفع تقريرا إلى القصر الجمهوري مؤرخا في 1948/9/28 تحت رقم 4/1139 س ص، وقد أرسلني الى القصر الجمهوري بعد ذلك ثلاث مرات، ودام امر هذه المقابلات وأخيرا وبامر من فخامة الرئيس، قبل السيد اللحام توقيع عقد بثمانية دبابات فقط ولكنه يصر على شراء دبابتين واحدة صغيرة والاخرى كبيرة لتجربتهما في دمشق.

فذهبت الى قبرص وبدأت بالعمل وقد شعرت اثناء وجودي هنالك انني ملاحق من قبل البريطانيين الذين كانوا يحملون جميع المعلومات عن مهمتي واوصافي الشخصية حتى عن طول الجرح الذي في صدري فهربت متنكرا بالطائرة عائدا الى دمشق دون أية نتيجة.

وفي افادة الرئيسين عزة سعيد وعاطف المالح ما يؤيد اقوال الرئيس حسني جروس تأييدا تاما فيما يتعلق بصلاح الدبابات للعمل.

وفي افادة المقدم بهيج كلاس والزعيم حسني الزعيم ما يؤيد بقية المرحلة التي مرت على صفقة شراء الدبابات مما يتوافق مع ما أدلى به الرئيس جروس.

ويقول السيد فيصل العسلي في الصفحة 79 :

" أرسلتني الحكومة الى بلجيكا لشراء صفقة اسلحة، فتوفقت في ذلك وتم العقد وبعثت بصورة عنه موقعة ومصدقة من دولة خالد بك العظم وزير سوريا في فرنسا الى دمشق، ولم يردني أي جواب بهذا الصدد. ولما عدت إلى دمشق بعثت شركة هرستال مندوبها الى دمشق في الطائرة لاننا لم نجبها على عرضها، ولما هبط بيروت ابلغني برقيا انذارا يقول فيه "اننا اذا لم نعط هذه الشركة جوابا بالموافقة او السلب فهم في حل من هذا العقد. ورجاني ان اجتمع به، فاجتمعنا به مع الوزير السيد الشراباتي في دار مندوب الشركة في سوريا المسيو فتال، فوافق السيد الشراباتي على شراء عشر الكمية المتفق عليها، وسنستلم 1300 بندقية جدد وضعتها الفابريكة الى لبنان وقد رفض استلامها.

ويقول السيد فريد كلاس في الصفحة 83 :

"وقد لفت نظري بصورة خاصة عرض من قبل معمل (سويتسكي الاسباني) وبعد مخابرات دامت أكثر من ثمانية اشهر، مع أنه كان بالامكان ان تنتهي في شهر على الأكثر، وبعد ان تم الاتفاق على جميع النقاط، فقد اهمل هذا العرض فجأة مما لفت نظري بصورة خاصة لان الجيش كان بحاجة شديدة لشراء الاسلحة التي عرضها على وزارة الدفاع هذا المعمل. والشروط التي قدمها كانت معقولة ومناسبة كما وأن الشروط التي عرضناها على المعمل كانت مقبولة من جهته.

وانني أقول بصراحة ان المماطلة في قبول هذا العرض كانت بنظري غير طبيعية".

ويقول السيد ميشيل فتال في الصفحة 101، يتكلم عن بعض صفقات تم العقد فيها:

"واعتقد بعد تطويل وتسويف وحجة عدم وجود المال، اخرت استلامها".

ويقول : "أما الصفقة الثانية فهي من بلجيكا واعتقد أن التسويف حال دون اتمامها والحجة بعدم وجود المال".

"أما صفقة ايطاليا وهي الواقعة في اشهر آذار ونيسان وايار وحزيران عام 1948 فان وزارة الدفاع لم تقبل بهذه العروض العديدة بحجة عدم وجود المال".

وهنالك عروض اخرى كثيرة ولكنني لم استمع من وزارة الدفاع الوطني الا كلمة ما في مال.

وعرضت على وزير الدفاع عرضا افرنسيا بواسطة المسيو بويسون مدير البنك السوري لصفقات اسلحة عديدة فرفض الوزير قائلا "انني لا اريد ان اتعامل مع فرنسا".

كما أنني عرضت فابريكة خراطيش تصنع جميع انواع الخراطيش على وزير الدفاع قبل حركة فلسطين عام 1947 من معمل بلجيكي في ليج، فرفض الشراء، واشترت ربعه لبنان.

ويقول العقيد محمد ناصر في كتاب وجهه الى وزير الدفاع الوطني معالي عبد الله عطفه بتاريخ 1947/7/1.

"إن الكومندان شاربي الافرنسي أحد مراقبي الأمم المتحدة في فلسطين، أفادني أنه على اطلاع أكيد بأن صفقة من الأسلحة والذخيرة قد تمت بين الحكومتين السورية والافرنسية حول منتصف عام 1947 وقد جهزت في فرنسا حتى أن قسما منها أودع في الصناديق قيد الشحن. لكن الوسيط تقدم في اللحظة الأخيرة وطلب اعطاءه سمسرة لا تقل عن اثنين بالمئة من مجموع الصفقة، وعلى اثر ذلك توقف الشحن والغيت الصفقة.

وأضاف الضابط يقول بالحرف الواحد: وقد علمنا أن السمسرة المطلوبة عائدة لوزير الدفاع الوطني آنئذ والحكومة الفرنسية ليست شركة ولا تمنح سمسرة".

عن التهمة الثامنة:

8- تأخير ارسال الاجوبة لبرقيات الموفدين الى اوربا لاجل شراء السلاح وعدم فتح اعتمادات لهم وقت اللزوم.

هذه التهمة في الحقيقة فرع عن التهمة الأولى اي السابقة، وقد أفردنا لها بحثا خاصا بالنظر لأهميتها، ولأن مصير الموفدين بمهمات رسمية إلى أوروبا وغيرها كان معلقا عليها، فالموفد اذا لم يتلق جوابا ممن أوفده، أو لم يتعرف خلال رحلته إلى آراء رؤسائه في القضايا الطارئة والأمور العارضة لا يمكنه أن يفي مهمته حقها. ولقد كانت الشكاوى في موضوع اهمال الاجوبة للموفدين عامة شاملة لم يكن يستثنى منها أحد من الموفدين.

وهذه هي أدلتها من أقوال الشهود :

يقول العقيد فوزي سلو في الصفحة 2 وغيرها :

"وكان تأخير إرسال المبلغ نتيجة لاصعب عقدة من العقد التي صادفناها والجماعة كانوا رايحين يقلعونا" ويقول :

"الجواب يأتينا برقيات وكأنه لم يأتهم شيء بالنسبة إلى برقياتنا، وكانهم لم يقرأوا برقيات بل يقولون عجلوا بالاستلام" ويقول :

"بالنسبة للصفقة الأولى، تأخير فتح الاعتماد هو الذي عرقلها" ويقول :

"التقارير التي قدمتها ثلاثة أو أربعة، والكتب التي أرسلتها هي بين الثمانية والعشرة حتى أن كتابا ارسلته باسم محمود الهندي وقلت فيه مستشفى العظمة، وضمن كتابه كتاب الى وزير الدفاع، وورد فيه بأنني ارسلت عدة تقارير، وانني اطلب معلومات وتعليمات، وقلت محتمل أن هذه الكتب لا تصل باعتبار أن اليهود بيعترضوا رسائلي أو في وزارة الدفاع لا يطلعوا وزير الدفاع عليها، ولم يأتني جواب على الكتاب.

وقد سألت محمود الهندي بعد رجوعي إلى دمشق عن الكتاب، فقال "انه أوصله إلى مرجعه، واعتقادي أن الكتب والجواب لو وصلتني لكان بالامكان الشراء من تشكوسلوفاكيا وارسالها إلى سوريا سالمة تامة".

ويقول السيد أكرم عكر في الصفحة 1:

"ذهب الكثيرون من رفاقنا بمهمات الدفاع، والاحظ أنهم كانوا متألمين، والاحظ القصور بارسال الاجوبة اليهم أو الطلبات التي كانت بالانتظار تأتيهم، وكنت أسمع هذه الشكوى".

ويقول السيد جمال فيصل في الصفحة 4 :

"وصارت الشركة تتذمر من تأخير المبالغ ".

س - هل لو كان المال ميسرا كنتم تستطيعون ان تستلموا البضاعة؟

ج - نعم

ويقول "والصعوبات بدأت بعد التأخير بالقضايا المالية".

ويقول المقدم محمد صفا في الصفحة 35 :

"ولكنهما لم يستطيعا انفاذ هذه العقود بسبب صعوبات مالية كانت عقبة في طريق انجازها".

ويقول العقيد محمود الهندي في الصفحة 73 :

"انه يعترف بوصول كتاب العقيد فوزي سلوا وانه سلمه للوزير".

ويقول ميشيل فتال في الصفحة 101 :

"تطويل وتسويف وحجة عدم وجود المال"

عن التهمة التاسعة :

9 - اشتراك الجيش في السياسة وتدخله في الانتخابات :

من القواعد المقررة التي لا تقبل الجدل أن مهمة الجيش محدودة ضمن نطاق معين لا يجوز أن تتعداه. صيانة أمن البلاد الخارجي، وأن كل تدخل في الشؤون السياسية أو المدنية من قبل الجيش مفسد للامرين معا، وأن كل تسخير لقوى الجيش فيما عدا الغاية التي أعد لها خروج عن أقدس واجب الى أعظم ذنب. وقد تهيأ للسيد أحمد الشراباتي ان استغل نفوذ وجوده وزيرا للدفاع تسخير قسم من ضباط الجيش وجنودة في سبيل مآربه الانتخابية عام 1947.

وهذه هي الافادات والأدلة :

يقول العقيد عبد الوهاب الحكيم في الصفحة 21 :

"أخذت معلومات ان الضباط لبسوا مدنيين واشتركوا في الانتخابات"(3) وفيها اسماء الضباط الذين اشتركوا وهم "قاسم خليل، صلاح البزرة، سليم الصفدي، طالب الداغستاني، وسليم الصفدي كان يلبس قنبازا ويحمل مسبحة في الشاغور".

ويقول الرئيس أكرم عكر في الصفحة 2 :

"أعرف أن الجيش اشترك في مسائل انتخابية ومعلوماتي انني كنت في سرية المخابرات وطلبوا منا أن يلبس الجنود لباس درك للمساعدة في شؤون الانتخابات".

ويقول المقدم عزيز عبد الكريم في الصفحة 16 :

"طيلة مدة الانتخابات ما تركت معسكر القابون، ولكنني سمعت ان الرئيس بزرة تدخل فيها ولكن ما رأيت وسمعت ان ضباط الشعبة الثانية تدخلوا".

ويقول الزعيم عبدالله عطفة في الصفحة 27 :

"على الرغم من الأمر الذي أصدرته بتاريخ 1947/6/2 ورقم 3/322 وأقدم لكم نسخة عنه، الذي يحذر العسكريين من التدخل في الانتخابات أو السياسة، فان وزير الدفاع كلف بعض العسكريين بالاشتغال بالعمليات

(3) أي في محاضر التحقيق التي استند عليها صبري العسلي عندما وضع هذا التقرير.

الانتخابية لمصلحة الوزير الشخصية وهؤلاء الضباط ارتدوا الملابس المدنية وقاموا بالأعمال التي كلفهم بها واخص بالذكر منهم "طالب الداغستاني، توفيق شاتيلا، اكرم عكر، سري رباط، حيدر كزبرى، طلعت عبد القادر والدالاتي والرفاعي الضباط في الطيران، واستخدم بعض النقباء من اللواء الأول من قوى البادية لنفس الغاية، ثم كلف بالواسطة المستخدمين المدنيين الموجودين في المصالح والادارات والطيران والمعامل بوزارة الدفاع نفس الغاية والمهمة الانتخابية.

ولا بد لي من الاشارة إلى انني بينما كنت على طريق الربوة شاهدت سيارة جيب المرقمة بـ 10021 تابعة للجيش يقودها النائب العسكري محمد سعيد، فأوقفته وسألته سبب مهمته فاعطاني منشورا، وأقدم لكم نسخة عنه، وهو عبارة عن دعاية انتخابية من جماعة عصبة الشباب الواعي، وهو يذكر لي أنه كلف بمهمته من لدن المكتب الثاني لطبع هذه المناشير في بيروت والتي تشاهدها في هذه السيارة".

كما أنني اذكر لكم نقلا عن لسان سليم الصفدي الضابط في الجيش بأن وزير الدفاع السيد احمد الشراباتي كلفه باصطحاب قاتل ابن دياب في باب السريجة على سيارة جيب عسكرية وايصاله الى بيروت وقد تم ذلك بالفعل.

ويقول الملازم سليم الشطا في الصفحة 72 :

"انني سمعت ان بعض الضباط امثال أكرم عكر وطالب الداغستاني وصلاح البزرة وسرى رباط وأحمد القصيباتي وغيرهم استبدلوا البستهم العسكرية بالبسة مدنية وتدخلوا بالانتخابات الاخيرة المذكورة من أجل مصلحة الوزير أحمد الشراباتي".

ويقول السيد اكرم عكر في الصفحة 81 - 82 :

"يمكن أن أكون بذلت شيئا من التحبيذ في انتخاب الوزير السيد أحمد الشراباتي وأذكر انني بقيت - يومين لابسا الالبسة المدنية كما أذكر انني رأيت السيد أحمد القصيباتي في غضون هذين اليومين ورأيت السيد صلاح البزرة في اللباس المدني".

ويقول الرئيس سرى الرباط في الصفحة 84 :

"وفي اثناء البالوتاج رأيت الرئيس بزرة يرتدي لباسا مدنيا وبرفقته كل من زاهد الالشي وجميل القربي وهما موظفان مدنيان في وزارة الدفاع، وطلبوا لي أن أرافقهم على شكل مدني فارتديت جاكيتة مدنية فوق .

□

ومن المؤسف جدا أنني لم أجد بين محفوظاتي الأوراق الأخيرة من هذا التقرير الخطير، وبذلك سقطت منه التهمة العاشرة أي "استثمار نفوذ الوزارة في أمور شخصية ومنافع ذاتية" ولا شك أن الأوراق الأخيرة قد فقدت بسبب تعرض بيتي ومكتبتي للمداهمة عدة مرات بعد الثامن من آذار 1963 كان آخرها نهب مكتبتي في بيروت وفيها مجموعتان كاملتان لمحاضر مجلس النواب السوري أحداها تعود للنائب فؤاد قدري والأخرى تعود لرفيقنا النائب خليل الكلاس إلى جانب مجموعات صحف نادرة وقد تمت العملية بواسطة المخابرات السورية بالاشتراك مع شخصية سياسية لبنانية هي كمال شاتيلا.

وإلى القارئ بعد أن عرف مجمل الصورة بعض الملاحظات الضرورية:

<u>الملاحظة الأولى</u> :

على الرغم من انشغالنا بحضور جلسات البرلمان التي كانت في تلك الفترة تعقد يوميا تقريبا، فقد صرفت كل الاهتمام لمتابعة جلسات لجنة التحقيق وملاحقة تطوراتها وتوسيع التحقيق، وكان أكثر أعضاء اللجنة، يظهرون الاهتمام ذاته. وكانت أعمال التحقيق تستغرق منا كل وقت ما قبل الظهر، وكثيرا ما كنا نعقد جلسات مسائية أيضا تمتد أحيانا إلى منتصف الليل.

<u>الملاحظة الثانية</u> :

على الرغم من أن رئيس اللجنة وأكثرية أعضائها هم من الموالين لحكم القوتلي وبعضهم من أصدقاء أحمد الشراباتي فإن موقفهم أثناء التحقيق كان موقفا مسؤولا للكشف عن أسباب الكارثة ومعرفة المسؤولية فيها، وهذا يعني أن كل أشكال الولاءات

والارتباطات تضعف أمام الولاء للوطن، إذ أن الشعور الوطني بعد الكارثة أضعف كل الارتباطات الشخصية والطبقية.

وقد تجلت هذه الظاهرة الرائعة أيضا لدى الضباط الذين استدعوا للتحقيق كشهود دفاع عن الشراباتي بناء على طلبه، فقد كان معظمهم صريحا وصادقا ودقيقا في الأجوبة وفي الكشف عن الخفايا بإخلاص.

الملاحظة الثالثة :

مما ساعد كثيرا على النجاح في مهمتنا أننا بدأنا العمل ونحن متنورون بملابسات القضية، إذ أن المعلومات الضرورية عن القضية التي سنحقق بها كانت متوفرة لدينا منذ بدء العمل بما كان ينقل إلينا من أنباء وحقائق، وما نزود به من وثائق أحيانا.. ثم اتسعت دائرة التحقيق وتشعبت قضاياه اثناء عمل اللجنة، بسبب المعلومات الجديدة التي كان يزودنا بها الأشخاص الذين استدعيناهم للاستجواب - وأنا لم أذكر إلا أسماء القليلين منهم- ولم تحصر اللجنة عملها بالاستماع للافادات والشهادات وقراءة التقارير **بل كنا نلاحق تشعبات التحقيق مهما توسعت وكنا نزور مكاتب وزارة الدفاع بأنفسنا لنطلع مباشرة على ما نود معرفته.**

الملاحظة الرابعة :

كانت تلك المناسبة فرصة لأن أكون صورة واضحة ومباشرة عن ضباط جيشنا، فاكتشفت في الكثيرين منهم على اختلاف اتجاهاتهم الروح الوطنية الشريفة والاندفاع الصادق للبذل والفداء، كما تعرفت بهذه المناسبة ولأول مرة على الضابط ابراهيم[1] الحسيني الذي لعب دورا خطيرا فيما بعد في المخابرات السورية ثم في المخابرات السعودية.

(1) ابراهيم الحسيني: فلسطيني من أهالي عكا، نشأ في دمشق، دخل الكلية العسكرية في عهد الانتداب الفرنسي، لعب دورا خطيرا في انقلاب حسني الزعيم ثم خلال ديكتاتورية أديب الشيشكلي الذي عينه رئيسا للمكتب الثاني (مخابرات الجيش) وبقي فيه حتى انهيار ديكتاتورية الشيشكلي، ثم أصبح رئيسا للمخابرات في المملكة العربية السعودية، لقي مصرعه في روما في حادث سيارة.

الملاحظة الخامسة :

كان الاتفاق بين أعضاء اللجنة اتفاقا اجماعيا عندما انتهينا من التحقيق، ففوضنا السيد صبري العسلي رئيس اللجنة بوضع التقرير بعد أن تم الاتفاق اجماعيا على كل مضامينه وتفاصيله، فقام السيد صبري العسلي بمهمة وضع التقرير الذي طالعه القارئ الكريم، وعندما وقع انقلاب حسني الزعيم في 94/3/29 كان من رأي صبري العسلي أن نقدم للزعيم هذا التقرير، ولكنني رفضت ذلك، لأني لم أكلف بالتحقيق من قبل حسني الزعيم وإنما كلفت به من مجلس النواب السوري، وقد أخبرني العسلي أنه قام بتقديمه إلى حسني الزعيم، وبالرغم من الخصومة والعداء بين الشراباتي وحسني الزعيم فإنه لم يحل هذا التقرير إلى المحكمة العسكرية ولم تحرك الدعوى العامة، ولا شك عندي ان المخابرات الأميركية كانت وراء اقناع حسني الزعيم بطي هذا التقرير الخطير مع غيره من أمور هامة أخرى، وهكذا كان من سخرية القدر أن يكون خلاص أحمد الشراباتي من المحاكمة ليس على يد شكري القوتلي وإنما على يد حسني الزعيم.

الملاحظة السادسة :

لم يثبت صبري العسلي في صفحات هذا التقرير كل الأمور التي كان يجب إثباتها، فهناك مثلا مسألة خطيرة أهملها التقرير وهي أن أحمد الشراباتي سرح عددا كبيرا من أفراد الجيش من الجنود المدربين وضباط الصف قبيل دخول الجيش الى فلسطين بخمسة عشريوما، وحين جابهناه بهذه الحقيقة أنكرها بشدة ولكن الزعيم عبدالله عطفة قال أن هنالك أمرا خطيا بتوقيع الشرباتي موجود في وزارة الدفاع، وحين طلبنا ذلك الأمر الخطي قيل لنا أنه مفقود وقد بذلت قيادة الجيش جهودها للعثور على تلك الوثيقة حتى تمكنا من الحصول عليها، وحين جابهنا الشرباتي بهذا الأمر الخطي الممهور بتوقيعه عقد لسانه واصفر وجهه.

قلنا له : هل هذا توقيعك أم لا ؟ فلم يحر جوابا.

قلنا له : أنكرت في البداية وجود هـذه الوثيقـة الدامغـة، وهـا هـي الآن أمامك، فهل هـذا توقيعـك أم لا ؟ إنـك إذا أنكـرت الأمـر عرضـنا الأمر على الخبراء.

عند ذلك أغمي عليه وسقط على الأرض.

□

لقد ذكرت أن اللجنة اتخذت مكتبا لها في وزارة الدفاع، وفي الأيام الأخيرة من فترة التحقيق لاحظت أنني كلمـا غـادرت الغرفـة بعد انتهاء الجلسات أجد من يخبرنـي بـأن "عطوفـة قائـد الجـيش" يحب أن يراك في مكتبه، وفي المكتب كنت أسمع منه سـيلا مـن الشـتائم المقذعة وسبابا بذيئا ضد القوتلي، وكنت متحفظـا أمامـه لمعرفتي بعلاقته الوثيقة مع محسـن البـرازي الـوزير المعتمـد مـن شكري القوتلي والذي كان أمينا للقصر الجمهـوري، فكانـت ردودي معتدلة ومختصرة، ولكنه في أحد هذه اللقاءات لم يكتف بالسـباب والشـتائم بل قال غاضبا :

"سـوف أقلب هؤلاء الـ ..... أبناء ..... ".

آنذاك صارت عندي شكوك في نواياه، وقلت في نفسـي وأنا أغادر مكتبه: أيكون هذا المجنون قد قرر القيام بانقلاب ؟

كنـت وحيـدا فـي تلـك الفتـرة .... فرفـاقي الـذين يمكـن أن أستشيرهم كانوا كلهم في حماه. أمـا فـي دمشـق فأنـا القيـادة، إلى جانب كوني النائب والصحفي والمحقق والمراجـع.. ولـم يكـن قريبا مني آنذاك إلا الدكتور عبد الوهاب حومد، وكنت اعتبره واحـدا منا وإن كان منتسبا إلى حزب الشـعب، فهـو رجـل مـن أبنـاء حـي عشيرة السخانة في حلب، وهم على قرابـة وصـلات وثيقـة بأبنـاء حي السخانة في حماه وهي عشـيرة شـعبية فقيـرة، وقـد ضـمه الكيخيا الى قائمة مرشحي حزب الشعب ليضمن لقائمتـه أصـوات السخانة بحلب، وقد لعب الدكتور عبد الوهاب حومد هو ورفـاق لـه دورا ايجابيا داخل حزب الشعب في تأييد الخط التقدمي.

قابلت حومد وشرحت له ما يصرح به حسني الزعيم، وقلت له :

ما رأيك، أنا أخشى أن يقوم هذا المجنون بانقلاب، ولا سيما وقد ورد بعد جلسة البرلمان التي شتم فيها من قبل فيصل العسلي ما يشير إلى أنه ينوي ذلك، أتظن أن سبابه وشتائمه للقوتلي هي للتفريج عن صدره بعد أن تأزمت الأمور بينهما؟ قال حومد :

والله لا أدري ، قلت له :

إذا قام هذا المجنون بانقلابه فما هو مصيرنا ومصير بلادنا؟ أمن الواجب أن نخبر القوتلي فينهي أمره بمرسوم جمهوري، ولكن هذا عمل شائن وغير أخلاقي، ثم انني أخشى إذا نقلنا هذا الكلام للقوتلي بألا يكون الزعيم جادا في أقواله، وانني أخشى أن اسيء إليه وإلى نفسي إذا نقلت تهديداته إلى القوتلي.. قال حومد :

انه موقف حرج وليس باستطاعتي أن أشير عليك بما ينبغي عمله.

القوتلي يجتمع بالضباط في القصر الجمهوري :

كان شكري القوتلي يمارس سياسته في أوساط الجيش بواسطة وزير الدفاع أحمد الشراباتي، وكان من المفترض بعد أن باشرت لجنة التحقيق البرلمانية عملها أن يكف القوتلي عن متابعة اتصالاته بالجيش، ولكنه بعد إقالة وزير الدفاع ثابر على هذه السياسة وصاريتصل بنفسه مباشرة بالضباط . وقبيل انقلاب حسني الزعيم بأيام، وكانت اللجنة قد انتهت من تحقيقها وأوكلت لصبري العسلي كتابة تقريرها، دعا الرئيس القوتلي مجموعة من الضباط للاجتماع به في القصر الجمهوري بحضور رئيس الوزراء ووزير الدفاع خالد العظم، وكان بعض هؤلاء الضباط لا يتمتع بمكانة في صفوف الجيش بسبب بقائهم في جيش الشرق عند العدوان على مجلس النواب والمدن السورية عام 1945، وكان معظمهم من أبناء أسر دمشقية موالية للقوتلي بحكم مصالحها، كما كانوا

سببا من أسباب موجة الاستياء في الجيش على الشرباتي، وقد أثار اجتماعهم بالقوتلي موجة استنكار في صفوف الجيش.

كان شكري القوتلي بعد كارثة فلسطين معزولا وتائها ومضللا، ونظرا لخطورة الموضوع ولانعدام أي وسيلة لتنبيهه فقد كتبت آنذاك بجريدة الشعب (جريدة حزب الشعب)، وكانت اليقظة قد توقفت عن الصدور بسبب المصاعب المالية، مقالا حذرت فيه من عواقب سياسة التكتلات في الجيش، وكان من باب الصدفة أن ينشر ذلك المقال قبل يوم واحد من انقلاب حسني الزعيم، ومن المؤسف أنني لم استطع الحصول على نص ذلك المقال لاثبته في هذه المذكرات.

لقد اتخذ حسني الزعيم من اجتماع القوتلي بالضباط ذريعة لانقلابه فأوعز للصحف بعد الانقلاب بنشر نبأ هذا الاجتماع على الصورة التالية:

"قبل الانقلاب بأيام دعا الرئيس القوتلي اثني عشر ضابطا من كبار ضباط الجيش الى القصر وطلب إليهم بحضور رئيس الوزراء أن يعاونوه على تنحية حسني الزعيم عن القيادة، غادر الضباط قصر الرئاسة فجاء سبعة منهم إلى الزعيم، كل على حدة، وأبلغوه الحكاية بالتفصيل، أما الضباط[4] محمد صفا، سهيل العشا، طالب الداغستاني، توفيق شاتيلا، وضابط خامس، فإنهم كتموا السر عنه... وقال الزعيم انه صبر يومين ثم زار القصر حيث شاهد الضابط شاتيلا وتحرش به ظنا منه أنه سيطلعه على ما جرى فلم يفعل وهكذا فعل ببقية الضباط الخمسة فزار الضابطين صفا والداغستاني في الجبهة وعاتبهما لأنهما زارا دمشق ولم يجيئا إلى مكتبه فأجاباه أنهما لم يزورا دمشق منذ اسابيع، وقبل أن ينفذ الانقلاب بساعتين كان الضباط الخمسة موقوفين في مكتب القائد العام فوبخهم على عدم ابلاغه، وهو قائدهم، ما جرى لهم في قصر الرئاسة ثم أمر بتوقيفهم".

مؤتمر القنيطرة ومذكرة الضباط الى قائد الجيش :

(4) الضابط محمد صفا من جنوب لبنان .

إن رئيس الوزراء ووزير الدفاع آنذاك خالد العظم يشير فقط في مذكراته إلى اجتماع للضباط تم في مدينة القنيطرة وأسفر عن تقديم مذكرة الى رئيس الجمهورية.

يقول خالد العظم :

"ذات صباح دعاني الرئيس القوتلي وقال لي :

هل بلغك ما حدث في الليلة الماضية؟ قلت : لا ، فقال :

دعا حسني الزعيم عددا كبيرا من الضباط الى عقد مؤتمر في مركز قيادته في القنيطرة فاجتمعوا ليلا، وبلغني الأمر أثناء اجتماعهم، فحاولت الاتصال به هاتفيا فتهرب، وطلبت من معاونيه تبليغه لزوم حضوره إلي حالا فأجابوا أن الطريق مسدود من الثلوج، ولكنني أصررت عليهم بلزوم حضوره إلي صباحا وحين سألته عن الاجتماع قال :

إن قادة الألوية وغيرهم من كبار الضباط اجتمعوا الليلة وتداولوا ما وصلت إليه حالة الجيش ثم وضعوا مذكرة وكلفوه بتقديمها وسلمني المذكرة فإذا هي تطالب بتوقيف فيصل العسلي وإحالته إلى المحاكمة لاتهامه قائد الجيش بالخيانة كما تطالب موافقة مجلس النواب على مشروع قانون الجيش وغير ذلك من المطالب، ثم استطرد (القوتلي) قائلا :

بعد أن قرأت هذه المذكرة قلت لحسين الزعيم سأبحث مع من يلزم بشأن تحقيق ما جاء فيها، ويذكر خالد العظم أنه قال للقوتلي: انني اعتقد ان الأمور ستتطور بشكل غير مرض إذا لم نتخذ التدابير اللازمة فقال القوتلي: انتظر ما سوف أفعل، ثم طلب من حسني الزعيم المجيء الى القصر فحضر مخفورا بسيارتي "جيب"، فيهما عدد من شرطة الجيش بكامل اسلحتهم. ودخل على الرئيس الذي كان واقفا أمام منضدته وأنا الى جانبه. فحياه تحية عسكرية، دون أن يستطيع اخفاء ما في نفسه من اضطراب، وما على وجهه من احمرار.

فوجه الرئيس الكلام اليه قائلا: "لقد تمعنت في المذكرة، لكنني لن اسلمها الى وزير الدفاع. خذها وقدمها له بنفسك".

فتردد حسني، بادئ الامر، ثم ما لبث ان مد يده وتناولها ووضعها في جيبه. وأردف الرئيس قائلا: "اننا حريصون على حقوق الضباط وسنعمل اللازم.. مع السلامة".

وظهر العجب على ملامح حسني من موقف الرئيس. ولعله كان يخشى ان يقابله الرئيس بمرسوم عزله، أو بأية ملاحظة قاسية لما يحوكه من مؤامرات ولما حوته المذكرة من لهجة غير مناسبة. فتنفس الصعداء وخرج بعد تحية عسكرية ثانية، دون أن يتقدم لمصافحة الرئيس وبعد خروجه التفت على الرئيس قائلا: "كيف؟" فأجبته: "ألم تر كيف فرح حسني بنجاته من هذه الورطة على اسلم شكل؟" فقال الرئيس: "ماذا كان علينا أن نعمل؟" فأجبت: "هذا الرجل خطر، وقبل أن يتعشى بنا يجب أن نتغدى به، فلنصدر فورا مرسوما بتسريحه." فقال الرئيس: "ومن نعين محله؟" فقلت: "من تشاء ؟ فقال: "نعقد الهدنة مع اليهود ثم نسرح حسني الزعيم" (ص186-192 الجزء الثاني).

وهكذا يكون القوتلي قد أعطى حسني الزعيم فرصة لم يكن يحلم بها للقيام بانقلابه وكان باستطاعته احباط هذا الانقلاب على أيسر شكل بإصدار مرسوم واحالته على المحكمة العسكرية.

□

نص مذكرة الجيش التـي قـدمت للقـوتلي كمـا وردت في مذكرات خالد العظم

إلى حضرة صاحب الفخامة قائدنا المعظم:

كان لما جرى في جلسة المجلس النيابي المنعقـدة بتـاريخ 17 الجـاري (آذار) مـن تهجمـات علـى الجـيش واسـتهزاء بقادتـه واسـتخفاف بحقوقـه واسـتهتار بـأرواح شـهدائه وعقـوق بماضـيه وحاضره وعدم تقدير لما يتحملـه ضـباطا ورتبـاء وأفـراد مـن مخـاطر ومشـاق وحرمان، أسوأ الاثر وصدى اليم في أوساط الجـيش. فقـد اسفرت الجلسة المذكورة عن اهانات لا تقبل وعن اجراءات تعددت وتكررت حتى بتنا نرى وراءها سعيا حثيثا مقصودا لتحطيم الجـيش والقضاء عليه. وقد قبلنا في الماضي التأجيل والتسويف والمماطلة مدفوعين بقوميتنـا الصـادقة واخلاصـنا العميـق للـبلاد ولشخصـكم المفدى. الا أن التطاول والاحتقار اللذين تمخضـت عنهمـا الجلسـة المنوه عنها قد هدما ما تبقـى فـي النفـوس مـن صـبر وأنـاة وقـوة احتمال.

1- فقد وصم الجـيش بالخيانـة العظمـى مباشـرة لائتمـاره بـأمرة قائد هـوجم فـي النـدوة النيابيـة واتهـم بتـآمره علـى سـلامة البلاد.

2- اعترفت الدولة والمجلس النيـابي بصـحة هـذه الوصـمة وذلـك بسكوت اعضاء الحكومة والنواب عنها وعدم نفيها فورا.

3- ضـربت بحقـوق الجـيش عـرض الحـائط، فـرد المجلـس قانونـه وأعيـدت النغمـة القديمـة فـي المماطلـة والتأجيـل مـع أن المنطـق والعـدل يقضـيان بالاسـراع فـي البـت بهـذا القـانون والانتهـاء منـه، خصوصـا والجـيش يـرابط امـام العـدو ويتعـرض افـراده للمـوت باشـكاله المتعـددة دون أي ضـمان لشـهدائه ومشوهيه.

4- وصم قائد الجيش الاعلى بالخيانة لكونه المسؤول الأوحد عن تعيين آمر الجيش الحالي، بالرغم من تآمر هذا علـى سـلامة البلاد ومن تواطئه مع الجيش الاجنبي.

5- اعتبر الجيش فاسدا في قيادته لقيامها كما قيل في المجلس بتقسيم الجيش على نفسه واقصاء الاكفاء.

ان السكوت عن هذه الافتراءات والاجراءات يا صاحب الفخامة يهدد الجيش في سلامته وكرامته ويجعله غير كفؤ لتحمل الاعباء والدفاع عن الامانة الغالية التي تفضلتم فوضعتموها في عنقه. والاهانة التي وجهت اليه في المجلس النيابي هي اهانة للامة بوجه عام ولشخصكم الكريم بوجه خاص. ولما كان هذا الجيش يأبى الا ان يظل عند حسن ظنكم به، يطلب ان تتكرموا فتتدخلوا شخصيا لتحقيق الاهداف التالية :

1- القاء القبض على السيد فيصل العسلي فورا واحالته على القضاء العسكري ليحاكم على افتراءاته وأكاذيبه أو لاثبات اتهامه، وعندئذ محاكمة الزعيم حسني الزعيم والمسؤولين عن عدم معاقبته في حينه.
2- محاكمة المسؤولين عن عدم تحضير الجيش واعداده وتسليحه وتجهيزه منذ 1945 حتى حرب فلسطين.
3- تصديق قانون الجيش من قبل المجلس النيابي وفي دورته الحالية وقبل الموازنة وغيرها من القوانين.
4- اذا وجد من يعترض على القانون الموضوع حاليا قيد المناقشة، فاقرار قانون الجيش المصري على علاتة في نفس المدة المطلوبة او قانون الجيش العراقي.
5- الغاء المرسوم الاشتراعي رقم (74) والاستعاضة عنه بملاك مطابق لملاك وزارة الدفاع المصرية أو ملاك وزارة الدفاع العراقية.
6- عدم التعرض في المستقبل لمناقشة امور الجيش في جلسات علنية.
7- الكف عن مناقشة المسائل العسكرية من قبل الجهلة وتعيين اللجان لها من العسكريين الموجودين في الخدمة الفعلية.

ان الجيش يا صاحب الفخامة في توتر وهياج من جراء ما حدث، وسيزداد هياجا وتوترا كلما طال التأخير في تحقيق المطالب المذكورة أعلاه. واننا اذ نرفع شكوانا ومطالبنا الى

مقـامكم، فاننـا نرفعهـا الـى زعـيم الـبلاد وســند الجـيش وقائـده الأعلى، وقد عودتمونا في كافة المناسبات على الكثير مـن رحابـة صدركم وتفهمكـم العميـق لهـذا الجـيش الـذي يـدين بـالولاء التـام والثقـة العميـاء، حفظكـم الله ذخـرا وسـندا وللعروبـة مـلاذا وللأمـة زعيما وهدى. (بدون تاريخ). (الجزء الثاني، ص 186).

وفيمـا يتعلـق بهـذه المـذكرة كمـا وردت فـي مـذكرات خالـد العظم فإنه لا بد من الملاحظة التالية:

إن كلمة آذار التي اضيفت في مطلع المذكرة بـدليل وضـعها بين قوسـين قد أضـيفت خطـأ لأن جلسـة مجلـس النـواب المشـار إليها في المـذكرة والتـي تعـرض فيهـا فيصـل العسـلي الـى قائـد الجيش حسـني الزعيم قد تمت في 17 كـانون الأول 1949 ولـيس فـي شــهر آذار الـذي وقـع انقـلاب حســني الـزعيم فـي التاســع والعشـرين منه كما أنه من المستغرب أن تقدم مذكرة بـدون تـاريخ الى رئيس الجمهورية موقع عليها من أهم ضباط الألوية.

30 - 29 آذار 1949 : انقلاب حسني الزعيم.

ليلة حافلة بالمفاجآت .

كانت البلاد في الأيام الأخيرة من عهد شكري القوتلي هادئة كالهدوء الذي يسبق العاصفة، هدوءا مشوبا باليأس والانكسار والخذلان، خصوصا بعد أن قبلت سوريا، مرغمة، الدخول بمفاوضات الهدنة مع اسرائيل وبعد أن قطعت اتفاقيات الهدنة مع مصر ولبنان والأردن شوطا بعيدا...

كان وضع الشعب يشبه تماما وضع قادة الجيوش عندما يتقدمون من العدو، بعد الهزيمة، طالبين عقد الهدنة ..

كان الشعب يائسا بلا أمل ولا رجاء مسترخيا مستسلما. فاقتصرت آخر جلسات المجلس النيابي على بحث أمور لا علاقة لها بقضية فلسطين، ولا بالصراع الحاد الدائر في سورية بين الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا على النفوذ والمصالح الاقتصادية .

كان هنالك يأس وذل واسترخاء حتى أصبح عقد الهدنة مع العدو حلا لا بديل له، ذل واسترخاء ويأس من تبديل الأوضاع بما يفتح أبواب الرجاء والأمل بإعداد معركة ظافرة قادمة مع اليهود الرابضين على الحدود، المتحفزين للانقضاض على سورية.

في ذلك الجو الكالح الكئيب وقع انقلاب حسني الزعيم.. في ليلة 29-30 آذار 1949.

إنني لا اتذكر بالضبط ماذا كان يشغلني عندما أخلدت إلى النوم في تلك الليلة في بيتي الصغير المعروف باسم "دار اليقظة" في زقاق الصخر، ولكنني أتذكر جيدا أنني افقت، بعد منتصف الليل، على طرق عنيف على باب بيتي، فنهضت مسرعا من فراشي وأطللت من الشرفة فرأيت سيارة جيب عسكرية وضابطا شابا يطرق الباب بشكل عنيف وجنوني.

نزلت الـدرج وأنـا لا أزال بـين النـوم واليقظـة، ومـا أن فتحـت البـاب حتـى أقبـل ذلـك الضـابط علـي يصـافحني بحـرارة وعنـف ويخبرني بانفعال "أن الجيش قد احتل دمشق وأن حسني الزعيم يـود مقابلتـك " فاسـتمهلته ريثمـا أرتـدي ثيـابي. ثـم ركبـت معـه السيارة إلى مديرية الشرطة التي اتخذها الزعيم مركزا لنشاطه.

كانت دمشق نائمة، والشـوارع خاليـة إلا مـن بعـض الآليـات العسكرية، وكنت خلال ذلك مغتما وجلا من هذا الانقلاب ومما قـد يترتب عليه من نتائج. في مبنى الشرطة كان أول من لقيته هناك أديب الشيشكلي فسألته :

ما الخبر يا أديب ؟ قال :

قام هذا المجنون بانقلاب عسكري !

صمت ولم اتكلم، فبادرني أديب قائلا :

ما رأيك أن نلقي عليه القبض ونرمي به في السجن؟ قلت له :

هل أنتم قادرون على ذلك؟

في هذه اللحظة خرج حسـني الزعيم من غرفتـه ورآنـي فـي بهـو الطابق الاول مع أديب فأقبل علي وصافحني، ثم دخلت معـه الـى غرفته التي لم أجد فيها انسانا آخر.

قال لي حسني الزعيم :

- نحن قمنا بواجبنا وأنقـذنا الـبلاد مـن الطغمـة الفاسـدة (ثـم أتبـع ذلـك بسـيل مـن الشـتائم، علـى عادتـه) ومنـذ الآن مسـؤوليتكم بتحقيق الأهداف والغايات التي ناديتم بها وجاهدتم في سبيلها.

قلت له :

ما أنا إلا طرف واحد، وهناك أطراف أخرى من المعارضة لهـا شـأنها ووزنها فعليك أن تتصل بها وتبحث معها.

قال :

لقد أرسلت ضباطا إلى بيوتهم وسيأتون الآن، ولم يكد ينهي كلامه حتى دخل علينا الدكتور سامي كبارة وهو من أبرز زعماء المعارضة في دمشق آنذاك وكان يعتبر نفسه كرشدي الكيخيا في الشمال.

كرر حسني الزعيم للدكتور كباره ما قاله لي، وكان جواب كبارة أن هنالك إخوانا لهم وزنهم وشأنهم ولا يمكننا البحث قبل حضورهم جميعا، فقال له الزعيم:

سوف يأتون تباعا.

دخل علينا أثناء ذلك نائب دمشق زكي الخطيب في حالة يرثى لها، أصفر الوجه معقود اللسان منهار الاعصاب ظانا بأنه معتقل، وعبثا حاول الزعيم اقناعه بأنه غير معتقل مما اضطره لأن يأمر الضابط بأن يرجعه إلى منزله.

وقد سبق لي، عند وصولي الى مديرية الشرطة، أن رأيت صاحب جريدة الانشاء السيد وجيه الحفار بثياب النوم، والضابط يأمره بجلافة أن ينزل من السيارة، ولما رآه حسني الزعيم أمر بإرساله إلى السجن، فقلت للزعيم :

ما الداعي لاعتقال وجيه الحفار؟ قال :

انه خصمي وخصمكم أكثر، ألا تتذكر حملاته في جريدة الانشاء؟

قلت : أرجو أن تخلي سبيله وأن تترفع عن مثل هذه الأمور؟

تم هذا الحديث بحضور من استدعاهم حسني الزعيم ولا بد أنه نقل للحفار الذي لم يكن ينتظر مني أن أقف منه هذا الموقف، لذلك فإنه عندما أفرج عنه فيما بعد، وأصدر كالمعتاد صحيفته، لم يتعرض إلى بما يسيء بالرغم من خلافنا الشديد حول القضايا السياسية.

ولم تمض فترة وجيزة حتى دخل علينا وزير الداخلية والمعارف محسن البرازي وهو بثياب النوم وشعره منفوش. ووجهه ممتقع ودون أن يكلمنا ذهب مع حسني الزعيم الى غرفة مجاورة، ومكث معه حوالي عشر دقائق، ثم غادر بعدها مديرية

الشرطة. أما الزعيم فقد عاد إلينا فسألته عما جرى بينه وبين محسن البرازي فقال : لقد أمرت باعتقاله، ولم يدم اعتقال محسن البرازي سوى أربعا وعشرين ساعة، لذلك قيل أن محسن البرازي أتى إلى حسني الزعيم ليطلب إليه اعتقاله أسوة برئيس الجمهورية شكري القوتلي ورئيس الوزراء خالد العظم لئلا يتهم بالتواطؤ معه، وقد اعتقل بالاضافة الى القوتلي والعظم فيصل العسلي وحوالي ثلاثين عضوا من حزبه ووجيه الحفار صاحب جريدة الانشاء وخليل المدرس نائب حلب وآخرون وقد اطلق سراحهم جميعا بعد ذلك ما عدا فيصل العسلي.

ماذا جرى يوم الأربعاء 1949/3/30 .

ذهبت مع طلوع الشمس من مديرية الشرطة الى فندق الأوريان بالاس الذي ينزل فيه نواب حلب عادة، فسألت عن ناظم القدسي فقيل لي أنه في الحمام، فجلست مع بعض النواب في احدى الغرف نتحدث عن الانقلاب، وكان معنا الامير عادل أرسلان وبقينا ننتظر اكثر من ساعتين دون أن يخرج القدسي من غرفته فيئست من مقابلته وانصرفت الى بيت رئيس المجلس فارس الخوري في آخر حي أبو رمانة الجديد آنذاك، وهنالك وجدت عددا من النواب متحلقين في بهو المنزل، وكان البحث يدور حول الانقلاب، وقد فوجئنا بحسني الزعيم يدخل البيت ويختلي بفارس الخوري حوالي النصف ساعة ثم يذهب.

سألنا فارس الخوري ماذا جرى بينهما فقال :

اتفقت معه، وسوف اجتمع مع القوتلي والعظم لإقناعهما بتقديم استقالتيهما، ليتمكن المجلس من انتخاب رئيس جمهورية جديد وتشكيل حكومة دستورية.

انصرف النواب لعقد الاجتماعات والتداول، **وكانت البلاغات تترى من الإذاعة، وكلها تركز على الافكار ذاتها التي كانت تحرك المعارضة الشعبية والبرلمانية،** وهذا ما يتضح بشكل أوفى في المنشور السياسي الذي وزعته طائرات الجيش في سماء العاصمة والمدن الرئيسية وهذا نصه :

"اليوم فتحت صفحة جديدة في حياة الشعب العربي في سوريا، وطويت صفحات، فتحت صفحة مجيدة لتسجيل البطولات والامجاد، وطويت صفحات ملأى بالذل والعار.

لقد رأى الجيش السوري الباسل ما آلت إليه حالة البلاد من فوضى واستثمار وخذلان ووجد العهد الحاضر مليئا بالمساوىء والمخازي، من خيانات وسرقات، ومن قضاء على الحريات الديمقراطية إلى مخالفة للدستور والقوانين. لقد رأى الجيش كل ذلك وأيقن أن الأمة تسير بخطى متسارعة نحو الموت والفناء، فأبت عليه وطنيته وكرامته أن يقف مكتوف الأيدي، وأبت على أبنائه نفوسهم النبيلة أن يرضوا بالذل والعبودية والفناء مصيرا لأمة عظيمة كتب لها المجد والخلود. فصمم على أن يقف هذا الموقف الشريف، ويتدخل ليعيد الأمور الى نصابها وليعيد الى هذه الأمة شرفها وكرامتها وحريتها، أقدم الجيش الباسل على هذه الحركة بنفوس ملؤها الايمان والتضحية فسجل نصرا للحرية على العبودية، وللشرف على الذل. أقدم الجيش فهز للمعالي هممًا توشك أن تهمل، وذكر بالمجد نفوسا تكاد أن تنسى، وأضاف اسم سوريا الى اسماء الأمم التي روت من دمائها أصول الحرية والديمقراطية.

إن الشعب العربي في سوريا عبر أصدق تعبير عن إخلاصه لجيشه الباسل الذي أنقذه من الهاوية وأعاد اليه حقه السليب. والشعب السوري الذي أدرك بسائق وطنيته ووعيه فظاعة الكارثة التي جرته اليها الفئة الحاكمة، والتي أنقذه منها جيشه الباسل، يقف اليوم من هذا الجيش موقف الاعجاب بالبطولة الحقة والاخلاص البريء.

اليوم شقت الطريق امام، الشعب العربي في سوريا للسير قدما الى الامام في سبيل تحقيق رسالته الخالدة".

كما صدرت بلاغات أخرى بفرض منع التجول، والتهديد بإعدام كل من يحمل سلاحا، والاعلان عن استلام قيادة الجيش زمام الحكم في البلاد مؤقتا "رغبة منها في تهيئة حكم ديمقراطي صحيح". وكانت بعض البلاغات تندد بالاهانات والمعاملة السيئة التي كان يتلقاها الجيش قبل الانقلاب من رجال العهد السابٌق.

□

ذهبت من بيت فارس الخوري إلى مجلس النواب فوجدته بحراسة الجيش، ومنه إلى مبنى الأركان المجاور للمجلس، فرحب بي الضباط ولا سيما المقدم بهيج الكلاس الذي كان معاونا لقائد الجيش. وقد ألحوا علي ولا سيما المقدم بهيج كلاس[1] أن أكون بجانب حسني الزعيم ريثما تتألف حكومة دستورية ديمقراطية، وأن ذلك سينتهي خلال أيام، وهم يخشون أن يقع حسني الزعيم بأخطاء لا يمكن تلافيها أو يتورط بأمور تسيء إلى المصلحة العامة.

□

في اليوم الأول للانقلاب عقد حسني الزعيم مؤتمرا صحفيا في رئاسة الأركان تحدث فيه عن الاسباب التي دعت إلى القيام بهذا الانقلاب فقال :

"ان السبب في الحركة التي قمنا بها هو الهجوم المتكرر على الجيش في المجلس النيابي وخارجه للتشهير به وإظهاره بمظهر غير لائق ولما تعرض له الجيش من معاملة سيئة بعد أن نبهنا المسؤولين الى هذه الحالة أكثر من مرة ولكن دون جدوى.. وقد لمسنا استياء الشعب من الوضع السابق وعدم رضاه. عن الفوضى التي غرقت فيها البلاد وشعرنا بأن سمعة الجيش أصبحت مضغة بالأفواه على أثر اعتقال بعض الضباط بتهمة السرقة والاختلاس وعدم اطلاق سراحهم رغم ثبوت براءتهم".

وكرر القول بانه يسعى لايجاد حكومة دستورية وأن الجيش سيتخلى عن السلطات الى الحكومة الشرعية المنتظرة، وأبرز بإصرار "أن الحركة داخلية بحتة ولا علاقة لها بأية دولة خارجية سواء كانت أجنبية أم عربية". وكان الزعيم في تلك الفترة يريد اقناع الناس بأنه لا علاقة لانقلابه بالملك عبدالله.

---

(1) بهيج كلاس، هو شقيق رفيقنا خليل كلاس، من عائلة عرفت بالوطنية والنضال، ولد في حماه عام 1907، تخرج من المدرسة الحربية بحمص عام 1926، وعندما وقع العدوان الفرنسي على سوريا عام 1945 كان برتبة رئيس ويشغل وظيفة قائد بطارية مدفعية بحلب. كان أول الملتحقين بالقوات الوطنية مع مدافعه وضباطه وجنوده وتسلم قيادة القوى الوطنية في الشمال. وبعد الجلاء أصبح قائد فوج المدفعية للمنطقة الشمالية مع رئاسة أركان المنطقة. وفي عام 1947 رفع إلى رتبة مقدم، وإلى رتبة عقيد في مايس 1949.

كما قال: "قد يجوز إجراء استفتاء للأمة، فيدعى أفراد الشعب من سن معينة إلى الرد على سؤال يتعلق بما حصل بنعم أولا".

ولم ينتبه أحد إلى خطورة هذا التصريح في اليوم الأول للانقلاب. ولكن الزعيم نفذ فيما بعد فكرة الاستفتاء الشعبي العام على شرعية انقلابه وانتخابه رئيسا للجمهورية.

□

بعد عصر ذلك اليوم حضرت اجتماعا آخر في منزل فارس الخوري رئيس المجلس النيابي، وكان هناك عدد من النواب، ومنهم : لطفي الحفار، صبري العسلي، عادل أرسلان، أحمد قنبر، ناظم القدسي، هايل سرور، معروف الدواليبي، سامي كبارة، عبدالله الفتال، لطيف غنيمة، عادل العجلاني، عبدالقادر برمدا، عبد الرحمن العظم، أديب نصور، حبيب كحالة، نوري الفتيح، محمد المبارك، زكي الخطيب، فرزت المملوك.

فأبلغنا فارس الخوري لدى عودته من زيارة مستشفى سجن المزة أن القوتلي لا يزال ممتنعا عن تقديم استقالته.

وفي المساء قضيت السهرة مع المقدم بهيج كلاس في بيته. وقد تحدثنا عن الانقلاب وعن عنصر المفاجأة والسرية **فأخبرنا بهيج بان الزعيم، في يوم 29 آذار غادر دمشق الى القنيطرة بحجة القيام بجولة تفقدية على القطعات ليوزع على القادة أدوارهم التي سيقومون بها في مساء ذلك اليوم ذاته. وهذا هو سبب سرية الانقلاب ومفاجأته. إذ أنه لم يتح لأي من الضباط الذين تربطنا بهم علاقة صداقة الفرصة للاتصال بنا وإخبارنا عن الانقلاب قبل وقوعه.**

كان الزعيم يعتمد على الصداقة الشخصية التي تربطه بالضباط الكبار، أما الضباط الشبان فقد أوهمهم بأن الانقلاب متفق عليه مع الزعماء السياسيين، فقد ذكر لي الشهيد عدنان المالكي بعد الانقلاب بيومين أنه سأل الزعيم عندما فاتحهم بالانقلاب يوم 29 آذار عن موقف

القادة الوطنيين فأجاب الزعيم قائلا: نحن متفاهمون معهم، وهذا ما نفاه في تصريح له في اليوم التالي في مؤتمره الصحفي.

انتهت السهرة وعدت الى البيت بعد ذلك اليوم الحافل، فكان آخر ما سمعته من أنباء إذاعة الشرق الأوسط النبأ التالي :

"سئل الدكتور رالف بانش الوسيط الدولي عن أثر حركة الانقلاب السوري فأجاب :

المفروض أن تسير مفاوضات الهدنة بين سورية واليهود وفق البرنامج المقرر لها".

□

كنت أتصور بعد أن وقع هذا الانقلاب أن الطريقة العملية لتحقيق أهدافنا المرحلية هي في قيام تعاون بين حزبنا وحزب البعث العربي وحزب الشعب، وهي ركائز المعارضة لحكم القوتلي المنهار، وكان حزب الشعب آنذاك هو الدعامة القوية، ويجب أن يتم هذا التعاون في نطاق النظام البرلماني الدستوري الديمقراطي، لذلك يجب أن يجتمع المجلس النيابي وينتخب رئيسا للجمهورية حسب نصوص الدستور، وأن تؤلف حكومة قومية، وأن يعود الجيش الى ثكناته، ويتلو ذلك تعديل قانون الانتخاب، ثم إجراء انتخابات جديدة لجمعية تأسيسية تضع دستورا تقدميا للبلاد لحل كثير من المشاكل التي خلفها العهد السابق.

كنت أتصور أيضا أن باستطاعة سورية أن تلعب دورا هاما على الصعيد القومي في حشد الطاقات العربية وتوجيهها في خدمة القضية لأن الدول العربية الأخرى كانت غير قادرة على ذلك، فهي ما تزال أسيرة الاحتلال والمعاهدات التي تجعل من مشاريع الوحدة سبيلا لإدخال سورية في مناطق النفوذ وإعادتها إلى الطوق الاستعماري الذي خرجت منه، وأن دور سورية هو مساعدة البلاد العربية الأخرى لتحريرها من السجن الاستعماري،

وكان ذلك تصورا خياليا منـي يغفـل كـون حسـني الـزعيم[2] رجـلا مصابا بداء العظمة، وأن وسائل الاستعمار في تحريكه واستخدامه هي أقوى من وسائلنا، وأننا في ظل الحكم العسكري نفقـد قوتنـا الوحيـدة المـؤثرة وهـي الشـعب الـذي سيصـبح سـجين القمـع والإرهاب.

□

بهذا التصور، ولأجل تلك الاهداف، وتلبية لرغبة وإلحاح ضباط الأركان حضرت إلى مبنى القيادة في اليوم الثاني للانقلاب، ولهـذا أشاعت بعض الصحف اللبنانية ان الزعيم عينني مستشارا له.

□

---

(2) من هو حسني الزعيم؟؟

بعد الانقلاب الذي قام به حسني الزعيم بتاريخ 1949/3/29 نشرت الصحف بموافقته المعلومات التالية:

"ولد حسني الزعيم في مدينة حلب سنة 1889 وتلقى علومه الابتدائية فيها. التحق بالجيش التركي ورقي إلى رتبة ملازم أول في سنة 1917 وبعدها نقل الى المدينة المنورة. اشترك في الحرب العالمية الأولى ووقع أسيرا في مصر. وبعد اطلاق سراحه تطوع في الجيش العربي تحت قيادة الملك فيصل بن الحسين. وبعد الاحتلال الفرنسي التحق الزعيم بالكلية العسكرية. وبعد تخرجه منها خدم في مختلف قطعات الجيش الفرنسي في سوريا. (ويظهر من ذلك أنه اشترك في قمع الثورة السورية عام 1925) ورقي الى رتبة رئيس (كابتن) عام 1928 وإلى رتبة مقدم عام 1934. والى رتبة عقيد عام 1941.

حارب حسني الزعيم مع قوات حكومة فيشي عندما هاجم الديغوليون سوريا بمساعدة الجيش البريطاني، فاعتقله الحلفاء وحكم عليه بالسجن عشر سنوات. وبعد أن أمضى في السجن سنتين وثلاثة أشهر أطلق سراحه، وقد تقدم مرتين، عام 1945 و 1946، للالتحاق بالجيش السوري فلم يجب الى طلبه.

وفي عام 1948 تقلد منصب المدير العام للشرطة والأمن . واثناء الحرب الفلسطينية عهد إليه بالقيادة العامة للجيش السوري بعد تنحية وزير الدفاع أحمد الشراباتي ورئيس الاركان عبدالله عطفه إثر معركة دكانيا".

لم يكن حسني الزعيم مؤمنا بأفكار معينة سواء كانت وطنية أو قومية أو سياسية أو اجتماعية، وكأحد جنرالات المستعمرات الفرنسية كان مفتونا بمظاهر العظمة والأبهة.. كان يقلد جنرالات الألمان فيستعمل المونوكل، وبعد انقلابه اصبح يحمل عصا الماريشالية، كان ايضا يحب أن يتشبه بأتاتورك فهو إلى جانب ثقافته الفرنسية كان يتكلم التركية بطلاقة لأنها كانت ثقافة شبابه وصباه، وكان ينتشي فرحا عندما يدلي بتصريحات وأحاديث للصحافيين الأتراك، أما ثقافته العربية فكانت ضعيفة جدا.

لم يكن قوميا عربيا كما كان يدعي، كما لم يكن شعوبيا يحمل الكراهية للأمة العربية وكان يشاع أنه من أصل كردي.

كان يتعشق السلطة والأبهة مهما كانت الوسائل، وهذا هو الأمر الذي يبحث عنه الاستعمار الجديد في الديكتاتوريين زعماء الانقلابات العسكرية لاستخدامهم ضد حريات شعوبهم، بعد ما كان الاستعمار القديم يستخدم الفئات الاقطاعية والعشائرية والطائفية.

في يوم الخميس 31 آذار اليوم الثاني للانقلاب ألغي منع التجول فتفجرت ردود الفعل الشعبية العفوية في العاصمة وفي جميع أنحاء البلاد تأييدا لحركة الجيش. ففي دمشق انطلقت المظاهرات الشعبية الضخمة بقيادة الطلاب، وبعد أن سمح لهم حسني الزعيم بالتظاهر - حسب تعبير الصحف - للتعبير عن مشاعرهم.

وقد كان لطلاب حزب البعث العربي دور مميز في قيادة هذه المظاهرات والابتهاج بالانقلاب، ولذلك أسباب كثيرة أهمها :

أولا : لأن حزب البعث تعرض في الفترة الأخيرة من حكم القوتلي لاعتداءات النظام الشرسة.

ثانيا : لأن القوتلي كان قد اعتقل ميشيل عفلق.

ثالثا : لأن في البيانات التي أصدرها حسني الزعيم -كما رأينا- عبارات يستعملها حزب البعث.

وقد تجلى ذلك في اليوم التالي بشكل أوضح. حيث أن الدكتور مدحت البيطار، من قيادة حزب البعث صعد منبر مسجد بني أمية بعد صلاة الجمعة، فأثنى على الحركة التحريرية التي قام بها الجيش السوري، "هذه الحركة التي كان يطالب بها البعثيون منذ أمد بعيد لإزالة الكابوس الجاثم على البلاد وإزالة الطاغوت الذي أدعى الألوهية وأراد من الناس أن يعبدوه دون الله".. ثم تابع فطالب بتأليف محاكم عسكرية لمحاكمة الخونة".

كانت دمشق تموج بمظاهرات الفرح والتأييد وهي تردد "عيد يا طالب وفراح عهد الظلم ولى وراح" وكان المتظاهرون من جميع أبناء الشعب وفئاته يمرون أمام وزارة الدفاع، والنساء تزغرد وأفراد الشعب يعانقون الضباط والجنود في الشوارع ويشتركون معا بالرقص والاهازيج والدبكات، والطلاب والضباط يلقون الخطابات الحماسية بجماهير المتظاهرين. التحام تام بين الجيش والشعب، والاذاعة والصحف تنشر ألوف البرقيات الواردة من جميع أنحاء سوريا، ولا سيما من أسر الشهداء الذين ذهبوا ضحية القمع الوحشي للمظاهرات، ومنها برقية أسرة رفيقنا الشهيد ممدوح

سلامة التي "تستصرخ ضمائر الأحرار والمؤمنين للانتقام ممن كانوا عثرة في سبيل ازدهار الوطن واستعادة مجد العرب".

كانت البرقيات الواردة من جبل العرب من أهم هذه البرقيات وأكثرها دلالة نظرا للفتنة الدامية التي أيقظها حكم القوتلي في الجبل بين الطرشان والشعبيين مما تحدثنا عنه سابقا. **فقد كانت برقية سلطان الأطرش الى حسني الزعيم أول برقية تأييد للانقلاب، وقال فيها: "نحيي فيكم جيشنا الباسل، ونؤيد حركتكم المباركة التي تهدف لخير الوطن وسعادته". أما "الشعبيون" في الجبل فقد قالوا: "نحن أول من ضحى في سبيل العلم السوري والدستور، ونحن سوريون عرب قبل كل شيء، والحكومات السابقة هي التي أساءت إلينا وغمطت حقوقنا فكنا معها على خصام، أما وقد قامت الآن هذه الحركة المباركة فنحن نؤيدها ونعتز بالقائمين بها".**

والواقع ان معظم البرقيات كانت تعتبر هذه الحركة حركة تحريرية لتحقيق أماني الشعب وصيانة الدستور والنظام الديمقراطي الصحيح، كما كانت تعتبر أن هذه الحركة أزالت كابوس الظلم والطغيان، لذلك يضع مرسلوها أنفسهم في إمرة الحركة ورهن تصرفها. مما دعا حسني الزعيم الى توجيه الشكر للشعب شكرا باطنه الخوف من هذه الثورة الشعبية العارمة التي تحمل شعارات الحرية والديمقراطية وتجاهر بمناهضتها الدكتاتورية والطغيان. وإذا شئنا أن نلخص الفعل الشعبي العفوي العام حيال الانقلاب فاننا لا نكون مبالغين اذا قلنا أن سورية عاشت من جديد أعياد الجلاء.

في ذلك اليوم صدرت أوامر عسكرية لم يلتفت الى خطورتها الناس الفرحون المبتهجون. وقد صدرت تلك الأوامر باسم التنظيم الاداري للدولة، بصفة مؤقتة، فأصبحت فيما بعد ذات صفة دائمة. فقد منح الأمر العسكري رقم (1) قائد الجيش مهام الحاكم العسكري للجمهورية السورية وخوله بكافة الصلاحيات الممنوحة لرئيس الدولة. أما الامر العسكري رقم (2) فقد منح قائد الجيش

حق إصدار المراسيم اعتبارا من تاريخ الانقلاب، وبذلك اصبحت في يد حسني الزعيم جميع السلطات التشريعية والتنفيذية.

□

بينما كانت مظاهرات التأييد الشعبية تمر أمام وزارة الدفاع، كان يؤم الوزارة رجال الصحافة وفي مقدمتهم اللبنانيون وعلى رأسهم محيي الدين النصولي وعبدالله المشنوق، حيث عقد الزعيم مؤتمرا صحفيا استهله بالحديث عن حاجة البلاد الى التنظيم في جميع مرافقها وإنقاذها من السياسة الخرقاء التي أوصلتها الى هذه الحالة من الفوضى والضياع.. وقال: ان التأييد الاجماعي الذي لقيته خطوتنا الأولى هذه يجعلنا نمضي لتنفيذ البرنامج الاصلاحي الواسع الذي رسمناه... وأضاف: لقد آن لهذه البلاد أن تتخلص من الحكم الاستبدادي الاقطاعي الذي يقوم به نفر من أشخاص محدودي التفكير احتكروا الوطنية واستحلوا لأنفسهم تنفيذ أغراضهم ومطامعهم غير آبهين بما جروا إليه البلاد، سواء من الوجهة الداخلية أو الخارجية أو العسكرية... ثم قال : إنني سأعمل جاهدا لتأليف حكومة قومية تنفذ برنامجنا الاصلاحي الواسع. وإذا لم ينجح تأليفها لسبب ما **فحينئذ يعلن الحكم العسكري ويصير تأمين الادارة عن طريق الامناء العامين عوضا عن تأليف الوزارة** .. ثم قال : إن المجلس النيابي الموجود لا انسجام فيه ولا تفاهم، وهو غير صالح وغير جدير بالبقاء، لأنه يجب أن يكون للبلاد مجلس منتخب بطريقة معقولة، وأن يؤلف بجانبه مجلس عشائري يهتم بشؤون العشائر. لأننا نريد أن يكون النظام البرلماني نظاما ديمقراطيا صحيحا، وأن يكون الحكم في سوريا حكما مثاليا تقتدي به الدول العربية الأخرى.. وقال: نحن لا نعمل لصالحنا الخاص ولا نريد جمع الثروات وبناء القصور ولكننا نسعى لتأمين مستقبل أبنائنا وأحفادنا وأجيالنا القادمة.

وتعليقا على قول أحد الصحفيين اللبنانيين من أن بعض الأوساط ترى أن وراء هذا الانقلاب دعما أجنبيا قال حسني الزعيم وهو يشير الى رأسه وقلبه:

- إن هذا الرأس وهذا القلب هما المصدران الوحيدان للانقلاب.. وإن أقرب المقربين إلى من المساعدين لم يعلموا به إلا قبل ساعات معدودات من وقوعه.

وقال : إن هناك ضرورة لانتخاب جمعية تأسيسية تتولى وضع دستور جديد للبلاد يأتلف مع مصالحها ويهيئ لها سبيل التقدم والرقي والازدهار.

□

في زحمة مقابلات واجتماعات ذلك اليوم في وزارة الدفاع تقدم مني حبيب أبو شهلا، وهو من الشخصيات السياسية اللبنانية البارزة. ولم أكن أعرفه من قبل، وطلب مني الاجتماع على انفراد حيث قال لي انه وكيل شركة التابلاين، وأنه مفوض من قبل الشركة بأن يبحث معي التعديلات التي اقترحها على الاتفاقية، وأن الشركة مستعدة لرفع هذه العائدات بما يحقق مصلحة سورية.

وقد حاول أبو شهلا اقناعي بأن سورية ستستفيد كثيرا من هذه الاتفاقية، وأن لبنان سيستفيد من ذلك حكما، وأنه رجل وطني يرغب مثلي في رفع العائدات التي يستفيد منها البلدان الشقيقان..

قلت له : ليس لي أية صلاحية قانونية للدخول معك بمثل هذه المفاوضات، فالحكومة السورية هي المسؤولة عن ذلك.

سكت حبيب أبو شهلا برهة ثم قال :

انني مفوض ايضا من الشركة بأن أدفع لك المبلغ الذي تراه مناسبا لإبرام هذه الاتفاقية.

رفضت ذلك طبعا، ولكنني لم أشأ أن أرد عليه بقسوة وهو من أبرز سياسيي القطر اللبناني الشقيق.

□

في مساء هذا اليوم أيضا اجتمع في فندق الأوريان بالاس، أكثر من ثمانين نائبا، وانتهى الاجتماع بتأليف لجنة ثلاثية من فارس الخوري وعادل أرسلان ومصطفى برمدا للاتصال مع حسني الزعيم والبحث معه بتشكيل حكومة قومية.

ومع أن موقف النواب كان مؤيدا للانقلاب، على اختلاف درجة الحماسة والتأييد، فإن حسني الزعيم بدا غاضبا، وأصبح يهدد بحل المجلس، فحاولت اقناعه بخطورة هذا العمل وأن النواب غير مسؤولين عن التأخير في تشكيل الوزارة، إذ كيف يمكن أن تؤلف الوزارة ما لم يكلفها المرجع المسؤول وهو رئيس الجمهورية ؟

□

في اليوم الثالث للانقلاب طلب مني حسني الزعيم أن اجتمع به في وزارة الدفاع، ودون مقدمات قال لي :

إذا أبقينا على هذا المجلس حتى ينتخب رئيسا للجمهورية، فمن هو الذي سينتخبه المجلس؟ قلت له :

إن الأكثرية النيابية ستنتخب رشدي الكيخيا .. قال :

هذا رجل جبان لا يصلح للرئاسة، فأجبته :

إنها أحكام الدستور التي يجب أن تأخذ مجراها.

لقد شعرت من هذه المقابلة بأن الزعيم يطمع برئاسة الجمهورية، ولكن كان لا بد لي من مجابهته بموقفي، وربما كانت إجابتي له قد عجلت بحل المجلس.

بينما نشرت جريدة النهار اللبنانية بتاريخ 1949/4/2 تصريحا لفارس الخوري رئيس المجلس ورد فيه :

لا شك أن الحركة الانقلابية هي غير دستورية، ولكنها وقعت، فلا يصح في الحالة هذه، سواء أكانت حركة حق أو باطل الوقوف في وجهها، أو وضع العراقيل في سبيلها لئلا تصبح البلاد بحالة فوضى. أما الدستور والحياة الدستورية فحياة الأمة فوق

الدستور وأشكاله، ويهمنا بالدرجة الأولى حياة الأمة وبقاء الدولة واستمرارها وحماية الكيان السوري، ولا ريب في أن الرجل الذي يتولى زمام الرئاسة في مثل هذه الظروف يجب أن يكون رجلا مقداما صلبا.

وقد ترافق هذا التصريح مع حل المجلس النيابي بتاريخ 1949/4/3 .

□

منذ اليوم الثاني للانقلاب بدأ يظهر على مسرح الأحداث رجلان أحدهما محسن البرازي والآخر شخص مغمور شبه أمي اسمه نذير فنصة كنت أراه منذ عام 1943 لكثرة ملازمته نواب حلب، فقد كان زلمة لأحمد خليل المدرس، كما كان متزوجا من أخت زوجة حسني الزعيم، أي عديلا له، وقد قفز الى الصف الأول بعد الانقلاب فأصبح مستشارا لحسني الزعيم، ولما أطيح بالزعيم غادر البلاد واستقر نهائيا في ايران ليصدر مجلة اطلاعات باللغة العربية، والذي يبدو انه كان من عملاء كوبلاند صاحب كتاب لعبة الأمم الذي لعب دورا خطيرا في انقلاب حسني الزعيم.

ومن الملاحظ أن الانكليز والاميركان أصبحوا يلجأوون إلى المدنيين من أقرباء العسكريين في تدبير مؤامراتهم الانقلابية ، وأن دور نذير فنصة في انقلاب حسني الزعيم الاميركي يشبه دور أسعد طلس في انقلاب عديله سامي الحناوي.

أما محسن البرازي - مدير مكتب شؤون الرئاسة عند شكري القوتلي قبل أيام- فقد ظهر منذ اليوم الثاني للانقلاب خارجا من زيارة فارس الخوري في وزارة الخارجية.

وإذا كان ثمة ريبة في ساعات الانقلاب الأولى بعلاقة محسن البرازي واتفاقه مع حسني الزعيم، فإن ظهور البرازي بعد ذلك أصبح واضحا يشير الى انه وراء انقلاب حسني الزعيم وبالاتفاق معه.

□

أصبح كل يوم من أيام الاسبوع الأول لانقلاب حسني الزعيم يشير إلى فقدان الأمل بعودة الحياة الدستورية الديمقراطية.

ففي تاريخ 4/3 كلف حسني الزعيم الأمير عادل أرسلان بتشكيل الوزارة الذي بدأ استشاراته وراح يؤكد أنه سيختار أكثريتها من حزب الشعب، وأشارت الصحافة اللبنانية والمصرية ووكالات الانباء الى هذه الاتصالات، ولكن الزعيم في اليوم ذاته أرسل مرافقة الضابط رياض الكيلاني الى رئيس المجلس النيابي فارس الخوري ليبلغه مرسوم حل المجلس النيابي، مع كتاب من الزعيم هذا نصه :

"الى دولة رئيس المجلس النيابي الموقر.

لما كان الجيش السوري الذي ساندته الأمة على اختلاف طبقاتها في الانقلاب الوطني القومي الذي قام به والذي كان يستهدف إنشاء عهد ديمقراطي صحيح يعيد فيه الى الشعب حقوقه المسلوبة وحرياته المغتصبة، وكان المجلس النيابي الحاضر لا يمثل في أكثريته الساحقة رغبة الناخبين وإراداتهم، وإنما جرى انتخابه تحت ضغط الفئة الحاكمة وبشتى ضروب التزوير والعنف والإكراه، وكان قد ثبت بعشرات الأدلة الدامغة تزوير انتخاب النواب والطعن في نيابتهم، وكان الأساس الأول في إقامة حكم ديمقراطي هو القيام بانتخابات صحيحة حرة يعبر فيها الشعب عن ارادته في جو حر تام لا زيف فيه ولا ضغط ولا إكراه، ولما كان المجلس النيابي الحاضر الذي زورت انتخابات أكثر أعضائه والبعض الآخر أقرب الى التعيين منه الى الانتخاب قد ماشى طغيان الفئة الحاكمة ووافق في أكثر من موقف على مخالفات شائنة لدستور البلاد وقوانينها، وكان في أكثريته أداة طيعة في ايدي هذه الفئة تسيرها كيفما تشاء إلى أن أوكل الشعب السوري أمره إلى جيشه الباسل فأنقذه من الأوضاع الشاذة غير الشرعية.. فقد قرر المجلس الحربي الأعلى للقيادة العامة للجيش السوري إصدار المرسوم المرفق ودمتم".

وهذا نص المرسوم رقم (2) :

"ان الزعيم القائد العام للجيش والقوى المسلحة استنادا على قرار المجلس الحربي الأعلى للجمهورية السورية واستنادا على الأمر العسكري رقم (2) وتاريخ 3/31/ 1949 يرسم ما يلي :

مادة 1 - يحل المجلس النيابي السوري وتؤلف لجنة دستورية لوضع مشروع دستور للبلاد وقانون للانتخابات النيابية العامة بالسرعة الممكنة.
مادة 2 - تعين اللجنة الدستورية المذكورة في المادة السابقة بمرسوم يصدر عن قيادة الجيش والقوى المسلحة.
مادة 3 - يعين موعد الانتخابات النيابية فور انتهاء اللجنة الدستورية من مهمتها المبينة في المادة الأولى من هذا المرسوم.
مادة 4 - ينشر هذا المرسوم ويبلغ لمن يلزم.

دمشق في 1/4/ 1949
القائد العام للجيش والقوى المسلحة

الزعيم حسني الزعيم".

لم يصدق الأمير عادل أرسلان، المشغول بتأليف الوزارة هذا النبأ، بل ظن حل المجلس انما هو كذبة نيسان، وقد دون الامير عادل في مذكراته اليومية - التي اطلعت عليها في مكتبة الجامعة الاميركية[3] ، وكانت لا تزال مخطوطة لم تنشر - انه كان في تلك اللحظة قد قطع شوطا بعيدا بانتقاء الوزراء وذكر الاسماء التالية: أكرم الحوراني عبد الوهاب حومد، شاكر العاص.

ولا شك عندي أن محسن البرازي هو الذي وضع صيغة الكتاب بحل مجلس النواب فأعده بمكر وذكاء لأن كل ما ورد فيه من مبررات لحل المجلس، بل حتى معظم العبارات التي وردت فيه إنما هي مجتزأة من أقوال وعبارات المعارضة النيابية.

ويأتي مرسوم حل المجلس وتأليف لجنة دستورية ليستمر حسني الزعيم وجماعته في خداع الشعب وليبقوا على بعض الأمل في الحياة الديمقراطية الصحيحة.

(3) هذه المذكرات التي اطلعت عليها مخطوطة أوائل السبعينات نشرت في بيروت عام 1983 وقد حققها الدكتور يوسف ايبش (بيروت لبنان - الدار التقدمية للنشر).

هكذا كانت تحاك المؤامرة الخارجية في الظلام، بينما كان الشعب البريء بعفويته يملأ جو سوريا هتافا وتأييدا وأملا ورجاء. فقد انطلقت المظاهرات تشمل جميع أنحاء سوريا في اليوم الثالث بشكل أشد وأشمل مما كانت عليه في اليوم الثاني، وكانت صلاة الجمعة مناسبة لاحتشاد الناس في المساجد لالقاء خطابات الجمعة التأييدية الحماسية، كما كانت مناسبة لصعود الشباب الى منابر المساجد يدعون ويؤيدون الحركة الانقلابية "ففي مسجد بني أمية حيا خطيب الجمعة الشيخ بشير الخطيب الانقلاب الذي أزال عهد الفوضى والرشوات والمحسوبيات وأتى بعهد جديد يستند غلى قوة الحق.. ثم استطرد وقال: إن الله قيض للبلاد منقذا بشخص الزعيم الذي أنقذ الجيش من الانهيار، والبلاد من ثورات داخلية.. وذكر بشكل مطول اسراف الحكم السابق وتلاعبه بأموال الأمة.. وقام على أثره خطيبان أحدهما من الأخوان المسلمين والآخر من حزب البعث العربي.. وعلى الأثر خرج المصلون بمظاهرة ضخمة اخترقت سوق الحميدية الى السنجقدار وساحة المرجة وشارع فؤاد الأول وجادة الصالحية حتى البرلمان". (صحف تلك الفترة)

□

موفدان من بغداد وعمان يقابلان الزعيم .

في هذا اليوم (الجمعة ا نيسان 1949) وصل إلى دمشق بطائرة عسكرية خاصة جلال بابان وزير الداخلية العراقية موفدا من حكومة نوري السعيد لمقابلة حسني الزعيم والاطلاع منه على حقيقة الحركة الانقلابية وأهدافها. وقد صرح للصحفيين، بعد المقابلة بأنه مرتاح لسلامة الوضع ومطمئن لما سمعه من الزعيم وأنه سينقل ما سمعه الى نوري السعيد.

وفي المساء اتصل بي هاتفيا أكرم الركابي[4] الأمين العام لوزارة الزراعة ودعاني الى منزله قائلا :

(4) أكرم الركابي : ابن رضا باشا الركابي.

- عندي ضيف يحب أن يراك.

وفي منزله عرفني بجلال بابان وكان يرافقه ضابط شاب اثناء الحديث.

سألني جلال عن أسباب الانقلاب فشرحت له أوضاع البلاد قبل الانقلاب، ثم سألني عن موقف حسني الزعيم ونواياه تجاه العراق فقلت له - حسب ما كنت أسمع آنذاك- ان حسني الزعيم يصرح بأنه يريد أن يقيم علاقات ود وصداقة مع جميع الدول العربية.

كان انطباعي عن هذه المقابلة أن حكومة نوري السعيد كانت تخشى أن يكون هذا الانقلاب ضد العراق، وبالفعل فقد ظهر عاجلا أن خشية نوري السعيد كانت في محلها، وان الانقلاب اتجه محوريا الى مصر والسعودية ضد البيت الهاشمي واتجه بعلاقاته الخارجية الى الولايات المتحدة وفرنسا.

وفي اليوم نفسه وصل الى دمشق الضابط عبدالله التل، حاكم القدس، وقائد الجيش الاردني في منطقة القدس موفدا من المالك عبدالله الى حسني الزعيم ويبدو أن عبدالله التل كان يخطط في تلك الفترة لانقلاب ضد الملك عبدالله.

لم يجر أي لقاء بيني وبين عبدالله التل أثناء زيارته الخاطفة لدمشق يوم 1 نيسان 1949 ولكنني أرى من المفيد أن أنقل هنا ما ورد في مذكراته عن هذه الزيارة قال :[5]

"كان في تقديرنا أنه لا بد لنجاح أية حركة تحررية في الأردن من مساعدة دولة عربية أو دولتين ، فبدأت الاتصال بسورية لأنها متاخمة للاردن، وفي مقدورها أن تمد لنا يد المساعدة، ثم مع مصر لأنها زعيمة الدول العربية، وبدون مساعدتها لا يحالف النجاح أية حركة تحررية، وحينما وقع الانقلاب السوري أراد الملك عبد الله أن يوفد رسولا الى الزعيم حسني الزعيم ليجذبه إلى صفه ويبعده عن مصر، واستطعت عن طريق بعض أصدقائي في القصر أن أكون ذلك الرسول، وفي مساء 1949/4/1 أي بعد 48 ساعة

(5) مذكرات عبدالله التل - الطبعة الأولى - دار القلم- القاهرة ، ص 588 - 589.

من وقوع الانقلاب سافرت إلى دمشق حاملا رسالة الملك عبدالله الى حسني الزعيم، وهذا نصها :

"عزيزي الزعيم حسني الزعيم

لا شك أنا سيساورنا القلق من ناحيتكم مع الأمل الشديد في أن الله سيوفقكم ويثبتكم فيما قمتم فيه من حركة لا بد أنكم حسبتم لها حسابها ووضعتم تدابيرها. طريقنا إلى الساحل يمر بكم. نعتقد أننا من هذه الناحية سوف لا نرى أي تغيير أو توقف. رسولنا ينبئكم بأحسن نوايانا. وإن احتجتم العون فعلينا القيام به. كونوا على ثقة من أننا سنرعى واجبنا نحو هذه البلاد بما عرف عنا من حمية وحياطة. لا ينبغي الركون الى مخادعة هؤلاء[6] . وبعد أن وقع ما وقع فالسرعة قبل أن يتنبهوا فيلموا أطرافهم. وليكن العمل الحازم في يديكم للسلام من شرورهم. فإنا نخاف مكرهم وأن يبتدروكم بحركة أو بأذى على شخصكم. ولقد أصبتم كل الاصابة في جعل نهاية الامر موكولا برأي الأمة على ما تقرره هي.

وتقبل احترامي عزيزي

ويقول عبدالله التل :

"قابلت حسني الزعيم ساعة وصولي الى دمشق، وسلمته الرسالة الملكية وبعد انتهاء مهمتي الرسمية أخذنا نتبادل الآراء عن حقيقة الحالة في الأردن. فأطلعته على الحقائق والأسرار المتعلقة باتصال السلطات الأردنية باليهود. وطلبت اليه أن يساعدنا على تغيير الحالة في الاردن كما غيرها في دمشق. وقد أظهر الزعيم سروره واعجابه، ووافق مبدئيا على الفكرة. ووعد بالمساعدة التي أوجزها بنفسه بما يلي:

1- أن يتسلم منا الملك عبدالله وينفيه الى صحراء دير الزور بدون الاعتداء عليه.

2- أن يقدم لنا بعد وقوع الانقلاب مساعدة مالية للصرف على الجيش إذا أقدم الانكليز على قطع المعونة.

(6) قد يكون أحد أجزاء الرسالة محذوفا ولكن لا شك أن الملك عبدالله يقصد شكري القوتلي وجماعته للعداء المستحكم بسبب مشروع سورية الكبرى .

3- أن يحشد قسما من قواته على الحدود الأردنية لتكون تحت طلبنا إذا وقع علينا عدوان بريطاني أو يهودي.

وبعد اتفاقنا المبدئي طلب الزعيم أن ننتظر ونمهله قليلا ريثما تستقر أوضاعه".

□

في ذلك اليوم أطلع حسني الزعيم بعض ضباط الجيش على رسالة الملك عبدالله اليه، وتوقف عند عبارة "طريقنا الى الساحل يمر بكم" وتساءل :

ماذا يقصد الملك عبدالله بهذا الكلام؟ هل يظنني لا أفهم ؟

انه يريد أن ينفذ مشروع سورية الكبرى، والله لا فعلن به ما فعلته بشكري القوتلي وكان عرض كتاب الملك عبدالله على ضباط الجيش تطمينا لهم بأنه لا علاقة له إطلاقا بالملك عبدالله.

كان التناقض الاستعماري بين بريطانيا والولايات المتحدة قد بلغ أشده في المنطقة، والذي يلفت النظر أن وكالات الانباء نشرت قبيل قدوم عبدالله التل الى سورية النبأ التالي تحت عنوان: ما هو هدفه ؟

"عمان 1949/3/30 وصل عمان الليلة مدير دائرة المساعدات الأميركية لتركيا واليونان قادما من القدس، بعد أن زار القسم الصهيوني من المدينة واجتمع ببعض المسؤولين اليهود، كما زار المدينة القديمة واجتمع بمتصرفها الكولونيل عبدالله التل".

وفي 1949/6/15 نشرت الصحف النبأ التالي :

"أشيع ان الكولونيل عبدالله التل اعتقل في قريته اربد، ونقل منها الى عمان مخفورا، وكان قد عين ملحقا عسكريا في لندن فاعتذر عن قبول هذه المهمة.".

الحرب مستمرة بين أجهزة المخابرات الغربية .

ذكرنا في فصل سابق حادثة الهجوم المسلح على المفوضية الأميركية بدمشق، وكيف ان كوبلاند - الذي ظهر فيما

بعد أنه الموجه لانقلاب الزعيم (كما ذكر هو في كتابه لعبة الأمم) كان من أبرز المدافعين في تلك المعركة.

وبعد الانقلاب بثلاثة أيام نشرت الصحف النبأ التالي :

"تدهورت سيارة جيب في طريق المزه فسقطت في حفرة فوق سائقها الذي خلصته سيارة عسكرية ونقلته فورا الى المستشفى العسكري حيث لفظ أنفاسه هناك. وقد تبين أن سيارة الجيب هذه كان يسوقها المستر وليم ليونور باركر السكرتير الأول في المفوضية الأميركية".

وبعد إبرام اتفاقيتي التابلاين والنقد ظهرت بوضوح هوية الانقلاب الفرنسية الأميركية كما ظهرت بوضوح أغراض الانقلاب ومراميه فقد نشرت جريدة "وطن" التركية تصريحا لحسني الزعيم بعد أيام قليلة من انقلابه جاء فيه ما يلي :

"إنني أرى الصداقة مع تركيا فوق كل شيء. وقد اتفقت مع وزير تركيا المفوض قبل التدابير الأخيرة على إرسال ضباط سوريين لمتابعة دروسهم في الأكاديمية العسكرية التركية، فعارض رئيس الجمهورية ووزير الدفاع.. خالد العظم أما الآن فلم يبق من حاجز أمامي، وسأدعو بعثة عسكرية تركية للاشراف على تنظيم الجيش وتدريبه. إن تركيا **تستعد لحرب كبيرة، وهي في الصف الأول، فعلى سوريا والعراق الموجودين وراءها ان يكونا قويين، وإنني سأرسل جميع الشيوعيين الى معسكرات الاعتقال".**

□

الأمناء العامون بدلا من الوزراء .

أصدر حسني الزعيم، في اليوم الثاني للانقلاب، مرسوما يقضي بأن "يؤلف الأمناء العامون مجلسا مؤقتا للقيام مجتمعين ومنفردين بأعمال ووظائف الوزراء ومجلس الوزراء وفقا للقوانين المرعية الاجراء" وفي اليوم الثالث عقد في مكتب رئيس الوزراء

بدار الحكومة أول اجتماع لمجلس الأمناء العامين برئاسة حسني الزعيم، وبحضور كل من :

الزعيم عبدالله عطفه - الأمين العام لوزارة الدفاع الوطني.

الدكتور ابراهيم الاسطواني - الأمين العام لوزارة الخارجية.

الدكتور فؤاد شباط - الأمين العام لوزارة الداخلية.

جمال الفرا - الأمين العام لوزارة المعارف

رفيق الاحدب - الأمين العام لوزارة الزراعة

الدكتور أسعد الحكيم - الأمين العام لوزارة الصحة والشؤون الاجتماعية

أسعد الكوراني - الأمين العام لوزارة العدل

جميل الدهان - مدير الأوقاف العام

وقرر المجلس تعيين المحافظين التالية أسماؤهم :

حسني البرازي - محافظا لحلب

خالد الخاني - محافظا للاذقية

عارف العنبري - محافظا لحمص

عارف النكدي - محافظا لجبل العرب

خليل رفعت بك - محافظا لمدينة دمشق الممتازة

كما قرر المجلس أن يبقى كل من :

خالد الداغستاني - محافظا للجزيرة

جواد المرابط - محافظا للواء دمشق

غالب ميرزو - محافظا لحوران

صالح صادق - محافظا للفرات

وقرر المجلس تعيين حسن جبارة مستشارا عاما لوزارتي المال والاقتصاد ومشرفا على الشؤون المالية والاقتصادية للدولة.

ولم يلبث حسني الزعيم أن أصدر بعد يومين أمرا عسكريا بتعيين حسني البرازي محافظا لحلب نائبا للحاكم العسكري في المنطقة الشمالية، كما أصدر مرسوما بتعيين نذير فنصة سكرتيرا خاصا له، وأمينا لسره، وبعد فترة أصدر مرسوما آخر بتعيين الدكتور أسعد طلس مستشارا حقوقيا لوزارة الدفاع الوطني بالاضافة إلى وظيفته الأصلية في وزارة الخارجية، وسوف نرى كيف سيلعب أسعد طلس دورا أساسيا في انقلاب سامي الحناوي على حسني الزعيم فيما بعد.

المستغلون والاقطاعيون يعودون الى الحكم .

لم يمض الأسبوع الأول على الانقلاب إلا وكانت جميع أبعاده الداخلية قد توضحت بصورة نهائية، وذلك بقيام الحكم العسكري والقضاء على أي أمل بحكم دستوري ديمقراطي، بل والقضاء على كل معالم الحياة الديمقراطية وإقامة أقسى أنواع الدكتاتوريات العكسرية. وأصبحت البلاد تدار بشكل يشبه - حتى بالأشخاص- ما كانت تدار به في عهد مجلس المديرين أيام الانتداب الفرنسي، فأصبح حسني الزعيم يتمتع بصلاحيات المفوض السامي ويدير البلاد بواسطة مجلس الامناء العامين.

كما كان بين المحافظين من تعاون مع الانتداب الفرنسي ولا سيما حسني البرازي الذي عين محافظا لحلب ونائبا للحاكم العسكري في المنطقة الشمالية وهو معروف بعدائه للحركة الوطنية، وتعاونه الوثيق مع الانتداب الفرنسي، حيث تقلد المناصب الوزارية مرارا، وتولى مناهضة أماني البلاد في أحلك الظروف التي مرت بها خلال نضالها ضد الاستعمار الفرنسي، كان عدوا للشعب شديد الوطأة والجرأة، وكان يعتبر في سورية عدو الاستقلال رقم واحد، وخلال حرب فلسطين 1948 كانت إذاعة اسرائيل تنشر تصريحاته المتتالية التي يدعو فيها للتفاهم مع الاسرائيليين ويستنكر "الفاشية" العربية التي تضطهد اليهود،

وكان يرى ضرورة قيام مجتمع أوروبي اسرائيلي عصري في قلب المنطقة لتعمل على تمدينها وتحضيرها، وقد استمر على هذا النهج فيما كان يكتبه من مقالات في جريدته "الناس" بل في خطاباته في مجلس النواب.

وهكذا التفت حول حسني الزعيم، بعد افتضاح الانقلاب كل الطبقة الاقطاعية والرأسمالية المستغلة التي كانت ركيزة العهد السابق. قد أظهرت الوثائق بعد مقتل حسني الزعيم أنه حول للصناعي الرأسمالي الحاج وهبي الحريري بورقة عادية من الخزينة السورية مبلغ نصف مليون ليرة، وقد استرجعت الحكومة هذا المبلغ من الحريري بعد مقتل الزعيم، ورغم كل ذلك فقد استمر حسني الزعيم يوجه الرسالة تلو الرسالة الى الشعب واعدا إياه بأنه سيقيم نظاما تقدميا جديدا، ويحقق العدالة الاجتماعية، ويوزع الأراضي، ويضع حدا للثروات الضخمة.

□

بعد اليوم الثالث من ترددي على وزارة الدفاع، يوم أشرت على الزعيم باتباع الطريق الدستوري ورشحت الكيخيا للرئاسة، لم أعد أقابل الزعيم إلا في مناسبات نادرة سيرد ذكرها فيما بعد، وكنت في تلك الفترة على اتصال وثيق مع صديقنا فريد الكيلاني فاتفقت معه أن يكتب مقالا فيه التحذير المكشوف لحسني الزعيم فكتب في جريدة النصر بتاريخ 1949/4/7 أي بعد عشرة أيام من الانقلاب المقال التالي :

"لم أر في حياتي، ولم ير التاريخ في حياته، حاكما صرعته خواطيء الأقدار والحظوظ وسيئات أعماله أكثر مما صرعته سيئات أعمال حاشية السوء. كانت الحاشية وحلقات السوء دائما تحاول أن تطوق الضحية وتوجه الدفة فتأخذ عليها مسالك الفكر الصحيح والتدبير السليم.. هذا يقول : ابطش وذاك يقول: اسفك: وذاك يوسوس : بلاش حرية ودستور وبرلمان، ورابع: أنت القمر، وخامس ما شئت لا ما شاءت الاقدار فاحكم فأنت الواحد القهار.

ثم يتلقف كل منهم الدريهمات ثمن النصيحة، أو بالأصح ثمن المتفجرة يضعها في طريق الحاكم المسكين، فيسير هذا ثملان في المنحدر ويغور في المنزلق وينحدر نحو الهوة، وكلما زاد الانحدار صورت له الحاشية هذا الانحدار صعودا في افلاك السماء وقبضت منه ثمن الاكاذيب.. فاذا وقع الرجل في حفرته مصابا بالغرور والعربدة والسكر الشديد أسلمته الحاشية الى مصرعه فكان وحيدا في مثواه الأخير، وانتقل النصحاء نحو باب الحاكم الجديد يتدافعون بالمناكب ليقوموا بالدور نفسه شاتمين السلف نافخين في خياشيم الخلف آيات العبودية والتغرير والتهوير.

يا حضرة الزعيم: ليس لمثلي أن يقدم المواعظ لرجل لم يمض على نسفه هيكل الجبروت غير اسبوع واحد.. لقد خاطرت بحياتك لانقاذ شعبك من كابوس مروع، ومفروض أنك أعرف الناس بمن يمثلون أماني هذا الشعب الذي ينام على الحلم الوردي لا يبغي بديلا عن : الحرية، الحرية، والعدالة العدالة، والخبز يناله المواطن بالجهد الشريف، ولم تجد شعوب الأرض حتى اليوم سبيلا للحصول على ذلك كله أضمن من الحياة الديمقراطية الصحيحة".

50

تطور انقلاب حسني الزعيم على الصعيدين الدولي والعربي .

لقد قام الانقلاب العسكري لحسني الزعيم بتشجيع خارجي، لذلك فإن ثمة مرحلتين هامتين على الصعيدين العربي والدولي لا بد للانقلاب من اجتيازهما حتى يستكمل أسباب نجاحه، أولاهما الاعتراف الدولي والعربي بالنظام الجديد بعد أن قدم رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء استقالتيهما، والثانية الالتزام بأحد المحورين العربيين اللذين كانا يتجاذبان سورية بتأثير تناقض المصالح الاستعمارية في كل منهما، وإذا كان يهم حسني الزعيم أن تدعمه الدولة الكبرى التي شجعته على الانقلاب فمن المهم أيضا أن يدعمه ويعترف به المحور العربي الدائر في فلك تلك الدولة الكبرى، فلا يكفي أن تكون الولايات المتحدة وراء الانقلاب حتى ينتهي الموضوع، بل لا بد من وضع سوري ملائم حتى تقبل مصر والسعودية بالنظام السوري الجديد.

كانت فرنسة أسرع الدول ذات النفوذ التي اعترفت بالانقلاب بالرغم من الموقف السلبي الذي وقفه لبنان من الانقلاب بسبب الصلات الجيدة بين القوتلي وبشارة الخوري ورياض الصلح، ومع ذلك فسيكون لفرنسة دور في الأيام الآتية للتقريب بين الحكومة اللبنانية والنظام الجديد في سورية، وهكذا فإن اعتراف فرنسة قد تم بعد اسبوع واحد (1949/4/6) من الانقلاب، وبعد أن أظهر حسني الزعيم استعداده منذ اليوم الثالث لتوقيع الاتفاقية المالية مع فرنسية بمرسوم اشتراعي.

وفي يوم 6 نيسان أيضا استقبل حسني الزعيم وفدا من مندوبي الصحف الأميركية، جريا على العادة التي خبرناها فيما بعد من تجربتنا لسياسة الانقلابات التي يعدها الاستعمار الجديد، وذلك بأن يمهد لهذا الانقلاب على النطاق الدولي وفي أوساط الرأي العام الأميركي بحملة اعلامية يقوم بها حشد من الصحفيين الموفدين ومراسلي وكالات الأنباء.

استقبل الزعيم في مكتبه مندوبي الصحف الأميركية وأجاب على أسئلتهم بما يلي :

"س : ما هي الاصلاحات التي تنوون القيام بها؟

ج : إن الاصلاحات التي ننوي القيام بها عديدة ووجيهة، فانقلابنا يستهدف تبديلا جوهريا في جميع مرافق الحياة. ولقد بدأنا فعلا بعض هذه الاصلاحات، فعزمنا على تطهير الجهاز الحكومي من الفوضى واختصاره بحيث يسرح الموظفون الذين لا عمل لهم، وعزمنا على تأليف لجنة من كبار الحقوقيين لتضع قانونا جديدا للانتخاب ليكون المجلس المقبل ممثلا لروح الأمة.

س : هل تشمل الاصلاحات توزيع الأراضي؟

ج : إن سوريا ملأى بالأراضي الأميرية المتروكة، وسنعمل على توزيعها بموجب نظام خاص لتشغيل اليد العاملة، وسأحدد الحد الأعلى للملكية الضخمة.

س : ما هو موقفكم من مشروع مارشال وتطبيقه في سوريا؟

ج : انني عامل على اقامة نظام ديمقراطي دستوري بأسرع ما يمكن، وأن مثل هذه القضايا منوط أمر درسها بالحكومة والمجلس المقبلين.

س : هل تقبلون المساعدة الاقتصادية الفنية الانكلو أميركية؟

ج : اننا لا نرفض مساعدة أحد شرط ان لا تمس سيادتنا واستقلالنا.

س : هل توافقون على امتداد ميثاق حلف الأطلسي إلى الدول العربية ؟

ج : إن سوريا عضو في جامعة الدول العربية، وهي حريصة كل الحرص على ميثاقها، وهذا أمر يترك درسه للجنة السياسية للجامعة.

س : ما هو موقفكم من أي نوع من الاتحاد بين الدول العربية كمشروع الهلال الخصيب؟

ج : إنني أرحب بكل ما يقرب بين الأقطار العربية الشقيقة ويقوي اتحادها ويشد الأواصر بينها، وإني أرغب بإنشاء محالفات عسكرية بين الدول العربية، وأن نعمل على توثيق الروابط الاقتصادية والثقافية ورفع الحواجز الجمركية، وإذا كنت أرحب بكل اتحاد عربي فلا يعني هذا انني أعمل لمشروع من المشاريع التي تتداولها الصحف أو تلوكها الألسن".

□

من ذلك يرى أن حسني الزعيم كان حذرا في إجاباته للصحافيين الاميركيين، وغير مثير للرأي العام السوري، والانقلاب في أيامه الأولى بالرغم من أنه طمأن تركيا بتصريحه لجريدة وطن عن استعداده للدخول في الأحلاف.

إن التمهيد الاعلامي والسياسي للانقلاب السوري، على النطاق العربي والدولي، كان يقتضي بعض الوقت، ولذلك تأخر ورود هذه الاعترافات بعض الشيء، ولكن حسني الزعيم، وهو العسكري النزق، قد خاف من تأخر هذه الاعترافات، فقال كاشفا الغطاء عن حقيقة الانقلاب:

"إننا سنضطر للاتفاق مع دولة كبرى" وقد علقت الصحف اللبنانية والمصرية على ذلك بقولها :

"يؤكد المطلعون أن الزعيم يعني الولايات المتحدة التي سبق لها أن عبرت بصورة شبه رسمية عن استعدادها للمساهمة في نظام دفاعي للشرق الأوسط يشمل سورية، فإذا كان الأمر كذلك يكون موقف المملكة العربية السعودية منسجما مع الولايات المتحدة بقدر ما يكون ابتعاد حسني الزعيم عن بغداد، وعن بريطانيا التي تكمن وراء بغداد".

وعلى الرغم من أن للضغط الأميركي تأثيرا حاسما على مصر والسعودية، فإن لهذين البلدين اهتمامات لا بد من تحقيقها

حتى تتم المحورية والانسجام بينهما وبين الانقلاب في سورية، فقد نشرت جريدة الاهرام تعليقا على زيارة الضابط رياض الكيلاني المرافق الخاص لحسني الزعيم للمملكة العربية السعودية أن الملك عبد العزيز قال بصريح العبارة :

انني لا أقر هذه الطريقة ولا أويد القائمين بها، وأن استقلال سورية كلف كثيرا من التضحيات، وشكري القوتلي مثل دورا كبيرا في استخلاص هذا الاستقلال، وقالت الصحيفة ان الملك طلب الافراج عن القوتلي وأعرب عن استعداد السعودية لايوائه إذا كانت سورية لا تتسع للرجال الأوفياء.

كما نشرت الصحف تعليقا على زيارة نذير فنصه، عديل الزعيم وسكرتيره الخاص لمصر أن الملك فاروق ورئيس الوزراء المصري يهيبان بحكومة الانقلاب أن تحافظ على استقلال سورية "وتبقي على النظام الجمهوري فيها"، فإذا تحقق هذان الشرطان تبادر حكومتا القاهرة والرياض الى اظهار نياتهما نحو الوضع السوري الجديد، وقالت الصحف أن رئيس الوزراء المصري قال للموفد السوري :

" أما من يحكم سورية فالشعب السوري أعرف من سواه بمن يجب أن يحكمه".

لقد وقف حسني الزعيم موقف المعادي حيال مشاريع الهاشميين الاتحادية وكان كدكتاتور أبعد ما يكون عن القبول بمثل هذه المشاريع التي تؤدي إلى القضاء على سلطانه، وهو لولا طمعه بهذا السلطان لما قام بالانقلاب أصلا، كما أنه بالأساس مدفوع من قبل الولايات المتحدة وفرنسة اللتين لا تؤيدان المشاريع الاتحادية مع العراق.

والسؤال المطروح الآن :

لماذا تلكأ حسني الزعيم في تلبية طلب الرياض والقاهرة بإطلاق سراح شكري القوتلي لا سيما أنهما أطلقتا يده أن يفعل ما يشاء في المجال الداخلي؟

الجواب على هذا السؤال ان الجيش كان يمارس في الخفاء ضغطا شديدا على حسني الزعيم لعدم إطلاق سراح شكري القوتلي، فقد كان يصعب على هؤلاء العسكريين أن يستسيغوا إطلاق سراحه لأن ذلك سيجعل كل ضابط في الجيش يتساءل :

لماذا قام حسني الزعيم بانقلابه إذن ؟

وإنني لا أزال أذكر أن الشهيد عدنان المالكي وبضعة ضباط طلبوا مني، بعد الأيام الأولى للانقلاب، أن أجتمع بهم سرا. فاجتمعت بهم في بيت مجاور لبيتي، هو بيت السيدة التي كانت تقوم على خدمتي، وكنت أعقد فيه مثل هذه الاجتماعات، فأخبرني عدنان ورفاقه وهم ممتعضون بأن حسني الزعيم ينوي اطلاق سراح القوتلي:

وكان هذا آخر اجتماع لي مع عدنان المالكي طيلة فترة حكم حسني الزعيم الذي أوفده في شهر حزيران 1949 الى فرنسا للتدريب في كلية الأركان في بعثة مدتها سنة.

□

كانت آخر مراحل المناورات السياسية زيارة نوري السعيد لدمشق يوم 16 نيسان 1949، يرافقه شاكر الوادي وزير الدفاع والجنرال صالح صائب رئيس أركان الجيش العراقي وأربعة ضباط كبار، وقد اجتمع الوفد العراقي مع حسني الزعيم زهاء ساعة، وحضر الاجتماع الأمير عادل أرسلان، وفيضي الاتاسي الذي كان مكلفا بتشكيل الوزارة، وقالت الصحف أن المباحثات تناولت القضايا المتعلقة بإنشاء حلف عسكري مع العراق.

□

نتوقف قليلا عند هذه النقطة لنتحدث عن قضية داخلية لها ارتباط مباشربها.

ففي يوم 12 نيسان أصدر حزب الشعب بيانا يعلن فيه اغلاق مكاتبه وترك الحرية لأعضائه في العمل السياسي كلا حسب اجتهاده الشخصي، بعد موجة الضغط التي مارسها حسني الزعيم على الحزب.

وفي 15 نيسان قبل فيضي الاتاسي - وهو من أعضاء حزب الشعب البارزين - تكليفه بتأليف الوزارة. فزارني في بيتي ينصحني بعدم مقاطعة حسني الزعيم، لأن هذه المقاطعة تتيح المجال لاستغلاله بما يسيء لمصلحة البلاد، وأخبرني بأنه إنما قبل بتشكيل الوزارة كعملية انقاذا للبلاد من الحكم الديكتاتوري واعادة للحياة الديمقراطية، وكان قد أصدر بيانا بهذا المعنى، ولكنني اعتذرت عن تلبية طلبه، وقد ترافق هذا التكليف مع تصريح للرئيس السابق هاشم الأتاسي يقول فيه "انني أؤيد تأييدا مطلقا، وبلا قيد أو شرط الانقلاب العسكري، وأنصح كل سوري أن يؤيده ويتعاون مع أبطاله" ثم أضاف "أن هذا الانقلاب كان أمرا لا مفر منه، بل كان محتوما، ولو لم يقع اليوم لوقع غدا، لأن القائمين على الحكم في سورية قد اشتطوا واندفعوا مما كان سيؤدي حتما الى شطر الأمة الى شطرين، وإني أشكر الله تعالى على نعمه وآلائه بأن تم على يد جيشنا الباسل بدون إراقة نقطة دم أو إطلاق رصاصة واحدة". وأجاب على سؤال للصحفيين بأن سنه لا تسمح له بتحمل أعباء الحكم فيما لو دعي إليه "لا سيما وأن الوزارة وزارة انقلاب، وهي تتطلب عزم الشباب".

وصل نوري السعيد الى دمشق في الوقت الذي كان فيه فيضي الأتاسي يتابع مساعيه لتشكيل الحكومة، وبهذه الصفة حضر الاجتماع مع السعيد والزعيم. وقد عرفت في اليوم الثاني أن نوري السعيد طلب في ذلك الاجتماع عقد تحالف عسكري بين سوريا والعراق لمجابهة الخطر الاسرائيلي على أن ترابط بموجبه بعض القوات العراقية في سورية فرفض حسني الزعيم هذا الطلب فرجع نوري السعيد إلى بغداد خائبا.

ان ما جرى كان محاولة من نوري السعيد وهاشم الاتاسي لتطويق حسني الزعيم وصرفه عن الاتجاه نحو مصر والسعودية ففشلت هذه المحاولة وشكل حسني الزعيم الوزارة، في مساء

ذلك اليوم، برئاسته مع احتفاظه بوزارتي الداخلية والدفاع، أما أعضاء الوزارة فهم :

عادل أرسلان لنيابة الرئاسة والخارجية - فيضي الأتاسي للمعارف والشؤون الاجتماعية- حسن جبارة للمالية- فتح الله صقال للاقتصاد- أسعد كوراني للعدلية والأشغال- نوري أيبش للزراعة.

إن تشكيل الوزارة على هذا النحو قد فاجأ فيضي الأتاسي، كما فاجأ الناس، فقد جاء في جريدة النهار البيروتية يوم 1949/4/17 :

قد يكون مرد هذا التحول الى سبب سياسي عربي، فالمعروف عن حزب الشعب، وفيضي الاتاسي من أقطابه، ميله الى قيام اتحاد بين سورية والعراق- الهلال الخصيب- فانبرى من نبه حسني الزعيم الى هذه الحقيقة، ولفت نظره الى ما نشرته الصحف المصرية وبعض الصحف اللبنانية تعليقا على تكليف الاتاسي - صديق الهاشميين- بأن انتخابات تجريها حكومة موالية للهاشميين لن تكون في مصلحة الجمهورية.

أعلن فيضي الأتاسي في تلك الليلة استقالته وأنه أبلغ حزبه بأنه لن يشترك بالوزارة وسيتوجه إلى مدينة حمص، فعين الزعيم مكانه خليل مردم بك. وفي اليوم التالي جرى تعديل وزاري آخر تم بموجبه تعيين عزت الصقال وزيرا للأشغال العامة، وأسندت وزارة الاقتصاد الى حسن جبارة بالاضافة إلى و زارة المالية، وبعد اسبوع تم تعيين محسن البرازي وزيرا مفوضا لسوريا في القاهرة.

وفي 7 نيسان وصل إلى دمشق عبدالرحمن عزام باشا الأمين العام للجامعة العربية، وبقي في دمشق ثلاثة أيام عقد خلالها عدة اجتماعات مع حسني الزعيم وفارس الخوري وقام بزيارة الرئيس القوتلي في المستشفى العسكري، ثم صرح لدى مغادرته دمشق: "انني مقتنع الآن ان الحكومة المنبثقة من الانقلاب حائزة على تأييد الأمة الكامل، وأن الوضع الجديد قابله الشعب السوري بغبطة، وإن ما أفعمني سرورا هو تأكدي من أن هذه الثورة الوطنية الكبيرة تمت دون اراقة نقطة دم".

وفي اليوم ذاته صدر في دمشق البلاغ الرسمي التالي :

"ما زالت أخبار بعض الصحف العربية تدور حول انشاء هيئة أركان حرب مشتركة بين الجيشين السوري والعراقي وتشير الى امكانية تحقيق مشروع الهلال الخصيب أو سوريا الكبرى. ولما كانت هذه الانباء مختلقة ولا أساس لها من الصحة فإن مديرية المطبوعات والاذاعة مكلفة أن تنفيها نفيا باتا.

وبذلك تحدد نهائيا وضع انقلاب حسني الزعيم في محوريته العربية والدولية، ففي تاريخ 1949/4/21 سافر حسني الزعيم الى القاهرة لزيارة الملك فاروق وحل ضيفا عليه في أنشاص ثم رجع في اليوم نفسه الى دمشق فتلقى في اليوم التالي اعتراف مصر والسعودية ثم تبعهما لبنان.

وفي غضون ذلك كانت الاجتماعات تتوالى والدعاية تزداد لعقد اتفاقية النقد مع فرنسا واتفاقية مد خط أنابيب النفط مع شركة التابلاين. وفي 21 نيسان وقع حسني الزعيم على مرسوم اشتراعي يبرم بموجبه اتفاقية النقد السورية الفرنسية، وصرح حسن جبارة بأن الزعيم كان قد أعرب عن استعداده لتوقيع هذه الاتفاقية منذ اليوم الثالث للانقلاب، كما أعلن عن استعداد الزعيم لتوقيع اتفاقية التلابلاين بمرسوم اشتراعي. وكان حبيب أبو شهلا، مستشار شركة التابلاين القانوني يضع الترتيبات النهائية لتوقيع هذه الاتفاقية، وبتاريخ 16 ايار صدر في دمشق البلاغ الرسمي التالي:

"في الساعة الثامنة من يوم الاثنين السادس عشر من ايار 1949 عقد مجلس الوزراء جلسة برئاسة القائد العام بحث فيها مشروع اتفاقية التلابلاين فأقره ثم صدق الاتفاقيتين المعقودتين بين الحكومة السورية والحكومة اللبنانية المتضمنتين الحقوق والواجبات الناشئة عن اتفاقية التابلاين".

وكانت المصادر الدبلوماسية الاميركية قد أعلنت بتاريخ 1949/5/14 أي قبل تصديق الاتفاقية بيومين :

"أن الولايات المتحدة قامت بمساع حثيثة بواسطة هيئاتها الدبلوماسية - لتوضح لحكومات الشرق الأوسط أن السياسة الأمريكية متجانسة مع السياسة البريطانية في تلك المنطقة، وأن الدعاية الشيوعية القائلة بأن بريطانيا وأمريكا تتزاحمان على الشرق الأوسط وبتروله والنفوذ السياسي فيه لا أساس لها من الصحة.

واستطردت أن وكالة تاس السوفياتية الرسمية روجت أن سورية قررت الانضمام إلى الكتلة الاميركية، متبعة خطوات المملكة العربية السعودية والمملكة المصرية، عوضا عن الانضمام الى الكتلة البريطانية التي ما تزال تحافظ على صداقة شرقي الأردن والعراق، ويرى المسؤولون الامريكيون أن الدعاية السوفياتية تعتمد في محاولتها إبعاد سورية عن العالم العربي- على تمنع مجلس النواب السوري من تصديق اتفاقية شركة التابلان الامريكية مدعية أن السوريين ما زالوا مترددين بالموافقة على مد خط أنابيب البترول عبر أراضيهم، لأن الشعب السوري لم ينس بعد العون الذي أسدته الولايات المتحدة لليهود في اسرائيل، الا أن الاعتقاد الراسخ في الدوائر الامريكية المأذونة على أن سورية ستوافق على التابلاين في آخر الأمر"، كما استخدمت بريطانيا مشاريع الأردن والعراق الاتحادية وسيلة للضغط على الولايات المتحدة وفرنسة والنظام الجديد لعقد اتفاق مع شركة الأنكلو ايرانيان وهذا ما يفسر الحملة الاعلامية والحشود العسكرية من قبل العراق والأردن، وتأكيد الملك عبدالله عزمه على تحقيق مشروع سورية الكبرى، ومتابعة نوري السعيد نشاطه ومطالبته بقيام اتحاد بين سورية والعراق مما أدى إلى تأزم الأوضاع بين سورية وكل من الأردن والعراق وإلى نشوب حرب اعلامية بين الدول الثلاث فعقد حسني الزعيم مؤتمرا قال فيه :

"لقد كان سفري الى القاهرة مفاجأة مزعجة للعراق وشرقي الاردن. كأن أسياد بغداد وعمان يعتقدون أنني سأقدم لهم تاج سوريا على طبق فضة، ولكن خاب فألهم، فالجمهورية السورية لا تريد لا سوريا الكبرى والا الهلال الخصيب، إن هذين المشروعين الموصى بهما من مصادر أجنبية

سنحاربهما بكل قوانا" وختم تصريحه بقوله : "شعارنا : لا هلال خصيب ولا سوريا الكبرى" وقال: "ولا يعتقدن أحد أن الدول الكبرى تؤيد هذين المشروعين، فلدينا تأكيدات من بريطانية تؤيد بها الوضع الراهن، أما الولايات المتحدة وفرنسا فلن تقبلا بأي تغيير في الحالة الحاضرة".

وقد أغلقت الحدود بين الأردن وسوريا واستعرضت الجيوش العراقية والأردنية على الحدود السورية واستعرض الوصي على عرش العراق القوات العراقية المرابطة في "المفرق".

توسط لبنان ومصر بين سوريا والعراق، وبشكل مسرحي تراجعت الأردن والعراق وانسحب الجيش العراقي أما حسني الزعيم فقد راح يحيي العراق وملكه ويشيد بأفضاله على سورية بعد انسحاب الجيش العراقي من المفرق، كما بدأ النظام السوري بالاحتفال والابتهاج بعيد مولد ملك العراق فيصل الثاني، والإشادة بالمبادئ التي جاء من أجلها فيصل الأول الذي تترسم سوريا خطاه القويمة في سبيل مجد العرب وعزتهم".

وبتاريخ أيار اجتمع صبري العسلي رئيس الحزب الوطني (جماعة شكري القوتلي) بحسني الزعيم، وصرح بعد الاجتماع أنه قرر التعاون مع حكومة الزعيم، وفي اليوم ذاته ذهب مع عادل أرسلان موفدين إلى العراق.

وقد صرحت مصادر مطلعة في دمشق أن ارسلان والعسلي مكلفان بمهمة تتعلق بتوطيد العلاقات بين البلدين، وأن غاية هذه الرحلة هي رد الزيارة لنوري السعيد أيضا، وكان الزعيم قد اتصل بي وطلب مني أن أكون مع الموفدين الى العراق فرفضت، وقد علمت آنئذ أن حسني الزعيم قال لعلي بوظو وكانا على صلات جيدة، أن أكرم الحوراني صار مع العراق! هكذا فسر رفضي التعاون معه.

□

بعد مضي أعوام على مصرع حسني الزعيم، قال لي صبري العسلي أن نوري السعيد اجتمع به سرا وعلى غفلة من الأمير عادل أرسلان، فسأله نوري السعيد: ما العمل للخلاص من

هذا الطاغية حسني الزعيم؟ ثم طرح السعيد على العسلي اقتراحا بأن يدعو الزعيم لزيارة العراق، ليحتجز هناك فيسقط النظام لأنه قائم على شخص حسني الزعيم ولكنه تساءل :

ماذ سيقول عنا العرب إذا ارتكبنا هذا العمل؟ فأجاب على سؤاله بنفسه :

فليقولوا ما يقولوا ... المهم أن نتخلص من حسني الزعيم.

كما ذكر لي صبري العسلي أنه كان موعودا من حسني الزعيم بتشكيل الوزارة.

لم يقع حسني الزعيم في شرك نوري السعيد عندما دعي إلى زيارة بغداد، وقد روى عادل أرسلان في مذكراته، أن الزعيم رفض قبول الدعوة لزيارة العراق بحجة أن الجواب الذي تلقاه على رسالة التهنئة بعيد ميلاد الوصي عبد الإله كانت موقعة من مدير التشريفات، ويبدو أن ذلك كان حجة للتهرب من الزيارة، وربما كان صبري العسلي قد أبلغه ما يبيته له نوري السعيد .

على كل حال فقد تمت التسوية بين الولايات المتحدة وبريطانيا على تقاسم المصالح البترولية في سورية ففي تاريخ 21 حزيران صدر البلاغ الرسمي التالي: عقد مجلس الوزراء جلسة في دار الحكومة برئاسة القائد العام للجيش والقوى المسلحة رئيس مجلس الوزراء - صدق خلالها الاتفاقية المعقودة مع الحكومة السورية وشركة خطوط أنابيب الشرق الأوسط المحدودة والاتفاق المتضمن انشاء مصاف".

وفي اليوم الثاني نشرت الصحيفة السورية النص الكامل لهذه الاتفاقية (مع شركة ---- الانكلو ايرانيان) لقاء حصيلة رمزية وتسليم سورية للشركة بجميع مطاليبها[12]

وقد سمحت الرقابة لجريدة النصر الدمشقية أن تنشر بتاريخ 28 حزيران مقالا مترجما عن جريدة لوموند الناطقة بلسان وزارة الخارجية الفرنسية جاء فيه: "لقد تتبعت فرنسة الحركة الانقلابية السورية بكثير من

(12) كان حسني الزعيم قد صرح بتاريخ 25 حزيران قائلا : لم اصدق اتفاقية التابلان واتفاقية الانكلو ايرانيان الا لأوفر العمل للعمال - وإنني أريد أن أحمي العمال من الشيوعية الهدامة".

العطف منذ البداية وقد استطاع حسني الزعيم ان يكتسب لنفسه الانصار لا بموقفه ضد الهاشميين فحسب وانما بتصريحاته المناهضة للشيوعية ايضا. ومع أنه من أنصار الولايات المتحدة ومن مناهضي الأسرة الهاشمية فإن وزارة الخارجية البريطانية لم تناؤئه لأنه من مصلحة الحكومة البريطانية أن تكون لها السيطرة والسيادة في ميدان البترول في الشرق الأوسط ولذا فقد كانت أسبق من أمريكا في الحصول اخيرا على حق تكرير ما تنتجه من البترول على شاطيء البحر الابيض المتوسط".

1949 - مفاوضات الهدنة بين سورية واسرائيل - الاتصالات الاسرائيلية مع حسني الزعيم - علاقات حسني الزعيم الخارجية

ما أشبه البارحه (1949) باليوم (1995).

أصبحت مفاوضات الهدنة تجري بين سوريا واسرائيل دون أي رد فعل شعبي كما كان يجري خلال العهد الديمقراطي، بالرغم من أن الانقلاب صور للناس في بدايته على أنه رد على هزيمة فلسطين، وأن الوضع الجديد سيرفض الهزيمة ونتائجها.

على أن مهندسي الانقلاب كانوا يغطون أنباء المفاوضات ويشغلون الانظار عن القضية الفلسطينية بتصريحات حسني الزعيم عن "الاصلاحات الداخلية"[1] وبالأزمات الحادة مع الدول العربية.

وكانوا بين الحين والآخر يسربون بعض الأنباء عن سير مفاوضات الهدنة للتمهيد لقبولها كأمر واقع، مع الحديث عن "تصلب" الجانب السوري، ووساطة أمريكا لتذليل العقبات.. الخ وانقطاع هذه المفاوضات واستئنافها .. وهكذا استمر الحال أكثر من ثلاثة أشهر.

وفي 4 أيار أدلى ناطق رسمي سوري : "لقد قامت حكومة الانقلاب على أساس العدل الشامل والمساواة التامة بين مختلف عناصر الأمة، وعلى هذا فإن اليهود العرب سيتمتعون بما لسائر المواطنين من حقوق. كما أن عليهم أن يقوموا بما يترتب عليهم

(1) في 9 نيسان طبلت أجهزة الدعاية بنبأ جلد اثني عشر فرانا أمام أفرانهم ليرى الناس بأعينهم أن "الزعيم" ساهر على نظافة خبز الشعب. كما تحدثت طويلا عن انشاء ديوان المظالم" الذي لم يحقق بأية مظلمة، وعن قانون "من اين لك هذا؟" الذي أصدره الزعيم دون أن يطال أحدا.. والأطرف من كل ذلك أن صحف دمشق نشرت، يوم 3 حزيران 1949، نبأ يفيد بأن أفواجا من الشبان والشابات الأميركيين يفدون الى دمشق، لأنها أقدم مدينة في العالم، لإجراء عقود قرانهم فيها وقضاء شهور العسل في ربوعها، وأشارت الصحف إلى مدى الفوائد الاقتصادية التي تجنيها البلاد من ذلك.

من الواجبات، وعليهم أن يعودوا إلى مزاولة أعمالهم متأكدين بأن الحكومة ستساوي بين المواطنين".

ولا يخفى مغزى هذا البيان، وهو لا يعني في الواقع إلا إدانة العرب أمام العالم بالتمييز العنصري. بينما الواقع خلاف ذلك، حيث كان ليهود دمشق نائب في البرلمان قبل الانقلاب وكانوا يتمتعون بجميع الحقوق والواجبات كسائر المواطنين على حد سواء.

وفي الوقت ذاته كان إعلام دمشق يهيء للتنازل عن مستعمرة مشمار هايردن. ففي 7 أيار أعلن في دمشق أن سوريا رفضت في مباحثات الهدنة طلبا تقدمت به اسرائيل لانسحاب قواتها الى الحدود السورية كما كانت عليه أيام الانتداب البريطاني على فلسطين.

ثم صرح ناطق يهودي ، في 10 أيار، بأن محادثات الهدنة بين سوريا واسرائيل التي مر عليها ستة أسابيع لم تحرز أي تقدم ملموس. وقال: إن سوريا تقدمت باقتراحات معينة لتخطيط الحدود السورية الاسرائيلية ولكن اسرائيل رفضت حتى مجرد بحث هذه المقترحات وأصرت على وجوب تخطيط الحدود كما كانت على أيام الانتداب.. ومن جهة أخرى اجتمع مندوبا اسرائيل وسوريا للاتفاق على موعد ومكان تبادل الأسرى، وفي 13 أيار أعلن في دمشق أن أمريكا ستتوسط بين سوريا واسرائيل لتحول دون انقطاع مفاوضات الهدنة.

وفي 20 تموز 1949 عقدت **اتفاقية الهدنة وحققت اسرائيل ما تريد، فأخلت سوريا مستعمرة مشمار هايردن وما حولها**. وأصبح خط الهدنة في منتصف خط القتال والمواقع العسكرية الراهنة، واصبحت المساحة التي تقع بين هذا المنتصف والمواقع العسكرية منطقة مجردة من السلاح تحت إشراف المراقبة الدولية، وأعطي الأهلون الأصليون حق العودة إليها واستثمارها على أن لا تدخلها قوى الطرفين العسكرية.. وسيطلع

القارئ على مدى أهمية مرتفعات الجولان ومنطقة الحولة عند بحث تحويل مجرى نهر الاردن واحياء النقب فيما بعد[2]

في 5 آب 1949 ألقيت قنبلة على الكنيس اليهودي في دمشق، فصدر بعد يومين البلاغ الرسمي التالي :

"بلغ عدد المصابين في حادث إلقاء القنبلة على الكنيس اليهودي ثلاثين شخصا، توفي منهم متأثرا بجراحه أحد عشر شخصا، وحالة الباقين حسنة، والتحقيقات تستمر باهتمام زائد".

ثم نشرت صحف دمشق بعد ذلك نص كتاب المجلس الملي اليهودي التالي: "أذاعت بعض مصادر الأنباء أن ممثلي اسرائيل في مفاوضات لوزان احتجوا على حادث الاعتداء اليهودي واستغلوه ليتعرضوا إلى تشويه حقائق وضع اليهود في سوريا، ونحن هنا ممثلي الطائفة اليهودية في سوريا، نعلن على الملأ ما سبق أن قلنا وأكدنا في مناسبات مختلفة لفخامة المشير رئيس الجمهورية، ولحكومته الرشيدة، أن أبناء الطائفة يتمتعون بحماية الدولة وعنايتها في هذا العهد الجديد، ولا ينسون مبادرة فخامته باتخاذ تدابير فعالة لاعادة الحياة الطبيعية الى مجراها فور الانقلاب، أما موقف الحكومة إزاء الحادث الأخير الذي جرى فيه الاعتداء على الكنيس اليهودي فقد شاهدنا ولمسنا اهتمام فخامة الرئيس ورئيس الوزراء محسن البرازي به".

□

بعد مقتل حسني الزعيم بأسبوع نشر الأمير عادل أرسلان عدة مقالات في جريدة الحياة البيروتية أشار فيها إلى أن حسني الزعيم كان على اتصال باسرائيل.

(2) بتاريخ 21 تموز 1949 نشرت جريدة "النصر" الدمشقية وبعض الصحف العربية الأخرى أن وزير خارجية الولايات المتحدة المستردين أتشيسون هنأ سوريا واسرائيل بتوقيع اتفاقية الهدنة الدائمة فيما بينهما، كما جاء من تل أبيب أن وزير الخارجية موشى شاريت قدم اتفاقية الهدنة السورية الاسرائيلية للبرلمان الصهيوني في هذا التاريخ قائلا : "لقد استغرقت المفاوضات مع سوريا وحدها ثلاثة أشهر ونصف، وقال أن الصعوبة الرئيسية في هذه المفاوضات أن الجيش السوري كان الجيش الوحيد من بين الجيوش العربية الغازية الذي احتل منطقة هامة من اسرائيل ولا تنحصر أهمية هذه المنطقة في مساحة تلك الأراضي وإنما أهميتها القصوى من النواحي العسكرية والسياسية والاقتصادية والزراعية جميعا. وأضاف : والجيش السوري لم ينسحب من المنطقة لأنه قد غلب ولكن لأن الحكومة السورية رضيت بوساطة الأمم المتحدة.

وبعد عدة سنوات رأى أحد الأصدقاء (المحامي أسعد الطباع) ابراهيم الحسيني في روما، وكان على معرفة جيدة به، فجرى بينهما استعراض طويل لأحداث سورية الماضية، فسأله الطباع عن صحة ما تردد في مقالات عادل أرسلان، فأجابه ابراهيم الحسيني بأن حسني الزعيم اتصل بشرتوك (أي وزيرالخارجية موشى شاريت) دون علمه ومن وراء ظهره، ولكنه عرف ذلك فيما بعد .

لقد أردت أن استوثق من هذه الواقعة التي ذكرها وزير الخارجية خلال حكم حسني الزعيم الأمير عادل أرسلان في جريدة الحياة، وأن أطلع على المزيد من تفاصيلها، فرجعت إلى مذكرات الأمير عادل أرسلان المخطوطة والموجودة في الجامعة الأميركية، وقد طبعت فيما بعد، التي يشير فيها إلى اتصال الزعيم باسرائيل بما يلي :

"في جلسة مجلس الوزراء قال الزعيم رئيس الوزراء إن اليهود يريدون التفاهم بسبب ضغط ترومان وشومان، وإنه قبل أن يأتي شرتوك بطائرة الى القنيطرة ليذهب ويجتمع إليه فيها. فقلت له: إني لن أعترف بدولة اسرائيل، ولن أقابل وزير خارجيتها، ولن أسمح بأن يقابله موظف في الخارجية.. وحاول فتح الله صقال أن يوهم زملاءنا بأن دخول اسرائيل في الأمم المتحدة يوجب علينا الاعتراف بها، فأسهمت في الرد عليه حتى سكت.. ما كنت أحسب هذا الرجل صقالا إلى هذه الدرجة".

وكتب عادل أرسلان يوم 31 أيار 1949، وكان يدون مذكراته يوما بيوم :

"أخبرني رئيس الوزراء حسني الزعيم أنه لم يعد لنا بد من قبول الاجتماع بشرتوك أو شاريت وزير خارجية اسرائيل. فقلت: دعني أفهم شيئا عن هذا الاقتراح الذي لا تجد مفرا منه".

"رأيت المسيو فيجيه[1] وأنا أدخل الى غرفة الطعام في الفندق فأشرت إليه، وجلس إلى جانبي فسألته عن الاقتراح فقال: "هو كما سمعته من الزعيم" فقلت: إنه دسيسه وخدعة وأنا أربأ بنفسي عن العمل به، وأظن أن اليهود يريدون أولا استدراجنا إلى الاعتراف بدولتهم، ثانيا توقيع هدنة معنا ليحشدوا جيوشهم فيستولوا على القدس.

وفي المساء دعوت وزير أمريكا المفوض لمقابلتي في الخارجية، وشرحت له أسباب رفضي مقابلة وزير خارجية اليهود، فقال أن الجواب الذي ستسمعه مني سر أرجو أن تكتمه وهو أن حسني بك قال لي إنه يريد الاجتماع الى ابن غوريون لحل الخلاف. وأنا أبلغت حكومتي رغبته هذه. فرفض ابن غوريون مقابلة حسني بك. لكن شرتوك اقترح أن يكون الاجتماع بين وزيري الخارجية.. فقلت: لا هذا ولا ذاك، ولا يسعني أن أسمح لأحد أن يخدع حسني بك فيجره الى الاعتراف بإسرائيل".

وكتب عادل أرسلان في صفحة 6 حزيران 1949 :

"جاءني صلاح الدين الترزي"[2] بجواب تلقاه من المسيو فيجيه من زميل له في تل أبيب فهم منه أن الزعيم اقترح سرا، اجتماعا تمهيديا بين موظف من الخارجية السورية وآخر يهودي، وأن شرتوك يرفض ذلك ويطلب الاجتماع بي شخصيا لبحث قضايا تتعلق بالصلح، ففار دمي". وفي المذكرات ما يشير إلى رشاوى قدمت لحسني الزعيم من اليهود.

□

إن هذه الحوادث والوقائع التي كانت تجري في الخفاء تفسر لنا أسباب الاخبار الرسمية التي نشرت عن توسط أمريكا بين سوريا وإسرائيل بعد انقطاع المفاوضات، كما تفسر أسباب إخلاء مستعمرة مشمار هايردن وغيرها من المواقع السورية بموجب اتفاقية الهدنة، وتفسر أسباب صدور التصريح الرسمي

(1) فرنسي من القوات الدولية .
(2) من موظفي الخارجية والمشاور الحقوقي للوفد السوري في مفاوضات الهدنة.

بتاريخ 14 أيار عن معاملة أبناء الطائفة اليهودية بالمساواة مع المواطنين، كما تفسر التعاطف مع عهد الزعيم الذي يتبدى جليا في كتاب المجلس الملي اليهودي الى حسني الزعيم بعد حادث تفجير الكنيس .

لقد درجت سياسة الدول الاستعمارية كبريطانيا والولايات المتحدة. أن تحتفظ سنين طويلة بسرية الوثائق الهامة التي يضر اعلانها وكشفها بسياستها، إلى أن يصبح نشرها غير ضار بمصلحتها ولا مفيدا للآخرين، فتسمح بنشرها لمصلحة التاريخ، وستفاجأ الاجيال العربية وتدهش كلما خرج شيء من هذه الوثائق من زوايا التاريخ المظلمة، ومنها مفاوضات جمال عبد الناصر غير المباشرة بواسطة الولايات المتحدة مع بن غوريون عام 1956 التي ظلت مكتومة زمنا طويلا حتى كشفها بن غوريون عام 1971 بعد وفاة عبد الناصر، في العدد 8201 من صحيفة معاريف الصادرة بتاريخ 7/3 وكان موضوعها إعادة جزء من صحراء النقب ليكون ممرا بين مصر والمشرق العربي.

□

وفي 1972/4/1 نشرت موؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت ترجمة خمس عشرة رسالة كان قد بعث بها الياهو ساسون رئيس الوفد الاسرائيلي الى محادثات لجنة التوفيق الدولية في لوزان عام 1949 إلى موشى شاريت وزير الخارجية الاسرائيلية، وقد نشرت هذه الرسائل للمرة الأولى في صحيفة "يديعوت أحرونوت" في شهر آذار 1972.

وفيما يلي نص إحدى هذه الرسائل :

إلى موشى العزيز، تحية طيبة

جاء الى لوزان، لبضعة أيام خلت ، مندوب سوريا المفوض في فرنسا عدنان الاتاسي، نجل رئيس الجمهورية السورية السابق هاشم الاتاسي، ليرئس الوفد السوري الى محادثات لوزان. ومنذ اللحظة الأولى، فكرت في أن أحاول الاتصال به، لكنني، بعد مشاورات مع رؤوبين وطوبيا رأيت ألا أفعل ذلك،

وأن أتوجه مباشرة الى رئيس حكومة سوريا، محسن البرازي، وقد حتم هذا التوجه المباشر اعتباران :

- ربما ان الاتاسي غير موال لحسني الزعيم، والاشاعات حول هذا الامر كثيرة.

- ربما خاف الاتاسي وصدني ، من دون أن يستشير حكومته. وهو - بقدر ما أعلم- ليس من اكثر الرجال جرأة واقداما.

أرفق طية نسخة من الرسالة التي بعثت بها اليوم الى محسن البرازي. وقد أكدت عمدا، في حديثي اليه، أن في امكان المحادثات المباشرة مساعدة المفاوضات التي تجريها لجنة التوفيق في لوزان، وربما انجاحها. أردت بذلك أن نصون انفسنا من أي انزلاق، وأن نبرهن للجنة، اذا اقتضت الضرورة، اننا بلقاءاتنا المباشرة مع العرب، لا نسعى الى تعطيلها، بل لتتقدم في عملها.

قال لي بواسانجيه لبضعة ايام خلت، أن أحد رجال المفوضية الفرنسية في دمشق اجرى حديثا وديا وصريحا مع حسني الزعيم حول عمل لجنة التوفيق في لوزان، واحتمالات السلام بين اسرائيل والبلاد العربية. وقال الزعيم انه مستعد من جانبه، بشروط معينة، لاهمال الرأي العام في بلده وفي العالم العربي وعقد سلام منفرد مع اسرائيل.

وسأل الفرنسي عن الشروط المعينة، فأجاب الزعيم : تعديلات في الحدود. ثم أخرج خريطة فلسطين، ووضع اشارة على مطالبه. وكان يقصد نقل حدود بلده إلى اماكن معينة على نهر الاردن وبحيرة طبريا. واضاف الزعيم انه اصدر تعليمات الى وفده في لوزان لعرض هذه المطالب خلال مناقشة الحدود. وبالنسبة الى اللاجئين، فان سوريا مستعدة لاستيعاب عدد كبير منهم بشرطين :

- منح سوريا دعما ماليا دوليا كبيرا يمكنها من تطوير مواردها.

- ان تستوعب اسرائيل قسما كبيرا من اللاجئين.

وطلب بواسانجيه، في نهاية حديثه، ان يعرف رأيي في مطالب الزعيم. وخيل الي أن بواسانجيه يقوم هنا بمهمة معينة. قلت: ليست هذه المرة الأولى التي أسمع فيها عن مطالب الزعيم، فهي غير واردة في

الحسبان ابدا، ولا يمكن ان يخطر في البال ان نوافق نحن على اي جزء منها. ومع ذلك، من المهم ان نتحدث الى الزعيم وجها لوجه.

ولم يعقب بواسانجيه على ذلك، وانتقل الى موضوع آخر.

تحدثت اليوم، خلال ساعتين، الى العضو الاميركي الثاني روكويل، فوجدته متشائما جدا. فهو يعتقد أن المحادثات في لوزان دخلت مرحلة الجمود، وانه لا مفر من طرح الموضوع من جديد على الجمعية العمومية لحسمه. وروى، لهذه المناسبة، ان الممثلين الديبلوماسيين الاميركيين في البلاد العربية يضغطون كثيرا في هذا الوقت على رؤساء الحكومات العربية ويحرزون نتائج ايجابية، لكنهم متفقون في الراي أن على اسرائيل ان تقدم تنازلات اخرى بالنسبة الى قضية اللاجئين. ثم أكد من جديد، انه لم يحدث أي تغيير في السياسة الاميركية، بالنسبة الى الارض. الا انه اضاف، انه ليس صحيحا ان بلده مصر على انتزاع النقب منا. انه يؤيد التعويض الاقليمي. ويحتمل ان يكون هذا في النقب، وفي الجليل، وفي اي مكان آخر.

تحية وسلاما المخلص الياس.

وجاء في رسالة ثانية ما يلي وهي مؤرخة بعد مقتل حسني الزعيم :

"16 آب 1949 الى موشي العزيز، وافر التحية تحدثت الى عبد المنعم مصطفى. بالنسبة الى الانقلاب في سوريا، قال انه من السابق لاوانه استخلاص الاستنتاجات. فهو لا يعرف رجال الحكم الجديد، ومن الصعب عليه أن يحدد في هذه اللحظة ما سيكون موقف بلده منهم. ولكن، على قدر ما يعرف، لم تكن الامور على ما يرام، خلال فترة حكم الزعيم القصيرة. فقد ازداد الفساد وتغلغل حتى في منزله. وحصل سكرتيره في فرنسا على رشوة بعشرات الالاف من الليرات لتوقيع اتفاقات لشراء اسلحة. واضاف محدثنا: لكن الاعضاء الاميركيين في لجنة التوفيق في لوزان يأسفون جدا لما حدث في سوريا. ومنذ وقت قصير فقط توصلوا، على حد قولهم الى اتفاق مع الزعيم على استيعاب عدد كبير من اللاجئين، ومن الصعب ان يعرفوا الآن كيف ستتطور الامور."

وبعد مناقشات طويلة بين عبد المنعم مصطفى رئيس وفد مصر الى مؤتمر لوزان مع الياهو ساسون حول القضية الفلسطينة لعرضها على مجلس الأمن أو ابقائها ضمن مباحثات مؤتمر لوزان، ورد في الرسالة ما يلي :

"قلنا اننا كنا نفكر، عند مجيئنا اليوم لنتحادث، في أن نعرض عليه محادثات منفصلة جدية خارج كواليس اللجنة، سواء أواصلت هذه عملها أم أوقفته. اذا استمرت، فان محادثاتنا المنفردة ستسهل عملها. واذا توقفت، فسنضمن لانفسنا مواصلة الاستيضاحات والجهود المشتركة للتوصل الى تسوية نهائية.

وأجاب عبد المنعم، من دون تردد، أنه مستعد لذلك، وحددنا الاستيضاح الاول يوم الجمعة المقبل، 20 من هذا الشهر، الموضوع الاول: المذكرة الاخيرة للجنة حول قضيتي اللاجئين والاراضي، ووافق معنا على انه كان من الافضل اعطاء اجوبة متقاربة او منسجمة اذا أمكن. وهو يرى مثلنا، أن مثل هذه الخطوة قد يرضي اللجنة ويدفعها الى مواصلة عملها.

علاقات حسني الزعيم الخارجية .

"بعد مقتل حسني الزعيم أدلى الأمير عادل أرسلان بحديث لجريدة الحياة (العدد 1422- 1949/8/21) حول علاقات الزعيم الخارجية ورد فيه ما يلي :

كانت كلمات الزعيم دوما "ينصحون إلينا بأن نفعل كذا وكذا.. يقترحون علينا.. يقولون لنا ... يتوقعون منا، وان من يراجع قائمة زوار الزعيم يجد أن وزيرا أو وزيرين اجنبيين كانا يترددان عليه يوميا تقريبا، وإذا غاب أحدهما أرسل وكيله أو سكرتيره أو ملحقه أو موفده، حتى لا تنقطع سلسلة "النصائح" وغايتها الوحيدة تمكين نفوذ هذه الدولة أو تلك مقابل دعم وتمكين حكمه".

كما يتعرض أرسلان إلى علاقة الزعيم بفرنسا وإلى نفوذ الفرنسيين في عهده :

"ان النفوذ الفرنسي ما يزال قويا في بعض العناصر العسكرية، وما تزال هناك فئة نشأت على أيدي الفرنسيين ورسخ أثرهم في تفكيرها. وعلى الرغم من ماضي حسني الزعيم مع الفرنسيين فإنه جد متأثر بعهدهم، حتى أنه يستخدم لغتهم للتعبير عن أفكاره.

وما أن أطل حكم الزعيم حتى كان للفرنسيين اليد الطولى في اقناع الدول الأجنبية بالاعتراف به، وأذكر أننا تلقينا تقريرا من الممثل السوري في بروكسل يقول إن وزير الخارجية البلجيكية أبلغه أن السفير الفرنسي يسعى لاقناع بلجيكا بالاعتراف بالزعيم".

وجوابا على سؤال مندوب الحياة :

- ما هي الاتصالات التي جرت بين الزعيم والفرنسيين ؟

يقول أرسلان :

- لا أستطيع الجواب تماما. لأن هذه الاتصالات كانت تجري مباشرة بين الزعيم وممثلي فرنسا على اختلاف رتبهم، من فوق وزارة الخارجية ومجلس الوزراء.

وكانت الظاهرة الأولى لهذا التقارب بروز كثير من العناصر المعروفة في عهد الانتداب بالتعاون مع الفرنسيين، ومنها عناصر مأجورة ذات ماض أسود قاتم.

وذات يوم وردت علينا برقية من وزيرنا في باريس جاء فيها أن السيد بهيج الخطيب يبلغنا أن أسعار الأسلحة في فرنسا غالية، ولكنه يسعى الى تدبير الأمر.

ولم يتبادر إلى ذهني أن يكون الرجل المشار إليه هو نفسه عميل الفرنسيين الأكبر في عهد الانتداب فسألت أحد أركان وزارتي :

- ومن هذا بهيج الخطيب ؟

فنبهني ذلك الموظف الموظف الى الحقيقة، فهالني أن لا تجد الدولة السورية غير السيد بهيج الخطيب، رسولا لابتياع الاسلحة، واتصلت حالا بالزعيم أسأله عن القضية، فأجاب :

- صحيح، لقد أرسلته منذ مدة ليشتري الأسلحة .

قلت : ألم تجد سواه بين الخمسة ملايين سوري؟ أجاب :

- لقـد وقـع اختيـاري عليـه لأن الفرنسـيين أرادوا تنفيعـه بهـذه العملية.

ونصحت اليه ان يستبعده قبل أن ينتشر الخبر في دمشـق، ثم انقطـع ذكـر الرجـل حتـى جـاء فـي ذات يـوم مـدير المطبوعـات السيد كامل أشرفيه وقال لي :

- هذا بلاغ صغير ورد إلى الأمر بإذاعتـه، ففضـلت أن أعرضـه عليـك قبل نشره،

وقرأت البلاغ فإذا هو يعلن أن الزعيم أقام مأدبة غـداء علـى شـرف السيد بهيج الخطيب. ودهشت لهذا النبأ. لا سيما وأنني لم أعرف بعودة السيد الخطيب إلى دمشق، فاتصلت بالهاتف حـالا بـالزعيم وسألته مرة أخرى عن القضية فأجابني :

- وشو عليه؟ إن الخطيب خدمني لدى بعض المراجـع ويهمنـي أن يبقى مقربا إلي.

وفـي الآونـة الأخيـرة سـمعت انـه أراد تعيينـه أمـين رئاسـة الجمهورية بالوكالة. وظهرت في الوقت نفسه أسماء لم أتوقع يوما أن تعـود إلـى الميـدان السـوري، وماضـيها مـع الفرنسـيين علـى الوطن معروف.. وظهر لنا بعد حين أن الصفقات المتعلقة بالأسلحة والذخيرة للجيش قد عهد بها إلى أناس قدموا عروضا ضارة بسـبب رشوات ضخمة، بينما أهملت عروض مهمة سريعة.

ونمي إلي مرارا أن ثمة مفاوضات تدور في طي الخفاء لعقد معاهـدة بـين الـزعيم وفرنسـا. فأبلغـت الـزعيم أن عقـد هـذه المعاهدات خطر على البلاد وعليه".

52

1949: لبنان وحسني الزعيم.

كانت الحركة الوطنية في لبنان والزعامات السياسية تستمد قوتها وتاثيرها قبل الاستقلال وبعده من الحركة الوطنية السورية ومن سورية بشكل خاص، وكان البلدان الشقيقان يتأثران ببعضهما تأثرا بالغا بكل شيء وكان يجمع الرعيل الأول في البلدين نضال مشترك منذ أواخر العهد التركي وبعد فرض الانتداب الفرنسي، فكان من الطبيعي أن يكون رد فعل الفئة الحاكمة في لبنان، ورياض الصلح بصورة خاصة. ردا سلبيا عنيفا على الانقلاب السوري ولا سيما أن رياض الصلح رئيس وزراء لبنان كان يعتبر رجال الكتلة الوطنية في سوريا رفاقه وإخوانه، فما أن وقع الانقلاب السوري حتى قامت الحكومة اللبنانية، توجه الصحافة ووسائل الاعلام وتنشر الدعايات وتغلق الحدود وتجري الاتصالات العربية والدولية ضد الانقلاب السوري، مما دعا حسني الزعيم لأن يوجه الانذارات للبنان، ثم أرسل فريد زين الدين يحمل رسالة شفوية أعقبها برسالة حملها الضابط كيلاني إلى رئيس الجمهورية اللبنانية "يستغرب فيها الموقف العدائي الذي يقفه رئيس الوزارة اللبنانية رياض الصلح والصحف الناطقة بلسانه، ويقول أن هذا الموقف قد يضطره للمقابلة بالمثل مما لن يكون من مصلحة لبنان بالمقدار الذي لم يكن فيه موقف رئيس الحكومة اللبنانية لمصلحة الانقلاب السوري".

ولذلك كان من الطبيعي أن تؤم دمشق وفود المعارضة اللبنانية لتقوي صلاتها بنظام حسني الزعيم، فقد وصل في الأيام الأولى للانقلاب وفد برئاسة كسروان الخازن، ووفد برئاسة سامي الصلح، ووفد برئاسة عبد الحميد كرامي وكمال جنبلاط، ووفد برئاسة كميل شمعون.

لقد استطاعت المساعي السعودية المصرية أن تخفف من التوتر بين لبنان وعهد حسني الزعيم فترة قليلة الى أن حدثت قضية اغتيال كامل حسين اليوسف في الأراضي اللبنانية مما أدى

إلى أزمة حادة ومعارك اعلامية بين البلدين، فمن هو كامل الحسين؟

كامل الحسين اقطاعي متنفذ من أهالي قرية الخالصة في شمالي الحوله وزعيم عشيرة في تلك المنطقة، وهو من خريجي الجامعة الاميركية في بيروت، كان عميلا لحكومة الانتداب البريطانية في فلسطين، كما كانت تربطه صلات مشبوهة بالفرنسيين، وكان له نفوذ انتخابي في جنوبي لبنان، وعندما كنا نقاتل في الجليل، عام 1948، سمعنا الكثير عن علاقة هذا الرجل باليهود، وأنه كان يترأس شبكة تجسس وتخريب واسعة لحسابهم، وبعد كارثة 1948 وسع نشاطه فأنشأ عصابة واسعة في شمالي فلسطين وجنوبي سوريا ولبنان، جعل مركزها في حاصبيا ومرجعيون، لتهريب المواشي والمواد الغذائية والأسلحة لليهود، وللتجسس على حركات الجيشين السوري واللبناني، وكان قبل النكبة يضغط على المزارعين الفلسطينيين الضعفاء لبيع أراضيهم لليهود، ثم صار بعد النكبة، هو وأعوانه سماسرة لبيع أراضي اللاجئين الفلسطينيين وقد أصدر القضاء العسكري السوري عدة مذكرات توقيف بحقه، وخصوصا بعد أن علم أنه زار تل أبيب في أواخر شهر نيسان 1949 .

وفي مساء يوم 1949/5/10 تم اغتيال هذا الجاسوس من قبل النقيب في الجيش السوري اكرم طباره الضابط في المكتب الثاني بالاشتراك مع رفاق له في مكان قرب مرجعيون.

وبدلا من أن تقوم الحكومة اللبنانية بتسليم النقيب طباره ورفاقه - وهم عريف وجنديان - الى سوريا، ألقت عليهم القبض وأودعتهم السجن رهن التحقيق. فنشأت من جراء ذلك أزمة حادة تطورت إلى إغلاق الحدود بين البلدين وإعلان القطيعة الاقتصادية، وشن هجوم اعلامي على حكومة لبنان التي كانت تتمنع عن الافراج عن هؤلاء العسكريين السوريين بحجة أنهم "ارتكبوا جريمة" في أراضيها..

هذا مع ان الحادثة وقعت في مكان منعزل وفي منطقة يصعب تحديد مكانها لأنها قريبة من الحدود اللبنانية الاسرائيلية السورية، وقد أدى هذا الحادث الى صدور عدة بيانات قاسية من دمشق التي هددت بأنها ستضطر للكشف عن أسماء شركاء كامل حسين في الأوساط الحاكمة اللبنانية.

والظاهر أن لبنان، بعد عقده اتفاقية الهدنة مع إسرائيل، أصبح معرضا لضغوط اسرائيلية، حتى أن الصحف اللبنانية ذكرت في يوم 14 أيار أنه "تقرر في الاجتماع الذي عقدته لجنة الهدنة المختلطة اللبنانية اليهودية أن يؤذن للأسر اليهودية في لبنان والراغبة في الهجرة الى اسرائيل باجتياز الحدود عند رأس الناقورة" وقد رجعت منطقة الحدود بين لبنان وفلسطين الى ما يشبه سابق عهدها زمن الانتداب عندما كانت حدودا مفتوحة.

أما الأزمة التي نشأت بسبب مقتل الجاسوس كامل حسين، فقد انتهت فيما بعد بإنشاء لجنة حقوقية مشتركة، ومفاوضات وزيارات متبادلة، و "نصائح" أميركية وبريطانية، وقرار من لجنة تحكيم مصرية سعودية قضى بإعادة النقيب طبارة ورفاقه الى سوريا الذين أحيلوا للقضاء السوري لأجراء محاكمتهم فأخلى سبيلهم على أثرها.

كانت قضية السفر بين لبنان واسرائيل قد تطورت من نطاق الهمس الى حدود الجهر، على انها لم تكن سببا في تعكير صفاء العلاقات الودية التي عادت إلى حالتها الطبيعية بين البلدين، إذا استثنينا تلك الحرب الكلامية التي قامت بين صحف دمشق وصحف بيروت بسبب تصفية مشاكل الشراكة الاقتصاية السابقة وفروق سعر الليرة في عملة البلدين. وكان من مظاهر صفاء العلاقات بين دمشق وبيروت الاجتماع الذي عقده في 24 حزيران في شتورا حسني الزعيم مع بشارة الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية. ولم تعد هذه العلاقات الى حالة التوتر إلا عند قيام الحزب السوري القومي بمحاولته الانقلابية في لبنان التي تم على إثرها تسليم انطون سعادة - الذي كان مختبئا في سورية الى السلطات اللبنانية وإعدامه.

وكان تسلسل وقائع هذا الموضوع كالتالي :

في الاسبوع الأول من شهر حزيران 1949 حدث تقارب بين الكتائب اللبنانية وبين حزب النجادة (المسلم) وقع على أثره اشتباك مسلح في منطقة الجميزة في بيروت بين القوميين السوريين والكتائبيين فعلى أثر اجتماع كتائبي في منطقة الجميزة قام فريق منهم بمهاجمة مكتب القوميين السوريين وجريدتهم الجيل الجديد، فأحرقوا مطبعة الجريدة وأتلفوا ما في مكتبها من أوراق، وقد سقط في ذلك الهجوم عدد من الجرحى معظمهم من القوميين، ولم يتدخل رجال الأمن إلا بعد انتهاء المعركة.

ومن الطريف أن نذكر هنا تصريحا أدلى به الشيخ بيار جميل رئيس الكتائب تعليقا على هذه الحادثة فقد قال :

"منذ ثلاثة أشهر والحزب القومي السوري يقوم بأعمال استفزازية، ودأبت صحيفة الحزب في حملة خلقت جوا مضطربا، وزادت هذه الحملة بازدياد التقارب الأخير بين النجادة والكتائب وهو تقارب دلل على أنه ليس للمنظمتين هدف طائفي. وهو دليل يعاكس الحملات التي شنها الحزب في صحيفته الجيل الجديد".

وعلى اثر هذه الحادثة المفتعلة، قامت السلطات اللبنانية بحملة واسعة لملاحقة القوميين واعتقالهم بالمئات وإحالتهم الى القضاء العسكري بعد اتهام الحزب بتدبير انقلاب مسلح، وإغلاق مكاتب الحزب وتفتيشها وختمها بالشمع الأحمر، ثم صدر مرسوم جمهوري بحل الحزب القومي الاجتماعي، المرخص بتاريخ 2 أيار 1944، وإلغاء جريدته.

على أن الجهود الواسعة لإلقاء القبض على زعيم الحزب أنطون سعادة ذهبت دون نتيجة لأن سعادة استطاع الهرب واللجوء سرا الى سوريا دون علم السلطات السورية او التفاهم المسبق معها. وقد استطاع ابراهيم الحسيني، رئيس المكتب الثاني السوري، بواسطة بعض العملاء من القوميين السوريين أن يصل إلى البيت الذي لجأ إليه سعادة سرا في دمشق، فوقع

سعادة في قبضة المخابرات السورية التي هيأت له اجتماعا مع حسني الزعيم بالقصر الجمهوري.

والذي يخيل إلي أن ابراهيم الحسيني وهو من عملاء المخابرات المركزية أراد -بالاتفاق مع حسني الزعيم- أن يصطاد عصفورين بحجر، فحصل على ما أراد وسقط رأس أنطون سعادة ضحية صراع المخابرات الأميركية والفرنسية من جهة والانتلجنس سرفيس من جهة ثانية.. وكان **أنطون سعادة قد طور مفهومه عن سورية الكبرى عندما أدخل العراق ضمن حدودها وأطلق عليها اسم سراقيا.**

ففي هذا الاجتماع أغرى حسني الزعيم أنطون سعادة بالوعود السخية من تسليح وتمويل ليقوم بثورة في لبنان ويحقق شعاره القومي، وبكل سذاجة أصدر أنطون سعادة منشورا طبع في دمشق ووزع في لبنان يقول فيه: ان ملاحقة الحزب تدل على خوف الحكومة منه، وأن هذه الملاحقة قد زادته قوة.. ثم يتحدى الحكومة اللبنانية أن تقدم للسوريين القوميين ربع سلاحها ليرى الناس من هو الأقوى!

وقع أنطون سعادة في الفخ المنصوب له والذي سبب إعدامه عندما أرسل جماعات من أعضاء حزبه في سورية وفي لبنان ليهاجموا بعض المخافر اللبنانية.

وفي 20 حزيران أعلن أن حسني الزعيم سيقوم بزيارة للبنان، ليتسنى لرئيس الجمهورية اللبنانية أن يقوم بزيارة لدمشق لتهنئته بانتخابه رئيسا للجمهورية السورية، وبعد أربعة أيام عقد هذا الاجتماع وصدر عنه البلاغ التالي :

"اجتمع في شتورا بتاريخ 24 حزيران 1949 فخامة بشارة الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية يرافقة دولة رياض الصلح رئيس الوزراء مع دولة حسني الزعيم رئيس الحكومة السورية يرافقه معالي محسن البرازي، وقد دام الاجتماع نحو ساعة وتجلى فيه روح الود والأخاء.

ومما لا شك فيه أنه جرى في هذا الاجتماع اتفاق على تسليم سعادة للسلطات اللبنانية وقد تم ذلك في 6 تموز فحوكم محاكمة سرية، ولم يسمح له فيها بتوكيل محامين كما لم يسمح له بالدفاع عن نفسه فحكم بالأعدام رميا بالرصاص خلال 24ساعة.

لم يكن للحزب السوري القومي الاجتماعي قوة تذكر في سوريا، ولكن غدر حسني الزعيم بأنطون سعادة، وتسليمه للسلطات اللبنانية، وشجاعة سعادة في تلقيه الموت، ترك أثرا بالغا من النقمة في دمشق والأوساط الارثوذكسية خاصة وفي سورية عامة ضد حسني الزعيم ورياض الصلح، وكان الناس في سورية يعلقون على هذه الجريمة بقولهم لو ارتكبها فقط رئيس الجمهورية بشارة الخوري وحزب الكتائب الذي يعتبر الحزب السوري القومي خصما له لكان الأمر مفهوما، ولكن الذي جرى أن رياض الصلح كان موافقا على ارتكاب هذه الجريمة مما يحمله أيضا مسؤولية إعدام أنطون سعادة ، الأمر الذي كان سببا في اغتياله فيما بعد.

عادت العلاقات الودية بين التظامين السوري واللبناني بعد تسليم أنطون سعادة للسلطات اللبنانية فزار دمشق في 1949/7/17 رياض الصلح وقدم لحسني الزعيم تهانيه بانتخابه رئيسا للجمهورية.

53

1949 : حسني الزعيم والاحزاب.

كنت في تلك الفترة على اتصال وثيق بقيادات حزب الشعب وكانوا جد حريصين على ألا أقطع شعرة معاوية بيني وبين حسني الزعيم، ولكنني لم أفعل ذلك بل بدأت بشن حملة صريحة ضد انحرافاته وفضح نواياه ونوايا الزمرة الخبيثة التي تحيط به سرا وجهرا.

كان حسني الزعيم حريصا جدا على التعاون مع ناظم القدسي ولكن القدسي لم يجرؤ على القبول بذلك، وكان فشل خطة الزعيم بجعل رؤوس حزب الشعب يتعاونون معه قد جعله يفكر بشن حملة قاسية على هذا الحزب الذي احتاط للأمر فتجنب اعطاء حسني الزعيم أي مبرر لضربه بالرغم من كل الاستفزازات فقد تظاهر رجاله باعتزال العمل السياسي.

أما حزب البعث العربي فقد أصدر بعد اسبوع من الانقلاب بتاريخ 1949/4/5 البيان التالي، على شكل مذكرة مقدمة الى حسني الزعيم وفيما يلي نصها :

"إلى مقام القائد العام للجيش والقوى المسلحة

من دواعي الاغتباط أن نراكم تسجلون في بيانكم الذي أذعتموه أمس على الشعب العربي في سوريا، ما كان لهذا الشعب من التأثير الكبير في تحقيق الانقلاب الأخير، والحق أن الجيش الذي يتالف من أبناء الشعب لم يكن إلا الأداة الأمينة المباركة التي نفذت رغبة قومية وإرادة عامة طالما أعلنها الشعب خلال السنوات الأخيرة في نضاله الجريء العنيد، وقدم في سبيلها التضحيات العديدة في مناسبات كثيرة.

ان هذه الحقيقة البارزة التي تعطي الانقلاب الأخير أقوى حجة لتبرير ما حدث، يجب أن تكون أيضا أقوى أساس لبناء المستقبل، فالشعب العربي في سورية وفي جميع أقطار العروبة، لا يقنع من الانقلاب بأن يكون نهاية عهد اسود فحسب، بل يريد أن يجد فيه نقطة انطلاق جوهرية نحو الحياة الحرة المنتجة القوية.

ومـن الواضـح الجلـي ان ضـعف العهـد السـابق وانهيـاره كانـا نتيجـة السياسـة التـي قامـت علـى خنـق حريـات الشـعب وتزييـف ارادتـه وتسـخير جهوده وموارد بلاده لمصلحة الحكـام وطبقـتهم المسـتثمرة الجشـعة، فـلا بـد إذن من قلب هذه السياسة من أساسها حتى يقدر للانقلاب أن يحيا ويدوم.

ولا يكون ذلك إلا إذا اعتبر الشـعب هـو العنصـر الأساسـي الثابـت فـي الحادث العظيم الذي تم، وان من حقه، بل من مقتضيات المصلحة القومية، أن يتبنى هذا الانقلاب ليحميه ويقويه ويوجهه الوجهة الصالحة.

ولكي يستطيع الشعب أن يحمي انقلابه ويثبت دعائمه على الأسس الصحيحة المتينـة، عليـه أن يكـون حـرا فـي التعبيـر عـن ارادتـه ورغباتـه، وأن يشارك عمليا في رسم منهاج العهد الجديد وتطبيقه، عندئذ يجد الشعب بقاء العهد الجديـد مرتبطـا ببقائـه ومصـلحته ويكـون مسـتعدا للـدفاع عنـه بـالنفس والنفيس، وعندئذ تكون لهذا العهد قوة لا تؤثر فيها الأخطار مهما عظمت، ومن اية ناحية أتت.

ان حزب البعث العربي الذي قدر في جميـع مراحـل نضـاله المسـؤولية القومية التي ترتبها عليه فكرته الشعبية الاشتراكية الحرة، يعتبـر نفسـه فـي هذه المرحلة الخطيرة من تاريخ سوريا العربية مسؤولا أيضا عن بيان الخطـوات الضرورية التي تحقق للبلاد ثمار نضالها الطويل. ولـذلك فـالحزب يـرى أن تبنـى السياسة على الأسس الآتية :

1- تشـكيل حكومة مؤقتة حائزة على ثقة الشعب.

2- تطهيـر الجهـاز الحكـومي مـن جميـع صـنائع العهـد البائـد، ومحاكمـة المسؤولين عن فضائحه وارتكاباته.

3- تأمين الحريات العامة التي نص عليها الدستور.

4- إجـراء انتخابـات حـرة فـي المـدة المحـددة بالدسـتور، وعـودة الحيـاة الدستورية الجمهورية الى مجراها الطبيعي.

عميـد البعـث العربـي: ميشـيل عفلق"

كمـا رفـع حـزب الأخـوان المسـلمين مـذكرة مماثلـة الـى حسـني الزعيم، يوم 7 نيسـان، تتضمن اقتراحا بالنقاط التالية :

1- تحقيق الشورى الصحيحة تطبيقا لمبدأ (وأمرهم شورى بينهم) والاسراع في اقرار حياة دستورية حقه.

2- محاكمة المسؤولين عما أصاب البلاد من نكبات وكوارث وتبديد للأموال العامة وتحميلهم نتائج أعمالهم، وتطهير جهاز الدولة من عناصر الخيانة والفوضى والجهل.

3- تقوية عقيدة الأمة وروحها الأخلاقية النبيلة.

4- بعث روح الرجولة وتعميم التربية العسكرية واعداد الأمة ماديا وعسكريا لمجابهة كل خطر.

5- العناية بالجيش وتغذيته بأسمى معاني الأخلاق والايمان والإقدام.

6- توجيه الثقافة العامة والمجتمع توجيها منسجما مع أمجاد الأمة ملائما بين تراثها وتطور الحضارة.

7- إقامة نظام اقتصادي عادل يكفل تنمية ثروة البلاد والترفيه عن طبقات الشعب.

□

أما الزعماء السياسيون المستقلون، وعلى رأسهم هاشم الأتاسي وفارس الخوري فقد كانوا في جملة المؤيدين للانقلاب ببيانات وتصريحات مرت فيما سبق ذكره. بينما راح الحزب الشيوعي يوزع في دمشق وحلب وبيروت البيانات التي تندد بالانقلاب، فألقى القبض على الاستاذ أحمد محفل وعلى عدد من أعضاء الحزب، كما ألقي القبض على المحاميين عبد الفتاح الزلط وناظم الصقال لإصدارها بيانا ضد اتفاقية التابلاين، وكانت بيني وبينهما صداقة ولا سيما مع الاستاذ عبد الفتاح الذي عمل فترة كمعلم في مدينة حماه كان فيها وثيق الصلة بحزب الشباب.

من ذكرياتي عن الفترة الأولى من انقلاب حسني الزعيم انني التقيت بعد النصف الأول من شهر نيسان بشاكر العاص وصلاح البيطار ومحمد المبارك في مقهى الطاحونة الحمراء، وكان موضوع الحديث يدور حول انحراف الانقلاب واليأس من تقويمه والسير به في الطريق السليم، وكنا نتكلم بصوت منخفض خوفا

من الرقابة التي اصبحت شديدة الوطأة، فقد كان المقدم ابراهيم الحسيني رئيس المكتب الثاني يتولى شؤون الرقابة والتجسس مؤيدا ومدعوما من حسني الزعيم بكل ما يحتاج إليه من الوسائل، وقد عرف هذا الضابط منذ البداية بقسوته وبطشه ودمويته وتفننه بأساليب التعذيب مع مرونة وكياسة كحد الشفرة.

اختتم شاكر العاص حديثنا بأنه لم يبق أي بصيص للأمل بهذا الانقلاب.

وبعد بضعة أيام اتصل بي شاكر العاص ولفيف من أركان حزب الشعب وأخبروني في اجتماع عقدناه في منزل أحدهم في حي عين الكرش المتفرع من شارع بغداد بأن حسني الزعيم حدد موعدا لمقابلتهم في وزارة الدفاع وطلبوا مني أن اصطحبهم في هذه المقابلة، فقد كان حسني الزعيم في الفترة الأولى من الانقلاب يهابني ويحترمني نظرا للشعبية الكاسحة التي كنت اتمتع بها في أوساط الجيش، ثم انقلب هذا الاحترام إلى عداء صريح بسبب عدم تعاوني معه وعدم اصدار أي بيان بتأييده، ولكن ذلك لم يدفعه للتفكير باعتقالي إلا قبيل مصرعه، فقد وجدت بين أوراقه التي استولت عليها الحكومة قائمة بأسماء الاشخاص الذين كان مصمما على اعتقالهم، وكان اسمي واردا في تلك القائمة.

□

ذهبت مع شاكر العاص ورفاقه لمقابلة الزعيم وما كدنا نطل عليه حتى انفجر قائلا :

لم يبق بصيص من الأمل.. مو هيك يا شاكر بك؟

فوجئت وضحكت بآن واحد. ولم يرد عليه شاكر العاص، قلت له:

هون عليك يا حسني بك . أهكذا تستقبلنا ؟

خفف قليلا من حدته، ولكنه تابع تهديده ووعيده، فكنت أحاول أن أهدئ ثورته باللين تارة وبالعنف أخرى.

بعد خروجنا أخذنا نتساءل :

ترى من هو الذي نقل حديثنا الى حسني الزعيم مع أن الحديث كان بيننا همسا ؟

قادنا سوء الظن الى اتهام محمد المبارك الذي انسحب من حزب الشعب قبل الانقلاب، والذي كان يقال أنه أصبح يتقرب من حسني الزعيم علّه يعينه في وظيفة وزير مفوض في وزارة الخارجية، ولكننا رجحنا أن يكون أحد العملاء من خدم المقهى قد استرق السمع ونقل حديثنا الى المخابرات السورية وهذا هو الأرجح.

□

انتهت محاولات حسني الزعيم على صعيد استغلال التعاون السياسي مع حزب الشعب باستقالة فيضي الأتاسي من الوزارة ولكن محاولاته الأخرى لتعيين أعضاء حزب الشعب والمعارضة بالوظائف واللجان استمرت تحت سيف التهديد والاغراء معا.

كانت أولى محاولاته معي بعد حل المجلس ان اتصل بي بواسطة العقيد بهيج كلاس الذي قال أن الزعيم يعرف انه لا مورد لك إلا راتب المجلس النيابي، وانك رجل وطني نظيف تستحق المساعدة وبوده لو يعين لك راتبا من وزارة الدفاع

فرفضت ذلك بشدة ، وحملت على حسني الزعيم وقلت له :

بلغه انني لست من الناس الذين يشرون بالرواتب، فأقسم الكلاس ان نية الزعيم حسنة وانما هو تقدير واحترام.

أما المحاولة الثانية فكانت عندما أصدر الزعيم دون علمي بتاريخ 4/12 مرسوما بتشكيل لجنة للتحقيق مع أحمد الشرباتي وأركان العهد السابق مؤلفة مني ومن خليل رفعت محافظ دمشق والعقيد عزيز عبدالكريم ورزق الله انطاكي أحد أقطاب حزب الشعب ولما نشر هذا المرسوم ذهبت الى الزعيم واحتججت على تعييني في اللجنة دون استشارتي، فحاول كثيرا أن يقنعني بالقبول، ولكنني أصررت على الرفض، فلم تفعل اللجنة بعد

اعتذاري سوى اصدار قرار بحجز اموال وحسابات محلات الشرباتي التجارية وختمها، وانتهى بذلك أمر اللجنة ولم تعقد أي اجتماع آخر.

وكان صبري العسلي قد أعطاني نسخة من تقرير لجنة التحقيق البرلمانية بأوضاع الجيش، وهو التقرير الذي اثبت نصه سابقا، وطلب مني توقيعه فرفضت ذلك لأننا كلفنا بإجراء هذا التحقيق من قبل مجلس النواب ويجب تقديمه إلى المجلس وليس إلى حسني الزعيم، وقد طوى الزعيم هذا التقرير دون أن يحيله للمحكمة العسكرية، ولعله لجأ الى تأليف لجنة التحقيق الجديدة لقطع الطريق على إحالة قرار لجنة التحقيق البرلمانية الى المحكمة العسكرية.

اتصل بي صبري العسلي، بعد اعتذاري عن توقيع التقرير، فاجتمعت به في منزله بحي المهاجرين فتحدثنا عن الوضع بشكل عام، ولكنني كنت حذرا معه نظرا للمعلومات التي كانت تصلني عن تقربه من حسني الزعيم.

□

اكثر حسني الزعيم من تشكيل اللجان، فأصدر في 8 نيسان مرسوما بتشكيل لجنة لوضع الدستور وقانون الانتخاب برئاسة أسعد الكوراني الأمين العام لوزارة العدل وعضوية الدكتور عبد الوهاب حومد وحسني الزين وجورج جبارة، كما أصدر تعيينات أخرى لكسب السياسيين الذين كانوا يسيرون في ركاب العهد البائد، منها تعيين أديب نصور بتاريخ 1949/7/5 مديرا للدعاية والانباء، بعد أن رفضت تعييني مديرا لشؤون الصحافة، وكان نصور من كتلة الشباب التي أعدها محسن البرازي أمين عام القصر الجمهوري في عهد شكري القوتلي كي تقف في مجلس النواب بوجه المعارضة.

كما تميزت هذه الفترة بالتفاف الطبقة الاقطاعية والرأسمالية حول حسني الزعيم الذي رأت فيه شخصا أقوى من شكري القوتلي لتحقيق مصالحها وللمحافظة على امتيازاتها ورأت

في نظامه الديكتاتوري مجالا أوسع لاستغلالها، من ذلك مثلا ما نشرته الصحف يوم 1949/6/18 من أنه "في الحفلة التي أقامها قائد الطيران بدمشق تكريما للزعيم بيعت صورته بمائة ألف ليرة وكان آخر المتبرعين صلاح الشربجي الذي دفع 25 ألف ليرة، وكان عبد الهادي الرباط قد دفع باسم الشركة الخماسية 50 ألف ليرة والمستر نورمن نيرن 23 ألف ليرة".

كما أبرزت الصحف نبأ قدوم عدد من رجال أسرة البرازي إلى دمشق ليقدموا للزعيم شخصيا تبرعاتهم ليوم الجيش.

الانقلاب يمعن في توجهاته الديكتاتورية .

سار انقلاب حسني الزعيم باتجاهه العسكري الديكتاتوري مدعوما بإرشادات الاستعمار الجديد وتوجيهاته، فأخذ يتبلور واقعيا في هذا الاتجاه على جميع المستويات، فعلى صعيد حرية الصحافة والنشر ألغى الزعيم جميع الصحف الحزبية. ففي دمشق ألغى جريدتي اليقظة والبعث كما ألغى صحف حزب الشعب: جريدة الشعب في دمشق، والسوري الجديد في حمص، والنذير في حلب، كذلك ألغى جريدة النضال مع أن صاحبها سامي كبارة كان مستقلا، ولم يبق إلا على ست صحف ومجلات في دمشق منها جريدة الأيام لصاحبها نصوح بابيل وجريدة القبس لصاحبها نجيب الريس، وعلى صحيفتين في حلب، وسمح لمنير الريس الذي كان منتسبا لحزب فيصل العسلي أن يصدر صحيفة باسم "الانقلاب".

بعد ذلك أصدر حسني الزعيم قرارا بحل جميع الأحزاب في البلاد وأخضع الموظفين لحلف اليمين التالية :

"أقسم بالله أن أقوم بموجبات وظيفتي بشرف وأمانة وألا أنتمي حالا ولا مستقبلا إلى أي حزب سياسي ما دمت موظفا" ولا أدري لماذا لم يقل ما دمت حيا!!

إن هذا الاسلوب الذي استعمله الاستعمار الجديد والذي أصبح شائعا فيما بعد في عهود انقلابات العسكرية كان هدفه عزل الجماهير عن قضاياها، لأن تعدد الأحزاب في الحياة البرلمانية

الديمقراطية هو الطريق الوحيد لتحرير الانسان في محاولته بناء المجتمع الافضل، فالأحزاب مدرسة لتوعية الجماهير وتعبئتها وطنيا وأخلاقيا واجتماعيا وسياسيا.

الأحزاب السياسية السورية بعد حلها .

1- حزب الشعب : تفادى قادة حزب الشعب منذ البداية وجود أي مبرر لحسني الزعيم للبطش والتنكيل بهم فابتعدوا عن الأضواء، ولكن موقفهم بجانب عراق نوري السعيد لم يتغير رغم محاولات حسني الزعيم سواء بالتهديد أو بوسائل الاغراء أو بمحاولات شق الحزب وتمزيقه، ولا أدل على ذلك من أن هاشم الأتاسي أيد انقلاب حسني الزعيم بقوة قبيل زيارة نوري السعيد لدمشق تمهيدا لإنجاح مهمته ولكن ذلك لم يجز على حسني الزعيم بحكم ارتباطاته الخارجية بالولايات المتحدة وفرنسا بل استمر بالتضييق على حزب الشعب واستمر الحزب في "تقيته"، وفي مطلع شهر حزيران استدعى حسني الزعيم رشدي الكيخيا وأحمد قنبر وفيضي الأتاسي وأشبعهم تهديدا وشتائم ثم أطلق سراحهم متهما إياهم بأنهم اتصلوا بالمفوضيات الأجنبية في بيروت، ولكن هذا لم يمنع رشدي الكيخيا وناظم القدسي من زيارة حسني الزعيم في 20 حزيران وتهنئته عندما أصبح مشيرا ورئيسا للجمهورية اتقاء لشره.

2- الحزب الوطني : سار الحزب الوطني منذ البداية في ركاب حسني الزعيم فأصدر بتاريخ 1949/5/2 قرارا بالتعاون معه، متظاهرا بالتخلي عن شكري القوتلي، بل أعلن بعض قادته في اللاذقية لوفد من الصحافيين الاتراك، بعد تأييدهم للانقلاب، ان شكري القوتلي كان يضطهدهم وانهم كانوا معارضين لحكمه، ولكن هذا الحزب لم يقطع سرا ارتباطه بالنظام في العراق فظل قادته كالعسلي وميخائيل ليان، ونبيه العظمة وغيرهم على اتصال مع نوري السعيد، فقد كان الحزب الوطني يأمل أن يجني ثمار تعاونه مع حسني الزعيم، فإذا قضى عليه نوري السعيد تكون أبواب العهد الجديد

مفتوحة أمامهم أيضا، وقد تمكن صبري العسلي أن يوحي لحسني الزعيم بالثقة، وكان موعودا من قبله - كما ذكرت سابقا - برئاسة الوزارة التي كانت ستخلف وزارة محسن البرازي.

3- حزب البعث العربي : في مطلع شهر حزيران تقدم حزب البعث بمذكرة الى حسني الزعيم استهلها بالاشارة إلى تأييده الانقلاب وتنظيمه المظاهرات الشعبية في صبيحة اليوم الثاني للانقلاب ثم أوضح الحزب أن موقفه الايجابي كان مبنيا على الاسباب التالية:

"أولا: كان الحزب قد فقد آخر أمل بصلاح العهد الماضي بعد أن زور رؤساؤه الانتخابات ووصم العهد باللامشروعية.

ثانيا: أن تأييدنا للانقلاب كان أيضا بنتيجة اطمئناننا إلى التصريحات الأولى والبيانات التي صدرت عن قيادة الجيش السوري الباسل والتي كان طابعها الصريح القوي مبادئ الحرية والدستور والتقدمية والاشتراكية وهي أقرب ما تكون الى مبادئ البعث العربي.

ثالثا: لاطمئناننا الى ذلك العدد من ضباط الجيش الذين كانوا في طليعة الانقلاب والذين نعرف فيهم العقيدة القومية الصادقة وتقدير المسؤولية .

رابعا: لاقتناعنا بأن التفاف الشعب وهيآته القومية الواعية حول الانقلاب هو في كل الأحوال أضمن لسلامة الحدث الانقلاب ومنع الانقسام الداخلي والاستغلال الخارجي.

وهكذا كان حزب البعث أيضا أول الأحزاب الذي أتبع تأييده الفعلي بتأييد رسمي عبرت عنه المذكرة الأولى التي قدمها للزعيم مطالبا بتطهير الجهاز الحكومي ومحاكمة المسؤولين وإجراء انتخابات لإعادة الحياة الدستورية.

ولكن لا نكتمكم : أننا فوجئنا بعد ذلك بأعمال وتدابير جاءت مخالفة للتصريحات التي بدأ بها الانقلاب وهذا يظهر في الأمور التالية :

أولا : في التعيينات في وظائف الدولة الكبرى، ولا سيما الالتجاء الى أشخاص كانوا من أبرز دائم العهد الماضي الذي جاء الانقلاب ليمحوه.

ثانيا : في التسريحات التي لم تشمل الأشخاص الكبار المسؤولين.

ثالثا : في تشكيل حكومة مبنية على أساس تجاهل كل النزعات السياسية التي تحملها الأحزاب وهو الشيء الذي كانت تشكو منه البلاد في العهد الماضي.

رابعا : في إلغاء امتيازات الصحف، لا سيما صحف الأحزاب التي مثلت المعارضة في العهد الماضي.

وجرت مقابلة لفتنا فيها نظركم إلى جملة أشياء، منها عدم المشروعية في تأليف لجنة الدستور من موظفين وضرورة ترك ذلك للمجلس المقبل. كما أننا قدمنا لكم في مقابلة أخرى مذكرة عن اتفاقية التابلاين بعد أن فوجئنا بتصديقكم لاتفاقية النقد، وقد بينا لكم فيها من جهة الاجحاف الصارخ في شروطها ومن جهة أخرى ضرورة إبقاء أمر البت فيها إلى المجلس النيابي المقبل لأنه وحده صاحب الحق في ذلك.

وأحببنا أن نعرض عليكم في مقابلة جديدة وجهة نظرنا في أمرين أساسيين نعتبرهما من أسس النظام الديمقراطي الصحيح الذي جاء الانقلاب لاقامته، نعني قضية الدستور وقضية قسم الموظفين.

وفي هذه المقابلة التي تمت في مساء الأحد 15 أيار 1949 لم نكتمكم دهشتنا من التصريح الذي نشرته الصحف على لسانكم، والذي يعلن بأن النية متجهة لعرض الدستور الجديد على الاستفتاء الشعبي للمصادقة عليه، وقلنا آنئذ إن الدستور لا يجوز أن تضعه لجنة معينة من الموظفين، كما أن الشعب لا يمكن أن يصادق مباشرة على أمر خطير كهذا. ولا بد من انتخاب مجلس نيابي تأسيسي ينتخب انتخابا حرا يضع هو الدستور بملء الحرية ويكون للشعب وهيآته السياسية وصحفه الحرية التامة في مناقشة هذا الدستور وإبداء آرائها فيه، ويجوز بعد إقراره من قبل المجلس التأسيسي أن يعرض على الاستفتاء الشعبي.

ثم أبدينا في هذه المقابلة استغرابنا من صدور مرسوم اشتراعي يقضي بأن يؤدي الموظفون قسما يتعهدون فيه بعدم الانتماء في الحاضر

والمستقبل لأي حزب سياسي، وقلنا بأن هذا التدبير لا يوجد له مثيل في البلاد الديمقراطية.

ولقد خرجنا من هذه المقابلة بأثر طيب بعد أن استمعتم لملاحظاتنا وذكرتم بأنكم ستعيدون النظر في هذين الأمرين وتهتمون بهما بالغ الاهتمام.

لقد ألمعنا في مذكرتنا الأولى التي قدمناها لكم الى حقيقة لا يمكن نكرانها وهي أن الجيش بقيامه بالانقلاب كان أداة منفذة لرغبة قومية ولارادة عامة عند الشعب وأن الانقلاب لا يقدر له البقاء إلا اذا اعتبر دوما انه ثمرة هذه الارادة الشعبية وتلبية لها. والشعب لم يشعر بهذا التجاوب العميق مع حركة الجيش لمجرد أنها أقصت عن الحكم شخصا بالذات، بل لاعتقاده أنها ستقضي على سياسة ضارة كان العهد السابق ينفذها.

ومن أبرز السيئات الماضية خنقها للحريات في سبيل ستر الفضائح والارتكابات وبقصد التلاعب بمقدارات البلاد وبمصير العروبة وفق مصالح الاشخاص وأنانيتهم. واليوم لا يطمئن الشعب إلى أن تلك السياسة قد زالت نهائيا ما لم تضمن له الحرية التي تمكنه أن يراقب الأعمال ويقيس مدى انطباقها على الوعود والتصريحات ومدى انسجامها مع مصلحته وأهدافه القومية في الداخل والخارج.

ولهذا يرى حزب البعث العربي أن طريق الانقلاب الصحيح هو في تحقيق الخطوات الأتية :

أولا: تأليف حكومة من الأحزاب التي مثلت المعارضة في العهد السابق لأنها هي الأحزاب التي تمثل الشعب.

ثانيا: اعادة الحرية كاملة ولا سيما لتلك الأحزاب وصحفها.

ثالثا: ثم الشروع في اجراء انتخابات لا أثر فيها للتدخل أو الضغط، ووضع دستور بالطرق المشروعة من قبل المجلس المنتخب أو الابقاء على الدستور القديم وتعديله وانتخاب رئيس الجمهورية من قبل المجلس أيضا.

ويعتبر حزبنا أنه يقدم للبلاد خير خدمة إذا هو استطاع أن يحفظ للشعب ثقته بالانقلاب بما يؤهله لمثل هذه الثقة.

عميد حزب البعث العربي: ميشيل عفلق.

وفيما يتعلق بهذا البيان يقول جلال السيد في كتابه "حزب البعث العربي متحدثا عن نفسه بصيغة الغائب كما هو أسلوبه في هذا الكتاب[1] .

"واعترض معترض في القيادة على البيان وشرح أوجه الاعتراض وبين مواطن الشدة وحذر من أن مثل هذا البيان لا يصلح إطلاقا لأن يوجه الى دكتاتور يشعر بأن الأرض تميد من تحته، وقال ان النتيجة الحتمية لمثل هذا المنشور هي اعتقال اعضاء اللجنة التنفيذية مع أكبر عدد من الاعضاء الحزبيين. وأن اعتقال القيادة في هذا الظرف قد يعرض الحزب الى التبعثر والتحطم وهو بعد لم يركز أقدامه في الأرض".

على اثر تقديم هذا البيان وتوزيع نسخ محدودة منه سرا على الناس قام حسني الزعيم باعتقال قيادة البعث وكانت مؤلفة من ميشيل عفلق وصلاح البيطار ووهيب الغانم وجلال السيد بالإضافة إلى بعض شباب البعث.

لم أعلم بصدور هذا البيان إلا عندما استدعاني حسني الزعيم بشكل مفاجئ الى وزارة الدفاع حيث بادرني بقوله :

إن عوض التركاوي قد وزع منشورات ضدي .. قلت له :

أي منشورات هذه التي تتحدث عنها؟ قال :

هل يمكن أن يوزع عوض التركاوي منشورات دون معرفتك؟ إنه يقول إن المحامي أحمد سلطان هو الذي كلفه بتوزيعها فهل يعقل أن يكلفه أحمد سلطان بهذه المهمة؟ قلت له :

لا إن أحمد سلطان أبعد الناس عن القيام بمثل هذه الأمور :

ثم استطردت قائلا: هل أنت جاد فيما تقول!

قال: كل الجد وإذا شئت فاسأل أديب الشيشكلي مدير الشرطة..

(1) حزب البعث العربي - جلال السيد- الطبعة الأولى - دار النهار بيروت - ص 60.

عرفت بعد ذلك من أديب الشيشكلي أن الدكتور فيصل الركبي هو الذي كلف عوض التركاوي بتوزيع نسخ تلك المذكرة التي تم توزيعها سرا والتي كانت سببا في إثارة غضب حسني الزعيم ونقمته، وكان الدكتور فيصل عضوا في حزب البعث.

بعد ذلك نقل لي شباب حزب البعث أخبارا عن تعذيب البعثيين في السجن فطلبت موعدا من حسني الزعيم واجتمعت به في مكتبه حيث حذرته من مغبة تعذيب ميشيل عفلق ورفاقه وقلت له :

ان جسم ميشيل عفلق لا يحتمل التعذيب وربما أودى ذلك بحياته فتكون قد سجلت على نفسك جريمة شنيعة وطالبته بإخلاء سبيل الاستاذ ميشيل عفلق ورفاقه.

قال لي حسني الزعيم :

إن عفلق قد إلي استقالته من حزب البعث وأعلن اعتزاله العمل السياسي وقد قدم لي كتابا بخط يده وممهورا بتوقيعه، قلت له :

إن هذا الكتاب الذي انتزع منه تحت التعذيب هو وثيقة عليك لا على ميشيل عفلق وهنا استدعى الزعيم ابراهيم الحسيني رئيس مخابرات الجيش، وسأله أمامي عن كتاب ميشيل عفلق وهل كتبه تحت التعذيب فأقسم الحسيني بأولاده أنه لم يعذب عفلق على الاطلاق، وقال لي حسني الزعيم :

غدا ستقرأ في الصحف كتاب ميشيل عفلق الذي سننشره بالزنكوغراف بخط يده، وفي يوم 49/6/13 نشرت الصحف صورة الكتاب وهذا نصه:

"سيدي دولة الزعيم

إن هذه التجربة الأخيرة القاسية قد علمتني أشياء ونبهتني إلى أخطاء كثيرة، لقد انتهيت إلى أننا -بحكم العادة- بقينا نستعمل اسلوبا لم يعد يصلح في عهد الانشاء والعمل الايجابي، والحق اننا في قلوبنا وعقولنا أردنا هذا الانقلاب منذ الساعة الأولى ولا نزال نريده ونعتبر أن واجبنا هو في

خدمته وتأييده، ولكن الاسلوب الذي اعتدناه طيلة سنين عديدة من المعارضة للانتداب والعهد السابق هو الذي بقيت آثاره في كتاباتنا وبعض تصرفاتنا، وهو الذي أخفى عنكم يا دولة الزعيم حقيقتنا وأظهرنا بمظهر المعارض لعهد وضعنا فيه كل آمالنا وصممنا على خدمته بتفان وإخلاص.

سيدي دولة الزعيم :

إنني قانع كل القناعة بأن هذا العهد الذي ترعونه وتنشئونه يمثل أعظم الآمال وامكانيات التقدم والمجد لبلادنا. فإذا شئتم فسنكون في عداد الجنود البنائين. وإذا رغبتم في أن نلزم حدود الصمت فنحن مستعدون لذلك.

إن هذه المجموعة من الشباب التي يضمها البعث العربي قد عملت كثيرا في الماضي لتكون قدوة في النزاهة والوطنية الصادقة، وأن ماضيها ليشفع لها عندكم يا سيدي لكي تقدروا ما ظهر منها من تسرع بريء. وإن وراء مظهرها النزق نفوسا صافية ومؤهلات ثمينة للخدمة العامة ما أجدر عهدكم أن يفسح لها مجال التفتح والانتاج. أما أنا يا سيدي الزعيم فقد اخترت أن أنسحب نهائيا من كل عمل سياسي بعد أن انتبهت بمناسبة سجني الى أخطاء في أورثتني إياها سنوات طويلة من النضال القومي ضد الاستعمار والعهد السابق. وأعتقد أن مهمتي قد انتهت، وأن اسلوبي لم يعد يصلح لعهد جديد. وأن بلادي لن تجد من عملي السياسي أي نفع بعد اليوم.

سيدي دولة الزعيم

أنتم اليوم بمكان الأب لأبناء البلاد، ولا يمكن أن تحملوا حقدا لأبنائكم. ولقد كان لنا في هذه التجربة تنبيه كاف ومفيد، فاتركوا لنا المجال كي نصحح خطأنا ونقدم لكم البراهين على ولائنا..

ميشيل عفلق

وفي 1949/6/14 تم الافراج عن ميشيل عفلق، ثم بعد ذلك تم الافراج عن المعتقلين الآخرين من الحزب.

أحدث نشر الكتاب ضجة كبرى في أوساط حزب البعث. وكان الشباب بحالة نفسية يرثى لها من الألم والضياع. وقد دعوني لحضور اجتماع ضم بعضهم في منزل قريب من مقهى الهافانا، وطلبوا مني الرأي بصدد ما يجب أن يفعلوه وهم بحالة من

اليأس والهياج، فهدأت من روعهم ولم يكن لدي في ذلك الوقت أي اقتراح، لكنني قدرت أن الحزب سيتعرض لأزمة عنيفة لأن الناس كانوا يقارنون بين موقف ميشيل عفلق وبين موقف فيصل العسلي بالرغم مما تعرض له من تعذيب، وهي مقارنة غير عادلة لأن حسني الزعيم لم يكن حريصا على مثل هذا الكتاب من فيصل العسلي ولم يكن في نيته الافراج عنه فإن بين العسلي وحسني الزعيم عداوة لا يمكن أن يمحوها مثل هذا الكتاب.

ويتحدث جلال السيد أحد أعضاء اللجنة التنفيذية للبعث وكان معتقلا عن قضية تعذيب عفلق بما يلي :

لا شك في أن هناك مؤثرات عملت في نفس السيد عفلق أخرجت هذه الرسالة الى حيز الوجود. والمؤثرات تختلف من انسان إلى انسان آخر، فبعض الحوادث تؤثر في شخص ولا تؤثر في آخر. ونحن عندما نستعرض هذه المؤثرات فلا نستعرضها من وجهة نظر السيد عفلق.

1- صدمة لم يكن يتوقعها من الاهانات والازدراء وحلق الشعر والحبس المنفرد.
2- حرمان من التدخين وكل وسائل التخفيف عن السجين.
3- حرب اعصاب مستمرة وارهاق ومنع للنوم بدخول جمعي عسكري مفاجئ خلال الليالي بقصد الاخلال بالراحة الى الزنزانات.
4- اطلاق الاشاعات والتحذيرات من قبل ضباط كانوا يعتبرون اصدقاء للحزب ويسمح لهم بلقاء القيادة في السجن. وقد تصل التحذيرات الى حد نية المتسلط القيام باعدام عدد كبير من الحزبيين.
5- شاهد السيد عفلق اثناء مروره في الباحه عضوا حزبيا صغيرا في الزنزانه فاعتبر أن كل اعضاء الحزب هم قيد الاعتقال.
6- في لقاء بين اعضاء القيادة في السجن وجهنا الى السيد عفلق وعلى سبيل المداعبة التهنئة بهذه النتيجة. وكان يعتبر نفسه المسؤول عن صياغة المنشور وعن الاصرار على اقراره كما ورد. وكان "المغص" النفسي باديا عليه حينما واجهناه بهذه المداعبة.

كل هذه المؤثرات جعلته، كما يقول، مضطرا الى تحرير الرسالة المذكورة ينقذ بها الحزب والحزبيين من المصير الاسود وكأنما هو قد جعل

نفسه الضحية والقربان في سبيل الحزب. ولقد جرت محاولات مع قادة الحزب لاستكتابهم مثل هذه الرسالة ولكن المحاولات لم تنجح[2]

وبعد أن يتعرض جلال السيد الى انعكاسات رسالة عفلق بين أعضاء الحزب يصدر هذا الحكم على ميشيل عفلق، ولكن في معزل -كما يقول- عن الضجة التي ثارت حول الرسالة، وفي منحى عن المشاعر الثائرة والانفعالات العاطفية التي ملأت الجو يومذاك في أوساط الحزب :

"إن في الرسالة ضعفا في المناعة وقلة في المقاومة، وإن فيها ضجرا ووساوس وأوهاما ضخمت القضايا الصغيرة فجعلتها قضايا كبرى ويمكن تلخيص ذلك بالقول :

إن الرسالة نمت عن مزاج عاطفي وبنيان رخو"[3]

(2) المصدر السابق، ص 62.
(3) المصدر السابق، ص 65.

1949: حسني الزعيم والاحلاف

كانت الاستراتيجية الاميركية السياسية والعسكرية، في تلك الحقبة، تهدف الى عزل الاتحاد السوفياتي عن العالم بتطويقه بالاحلاف ومحاصرته بالقواعد العسكرية. ولذا كانت منطقة الشرق الاوسط التي تقع على تخوم الاتحاد السوفيتي والتي هي صلة الوصل بين الشرق والغرب، ونظرا لما يحتويه باطنها من ثروات بترولية تعادل ثلثي احتياطي البترول في العالم من اكثر مناطق العالم أهمية بالنسبة للولايات المتحدة وبريطانيا خاصة والغرب عامة.

ولم يكن يحول دون تحقيق مطامع وأغراض الولايات المتحدة الاستعمارية واستراتيجيتها السياسية والعسكرية سوى التغلب على مشكلتين مزمنتين على حساب المصلحة العربية.

اولاهما: الصراع العربي الاسرائيلي وقضية فلسطين

والثانية: الخلاف السوري التركي حول لواء اسكندرون.

فكان على الولايات أن تزيل اسباب الخلاف بين سورية وتركية، وان ترغم سورية خاصة والبلاد العربية عامة على التسليم بالأمر الواقع والصلح مع اسرائيل، وحل قضية اللاجئين الفلسطينين بالمفاوضة لتوطينهم في البلاد العربية واقامة صلح وتعايش دائم بين العرب واسرائيل... ولذلك عمدت امريكا، بعد عقد اتفاقيات الهدنة بواسطة هيئة الامم المتحدة، الى تشكيل لجنة التوفيق الدولية، التي وجهت المفاوضات فيها بين العرب واسرائيل الى موضوع توطين اللاجئين. وبدأت الأجهزة السياسية والاعلامية الاميركية الضخمة تبذل جهودها لاقناع العرب بجميع المغريات بأن الخطر الداهم على البلاد ليس اسرائيل والحركة الصهيونية والمطامع الاستعمارية الغربية بل الشيوعية الدولية والاتحاد السوفياتي لتصرف أنظار العرب عن الخطر الحقيقي الاستعماري الغربي والصهيوني الى خطر موهوم آنذاك هو خطر الشيوعية والاتحاد السوفياتي.

وقد عولت امريكا كثيرا على نجاح انقلاب حسني الزعيم [1] في تحقيق استراتيجيتها هذه . ففي الوقت الذي صرح وزير امريكا المفوض بدمشق لصحيفة "الاتحاد" البيروتية، في يوم 3 تموز 1949 بأنه "يجب اعتبار الانقلاب السوري وقيام رجل مثل حسني

(1) بعد عشرين عاما من انقلاب الزعيم اي في سنة 1968 نشر مايلز كوبلاند الذي كان نائب القنصل الاميركي في سوريا بين عامي 1947 و1949، ثم عاد لواشنطن وساعد في تنظيم وكالة المخابرات المركزية الاميركية، وقد قضى القسم الاعظم من حياته العملية في منطقة الشرق الاوسط، كتابا بعنوان "لعبة الامم" قال فيه (ص 73).
"كان انقلاب حسني الزعيم الذي كان رئيسا لأركان الجيش السوري من اعدادنا وتخطيطنا فقد قام فريق العمل السياسي بادارة الميجر ميد بإنشاء علاقات صداقة منتظمة مع حسني الزعيم الذي كان رئيسا لاركان الجيش السوري. ومن خلال هذه الصداقة اوحى الميجر ميد لحسني الزعيم بفكرة القيام بانقلاب عسكري واضطلعنا نحن في السفارة بمهمة وضع كامل خطته واثبات كافة التفصيلات المعقدة، الا ان تحركاتنا هذه لم تثر اكثر من شكوك عند الساسة السوريين، فقد كانت كلها سرية ومتقنة الوضع والتخطيط وأثارت هذه الشكوك فيما بعد فضول رجال الصحافة الغربيين وفئات من الطلبة فقاموا باجراء مقابلات مع من كان لهم ضلع في العملية، كما قاموا بفحص الوثائق التي لها صلة بالموضوع، وكانت نتيجة ذلك ان اعترفوا بصحة شكوك الساسة السوريين ودقتها، سوى ان الانقلاب حافظ على صبغة سورية محضة امام انظار العالم الخارجي الى ان بدأت الروائح تفوح منه وأخذت الالسن تتناقل أن حسني الزعيم ليس أكثر من مجرد صبي من صبيان الاميركان".
وفي عام 1992 وبعد عشرين عاما من صدور كتاب مايلز كوبلند، "لعبة الأمم" صدرت في الولايات المتحدة دراسة للسيد جوناثان اوين وهو دبلوماسي كبير قضى عدة سنوات في سوريا حيث كان ملحقا ثقافيا فيها، بالاضافة الى سنوات عديدة قضاها بين عمله في السودان والسعودية والاردن، موضوعها: "اكرم الحوراني: دراسة حول السياسة السورية 1943-1954
akaram al-hourani a study of syrian politics , 1943-1954. by jonatan. p. owen.
a dissertation submitted to the johns horkins
university, in conformity with requirements for the degree of doctor of philosophy. 1992.

يقول السيد جوناتان اوين في دراسته: (ص 69-70)
" لقد تأكد حديثا بعد السماح بنشر بعض الوثائق السرية تورط الولايات المتحدة بأول انقلاب عسكري في العالم العربي، وكان قد أشيع ولمدة سنوات بأنها ساندت انقلاب حسني الزعيم، كما كان مايلز كوبلند عضو المخابرات المركزية السابق قد ذكر في كتابه لعبة الامم المساعدة الاميركية لحسني الزعيم، ولكن روايته لم تؤخذ على محمل الجد، واستنادا لما كتبه فان سورية كانت على حافة اضطراب سياسي عنيف بينما كانت حكومة الكتلة الوطنية عمياء عنه، ورأى السفير الاميركي في سورية ان الاوضاع ستأخذ احد مجريين غير مرغوب بأي منهما، وعنى بذلك اما احتمال قيام الانتهازيين قريبا، مع مساعدة السوفيت بانتفاضة دموية، أو أن يسيطر الجيش على السلطة بمساعدة الاميركيين السرية للمحافظة على الأمن والنظام لحين احداث ثورة سلمية.
وهكذا شرعت المفوضية الاميركية بالقيام بعملية هدفها تشجيع الجيش السوري على القيام بانقلاب من أجل الحفاظ على سورية من الاختراق السوفيتي وجلبها الى طاولة السلام مع اسرائيل، ولم يكن حسني الزعيم الخيار الاول لفريق العمل السياسي الاميركي المشرف على العملية ولكنه أصبح هدفها لأنه لم يكن هنالك الكثير مما يمكن عمله.
وقد رأى فيه الاميركيون نواحي ايجابية عديدة، فقد كانت له مواقف شديدة العداء للاتحاد السوفيتي وكان يرغب في الحصول على مساعدة عسكرية اميركية بالاضافة لكونه مستعدا لعمل بناء بخصوص المشكلة العربية الاسرائيلية. واستنادا للوثائق السرية التي سمح بنشرها التقى حسني الزعيم عدة مرات مع مسؤول بالسفارة الاميركية للنقاش حول الانقلاب، وقد بدأت هذه اللقاءات أواخر عام 1948 وفي شهر آذار من عام 1949 تقدم الزعيم بطلب المساعدة من الاميركيين للقيام بانقلابه"

الزعيم على رأسه، وانتخابه رئيسا للجمهورية، كل هذا يشكل اكبر حدث سياسي في الشرق الاوسط وسيكون له شأن عظيم في تحسين اوضاع الدول العربية الاخرى، والزعيم شخصية مدهشة في هذا الشرق الاوسط، وقد يلعب دورا اصلاحيا عالميا... ان الولايات المتحدة التي دعمت الزعيم منذ ان قام بانقلابه وما زالت تسانده الى اليوم مصرة على المضي في مساندته الى النهاية، ولا سيما بعد ان اقر مشروع التابلاين".

في هذا الوقت بالذات صرح ناطق بلسان لجنة التوفيق الدولية في المباحثات السلمية بين العرب والهيود في لوزان بسويسرا قائلا:

"ان مؤتمر لوزان يتوقف نجاحه او فشله على اجتماع اللجنة السياسية التابعة لجامعة الدول العربية في الاسكندرية.. ولجنة التوفيق تنتظر الان جوابا من العرب على العرض الذي تقدمت به اسرائيل لاعادة قسم من اللاجئين شرط اسكان الباقين في الدول العربية المجاورة، ولم تحدد اسرائيل العدد الذي توافق على ادخاله، لكن فهم انها لا تريد ان يزيد عدد الاقلية العربية في الدولة اليهودية عن 260 الفا، ولما كان في اسرائيل اليوم 150 الف عربي فان العدد الذي يوافق اليهود على ادخاله لن يزيد كثيرا عن مائة الف. ولا يزال العرب مصرين على اعتبار هذا العدد قليلا جدا، وقد أعلنوا عدم ارتياحهم الى مشروع المساعدات الاقتصادية الذي وعدت به الولايات المتحدة، هذا المشروع الذي فهم انه يمنح قروضا للدول العربية واسرائيل من بنك الاستيراد والتصدير الاميركي، على أن تشرف على انفاق الاموال الاميركية لجنة دولية مرتبطة بالامم المتحدة".

كما صرحت بعض المصادر الاميركية المسؤولة آنذاك:

"ان الولايات المتحدة تصر على تشكيل هذه اللجنة لأنها غير متأكدة من ان الدول العربية ستنفق المساعدات الاميركية لتحسين احوال البلاد الاقتصادية"

ويقصد بذلك توطين اللاجئين، وقد شكلت هذه اللجنة فعلا وعرفت باسم لجنة كلاب.

وفي 9 آب 1949 اذاعت وكالة اسوشيتدبرس تصريحا للمشير حسني الزعيم يلخص فيه السياسة الاميركية ادق تلخيص ويوافق عليها دون اي

تحفظ اذ يقول فيه انه يرغب في انشاء ميثاق شبيه بميثاق الاطلنطي في الشرق الاوسط شريطة ان تتعهد الولايات المتحدة بتقديم المساعدة الاقتصادية والعسكرية.. وقال انه يحمل لواء الدعوة لانشاء كتلة اقليمية تقف في وجه الشيوعية وان مثل هذا الميثاق سيكون خط الدفاع الثاني للولايات المتحدة، وصرح بأن سوريا ستتعهد بأن لا تستخدم اي اسلحة تزودها بها الولايات المتحدة بمقتضى الميثاق في محاربة اسرائيل. ولكن ان سوريا ترغب في ان تضغط الولايات المتحدة على اسرائيل في مفاوضات لوزان للوصول الى حل نهائي لمشكلة فلسطين، وأشار الى أنه طلب الى كل من امريكا وفرنسا وتركيا تزويد سوريا بالمستشارين العسكريين وان سوريا اخذت توفد بعثات من الضباط الى هذه البلدان والى بريطانيا لدراسة الفنون العسكرية.

وفي 11 آب نشرت الصحف السورية ما يلي: "استقبل دولة الدكتور محسن البرازي مستر هاريسون القائم بأعمال المفوضية الاميركية بدمشق، واستغرق اجتماعهما ساعة كاملة، علم على أثرها ان البحث دار حول المباحثات السورية الاميركية والمساعدات الاميركية التي ستصيب سوريا من مشروع ترومان القاضي بمساعدة البلدان المتأخرة اقتصاديا وفنيا في الشرق الاوسط".

وقد نقلت جريدة النهار بتاريخ 19 تموز، تحليلا بجريدة الاهرام عن تطور الاوضاع في سوريا جاء فيه:

"تنظر امريكا الى الأمور في سوريا نظرة تغاير كلا من فرنسا وبريطانيا. ذلك انها ترى ان سوريا هي مؤخرة الجيش التركي يحتمي بها اذا داهمه العدوان الروسي. ولذلك فهي تسعى الى حماية هذه المؤخرة حتى لا يتسرب الروس الى الشرق العربي، وترى ان السبيل لتحقيق هذه الغاية هو القيام بعمل ايجابي مشترك لتصفية الأمور المعلقة بين سوريا وتركيا. وقد نجحت المحاولات الاميركية بالفعل فما من يوم يمر دون ان يزور سوريا احد الصحفيين الاتراك ليوافي صحيفته بمزايا العهد الجديد في سوريا والاشادة بمآثره مما دعا الزعيم للادلاء بتصريح هام للصحف التركية قال فيه: "ان سوريا على استعداد لمد يدها لتركيا وعقد المعاهدات معها، وانني على يقين بأن تركيا هي الدولة الوحيدة التي يمكنها في الشرق ان تقف في وجه كل توسع،

وستكون القوات السورية هي القوات الاولى بين قوات الدول العربية التي تتقدم لمساعدة تركيا في حالة وقوع حرب عليها".

وتابعت الاهرام تحليلها قائلة:

وكان من المعروف ان لواء الاسكندرون هو العقبة التي تقف في سبيل التقارب بين سوريا وتركيا. وان رجال العهد الماضي كانوا يرون ضرورة اعادة هذا اللواء المسلوب. حتى ان المرحوم السيد سعد الله الجابري قد أثار هذا الموضوع في احدى جلسات مجلس الجامعة، ووعد بتقديم مذكرة ضافية ليناقشها اعضاء المجلس، غير ان المنية عاجلته قبل الفراغ من تقديم مذكرته، أما الان فقد صرح الزعيم **"بان قضية لواء الاسكندرون اصبحت قضية منتهية. وان بقاء هذه المنطقة في ايدي الاتراك او اعادتها الى سوريا امر ثانوي ما دام الشعبان على اتم اتفاق وما دامت مصالحهما واحدة"** وهذا التصريح الذي ادلى به الزعيم وايدته السلطات الحكومية التركية كان حجر الزاوية في تحسين العلاقات السورية التركية.

وقد اغتبطت به امريكا ورأت ان تكافيء سوريا على هذه الخطوة بادخالها ضمن الدول التي تستفيد من مشروع مارشال، ولكن انكلترا اشارت بأن يستعاض عن ذلك بحلف بين الدول الشرقية تتعهده امريكا بتقديم المساعدات الحربية والمعدات العسكرية".

وتنفيذا لهذه الخطة شرع حسني الزعيم بطلب استقدام عسكريين أتراك لتدريب الجيش السوري فقد نشرت صحيفة النصر الدمشقية في 49/7/11 نقلا عن وكالات الانباء في اسطنبول تصريحا للسيد نجم الدين صادق وزير الخارجية التركية جاء فيه:

"ان الرئيس حسني الزعيم لم يترك فرصة الا وانتهزها ليعبر عن اصدق شعور الود نحو تركيا". وأضاف يقول" ان سوريا تود ايفاد عدد من الضباط الى تركيا للدراسة في الكلية الحربية وطلبت ايضا ان توفد تركيا اليها مدربين عسكريين في أقرب وقت". واستطرد يقول: "وتلبية لهذه الطلبات فسيسافر الجنرال كاظم اورباي الرئيس السابق لهيئة اركان حرب الجيش التركي قاصدا سوريا للبحث في هذه المسائل" .. وتناول مسألة تحقيق فكرة قيام كتلة اسلامية او اتحاد بين جميع الدول الاسلامية فقال "اننا نؤمن على الدوام بأنه يمكن انشاء اتحادات دولية ويجب ان تنشأ على أساس المنفعة المتبادلة

والمصلحة المشتركة" ثم قال: "اذا اقيم اتحاد كهذا بين الامة الاسلامية فسوف لا يسع تركيا الا أن تغتبط به اذ تقدم معونة تامة في هذا السبيل".

"والرأي الغالب في اسطنبول هو ان الغرب الذي تعتمد عليه تركيا في المساعدة والصداقة والسلامة لن يشعر بالأمن الا اذا توافرت السلامة في الشرق الأوسط ولهذا فاذا عمدت تركيا التي يرى فيها الغرب أكبر معقل الى التعاون الوثيق مع أي اتحاد من اقطار الشرق الأوسط أصبحت أقوى حصون الغرب وقلاعه.

□

لم تكن بريطانيا والولايات المتحدة مختلفين على الاهداف الاستراتيجية العسكرية والسياسية وانما كان اختلافهما على نفوذهما في المنطقة العربية ولصالح من ستكون تلك الاهداف.

وإذا كانت بريطانيا قد تراجعت أمام الولايات المتحدة في معظم مواقعها في العالم فانها لن تتراجع بسهولة أمامها في المنطقة العربية، نظرا لمصالحها البترولية مما يؤثر مباشرة على مستوى معيشة الشعب البريطاني، وهذا ما يفسر صراعهما وتناقض مواقفهما من مشاريع الاتحاد والاحلاف وعمل كل منهما على دعم نفوذه في سورية بواسطة الانقلابات العسكرية، وقد رأينا كيف ان بريطانيا قامت بحملاتها الاعلامية وضغوطها السياسية على حكم حسني الزعيم بواسطة الأردن والعراق ولكن هذه العاصفة السياسية والاعلامية سكنت بعد عقد حسني الزعيم اتفاقية الانكلو ايرانيان ثم بدأت المخابرات البريطانية (الانتلجنس سرفيس) بالاشتراك مع الحكومة العراقية بالعمل على انقلاب يطيح بحكومة حسني الزعيم وهذا ما فعلته بريطانيا مرة أخرى مع أديب الشيشكلي بعد تدشين خط كركوك بانياس وتسليم رئيس الدولة فوزي سلو المفتاح الذهبي للمشروع مما سيرد في حينه.

55

1949: الوضع الدستوري والأداة الحكومية لنظام حسني الزعيم والتشريعات التي صدرت في عهده.

بعد مرور شهر واحد على الانقلاب وفي 1949/6/6 أذاعت حكومة حسني الزعيم مرسوما اشتراعيا يقضي بدعوة الشعب الى استفتاء [1] يجيب فيه المواطنون على الاسئلة التالية:

1- أتقبل ان ينتخب رئيس الجمهورية، لأول مرة، من الشعب، على ان تحدد مدة الرئاسة في الدستور؟

2- اذا كان الجواب ايجابيا فمن تنتخب للرئاسة؟

3- أتقبل تخويل رئيس الجمهورية وضع دستور جديد بمرسوم تشريعي؟

4- أتريد أن يصدق الدستور الجديد من الشعب مباشرة؟

5- أم تريد أن يصدق الدستور من قبل مجلس النواب.

وقد حدد المرسوم يوم 25 حزيران موعدا لهذا الاستفتاء، فدأبت وسائل الاعلام في الصحف والمجلات والاذاعة، منذ اليوم التالي على نشر الأحاديث عن أخلاق حسني الزعيم ومناقبه "وشخصيته المثالية"، وامتداح والد الزعيم وبطولاته التاريخية.

وفي 20 حزيران أذاع حسني الزعيم بيانا أعلن فيه ترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية قال فيه:

"لقد أفسحت مجال الترشيح لجميع المواطنين وكنت أتمنى أن يتقدم للرئاسة العليا من شاء ممن حاز المؤهلات، وقد ظللت أنتظر حتى ربع الساعة الأخير من الوقت الضروري للترشيح، وإذ لم أر أحدا ندب نفسه لمهام الرئاسة، وجدت من الواجب أن ألبي

(1) يعلق عادل أرسلان في مذكراته بأسلوبه الطريف الساخر على ذلك فيقول:
محسن بك البرازي مفتي الجمهورية أفتى بأنه يجوز انتخاب رئيس الجمهورية باستفتاء شعبي قبل سن الدستور واعلانه، وان انتخاب النواب يكون بعد ذلك، فهو الان مفتي الانقلاب ومجتهده الاكبر وله فيه اكثر من مذاهب أربعة، فرئاسة الجمهورية تكون تارة بانتخاب النواب، وطورا بمضبطة تنظم في ناد أو في منزل دون قرار من مجلس النواب، وآونه باشراف الشرطة والدرك، وبالدرك يدرك كل شيء. (ص 843) من المذكرات المطبوعة.

رغبة الشعب التي أعرب عنها بحصر مجال الترشيح بشخصي على هذا الشكل الاجماعي.

وأظن ان القارىء العربي، بعد أن خبر مثل هذه التمثيلية عدة مرات بعد ذلك يعرف بقيتها.

فقد أعلن في 26 حزيران ان نسبة الذين انتخبوا حسني الزعيم رئيسا للجمهورية بلغت 99.53 بالمائة من مجموع المقترعين، أما نسبة الذين اقترعوا على الاسئلة الخمسة فقد بلغت 88.9 بالمائة من مجموع عدد الناخبين.

وفي اليوم ذاته رقى حسني الزعيم نفسه الى رتبة مشير "لأن قانون الجيش الذي وضعه حسني الزعيم يقضي بأن يحمل رئيس الجمهورية أعلى رتبة عسكرية".

وفي اليوم ذاته أيضا استقالت الحكومة السابقة وكلف حسني الزعيم الدكتور محسن البرازي بتشكيل حكومة جديدة، وكان البرازي قد استقبل في دمشق استقبالا حافلا عندما وصل إليها قبل ذلك بأسبوع، عائدا من القاهرة بصفته وزير سوريا المفوض في مصر والسعودية.

ومن الجدير بالذكر ان حكم الزعيم ثابر على ادعائه الغيرة والحرص على الحياة الديمقراطية والدستورية وحماية الحريات في كل ما صدر عنه من بلاغات بصدد الترتيبات الجديدة التي تقضي قضاء مبرما على معالم الديمقراطية والاصول الدستورية، سواء في مرسوم الدعوة للاستفتاء او في ترشيح نفسه للرئاسة أو في البلاغات الخاصة بنتائج الاستفتاء، أو في ما صدر عن الانقلاب من قوانين وأنظمة وأفعال، وهذه النغمة، نغمة الحرص على الديموقراطية وردت أيضا في نص كتاب الزعيم الى محسن البرازي بتشكيل الوزارة.

"عزيزي صاحب المعالي الدكتور محسن البرازي

يطيب لي بعد ان أولاني الشعب السوري الكريم الشرف العظيم بانتخابي رئيسا للجمهورية ان اشد أزري بحكومة تستطيع بما تستجمع من

مؤهلات النهوض برسالة العهد الانقلابي الجديد من خدمة الدولة بحزم وتجرد وكفاية، والحفاظ على سلامة البلاد وسيادتها، وأن تعد للبلاد دستورا يقوم على مبادىء الديمقراطية الصحيحة التي تكفل في آن واحد حرمة الحريات العامة وانقاذ سلطان الدولة وصيانة هيبة الحكم.. ولقد رأيت لما عرفته من صادق وطنيتكم وما خبرته لديكم من مؤهلات لخدمة الصالح العام أن أعهد اليكم تأليف الوزارة في مستهل هذا العهد".

وقد أجاب البرازي بكتاب يقول فيه:

"سأسير في سياسة الدولة مسترشدا بكم في النهج الذي يكفل في آن واحد خدمة الحريات العامة ونفاذ سلطان الدولة وصيانة هيبة الحكم".

وشكل الحكومة على النحو التالي:

الدكتور محسن البرازي	للرئاسة والداخلية والخارجية
الامير مصطفى الشهابي	لوزارة العدلية
خليل مردم بك	لوزارتي المعارف والصحة
حسن جبارة	لوزارتي المالية والاقتصاد
نوري الاييش	لوزارة الزراعة
فتح الله صقال	لوزارة الاشغال العامة
اللواء عبد الله عطفة	لوزارة الدفاع

أما الأمير عادل أرسلان فقد عين في مطلع شهر آب وزيرا مفوضا في تركية، وقد أطلق حسني الزعيم سراح معظم الموقوفين السياسيين، وسمح لشكري القوتلي أن يغادر البلاد في 1949/6/27 فسافر مع أفراد عائلته الى سويسرا.

□

وفي 6 تموز صدر مرسوم بتعيين اللجنة المكلفة بوضع الدستور، برئاسة الدكتور محسن البرازي، وعضوية شاكر الحنبلي، صبري العسلي، أسعد الكوراني، نهاد القاسم، ليون زمريا، تساعدهم هيئة من الموظفين مؤلفة من الدكتور خالد

شاتيلا والدكتور أنور حاتم والدكتور صلاح الدين الطرزي... ونص المرسوم على امكانية الاستفادة من كبار الخبراء في الحقوق الدستورية من رجال البلاد العربية، وكانت الصحف تنشر بين الحين والاخر أنباء عن اجتماعات لجنة الدستور.

وفي 23 تموز أنعم الزعيم على رئيس وزرائه وعلى الملحقين الاميركيين بأوسمة رفيعة علقها على صدورهم في حفلة وصفتها الصحف بأنه تجلت فيها الصداقة الاميركية السورية.

الناحية الايجابية في انقلاب حسني الزعيم والتشريعات التي صدرت في عهده

في مقابل الصورة القاتمة لعهد حسني الزعيم فقد قدم للتشريع السوري خدمة كان من الصعب تحقيقها في الظروف السابقة، فقد أصدر قانون حل الاوقاف الذرية التي كان أصحاب المصالح من النواب يحولون دون تصديقه من المجلس النيابي واصداره بالرغم من كل الجهود التي بذلت في هذا السبيل.

ان حل الأوقاف الذرية أمر هام وفيه مصلحة اجتماعية واقتصادية كبيرة ولهذا كان من البنود الاصلاحية في برنامج حزب الشباب، وقد استغل الاقطاعيون ورجال الدين هذا البند استغلالا كبيرا واتخذوا منه دليلا على كفرنا والحادنا ومروقنا من الدين خلال انتخابات عام 1947، ثم ظهر ان هذا القانون قد حل كثيرا من المشاكل العائلية والزراعية والاقتصادية والعقارية في المدن والارياف.

لقد كان تكفيرنا بناء على حديث ضعيف المستند هو ان عمر سأل الرسول قائلا:

انني أصبت أرضا بيثرب فماذا أفعل بها؟ قال الرسول:

أن شئت أوقفها على آل عمر.

مـن هـذا تتبـين عقليـة بعـض الفئـات الدينيـة المتحجـرة المتشـبثة بـالحرف مـع ان القاعـدة الفقهيـة تقـول: "بـأن الاحكـام تتطور بتطور الأزمان".

كما صدر في عهد حسـني الزعيم، القانون المدني، وقـانون العقوبات، وقانون التجارة، وقانون الاحوال الشخصية وما كان لبعض هذه القوانين الهامة أن يرى النور بسهولة فأصبح القـانون المـدني مثلا بديلا عـن "مجلـة الاحكـام العدليـة" التـي ورثناهـا عـن العهـد العثماني، والتي لم تعد أحكامها تتلاءم مع تطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية في البلاد كما ذكرنا آنفا.

كان أسعد الكـوراني مـديرا عامـا لـوزراة العـدل قبـل انقـلاب حسـني الزعيم، ولقـد سـاعدنا كثيـرا حتـى وافـق مجلـس النـواب على تصديق قانون البينات الذي هو أحد أقسام القانون المـدني، واعتبرنا - آنذاك - إقرار قانون البينات ظفرا، لأنه تم بدون ضجة ومن غير أن يثير المتزمتين المتعصبين من رجال الدين.

بعد انقـلاب الـزعيم ظـل أسـعد الكـوراني أمينـا عامـا لـوزارة العدل ثم أصبح وزيرا للعدل فأصدر هذه القوانين وقد لبـى حسـني الـزعيم رغبتـه لأنهـا لا تضـر بمصـلحته أو بسياسـته، بـل بـالعكس فانها تسبغ على نظامه الصفة الاصلاحية التي يرفع شعارها.

وهذا ما دعا حسـني الزعيم لأن يجعل الكوراني وزيرا للعـدل وكـان يفـاخر باصـدار هـذه التشـريعات. لـم يكـن أسـعد الكـوراني يسـاريا، بـل كـان وظـل يمينيـا فـي تفكيـره السياسـي، ومحاميـا للرأسماليين والاقطاعيين ومستشارا لهم.

1949: بعض العوامل التي ساعدت على تقويض نظام حسني الزعيم

رأينا فيما سبق كيف تبلور الوضع الجديد دستوريا وقانونيا، كما تبلور دوليا وعربيا وداخليا بالنسبة للاحزاب والتكتلات السياسية والطبقات الاجتماعية.

وقد تولى الادارة الحكومية الجديدة كثير من المتقاعدين من العهدين العثماني والفرنسي، وبعض الفنيين الشباب من خريجي الجامعات الفرنسية والاميركية كما أعيد الى الوظائف جميع الذين سرحوا من رجال الانتداب بعد ثورة 1945.

كان الشعب في سوريا كثير الحساسية بالنسبة لعودة النفوذ الفرنسي ورجال الانتداب، واذا لم تجد عودة النفوذ الفرنسي امتعاضا في أوساط كبار ضباط الجيش فانها أوجدت نقمة في أوساط صغار الضباط حتى تسربت شائعات عن نية حسني الزعيم لتشكيل فرقة اجنبية legion etrangere تدعيما لسلطانه ونفوذ فرنسا، كما اتهم الزعيم بأنه شعوبي وأن نظامه متجه للقضاء على القومية العربية.

ومهما تكن هذه الدعاية مبالغا بها فانها أصبحت بقناعة الناس حقيقة، ولا شك ان هذه القناعة كانت من العوامل التي ساعدت على تقويض نظام حسني الزعيم.

كما كانت الترفيعات الاستثنائية في الجيش سببا آخر في انهيار النظام فقد أصدر حسني الزعيم في الأيام الاولى للانقلابه مرسوما يقضي بترفيع كل ملازم ثان مضت عليه تسعة أشهر في الخدمة برتبته، الى رتبة ملازم اول.. كما رفع عبد الله عطفة الى رتبة لواء. ورفع فوزي سلو الى رتبة زعيم، ورفع معظم المقدمين الى رتبة عقيد، والرؤساء الى رتبة مقدمين، ومعظم الملازمين الأولين الى رتبة رئيس.. وهكذا.. وذلك بالرغم من نصح الناصحين له بعدم اللجوء الى هذا الاسلوب، لأن هذه الترفيعات الاستثنائية تضعف روح الانضباط في الجيش وتغرس الحزازات والاحقاد وتشجع

على الانقلابات والمغامرات، ولكن حسني الزعيم لم يأخذ بهذه النصيحة بل وسع دائرة الترفيع الاستثنائي ليضمن ولاء أغلبية الجيش دون أن ينظر للمستقبل.

ضعف القوة الشعبية حيال نظام حسني الزعيم

ذكرت سابقا ان الطبقة الاقطاعية والرأسمالية ورجال الانتداب وخريجي الجامعة الاميركية في بيروت قد التفوا حول الزعيم، بينما كان الفلاحون بأكثريتهم العظمى - وهم يشكلون اكثر من نصف سكان سورية - خارج الحياة السياسية، اذ كان الاقطاع مهيمنا والجهل مخيما، وكان الفلاحون لا يشتركون في الحياة السياسية الا عندما يقادون الى صناديق الاقتراع في المناسبات الانتخابية، وكان سكان المدن أكثر وعيا، وطنيا وسياسيا، من سكان الريف وقد لعب هذا الوعي دورا حاسما في نضال البلاد ضد الانتداب الفرنسي، وأزكى هذا النضال ووضح شيئا فشيئا الروح الوطنية والقومية بين أبناء المدن بشكل خاص، كما وضح الى حد ما الحس الطبقي ضد الاقطاعية والرأسمالية الناشئة التي تعاونت مع الانتداب ثم حاولت السيطرة على الحكم بعد الاستقلال، فقد كانت المدن ما تزال خاضعة أيضا للزعامات الاقطاعية والعائلية الموروثة، وكان ولاء المواطن في سوريا بصفة عامة مشدودا الى الاسرة والحي والمدينة والطائفة، وكان التعليم لا يزال محدودا رغم انه اتسع كثيرا بعد الاستقلال، وعلى كل حال فان مجموع سكان سوريا، في عام 1947، لم يكن يتجاوز المليونين ونصف متناثرين على رقعة أرضية واسعة.

هذه صورة قريبة من الدقة عن أوضاع سورية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في تلك الفترة، فكانت المخابرات وحدها في مثل هذا الوضع أكثر قدرة بما لا يقاس من قوى المعارضة جميعها فيما لو أئتلفت كلها، بينما كان حسني الزعيم مؤيدا من الجيش والمخابرات والبوليس ورجال الاقطاع والمال والعائلات ومعظم المثقفين من رجال الانتداب بالاضافة الى وسائل الدعم الخارجية والعربية وهذا ما ساعده على أن يلعب مع معارضيه لعبة القط والفأر.

والحقيقة انني ما كنت انتظر الفرج والخلاص من هذا النظام عن طريق المعارضة الشعبية والنضال السياسي او الثوري، وذلك لعدم توفر الامكانات لمثل هذا النضال، وكان واضحا في ذهني منذ البداية ان الخلاص من هذا الانقلاب التي تستفحل أخطاره يوما بعد يوم لن يتحقق الا باستغلال التناقضات العربية والدولية التي يمكن ان تطيح به، وقد كانت الأنباء تدل على استفحال هذه التناقضات على الصعيدين الخارجي والداخلي ولا سيما في أوساط الجيش.

أيام كالحة وقاتمة وموحشة يائسة مرت ونحن ننتظر فيها الفرج لا حول لنا ولا قوة، وأزمة مادية حادة جعلتني أقرر العودة الى حماة لأعيد فيها افتتاح مكتبي للمحاماة.

لقد تخلى عنا الناس، عجزا وخشية وخوفا، وقبع قادة المعارضة في بيوتهم، ولم تبق لنا من قوة الا بعض التأييد الجماهيري المتواضع المكبوت في مدينة حماة، وانني لا أزال أذكر تلك الليلة التي سهرت فيها مع الشاعر عمر أبو ريشة والضابط سليم الاصيل في أحد مقاهي دمشق فقد ثار هذا الضابط أيام عدوان 1945 في البوكمال على رأس قواته وأعلن العصيان على الفرنسيين، وفي تلك الليلة رحت أشرح مساوىء ومخاطر نظام حسني الزعيم، وبعد ايام أخبرني عمر ان الضابط سليم الأصيل قد نقل الى حسني الزعيم حديثي في تلك السهرة.

كما أن الزعيم بعد أن نقل أديب الشيشكلي الى حلب سرحه من الجيش فانعزل في بيته في حماه.

في هذا الجو وفي ليلة 14-15 آب 1949 وقع انقلاب سامي الحناوي الذي أطاح بحسني الزعيم ونظامه.

57

1949: كيف تم اعتقال حسني الزعيم ومحسن البرازي وإعدامهما

حول وقائع هذه الحادثة نثبت هنا بعض ما جاء في مذكرات الضابط فضل الله أبو منصور الذي داهم مقر حسني الزعيم في حي ابي رمانة ليلة 13-14-آب1949 فاستسلم الحرس بتواطؤ رئيسهم مع رجال الانقلاب.

يقول فضل الله ابو منصور في كتابه اعاصير دمشق:

"مشيت الى باب القصر يرافقني ادهم شركسي والرقيب فايز عدوان، وقرعت الباب بقوة فلم أسمع جوابا وكررت القرع ثانية وثالثة والليل ساج والهدوء شامل والصمت تام، وواصلت قرع الباب بشدة، فاذا بالانوار الكهربائية تشع واذ بحسني الزعيم يطل من الشرفة صائحا:

- ما هذا؟.. ما هذا؟.. من هنا؟.. ماذا جرى؟

أجبته بلهجة الامر الصارم:

- استسلم حالا، فكل شيء قد انتهى، والا دمرت هذا القصر على رأسك.

فانتفض وتراجع مذعورا، فعاجلته بوابل من رصاص رشيشتين الا انه دخل القصر وتوارى فيه.. فأطلقت الرصاص على باب القصر حتى حطمته ودخلت واذا بحسني الزعيم ينزل من الدور الثاني وهو يرتدي بنطلونه فوق ثياب النوم وزوجته وراءه تصيح:

- حسني، حسني، الى أين يا حسني؟

وقبل ان يتمكن من الرد على زوجته دنوت منه واعتقلته، ثم صفعته فقال محتجا:

- لا تضربني يا رجل. هذا لا يجوز، احترم كرامتي العسكرية.

أجبته بصوت متهدج:

- أنا أول من يحترم الكرامة العسكرية، أما من كان مثلك فلا كرامة له، أما أقسمت للزعيم أنطون سعادة يمين الإخلاص وقدمت له مسدسك عربونا لتلك اليمين ثم خنته وأرسلته الى الموت؟

قال:

- والله يا بابا انا برىء... اتهموني بذلك ولكنني برىء.

فانتهرته قائلا:

- هيا بنا، اخرج، لا مجال لكثرة الكلام.

مشى حسني الى الخارج صاغرا وهو يحاول ان يكبت الخوف الذي أخذ يبدو بوضوح في قسمات وجهه وحركاته المرتبكة، وكنت في ثياب الميدان، وقد أرخيت لحيتي السوداء فلم يعرفني، وحسبني شركسيا، فأخذ يخاطبني باللغة التركية ولكنني أمرته بالتزام الصمت، ثم أدخلته الى المصفحة التي كانت تنتظر على الباب الخارجي وسرت به صوب المزة.

كان حسني في المصفحة ساهما تائه النظرات، كأنه لا يصدق ما يرى ويسمع... كأنه يحسب نفسه في منام مخيف... ثم تحرك وتفرس في وجهي فعرفني، وتظاهر بشيء من الارتياح ثم قال لي:

- يا فضل الله أنا بين يديك، معي ثمانون الف ليرة، خذ منها ستين الفا لك ووزع عشرين الفا على جنودك وأطلق سراحي، دعني أهرب الى خارج البلاد.

فسألته:

- من أين لك هذه الثروة؟ ألست أنت القائل انك دخلت الحكم فقيرا وستخرج منه فقيرا؟ كيف انقلب فقرك ثراء؟

فأخذ يتمتم:

- والله يا بابا انا بريء .. هذه مؤامرة علي دبرها الانكليز لتقويض استقلال البلاد... والله انا برىء، أنا أحبكم، أنا جندي مثلكم.

أجابه فايز عدوان:

- لو كنت تحبنا لما باشرت تسريحنا دون سبب ونحن في الجبهة نقاتل أعداء الوطن، أنت لا تخاف الله ولا تحب احدا.

قال:

- والله يا اخواني انا مظلوم، الذي سرحكم هو عبد الله عطفة رئيس الاركان العامة، أما أنا فقد أصدرت أمرا لتشغيلكم في خط التابلاين.

عند هذا الحد أمرت حسني بالصمت وحظرت عليه مخاطبة الجنود، فساد على المصفحة صمت ثقيل، اذ لزم حسني الصمت، وقد بدا على ملامحه الرعب الشديد، فكان ينظر الى مسدسي المصوب الى رأسه، والى رشيشات الجنود المحيطة به فتلمع عيناه ذعرا.

سارت المصفحة على طريق المزة الى حيث كان الحناوي وأركانه ينتظرون خارج المدينة حتى تأتيهم الأخبار عن نتيجة مغامرتي. ولما وصلت الى مفرق كيوان وجهت رسولا ينقل خبر اعتقال حسني الزعيم الى الحناوي ويسأله: "ماذا تريدون ان أعمل بالأسير؟".

ما كاد الرسول ينطلق على دراجته النارية حتى تكلم حسني وسألني:

- من هو قائد الانقلاب؟.. أيكون أنور بنود؟

أجبته بالنفي ولم أذكر اسم أحد، فاستطرد قائلا:

- اذن فهو الزعيم سامي الحناوي؟

فنهرته قائلا:

- هذا لا يعنيك الان ولا يهمك، ستعرف ما يجب أن تعرفه بعد قليل.

ولما تأخرت الدراجة رأيت أن طول الانتظار على مفرق كيوان لا يوافق، فامرت آمر المصفحة فايز عدوان من "الكفر" بمواصلة السير على طريق المزة القنيطرة. ولما ابتعدت عن المدينة، انحرفت عن الطريق وأقمت انتظر.

كنت أظن ان الجميع زحفوا معي الى دمشق، ولكنني علمت فيما بعد انهم تريثوا حتى يروا نتيجة قيامي بمهمتي، ولما وصلت الى مفرق كيوان من القصر الجمهوري بتلك السرعة، ظن كثيرون اني فشلت ولذت بالفرار، فكادوا يفرون هم ايضا.. ثم عاد الرسول بعد نصف ساعة ليقول لي: " القيادة تطلب اليك ان تبقى هنا حتى يأتيك منها اشعار بما ينبغي أن تعمل،

وكانت الساعة قد بلغت الثانية والنصف بعد منتصف الليل، وأقمت انتظر في المصفحة دون أن احول نظري عن حسني الزعيم حتى الساعة الثالثة والدقيقة 45 .

كان الزعيم يلبس بنطلونه العسكري المختص برتبة مشير وقميصا تحتانيا من القطن، مما يدل على أنه هب من فراشه مذعورا ولبس بنطلونه بسرعة دون أن يجد متسعا من الوقت ليلبس شيئا آخر، لذلك أحس بالبرد وخاطبني قائلا:

- يا فضل الله اعطني معطفك، بردان.

فخلعت معطفي وأعطيته اياه فارتداه شاكرا، ثم طلب سيكارة، فأشعلت واحدة من النوع المختص بالجيش وقدمتها له فأخذ يدخنها ساهما وقد بدا عليه شيئا من الارتياح لأنني اعطيته كل ما طلب، وخيل إليه ان هذه المسايرة تدعو الى التفاؤل. فحاول من جديد أن يخاطب جنود المصفحة ولكنني أمرته بالصمت فقال:

- الى أين تريدون أن تأخذوني؟

قلت:

- إلى مكان يليق بك، فلا تخف.

قال:

دعوني أنزل قليلا من المصفحة .. أريد ان أقضي حاجة.

قلت:

- اقض حاجتك هنا في المصفحة ولا حرج عليك.

فأطاع دون أن يفوه بكلمة.

وآنذاك وصل الرئيس عصام مريود، والملازم أول حسن حكيم، والملازم عبد الغني دهمان، في مصفحة، تتبعهم سيارة كبيرة ملأى بالحنود، ومعهم معتقل آخر هو رئيس الوزراء محسن البرازي، ومعه ابنه... بقي الابن في المصفحة على الطريق وجاءني الجنود بمحسن جريا على الاقدام، فاذا هو في ثياب النوم يرتعد خوفا ويردد بصوت مرتجف:

- ارحموني .. ليس لي أية علاقة بما جرى.. ارحموني.. ارحموا اطفالي دخيلكم.

وتكلم الرئيس عصام مريود فقال لي:

- حكمت القيادة على حسني الزعيم ومحسن البرازي بالاعدام. ويجب ان يتم التنفيذ فورا.. هذا هو قرار المجلس الحربي.

فأمسكت حسني الزعيم بيدي اليسرى، ومحسن البرازي بيدي اليمنى، وسرت بهما الى المكان الذي تقرر ان يلاقيا فيه حتفهما وهو يقع على مقربة من مقبرة كانت للفرنسيين في مكان منخفض، وقد أدرت وجهيهما صوب الشرق، صوب دمشق. وكان الجنود في موقف التأهب لاطلاق النار.

أوقفتهما جنبا الى جنب، وتراجعت مفسحا للجنود مجال التنفيذ، فاذا بمحسن البرازي يصيح:

- دخيلكم .. ارحموني .. أطفالي.. أنا بريء.

واذا بحسني الزعيم يشجعه باللغة الفرنسية قائلا:

n, ayez pas peur, ils ne nous tuerons pas c,est imoissible

أي لا تخف لن يقتلونا، هذا مستحيل.

وما كاد حسني يصل إلى هذا الحد من كلامه حتى انطلق الرصاص يمزق الرجلين ويمزق أزيزه سكون الليل ولم يكن الفجر قد بزغ بعد [1]

□

يبدو ان رواية فضل الله ابو منصور صحيحة بناء على حادثتين جرتا معي:

الحادثة الأولى: قبل انقلاب الحناوي بثلاثة أسابيع، كنت أسهر في النادي العائلي بالقصاع مع الاستاذ نخلة كلاس ورفاق آخرين عندما أقبل علينا عصام مريود ثملا وقد أخذ منه السكر مأخذه،

(1) المقدم في الجيش السوري فضل الله أبو منصور: أعاصير دمشق - طبعة لم يذكر مكان ولا تاريخ صدورها - ص68-77.

فراح يشتم حسني الزعيم ويتوعد بالقضاء عليه، فنصحته بأن لا يكرر هذا الحديث مرة أخرى في مكان عام لأن عيون ابراهيم الحسيني بالمرصاد.

الحادثة الثانية: في ليلة الانقلاب وأنا نائم في بيتي "دار اليقظة" في زقاق صخر استيقظت على طرق شديد فأطللت من النافذة فاذا بالضابط عصام مريود ومصفحة واقفة عند رأس الشارع.

نزلت وفتحت له الباب فقال:

- ان شئت جلبت لك الان محسن البرازي ليقبل حذاءك.

كنت لا أزال بين النوم واليقظة في تلك الساعة المتأخرة من الليل. وكان عصام مخمورا وقد زاده السكر هياجا، فقلت له:

- ما هذا الكلام يا عصام؟ .. من قال لك انني أرضى بذلك؟ .. ان محسن البرازي أستاذي في الحقوق ولن أرضى ان أراه بمثل هذا الموقف، ثم أغلقت الباب بعصبية.

□

وقد روى خالد بن محسن البرازي لأحد أصدقائه ما يلي:

"دخل الجند منزلنا في الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، وأطلقوا الرصاص ارهابا، فأطل ابي يستطلع الخبر. واذ بهم يقبضون عليه ويضربونه ويضعونه في سيارة جيب. ووضعوني انا في السيارة المصفحة، وساروا بنا الى مركز اركان حرب الجيش، فاخذوا والدي وصعدوا به الى مركز القيادة بينما ظللت انا في المصفحة، وبعد وقت قصير عادوا به وانطلقت السيارات باتجاه قلعة المزة، وعلى بعد مائتي متر تقريبا من قرية المزة رأيت حسني الزعيم واقفا وحوله الجند على بضعة أمتار من الطريق العام. فأنزل الجند والدي من السيارة وقادوه الى قرب الزعيم وأطلقوا عليه الرصاص، فسقطا مضرجين بدمائهما" (صحيفة النهار اللبنانية 1949/8/18).

لقد تكتم ضابط الحناوي عن تفاصيل مصرع حسني الزعيم ومحسن البرازي خشية من ثأر آل البرازي. وكان عصام مريود يدعي أنه سلمهما أحياء الى ضباط آخرين، وبعد اغتيال سامي

الحناوي على يد حرشـو البـرازي ثـأرا لابـن عمـه محسـن البـرازي كشف فضل ابو منصور عن تفاصيل مصرعهما.

1949: بدء وضوح الوعي السياسي في سورية بالتناقضات الاستعمارية والصراع على النفوذ فيها.

عند وقوع انقلاب سامي الحناوي [1] في 1949/8/14 كان الوعي السياسي للاوضاع الدولية والعربية وصراعها وتناقضاتها في سورية قد أصبح اكثر وضوحا، وهذا نتيجة طبيعية لانقلاب حسني الزعيم وما رافقه من فهم وتحديد أدق لأهداف الاستعمار الجديد.

كان انقلاب الزعيم امتحانا وتجربة للأحزاب والتكلات السياسية كما كان كاشفا للتناقضات العربية والدولية.

ولا أدعي أننا وصلنا يومذاك الى أبعاد الصورة. بل كنا في الحقيقة كمن يتلقى من الاحداث كل يوم درسا جديدا، وكانت وسائلنا ضعيفة جدا وامكانياتنا محدودة، وكانت القوى الوطنية التقدمية، على ضعف تنظيماتها الشعبية، غير متماسكة فيما بينها، لاختلاف مستوى وعيها وفهمها ودرجة استيعابها للاحداث الداخلية والعربية والدولية.

أصبح واضحا في ذهني آنذاك تناقض الاستعمارين البريطاني والاميركي وصراعهما على النفوذ، كما لم أكن مغرورا في تقييم قوانا الشعبية ودرجة تحملها في هذا الصراع الرهيب.

وكانت وسائل اطلاعنا معدومة الا ما تمنحه التجربة والاختبارات الشخصية وما يمكن فهمه واستنباطه وملاحظته مما تنشره وسائل الاعلام العربية والدولية.

---

(1) سامي الحناوي من مواليد مدينة حلب في عام 1889، تلقى علومه الابتدائية والثانوية في مدراسها، التحق بالمدرسة الحربية في استانبول وتخرج برتبة مرشح في عام 1916، شارك في معارك الحرب العالمية الاولى، في صفوف الجيش العثماني، في جبهة القفقاس وفي جبهة فلسطين، وبعد تشكيل حكومة الملك فيصل بن الحسين في دمشق انتسب الى الجيش العربي برتبة ملازم ثان ثم التحق بالمدرسة الحربية الفيصلية بدمشق وتخرج منها برتبة ملازم اول، وظل يعمل في الجيش العربي حتى دخول القوات الفرنسية الى سوريا بعد معركة ميسلون.
وفي عام 1921 عمل في سلك الدرك السوري في لواء الاسكندورون، وفي عام 1924 انتقل من الدرك الى وحدات القوات الخفيفة لجيش الشرق الفرنسي، ثم انتسب الى الكلية الحربية عام 1928، وبعد عشر سنوات رقي الى رتبة رئيس، وفي عام 1947 رقي الى رتبة عقيد.

ان حركتنا، على الرغم من وجود قاعدة شعبية عريضة لها، لم تكن قائمة على تنظيم متين بقيادة كوادر حزبية متمرسة ومتفرغة للعمل السياسي والحزبي.

أما حزب البعث العربي فكان مجموعة من الطلاب والموظفين بقيادة لم تتمرس بعد بالعمل السياسي والجماهيري.

في مثل هذه الأحوال والظروف تقضي الحكمة بأن نستفيد من تناقض الأقوياء بدلا من أن يستفيد الأقوياء مما نعانيه من ضعف وتناقضات.

كانت الخطة التي قررت اعتمادها منذ اللحظة الاولى لانقلاب سامي الحناوي استغلال التناقضات الدولية والعربية دون أن نصبح طرفا فيها فنكون احدى ضحاياها.

إن الزمن دوما مع قوى التقدم، واذا تمكنا من استغلال هذه التناقضات للحفاظ على استقلال البلاد والحيلولة دون دخولها في مناطق النفوذ فان ذلك يتيح أمامها مجالا فسيحا لتغييرات جذرية في بنيتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، نظرا لنمو واتساع آفاق الوعي السياسي والحس الوطني والاجتماعي شيئا فشيئا فعجلة التاريخ لا تسير الى الوراء.

ولتحقيق هذه الخطة لا بد من حلفاء في كل مرحلة، قد يتحولون الى خصوم فيما بعد، وهذا لا يهم في بلد معظم سياسييه وتكتلاته الحزبية وقياداته يسيرون على نحو أو آخر في نطاق اللعبة الدولية.

كان حلفاؤنا في تلك المرحلة كما كانوا في السابق: حزب البعث العربي وحزب الشعب، أي المعارضة السابقة التي عولت على تحالفي معها أن نحقق بعض الاصلاحات الجذرية، وكان تقديري ان حلفاء هذه المرحلة هم أقرب، لأسباب كثيرة، الى السير خطوات في هذه الطريق.

كان تقديري بأن حزب الشعب، وهو أكبر تكتل سياسي في البلاد، لا يمكن ان يندفع في تحقيق مشروع نوري السعيد الى الحد الذي وصلوا اليه فيما بعد تقديرا مبالغا فيه أيضا، فقد تعدى أركان حزب الشعب في سعيهم لتنفيذ هذا المشروع الحدود الديمقراطية، وكنت متفائلا بتقديري لقوتنا وأننا في حدود الأساليب الديموقراطية يمكننا ان نحول دون تحقيق ذلك المشروع وتنفيذه سيما وان حلفاءنا في صفوف قادة حزب الشعب ذاته يقاومونه ولا يرضون به.

هكذا كان تصورنا للأوضاع عند انقلاب سامي الحناوي، أما الشعب فقد تلقى مصرع حسني الزعيم بالارتياح الشديد، ولكنه قابل انقلاب الحناوي ببرود ظاهر وببعض الأمل بعد تشكيل الحكومة المدنية فلقد مرت سورية بتجربة الانقلابات العسكرية فعرفت اللعبة ولن تخدع مرة أخرى وقد جاء في المأثور:

لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين.

اجتماع صباحي مع قائد الانقلاب

في الساعة التاسعة من صباح يوم 14 آب 1949 افقت على أنباء انقلاب سامي الحناوي، بعد تلك الليلة المقلقة التي ايقظني فيها الضابط عصام مريود في ساعة متأخرة من الليل.

استدعيت الى الاركان، فوصلت اليها بعد الساعة العاشرة، وهناك رأيت الزعيم سامي الحناوي لأول مرة، وكان يجلس معه اللواء عبد الله عطفة.

أما ضباط الانقلاب الذين كانوا يدخلون غرفة الاجتماع ويخروجون منها، فلم أكن أعرف احدا منهم، وقد فوجئت عندما علمت أن اللواء عبد الله عطفة والعقيد بهيج كلاس هما من أركان الانقلاب ولم يتح لي الوقت آنذاك لأعرف التفاصيل.

كان انطباعي الأول عن سامي الحناوي انه رجل عسكري طيب وبسيط، وكنت قبل معرفته اسمع عن شجاعته واستبساله في معركة تل العزيزيات ومعركة تل الخنازير، كان يتكلم بلغة

بسيطة جدا ولهجة صادقة، وكان في الاجتماع عدد من النواب منهم الدكتور سامي كبارة وزكي الخطيب، ثم أتى فارس الخوري وغيرهم ومثلما فوجئت باللواء عطفة والعقيد كلاس فوجئت أيضا بحضور فارس الخوري.

وتحدث الدكتور كبارة ونواب آخرون ليتأكدوا من أن الانقلابيين سيكونون صادقين بوعدهم بتسليم المدنيين مقاليد الأمور، وفيما اذا كانوا على استعداد لترك السياسة للسياسيين والتزام ثكناتهم العسكرية، فكان الحناوي يعيد ويؤكد ذلك بلهجة توحي بالثقة والصدق وبشكل عفوي وغير مصطنع وكان - وهو صاحب الانقلاب - يلتزم الانضباط العسكري مع اللواء عطفة الذي يعلوه رتبة كما كان يلتزم الأدب الشديد في حديثه معنا.

لم أعلق على تبريرات فارس الخوري، بل أيدت قول كبارة والخطيب بضرورة تأليف حكومة قومية بأسرع ما يمكن لاعادة الأوضاع الشرعية الى البلاد ولينصرف الجيش الى شؤونه العسكرية.

كان قصدي من استعجال تأليف حكومة قومية قطع الطريق على العسكريين لئلا يستمرئوا الحكم كما جرى بعد انقلاب حسني الزعيم.

وبعد هذا الاجتماع، وتوكيدا لوعد الجيش بترك الامور السياسية للمدنيين، صدر في الساعة الواحدة بعد الظهر البلاغ التالي:

"ان القيادة العامة للجيش والقوى المسلحة قد استدعت على جناح السرعة طائفة من أحرار البلاد وأولي الرأي فيها، وقد حضر من أمكن الاتصال بهم منذ الصباح الباكر متوافدين من مختلف المدن السورية، وما يزال بعضهم الاخر منتظرا حتى الان، وقد عقد اجتماع تمهيدي في الساعة العاشرة في الاركان، ثم رفع الاجتماع على أن يستأنف في السابعة مساء بصورة أوسع وأشمل، وفي هذا الاجتماع بسطت القيادة العامة للحاضرين الأسباب التي أدت الى الحركة الانقلابية الاخيرة.

وأكدت لهم ثانية أن مهمة الجيش سوف تكون مقصورة على حفظ الامن، وأن الهدف العاجل الذي ترمي اليه هو تسليم الأمور بأسرع ما يمكن الى حكومة مدنية تمثل الشعب وتطمئنه وتكفل رغائبه وتعيد له عزته وكرامته وتمضي قدما في سبيل اقرار الأمور في نطاقها الدستوري المشروع".

تكوين الانقلاب وبلاغاته

لم تذع بلاغات الانقلاب في الصباح وانما تأخرت اذاعتها الى ما قبل ظهر يوم 1949/8/14 ولم يكن معروفا من أنشأها.

وكان البلاغ الأول مخصصا لتبرير الحركة: "لقد قام جيشكم الباسل بانقلاب يوم 30 آذار الماضي لينقذ البلاد من الحالة السيئة التي وصلت اليها من قبل. ولقد استقبلتم ذلك العمل بالفرح والتقدير لما وعد به زعيم ذلك الانقلاب من انقاذ البلاد من فوضاها واعادتها الى عزتها وكرامتها في بياناته الاولى، ولكنه ما لبث حين استتبت له الأمور حتى أخذ يتطاول هو وحاشيته الى أموال الأمة فيبذرونها بالاثم والباطل، والى كرامة البلاد ومقدساتها فيدوسونها ويلوثونها ويعبثون بقوانين الامة وحريات الافراد.... واذا اضفنا الى هذه الفوضى الداخلية تلك الفوضى التي صارت اليها سياستنا الخارجية رأينا أي مصير سيء قد بلغته البلاد... لهذا وبعد الاعتماد على الله القوي العزيز عزم جيشكم الذي لا يريد الا الخير للبلاد ان يخلصها من الطاغية الذي استبد وعتا هو ورجال حكومته المسخرة... وان الجيش وقواده ليعاهدونكم امام الله والتاريخ انهم سيعودون الى ثكناتهم لتنظيم الجيش وترك أمور السياسة لزعماء البلاد".

أما البلاغ الثاني فقد صدر لتسمية أعضاء المجلس الحربي الاعلى على النحو التالي:

الزعيم سامي الحناوي رئيسا. العقيد بهيج كلاس، العقيد علم الدين قواص، المقدم أمين ابو عساف، الرئيس محمد معروف، الرئيس عصام مريود، الرئيس خالد جادا، الرئيس محمود الرفاعي، الرئيس محمد دياب، الرئيس حسين الحكيم.

وفي البلاغ الثالث ان المجلس الحربي الاعلى، المكون من الضباط الواردة اسماؤهم في البلاغ الثاني، قد "اجتمع لمحاكمة

الطاغية حسني الزعيم رئيس الجمهورية المزيف، والخائن محسن البرازي رئيس وزارئه، وبعد اجراء المحاكمة القانونية حكم عليهما بالاعدام رميا بالرصاص. ونفذ الحكم صباح هذا اليوم فورا في قلعة المزة".

ثم صدر مرسوم تشريعي - تحت رقم 1 - يقضي بتولي المجلس الحربي الاعلى كافة الصلاحيات التشريعية والتنفيذية وسلطة اصدار مراسيم تشريعية وتنظيمية ريثما تتألف الحكومة الدستورية.

كما صدر المرسوم رقم 1 ويقضي بتسليم شؤون المديرية العامة للدعاية والنشر والاذاعة الى عبد الوهاب الابيض، وهو قاض من ابناء حلب.

أما المرسوم رقم 2 فقد قضى باعادة الدكتور اسعد طلس الى ملاك وزارة الخارجية وتوليته الأمانة العامة لهذه الوزارة.

كما صدر مرسوم ثالث بالافراج عن صحف: "النضال" الدمشقية لصاحبها الدكتور سامي كبارة، و "النذير" لاحمد قنبر، و "السوري الجديد لفيضي الاتاسي" الحمصية وهما لحزب الشعب، وجريدة حزب "البعث" الدمشقية. وهي صحف كان حسني الزعيم قد ألغى امتيازاتها.

□

ان الذي فهم فيما بعد ان الاجتماع الحاسم والأخير لأركان الانقلاب تم في ليلة الانقلاب ذاتها، في معسكرات قطنا الواقعة على بعد ثلاثين كيلومترا غرب دمشق. وقد ضم هذا الاجتماع كلا من الزعيم سامي الحناوي، ومعاونه العقيد علم الدين قواص، ومرافقه الرئيس خالد جادا، والمقدم أمين ابو عساف، والرؤساء: محمد دياب، محمد معروف، عصام مريود، محمود رفاعي، فريد سيد درويش، يعقوب مبيض والملازمين: فضل الله ابو منصور، مصطفى مالكي، انطون خوري، حسين حكيم، حسين حدة، غالب شقفة، عبد الغني دهمان، نور الدين كنج، بكري الزوبري، مصطفى الدواليبي (شقيق الدكتور معروف الدواليبي).

كانت أنباء الاعداد للانقلاب تتسرب الى حسني الزعيم ولكنه لم يكن يصدقها لشدة ثقته بسامي الحناوي. وقد اتفق الانقلابيون من قبل مع ضباط حامية دمشق، ومنهم الرئيس زياد الاتاسي والرئيس توفيق الشوفي.. أما حرس بيت حسني الزعيم - وكلهم من الشراكسة - فانهم لم يطلقوا رصاصة واحدة في ليلة الانقلاب، لأن رئيسهم تغيب عمدا في تلك الليلة، بعد رشوته من الانقلابيين ويبدو ان خالد جادا، وهو شركسي كذلك، كان له دور في ترتيب هذا الامر.

وقد قيل فيما بعد ان طائرة خاصة كانت معدة في ليلة الانقلاب للتوجه الى العراق حاملة سامي الحناوي والقواص وجادا، يقودها عصام مريود، فيما لو اخفق الانقلاب.

وهناك أمور كثيرة تدور حول تفاصيل الانقلاب وحوادثه ليلة وقوعه، وهي أمور لا تهمنها، وانما المهم ان نؤكد أن العقيد بهيد كلاس لم تكن له أية علاقة بهذا الانقلاب وانما استدعي صباحا الى وزارة الدفاع لابلاغه نبأ الانقلاب واطلاعه على قرار تعيينه عضوا في المجلس الحربي الاعلى، اذ أن أعضاء هذا المجلس يجب أن يكونوا من ذوي الرتب العالية، وقد لاحظنا من استعراض أسمائهم أنهم جميعا تقريبا من ذوي الرتب الصغيرة.

□

كان اعدام حسني الزعيم ومحسن البرازي قد تم في آخر الليل كما رأينا، وبعد ذلك اراد الحناوي ومعاونوه ايجاد الصيغة المشروعة لذلك الاعدام، فشكلوا المجلس الحربي الاعلى، وأذيع على الناس قراره باعدام الزعيم والبرازي.

كانت هذه الخطة ذكية ولئيمة بنفس الوقت، فقد استغل الانقلابيون ضعف العقيد كلاس بعد نجاح حركتهم، فأشركوه بمسؤولية اصدار حكم الاعدام على الزعيم والبرازي بعد اعدامهما ليكون عرضة للثأر من قبل آل البرازي وهو ابن مدينتهم.

وقد انطلت هذه الخديعة في بداية الآمر حتى تحققت عائلة البرازي من برءاة العقيد كـلاس، وقـد تأكـد لـي فيمـا بعـد ان زيـارة عصام مريود لمنزلي ليلة الانقلاب ثـم اعـلان اسـم العقيـد كـلاس في اليوم الثاني في عداد اعضـاء المجلـس الحربـي الأعلـى كـان بتدبير من المخابرات البريطانيـة لاتهـامي بمقتـل محسـن البـرازي ولكنهم فشلوا فيما دبروا من مكائد، فاتجـه البرازيـون لأخـذ ثـأرهم من زعيم الانقلاب سامي الحناوي.

كمـا ان اللـواء عبـد الله عطفـة أخـذ يتحـدث منـذ صـبيحة الانقـلاب بلسـان صانعي الحركة ولم تكن له اي علاقة بها، وانما وافق عليها بعد نجاحهـا واعتبـر نفسـه مـن أركانهـا ليبقـى فـي منصـبه كـوزير للدفاع، ولكن كل هذه الأمور سرعان ما انفضحت بعد فترة وجيزة.

أما الشخص الذي لعب دورا هاما في التحضير لهذا الانقلاب وكان همزة الوصل بين الداخل والخـارج، مسـتغلا وظيفتـه المدنيـة في وزارة الدفاع، فهو الدكتور أسـعد طلـس وهـو مـن أبنـاء مدينـة حلـب ومـن أقربـاء سـامي الحنـاوي، وقـد لعـب دورا فـي توجيـه الحناوي شبيها بالـدور الـذي لعبـه نـذير فنصـة بالنسـبة لحسـني الزعيم، وهو الذي صاغ بيانـات وبلاغـات انقـلاب الحنـاوي وهـذا مـا لفت الانظار اليه بعد وقوع الانقلاب.

59

1949: تشكيل الحكومة القومية برئاسة هاشم الاتاسي والعسكريون يعودون الى ثكناتهم.

في الساعة السابعة من مساء اليوم الأول للانقلاب ذهبت الى وزارة الدفاع وقد بدأ يتوافد اليها النواب والساسة الذين وجهت الدعوة اليهم حيث التأم عقدهم في الصالون الكبير وبلغ عددهم قرابة خمسين شخصا، اذكر منهم هاشم الاتاسي وفارس الخوري ورشدي الكيخيا وناظم القدسي وسامي كبارة وعندما دار البحث حول ايجاد طريقة لاعادة الاوضاع الشرعية الدستورية، قال الزعيم سامي الحناوي: "ان الجيش لن يتدخل في الشؤون السياسية، وليست له أية رغبة الا العمل لمصلحة البلاد".

وقد أجمع الرأي على تشكيل لجنة من هاشم الاتاسي وفارس الخوري ورشدي الكيخيا وناظم القدسي ومصطفى برمدا وسامي كبارة وأكرم الحوراني ونبيه العظمة وفيضي الاتاسي، مهمتها تحديد الأساليب والطرق للعودة بالبلاد الى الوضع الدستوري الشرعي.

انسحبت هذه اللجنة الى مكتب القائد العام الزعيم الحناوي وشرعت في التداول وبقي النواب ينتظرون في الصالون الكبير... وقد قررت اللجنة دون نقاش كثير تكليف هاشم الاتاسي بتشكيل حكومة مؤقتة تعمل على اعادة الحياة الدستورية للبلاد، فانصرف المجتمعون وهم موافقون بينما استمرت اللجنة في اجتماعها.

وقد مثل عادل العظمة الحزب الوطني (حزب القوتلي) بدلا من أخيه نبيه العظمة رئيس الحزب الذي لم يحضر الاجتماع. كما لم يحضره ميشيل عفلق وانما حضره صلاح البيطار فتذاكرت معه على انفراد، فكان مقتنعا معي بضرورة اشتراك حزب البعث في الحكم بشخص ميشيل عفلق، وان اشتراك البعث بشخصه سيخفف من آثار الصدمة التي تركها كتابه لحسني الزعيم في أوساط الحزب والشعب، وقد ذهب صلاح البيطار فترة قصيرة يبدو

انه اجتمع خلالها برفاقه ثم عـاد وأبلـغ هاشـم الاتاسـي اسـتعداد الحزب للاشتراك في الوزراة بشخص ميشيل عفلق.

وبقينـا مجتمعـين الـى سـاعة متـأخرة مـن الليـل. وبعـد مناقشات طويلة تألفت الوزارة على الشكل التالي:

هاشم الاتاسي	رئيسا
خالد العظم	وزيرا للمالية
عادل العظمة	وزير دولة
فيضي الاتاسي	وزيرا للاقتصاد
أكرم الحوراني	وزيرا للزراعة
سامي كبارة	وزيرا للعدلية
رشدي الكيخيا	وزيرا للداخلية
ناظم القدسي	وزيرا للخارجية
ميشيل عفلق	وزيرا للمعارف
عبد الله عطفة	وزيرا للدفاع
مجد الدين الجابري	وزيرا للاشغال العامة
فتح الله أسيون	وزير دولة

كان قبول عادل العظمة بأن يكون وزير دولـة، واعتـذار أخيـه، حلا لمشكلة الحزب الوطني واسهاما في اسـباغ الطـابع القـومي على الحكومة ولكن الحقيقة ان عادل العظمة رغم ولائه للقوتلي، كان من الاركان العاملين لمشروع الاتحاد مع العراق.

امـا وزارة الداخليـة فقـد طـال النقـاش حولهـا، لأن الـدكتور سامي كبارة كان راغبا في توليهـا، وقـد أصـر عليهـا لأهميـة هـذه الوزارة في ادارة شؤون الانتخابات، ولتأثيرها الكبيـر علـى تشـكيل الأكثرية فـي المجلـس القـادم، ولأنـه فـي الوقـت ذاتـه كـان يعتبـر نفسه منافسا لرشدي الكيخيا، ولأن لزعامة دمشق الأولوية على زعامة حلـب فـي العهـد الجديـد - كمـا كـان يقـول - ولكـن هاشـم

الاتاسي وجماعة حزب الشعب اصروا على اسناد وزارة الداخلية لرشدي الكيخيا، فاضطر الدكتور كبارة للتسليم ولكن المنافسة بينهما استمرت فيما بعد.

اسند المجتمعون إلي وزارة الزراعة، فلم اعترض ولم أتردد، وفهمت ما يهدفون اليه. فقد كانت هذه الوزارة "مديرية عامة" طيلة عهد الانتداب الفرنسي، ثم تحولت - بالاسم فقط - الى وزارة بعد الاستقلال، واستمر حالها على اسوأ وأضعف مما كانت عليه في عهد الانتداب، وكانت تسند عادة لغير الاكفاء ليحوزا على لقب الوزارة وراتبها، فكانت نواياهم تجميد نشاطي واظهاري أمام الرأي العام بمظهر الفاشل، في معركة الانتخابات القادمة... أما انا فقد اعتبرتها مفتاحا للبدء في توزيع أراضي أملاك الدولة على الفلاحين، لأن مديرية املاك الدولة كانت تابعة لوزارة الزراعة. وبالرغم من المغامرة فقد اعتبرتها فرصة سانحة لانشاء وزارة زراعة حقيقية، وايجاد سياسة زراعية ثابتة للبلاد، لا سيما وان الحكومة تتمتع بالصلاحيات التشريعية التي تمكن الوزراء - فيما اذا ارادوا - من اجراء اصلاحات جذرية عاجلة لا يتمكنون من تنفيذها في ظل المجلس النيابي الا بسنين طويلة.

العسكريون يعودون الى ثكناتهم

في صبيحة اليوم التالي، أي في يوم 15 آب 1949، ذهبت الحكومة الى بيت هاشم الاتاسي، وعقدنا اجتماعا حضره الزعيم سامي الحناوي مع اللواء عطفة وزير الدفاع ثم انتقلنا بموكب رسمي من بيت هاشم الاتاسي الى سراي الحكومة.

وفي بهو رئاسة الوزراء في السراي ادلى سامي الحناوي لاصحاب الصحف والمراسلين بالتصريح التالي: "أنا رجل عسكري ولا علم لي بالشؤون السياسة، وانني قمت بحركتي هذه مدفوعا بعامل انقاذ الوطن من الخطر المحدق به، واني لا أطلب أجرا ولا شيئا سوى خدمة الوطن ورفاهية الشعب، واني بعد أن تألفت حكومة قومية سأترك لها مقاليد الامور وأعود الى وظيفتي في الجيش".

ورد عليه هاشم الاتاسي بقوله: "باسمي وباسم اخواني الوزراء وباسم هذا الوطن أشكر لكم ما أقمتم من دليل على صدق نواياكم وسلامة مقاصدكم. اذ حرصتم كل الحرص على اسلام الأمور الى حكم مدني يطمئن الشعب ويمهد عاجلا للحياة الدستورية في البلاد... ولا أشك في ان البلاد واجدة دائما في جيشها الباسل ما يحمي ذمارها ويصون كرامتها".

وانسحب سامي الحناوي عائدا الى قيادة الجيش بينما عقد الوزراء أول اجتماع للحكومة الجديدة.

القوتلي يأمل بالعودة الى دمشق

اتجهت جماعة القوتلي ومن يؤازرها عربيا ودوليا بعد الانقلاب للمطالبة بدعوة المجلس النيابي السابق، بداعي انه لا يزال المجلس الشرعي المنتخب، وان حسني الزعيم كان مغتصبا للسلطة، وان الاستفتاء الذي أجراه على نظامه لا قيمة له من الناحية الدستورية والقانونية على أن يتقدم القوتلي لهذا المجلس باستقالته ويجري انتخاب رئيس جديد للجمهورية.

وقد كان القوتلي يهيء نفسه للعودة الى دمشق، فقد أرسل برقية تهنئة توطئة لعودته، وكان يتخيل ان جماعته سيهيئون له الاستقبالات والحفلات بمجرد وصوله الى دمشق.

وقد جاء في برقيته لهاشم الاتاسي:

"شكري للجيش لموقفه الاخير، اكباري لحركته الموفقة، تهاني الخالصة لفخامتكم ولزملائكم وللشعب النبيل، أرجو ان يكون النجاح والتوفيق حليفكم، تمنياتي الخالصة للوطن بدوام مجده وعزته وللشعب بصيانة سيادته ورفاهيته.

وفي الوقت نفسه كانت وكالة اسوشيتدبرس الاميركية تنسب حديثا زورا على لسان هاشم الاتاسي تزعم انه قال ان وزارته قد تستدعي مجلس النواب القديم لغرض واحد فقط هو الاقتراع على الثقة بوزارته وتأييدها.

كان القوتلي واهما في تقديراته اذ لم يكن له مؤيدون لا في أوساط الجيش ولا بين الوزراء ولكن رغبته بالعودة أوقعت الحزب الوطني بالحرج والازدواجية ما بين خجلهم من نكوثهم به وبين طمعهم باستغلال انقلاب الحناوي وارتباطهم بحكم نوري السعيد ومشاريع بريطانيا، وقد كان اشراك عادل العظمة بعد اعتذار نبيه العظمة تفاديا للانقسام وتأييدا لتحقيق مشروع نوري السعيد في آن واحد.

وفي الجلسات الاولى لمجلس الوزراء ألمح هاشم الاتاسي وعادل العظمة الى ان القوتلي قد يعود الى دمشق، ولم أنتبه الى الغرض من هذا التلميح، فعارضت عودته السريعة في هذه الفترة، وقد استغل عادل العظمة معارضتي فنشرها مشوهة في الأوساط السياسة والظاهر ان الأتاسي والعظمة كانا يريدان ان يضعا مسؤولية منع عودة القوتلي على عاتقي بينما كان الطرفان لا يرغبان بعودته ومع ذلك استمرت العلاقات الودية بينهم وبينه، وعندما ذهب الدكتور ناظم القدسي لحضور اجتماعات اللجنة السياسية في القاهرة قام بزيارة لشكري القوتلي رحب بها القوتلي قائلا: "انني ارحب كل الترحيب بزيارة اخينا الدكتور ناظم القدسي وأحييه واحيي اخوانه الذين ادوا مهمتهم في الجامعة العربية لخير الشعب السوري".

البيان الوزاري الاول للحكومة القومية

في مساء ذلك اليوم ذاته عقدت الحكومة اجتماعها الثاني، وقررت في اجتماعيها الصباحي والمسائي ان تعتبر نفسها حكومة مؤقتة لاجراء انتخابات لجمعية تأسيسية تضع دستورا جديدا للبلاد، وتتعهد الحكومة، في غضون الفترة الانتقالية بتصريف شؤون الدولة، أما الاتفاقيات التي أبرمها حسني الزعيم فيترك امر البت فيها للمجلس القادم، وقد تقرر أن يصدر البيان الوزاري بهذا المعنى، وكلف فيضي الاتاسي بصياغته، وقد تقررت أسس البيان الوزاري بعد مناقشات طويلة حول الامور الهامة التالية:

اولا: الموقف من المراسيم الاشتراعية التي أصدرها حسني الزعيم ومن بينها بصورة خاصة اتفاقية التابلاين والانكلو ايرانيان واتفاقية النقد فكان رأي خالد العظم اصدار مرسوم بالموافقة على الاتفاقيات الثلاث والغاء جميع المراسيم الاخرى التي أصدرها حسني الزعيم، فاختلفت مع خالد العظم اختلافا حادا حول هذا الموضوع، حيث اقترحت ان يترك امر البت بها للمجلس القادم، لأن من بينها مراسيم تقدمية هامة كالقانون المدني والتجاري والغاء الاوقاف الذرية وغيرها، فوافق هاشم الاتاسي وحزب الشعب على اقتراحي بترك جميع ما اصدره حسني الزعيم من مراسيم بما فيها الاتفاقيات الى المجلس القادم.

وبهذه المناسبة لا بد لنا من ان نذكر ان حسني الزعيم وقع اتفاقا مع البنك السوري كان معدا للنشر في الجريدة الرسمية صبيحة يوم الانقلاب فسحبت الحكومة هذه الاتفاقية من الجريدة الرسمية.

ثانيا: الموقف من دعوة مجلس النواب السابق، وكان جميع الوزراء متفقين على عدم دعوته وعلى اجراء انتخابات جديدة ووضع دستور جديد، ما عدا خالد العظم الذي كان ميالا لرأي الحزب الوطني ولكنه تراجع عن رأيه.

وكان قبل ذلك قد تم اجتماع في بيت فارس الخوري لاستمزاج رأيه في موضوع حل المجلس ووضع دستور جديد حضره الوزراء وأركان حزب الشعب والحزب الوطني، وقد وجدها خالد العظم مناسبة فريدة للانتقام من فارس الخوري فذكره بمواقفه وفتاواه لحسني الزعيم كما ذكر الحزب الوطني بتواطئهم معه وان صبري العسلي كان على وشك تشكيل وزارة من أركان الحزب الوطني أيام حسني الزعيم، ثم ختم حديثه معهم قائلا: ان الحكومة لا تريد ابعادهم عن الاشتراك في ادارة البلاد لذلك ادخلت أحد أعضاء الحزب الوطني في الحكومة وان يكن هذا الحزب قد جرده فورا من حزبيته ومع ذلك فالانتخابات الجديدة على الأبواب وهم باشتراكهم بها يستطيعون العودة الى الحياة العامة.

وفي نهاية هذه المناقشات والجلسات أذيع البيان الوزاري وهذا نصه:

"علم الشعب ما كان من أمر الانقلاب الذي تم يوم 30 آذار الماضي وكيف ان الأمة علقت عليه الامال ثم ما لبث ان أخلف ظنها وخيب رجاءها وانحرف عن السبيل السوي حتى انتهى الى أوضاع أفضت الى الحركة الانقلابية الاخيرة، ولقد جاءت الحركة الاخيرة سالمة من كل غرض شخصي مريب. اذ ان الذين قاموا بها كان أول ما انصرف اليه اهتمامهم ان يتصلوا على متن السرعة بطائفة من رجالات البلاد ليبحثوا معهم اسرع الطرق لاسلام الامور الى حكومة مدنية يمثل الشعب بها، وفي اجتماعين اثنين عقدا يوم 14 الجاري كشفت القيادة العسكرية عن نواياها السليمة وأعلنت ان أمنيتها العاجلة الملحة هي أن تتخلى عن مقاليد السلطة الى وزارة قومية يجد الشعب فيها الضمانات الكافية لخدمة مصالحه ورعاية شأنه بتجرد واخلاص، وعلى هذا، وبعد ان اطمأن الجميع الى سلامة نوايا الذين قاموا بالحركة الاخيرة، وجد أن داعي الوطنية يستدعي قبول المهمة فاسفر الاجتماع الثاني عن تأليف هذه الوزارة.

وهي اذ تتقدم الى الامة مزودة بصلاحيات رئيس الجمهورية وبالسلطتين التنفيذية والتشريعية لتعلن انها حكومة مؤقته مهمتها ان تعد العدة اللازمة لاقامة اوضاع دستورية مشروعة في البلاد، وذلك في اقرب وقت ممكن، وان تتعهد في غضون هذه الفترة الانتقالية تصريف شؤون الدولة ومصالح الشعب مع تحكيم القانون في جميع الأمور دون الوساوس والأهواء، وفي سبيل اقامة الأوضاع الدستورية المنشودة سوف تعمد هذه الحكومة الى دعوة الامة الى انتخاب جمعية تأسيسية تضع دستور البلاد في جو من الحريات العامة يكفل اخراج شرعة البلاد الاساسية على ما فيه خيرها وازدهارها من السلامة من خطيئات الماضي وزلاته.

وفي غضون هذه الفترة الانتقالية سوف تجعل الحكومة نصب عينيها وجوب احكام أسباب المودة وأواصر القربى في علاقات الدول العربية مع بعضها ورفع شأن الجامعة العربية على وجه يكفل خير البلاد العربية ويدرأ الشرور عنها، وأما سياسة الحكومة الخارجية فهي تهدف الى الابقاء على صلات المجاملة والصداقة مع الدول الاجنبية ضمن نطاق الصالح القومي وفي حدود ميثاق الأمم المتحدة مع رعاية احكام الشرع الدولي.

ذلك ما تقطع الحكومة عهدا به على نفسها ملتمسة العون من المولى القدير ومن تأييد الشعب الكريم".

60

1949: ردود الفعل العربية والاجنبية على انقلاب الحناوي

اتصلت الحكومة اللبنانية بالحكومات العربية وأطلعتها على تفاصيل ما جرى في سوريا واقترحت توجيه تهنئة للحكومة الجديدة كوسيلة اعتراف بها. وكانت حجة الحكومة اللبنانية أن التريث في اتخاذ موقف معين من الحكومة السورية الجديدة يؤدي الى تأجيل انعقاد اللجنة السياسية للجامعة العربية، ولذلك ارسلت حكومة لبنان برقية تهنئة للحكومة السورية دون ان تنتظر نتائج اتصالاتها.

أما مصر فاروق فقد آثرت التريث، وحسب رواية صحف تلك الفترة:

"لأن وزارة تضم هاشم الاتاسي وفيضي الاتاسي وثلاثة من أركان حزب الشعب ورئيس حزب البعث لا بد أن تتجه في سياستها العربية اتجاها يتفق وخطة الهاشميين لأن المعروف عنهم انهم من انصار الاتحاد العراقي السوري، ولاجل التأكد من اتجاه الحكومة الجديدة اوفد الملك فاروق الاميرالاي محمد يوسف بك مرافق جلالته الى دمشق. وقد اجتمع الاميرالاي برئيس الحكومة اللبنانية قبل متابعة سفره الى دمشق" (النهار 1949/8/17).

ولكن عبد الرحمن عزام باشا، الامين العام للجامعة العربية، صرح بأن بيان الوزارة الجديدة، نظرا لتأليفها من ألوان واحزاب شتى، يوحي بالاستقرار واعادة الامور الى نصابها والبلاد الى حياتها الدستورية.

واعتبر مجلس الوزراء العراقي ان الانقلاب السوري حركة داخلية محضة تهم الشعب السوري وحده، وأنه جاء نتيجة حتمية للانقلاب الاول، كما أرسل نوري السعيد برقية تهنئة للرئيس هاشم الاتاسي يقول فيها اهنئكم "بمناسبة تشكيلكم الوزارة الجديدة راجيا الله ان يسدد خطاكم لتأييد اماني الشعب السوري والقضية العربية".

وأرسل الملك عبد الله برقية تهنئة ايضا، وكان صبدى الانقلاب في الصحف الاردنية يعبر عن التأييد للحكم الجديد والشماتة بمصرع حسني الزعيم ومحسن البرازي.

كما ادلى ناطق بلسان وزارة الخارجية البريطانية، عندما سئل عن احتمال اعتراف الحكومة البريطانية بالحكومة السورية الجديدة، بقوله:"ان واجب الحكومة التي تقيم نفسها ان تبلغ عن قيامها. ومن ثم تنظر الدول الاخرى في الاعتراف بها".

وذكرت الصحف ان المصادر شبه الرسمية في بريطانيا لاحظت ان الدوائر الفرنسية والاميركية في لندن ترفض ان ترى في الانقلاب الجديد حركة داخلية صرفة، فهي تعتقد ان للاصابع الاجنبية يدا في توجيه الضباط الذين قاموا بالانقلاب، وتذكر هذه المصادر ان حسني الزعيم رفض المشروعات السياسية والعسكرية التي عرضها عليه السير وليم سترانغ وكيل الخارجية البريطانية عندما زار الشرق الاوسط قبل شهرين، ولما انعقد مؤتمر الدبلوماسيين البريطانيين قبل شهر من انقلاب الحناوي قال السير وليم "ان حكومة الانقلاب السورية قد رفضت اليد التي مدتها بريطانيا لها" كما قال ناطق بلسان وزير الخارجية البريطاني المستر بيفن: "ان بريطانيا وفرنسا وأميركا قد تعقد مؤتمرا ثلاثيا لدرس الحالة الراهنة في سوريا واتخاذ موقف مشترك نحو الحكومة الجديدة".

□

لقد تجنب أركان الحكومة الجديدة - موقتا - البحث في مشروع الاتحاد السوري العراقي، لأنهم كانوا يسعون لتطمين بعض الجهات العربية والدولية التي صعقت بانقلاب الحناوي... فقد أدلى الدكتور ناظم القدسي وزير الخارجية يوم 16 آب 1949، بتصريح قال فيه: "ان الحكومة تحترم الاتفاقات الدولية التي عقدت في العهد السابق.. وانها ستتعاون مع جميع الدول العربية على أساس المساواة ضمن اطار جامعة الدول العربية" وأضاف انه أبرق للجامعة العربية "مؤكدا اخلاص سوريا لميثاق الجامعة العربية

وحرصها على وحدة الصفوف، وكانت سياسة التهدئة والتطمين هذه ردا على ما كان ينشره الاعلام الاميركي والفرنسي الذي يصم الانقلاب بأنه من وضع أياد أجنبية.

والواقع ان بريطانيا والعراق والحكومة السورية كانت تتجنب اثارة مشروع الاتحاد علنا، بل كان وزير الخارجية السورية ناظم القدسي يطمئن الجهات العربية والدولية الاخرى، وينفي ان يكون الانقلاب خطوة اولى نحو قيام سوريا الكبرى، ويؤكد حرص سوريا على المحافظة على جمهوريتها المستقلة، ولكن هذه التصاريح لم تمنع الاتصالات السرية... فقد قام ابراهيم الالوسي وزير العراق المفوض بدمشق بزيارة الرئيس هاشم الاتاسي مرتين اثر الانقلاب.

اما فاضل الجمالي الذي قدم الى بيروت في طريقه الى اجتماع اللجنة السياسية العربية في القاهرة - فقد جعل قرار تأجيل اجتماع اللجنة خمسة أيام بعد مقتل حسني الزعيم مناسبة للبقاء في لبنان ليكون على اتصال قريب بالوضع السوري الجديد، وقد كشفت وثائق حلف بغداد فيما بعد عن رسالة بعث بها الجمالي الى عبد الاله الوصي على عرش العراق الذي كان في بريطانيا يشرح له فيها السياسة السرية الهادئة الواجب اتباعها لتحقيق مشروع الاتحاد وهذا نص الرسالة المؤرخة في 1949/8/18:

سيدي صاحب السمو الملكي:

"سيدي، منذ ارسلت كتابي مع نوري باشا حدثت في سوريا أمور عديدة مزعجة لنا لم أستطع موافاة سموكم بها، وقد انتهت والحمد لله بتحقيق الاخبار التي جاء بها الدكتور ابراهيم عاكف الى بغداد، والتي أشرت اليها في كتابي السابق، فقد زال الكابوس عن سوريا العزيزة، ونرجو ان تعود المياه الى مجاريها، وكم كنت اتمنى لو كنتم سموكم موجودين هنا لتشرفوا بشخصكم الكريم على تخطيط للسياسة الواجب اتباعها في سوريا، فسوريا مقدمة على انتخابات المجلس التأسيسي ومن المهم جدا بنظري ان يتصل رجالات العراق بصورة هادئة وغير رسمية بلا ضجة ولا دعاية برجالات سوريا

الذين سيتكون منهم المجلس التأسيسي، فيتفق على وضع دستور لسوريا يحقق اهداف القطرين، يرافق ذلك اجراءات دستورية في العراق، الوزارة السورية هي من خيرة رجال سوريا الذين نعتمد عليهم، فمن الواجب التفاهم معهم تفاهما اساسيا، أما في مصر فقد تحسن وضع الحكومة نحو العراق تحسنا ملموسا، وقد أبدى كل من حسين سري باشا وفؤاد سراج الدين رغبتهما في ازالة كل أسباب الجفاء بين العراق ومصر، أما سياسة البلاط فقد ظهر شخصها وانفضح امرها لدى الجميع هنا ولا سيما حين أعلن البلاط الحداد ثلاثة أيام على مقتل حسني الزعيم.

"شرف جلالة الملك عبد الله بغداد، في طريق عودته من طهران، وتحدث جلالته عن قناعته بأهمية الجامعة الاسلامية، وأنها يمكن ان نلجأ اليها اذا فشلنا في اصلاح الجامعة العربية، وبعد المناقشة اتفقنا على أن الجامعة العربية يجب أن تكون ضمن جامعة اسلامية وهذه ضمن جامعة أسيوية ضمن نطاق الامم المتحدة، معروف لسموكم المعظم هو ان الوقت قد حان لتقوية الوزارة واعادة نوري باشا لتشكيلها بحيث تضم عناصر قوية من بعض الشيوخ المحنكين وأكثرية شباب يحمل الروح القومية الاصلاحية، نحن في حاجة الى وزارة تتولى مشاريع عمرانية واصلاحية سريعة تطمن الشعب وتفتح أمام الشباب أبواب الأمل، وفقكم الله في مساعيكم وأرانا طلعتكم البهية باليمن والاقبال.

المخلص لسموكم ابدا
فاضل المجالي
كتاب محكمة الشعب -
بغداد-
الطبعة الاولى ص 1117

ويبدو ان الجمالي بدأ فورا بممارسة السياسة الهادئة وغير الرسمية وبلا ضجة ولا دعاية، لأن اشاعة قوية ملأت دمشق بأن الجمالي زارها زيارة سرية ولكن الحكومة كذبت هذه الاشاعة.

والحقيقة ان مشروع الاتحاد لم يطرح في مجلس الوزراء خلال الاسبوعين الاولين وانما كان الهم منصرفا لقضية الاعتراف العربي والدولي بالوضع الجديد.

وبتاريخ 1949/8/24 أصدر نوري السعيد بيانا رسميا في الاسكندرية نفى فيه تأييده لمشروعي سورية الكبرى والهلال الخصيب وكان هذا البيان تطمينا وتمويها ريثما تمر العاصفة.

كما يبدو ان الاتصالات السرية في بداية العهد، بين العراق وبريطانيا والحكومة السورية كانت تجري عن طريق رئيس الوزراء هاشم الاتاسي، ووزير الخارجية ناظم القدسي، ووزير الداخلية رشدي الكيخيا، ووزير الدولة عادل العظمة، من خلف ظهور الوزراء الاخرين، اذ كان هؤلاء يعقدون اجتماعات خاصة سرية لفتت انظارنا، وقد استمروا بعقد الاجتماعات السرية الى ما بعد طرح مشروع الاتحاد على مجلس الوزراء.

الاعترافات العربية والدولية

بعد انقلاب الحناوي ونقمة الملك فاروق وحاشيته على الوضع الجديد في سوريا، ظهر خلاف بين حزب الوفد والبلاط المصري، وقد انعكست آثار هذا الخلاف حتى على أبسط الشؤون بين مصر وسوريا، فقد كانت وزارة الحربية والبحرية المصرية اعلنت، بتاريخ 14 حزيران 1949، عن موافقتها على قبول سبعين طالبا سوريا للدراسة في الكليات العسكرية المصرية، الفنية والجوية والبحرية وحين وصل هؤلاء الطلاب الى مصر، في أواسط شهر تشرين الاول، اعيدوا الى سوريا اذ رفضت السلطات المصرية قبولهم.

فنشرت جريدة "المصري" مقالا للدكتور محمد صلاح الدين، وزير الخارجية المصرية السابق، (وفدي) مقالا تحت عنوان "لم يكن عملا صالحا" انتقد فيه حكومة سري باشا لاعادتها هذه البعثة وقال: وأعجب العجب ان يقترن هذا التصرف القاسي اقترانا زمنيا بقرار السماح لمندوبي اسرائيل بدخول مصر لحضور اجتماعات المنظمة الصحية الاقليمية، فالوزارة المصرية تجري رخاء مع اسرائيل وتقسو كل القسوة مع مبعوثي الشعب السوري الشقيق".

وعندما أرجئت اجتماعات اللجنة السياسية للجامعة العربية مرة ثانية الى ما بعد اعترافات الدول العربية اضطرت الحكومة السورية لأن ترسل كتابا الى عبد الرحمن عزام الامين العام للجامعة بتاريخ 49/9/17 هذا نصه:

"تأجل اجتماع اللجنة السياسية مرتين رغم وجوبه لتوحيد اتجاه الوفود العربية في الامم المتحدة التي ستجتمع في ليك سكسيس، ان سبب التأخير هو تريث بعض اعضاء الجامعة باعادة الصلات مع الحكومة السورية وحذرهم ان يكون الاجتماع بمثابة اعتراف، ولما كانت رغبتنا ان لا يقوم موضوعنا عثرة في سبيل اجتماع اللجنة السريع فالرجاء دعوتها تفاديا للتأخير واتخاذ قرار بما يتعلق بمؤتمر لوزان واتجاه الدول العربية... وليكن معلوما بوضوح اننا لا نعتبر اجتماع اللجنة السياسية اعادة للصلات بيننا وبين الحكومات العربية التي لم تعد صلاتها معنا حتى الان، فلا يعتبر اجتماع اللجنة تغييرا في موقفها اذا شاءت... ونؤكد ان هذا لن يؤثر بشكل ما على شعور الود والاخاء العربي الذي نكنه بالسواء للحكومات العربية التي اعادت صلاتها معنا والتي لم تعدها حتى الان. فهدفنا الاسمى معالجة مصالح العرب الحيوية".

وبتاريخ 19 ايلول ارسل وزير الخارجية اللبنانية حميد فرنجية كتابا يعترف فيه بالوضع الجديد كما صدر في اليوم ذاته عن مديرية الدعاية والانباء السورية بلاغان رسميان عن اعتراف المملكة العربية السعودية ومصر بالوضع السوري الجديد، حيث زار الشيخ عبد العزيز بن زيد الوزير السعودي المفوض وزير الخارجية السورية وقدم اليه مذكرة تتضمن اعتراف السعودية وتمنياتها الطيبة لسوريا والقائمين على شؤونها، كما زار محمد عبد المنعم القائم باعمال المفوضية المصرية وزير الخارجية السورية وقدم اليه مذكرة بالاعتراف.

وما لبثت بعد ذلك ان توالت اعترافات الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والدول العربية والاجنبية الاخرى.

61

1949: فـي وزارة الزراعـة - ارسـال البعثـات الـى اوروبا - الاستعانة بخبراء زراعيين من الفلسطينيين ومرسـوم اشـتراعي بمعاملـة الفلسـطينيين فـي وظـائف الدولـة معاملـة السـوريين مـع احتفـاظهم بجنسـيتهم الفلسـطينية - الاسـتغناء عـن الخبـراء الاجانب - الاهتمام بالتشجير - توزيـع امـلاك الدولـة في دير شميل وانطلاق حركة الفلاحين.

كنت انفر مـن الاشـتراك فـي الحكـم نفـورا شـديدا لأسـباب خاصة تتعلق بمزاجي وأسـباب عامـة أخـرى، ولـم يسـبق لـي أن حضـرت دعـوة رسـمية الا عنـد الضـرورة، لاننـي انفـر بطبعـي مـن مظاهر الحكم وأبهته ورسمياته وشكلياته، وكنت افضل ان أمشي بـين النـاس لأفـرج عـن نفسـي، أو أن أجلـس فـي المقهـى مـع رفاقي، أو مع الفلاحين والطلاب في منزلي، من أن (أتصـبر) علـى كراسـي الوزارة والحكم.

لقد قضـيت كـل حيـاتي بـين النـاس علـى مختلـف فئـاتهم، متصلا بضمائرهم وهمـومهم الخاصـة والعامـة، وكـان هـذا الاتصـال المباشـر اكبـر حـافز لـي علـى النضـال والصـمود وفهـم القضـايا الاجتماعية والوطنية والتعرف عن قرب على آلام شـعبنا الحقيقيـة وعلى القيود والاغلال التي تعيقه في طريق التحرر والتقدم.

ان مزاجا من هذا النـوع ليجـد صـعوبة كبـرى بالانقطـاع عـن الناس والتقيد بالبروتوكول والرسميات، وركوب السيارات الرسمية، واداء التحيات، وما يصحب ذلك بما لا يتفق مع مزاجي، وكنت فيما سبق اعتذرت، فـي عـام 1946 عـن الاشـتراك فـي الـوزارة عنـدما عرضها علي الدكتور محسن البرازي باسم القـوتلي، وكنـت وقتهـا فـي ذروة طمـوح الشـباب لا لأننـي لـم أكـن قانعـا بجـدوى هـذا الاشتراك وظروفه فحسب، بل لانني أيضا أنفر بطبعي مـن الحكـم ومظاهره وأخاف من مسؤولياته:

"إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها، وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا".

ولكنني اثر انقلاب الحناوي لم أر بدا من أن اتحمل المسؤولية فقد كانت سورية بعد انقلابين متتاليين خلال أربعة أشهر بحاجة الى تضافر جهود ابنائهما على اختلاف اتجاهاتهم، بالاضافة الى أن وجودي في وزارة الزراعة التي عرضت علي سيكون بداية لتطبيق بند هام من برنامج حزب الشباب وهو توزيع أراضي املاك الدولة على الفلاحين، كما ان اشتراكنا في الحكم يجعلنا نطلع يوما بيوم على ما يحاك.

□

عندما استلمت وزارة الزراعة أتذكر انني دونت بنودا لبرنامجي الاصلاحي في هذه الوزارة وطفقت الاحقه يوما بعد يوم.

منذ اليوم الاول طلبت من الأمين العام للوزارة السيد توفيق الاحدب وهو من ابناء حماة، ان يقدم لي أسماء موظفي الوزارة، برغم سيول المهنئين التي قدمت من مختلف انحاء البلاد ولا سيما من أبناء وفلاحي محافظة حماة.

كان عدد الموظفين ضئيلا جدا بحيث لا يكاد يؤلف مكتبا لوزارة زراعة، وكان معظم هؤلاء الموظفين غير مجازين بالزراعة، ولتسديد هذا النقص كانت الوزارة قد استجلبت عددا من الخبراء الاجانب، وكانت تدفع لهم رواتب ضخمة، فطلبت تقارير هؤلاء الخبراء وكان قد مضى على بعضهم ثلاث سنوات.

بدأت بقراءة تقرير الخبير الاميركي المستر بيكيت عن صلاحية الساحل السوري لزراعة الحمضيات، وهو تقرير اقتضى ثلاث سنوات من الدراسة فوجدته يؤكد ان الساحل السوري غير صالح لزراعة الحمضيات، فأمرت فورا بالغاء عقده وعقود رفاقه الاخرين، وأفهمته أن تقريره هذا لا يخدم الا اسرائيل، المصدرة للحمضيات، وان زراعة الحمضيات في الساحل السوري ناجحة فعليا دون حاجة للدراسات، وهي تتسع عاما بعد عام.

والواقع ان حذري من استخدام الخبراء الاجانب بكثرة في بلادنا لم يكن وليد اللحظة وانما كان ناشئا من تجارب سابقة ولا سيما فيما يتعلق بوزارة الدفاع.

كان علي اذن ان أبدأ بتأسيس وزارة الزراعة وأن أزودها بالكوادر الفنية اللازمة، لذلك لجأت الى طريقتين:

1- ارسال البعثات لدراسة احدث ما استجد في مجال الزراعة.

2- توجيه دعوة الى المختصين من الفلسطينين لاستخدامهم في وزارة الزراعة، وكان الانتداب البريطاني قد أنشأ معهد خضوري في قلقيلية وتخرج منه عدد كبير من الفلسطينين وفيهم من تابع اختصاصه وأصبح من ذوي الخبرة.

اصطدمت ببعض العراقيل التي تتعلق بقانون الموظفين **فاقترحت مرسوما اشتراعيا وافق عليه مجلس الوزراء بتاريخ 1949/9/18 يعدل الفقرة الاولى من المادة الثانية عشرة من قانون الموظفين، وينص على عدم تطبيق شرط الجنسية السورية على الفلسطينين العرب، عند طلبهم التوظف في دوائر الدولة والمؤسسات العامة وأن يعامل الفلسطينيون معاملة السوريين مع احتفاظهم بجنسيتهم الفلسطينية.**

وقد علقت الصحف بعد صدور هذا المرسوم بقولها:

"ان الحكومة السورية كانت أول حكومة عربية اتخذت مثل هذه الخطوة القومية التي لها مدلول عميق، وسيكون لها أثر عظيم في اقناع كل عربي فلسطيني انه يعامل في سورية معاملة المواطن السوري نفسه لأن القومية العربية هي الرابطة التي تجمع بين مختلف الاقطار العربية" (النصر 1949/9/18)

كان مشروعي يتعدى حدود المساواة بين السوريين والفلسطينيين في وظائف الدولة الى المساواة التامة بجميع الحقوق والواجبات بما فيها الحقوق السياسية مع

احتفاظهم بجنسيتهم الفلسطينية، ولكن مجلس الوزراء لم يوافق على هذه الخطوة الواسعة وخشي نتائجها، وقد فتحت فيما بعد امام الفلسطينين ابواب الكلية العسكرية والجيش عندما أصبحت وزيرا للدفاع.

البعثات الزراعية الى اوروبا

كما اعلنت في الوقت ذاته عن مسابقة لاجراء بعثة كبيرة من حملة البكالوريا للتخصص بالزراعة فأصدرت القرار الوزراي رقم 257 الذي نشر في الصحف بتاريخ 1949/9/18.

ومن أطرف ما حدث معي بصدد هذه البعثة انه تقدم اليها شاب من ابناء حي السخانة بحماة، وكان والده "الحجي" من وجهاء ذلك الحي ومن المفاتيح الانتخابية فيه فزارني الحجي وقال ان ابنه درس الزراعة سنتين في مصر، وانه سيدخل المسابقة، ورجاني ان اساعده فيها، فقلت له: طالما ان ولدك درس الزراعة سنتين في مصر فلا بد ان ينجح بشكل طبيعي وعن جدارة، فعليك ان تطمئن الى نجاحه سلفا دون مساعدة لأن التدخل في المسابقة أمر لا يجوز، وأنت تعلم اننا كنا نكافح دوما مثل هذه الارتكابات.

وقد شكلت لجنة لاجراء هذه المسابقة وأوصيتها بشكل صارم الا تتأثر بأي تدخل من أي جهة كانت، وأعلمت الاعضاء بأنني سأراجع الاوراق بنفسي اذا تلقيت أي شكوى.

ومن سوء الحظ ان ابن الحجي لم ينجح، فانقلب والده علي ووقف مني موقفا معاديا في الانتخابات مما خسرني مئات الاصوات في أسوأ معركة انتخابية خضتها.

لقد رويت هذه الواقعة للناخبين وقلت لهم انني لن أرتكب هذا الاثم ولو سقطت في المعركة، وكنت اقصد تبديل العلاقة السابقة، المهترئة والشاذة، بين النائب وناخبيه ولو كان ذلك في أحلك الظروف.

وبالمقابل فقد وصلني شكر من معلم ابتدائي في محافظة اللاذقية، لا اعرفه، قال فيه: انه لم يكن يصدق بأن في هذا الوطن حاكم صادق.. وعندما اعلنت عن المسابقة قال في نفسه: "فلنصدق هذا الرجل مرة واحدة" ودخل المسابقة وأعلنت النتائج فوجد اسمه في عداد الناجحين، واختتم كتابه بالشكر، لا على نجاحه، بل لأنه وجد في بلده حاكما صادقا... ان هذه الحادثة تشير الى الهوة السحيقة التي كانت تفصل بين المواطن والدولة.

ثم ارسلت بعثة ثانية، بالانتقاء، من خريجي المدارس الزراعية ليكملوا تحصيلهم في الخارج، وقد كانت وزارة المعارف في السابق، ترسل باسم وزارة الزراعة عددا ضئيلا من الموفدين في بعض البعوث وبعد تخرجهم تعينهم في وزارة المعارف بدلا من تعيينهم في وزارة الزراعة، ولذلك طلبت نقل جميع خريجي الزراعة من التعليم الى ملاك الزراعة، كما فصلت ايفاد البعثات الزراعية عن وزارة المعارف وألحقته بوزارة الزراعة.

ولم اتمكن، في فترة الشهور القليلة، أن املأ ملاك الوزارة بالمختصين الاكفاء، ولكنني وضعت الاساس لبناء الوزارة في المستقبل وقد ساعدني مجلس الوزراء باصدار المراسيم التشريعية وبالموافقة على كل مشاريعي دون عائق يذكر، وقد أعرت المجلة الزراعية والنشرات الارشادية اهتماما كبيرا، كما حاولت استخدام الاذاعة الموجهة لخدمة التوعية الزراعية.

وفيما يتعلق بالتشجير فقد كانت هنالك مساحات واسعة من أشجار الزيتون البري في جبل العلويين، وهي في الاساس من أشجار الزيتون المثمرة ولكنها أصبحت بعد الاهمال الطويل زيتونا بريا، وكان الفلاحون يتاجرون بقلعها من أرومتها وارسالها الى لبنان، فاصدرت قرارا بمنع تصديرها، وباشرت بانشاء مراكز لتطعيم احراج الزيتون البري وتقليمها وفلاحة ارضها لتعود الى طبيعتها الاولى اشجارا مثمرة ثم توزيعها على الفلاحين بمعدل خمس هكتارات لكل عائلة وقد نشر بتاريخ 1949/9/30 المرسوم الاشتراعي الذي ينظم عملية التوزيع، وأرى من المفيد ان اثبت نص هذا المرسوم التشريعي:

المـادة الاولـى: يسـمح لـوزارة الزراعـة ان تسـجل باسـم الدولـة الاراضـي الحراجيـة التـي تضـم اشـجارها عـددا كبيـرا مـن شـجر الزيتون البري الذي يمكن تأهيله عن طريق العناية والتطعيم بحيث تصبح ملكا خاصا بها.

المادة الثانية: تقوم وزارة الزراعة باحصاء الاراضي المـذكورة ووضـع المخططات اللازمـة لهـا علـى غـرار الاسـس المتبعـة فـي اعمـال الدائرة الفنية (المساحة).

المادة الثالثة: تتولى وزارة الزراعة تقسيم هذه الأراضي الى عـدة أجزاء بحيث لا يتجاوز الواحد منهـا خمسـة هكتـارات بغيـة توزيعهـا علـى أهـالي القـرى او الفلاحـين المجـاورين لهـا وسـواهم ممـن يباشـرون العمل الزراعي بأنفسهم وذلك ضمن شـروط تحـدد بقـرار من الوزارة.

المادة الرابعـة: يشـترط فـي الفـلاح الـذي يجـري التوزيـع عليـه ان يكون رب عائلة فقط ولا يجوز اعتبار أخيه أو أبنائه وهم فـي حجـره مستقلين عنه وعليه ان يثبت ذلك بموجب سجل النفوس.

المادة الخامسة: تحدد المدة القصوى لتسجيل الاراضـي بخمسـة سـنوات فيما اذا اثبـت الكشـف مـن قبـل اللجنـة المكلفـة بـالتوزيع والمنصوص عليها في دفتـر الشـروط، قيـام الفـلاح الـذي سـيجري التوزيع عليه بالالتزامات المطلوبة منه وفـي حـال عـدم ثبـوت ذلـك تسترد الارض منه فورا ويجري تسليمها لمستحق آخر.

□

وكانت الاحراج تسير فـي سـوريا، بشـكل عـام، فـي طريـق الانقراض، ولا سيما بعد الحرب العالمية الاولى حيث قطـع الاتـراك معظم اشجار غاباتنا واحراجنا لتسيير القطارات بـين تركيـا وسـوريا وفلسطين، بدلا عـن الفحـم الحجـري الـذي انقطـع اسـتيراده مـن أوروبـا. فـأتلفوا مسـاحات واسـعة مـن هـذه الاحـراج حتـى اصـبح اكثرها اراض جرداء.

وكان البدو الرحل والفلاحون يعملون بالاحراج قلعا وتكسيرا وحرقا لبيع الفحم والاحطاب للمدن، فلم ار بدا من توسيع ملاك محافظي الاحراج، كما أنشأت بمرسوم اشتراعي حرسا متنقلا للمحافظة على بقايا احراج جبل البلعاس الذي كانت تغطيه غابة كثيفة من اشجار البطم في الماضي، وباشرت بانشاء مركز لتطعيم بقايا شجر البطم ليعود فستقا حلبيا، لأنه من فصيلته، وبدأت بالعمل لترميم المساحات الجرداء من جبل البلعاس حتى يعود الى سابق عهده، بعد أن عملت يد الانسان فيه تقطيعا وحرقا لارساله حطبا للوقود في حمص وحماه وفحما للتدفئة في المناطق السورية الاخرى.

كما أعددت مشاريع التحريج للمساحات الجرداء التي كانت في الماضي اما احراجا واما أراض مغروسة بالزيتون والفستق واللوز وغيرها من الاشجار المثمرة، ولكن قصر عمر الوزارة لم يكتب لها أن تنفذ جميعا، بل طوى كثير منها من قبل من جاء بعدي إلى وزارة الزراعة.

باشرت ايضا بانشاء بعض الغابات النموذجية الصغيرة من أشجار السرو والصنوبر والعفص على طريق حماة وحلب التي لا تزال قائمة حتى الان، لأنها نمت نموا كبيرا ودلت على قابلية معظم اراضينا البعلية للغرس والتشجير.

مصادر الثروة المائية في سوريا

وبما أن الزراعة تتعلق بشكل مباشر بمشاريع الري، الخارجة عن اختصاص وزارة الزراعة، فقد بدأت افتش عن الدراسة التي وضعتها شركة "الكسندر جيب" الانكليزية وهي دراسة اولية لمصادر الثروة الانمائية عامة والمائية خاصة في سوريا وبالرغم من مضي ثلاث سنوات على انجاز هذه الدراسة فانها لم تكن مترجمة بعد، بل انها كانت مفقودة ولم نعثر عليها الا بعد جهد ومشقة، مع انها كلفت حكومة سعد الله الجابري اكثر من نصف مليون ليرة، فكلفت الدكتور صلاح المحايري، الموظف برئاسة الوزراء، بترجمة هذه الدراسة وطبعها وتوزيعها في سوريا وعلى

سفاراتنا في الخارج وكانت هذه الدراسة الاساس في وضع برامج التنمية في سوريا فيما بعد، ولا سيما مشروع سد الفرات الذي كانت تسميه تلك الدراسة "مشروع سد يوسف باشا"

حلول عاجلة لمشكلة السماد

كان وضع سوريا الزراعي سيئا جدا، بالرغم من المساحات الشاسعة في اراضيها الزراعية الخصبة، ووفرة مياهها وقابلية تربتها للزراعات المختلفة، وتنوع مناخها في الساحل والجبل والسهل، اضف الى ذلك مراعيها الواسعة في البادية ومع ذلك فقد أصبحت في العهد العثماني - بعد القضاء التدريجي على الاشجار الحراجية والمثمرة، وبعد تهديم الاقنية وردم شبكات الري واهمالها - تعتمد على التجارة مع الاناضول والعراق وايران والهند، بحيث اصبحت التجارة تشكل اهم مواردها ... ولكن بعد تجزئة الامبراطورية العثمانية وتقطيع اوصالها وفرض الانتدابات عليها، وفصل كيليكيا والاسكندرون عن سوريا، بارت تجارتها ايضا فلاقت ضيقا اقتصاديا شديدا، وكانت حكومة الانتداب تستورد القمح لسورية من اوستراليا في كثير من الاعوام.

ولا يصدق الانسان ان بلدا زراعيا مثل سورية يتعيش من تصدير قرم اشجار الزيتون والاحطاب والفحم والسماد العضوي، وهو المادة الضرورية للزراعة، فاضطررت لمنع تصدير السماد العضوي ايضا، وفكرت بانشاء معمل للسماد الكيماوي. ولكن كان يحول دون انشائه عدم توفر المادة الضرورية له، اذ لم تكن مصفاة البترول قد انشئت بعد.. فاتصلت بمحافظة دمشق علها تنشيء شركة لتصفية المجارير في المدن، فتحقق غايتين: النظافة والسماد العضوي للزراعة، وباشرت بدراسة الموضوع ولكن حالت الاستقالة دون تحقيقه.

تشكيل اول مدرسة بيطرية في سورية

كانت الثروة الحيوانية في سورية تشكل مصدرا اساسيا من مصادر اقتصادها الزراعي، نظرا لاتساع المراعي شرقي البلاد، وبالرغم من ذلك فان حكومات الانتداب والعهد الوطني لم تعر اي

اهتمام او عناية للمحافظة على هذه الثروة الهامة [1] وانمائها، سواء بانشاء الملاجىء للاغنام في البادية، او مستودعات العلف، او حفر الابار الارتوازية، او العناية بالطبابة البيطرية... فكانت الثروة الحيوانية تتبدد بحيث ينفق في بعض السنوات مئات الالوف من الماشية عطشا او جوعا في مواسم الجفاف والثلوج، كما كانت موجات الاوبئة تحصدها حصدا.

فقررت فورا انشاء مدرسة بيطرية لتكون جاهزة لاستقبال الطلاب بدءا من العام الدراسي القادم.

وقد وافق مجلس الوزراء في جلسة واحدة - بتاريخ 14 ايلول 1949 - على جميع المراسيم التي قدمتها وصدر اثر ذلك الاجتماع البلاغ الرسمي التالي: "في الاجتماع الذي عقده مجلس الوزراء اتخذت عدة قرارات تتعلق بوزارة الزراعة وتلخص بما يلي: منع اخراج الاسمدة العضوية الى خارج الاراضي السورية، لأن الزراعة بحاجة ماسة اليها، ومنع اخراج ارومات الزيتون من الاراضي السورية لحفظ ثروتنا من هذه الشجرة، وتعديل نظام المصرف الزراعي فيما يتعلق بالمادة الخاصة بالقروض ذات الكفالة المتسلسلة، وقد مدد هذا النوع من القروض الى ثماني سنوات بدلا من خمس سنوات، لأن هذه القروض على الاغلب تعطى لصغار الفلاحين والمزارعين كما صدر مرسوم بتأسيس مدرسة ثانوية لتخريج المساعدين بالطب البيطري".

البدء بتوزيع اراضي املاك الدولة وانطلاق حركة الفلاحين.

لا بد لنا عند بحث هذا الموضوع من استعراض الوضع الاقطاعي من خلال انعكاساته السياسية على الحركة الوطنية وعلى اوضاع البلاد الاقتصادية والزراعية والاجتماعية، كما انه لا بد لنا من التعرض الى منشئه والى تطوره الحقوقي والقانوني.

(1) كان البدو في بادية الشام يقومون بتربية قطعان الماشية التي تشكل ثروة حيوانية هامة بالنسبة لسورية، وذلك بقيام شراكة بينهم وبين التجار الصغار من اصحاب الدكاكين في المدن الذين كانوا يمدونهم بالقطعان والغذاء والكساء مقابل اقتسام منتجات الاغنام، ضمن اشكال من التقاسم متعارف عليها، وكانت اعشاب البادية هي العلف الوحيد لتلك القطعان.

من المعروف ان حركة التحرر العربي انطلقت في اوساط المثقفين والطلبة وجمعياتهم السرية في الاستانة وسواها قبيل الحرب العالمية الاولى، وقد بدأت هذه الحركة تتعاظم في المدن السورية تحت وطأة الانتداب الفرنسي الذي شحذ الوعي الوطني والحس القومي، ولكن الحركة الوطنية التحررية بقيت معزولة عن جماهير الفلاحين في ريف سورية الذي كان يغط في سبات عميق، وهكذا بقيت الحركة الوطنية طيلة عهد الانتداب بين جدران المدن لم تتخطاها الى الريف الا في فترات الثورات المسلحة، وظلت قاعدة الحركة الوطنية التي يؤازرها سواد الشعب في المدن قوى محدودة في امكاناتها، ولا سيما ان المرأة التي تشكل نصف سكان المدن كانت معزولة عن مجرى الحياة العامة، ولهذه الاسباب تعثرت الحركة الوطنية في معظم معاركها مع الاستعمار الفرنسي وقضى خيار قادتها وروادها قتلا وتشريدا وانجرف آخرون في دوامة المهادنة والمساومة مع الاقوياء... أما بعد الجلاء فقد أعطت القيادات المساومة لنفسها الحق باستغلال البلاد بدلا من الاجنبي، وقد ادى بها حرصها على مصالحها واستثماراتها الشخصية والطبقية ان تمزقت أشلاؤها حسب ألوان مصالحها وارتباط هذه المصالح بالجهات الخارجية العربية والاجنبية، ولما كان لا بد للنجاح في خوض اية معركة من الاستعداد لها وتهيئة اسباب نجاحها، **ولا سيما ان معركة البلاد تطورت بعد الجلاء الى معركة غير متكافئة مع قوى الاستعمار الغربي والصهيونية فكان لا بد اذن من تحرير جماهير الشعب المعزولة من الفلاحين والنساء وزجها في معركة التحرير.**

كان التناقض الاجتماعي الكبير هو التناقض القائم بين الفلاحين وبين الاقطاع الجاثم على ارجاء البلاد والمنعكس على جميع مظاهر حياتها، وكانت الحركة العمالية بطبيعة الحال في بلد متخلف زراعي ضعيفة هزيلة.

كنت قد تحدثت بالتفصيل عن المراحل التي مرت بها الحركة الشعبية في حماة ولا سيما ابتداء من عام 1943، كما

ذكرت انه ابتداء من عام 1947 تجاوزت الحركة الشعبية في نضالها ضد الاقطاع والرجعية مدينة حماة الى الأرياف، فبدأ الاقطاعيون يلجأون الى عمليات تهجير الفلاحين، وكان القانون يجيز للمالك ان ينتزع الارض والمسكن من الفلاح فيطرده من قريته وبيته في اي وقت شاء، وفي حال مقاومة الفلاحين كان الدرك اداة القمع والتنفيذ.

الفلاحون امام القانون

كانت احكام المجلة العدلية لصالح المالكين، ثم الغيت احكام المجلة وحل محلها القانون المدني، ولكنه لم يبدل من وضع الفلاحين الحقوقي شيئا، حيث ظل الحق للمالك في نهاية كل عام زراعي ان يخرج الفلاح من القرية المملوكة وينزع يده عن الارض دون مبرر او سبب معقول.

لقد بدأ الفلاحون يدركون انهم قوة كبرى اذا تضامنوا ولكن كان لا بد لهم في البداية من اسقاط سيف التهجير القانوني المسلط فوق رؤوسهم، اذن لا بد لنجاح حركة الفلاحين من سن قانون يمنع تهجيرهم ويمنحهم الحق بأن يبنوا بيوتا في أراضي املاك الدولة، ومن هنا كانت الاهمية القصوى لعملية توزيع اراضي املاك الدولة على الفلاحين اذا انها تهيء لهم المسكن حينا والارض الزراعية احيانا، مما يسقط من يد الاقطاع سيف التهجير ويهيء الاسباب لالغائه عمليا وواقعيا.

والسؤال الان كيف اتسعت الاقطاعيات الزراعية في سورية؟ وما هي قصة املاك الدولة؟

كان التهافت على الملكية العقارية في سورية حتى بداية القرن التاسع عشر وبسبب اختلال الامن خارج المدن باستمرار مقتصرا على المدن وما حولها من الاراضي الخصبة ذات الانتاج الوفير، وكانت هذه الاراضي اما ملكا صرفا واما اوقافا ذرية للاسر الوجيهة او اوقافا خيرية، ولكن الدولة العثمانية في بدء محاولاتها الاصلاحية التي تم بها وضع بعض القوانين الحديثة قد اصدرت قانون الاراضي ونظمت سجلات التمليك مع محاولتها فرض

سيطرة الدولة وهيمنتها، وقد أدى ذلك الى جعل بعض اقطاب الاسر النافذة والموظفين الاداريين - ولا سيما في قوى الدرك - ينتزعون ملكية الاراضي ويسجلونها على أسمائهم بداعي حماية الفلاحين من الضرائب الحكومية ومن اعتداءات الدولة.

كما سجلت الأسر المتنفذة باسمها ملكيات واسعة عن طريق الرشوة والاحتيال ونقل الملكية دون معرفة الفلاحين ورضاهم، او عن طريق التزام ضريبة العشر التي كانت تسمح للمتنفذين مجالا واسعا للاثراء والتملك بشتى الطرق.

ولم تقم الحرب العالمية الاولى الا وكانت الاسر الاقطاعية قد سجلت باسمها اخصب الاراضي المنتزعة من الفلاحين بالاحتيال او الارهاب او الشراء او التزوير، ما عدا القرى المسيحية التي كانت بحماية خارجية، وقد هيأت ظروف الحرب العالمية الاولى ثم الانتداب الفرنسي لتوسع الاقطاعيين في ملكية الاراضي، وكان هذا التوسع يستهدف الاراضي التي يقع معظمها غرب طريق دمشق حمص حماة حلب حتى شمال سورية لأن أراضي هذه المنطقة خصبة وآهلة ومعدلات الامطار فيها مرتفعة بينما تبدأ بالانخفاض شرقا.

أما الاراضي الواسعة التي تقع شرقي خط الامطار فان معظمها كان خاليا يتنقل فيه البدو بمضاربهم ومواشيهم، وكانت كل قبيلة تملك عددا من القرى، ولكن السيطرة على الأرض وأفراد القبيلة كانت لشيوخها، كما كان السلطان العثماني يملك عددا كبيرا من هذه القرى قبل الحرب العالمية الاولى.

ان ملكية الاراضي في سورية، قبل عمليات التحديد والتحرير، كانت خاضعة لقانون الاراضي، العثماني ومسجلة بسندات التمليك الموجودة أروماتها في الاستانة، وكانت عمليات التلاعب وانتقال الملكية والاستحواذ على سندات التمليك يسيرة على الاقوياء والحاكمين.

وفي الثلاثينات قامت سلطات الانتداب بعمليات التحديد والتحرير لمعظم الاراضي السورية وأصدر المفوض السامي في

سوريا ولبنان القرارات والقوانين العقارية الحديثة، واهمها القرار 3339 الذي عدل كثيرا من احكام قانون الاراضي القديم واحكام المجلة.

وقد جرت عمليات التحديد والتحرير والمسح والتسجيل على احدث الاساليب العصرية، ودامت سنين طويلة وأنفقت في سبيلها أموال طائلة، وبالرغم من المظالم التي صحبتها فانها اوجدت وضعا مستقرا لملكية الارض غير قابل للتلاعب والتزوير والاحتيال من جديد، ومع ذلك فان الاقطاعيين المتنفذين قد ادخلوا في ملكياتهم خلال عمليات التحديد والتحرير كثيرا من أراضي املاك الدولة، ومن الاراضي التي تعود ملكيتها للفلاحين، ولكن المساحات التي سجلت باسم الدولة كانت مساحات واسعة في كل المحافظات السورية، وهي كالانهار والبحيرات والمستنقعات، ومنها أملاك الدولة الخاصة كالاحراج وغيرها، وهنالك املاك الدولة المرفقة كالبيادر والمراعي وغير ذلك مما تفصله كتب القوانين العقارية.

ان تطبيق سلطات الانتداب للقرارات التي اصدرها المفوض السامي الفرنسي بشأن استحواذ واحياء املاك الدولة - بعد عمليات التحديد والتحرير - كان يجري لمصلحة الاقطاعين وشيوخ القبائل والمتنفذين، وهكذا بدأ سلب ونهب اراضي أملاك الدولة منذ العهد العثماني واستفحل أمره ايام الانتداب، واستمر بعد الجلاء بشتى ضروب الاحتيال على القوانين السارية المفعول.

لقد سجل بعض الملاكين، أثناء عمليات التحديد والتحرير، قسما من أراضيهم المجدبة في بعض الاحيان باسم الدولة تخلصا من أعباء الضريبة التي كانوا يتوقعون انها ستطرح على مساحات الأرض، كما كان يجري في كل قرية تسجيل الاراضي المرفقة التي هي بالاساس لمنفعة القرية كالبيادر والمراعي.

وفي الوقت نفسه لعب مصرف سورية ولبنان (الفرنسي) بعد احتلال سورية دورا كبيرا في ترسيخ الاقطاع واتساعه وشموله فقد قدم قروضا بملايين الليرات للمشاريع الزراعية التي

أنشأها - في اعوام الانتداب - التجار والاقطاعيون وشيوخ القبائل، في أراضي املاك الدولة في الجزيرة والرقة ودير الزور، واستولوا عليها واستملكوها لحسابهم الخاص، كما استمر البنك السوري في لعب هذا الدور بعد الجلاء، ولا سيما ابتداء من عام 1950 عندما اتسعت زراعة القطن في سورية اذ مد بالاموال مشاريع الاقطاعيين ورؤساء العشائر والمتنفذين والتجار في جميع انحاء سوريا، وكثيرا ما بلغت ملكية الشيوخ والبورجوازيين والاقطاعيين والمتنفذين، لا سيما في الجزيرة والرقة، مئات الوف الدونمات من اراضي املاك الدولة البعلية والمسقية.

والمهم في الامر ان تلك المشاريع الزراعية الواسعة، لم تؤد الى ايجاد حياة زراعية فلاحية مستقرة في تلك المناطق الشاسعة اذ ان المستغلين لم يجلبوا فلاحين من المناطق الكثيفة السكان للعمل في هذه المشاريع بل لجأوا الى استخدام الالات فبقيت في البلاد مناطق مكتظة بسكانها ولا يجد الفلاحون فيها ارضا، وبقيت تلك الاراضي الواسعة وليس فيها الا التجار وشيوخ القبائل المحرومة افرادها من الارض ومن كل خدمات الدولة التعليمية والصحية وسواها.

بدأت بتوزيع اراضي أملاك الدولة في قرية "دير شميل" وهي اكبر قرى قضاء مصياف واحدى ملكيات عائلة العظم، فأوعزت للفلاحين بأن يتقدموا الى وزارة الزراعة بطلبات لتوزيع اراضي أملاك الدولة عليهم في تلك القرية، ووافقت على تلك الطلبات، وأجزت للفلاحين بناء مساكن لهم في تلك الاراضي، فكلف مجلس الوزراء خالد العظم وزير المالية بأن يدرس معي هذه القضية، وكانت بغاية البساطة:

أرض للدولة وفلاحون محرومون من الأرض والسكن وآل العظم يملكون المساحات الكبيرة من الأراضي المروية والمشجرة والبعلية في هذه القرية وسواها من القرى الكبيرة الأخرى فمن واجب وزارة الزراعة اذن ان توزع هذه الأراضي حسب القوانين المرعية النافذة على الفلاحين وتسمح لهم ببناء بيوت لسكنهم،

ولا سيما ان الارض الموزعة كانت صغيرة، فلم يسع خالد العظم إلا التسليم.

وهكذا كان توزيع أراضي الدولة في قرية دير شميل الشرارة الأولى في انطلاق حركة الفلاحين.

ان أهمية القضية لم تكن بالنسبة لمساحة الاراضي التي وزعت على الفلاحين وانما تكمن أهميتها في تحقيق الأمل الذي كان يراود مخيلتهم باستملاك الارض، مما كان يعتبر فيما مضى من الأيام حلما من الأحلام.

كان الفلاحون، في الماضي، عندما نحدثهم عن حقهم في ملكية الأرض وعن امكانية بلوغهم هذه الاهداف بالنضال، وبأنهم سيصبحون سواسية مع الملاكين بالحقوق والواجبات، وأنهم مواطنون شرفاء لا يسرقون ولا يعتدون ولا يستغلون وانما يكسبون رزقهم بكد يمينهم وعرق جبينهم، عندما كنا نحدثهم عن ذلك كانوا يتحمسون كثيرا لهذا الحلم الجميل كلما اجتمعنا بهم في جولاتنا ولقاءاتنا وأحاديثنا في الندوات الحزبية وزياراتنا لبيوتهم في قراهم، كان ذلك حلما وأملا ورجاء، **ولكن سرعان ما انتشرت قصة دير شميل بين الفلاحين انتشار النار في الهشيم فكانت عن حق بداية تفجير حركة الفلاحين التي ستتسع فتشمل سورية من أقصاها الى أقصاها، لا سيما وانني اذعت بيانا في الصحف "أعلنت فيه أن أراضي أملاك الدولة معدة للاستثمار وكل من يرغب بالعمل الزراعي ويعرف أرضا ليس لها علاقة بحقوق آخرين عليه ان يتقدم بطلب استثمارها ومديرية أملاك الدولة على استعداد لتلبية الطلب"**

(جريدة النصر 1949/9/16)

قانون حماية الفلاح

كما ألفت خلال وجودي في وزارة الزراعة بقرار وزاري، لجنة اشترك فيها الدكتور محمد السراج والدكتور عبد الوهاب حومد ومدير أملاك الدولة وخبيران آخران لوضع قانون لحماية الفلاح، ولم

تنجز اللجنة هذا المشروع بسبب قصر المدة، ولكن الدكتور محمد السراج كان يبشر به أثناء المعركة الانتخابية في زيارتنا للقرى وأحاديثنا مع الفلاحين.

ان أهمية تشكيل هذه اللجنة سوف تظهر فيما بعد، عند وضع دستور عام 1950 حيث اصبح الدكتور عبد الوهاب حومد مقررا للجنة الدستور، وتمكن المجلس التأسيسي من اقرار مادة في صلب الدستور تنص على سن قانون لحماية الفلاح وتحديد الملكية الزراعية.

1949: اهتمامات مجلس الوزراء بعد الإطاحة بحسني الزعيم - صدور قانون جديد للانتخاب - المرأة تنال حق الانتخاب

كانت جلسات مجلس الوزراء تبدأ عادة بشرح طويل وبطيء من الرئيس هاشم الأتاسي عن السياسة العربية والدولية، وعن رسائل وبرقيات التهنئة. ثم يعقب وزير الخارجية ناظم القدسي على كلامه فيذكر المساعي التي يبذلها والمعلومات التي يتلقاها والتعليمات التي يصدرها لسفاراتنا، بالاتفاق مع الرئيس الأتاسي، للحصول على الاعترافات العربية والدولية بالوضع الجديد.

كان فريق الأتاسي كيخيا حريصا جدا على أن تقتصر أعمال الحكومة على مهام الحكومة الانتقالية، فترجىء كل الأمور غير الملحة والعاجلة والضرورية الى الحكومة التي ستنبثق عن المجلس التأسيسي القادم... ولذلك فان أبرز القضايا التي عالجتها هي التالية:

أولا: قضية المعتقلين في عهد حسني الزعيم

وقد أطلق سراحهم فورا ما عدا الشيوعيين الذين حال هاشم الاتاسي دون اطلاق سراحهم، أما فيصل العسلي فقد كان رشدي الكيخيا يطالب باطلاق سراحه، يؤيده هاشم الأتاسي ووزراء حزب الشعب، وقد وقفت مع الدكتور سامي كبارة في موضوع ابقاء العسلي رهن التحقيق بمقتل محمد علوش رئيس تحرير جريدة اليقظة بينما اتخذ الدكتور كبارة هذا الموقف لأنه كان يكرهه كرها شديدا بعد أن أوشك العسلي ان يقضي بإرهابه على زعامته في دمشق وكانت المعركة الانتخابية على الأبواب.

كادت قضية العسلي تؤدي الى أزمة وزارية واستمر الجدل والنقاش فيها طويلا وأخيرا جرت مساومة سرية - دون علمي - بين الجيش والكيخيا وكبارة وتم علي أثرها اطلاق سراح العسلي لقاء عدم دخوله المعركة الانتخابية.

وبينما كانت حملة الضغط مستمرة للافراج عن فيصل العسلي، كان الشيوعيون لا يزالون معتقلين في سجن المزة.

ومن الطريف أن نذكر أنه تشكل آنذاك وفد من الشابات الشيوعيات وعلى رأسهن أم عمار زوجة الاستاذ خالد بكداش فقابلن رئيس الدولة هاشم الأتاسي في مكتبه بدار الحكومة حيث طلبن إليه الإفراج عن الشيوعيين أسوة بمن أطلق سراحهم من المعتقلين الاخرين، وقد لاحظ هاشم الاتاسي أن لهجة بعضهن دمشقية فسأل: من أي بلد أنتن؟ قلن:

من دمشق... قال الأتاسي:

إذن ما علاقتكن بالقضية والمعتقلون من حمص؟

ثانيا: مستمسكات عهد الزعيم

أما الوثائق الهامة ومحتويات بيت حسني الزعيم وأمواله، فلم يظهر منها الا بعض القصاصات غير الهامة، مثل ورقة بسجل المبالغ التي كانت تدفع للصحف، وورقة أخرى بأسماء الأشخاص الذين كان الزعيم ينوي اعتقالهم. وكان اسمي في رأس القائمة.

ثالثا: التحقيق مع نذير فنصة وابراهيم الحسيني

كان التحقيق مع ابراهيم الحسيني ونذير فنصة مهما جدا. لأنه يكشف السياسة الدولية والعربية والداخلية، الأمر الذي لا يريده الأتاسيون وحزب الشعب، كما لا ترغب بريطانيا والعراق أن يصل جرح أمريكا وفرنسا واستفزازهما الى هذا الحد، في الوقت الذي كانوا يسلكون فيه طريق الدبلوماسية الهادئة والسرية.

ولذلك فوجئت بعد أيام بنذير فنصة يحييني في بهو سراي الحكومة فذكرت ذلك في مجلس الوزراء فقيل لي بأنه لا يزال رهن التحقيق هو والحسيني، وأنهما سيحالان الى المحكمة، فتأكد لي انهم لا يرغبون في التحقيق معهما ولا محاكمتهما، وأن قضيتهما قد انتهت، وأنهما سيلعبان أدوارا خطيرة أخرى في المستقبل... وهذا ما جرى فعلا.

رابعا: قروض الدولة للراسمالين

اهتمت الحكومة بقضية القروض الضخمة التي منحها حسني الزعيم للرأسماليين الصناعيين بحجة تلافي الأزمة التي تعانيها المعامل والصناعات السورية، وكان تأثير الرأسماليين على حزب الشعب كبيرا، فتركت الحكومة لخالد العظم أن يعالج هذه المشكلة، وهذا يعني أن يجد لها مخرجا معقولا، وقد وجد العظم هذا المخرج بأن تبنت الحكومة خطة جديدة لمساعدة الشركات الصناعية العاثرة بأن تقتصر القروض التي ستمنح لها بكفالة الدولة، على ما يلزم تلك المشاريع من المال لأجل البدء في الاستثمار وتسديد قيم الالات المستوردة، كما استردت الخزينة المبلغ الذي منحه حسني الزعيم للحاج وهبي الحريري وكان النص الذي منح الحريري بموجبه المبلغ هو:

قبضت من محاسب وزارة الدفاع الوطني المبلغ المرقوم أعلاه وقدره 500 ألف ليرة سورية وأتعهد بتأديته للدولة عند أول طلب وللبيان حرر .. التوقيع:

واصف حماض الكفيل: وهبي الحريري.

وقد سافر الحريري الى مصر فوضعت الدولة يدها على أملاكه مما اضطره للعودة الى البلاد ودفع المبلغ للخزينة.

خامسا: تعديل قانون الانتخاب

اضطرت الحكومة تحت تأثير ضغطنا وضغط الرأي العام إلى تأليف لجنة تقوم بتعديل قانون الانتخاب بأسرع وقت، وقد تألفت اللجنة من فيضي الأتاسي وعادل العظمة وميشيل عفلق واكرم الحوراني وعقدت عدة اجتماعات، ولكن فيضي الأتاسي لم يكن معنيا بها، إذ انه بطبعه غير مستعد لأن يتعب نفسه بحضور اجتماعات اللجان والغوص في المناقشات، فسجعة جميلة يرددها أو بيت من الشعر يحلم به ويغوص في معانيه يساوي عنده دساتير الدنيا، وكثيرا ما كان يقترب مني اثر انتهاء جلسات مجلس الوزراء ومناقشاته الطويلة فيطلب مني بتودد أن اقدم له خلاصة موجزة عما جرى من مناقشات وأبحاث كان حاضرها بشخصه وشاردا عنها بتفكيره وأحلامه.

كذلك كان الاستاذ ميشيل عفلق شبه غائب عن أعمال تلك اللجنة لأنه كان غارقا بأحلامه.

فبقيت أنا وعادل العظمة نحضر اجتماعات اللجنة وكثيرا ما كان العظمة يتغيب فاضطر لأن أبقى منفردا في بحث تعديلات قانون الانتخاب مع من كنا نستعين بهم من الخبراء الحقوقيين المختصين، وكان ألمعهم الدكتور صلاح الدين الطرزي، فقد كان ذا ذاكرة عجيبة فذة، لم أسأله مرة عن مادة في قانون الانتخاب وعما يقابلها في قوانين الدول الأخرى الا وكان يورد في الحال نصوص تلك المواد والاسباب الموجبة لها.

وكان الذي يهمني تحقيقه، من تعديل قانون الانتخاب، الأمور الثلاثة التالية:

1- منح المرأة حق الانتخاب.

2- إلغاء الطائفية في الانتخابات.

3- تنزيل سن الناخب من 20 عاما الى 18 عاما.

حقوق المرأة السياسية:

لا بد لي، قبل متابعة البحث بتعديل قانون الانتخاب، أن أتوقف قليلا لأعرض وجهة نظري وموقفي من مساواة المرأة بالرجل مساواة تامة في جميع الحقوق والواجبات.

ان الصورة التي رسمت في خاطري، عن وضع المرأة العربية في مجتمعنا، أنه وضع فريد في العالم.

ولقد تكونت تلك الصورة لدي منذ الطفولة، بعد وفاة والدي.. اذ ظلت والدتي بعد ذلك خلال حياتها التي تعدت سن الثمانين، تسير على نهج واحد: تستيقظ قبل طلوع الفجر، وبعد الصلاة تبدأ في أعداد الافطار ثم تعمد الى ايقاظنا وتهيئة هندامنا وحاجاتنا وارسالنا الى المدرسة، ثم تنصرف طيلة النهار الى العمل. حتى اذا جاء الليل أدت فروضها الدينية ونامت باكرا، وهكذا لم يختل هذا

النظام يوما طيلة حياتها... حتى أنها كانت عندما تزورني أحيانا في دمشق، بعد أن تزوجت وصار عندي بيت، لا تستقر أياما الا بشق الأنفس، ذلك أنها تشعر بخلل في الحياة بعيدا عن البيت الذي قضت عمرها داخل جدرانه الأربعة، فتقول لي: "يا بني... أريد أن أعود الى وطني" تقصد البيت في حماة.

لم تكن والدتي فريدة من نوعها، فان كل من تعرفت بهن، منذ الطفولة، من أمهات الجيران كن يتبعن هذا النظام: الحياة داخل جدران أربعة، وبذل الحياة بسخاء يومي للزوج والأولاد فهن جميعا شهيدات، راهبات وقديسات.

ولطالما مرت على أسرتنا ظروف صعبة قاسية فكانت الوالدة تيسر أمر المعيشة بحسن تدبيرها بشكل لا أزال أتعجب منه حتى الآن، ونظرا لوفاة الوالد ونحن صغار فقد كانت ترشد عمي الذي تولى أمورنا وتدبير شؤوننا، وكانت ترشده دوما بالاراء السديدة الحازمة.

كانت على حرمانها من التعليم - شأن كل نساء جيلها - سديدة الرأي في القضايا الوطنية، ففي انتخابات عام 1932، وكنت لا أزال طالبا، رأيتها تنصح أخي الاكبر أن يلتزم جانب الشعب، وقالت له:

"يا بني ان والدك كان بجانب الشعب دوما فلا تؤثرن عليك صداقاتك لآل البرازي، فلما لم يفعل انزوت جانبا وأفرغت همومها في الصلاة.

كنت شديد الحماسة والاستماع لنصائحها. وفي عام 1941 عندما التحقت بثورة رشيد عالي الكيلاني قالت لي أثناء الوداع:

"انني حزينة يا ابني، ولكن لا يمكنني ان أمنعك من الجهاد.. سلمتك إلى الله" .

وفي ثورة عام 1945 كان أخي عدنان يعود الى البيت متعبا من ساحة المعركة ليأخذ قسطا من النوم فكانت الوالدة توقظه بل تؤنبه في بعض الاحيان اذا تأخر عن اخوانه المجاهدين. ولم تكن

والـدتي فـي ذلـك الا واحـدة مـن النسـاء الحمويـات المحجبـات العديدات، اللـواتي تـألق حسـهن السـليم وأصـالة مـواطنتهن فـي ثورة 1945. فكثير مـن النسـاء الحمويـات كـن فـي تلـك الثـورة وراء المجاهدين وبين صفوفهم فـي السـاحة، يشـجعنهم ويسـاعدنهم ويجلبن لهم الماء والطعام والذخائر... وقد ظلـت أحـداهن، وتـدعى "أم مجول" تحتفظ في بيتها بجرة من الفخار كانت تنقـل بهـا المـاء للمجاهدين فثقبتها رصاصة فرنسـية، فصـرخت غاضـبة وسـط أزيـز الرصاص: "لقد ثقبتم الجرة يا أولاد الكلب"... كما حدثني رفيق لنـا أن والدته لم تكتف بأن يذهب هو فقط الى الجهاد، بـل طلبـت مـن زوجها الكهل أن يبيع السجادة ويشتري بندقيـة ثانيـة ويـذهب هـو الى الجهاد أيضـا، وحـين لاحظـت لديـه تلكـؤا وتهربـا هددتـه بأنهـا ستنزل الى الشارع وتصرخ: "أيـن الرجـال" وقـد قتلـت تلـك المـرأة الفاضلة في بيتها برصاصة اخترقت زجاج النافذة.

كانت المعيشة صعبة وقاسـية فـي تلـك الأيـام نظـرا لضـآلة المـوارد. وكـان علـى المـرأة فـي كثيـر مـن الأحيـان أن تتـدبر أمـور معيشـة العائلـة مـع الرجـل، بالاضـافة الـى تحمـل أعبائهـا بتربيـة الأطفال الكثر. ففي الحرب العالميـة الأولـى، عنـدما صـودر الرجـال للحرب في صـفوف الأتـراك، وعنـدما عمـت المجاعـة أنحـاء البـلاد، نصـبت الأنـوال فـي البيـوت، وراحـت الأمهـات يعملـن فـي الغـزل والنسيج لكسـب اود حيـاتهن وحيـاة اولادهـن... كمـا أننـي لا أزال اذكر جـارة لنـا انجبـت عشـرين ولـدا، مـات مـنهم أحـد عشـر ولـدا بسبب الأمراض وفقدان الدواء وقلة الأطباء وانعدام أسـباب الرعايـة الصحية.. فكانت الأمهات يعانين في تربية ورعاية الأطفال العديدين الكثير من التعب والألم والشقاء والصبر.

ولمحة أخرى من ملامح الصورة التي تكونت لدي عن المرأة في بلادنا، من خـلال الممارسـة العمليـة. عنـدما بـدأت بممارسـة مهنة المحامـاة فـي حمـاة، جـاءني رجـل مسـن، ووكلنـي بـدعوة زوجته الناشز طالبا المصالحة معهـا وإرجاعهـا بعـد أن ذهبـت الـى بيت أبيهـا، وفـي جلسـة المحاكمـة الأولـى رأيـت طفلـة لـم تتعـد الثالثة عشرة من عمرهـا، تقـف مـذعورة ممسـكة بتلابيـب أخيهـا

الشاب، بينما كان الزوج قد تجاوز الستين من العمر، فطلبت من القاضي تعليق الجلسة وامهالي فترة بسيطة ريثما اجتمع بالطرفين على انفراد، فعلمت من أخ الطفلة الشاب أنه كان في بيروت يعمل خادما في مطعم، وأن أباه استغل فرصة غيابه، وأراد أن يتخلص من عبء طعام أخته لشدة فقره، فزوجها من ذلك الرجل المسن، وقال لي: "تصور مدى خوف هذه الطفلة وذعرها حين ترى ان هذا الرجل زوجا لها" .. فقلت لموكلي: ان لم توافق على طلب الزوجة بالطلاق فاعتبرني منسحبا من الدعوى منذ هذه اللحظة.

فاندهش الطرفان، وشرحت لهم الأسباب، ففرحت الطفلة وأخوها، واغتم الزوج الكهل، ودخلت أمام القاضي وأعلنت انسحابي من الدعوى.

تلك كانت حال المرأة في المدينة، أما في الريف فان المرأة لا تقوم فقط بأعباء تدبير المنزل وتربية الأولاد، وانما تساعد زوجها، يدا بيد، في الفلاحة والزراعة والحصاد وجني المحصول، والشأن ذاته بالنسبة للبدويات في المضارب والخيام، فالفلاحة والبدوية تعمل أكثر من الرجل، أما في المدينة فلم يمر ظرف يسمح للنساء فيه بالعمل لكسب العيش الا وأقدمن عليه ولم يفسح مجال للعمل - بعد ذلك - أمام المرأة العربية الا وتفوقت فيه وأدته بشعور كامل بالمسؤولية.

لذلك يخطىء من يقول ان نصف المجتمع العربي مشلول... فان صح هذا القول فان النصف الآخر من المجتمع - أي الرجال - هو الاكثر شللا اذا قيست الأمور بمقياس مسؤولية العمل ومشقته والدأب الصابر عليه في خدمة الاسرة والمجتمع والوطن بالتالي.

يضاف الى ذلك أمر أهم وأعظم. وهو أننا اذا رجعنا الى ضمائرنا وتفحصنا القيم الاخلاقية الدينية والتراثية التي توجه التحركات الايجابية من سلوكنا، لرأينا أن الامهات هن اللواتي غرسن هذه القيم في نفوسنا أكثر بكثير مما تلقيناه عن الآباء.

إن المرأة العربية أسلم حسا وأنزه نفسا واكثر انسانية وأشد حصانة من الرجل، وبالرغم من ذلك فهي مضطهدة كأن شبه عار.. حتى أن الرجل كان في بعض مجتمعاتنا المتخلفة حين يذكر اسم زوجته بشكل عفوي يقول: "فلانة .. حاشاك الله". كانت المرأة محرومة من الخروج من المنزل الا عند الضرورات القصوى، فهي رهينة المحبسين: الأب والزوج والمجتمع. وهي ممنوعة من مغادرة البيت حتى الى المدرسة، اذ كان الرجل لا يفكر مطلقا في ارسال بناته الى المدراس، وكان الطيب الانساني من يكتفي بتنفيذ وصية ابي العلاء المعري:

علموهن النسج والغزل وخلوا كتابة وقراءة

فصلاة الفتاة بالحمد تغني عن يوسف وبراءة

وأبشع من كل هذا أننا ما نزال نسمع حتى الان قصصا مذهلة عن جرائم قتل الأم والشقيقة والزوجة والقريبة لمجرد الاشتباه بسلوكهن، والأدهى من ذلك وأمر أن من يرتكب هذه الجريمة الشنعاء يعتبر نفسه بطلا قام بغسل العار، وأن يعتبر قانون العقوبات هذه الجرائم اللاإنسانية من جملة الجرائم المشمولة بالأسباب التخفيفية.. وكثيرا ما بريء هؤلاء المجرمون.

وعندما مارست مهنة المحاماة كنت أتقصد أن أكون وكيلا لهؤلاء الشهيدات لأتخذ من المرافعة مناسبة لفضح ما يرتكبه المجتمع من جرائم شنعاء بحق المرأة وبحق الشرع الاسلامي الذي يبررون باسمه هذه الجرائم، فوحشية التقاليد والاعراف جعلت المجتمع يتخطى حدود الشرع، ويتغاضى عن جوهره الانساني النبيل.

ان هذه الصورة الظالمة لأوضاع المرأة العربية لا تتناقض مع التطور والعصر فحسب بل تتناقض أيضا مع وضع المرأة في الجاهلية والاسلام حيث كانت المرأة وراء المحاربين ومعهم في معاركهم. وكانت مع الشعراء والأدباء في ندواتهم، وكان منهن الشاعرات والأديبات والحكيمات والسياسات، بل كان منهن ملكات عظيمات كزنوبية ملكة تدمر التي كادت تقوض أركان الأمبراطورية

الرومانية... وتاريخ العرب قبل الاسلام وبعده مليء بالشواهد على صحة ما نقول.

يقول المشتشرق هنري ماسييه في كتابه "الاسلام":

"لقد حقق الاسلام للمرأة انسانيتها وكفل لها حريتها وساوى بينها وبين الرجل إلى حد بعيد، ففي المعاملات رفع الاسلام عن المرأة تهمه القصر الدائم التي كانت تحكمها بها الشرائع القديمة، وجعلها أهلا لإدارة أملاكها والتصرف فيها والتعاقد عليها من غير الرجوع الى الرجل.

كما حرم الوأد وندد بالعادة الشائعة عند العرب من تفضيل الذكر على الانثى، وفي الارث أقر لها نصيبا من الأموال، وفي الأسرة منحها حق الزواج بمن تشاء وليس لأحد أن يرغمها على الزواج بمن لا ترغب فيه، كما أعطاها حق فسخ الزواج اذا اتضح لها أنها خدعت أو اذا أكرهت عليه، وضيق كثيرا من دائرة الطلاق ودفعها بكلتا يديه الى العلم بينما كانت الديانة اليهودية تحرمه عليها، مما حدا بالمستشرق فون كريمر أن يقول: ان العرب كانوا مفطورين على احترام النساء ومنهم تعلم الغربيون احترام نسائهم".

□

بعد كل هذا يدرك القارىء الكريم، كم أن الفرصة كانت ثمينة في نظري، حين اتيح لي أن أسهم بتعديل قانون الانتخاب بحيث يتيح للمرأة العربية - لأول مرة - حقها الطبيعي بممارسة الاقتراع، أي مباشرة دورها السياسي... وقد كانت هذه أول فرصة تسنح لي. ولكنها فرصة تحيق بها المصاعب والمخاطر: موافقة الحكومة اولا... ومقاومة الرجعيين لهذه القضية واستغلالها ضدي في المعركة الانتخابية ثانيا.

أما الصعوبة الأولى فقد ذللت. اذ وافقت الحكومة على منح المرأة حق الانتخاب، ولكنها حددته بمن تحمل شهادة الدراسة الابتدائية. وعلى كل حال فقد كان ذلك من أعظم وأهم الامور التي تحققت في المنطقة العربية في حينها، فكانت سوريا اول

بلد عربي يقدم على مثل هذه الخطوة، بل أن كثيرا من البلدان الاوروبية المتقدمة كانت لا تمنح هذا الحق للمرأة في ذلك الوقت.

وأما عن الصعوبة الثانية فقد حاول الرجعيون والانتهازيون ورجال الدين أن يحولوا دون اقرار هذا الحق بكل ما لديهم من وسائل وبالمقابل كانت تصلني رسائل مغفلة من بنات أولئك الرجال أنفسهم تعبر عن شكر كاتباتها، وكنت اشعر بالاعتزاز اذ استطعت ان اقدم هذه الخدمة، ذلك لأنني منذ مطلع سن الشباب كنت أرصد تطور حركات الجمعيات النسائية في سوريا ولبنان ومصر، وأطلع على مجلاتها ومظاهر نشاطها.

وفي مقابل هجمة الرجعيين كانت الفئات التقدمية تحاول ان تشرح أهمية الموضوع بالنسبة لبناء المجتمع على أسس صحيحة، ومع ذلك فان نقمة الرجعيين قد حملتني وحدي مسؤولية اعطاء المرأة حق الانتخاب، واتهمتني بالالحاد والاباحية واستغلت هذه القضية استغلالا كبيرا ضدي دون غيري في المعركة الانتخابية، من قبل شيوخ الرجعية وأركانها، كما لوحظ عند فرز الأصوات، أن النساء صوتن للمرشحين التقدميين، ولا شك ان موقف هاشم الاتاسي، الشيخ الجليل المتدين، على رأس الحكومة، قد أبطل كثيرا من مضاعفات حملة الرجعية على قانون الانتخاب، وأشهد أن الأتاسي كان حكيما في مناقشاته مع الوفود المحتجة وكان مقنعا، أما حزب الشعب فانه تجنب الخوض في هذه القضية أصلا.

"بعد اقرار حق المرأة في الانتخاب أبرقت السيدة عادلة بيهم رئيسة الاتحاد النسائي السوري الى رئيسة الاتحاد النسائي الدولي في ستوكهولم والى سكرتيرة حقوق المرأة في الأمم المتحدة معلنة ان المرأة السورية أصبحت تتمتع بحق انتخاب النواب للمجالس النيابية" (جريدة النصر 1949/9/27).

وبعد أقل من سنة من صدور قانون الانتخاب أقر حق المرأة في الانتخاب دستوريا في نص المادة 45 من الدستور السوري:

"الناخبون هم السوريون والسوريات الذين اتموا الثامنة عشرة من عمرهم وكانوا مسجلين في سجل الاحوال المدنية اذا توفرت فيهم الشروط المنصوص عليها في قانون الانتخاب".

وقد أقرت هذه المادة في الجمعية التأسيسة دون أي اعتراض، مما يدل على تقبل الشعب السوري لحق المرأة في الانتخاب، كما يكشف ان معارضة هذا الحق كانت معارضة مصطنعة.

ليس المهم اصدار القوانين التقدمية، فلطالما صدرت قوانين تقدمية وظلت حبرا على ورق، بل كثيرا ما استخدمت تلك القوانين التقدمية وسيلة للتمويه، والمهم هو ان تحدث القوانين التقدمية، بالأساليب الديمقراطية، اقتناعا وقبولا وتغييرا عميقا في أوضاع المجتمع وعقليته.

ان الديمقراطية ليست غاية بذاتها، بل هي الوسيلة التي بواسطتها تستطيع الشعوب أن تتخطى مراحل تخلفها وأن تحقق تقدمها وخلاصها من أثار التخلف والعقد الموروثة...

انها ليست تلك الاطر الزائفة التي يتلطى وراءها الديكتاتوريون، بل هي في جوهرها الذي يقوم على الحريات العامة والخاصة وتأليف الأحزاب، وعلى أساس متين من التنظيمات الشعبية، حتى يصبح الشعب قادرا على شق طريقه الى الأمام جنبا الى جنب، وكتفا الى كتف، وحتى يصبح الشعب وحده مصدرا لكل القوانين والتشريعات والتنظيمات والاصلاحات، بعد أن يقتنع بها اقتناعا حرا، وأن يراقب ويشرف على تنفيذها.

□

الغاء الطائفية في الانتخابات

أما التعديل الهام الثاني الذي ادخلناه على قانون الانتخاب فهو الغاء الطائفية، وكانت خطوة هامة جريئة، ولكنها كانت أخف وطأة على المجتمع من الأولى، وقد أمكن حصر ذيولها وتلافي مضاعفاتها بما لجأت الحكومة اليه من تدابير ادارية وتقسيم المناطق الانتخابية بما يحقق العدل والمساواة.

لم يلغ القانون الطائفية الدينية، وانما الغى الطائفية القائمة على المذهبية.. وكان الشعب طيبا ووطنيا، عند اجراء الانتخابات فخرج مرتاحا من هذه التجربة كما خرج من تجربة انتخابات المرأة مرتاحا وموافقا في وجدانه وضميره، بحيث لم يعد للانتهازيين والرجعيين والمستغلين صوت يسمع.

سن الناخب

وقد كان لتنزيل سن الناخب من عشرين عاما الى ثمانية عشر عاما وهو السن الذي يجعل الانسان في جميع الشرائع، متمتعا بكامل حقوقه المدنية - أثر كبير في فتح باب المشاركة بالمسؤولية الوطنية امام عدد كبير من الناخبين الشباب الذين كانوا محرومين من حق الاقتراع حسب القانون القديم الذي شرعه الانتداب الفرنسي لاقصاء العناصر الشابة عن التأثير السياسي.

تطهير المجلس النيابي من الأميين

أنجزت اللجنة مشروع تعديل قانون الانتخاب في 4 آب 1949 ووزعت على كل وزير نسخة منه لدراسته. فعكف الوزراء باستمرار على الدراسة نظرا لاهمية استعجال اقرار هذا القانون.

وحين عرض المشروع على مجلس الوزراء لم يكن تنزيل سن الناخب موضع نقاش أو جدل، كما لم يكن موضوع الغاء الطائفية موضع اخذ ورد طويلين، فقد أمكن مع اختلاف الاراء، أن تكون الاكثرية ايجابية، اما بالنسبة لمنح المرأة حقها بالاقتراع فقد جرى نقاش طويل لأنه موضوع كانت الحكومة تخشى ان تكون له

ردود فعل على معركة الانتخابات المقبلة، ولكن أركان الحكومة لم يكونوا يريدون ان يظهر حسني الزعيم أكثر تقدمية منهم حين أعلن عن نيته منح المرأة حق الانتخاب ... كما أنهم كانوا يرغبون، ارضاء المثقفين والمتعلمين والطلاب والظهور بمظهر تقدمي، فأقرت المادة 1.

ولكن الجدل الطويل دار حول مادة تنص على أن المرشح للنيابة يجب أن يكون من حملة شهادة الدراسة الابتدائية فقد اصطدمت هذه المادة بمعارضة الأتاسيين ووزراء حزب الشعب، لانهم كانوا حريصين جدا على أن تكون لهم الاكثرية في المجلس التأسيسي القادم، واقرار هذه المادة يحول دون كثير من المتنفذين من ترشيح انفسهم للانتخابات، وحين اعيتهم الحيلة خلال المناقشات قال رشدي الكيخيا: لماذا تكون الشهادة الابتدائية شرطا في المرشح للنيابة ولا تكون الشهادة الثانوية أو الجامعية طالما انكم تريدون مجلسا من المتعلمين؟ ثم اقترح ان يكون الحد الادنى للترشيح شهادة البكالوريا وكان اقتراحه من باب المزايدة لأنه لو قبل لما جاز له هو ان يرشح نفسه للنيابة قلت له:

- اذا وافقتم على ذلك فلا مانع لدينا من اشتراط الشهادة الجامعية او الثانوية. ولكننا اكتفينا بالشهادة الابتدائية لتوافقوا على المادة، فالشهادة الابتدائية هي الحد الادنى الذي يخلص المجلس من الأميين الذين كانوا من الاسباب الهامة في فساد الوضع البرلماني الديمقراطي.

ثم ذكرته بمواقف هؤلاء، وكيف أنهم كانوا دائما في ركاب السلطة حتى انهم كثيرا ما تآمروا معها الى حد تهديدنا بالسلاح، وكثيرا ما انقلب المجلس الى ساحة عراك ولكن الكيخيا لم يقتنع وكاد الأمر يؤدي الى أزمة لأن القضية تهم كثيرا حزب الشعب، فعليها يتوقف تأمين الاكثرية من الانصار والاعوان داخل المجلس ولا يخفى ان جميع رؤساء العشائر وبعضا من النواب الاقطاعيين يجهلون القراءة والكتابة ولا يعرفون الا رسم تواقيعهم بل ان بعضهم لم يتعلم كيف يرسم توقيعه وهذا ما كان يظهر في

مناسبات برلمانية عديدة مضحكة وكان امرا مشينا وعارا مقيما على الحياة النيابية الديمقراطية.

وفي النهاية اضطررنا جميعا لان نسلم باضافة عبارة "او أتم دراسة تعادلها" بعد عبارة "الشهادة الابتدائية"... ثم ظهر في التطبيق فيما بعد أن هذه الاضافة عطلت حكم المادة. اذ كان يكتفى من المرشح برسم توقيعه حتى يقبل ترشيحه، كما استحصل بعض المرشحين الاميين على شهادات الدراسة الابتدائية المزورة من المدارس الخاصة اللبنانية ثم انفضح هذا الامر المعيب فيما بعد، ولكن على غير طائل.

□

وأخيرا نشرنا نصوص قانون الانتخاب الجديد بتاريخ 49/9/11 وقد وضعت بنفسي اسبابه الموجبة وبما أن الناس لا تهتم كثيرا بقراءتها فقد عقدت مؤتمرا صحفيا نشرت الصحافة والاذاعة خلاصة عنه وفيما يلي خلاصته كما وردت في جريدة النصر الدمشقية:

"استهل الاستاذ اكرم الحوراني كلمته بالأسباب الداعية للتعجيل باصدار القانون دون أن يرفق به مرسوم يحدد موعد الانتخابات فذكر ان هنالك شائعات راجت حول القانون الجديد اضطرت الحكومة الى السرعة في انجازه واذاعة نصوصه لوحده.

ثم اتى على لمحة موجزة عن الحريات العامة وتنظيمها مستطردا الى التركة التي خلفها العهد الغابر من الفوضى وسوء التنظيم وانعدام العدالة.

وهنا ذكر وضع الاحزاب والصحف وما مر عليها من ادوار كانت خلالها بين مد وجزر وبين رضا وغضب الجهات المسؤولة تبعا لاتصالاتها واتجاهاتها، ولم ينس أن يذكر رجال الصحافة والمراسلين بأن الانظمة القادمة ستنظم الحريات العامة ووضع الاحزاب والصحافة وفق العدالة والديمقراطية والقانون، وختم البحث بأن الاحزاب ذات الصفة العسكرية والفاشية الضارة بمصلحة البلاد لن يكون لها حق في الترخيص او السماح لها بالنشاط المعادي من أي نوع كان، وان هنالك مبادىء عامة ستمنح الرخص والامتيازات على أساسها بالتساوي ووفق القوانين، ذلك ان الحريات العامة شيء والفساد والجريمة والخروج على

أحكام القوانين شيء آخر وان الحكومة ستحزم امرها امام اي خروج عما ذكر فلا تهاون ولا ميوعة وسنرقب تنفيذ القوانين بعين ساهرة.

القانون الجديد خال من الاحكام الاستثنائية: كما شرح الوزير الاسباب الموجبة للقانون الجديد، فلفت الانظار الى خلوه من الاحكام الاستثنائية التي وجدت في القانون القديم ارضاء لنزوات شخصية وتمشيا مع المصالح الفردية والطبقية التي لم تكن لتوجد لولا انتزاع القانون من البرلمان آنئذ انتزاعا (اشارة الى قانون الانتخاب السابق وجعله على درجة واحدة بدلا من درجتين) لا سيما اذا علمنا ان القانون القديم كان مستقى من قرار المفوض السامي وظل في كثير من مواده واحكامه ينتهج في جوهره الروح التي وضعها الاجنبي الفرنسي.

القانون الجديد صورة لتطور البلاد: وقال الحوراني ان هذا القانون صورة صحيحة لما وصلت اليه البلاد من تطور وتقدم، بل صورة اقل من ذلك قليلا، وقد راعينا في وضعه انه ستنبثق عنه جمعية تأسيسية فوضعنا شروطا توافق هذا الاتجاه وسعينا الى أن يكون التمثيل الشعبي نتيجة الاصطفاء الشعبي لا على أساس التخلف والمساوىء الاجتماعية.

الغاء الكراسي الاستثنائية: ثم بحث الوزير مسألة التمثيل على أساس النفوس بينما كان القانون السابق يمثل الأمة على أساس الناخبين، وسرد بتفصيل ما أتى عليه القانون بهذا الصدد منتقلا الى الكراسي الاستثنائية والغائها المطلق باعتبارها اخلالا بحق المواطنين، اذ لا يجوز لفئة من الناس احتكار كراس اكثر من فئة اخرى وهي بدعة وضعها الفرنسيون في القانون لمآرب استعمارية.

قضية الطائفية وكراسي العشائر: وقد احتلت قضية الغاء الطائفية وكراسي العشائر مكانا بارزا في حديث الوزير فأسهب في الشرح وفق ما جاء في الأسباب الموجبة، معلقا على ذلك بأن هذا التعديل سيفسح المجال لتطور خطير سنلمس آثاره قريبا وقال: " ولسنا نقصد بما قمنا به بالنسبة للعشائر الانتقاص من حقها كما زعم البعض وكرها بها وهو أمر يؤسف له، ذلك ان هدفنا جميعا هو تحضيرها معتبرين أفراد العشائر سواء مع المواطنين دون اي تفريق، واعتقد ان الدس في هذا المجال اضحى سقيما لا ينطلي على أي انسان".

القانون الجديد طعنة في صميم التعصب: وقال الحوراني لقد اخذنا حدا وسطا في موضوع الطائفية، رغم ان معظم الشعب يريد إلغائها وأرجو أن يقول المجلس القادم كلمته في الغاء الطائفية تمشيا مع ارادة الشعب.. ان وراء هذا النص في القانون تطورا اجتماعيا هاما، وانه سيمحوا من أذهان ابناء الطوائف كل تعصب طائفي ومذهبي وسيجعلهم يفتشون عن المنتخب الصالح الذي يؤمن المصلحة العامة والوطنية لهم ولسائر المواطنين، وأي شيء اكثر عدلا وانطباقا على الديموقراطية من هذه المساواة التي هدفت اليها الشعوب وكلفت الانسانية تضحيات دامية رهيبة.

لم يعد هناك فئات متمايزة ولم يعد هنالك طوائف ومذاهب متعددة وانما مواطنون سوريون عرب لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات.

المرأة عنصر قوي في بناء المجتمع: ثم شرح الوزير قضية السن بما لا يخرج عن لائحة الأسباب الموجبة مستطردا الى قضية اعطاء المرأة المتعلمة حق الانتخاب فشرح الموضوع بعد التمهيد له بلمحة تاريخية عن دور المرأة في الاسلام وكانت كلمة موزونة فيها الكثير من الحقيقة والعلم وضرب الامثال التي تعزز هذه الخطوة المباركة التي هدف لها القانون باعطاء المرأة العربية حقوقها السياسية وجعلها ركنا أساسيا في بناء المجتمع العربي، كما قال:

ان الاسلام أعطى المرأة حقوقا جعلت منها انسانا له قيمته في المجتمع فترك لها حرية الرأي والتعلم والتملك مما جعلها تلعب دورا هاما في التاريخ، وواجبنا ان نربط الماضي بالحاضر فتحمل المرأة الحديثة كامل مسؤولياتها في بناء الأمة، وقال:

أليس من المعيب أن تكون المرأة السورية أقل نصيبا في الحياة العامة من المرأة الباكستانية في الدولة التي تبني قوميتها على أساس الدين الحنيف والتي أعطت المرأة حق الانتخاب وخدمة العلم؟ والحقيقة ان الشعب في سورية منصرف واقعيا الى اعطاء المرأة هذه الحقوق فضلا عن ان الواجب القومي يقضي علينا بالنص على ذلك، فمن العار في عصر الصاروخ والذرة ان نتأخر في هذا المضمار، واننا لا نريد تحرير المرأة عن طريق الافساد والميوعة وانما عن طريق فاضلة صحيحة.

الانتخاب على الاحصاء القديم: ثم انتقل معالي الحوراني الى الحديث عن تمشي مواد القانون مع قانون العقوبات بما لا يخرج عما سرد في لائحة

الاسباب، وبحث بعد ذلك قضية اجراء الانتخاب على اساس الاحصاء الجديد الذي أجري عام 1947، وبذل في سبيله الكثير من المال دون ان تبرز نتائجه الى حيز الوجود، وانه لو شاءت الحكومة السير عليه لكلفها ذلك ستة أشهر كادحة منهكة على الاقل لانشاء الانتخابات على أساسه.

وجوه جديدة بالبرلمان: أما مسألة الأمية في البرلمان، تلك المسألة التي باعدت الشقة بين البرلمان والشعب فقد قال عنها الحوراني ان القانون الجديد جعل الهوة قليلة ما أمكن، بين الناخب والمنتخب، فلم يعد هنالك مجال لوجود نواب لا يعرفون غير التوقيع او قد يجهلونه، وسيرى الشعب ممثلين له محترمين، وسيلمس التطور الخطير من وراء هذا التبدل الجديد والحدث الاجتماعي، سيرى وجوها جديدة متعلمة لا تقيم مجدها على أساس السلطة او الضغط الممقوت.

وصرح معاليه بقوله: ان موعد الانتخابات سيحدد في القريب العاجل، كما ان الحريات وأنظمتها وتحديدها ستصدر قريبا وقبل الشروع في الانتخابات حتى يرافقها الغاء المراقبة كأمر طبيعي لهذا التحديد.

ثم انطلق معاليه الى تلافي امور الضغط والاكراه في الانتخابات، وما اتبعته الحكومة في قانونها من تدابير تحرر من الخوف والاكراه، ذكر منها مسألة الاكثار من المراكز الانتخابية والتقليل من عدد الناخبين في هذه المراكز، كما أتى على ذكر قضية بعض المخاتير وانصياعهم السابق الى ذوي البطش والنفوذ في الأحياء، فأكد ان لجان الاقتراع ستنتخب رؤساءها من موظفي التعليم والعدل.

تحديد موعد الانتخابات

وفي 21 ايلول 1949 صدر مرسوم بمادة واحدة يحدد يوم السبت الواقع في 5 تشرين الثاني 1949 موعدا لانتخاب جمعية تأسيسية تتولى وضع دستور للبلاد.

وقد أذعت تصريحا بعد نشر المرسوم، هذا نصه:

"لقد نشر على الشعب نص المرسوم الذي يحدد موعد اجراء انتخابات المجلس التأسيسي في الخامس من شهر تشرين الثاني القادم، وانني اعلن بأن المجلس التأسيسي الذي سيتم انتخابه يمكن ان يتحول الى

مجلس نيابي بعد أن يتم وضع الدستور العتيد، فيما اذا قرر ذلك وان الحكومة اذ تلفت نظر المواطنين الى هذا الاحتمال، تعلن انها ستترك البت بهذه النقطة الى اعضاء المجلس التأسيسي انفسهم، ولكنها رأت ان تنبه الناخبين الى ذلك لكي يدرك الناخب مقدما ان المرشح الذي سيقع اختياره عليه مكلف في الدرجة الاولى ان يشترك بوضع دستور جديد للبلاد وانه عندما يفرغ من مهمته هذه يمكن ان ينقلب الى عضو في المجلس النيابي العتيد فيما اذا رأى اعضاء المجلس التأسيسي ادراج مادة انتقالية مؤقتة تجيز لمرة واحدة ان ينقلب المجلس التأسيسي الى مجلس نيابي.

ان لمثل هذا الاحتمال اسبقيات في البلاد الديمقراطية، وان الذين ينادون به يقولون انه لا يجوز لسورية بوضعها الحاضر ان تتعرض الى هزتين انتخابيتين في برهة قصيرة، ويضيفون على ذلك ان من يقع عليه اختيار الشعب لوضع دستور البلاد يكون الشعب قد فوضه تفويضا مطلقا، وبالتالي يمكنه وضع مادة انتقالية من مواد الدستور، وأريد ان يكون واضحا في الأذهان ان الحكومة لم تتبن هذه النظرية، كما لم تتبن عكسها، ولكن ما دام تحول المجلس التأسيسي الى مجلس نيابي هو احتمال، فان الحكومة تريد من الشعب ان يدخل هذا الاحتمال في حسابه عند اختيار مرشحين لعضوية المجلس التأسيسي حتى يكون على بينة من أمره في المستقبل.

ان جداول الانتخابات قد علقت في الأماكن المخصصة لها، وان الحكومة تهيب بالناخبين ان يفتشوا عن اسمائهم في هذه الجداول، حتى اذا لحظ احد ممن يحق له الانتخاب ان اسمه قد سقط منها سهوا عمد الى الاعتراض والتصحيح المنصوص عنهما في قانون الانتخاب، وان الحكومة اذ تدعو كل ناخب الى القيام بهذا الواجب انما تهدف الى جعل المجلس القادم ممثلا لارادة الشعب اصدق تمثيل، لأن غايتها الأولى هي ايجاد نظام برلماني ديمقراطي في سورية".

كما اصدر وزير الداخلية رشدي الكيخيا في 26 ايلول 1949، ثلاثة بلاغات تتعلق بالانتخابات أحدهما يتضمن ايضاحات حول ما يقصد بالشهادة الابتدائية الواردة في المادة (22) من قانون الانتخابات النيابية. وقد جاء في هذا البلاغ: "اذا كان طالب الترشيح لم يدرس في المدارس الرسمية ولا في مدرسة معينة، وكانت دراسته خاصة، فلا يطالب بشهادة او وثيقة ما، ويتوقف قبول ترشيحه على حصول اللجنة

المؤلفة في مركز كل محافظة برئاسة المحافظ وعضوية النائب العام ورئيس المعارف على القناعة اللازمة من أن طالب الترشيح قد أتم دراسة خاصة تعادل دراسة التعليم الابتدائي او دراسة خمسة صفوف في المدارس الابتدائية، وتقوم اللجنة بشتى الطرق وكافة الاثباتات للحصول على هذه القناعة، وعند حصولها تعطي المرشح وثيقة بذلك".

63

1949: اشرافي على جهاز الاعلام ومحاولة تكوين جهاز اعلامي قادر - اصدار قانون جديد للمطبوعات

اتفق عند تشكيل الوزارة ان يكون الرئيس هاشم الاتاسي هو الناطق الرسمي باسمها، وأن يبتعد الوزراء عن الادلاء بتصريحات وبيانات، تجنا للاشكالات والمفارقات والتناقضات التي يمكن ان تنتج عن ذلك، وهذه السياسة الاعلامية تنسجم مع الدبلوماسية الهادئة التي انتهجتها الحكومة والتي تتحاشى مزالق التصريحات العلنية.

ولكن هاشم الاتاسي بطبيعته بعيد عن مثل هذه المهمة الاعلامية، لا سيما وأن أجهزة الدعاية الاميركية والفرنسية والاجهزة الاعلامية العربية بدأت تشن على الحكم الجديد حملة مركزة من الشائعات والدسائس الملفقة، لذلك اقترح الرئيس الاتاسي بعد عشرة أيام، ان أتولى الاشراف على مديرية الدعاية والأنباء والاذاعة، وأن امنح جميع الصلاحيات، فوافق مجلس الوزراء دون اعتراض، واعتقد ان السبب الذي دعا اركان الحكومة لتسليمي هذه المديرية الحساسة في تلك الظروف، والتي كان من الممكن أن أستفيد منها في المعركة الانتخابية هو اضطرارهم لذلك، ولاعتقادهم بأنني اكثرهم كفاءة في هذا الميدان بعد خبرتي الصحفية في تحرير جريدة "اليقظة" لا سيما وأن الحكومة بأمس الحاجة، لاستخدام وسائل الاعلام في تلك المعركة التي تشنها الجهات الأجنبية والعربية، كما كان يهمها كثيرا ان تكون

كلمة الناطق بلسان الحكومة مسموعة وموثوقا بها في اوساط الشعب والجيش فقد أصبحت أتمتع بسمعة نقية جدا بعد ثورة عام 1945، وبعد انتخابات 1947، وبعد معركة فلسطين عام 1948.

أول مرة أتعرض فيها لحملات اعلامية ظالمة

ورغم الحملات الشديدة والصرخات المتوالية التي كنت اطلقها ضد تسرب النفوذ البريطاني سواء في خطاباتي بالبرلمان او في كتاباتي بجريدة اليقظة، فان أجهزة المخابرات والدعاية البريطانية والاجنبية، وحكم القوتلي والأجهزة العربية، لم تتمكن من أن تجد منفذا واحدا تدخل منه لتجعلني هدفا لحملاتها الظالمة، لأن القضايا كانت واضحة محددة لا لبس فيها ولا ابهام.

ولو راجعنا جميع وسائل الأعلام في سوريا وخارجها طيلة الفترة الماضية فلن نجد اية حملة افتراء أو اساءة موجهة الي، فهذه الحملات المركزة، العربية والاجنبية، لم تبدأ الا مع المعركة الانتخابية عام 1949، بعد اعلان عدائي لمشروع نوري السعيد البريطاني، ثم أخذت هذه الحملات تشتد بشكل جنوني بعد سقوط المشروع واقصاء الحناوي عن قيادة الجيش، بسبب ما كان يغدقه الحكم في العراق من عوائد البترول على بعض الصحف وعلى بعض السياسيين وبعض قيادات الأحزاب في سورية.

محاولة تكوين جهاز اعلامي قادر

قابلت الصحافة السورية تكليفي بالاشراف على مديرية الدعاية والأنباء والاذاعة بالترحاب، وقالت جريدة "النصر" معلقة على ذلك: "ويسرنا جدا ان تسند مهام هذه المؤسسة الحساسة الى شخصية الاستاذ الحوراني الذي عرف بوعيه القومي ونزاهته واخلاصه".

باشرت عملي وبدأت أداوم في المديرية بعد الانتهاء من وزارة الزراعة الى ساعة متأخرة من الليل، وكانت المديرية مؤلفة من بضعة موظفين يوجههم الحاج رشيد الملوحي الذي كان القوتلي يعتمد عليه، والذي كان يسميه الصحفيون "الحاج برغل"

لشدة نهمه وحبه للطعام، وكانت هذه المديرية تشمل طابقا صغيرا قرب ساحة البرلمان.

كنا بحالة يرثى لها، فلم يكن بين الموظفين من هو متمرس بشؤون الصحافة والاعلام الا عدد قليل جدا، فاستصدرت المرسوم رقم (8) بتاريخ 1 أيلول 1949 باحداث مديرية عامة للدعاية والانباء، تلحق برئاسة مجلس الوزراء، وتكون مهمتها تنظيم شؤون الدعاية ومكافحة الدعايات الضارة في الداخل والخارج، ولها حق اقتراح القوانين والانظمة لتنظيم شؤون المطبوعات الدورية وغرف المطالعة وتنظيم الصلة بين جميع الوزارات والمؤسسات العامة وبين الصحف ووكالات الأنباء، كما تقوم ببسط الحقائق وتوزيع البلاغات والملاحظات والاعلانات والمعلومات والتصحيح والرد والتكذيب كما تتولى توجيه الافكار الاتجاه القومي الصحيح، وحسن الصلات مع الدول والشعوب العربية، والاطلاع على ما تذيعه محطات الاذاعة عن سوريا وتزويد الدوائر به، وجمع الوثائق وتصنيفها وحفظ مجموعات الصحف والمجلات، وتزويد البعثات الدبلوماسية والمؤسسات الاجنبية بالأنباء والمعلومات والدعاية بمختلف النواحي الثقافية والاقتصادية والاجتماعية في البلاد، ومراقبة الافلام السينمائية ومراقبة الصحف والبرقيات والرسائل الصحفية للخارج.

أصبحت المؤسسة بموجب هذا المرسوم تتكون من مدير عام ومدير وثلاثة رؤساء دوائر هي دائرة المحفوظات، ودائرة النشر، ودائرة الاذاعة التي كانت في السابق مرتبطة اداريا ومسلكيا بالمديرية العامة للبريد والبرق، وأسندت المديرية الجديدة وكالة الى نزيه الحكيم، وقد سبق له عندما كان موظفا صغيرا في الخارجية ان كتب في جريدة "اليقظة" زاوية "بالعربي الفصيح" مدة من الزمن، كما أن مديرية الاذاعة أسندت الى احمد عسة، الذي كان محررا في جريدة "النصر" والذي أصبح فيما بعد صاحب جريدة الرأي العام.

وقد راعيت كثيرا في أعمالي بمديرية الدعاية والأنباء، حساسية الوزراء الاخرين، فلم أدل بتصريح او بيان الا بعد الاتفاق

معهم، لئلا يظنوا بأني أستغل الاعلام والاذاعة لمصلحتي، وكنت شديد الحرص على أن أطلع على الصحف الاجنبية والعربية جميعها، وما تذيعه وكالات الانباء يوما بيوم، وعموما فقد استطاعت هذه المديرية الصغيرة ان تقوم خلال فترة قصيرة بدور فعال في مهمتها بفضل نشاطي الشخصي ومواظبتي الدائمة ليلا بلا انقطاع، لأنني كنت أتمتع بنشاط لا حدود له كثيرا ما كان يرهقني فأنصرف الى العمل.

قانون جديد للمطبوعات

كان حسني الزعيم قد حدد عدد الصحف التي يرغب في استمرار صدورها، وكان يغدق عليها المساعدات والمعونات، وبعد انقلاب الحناوي انقطعت هذه المعونات بينما استمرت الرقابة على الصحف فتضايق أصحابها، خصوصا وأن الصحف الحزبية القديمة التي أوقفها حسني الزعيم قد عادت الى الصدور، ما عدا "اليقظة" فاشتد ضيق اصحاب الصحف، وقد كانوا يأملون أن أرفع عنهم سيف الرقابة بسرعة نظرا لمواقفي السابقة، وتشددي في المطالبة الدائمة بحرية الصحافة ونضالي المستمر ضد التضييق والرقابة عليها في العهود السابقة.

وقد اضطررت أن أتولى الرقابة بنفسي ريثما نتمكن من الغائها بعد انجاز قانون الانتخاب، لتجري الانتخابات في جو حر طليق، ولتختار الامة ممثليها بملء حريتها حيث تتوفر لها جميع الحريات العامة والخاصة وحرية الصحافة.

وفكرت باعادة النظر بقانون المطبوعات بحيث يتيسر السبيل للصحافة لان تكون أكثر نزاهة في مواردها واكثر حرية في كتاباتها وأكثر شعورا بمسؤوليتها، مع أن الأيام كانت تظهر دوما ان القوانين، مهما جهد المشرع، لا يمكن ان تكون وحدها وسيلة اصلاح وانما هنالك أوضاع سياسية واجتماعية واخلاقية ووطنية واقتصادية أقوى من القوانين مهما كانت صالحة وجيدة.

وافق مجلس الوزراء على تأليف لجنة وزارية لوضع قانون المطبوعات من: اكرم الحوراني، فيضي الاتاسي، عادل العظمة، واشترك معنا في أعمال هذه اللجنة الدكتور فؤاد شباط مدير الشؤون الادارية بوزارة الداخلية، واستمرت اجتماعات اللجنة بشكل متواصل حتى تمكنا أخيرا من وضع القانون على أسس ديمقراطية ووطنية وتقدمية، واقراره واصداره.

شجع قانون المطبوعات الجديد الصحف الحزبية والادبية والثقافية والفنية، واشترط على صاحب الامتياز أن يكون حائزا على شهادة جامعية او يكون قد أتم عشر سنوات وهو صاحب امتياز جريدة دائمة الصدور، واشترط على رئيس التحرير ان يكون حائزا على شهادة الدراسة الثانوية او قضى عشر سنوات رئيس تحرير جريدة دائمة الصدور، أما المدير المسؤول فقد اشترط أن يكون حاملا شهادة الدراسة الثانوية أو أنه قضى ست سنوات مديرا مسؤولا لجريدة دائمة الصدور، ويحق للمحرر الذي يقضي عشر سنوات بدءا من تاريخ التسجيل الجديد الذي ستقوم به المديرية العامة للدعاية والانباء بعد صدور هذا القانون، بالعمل الصحفي أن يصبح رئيسا للتحرير ولو لم يحمل شهادة الدراسة الثانوية، كما يحق للمحرر أن يصبح مديرا مسؤولا اذا قضى ست سنوات بالعمل الصحفي، وقد منح القانون صاحب الامتياز حق بيع امتيازه متى اراد، كما فرض صدور الصحف ست صفحات ست مرات في الاسبوع، وفرض ان لا يقل عدد محرري كل جريدة عن ثلاثة، وأن لا يقل عدد نشراتها في كل يوم عن 1500 نسخة، وألغى التعطيل الاداري.

كما كان لهذا القانون مفعول رجعي بحيث يطبق على الصحف الصادرة، كما تنظم مديرية الدعاية والانباء سجلا خاصا بالصحفيين والمحررين، ولها وحدها حق منحهم البطاقات الصحفية، ونظم قانون المطبوعات الجديد شؤون الاعلان وأعطى الدولة حق الرقابة على موارد الصحف المالية.. الخ.

ثم عقدت مؤتمرا صحفيا تحدثت فيه عن قانون المطبوعات الجديد، ونبهت رجال الصحافة الى ما يجب تجنبه كالشائعات

المغرضة والقضايا الماسة بالامن، وما يتعلق بالمطامع الاستعمارية التي يجب التحذير منها والابتعاد عما يؤدي الى جعل الصحافة مطية أجنبية "فالبلاد تملؤها شبكات خطيرة قد أغمض عينه عنها الحكم الماضي، وهي ساعية دوما الى الامتداد والنفوذ.. وان لنا وطيد الثقة بأن يكون الصحفيون حماة البلاد الذائرين على استقلالها، ولفت النظر الى أن هذا القانون " ليس جديدا وانما أخذ من تشاريع أجنبية عديدة، وكان محوره مشروع القانون الذي سبق ان نوقش في البرلمان السوري ولم يصدق، وذلك لجعل الصحافة مرآة تعبر بصدق عن الشعب وآماله وأمانيه"، وكان قانون المطبوعات القديم موضع احتجاج مستمر من قبل الصحفيين الذي دأبوا على المطالبة بتعديله.

مؤتمر صحفي لشرح سياسة الحكومة

وفي 2 أيلول 1949 دعوت أصحاب الصحف الى مقر مديرية الدعاية والانباء، وشرحت لهم سياسة الحكومة، وقد وجدتها فرصة سانحة ومناسبة لأن أحدد للحكومة منهاجها السياسي العربي والدولي، بعد أن ذر مشروع الاتحاد مع العراق قرنه في اجتماعات مجلس الوزراء وبذلك احيط عنق الحكومة بطوق أدبي يصعب عليها الافلات منه وكنت عالما بأنها لن تستطيع الاعتراض في تلك الظروف على ما قلته في مؤتمري الصحفي وإن امتعضت منه اي امتعاض.

كما حددت في هذا المؤتمر الصحفي برنامجي لاصلاح وزارة الزراعة وتركت للوزراء الاخرين ان يعلنوا برامجهم كلا على حدة وحسبما يرتأي من أوجه الاصلاح مع أن معظمهم كان منصرفا لقضية الانتخابات القادمة، وهذا ما قلته في المؤتمر الصحفي:

"نشأ الانقلاب الأول عن عدم قيام نظام ديمقراطي برلماني صحيح على أسس سليمة منذ اعلان استقلال سوريا ومن المعلوم ان انتخاب المجلس النيابي الذي جاء عقب الاستقلال جرى على أساس قانون [1] انتخاب صادر

(1) كان التعديل الاساسي لهذا القانون الذي تم بموجبه انتخاب مجلس عام 1947 هو جعل الانتخاب على درجة واحدة بدلا من درجتين.

عن سلطات الانتداب، فلم يكن هدفه اقامة اوضاع برلمانية صحيحة، ولم يراع الاتجاهات القومية، وهذا ما جعل الاتجاه الى ايجاد قانون انتخاب ودستور جديدين ضروريا للبلاد.

ومن الاسباب الرئيسية للانقلاب كارثة فلسطين التي كانت نتيجة لأخطاء كشفت عنها المساوىء التي كانت تتخبط بها البلاد، ودلت على ضعف ذلك الحكم وفساد جهاز الدولة من أساسه، وعدم صلاح الانظمة والقوانين لمجابهة حاجات البلاد اجتماعيا واقتصاديا، وهذه النقطة الاخيرة تتلخص بأن النظام الاجتماعي والاقتصادي الراهن متخلف الى حد بعيد عما يتطلبه الوضع السوري الاستقلالي ورغبة الشعب بالتقدم، وقد عبر الجيش عن رغبة الشعب حين قام بالانقلاب.

والانقلاب الاول جاء في بدئه لاصلاح ما اعوج، واجابة مطالب الأمة، ولكنه ما لبث ان انحرف، وازداد هذا الانحراف حتى اصبح انقلابا على مبادىء الانقلاب، فقد رتب اجراء استفتاء شكلي غير مشروع وضع تحت الضغط لمصلحة ذلك الشخص، حتى ان الدستور وقانون الانتخاب كلفت بوضعهما لجنة من الموظفين تؤمر فتطيع، فوضعت ضرائب استثنائية جاءت أرقامها على أسس خيالية غير صحيحة قد توقع البلاد بارتباك مالي واقتصادي.

أما العهد الاخير قبل الانقلاب الثاني فقد كان فترة ضغط وارهاب فرضت فيها دكتاتورية هوجاء وقوانين اعتباطية، ويوضع الآن تقرير بما تجده لجنة التحقيق من ارتكابات سيحال بموجبها المسؤولين الى المحاكم، وبالاجمال كانت البلاد قد بلغت حدا فاجعا وكادت تتردى في الهاوية وتفقد استقلالها.

ولقد جاءت الوزارة الحالية لتحقيق رغبات ومبادىء الشعب، وهي ايجاد قانون قويم للانتخابات يحرر البلاد من العقلية الرجعية والاقطاعية والطائفية، والحكومة تعمل لوضع أسس لاقامة دولة مكينة وحديثة. وقد ألفت لجنة لتنظيم واحصاء أملاك الدولة، ووضع مشروع لانعاش الفلاح وحمايته وخطة دائمة لحفظ ثروة البلاد الحراجية والحيوانية.

وستذيع الحكومة في وقت قريب خطتها الموحدة في جميع دوائر الدولة ووزاراتها وفي الحقلين الداخلي والخارجي، أما القوانين التي صدرت في العهد الماضي فسيجري تعديل بعضها، واستبقاء الصالح منها والغاء الفاسد.

ان الانقلاب حركة داخلية بحتة لا تضطرنا الى الالحاح في طلب الاعتراف بالوضع الجديد، ونحن لم نكلف احدا بالتوسط، وان كنا نشكر كل مسعى يصدر عن عاطفة نبيلة ويخدم المصلحة القومية العليا.

ان سوريا هي قلب البلاد العربية، وشعبها يدين بمبادىء العروبة الكبرى، ولذلك لن تكون سوريا مصدر شقاق بين الدول العربية، بل عاملا من عوامل تقريب وجهات النظر وايجاد الصفاء".

وفي ذلك اعلان واضح باسم الحكومة بأنها لن توافق على مشروع الاتحاد مع العراق الذي هو محور سوري عراقي هاشمي بريطاني في مواجهة المحور الاخر المصري السعودي الاميركي مما يجعل سوريا مسرحا لتناقض هذين المحورين.

"الصحافة السورية ومشروع قانون المطبوعات"

لقد كنت مخطئا عندما ظننت ان قانون المطبوعات الجديد سيصلح من شؤون الصحافة وان الوثائق التي تدين صحافة حسني الزعيم ستمكننا من انشاء صحافة وطنية تقدمية، وكنت مرتاحا جدا عندما اقترب موعد الغاء الرقابة فأصدرت البيان التالي:

"ان الحكومة قد اكتشفت وثائق وقيودا في دار حسني الزعيم تثبت ان بعض الصحفيين قبضوا رشوات للقيام بأعمال أساءت الى الأمة اساءة بالغة، ولذلك تدرس الحكومة الان أمر احالة هؤلاء المرتشين الى لجنة تحقيق، كما أنها ستعمد الى الغاء امتيازات صحفهم لأنه لا يجوز ان يتولى من تثبت عليه الرشوة لقاء الاساءة الى وطنه وشعبه مهمة قيادة الرأي العام وتوجيهه.

ان لجنة خاصة ستؤلف لدراسة موضوع الرشوات التي تناولها بعض الصحفيين من الدول والشركات الاجنبية، وهي الرشوات التي ذاعت فضائحها وتناقلتها الالسن في كل حدب وصوب، وان مشروع قانون المطبوعات الذي ستشرع الحكومة بدراسته غدا سيحرر سوريا من الاحتكار الذي فرضه حسني الزعيم على حرية الفكر، وسيفسح المجال أمام المواطنين ليتحرروا من الصحف التي اعتمدها حسني الزعيم لتكون المبررة لجميع ما ارتكبه من مساوىء وطغيان وأعمال كادت تؤدي الى التطويح باستقلال بلادنا وحياة شعبنا، وعندما يزول احتكار الرأي الذي فرضته العهود السابقة ستلغى الرقابة

عن الصحف، كما ان قانون المطبوعات الجديد سيصدر حتما قبل صدور مرسوم تحديد موعد الاتخابات العامة، وبذلك تتخلص البلاد من الرقابة واحتكار الرأي اللذين فرضهما الطاغية حسني الزعيم".

والخطأ الفادح الذي ارتكبته هو عدم تقديري انه لم يعد هنالك مهلة لتفيذ قانون المطبوعات وانشاء صحافة وطنية تقدمية، طالما أننا أصبحنا على أبواب المعركة الانتخابية. ولم أقدر أن أذاعة هذا البيان سيجعل الصحافة اكثر نقمة وحقدا علي وأكثر خوفا مني. وهذا ما حدث فعلا ابان المعركة الانتخابية.

أما الصحف التي ارتشت في عهد حسني الزعيم فقد استمرت في صدورها دون أن يسألها أحد عما فعلت وأما قانون المطبوعات الجديد فقد احتالت عليه الحكومات المتعاقبة التالية ولم تنفذه ولم تستفد من أحكامه التي درست بكل عناية وكانت هادفة لتنظيم الاعلام في سورية.

1949: العراق يطرح مشروع الاتحاد مع سورية - موافقة الحزب الوطني وحزب الشعب - مصر والسعودية ولبنان تطرح في اجتماع الجامعة العربية مشروع الضمان الجماعي.

كانت الخطة التي وضعت لتنفيذ مشروع الاتحاد بين سورية والعراق خطة بارعة وذكية ومرت بمرحلتين رئيستين:

المرحلة الاولى وقد تمت في عهد القوتلي وحسني الزعيم وانحصرت في التبشير للموضوع.

المرحلة الثانية: بعد انقلاب الحناوي، حيث بدأت المحاولات لتنفيذ المشروع بالطريق الدستوري، فخرجت الفكرة من حيز التبشير الى البحث الفعلي في مجلس الوزراء، كما أخذ المشروع أيضا طريقه للتنفيذ على صعيد بعض الاحزاب والتكتلات السياسية التي بدأت تهيء نفسها بتعديل دساتيرها، ثم اشتدت الدعاية للمشروع مع اقتراب موعد الانتخابات النيابية حتى اصبحت قضية الاتحاد محور النشاط الانتخابي سواء بالنسبة لمؤيديها من المرشحين وما أكثرهم، أو بالنسبة لمعارضيها وما أقلهم.

ففي شهر أيلول 1949 عقد الحزب الوطني مؤتمرا انتهى ببيان وقعه رئيس الحزب الدكتور عبد الرحمن كيالي والامين العام صبري العسلي هذا نصه:

"لقد كان من رأي بعض رجال الحزب الوطني الذين اشتركوا في مشاورات الوحدة العربية أن يكون بين الدول العربية حلف عربي لا جامعة للدول العربية، وكان من الطبيعي ان تشرئب الاعناق في البلاد السورية بعد النكبة الكبرى الى أقرب الاقطار اليها، وقد عمل الحزب الوطني جاهدا في هذا السبيل منذ اليوم الاول الذي وضع فيه منهاجه الذي تضمن بأن العرب في سائر اقطارهم وامصارهم امة واحدة وان سوريا جزء منها، ولهذا فلقد أصبح ثابتا ان سوريا ليس بمقدورها وحدها ان تقف في وجه الزعازع التي تتهددها، ولا بد لها من اتحاد سليم يضمن سيادة قوية على الوجه الاوفق تعقده مع العراق الشقيق، يتناول الاسس الاربعة التالية:

1- وحدة في رئاسة الدولة

2- وحدة في الشؤون العسكرية

3- وحدة في الشؤون الخارجية

4- وحدة في الامور الاقتصادية

اما فيما يتعلق بالانتخابات المقبلة التي ستجري في ظل الحكومة القائمة فان الحزب الوطني لا يرى في قانون الانتخاب ما يضمن تمثيل الشعب السوري تمثيلا صادقا، لأنه حرم بعض السكان حرمانا مقصودا من هذا التمثيل، كما انه لا يرى اي ضمان من ضوامن الحياد، لا سيما بعد ما بدر من تصرفاتها المتعددة".

وتظهر من هذا البيان رجعية الحزب الوطني واستغلاله المعيب لانه يعترض على الغاء الطائفية والغاء الكراسي النيابية الاستثنائية.

وكان الهدف من هذا البيان ان يقف الحزب الوطني من قضية الاتحاد موقف المساوم المزاود والضاغط بآن واحد على العراق والبريطانيين ليكون هو لا حزب الشعب صاحب الخطوة والمعتمد لتنفيذ المشروع، ولا سيما انه يعتبر نفسه ممثلا لدمشق بينما تنحصر زعامة حزب الشعب في مدينة حلب.

وتمهيدا لمشروع الاتحاد المطروح الذي كان يستهدف في حقيقته اقامة عرش لعبد الاله الوصي على عرش العراق، فان الحزب الوطني قرر في المؤتمر نفسه تعديل الفقرة الاخيرة من المادة السابعة من منهاج الحزب التي كان نصها:

"ويرى الحزب ان نظام الحكم الجمهوري هو النظام الذي يلائم روح الشعب ويفي بحاجاته وينسجم مع الاهداف القومية" فأصبحت بعد تعديلها كما يلي:

"يرى الحزب ان شكل الحكم يترك لاختيار الامة بحسب ما ترتأي انه من مصلحتها ومصلحة الامة العربية" وقد أصدر صبري العسلي الامين العام للحزب الوطني تعليمات الى الفروع لاجراء هذا التعديل في منهاج الحزب.

وفي هذه الفترة استقبل حزب البعث قائد الانقلاب العقيد سامي الحناوي في مكتبه حيث تبودلت الخطابات بعد ان حاز الحزب على الترخيص له رسميا، كما عقد الاخوان المسلمون مؤتمرا حزبيا بعد طول غياب عن الساحة السياسية والنشاط الحزبي واستمر مؤتمرهم من 15 الى 30 ايلول 1949، واستمعوا الى تقرير المراقب العام الدكتور مصطفى السباعي وتقرير امين السر العام عمر بهاء الاميري.

□

لقد اتسعت موجة تأييد مشروع الاتحاد فتعدت الاحزاب الى الشخصيات السياسية فقد أصدر حسن الحكيم - وهو رئيس وزراء سابق بيانا جاء فيه:

"كيف لا يكون هذا الاتحاد - مع العراق - ممكنا ما دامت تحتفظ كل دولة داخلة فيه بنظام الحكم القائم فيها، وباستقلالها، وسيادتها الداخلية والخارجية؟ لا ينقصها الا ما يختص به الاتحاد نفسه.. وما دام الاتحاد المذكور لا يعتبر دولة او حكومة فوق الحكومات الداخلة فيه، بل يعد تعاهدا على شؤون معينة تحددها معاهدة الاتحاد، كالدفاع الوطني والسياسة الخارجية والمواصلات، وحل النزاعات الداخلية بالطرق السلمية. ومما يزيد في امكانية هذا الاتحاد هو انه يدار على قدم المساواة من قبل مجلس اعلى ينتخب اعضاؤه من جميع الدول المشتركة فيه، وتكون رئاسته سنوية وبالمناوبة بينهم.... ان مثل هذا الاتحاد، اذا كان ضرورة قومية ملحة بالنسبة للخطر الصهيوني، فانه اكثر ضرورة بالوقت نفسه بالنسبة لهذا العالم المضطرب الذي يسوده الذعر والقلق، **والذي لا نستطيع ان نساهم في خدمة السلم فيه، بجانب الحلفاء، اذا لم نكن متحدين اقوياء"**.

أما على صعيد الجيش فقد صرح زعيم الانقلاب سامي الحناوي في 1949/10/8 بما يلي:

"ان الجيش، وان كان يرحب بأي اتحاد بين الدول العربية، الا انه يترك مثل هذا الامر الى الحكومة، وهو ينفذ ما يطلب منه

فقط". ... ومعنى هذا: موافقة الجيش على المشروع وتفويضه الحكومة بتحقيقه.

□

كانت أجهزة الاعلام في سورية وخارجها تهيء لمشروع الاتحاد وتدعو له بوضوح وصراحة، ورغم كل ذلك فقد ظل الشعب في سورية غير مقتنع بالمشروع، بل يمكن القول ان ضميره كان مرتابا ومشككا، يضاف الى هذا ان دعاة المشروع من قادة الاحزاب والسياسيين كانوا يشعرون بشبهة موقفهم لذلك فانهم لم يجربوا باندفاع ان يقنعوا الجماهير بسلامة هذا الموقف، ومن هنا فان الاهتمام الذي بدا عند بعض المواطنين بالمعركة الانتخابية كان اهتماما حزبيا وشخصيا اكثر منه اهتماما بالمشروع، ولا شك ان غياب الصحافة الوطنية الواقفة بصرامة ضد هذا المشروع كان سببا من أسباب البلبلة والغموض.

أما فيما يتعلق بالموقف السعودي تجاه المشروع فقد نشرت الصحف بتاريخ 1949/10/1 ما يلي:

"وصل الى دمشق السيد فؤاد حمزة وزير الدولة السعودي، ويقال ان الملك عبد العزيز اوفده الى سورية ليدرس الحالة ويتعرف الى آراء الزعماء السوريين في الوحدة مع العراق، وان الوزير السعودي مكلف بابلاغ المسؤولين ان المملكة السعودية تعارض اي تغيير يطرأ على الوضع الحاضر في العالم العربي" ولكن الذي ظهر فيما بعد ان نشاط السعودية كان مركزا، وبالخفاء، في الجيش السوري.

□

كنت قبل قيام الدولة الصهيونية مؤمنا بضرورة الاتحاد مع العراق، ثم اصبحت اكثر ايمانا بضرورته بعد التحديات التي طرحت على العرب بعد قيامها وتهديدها للوجود العربي بفلسطين، وان هذا الاتحاد يجب ان يكون بداية للاتحاد العربي الشامل، نظرا للاتصال الأرضي الوثيق بين البلدين حيث لا عوائق جغرافية، كما ان نفسية الشعبين متقاربة لأن القبائل العربية التي أرفدت هذين

البلدين هي واحدة الارومة ايضا، وعموما فان العادات والتقاليد والتقارب بين سكان القطرين لا تعترف بالحدود المصطنعة التي اوجدها الاستعمار، فالموصل اقرب الى حلب، وما الجزيرة في شمال سورية الا امتداد جغرافي للعراق، ثم ان العراق وسورية تجمعهما المصالح المشتركة البترولية والمائية والاقتصادية، بل يمكن ان يشكلا نظاما اقتصاديا متكاملا، فالعراق يعتبر من اغنى اقطار المشرق بثرواته الزراعية والمعدنية ومن اكثرها سكانا وسورية بحكم موقعها بين الشرق والغرب هي بلد ترانزيت اكسب اهلها خبرة تاريخية بشؤون الاقتصاد والتجارة والزراعة والصناعة، فاذا ما قام الاتحاد بين البلدين فان المجال سيكون رحبا لتقدم الشعبين نظرا لتوفر الامكانات المادية والبشرية، وكانت المزايا الاقتصادية لهذا الاتحاد تدغدغ احلام البورجوازية السورية، ولا سيما في مدينة حلب، حيث كانت توجد بورجوازية قوية صناعيا وتجاريا مشكلة القوة الرئيسية الانتخابية التي يستند اليها حزب الشعب.

لقد كانت المخاطر - تاريخيا - على كل من القطرين واحدة، وهي قد اصبحت تستهدف بعد قيام اسرائيل حرية العرب ووجودهم وسيادتهم على المنطقة العربية، لذا فان اي معركة مظفرة مع الاعداء تقتضي الاتحاد بين القطرين الشقيقين لتهيئة الامكانات المادية والبشرية للمعركة التي لا مهرب منها، **أما الاستعمار البريطاني الذي يحول دون تحقيق هذا الاتحاد فهو زائل لا يمكن ان يدوم إذ ان وحدة النضال الشعبي بي القطرين ستحرر العراق من قيود المعاهدة البريطانية ومن النفوذ الاستعماري**، وكنت اعتقد بأن الاتحاد العربي الشامل لن يتحقق دفعة واحدة بل على مراحل بين الاقطار العربية المتحررة والمتقاربة جغرافيا، وبالتالي سكانيا واقتصاديا ودفاعيا، مثلا الاتحاد بين العراق وسورية، والاتحاد بين مصر والسودان وليبيا، وبين تونس والجزائر والمغرب العربي، وبعد ذلك لا بد ان تتصل هذه الحلقات مع بعضها البعض في اتحاد عربي شامل.

كنت مؤمنا بأن لا طريق للاتحاد العربي الشامل - في المستقبل - غير هذا الطريق وانه لا حل للمشاكل العربية المستعصية في الحاضر والمستقبل الا بسلوكه ليس على مستوى القطرين بل على مستوى العالم العربي، فمشكلة كثافة السكان وازديادها في القطر المصري هي من المشاكل العربية المستعصية، ومنذ عام 1946 طرحت فكرة تعميم مشاريع الري في الهلال الخصيب لاستيعاب المهاجرين من ابناء الشعب العربي في مصر، ففي تاريخ 1946/7/14 وفي العدد رقم 49 من جريدة اليقظة التي كانت تصدر باسم حركة الشباب كتبت: "ليس بغريب ان نعالج الازمة المصرية، فما احرى المؤمنين بالوحدة العربية ان يهتموا بها ويعالجوها" كما ورد في المقال:

"ومن المؤسف حقا ان تحلم الصهيونية بتفيذ مشاريع الري الكبرى في الشرق العربي بينما لا تزال الجامعة العربية مترددة باقرار وحدة الجنسية، والغاء جوازات السفر بين الاقطار العربية وهي الخطوة الاولى في هذا السبيل، واذا تعممت مشاريع الري في الهلال الخصيب فانها تكفي وحدها لحل ازمة الشعب العربي بمصر، وهذه المشاريع يجب الا تبقى خيالات واوهاما، بل يجب ان تفكر بها الجامعة تفكيرا جديا، اذا كانت تؤمن حقا بوحدة الامة العربية التي يجب توثيق اواصرها الاقتصادية والاجتماعية".

إن تمزق الهلال الخصيب، وقلة عدد سكانه، كانا من أكبر العوامل والمغريات التي شجعت الحركة الصهيونية على اقتحام العرب في عقر دارهم، ولقد كان في ذلك المقال الذي كتبته عام 1946 اشارة لدراسة ترجمتها جريدة اليقظة عن صحيفة صهيونية تتحدث عن الامكانات الضخمة والثروات الهائلة المائية والزراعية والمعدنية والبترولية في الهلال الخصيب الذي يمكن ان يستوعب كل يهود العالم، بالاضافة الى فلسطين طبعا - وان المخططات الصهيونية جاهزة للشروع بتنفيذها فورا بعد قيام دولة اسرائيل الكبرى في هذه المنطقة.

لقد كنت أومن، مع قيادات حركة الشباب، عندما طرح مشروع نوري السعيد للاتحاد، في النصف الاخير من عام 1949 بأن تحقيق الاتحاد العربي ليس ضرورة استراتيجية قومية فحسب بل هو ضرورة انسانية وحضارية تؤثر على عالم الغد، ولكن اسباب معارضتنا لهذا المشروع كانت تدور حول الاسئلة الاتية:

هل من مصلحة الانكليز ان يوافقوا على اتحاد حقيقي بين سورية والعراق ولو في ظل عرش واحد؟

كان الجواب المنطقي لهذا السؤال انه ليس من مصلحة بريطانيا تحقيق هذا الاتحاد مع سورية لانه يهدد وجودها في العراق نفسه.

والسؤال الثاني الذي كنا نطرحه على انفسنا وعلى الاخرين، كيف يمكن لهذا الاتحاد ان يتحقق وتظل سورية محافظة على استقلالها بينما العراق محتل ومكبل بقيود المعاهدة البريطانية؟

الا يكون ذلك وسيلة لتسلل النفوذ الاستعماري البريطاني الى القطر السوري؟

ان العقل والمنطق يشير باصبع الاتهام الى المؤامرة الاستعمارية المبيتة على استقلال سورية، فالانكليز الذين طمعوا بالسيطرة على سورية منذ فجر استقلالها قد طرحوا اولا مشروع بيفن - بيدو، ثم مشروعا يقضي بضم سورية والاردن والوطن القومي الصهيوني، هذا المشروع الذي قوبل بالرفض، ليس فقط من قبل شكري القوتلي بل من قبل الشعب المتمسك باستقلال سورية، وها هم اليوم يحاولون بسط نفوذهم بالدعوة لمشروع الاتحاد مع العراق مما سيؤدي الى تكريس الانفصال باقامة عرش جديد لعبد الاله في سورية تحقق بريطانيا بواسطته تسلل نفوذها الى سورية المستقلة. ان تاريخ الاستعمار البريطاني في هذه المنطقة بصورة خاصة، وفي العالم بصورة عامة، كان دوما سياسة "فرق تسد" وان بريطانيا هي التي اشتركت بتجزئة البلاد العربية، بعد انهيار الخلافة العثمانية، بل ان الاستعمار جزأ القطر الواحد دويلات عديدة، ولو كانت بريطانيا ترغب باقامة وحدة بين البلاد

العربية لكانت اقامتها على الاقل بين العرشين الهاشميين في الاردن والعراق...

كنا نجيب على هذه التساؤلات بان اي خطوة اتحادية لا يمكن ان تحققها الا الدول المتحررة من النفوذ الاستعماري الصهيوني ولا يمكن للعرب ان يلتمسوا طريق وحدتهم من اعدائهم، بل لا يمكنهم ان يحققوا هذه الوحدة الا من خلال تحررهم من التبعية للاستعمار.

هاشم الاتاسي يعرض فكرة الاتحاد في مجلس الوزراء.

في النصف الثاني من شهر ايلول 1949- اي بعد انقلاب الحناوي وتشكيل الحكومة بشهر تقريبا - طرح هاشم الاتاسي ورشدي الكيخيا وايدهما عادل العظمة، بعد مقدمة وتحليل، فكرة الاتحاد مع العراق، على سبيل البحث والمذاكرة وبناء على رغبة الحكومة العراقية وطلب منها.. وبعد الانتهاء صمت الوزراء الاخرون دون ابداء رأي. فقلت للرئيس الاتاسي انني لا اعارض اتحاد القطرين الشقيقين من حيث المبدأ، ولكنني اريد ان انبه الى امر هام يجب حله قبل الخوض في التفاصيل، وهو امر ارتباط العراق مع الانكليز بالمعاهدة البريطانية التي يؤيدها احتلال عسكري مقيم، فهل يمكن ان نبحث في قيام الاتحاد بين القطرين قبل ان نعرف موقف الانكليز منه؟ ... ثم ان سورية بلد مستقل، واذا كان الانكليز موافقين على الاتحاد فمن المنطقي والطبيعي ان نحدد نحن والعراق كفريق متحد علاقاتنا مع بريطانيا من جديد، اذ لا يمكن في ظل الاتحاد ان يكون جزء منه مستقلا والجزء الاخر محتلا، وهذا يعني بصريح العبارة تحرير العراق من نير المعاهدة والاحتلال البريطانيين، فوافق المجتمعون على اقتراحي، وكلف وزير الخارجية ناظم القدسي ان يتصل بالانكليز ويستطلع آرائهم حول هذه الامور.

وبعد اسبوع تقريبا شرح القدسي في مجلس الوزراء نتيجة مساعيه فقال: ان الانكليز لا يمكن اطلاقا ان يبحثوا بأمر المعاهدة

البريطانية العراقية، وانه لا علاقة لهم بمشروع الاتحاد، وانه لا يمكنهم ان يعتبروا سورية والعراق فريقا واحدا بالنسبة لعلاقات العراق مع بريطانيا.

جرت مناقشة في مجلس الوزراء حول هذا الجواب، فأكدت من جديد ما قلته سابقا، فعقب الاستاذ ميشيل عفلق هذه المرة وقال ما معناه: "ان الاتحاد لا يجوز ان يتحقق بالارادات الفوقية، بل يجب ان يقوم على اساس شعبي" وكان يعني بالتحديد انه يجب ان يتم ايضا بالتفاهم والاتفاق بين الاحزاب السورية والعراقية ليأخذ طريقه الشعبي.

وقد تجنب مجلس الوزراء، لفترة من الزمن، اثارة هذا الموضوع مرة اخرى، وفي اثناء ذلك قدم الى دمشق صديق شنشل وفائق السامرائي، من زعماء حزب الاستقلال في العراق، وحلا بفندق الاوريان بالاس، وقاما باتصالات واسعة النطاق بالاحزاب والشخصيات السياسية. وكان رفقاؤهم في اجتماعاتهم وخلواتهم جلال السيد وقادة البعث واركان حزب الشعب.

كما قدم الى دمشق الفريق طه الهاشمي ومكث فيها مدة طويلة، وذكرت الصحف انه يقوم باتصالاته مع رجال الحكومة السورية بغية اتمام المهمة التي جاء من اجلها، وقد استقبله الرئيس هاشم الاتاسي في اجتماع رباعي ضم: رشدي الكيخيا وناظم القدسي وسامي الحناوي وتكررت هذه الاجتماعات ولم يتصل بي طه الهاشمي رغم معرفتي السابقة به، ويبدو انه كان معتمدا للتنسيق الرسمي بين حكومة نوري السعيد وانصار مشروع الاتحاد في الحكومة السورية، اما صديق شنشل فقد زارني في مكتبي بوزارة الزراعة، وكانت اول مرة اتعرف بها عليه.

تطرق صديق شنشل لموضوع الاتحاد واهميته بالنسبة للامة العربية وضرورته القصوى بعد قيام اسرائيل فقلت له:

انني وان لم اكن على اتصال سابق بحزب الاستقلال فانني كنت متتبعا دوما مواقفه الوطنية في العراق الشقيق وكفاحه ضد الاستعمار البريطاني، وان ذهابي للعراق مع مجموعة من

المناضلين عام 1941 للاشتراك بثورة رشيد عالي الكيلاني كان مناسبة لاتصالي بالحركة القومية العربية في العراق وبعض قادتها ورجالها ... وانني لاعجب ان يحاول قائد حزب الاستقلال ان يقنعني بمشروع يهدف الى حرمان سورية مما تتمتع به من نعمة الاستقلال والحرية... ان هذا المشروع هو محاولة لقطع الطريق على الاتحاد الصحيح في المستقبل.

بدت على وجه السيد شنشل امارات الالم والاكتئاب وأجاب: اننا عانينا كثيرا من احتلال الانكليز وحكم نوري السعيد، واعترف باننا تعبنا ونحن نلجأ الان الى سورية علنا نستطيع سوية تحرير العراق، فقلت له:

وهل يحقق هذا المشروع تحرير العراق؟ إنني لا اعتقد ذلك.

خطر لي وهو يتكلم ان مثلنا مع العراق، كمن ذهب لاخراج اخيه من السجن، فدخل السجن واصبح هو واخوه تحت قبضة السجان.

لو كانت سورية قوية متماسكة الى الحد الذي لا تخشى معه ان تصبح اسيرة الاستعمار لكان هذا القول معقولا، ولكن ما لنا ولهذه الافتراضات؟

لو كان الامر كذلك لما فكر الانكليز بهذا المشروع اصلا، بل لكانوا من اشد اعدائه دفاعا عن مصالح بريطانيا المستقرة بالعراق، والانكليز بالاساس لهم رأيهم بالسورين المتمردين دوما، فقد قال لورنس في كتابه اعمدة الحكمة السبعة عن السوريين:

"كلهم يريد شيئا جديدا، ولهم مع سطحيتهم وتمردهم ولع بالسياسة، وهي علم يسهل على السوريين التهذر فيه ولكن يصعب عليهم اجادته، انهم ساخطون دوما على اي حكومة تقوم في بلدهم ... الا ان ندرة منهم فكرت مخلصة بتقديم بديل، والاندر منها اولئك الذين سيقرون هذا البديل".

على اثر جلسة مجلس الوزراء التي بحث فيها موضوع الاتحاد قمت بزيارة خاصة لخالد العظم، واردت ان استثير حميته، فقلت له:

انت رجل عاصرت الانتداب وتعرف مدى ما عانته سورية من الام ومآس وتضحيات، ان مسؤوليتنا كبرى امام الله والشعب اذا فرطنا بهذا الاستقلال واستبدلنا الاستعمار البريطاني الداهم بالاستعمار الفرنسي الزائل.

واستطردت:

اما انا فلن اوافق على هذا المشروع الاستعماري، انني تعرفت عليك في برلمان 1943. وقد توسمت بك التعقل والوطنية وانك كنت دوما تحاول ان تخدم بلدك، فارجو ان يكون موقفك مساندا وداعما لموقفي، ولا بد انك لاحظت ان الاتاسيين وحزب الشعب وعادل العظمة ضالعون في هذا المشروع، وهم يجتمعون سرا ويبيتون امرا يجب ان نتآزر معا لاحباطه، فوافقني على ما اقول.

كما قمت بزيارة اخرى مماثلة للدكتور سامي كبارة، وهو منافس لرشدي الكيخيا ذلك التنافس الذي اشتد بعد انقلاب الحناوي، فأظهر موافقته ايضا ولكنه ظل مترددا وكان على اتصال مستمر بضباط الحناوي السائرين في تيار الاتحاد مع عراق نوري السعيد، امثال الضابطين خالد جادا ومحمد معروف وغيرهما من اركان الانقلاب الاخرين.

وكانت الصحف الاجنبية في تلك الفترة تشير صراحة الى تكتلات الضباط وانشقاقات في الجيش بهذا الخصوص، فقد ذكرت جريدة التايمس اللندنية يوم 26 آب 1949 - اي بعد اقل من اسبوعين على انقلاب الحناوي "ان اعضاء الحكومة السورية الجديدة بصفتهم الفردية قد لا يؤخذ عليهم اي مأخذ ولكنهم مجتمعين لا يشكلون فريقا منسجما، وان المستقبل وحده كفيل باظهار نجاحهم او عجزهم في المضي قدما في السبيل الذي اختطوه، وان الجيش قد انشق الى شيع وآراء مختلفة، وان النظام العسكري قد تدهور".

وفيما يتعلق بموضوع الاتحاد المطروح بين سورية والعراق فانه لا بد من الاشارة الى امرين اثنين حدثا في شهر ايلول من عام 1949:

احدهما كتاب ارسله الملك عبد الله الى الرئيس الاتاسي. يقول فيه انه لن يقف مكتوف الايدي اذا اقرت سورية مشروع الاتحاد مع العراق، وفيه تهديد ووعيد باجتياح سوريا. وقد تلاه الرئيس الاتاسي في مجلس الوزراء مستخفا بهذا التهديد.

وقد كرر الملك عبد الله في عدة مناسبات معارضته لمشروع الاتحاد، وصرح بتاريخ 16 تشرين الاول 1949 انه يعتقد ان المقترحات المعروضة لتوحيد سوريا والعراق هي بمثابة وضع العربة امام الحصان، واشار الى انه ينبغي ان تكون سوريا نفسها موحدة، ومتى تحققت لها هذه الوحدة وجب عليها ان تنشد الوحدة مع العراق.

والامر الثاني ان الكولونيل ستيرلنغ، الذي أقام في دمشق بعد الجلاء وفتح فيها دكانا لبيع الدراجات وتصليحها كان يقوم بنشاط اعلامي واسع، ويزود الصحف البريطانية بالرسائل التي تدعو لمشروع سوريا الكبرى، ويقوم بجولات واسعة في البادية واتصالات مع رؤساء العشائر، فتساءلت في مجلس الوزراء:

هل انقسمت المخابرات البريطانية حول مشروع سورية الكبرى (سورية والاردن) ومشروع الهلال الخصيب (اتحاد سورية والعراق)؟

مشيرا الى نشاط ستيرلنغ الاعلامي ورسائله للصحف البريطانية وما سمعته عن جولاته في البادية.

وقد جرت بعد ذلك بعدة اسابيع محاولة لاغتيال ستيرلنغ. اصيب فيها بجراح واعتقل عدد من المتهمين، بعد ذلك بشهور اغلق سيترلنغ دكان الدراجات وغادر دمشق الى بلاده بعد ان انتهت المعركة الانتخابية في سورية، وكانت محاولة اغتياله مظهرا من مظاهر التناقض الاستعماري وتناقض مصالح المحاور العربية.

لم اجتمع مع اديب الشيشكلي منذ ان سرحه حسني الزعيم من الجيش الى ان اتاني الى البيت لاول مرة بعد ان أعاده الحناوي برتبة عقيد وسلمه قيادة اللواء الاول، قال لي اديب الشيشكلي: ان حزب الشعب يتآمر مع العراق والانكليز لتحقيق مشروع الاتحاد وان الجيش ناقم ولن يقف مكتوف الايدي تجاه هذه المؤامرة، قلت له:

هل تثق بي، وهل يثق بي اخوانك الذين تحدثت باسمهم؟

اذا كنتم تثقون بنا اتركوا لنا الفرصة لنعالج هذا الموضوع فهو دقيق وحساس، وانا لا اكتمك انه بحث في مجلس الوزراء، ولكن على سبيل الاستعراض والمناقشة، فاذا تمكنا من اقامة الاسس الصحيحة بما يضمن استقلال البلاد فانني لا اشك انكم ترحبون به، اما اذا كان الامر خلاف ذلك فانني كفيل باحباطه، ولهذا ارجو ان تطمئن رفاقك، فلا يمكن ان تمر الامور بالشكل الذي تتوهمون، فاقتنع اديب الشيشكلي وانصرف.

بعد انصراف اديب فكرت بالوضع العربي وحزنت.

لقد وقف بن غوريون في الشهر ذاته - ايلول 1949 - يهدد ويصرخ متوعدا:

"ان اسرائيل ستلاحق المعتدين الى ما وراء حدودهم في حالة نشوب حرب في المستقبل" ويطلب الى البرلمان ان يؤيد مقترحاته بانشاء جيش كامل العدة للقيام بهذه المهمة.

وبالمقابل فقد كتبت الصحف بالجانب العربي في اوائل ايلول 1949: "ان الدوائر الرسمية في القاهرة صرحت بان زعماء دول الجامعة العربية يدرسون مع البريطانيين امكانية عقد حلف عسكري لمناهضة الشيوعية، تنضم اليه الولايات المتحدة، اما اشراك اميركا في الحلف فقد اقترحته سورية ومصر ولبنان، وذلك

لانها القوة العالمية الرئيسية لمناهضة الشيوعية ويجب ان تتزعم اي حركة دفاعية ضد روسيا".

حقا ان موقف الحكام العرب يدعو للرثاء، فبينما ينصرف زعماء اسرائيل لتهيئة خططهم التوسعية، نرى حكام العرب دمى بحركها الاستعمار لتحقيق مصالحه باسم المشاريع الدفاعية والاحلاف العسكرية لمحاربة الاتحاد السوفيتي ومناهضة الشيوعية فيقسم صفوفهم ويحرضهم ضد بعضهم ويلهيهم عن مصالح شعوبهم.. حقا انه موقف يدعو الى العجب والرثاء.

ان الاستعمار الغربي لا يقل همجية عن الحركة الصهيونية، فهو لم يخدم الصهيونية بدعمه المادي والسياسي ونهبه خيرات البلاد العربية واستنزافه ثرواتها واحتلال مواقعها الستراتيجية فحسب، بل يتطوع لخدمتها بالعمل على تمزيق العرب وصرف انظارهم عن خطر الحركة التوسعية الصهيونية العرقية العسكرية الى خطر موهوم لا وجود له هو خطر الاتحاد السوفيتي والشيوعية، وان ما يزعمونه خطرا ما هو الا مخرج من الطريق المسدود الذي يدفعوننا اليه دفعا.

لم يبق اذن امام الواعين في سورية الا ان يحافظوا على استقلال بلادهم ويعدوا العدة للمعركة، وينتظروا الفرصة السانحة للخطوة الوحدوية عندما تتوفر ظروفها الموضوعية، وان يتجنبوا مطبات الاستعمار والصهيونية، فهما معا وراء تمزيق الامة العربية والعدوان المستمر على استقلالها ووجودها وحضارتها، ولا مفر للحركة العربية التحررية من ان تعد العدة وان تضع استراتيجيتها على هذا الاساس...

وهذا ما انتهجاه فعلا حتى قيام الوحدة عام 1958.

مشروع الاتحاد يبحث من جديد

في الخامس من تشرين الاول وصل الى مطار دمشق الامير عبد الاله الوصي على عرش العراق في طريق عودته الى بغداد من لندن فاستقبله في المطار الرئيس هاشم الاتاسي وفارس الخوري وناظم القدسي وعبد الله عطفة وعادل العظمة

وسامي الحناوي وعدد من الوزراء السابقين، ولم يتعرض هاشم الاتاسي في مجلس الوزراء الى ما دار من حديث بين الرجلين ولكن الصحف اشارت الى انه جرت ابحاث هامة بينهما.

□

عندما اقتربت المعركة الانتخابية، اثار الوزير عادل العظمة في مجلس الوزراء موضوع الاتحاد مع العراق من جديد فقال ان لديه مشروعا وضعه بالاتفاق مع العراقيين فقلت:

ولكن كيف تبحث هذا المشروع طالما ان بريطانيا رفضت الغاء المعاهدة البريطانية العراقية كما اخبرنا وزير الخارجية؟

كان رشدي الكيخيا يرى ان المعاهدة العراقية البريطانية لا تمنع قيام الاتحاد بين سورية والعراق لذلك فان الاكثرية في مجلس الوزراء قد اقرت تشكيل لجنة وزارية لدراسة الموضوع تتألف من عادل العظمة وسامي كبارة وعدنان الاتاسي، واكرم الحوراني، وقد تقدم العظمة الى اللجنة بمشروع لا يخرج في اسسه عما ورد في بيان حسن الحكيم، والظاهر ان حكومة نوري السعيد كانت حريصة على ايجاد وسيلة شرعية لدخول قطعات عسكرية عراقية الى سورية لتنصيب عبد الاله الوصي على عرش العراق ملكا على سورية وتشكيل حلف عسكري يقف الى جانب بريطانيا لحماية مصالحها في المنطقة وهو الامر الذي عبر عنه صراحة حسن الحكيم في آخر بيانه عن الاتحاد عندما قال:

"اننا لن نستطيع ان نساهم بخدمة السلم، بجانب الحلفاء، اذا لم نكن متحدين اقوياء".

اجتمعت اللجنة المكلفة بدراسة المشروع اجتماعها الاول، وكان في بيت عدنان الاتاسي، وبعد دراسة بعض مواد المشروع قلت لاعضاء اللجنة:

انني غير مقتنع بجدوى اي بحث في المشروع المقدم قبل ان تحل مشكلة المعاهدة البريطانية العراقية فقوبل ذلك بالصمت والوجوم وتوقفت الاجتماعات. وكانت جلسات مجلس الوزراء التي

اعقبت توقف اعمال اللجنة يعتريها كثير من البرود من قبل الرئيس الاتاسي ووزراء حزب الشعب، ولا ادري اذا كانت حكومة حزب الشعب قد تقدمت بمشروع الاتحاد لاقراره في مجلس الوزراء ام انها اتخذت من طرحه قبل الانتخابات وسيلة لكشف مواقف الوزراء نهائيا وتقرير موقفها منهم في المعركة الانتخابية التي ستقرر مصير المشروع في المجلس التأسيسي المقبل.

بعد ان طرح عادل العظمة مشروع الاتحاد اضطرتني المعركة الانتخابية لمغادرة دمشق مما اغلق الباب نهائيا دون معرفة ما تفعله الحكومة في دمشق حيث بقي فيها الرئيس الاتاسي ورشدي الكيخيا وخالد العظم الذي لم يرشح نفسه للانتخابات.

□

سورية بين الاتحاد وميثاق الضمان الجماعي

في منتصف شهر تشرين الاول 1949 طرح الرئيس هاشم الاتاسي قضية الاجتماع الذي سيعقد عما قريب في مجلس الجامعة العربية بالقاهرة في دورته الحادية عشرة، وتحدث عن اهمية هذا الاجتماع وما سيبحث فيه ويصدر عنه من مقررات واقترح تشكيل الوفد السوري على هذا المستوى، وقد دار نقاش طويل حول اختيار اعضاء الوفد حتى تم الاتفاق على تسميتهم، ولم يكن بينهم اسم الاستاذ ميشيل عفلق الذي لم يبد في تلك الجلسة اي اعتراض بل لم يشترك بالمناقشة التي جرت لاختيار الاعضاء، وفي الاجتماع التالي لمجلس الوزراء فوجىء الرئيس الاتاسي بطلب الاستاذ ميشيل ان يكون عضوا بالوفد، فنهض عن كرسيه كالملدوغ، وقذف طربوشه على الطاولة غاضبا وراح يذرع القاعة مهتاجا شاتما حزب البعث والاستاذ ميشيل، وكان يتكلم بعصبية شديدة حتى خشينا عليه وهو الرجل المسن، اما الاستاذ ميشيل فقد ظل جالسا على كرسيه دون ان يتكلم، بينما نهض الوزراء يهدئون من هياج الرئيس الاتاسي الذي تعب لكثرة ما صاح فجلس، وقد ظهر عليه الاعياء الشديد.

بعد قليل نهض الاستاذ ميشيل مع بعض الوزراء فاعتذر من الرئيس الاتاسي وانتهت الجلسة على هذه الصورة، وقد المني عدوان الرئيس الاتاسي وهيجانه الجنوني والالفاظ النابية التي بدرت منه والتي تنبع من اعماق العقلية المتعالية، وما كنت اود ان يعتذر الاستاذ عفلق لانه لم يرتكب ما يوجب الاعتذار، وفي الاجتماع التالي لمجلس الوزراء تم تعيين ميشيل عفلق عضوا في الوفد السوري لاجتماعات مجلس الجامعة العربية، فاصبح الوفد برئاسة ناظم القدسي وزير الخارجية وعضوية عادل العظمة وزير الدولة، وميشيل عفلق وزير المعارف ونعيم الانطاكي وهو وزير سابق، والدكتور عدنان الاتاسي الذي كان يشغل منصب وزير سورية المفوض في عهد حسني الزعيم وبعد انقلاب الحناوي ظل في منصبه الا انه بقي في دمشق الى جانب والده هاشم الاتاسي طيلة ترؤسه للحكومة، كما تمت تسمية اسعد محفل واكرم زعيتر وهنري كتن ملحقين بالوفد.

ترأس الدكتور ناظم القدسي اجتماعات مجلس الجامعة العربية في القاهرة، وفي اجتماع يوم 1949/10/22 اصر رئيس وزراء مصر حسين سري باشا بالاتفاق مع السعودية ولبنان على وجوب بحث مشروع الاتحاد السوري العراقي، فهدد نوري السعيد والدكتور ناظم القدسي بانسحاب وفديهما لان ذلك يعد تدخلا في شؤون البلدين الداخلية، وان الامر يجب ان يترك لشعبي البلدين، مما جعل سري باشا يعدل عن اصراره وعلى هذا الاساس تم الاتفاق على ان تؤجل اللجنة هذا الموضوع حتى تجري الانتخابات الوشيكة في سورية، ومن جهة ثانية قدمت الدول الثلاث مصر والسعودية ولبنان المعارضة لمشروع الاتحاد السوري العراقي مشروعا لمعاهدة سميت معاهدة الضمان الجماعي كوسيلة لاسقاط مبررات الاتحاد السوري العراقي الذي كان دعاته يبررونه بانه يهدف الى تقوية العرب امام الخطر الصهيوني.

وبتاريخ 25 تشرين الاول عاد الى دمشق من القاهرة ميشيل عفلق وعادل العظمة فقدما تقريرا عن اجتماعات مجلس الجامعة واللجنة السياسية ومشروع الضمان الجماعي وما جرى

حوله من مناورات، وقد وصفه عادل العظمة بأنه مشروع دفاعي ضد اسرائيل بالتخصيص، ولكن وفود الدول العربية رأت ان تعدل نص المشروع وتجعله عاما ضد كل عدوان خارجي يقع على احدى البلاد العربية مجاراة للاعراف الدولية.

وفي احدى جلسات مجلس الوزراء التي اعقبت هذه الجلسة اقترح رشدي الكيخيا مشروع قرار بالموافقة على الاتحاد مع العراق وتكليف رئيس الحكومة اجراء المفاوضات مع العراق وارسال التعليمات الى الوفد السوري بالقاهرة لاعلان ذلك في اجتماع مجلس الجامعة، فحاول هاشم الاتاسي طرح اقتراح الكيخيا على التصويت دون مناقشة بداعي انه لاضاعة الوقت والمناقشات من جديد، فخالف مشروع القرار سامي كبارة وفيضي الاتاسي واكرم الحوراني، فخشي الاتاسي والكيخيا ازمة وزارية قبيل الانتخابات مع ما في ذلك من انعكاسات على الوضع في الجيش، فتراجعا عن الاقتراح، وعاد عادل العظمة وحده الى القاهرة ليزود الوفد بالتعليمات التي تلقاها من حكومته وهي تقضي بمتابعة البحث والعمل على اقرار مشروع الضمان الجماعي.

وفي 3 تشرين الثاني وصل ناظم القدسي الى دمشق وعقد مؤتمرا قال فيه:

"لقد تقدم وفد مصر بمشروع للضمان الجماعي وقررت اللجنة السياسية ان تنتدب كل دولة عضوا لتشكيل لجنة تبحث الموضوع المذكور وتقدم مسودة المشروع كاملة في اقرب وقت، وستجتمع هذه اللجنة خلال الايام العشرة التالية، وقد عينت سورية الدكتور عدنان الاتاسي ممثلا لها في هذه اللجنة"

وقد نشرت جريدة النهار البيروتية بتاريخ 49/11/25 ان "احدى الدوائر العربية تلقت تقريرا من الولايات المتحدة جاء فيه ان الاوساط الاميركية التي كان يساورها بعض القلق على اسرائيل من جراء قيام الضمان الجماعي بين الدول العربية اصبحت الان

غير قلقة لانها تعتقد ان الدافع علـى هـذا الضـمان اسـباب محليـة تتعلق بالصلات القائمة بين الدول العربية".

65

1949: لجنة التوفيق الدولية هزيمة سياسية تلت الهزيمة العسكرية

قبل الاسترسال في الحديث عن انتخابات الجمعية التأسيسية وانقلاب العقداء لا بد لي - تمشيا مع السياق الزمني الذي اعتمدته في هذه المذكرات - من التوقف قليلا عند حدث هام كانت له نتائجه فيما يتعلق بالصراع العربي الاسرائيلي:

ان اسرائيل بعد كسبها العسكري لمعركة 1948 اتجهت لكسب المعركة السياسية لاسباغ الشرعية على كيانها، فتقدمت بطلب قبولها عضوا في هيئة الامم المتحدة، على الرغم من انها لم تضع دستورها لئلا تعين حدود الدولة على اساس قرار التقسيم.

لقد علقت الامم المتحدة آنذاك قبول تلك العضوية على شرط اتفاق اسرائيل مع العرب لتنفيذ القرارات التي اصدرتها بشأن القضية الفلسطينية فشكلت لجنة لهذا الغرض سميت لجنة التوفيق الدولية، وكان قبول الانظمة العربية الاشتراك في هذه اللجنة تنازلا هاما يعني تحويل القضية الفلسطينية الى قضية عودة قسم من اللاجئين وتوطين القسم الاخر في الدول العربية، كما يعني الاعتراف بدولة اسرائيل المغتصبة.

ان التاريخ السياسي والعسكري للانظمة العربية فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية هو مجموعة من الهزائم والتراجعات والمساومات، وكان من اول الهزائم السياسية موافقة العرب على الاشتراك في لجنة التوفيق الدولية قبل ان تنفذ اسرائيل قرارات هيئة الامم المتحدة، فبعد مفاوضات استمرت شهورا بين الاسرائيليين ودول المواجهة تم الاتفاق في سويسرا على توقيع ما سمي ببروتوكول لوزان عام 1949 الذي ينص على تنفيذ قرارات هيئة الامم المتحدة الخاصة بعودة اللاجئين الفلسطينين والتعويض على من يرغب في العودة، كما نص على تنفيذ قرار التقسيم الصادر عام 1947من قبل الامم المتحدة، وبعد توقيع بروتوكول لوزان من قبل الدول العربية واسرائيل قررت هيئة الامم

قبول عضوية اسرائيل فيها، ولكن الحكومة الاسـرائيلية نكثـت بعـد قبولها عضوا في هيئة الامم المتحدة، وكانت برئاسـة بـن غوريـون، عن تنفيذ بروتوكول لوزان، بل اعلنت عن حاجتهـا الـى المزيـد مـن الاراضي والمياه لاستيعاب المهاجرين الجدد الذين وصل منهم الى فلسطين المحتلة ما بين عامي 1948 - 1953، 700 الف مهاجر.

وفيمـا يلـي اهـم المراحـل التـي مـرت بهـا المفاوضـات العربيـة الاسرائيلية ضمن ما سمي لجنة التوفيق الدولية:

بتاريخ 1948/12/11 صدر عن الجمعية العموميـة قـرار نصـت الفقرة الحادية عشره منه على العمـل لاعـادة اللاجئـين الـراغبين في العودة الى بيوتهم وممتلكاتهم، والتعويض علـى مـن لا يرغـب منهم بهذه العودة... وقـد شـكلت "لجنـة التوفيـق الدوليـة" لتنفيـذ هذه التوصية وحددت مهمتها بما يلي:

اولا: القيـام بمهمـة وصـلاحيات الوسـيط الـدولي الكونـت برنـادوت الذي عين في 1948/5/15 واغتاله اليهود في 1948/9/16.

ثانيا: السعي مع الاطراف المعنيـة ومسـاعدتها للوصـول الـى حـل نهائي لكل المسائل العالقة بينها، وذلك اما مباشـرة بـين الاطـراف ذاتها او بطريقة غير مباشرة بواسطة لجنة التوفيق الدولية.

ثالثـا: تقـديم اقتراحـات مفصـلة لقيـام نظـام دولـي دائـم يشـمل القدس وضواحيها بالاضافة الى اقتراحات حول تأمين الوصـول الـى الاماكن المقدسـة في القدس وبقية انحاء فلسطين.

رابعا: تسـهيل عـودة اللاجئـين الـى ديـارهم والتعـويض علـى غيـر الراغبين منهم في العودة، وتوطينهم.

وقد اختار ممثلو الدول الكبرى الخمس اعضاء اللجنة فتألفت من رئيس تركي (يالطيشين) وعضو اميركير (اثريدج) ثم حل محله (بـورتر) وعضـو فرنسـي (بواسـانجييه) ... ومـرت نشـاطات اللجنـة خلال عام 1949 باربعة مراحل:

اولا: مرحلة الاتصالات التمهيدية: من 1949/1/17 الى 1949/4/17 حيث بدأت بالاجتماع الاول للجنة في جنيف ثم انتقال اللجنة الـى

الشرق الاوسط وعقدها الاجتماعات المتعددة مع الاطراف العربية في بيروت وتل ابيب وقد توافقت هذه المرحلة مع انقلاب حسني الزعيم في 1949/3/29.

ثانيا: مرحلة لوزان الاولى من 1949/4/27 الى 1949/7/1 وتميزت بانتقال اللجنة الى لوزان بسويسرا وارسال الوفود العربية والوفد الاسرائيلي اليها.

ثالثا: مرحلة لوزان الثانية من 1949/7/18 الى 1949/9/15 (وهي المرحلة التي كتب خلالها الياهو ساسون الى موشى شاريت وزير خارجية اسرائيل رسائل سرية اذيعت بعد 22 سنة عندما نشر بعضها في صحيفة "يديعوت احرونوت" الاسرائيلية شهر شباط 1972، وقد اثبتنا نموذجا منها فيما سبق).

رابعا: اجتماع نيويورك: حيث انتقلت اليها اعمال اللجنة منذ 1949/10/19 وحتى نهاية عام 1951.

واما اهم النتائج التي ترتبت على اشتراك الحكومات العربية في هذه اللجنة فهي التالية:

اولا: توقيع الوفود العربية واسرائيل على بروتوكول لوزان في 1949/5/12، واتخاذ وثيقة العمل المرفقة به اساسا للبحث، وكانت وثيقة العمل هذه مبنية على خريطة التقسيم كما اقرته هيئة الامم المتحدة اي ان الدول العربية وافقت عمليا على التقسيم.

ثانيا: اعتراف الولايات المتحدة باسرائيل اعترافا كاملا وقرارها بتسليف اسرائيل قرضا من بنك الاستيراد والتصدير بعد اسبوعين فقط من اول اجتماع للجنة التوفيق.

ثالثا: زيارة جورج ماك غي مساعد وزير الخارجية الاميركية للمنطقة وطرحه مشروعا للتطوير الاقتصادي للشرق الاوسط في اجتماعات عقدها في بيروت في آذار 1949 مع ممثلي الدول العربية المجاورة لاسرائيل كوسيلة لتوطين اللاجئين في البلاد العربية.

رابعا: مع ان مبرر تشكيل اللجنة كان تنفيذ الفقرة (11) بعودة اللاجئن، وان هذا الموضوع له الاولوية في ابحاث اللجنة، فان اللجنة اعلنت خلال شهر ايار 1949 واثر اتصالاتها بالطرفين انه "مع تقديرها للاولوية التي يعطيها العمل لتوطين اللاجئين، ترى انها يجب ان تأخذ بعين الاعتبار احتمال ان لا يرغب جميع اللاجئين في العودة الى بلادهم، وانه يتوجب بالتالي على الدول العربية القبول بتوطين اللاجئن الذين لا يرغبون بالعودة في البلاد العربية ذاتها"... (وللتغطية اردفت اللجنة كلامها هذا بأن اقترحت على اسرائيل قبولها لعودة 200 الف نازح فلسطيني).

خامسا: انبثاق لجنة غوردون كلاب عن هذه اللجنة.

وسوف يرد انه لم ينفذ اي مشروع اقتصادي وعدت به اللجنة الا مشروع تحويل نهر الاردن وسرقة المياه العربية لاحياء النقب وتوطين المهاجرين اليهود الجدد.

فما هي قصة لجنة كلاب؟

في مطلع شهر ايلول 1949، انبثق عن مفاوضات لجنة التوفيق الدولية في لوزان لجنة جديدة باسم "لجنة الاستقصاء الاقتصادية الدولية للشرق الاوسط" وقد عرفت هذه اللجنة في البلاد العربية باسم "لجنة كلاب" نسبة الى رئيسها الاميركي غوردون كلاب.

وكان قد اشيع، قبل وصول هذه اللجنة الى البلاد العربية، بما نشرته صحيفة الاهرام وبعض الصحف العربية الاخرى، انه بينما كانت الوفود العربية في لوزان تسعى الى اعادة اللاجئين الى ديارهم، كانت تدور مفاوضات سرية بين حسني الزعيم بشخصه وبين ممثل اميركي، تهدف الى توطين اللاجئين الفلسطينيين في اراضي الجزيرة الواقعة شمالي سوريا، وان حسني الزعيم عقد اخر اجتماع مع المستر ماك غي ممثل الخارجية الاميركية، في يوم 10 تموز 1949، وطلب منه خمسمائة مليون دولار تدفع اليه شخصيا لقاء اسكان اللاجئين في الجزيرة، على ان لا تدفع اسرائيل لهولاء اللاجئين تعويضات شخصية عن

اموالهم وممتلكاتهم في فلسطين، وبعد مساومات تم الاتفاق على دفع مبلغ ثلاثمائة مليون دولار لحسني الزعيم، وكان هذا الخبر قد تسرب بطريقة غامضة الى اللاجئين فعقدوا مؤتمرا كبيرا في زحلة، واتخذوا قرارات اهمها رفضهم اي مشروع لاسكان اللاجئين في اية دولة عربية والاصرار على المطالبة بعودتهم الى وطنهم الاصلي فلسطين.

وقد عادت السياسة الاميركية من جديد للعمل للغرض ذاته بعد انقلاب الحناوي، عن طريق لجنة كلاب التي اتخذت في ظاهرها صفة لجنة اقتصادية منبثقة عن هيئة الامم المتحدة وهي تهدف في الحقيقة الى توطين اللاجيئن في البلاد العربية.

وهذا ما اكده فيما بعد رئيس اللجنة غوردون كلاب ذاته اذ قال:

"ان هدف اللجنة هو ايجاد اعمال للاجئين، ومن ثم دراسة مشاريع اسكانهم والتعويض عليهم عن طريق المشاريع البعيدة المدى الواسعة النطاق".

وقبل ان تصل لجنة كلاب الى دمشق زارت كلا من بيروت والقاهرة وعمان واجرت اتصالات مع المسؤولين فيها، وقال كلاب: "ان الدول العربية التي اتصلنا بها حتى الان لم تظهر اية بادرة سلبية، وانما ابدت كل امكانية للتعاون". وخلال ذلك كان اللاجئون الفلسطينيون يعبرون بمختلف الوسائل عن عدم اعترافهم بهذه اللجنة ورفضهم لمشاريعها واصرارهم على عدم الاستيطان في اية ارض خارج فلسطين".

وكانت الصحافة تشير الى المشاريع التي ستجري اللجنة مباحثاتها على اساسها وهي التعهد بتنفيذ مشروع تحويل نهر الاردن الذي طوره اليهود عن مشروع لوذر ميلك وهو يقضي بانشاء سدود واحواض لضبط مياه شلالات تل شهاب الموجودة في جنوب حوران للافادة منها في توليد القوى الكهربائية ومشروعات الري الواسعة التي تروي ساحل فلسطين وقسما من صحراء النقب.

عندما وصلت لجنة كلاب الى دمشق في 1949/9/27 كان الرأي العام معبأ ضدها، وكانت الحكومة قد اتخذت قرارا برفض توطين اللاجئين، بينما كان القائم باعمال المفوضية الاميركية يقوم بزيارات متتابعة للرئيس الاتاسي، ووزير الخارجية ناظم القدسي بحضور الدكتور عدنان الاتاسي وزير سورية المفوض في باريس، غير ان ناطقا بلسان اللجنة صرح في بيروت:

"ان حكومات مصر وشرق الاردن وسورية قبلت التعاون مع اللجنة بعد ان تأكد لها ان مهمتها ترمي الى وضع مشاريع اقتصادية تطبق في البلدان العربية ويشغل فيها اللاجئون الفلسطينيون".

لقد احدث ما صرح به الناطق باسم اللجنة من ان سورية قبلت مع الحكومات العربية اقامة مشاريع لتشغيل اللاجئين مما يعني توطينهم ردة فعل قوية لدى الرأي العام في سورية، مما دعاني لاثارة هذا الموضوع في مجلس الوزراء وقلت ان هذه الموافقة هي خلاف لما قررته الحكومة من رفض توطين اللاجئين مما جعل وزير الخارجية ناظم القدسي ان يعلن انه سلم هذه اللجنة بعد عودتها ثانية الى دمشق التحفظات السورية التي تتلخص فيما يلي:

1- تعتبر سورية ان اقتراح اللجنة باستيطان اللاجئين في بلادها هو محاولة من اللجنة للتعرض لاستقلالها وتدخل غير مشروع في شؤونها الداخلية.

2- يجب الا تؤثر قضية السماح الى اللجنة بالقيام بدراستها في قضية عودة اللاجئين الى ديارهم المنصوص عنها في المادة (11) من قرار الجمعية العمومية الصادر في 1948/12/11.

وهكذا يظهر جليا انه لم يكن من هم للسياسة الاميركية في الشرق الاوسط بعد كارثة 1948 الا تصفية نتائج المرحلة الاولى من مراحل التوسع الصهيوني وقيام اسرائيل، اذ لم يبق - في نظر الولايات المتحدة والغرب - الا اللاجئون الفلسطينيون الذين يجب توطينهم في البلاد العربية والعمل على المرحلة الثانية من مراحل التوسع والاستيطان الصهيوني، وذلك بالتمهيد

سياسيا لتحويل نهر الاردن واحياء النقب لاستيعاب المهاجرين الجدد وفصل مغرب البلاد العربية عن مشرقها.

ان المكاسب السياسية التي حققتها اسرائيل من لجنة التوفيق الدولية، كانت مكاسب سياسية كبيرة جدا، فعدا عن دخولها هيئة الامم المتحدة، وتغاضي الولايات المتحدة عن موضوع عودة اللاجئين وتحويله الى قضية توطينهم في البلاد العربية، فان لجنة التوفيق اصبحت في لوزان وكرا للاتصالات بالحكومات العربية عن طريق اعضاء وفودها مما كشفته رسائل الياهوساسون التي مر ذكرها سابقا.

لقد برهن التاريخ السياسي لاحداث المنطقة العربية منذ خمسين عاما حتى الان على ان موقف الرفض الشعبي لكل مشاريع الغرب وسياساته كان موقفا ثوريا منبثقا من طبيعة الدفاع المشروع عن النفس والحرية، اذ لم تكن حصيلة السياسة التي اتبعتها القيادات العربية الا المزيد من التراجع والهزائم والنكبات، وقد كانت احدى هذه التراجعات والهزائم السياسية موافقة العرب واشتراكهم في لجنة التوفيق الدولية اثر هزيمة عام 1948.

1949: انتخابات المجلس التأسيسي - الأجهزة البريطانية تحاول اسقاطي والميجر داردن يتجول علنا في مدينة حماه - وصف مفصل للمعركة الانتخابية في حماه - سقوط ميشيل عفلق وصلاح البيطار وخالد بكداش في دمشق.

كادت معركة انتخابات 1949 تعتبر منتهية في سورية قبل خوضها، وكادت نتائجها تصبح شبه معروفة بعد انسحاب الحزب الوطني الذي اضطر للبقاء خارج الحكم والمجلس النيابي مع تأييده مشروع الاتحاد مع العراق لأن السلطة كانت في يد حزب الشعب مما يجعل فشل مرشحي الحزب الوطني في الانتخابات المزمع اجراؤها شبه مؤكد، ولا سيما أن العراق وبريطانيا قد أوكلتا لحزب الشعب بصفته الحزب الأقوى تحقيق مشروع الاتحاد.

لقد أعطى انسحاب الحزب الوطني طابعا شكليا للانتخابات، وكان الانطباع السائد أن قوائم حزب الشعب ستنجح في جميع المناطق، فالسلطات المدنية والعسكرية من ورائها، ولا سيما بعد أن انضم إليها عدد من أعضاء الحزب الوطني وانصاره، أما المرشحون من المستقلين والأحزاب الأخرى فسوف لا ينجح منهم إلا من يؤيد الاتحاد مع عراق نوري السعيد، لأنهم سيكونون مدعومين بالمال ومؤيدين من السلطات، وقد تبلورت المعركة الانتخابية في بعض مدن سورية الرئيسية بالقوائم التالية:

في دمشق :

قائمة حزب الشعب: رشاد جبري، علي بوظو، مأمون المهاينى، منير المالكي، نسيب البكري، صبحي الخطيب، محيى الدين بقلة، جورج شلهوب.

لائحة المستقلين: سامي كباره، حسن الحكيم، سعيد حيدر، زكي الخطيب، منير العجلاني، نصوح البخاري، سعدي الكيلاني، فهمي المحايري، نبيه الغزي، جبران شامية.

الجبهة الاشتراكية الاسلامية: الشيخ مصطفى السباعي، الشيخ عبد الحميد الطباع، محمد المبارك، الدكتور عارف الطرقجي، صبحي العمري، صلاح الدين الشاش، جورج شلهوب، قسطنطين منسى.

قائمة حزب البعث : ميشيل عفلق، صلاح الدين البيطار.

اتحاد نقابات العمال : صبحي الخطيب.

الحزب السوري القومي الاجتماعي عصام المحايري.

في حلب :

لائحة حزب الشعب: ناظم القدسي، رشدي الكيخيا، أحمد قنبر، معروف الدواليبي، عبد اللطيف السباهي، عبد الوهاب حومد، أنور ابراهيم باشا، عبدالله فتال، رزق الله انطاكي، دكران جراجيان، رزق الله سالم، لطيف غنيمة.

قائمة المستقلين: الدكتور ظافر الرفاعي، عبد الوهاب ابيض، صلاح الدين برمدا، بهجت الشهبندر، جميل محفوظ، شفيق سعيد، ادوار نون.

الاخوان المسلمون: عمر بهاء الدين الأميري.

في حمص :

لائحة حزب الشعب: فيضي الأتاسي، زهدي الحسامي، هاني السباعي، فرحان الجندلي، عبد الجواد الحسيني (منشق عن الحزب الوطني) مسلم حداد، عيسى السرياني.

المستقلون : سامي طيارة، عيسى اليونس، منير سمعان، احسان الحصني.

عن البعث : الدكتور كمال مشارقة، كما كان للبعث مرشحان آخران هما وهيب الغانم في اللاذقية، وجلال السيد في دير الزور.

هذه بعض اللوائح وأسماء المرشحين ومن استعراضها واستعراض اسماء الناجحين فيما بعد يظهر أن المعركة الانتخابية

كانت موجهة لمصلحة مؤيدي مشروع الاتحاد، فلم يكن هنالك إذن معركة انتخابية بالمعنى الصحيح إلا في محافظة حماه حيث استعملت الرجعية والاستعمار جميع ما لديهما من أسلحة الإثارة وفي مقدمتها استغلال آثار التخلف وروسوباته، ومع ذلك فقد كان لأمثال هذه المعارك الانتخابية فضائل كبرى :

إنها مناسبات هامة للعمل النضالي الشعبي والتبشير الواعي، إنها مناسبة هامة أن تشهر الرجعية والاستعمار جميع أسلحتها، وأن نشهر نحن سلاحنا الوحيد الذي يعتمد أساسا على الشعب وعلى حسه الفطري السليم بمصلحته وبمن هم حقا في جانبه، **وإذا كانت الديمقراطية البرلمانية القائمة على الاقطاعية والعشائرية والطائفية احدى وسائل الاستعمار لحكم الشعوب المتخلفة أفليست هي في الوقت نفسه أداة صالحة في يد الأحزاب التقدمية لفضح الاستعمار وتعرية أساليبه وغاياته وأغراضه؟ إن الديمقراطية مهما كانت شوهاء فإنها تبقى أبدا وسيلة الشعوب الوحيدة للتحرر من الاستعمار الخارجي والاستغلال الداخلي.**

□

آمال التقدميين في سورية تتعلق بنتائج معركة حماه الانتخابية .

عندما خضنا المعركة الانتخابية أواخر عام 1949 كان لا بد لنا من هذا التساؤل :

من هم حلفاؤنا في هذه المعركة؟

لا شك أن مشروع الاتحاد مع العراق قد أحدث بيننا وبين حزب الشعب خلافا في الآراء لا يمكن تجاوزه في المعركة الانتخابية، كما أن هذا المشروع قد وسع ساحة صراعنا مع الاقطاعية ومع الجناح المهيمن في حزب الشعب، فمن هم حلفاؤنا إذن؟

لقد أصبحت موقنا أن حزب البعث هو حليفنا الوحيد في المرحلة الحاضرة فحركتنا وحركة هذا الحزب كانتا تسيران باتجاه

واحد قبل اشتراكنا معا بالحكومة، وكان ذلك لا بد أن يؤدي يوما ما إلى التقائهما في حزب واحد، ولكنني كنت أجهل آنذاك موقف جلال السيد أحد قادة الحزب من مشروع الاتحاد.

لقد خاض مرشحو الحركتين انتخابات 1949 وكأنهم مرشحو حزب واحد... لم يعد لحزب الشباب صحيفة فأصبحت البعث وكأنها صحيفتنا، ولا أدل على وحدة التصور والاهداف من تلك الرسالة التي وردت من اللاذقية إلى جريدة البعث فنشرتها (العدد 284 تاريخ 1949/10/28) وانني اثبت نص الرسالة بكاملها لأنها كانت معبرة أدق التعبير عن القلق الذي كان يساور الفلاحين في جبل العلويين والمناطق السورية الأخرى حيث كانوا يدركون بحسهم السليم خطورة المعركة مع الاقطاعية والعشائرية والرجعية في حماه.

كانت الرسالة منشورة تحت العناوين التالية :
الاقطاعية في حماه يجب أن تهزم.

اشتراك 500 الف مواطن بالحياة العامة رهن بموقف حماه فلتقدر مدينة أبي الفداء التبعة الملقاة على عاتقها، وفيما يلي نص الرسالة :

"يرقب الجمهور وبوجه خاص الشباب الواعي القلق على مصير أمته سير المعركة الانتخابية في حماه باهتمام فائق قد لا يدانية اهتمامه بانتخابات محافظة اللاذقية نفسها، ويزول العجب الذي يثيره هذا الاهتمام في نفوس من لا يحيطون بشؤون تلك الجهات حين يعلم ان طائفة من مرشحي حماه تملك اقطاعات واسعة في محافظة العلويين منذ العهد العثملي السعيد الذكر، ونضرب صفحا عن الكيفية التي آلت بها إليهم هذه الاقطاعات لنقول انهم اتبعوا في استغلالها ومعاملة الكادحين فيها خطة ترانا بغنى عن الافاضة في تفصيلها، أولا لأننا نتحاشى إثارة الضغائن ونبش ماض أليم معجون بالخزي والعار والدم، وأن كان الاسلوب الذي يتبعه اولئك المرشحون واتباعهم في التعرض لمنافسيهم من أبناء الأمة الحاضنين قضيتها حضانة الأم يعطينا هذا الحق، وثانيا لأن

نظرة واحدة يلقيها المرء على الريف اللاذقي حيث السعيد السعيد من يملك حصيرة في بيته أو ينتعل خفا كافية لاعطاء القارئ فكرة عن تلك الخطة النكراء.

إننا ما نزعم هنا أن بلاء تلك الطائفة من اصحاب الاقطاعات والاغوات قد انصب على الريف اللاذقي وحده، ولنقل بصراحة على العلويين، بل لقد شمل جميع أبناء البلاد من الذين حكمت عليهم الصدفة السعيدة بأن يكدحوا في أراضيهم، ولكن كان لهذه الخطة في العلويين أثر أكثر سوء مما كان لها في غيرها من المحافظات، ذلك أن الجهالة والسذاجة اللتين رانتا على أذهان الفلاحين ألقتا في روعهم أن ما يحل بهم من العذاب والخسف من قبل الملاكين نتيجة لاختلافهم عنهم مذهبا، وقد ساعد على ذيوع هذا الظن الخاطئ وتمكنه من النفوس ان حماه لم تكن قد نهضت بعد نهضة يصح القول معها أنها غاضبة على هذه الفئة ولم تكن قالت كلمتها.

ونحن هنا نعود لتقرير حقيقة قوية أساسية وهي أن اسباب تلك الخطة النكراء لا ترد الى اختلاف المذاهب كما ترد إلى السياسة التي اتبعها آل عثمان ودشنها السلطان سليم، وهذا الظن الخاطئ حمل العلويين على الظن بأن كل من في البلاد عدو لهم وأيأسهم من كل عدل وانصاف واضطرهم إلى عزلة روحية أليمة وتشاؤم كان من الصعب جدا استئصاله، وربما كان له أثره في سكوتهم على مظالم الانتداب لأنها على شرها كانت أخف عليهم وقعا من مظالم السادة الملاكين، إلى أن تبلورت نهضة حماه التي بدأها صالح قنباز وخالد الخطيب وسواهما من أبناء الشعب، وتسلم قيادتها حينا توفيق الشيشكلي وبعض أعوانه الناكثين، ثم آل أمرها إلى أكرم الحوراني الذي نفذ إلى كنهها وأدرك حقيقة بواعثها فجلاها على الملأ بعد أن كانت غامضة وعبارة عن مجرد صيحات تذمر وألم وغضبات عابرة لو أنها بلغت حد العنف أحيانا.

مع أكرم الحوراني والمفاهيم الجديدة التي ركزها في أذهان الجمهور، ومع التأييد القوي النبيل الذي لقيه من شعب حماه اهتز التشاؤم المرير الذي كان يملأ نفوس الفلاحين في الجبل العلوي هزة عنيفة، لقد أدركوا أن لهم في الوطن اخوانا يشتكون مثل

شكواهم ويناضلون في سبيلهم ولأجل حريتهم، أدركوا أنهم ليسوا غرباء وأنه ليس كل من في الوطن يريد بهم السوء ولهم الذل.

لقد كانت كل خطوة يخطوها أكرم وكل كلمة يلقيها في المجلس، وكل مقالة يكتبها في جريدته، وكل صيحة يرسلها شعب حماه على آثاره، وكل هزيمة تلحق بالاقطاعية في حماه بمثابة جرعة جديدة من علاج فعال ومفيد ضد التشاؤم والانعزال الذي كان يفتك في نفوس نصف مليون من المواطنين.

واني لأقرر هنا أن البلاد ستظل إلى حد كبير مدينة لنهضة حماه الشعبية لأنه بفضل هذه النهضة الواعية السليمة بدأ هذا العدد الكبير المنتج الصالح من المواطنين يخرج من عزلته وانكماشه، وملك الشجاعة على ممارسة الحياة العامة، واسترد الأمل في إمكان الوصول إلى حياة طبيعية لا استبداد فيها ولا جور ولا إذلال.

نقول هذا ونتساءل ماذا ستفعل حماه بنهضتها هذه وإلى أي حد سيظهر أثرها في هذه الانتخابات وهي حيث علمنا من الأهمية والخطورة؟ إننا نقول للجمهور الحموي بصراحة أن اسم اكرم الحوراني قد اقترن بهذه النهضة أيما اقترن وأن الشعب مقتنع في سائر انحاء البلاد أن أكرم يمثلها خير تمثيل، وكان أمينا على رسالتها وفيا لها، فكل تراجع عن تأييده سوف يفسر بأن حماه انحرفت عن سبيلها وضلت طريقها، ولكننا في الحقيقة وأزاء السمعة المجيدة التي ذاعت لشعب حماه لا نقنع بمجرد فوز أكرم، لأن ما يعنينا ليس فوزه شخصيا بل هو انتصار مبادئ القضية الشعبية وذلك لا يكون إلا بالالتفاف حوله وحول من تضمهم قائمته لأن شخصا يرشحه أكرم يعني أن هذا الشخص قد آمن بقضية الشعب وتخلى عن المفاهيم العتيقة وأنه سيسير سيره وينسج على منواله.

هذه هي النتائج الخطيرة المترتبة على انتخابات حماه وهذا هو الدرس الذي ينتظر أن يلقيه شعبها على بعض المرشحين والذي يمليه عليها ماضيها وسمعتها وكرامتها. فلتقدر حماه التبعة الملقاة على عاتقها".

الانتخابات في حماه .

استغل الاقطاعيون استغراقي في دمشق بمشاغل وزارة الزراعة فانصرفوا لتنظيم شؤونهم وتركيز دعاياتهم في وقت مبكر، بينما لم يكن قادة حزبنا منصرفين للاعداد للمعركة بسبب صغر سنهم وقلة تجربتهم ولأنهم لا يستطيعون التفرغ للعمل السياسي فهم يعيلون أسرهم من وظائفهم الصغيرة، أما القيادات الشعبية من رجالات الأحياء والقرى فكانوا غير قادرين على المبادهة ولم يكونوا بمستوى الطرف الآخر قدرة وتخطيطا واستعدادا.

كان التكتيك الذي اتبعه الاقطاعيون في إدارة معركتهم الانتخابية دقيقا محكما مختلفا عما كانوا يتبعونه في معاركهم السابقة، وكانت الاشاعات تترى بأن الانكليز هم الذين يخططون لهذه الانتخابات ويديرون دفتها ولكننا لم نكن نملك الدليل.

كان مخطط الفئات الاقطاعية محكما وذكيا، فقد عمدت إلى اغراء الاستاذ بدر الدين الحامد لينضم إلى قائمتها التي سميت القائمة الائتلافية وهو استاذ قديم لقب بشاعر العاصي، وقد رافق ببعض أشعاره الحركة الوطنية في السابق، وهو أخ للاستاذ نجيب الريس صاحب جريدة القبس من أمه، وكان والده الشيخ محمود الحامد من مشايخ حماه، كما أصبح أخوه الأصغر الشيخ محمد الحامد ممن يتبعه المريدون الكثر في المدينة.

وبعد ذلك، وفي مطلع شهر تشرين ثاني 1949، بدأت حملة من الشائعات عمت سورية ولبنان عن معارك دامية تدور في حماه فأدركت أن وجهات أجنبية تهيء لأن تجعل المعركة الانتخابية مناسبة لايقاظ فتن دامية ولا سيما ان الوسط الاقطاعي العشائري في حماه صالح جدا لإثارة ذلك.

وقد نشرت جريدة البعث (العدد 271 تاريخ 1949/10/13) تحت عنوان:

"حديث صريح للحوراني عن حماه.. يروجون الاشاعات الكاذبة لمصلحة أجنبية" ما يلي :

سأل مندوبنا وزير الزراعة اكرم الحوراني :

- تروج بعض الصحف يوميا وبصورة منتظمة ولا سيما صحف لبنان شائعات مفادها ان الحالة في حماه متأزمة جدا وأنه من المنتظر وقوع حوادث جسام فإلى من تعزو هذه الشائعات؟

- لقد تأكد لي أن هنالك مصادر أجنبية تسعى لإحداث حالة من الاضطراب في سورية ولكن وعي الشعب السوري عامة ومدينة حماه بصورة خاصة سوف يقضي على جميع هذه المحاولات... إن الوضع بحماه خلافا لما يشاع غير متأزم ولم تقع أي حادثة تخل بالأمن، وأن جميع الشائعات التي روجت في سورية وخارجها هي شائعات كاذبة، ونحن على علم بصلات مروجي هذه الاشاعات بالمصادر الاجنبية، وأننا سنفضح اصحابها في الوقت المناسب، وانني على يقين بأن الشعب السوري سيجتاز فترة الانتخابات بمنتهى الهوء وسينبثق عن ذلك وضع شرعي مستقر رغم تلك المحاولات الأجنبية، ولن يدخل الى قلوب الناس ذرة من اليأس أو التشاؤم".

كان عيد الأضحى مناسبة لزيارة حماه بعد طول غياب، وكان رفاقنا قد استأجروا مقهى السمان وهي صالة شتوية كبيرة مقابلة لجامع السلطان مركزا لاجتماعاتنا نظرا لحلول فصل الشتاء، فبدأت الوفود الكبيرة من الفلاحين من خارج المحافظة، من مناطق حمص والمعرة وحلب وأدلب بالتوافد إلى المدينة، وكان أكبر هذه الوفود وأهمها وفد المعرة وخان شيخون في محافظة حلب حيث يتحكم اقطاع آل الحراكي الذين تجمعهم مع اقطاعيي حماه صلات مصاهرة وصداقة، كالتي تجمع اقطاعيي آل سويدان في قضاء القلمون بإقطاعيي حمص وحماه.. وقد أشارت جريدة البعث ايضا لهذا الاجتماع (العدد 268 1949/10/10) وذكرت أن شابا صغيرا لم يبلغ الثامنة عشرة من عمره ألقى خطابا حماسيا أشار فيه إلى غروب عهد الاقطاع والاستثمار، والى انقشاع الظلمة المخيمة على ابناء الشعب، والى انبثاق حكم الشعب بالشعب. وان أكرم الحوراني تطرق في جوابه على كلمة الوفد "إلى جريمة حكم الاقطاع في فلسطين وإلى أن الاقطاعيين الذين كانوا موالين دوما للأجنبي يحاولون اليوم أن يتستروا باسم الشعب ليصلوا الى مناصب لا يبغون من ورائها إلا خدمة مصالحهم".

□

كان همي الأول في زيارة حماه أن أؤلف قائمتي الانتخابية بعد أن طرحت قائمة الاقطاعيين الائتلافية، وكنت مدركا أن ترشيح بدر الدين الحامد في قائمة الاقطاعيين سيقلب المعركة الانتخابية السياسية والاجتماعية إلى معركة دينية يحمل لواءها رجال الدين، فلم أر بدا من أن أبحث مع الاستاذ عادل العلواني أمر ترشيحه وضمه إلى قائمتنا، وكان العلواني رجلا عصاميا، علمنا في مدرسة دار التربية أصول الخط والرسم، ثم أكمل دراسته وهو يعيل أسرته من راتبه الضئيل فحاز على البكالوريا ثم على شهادة الحقوق وعين قاضيا شرعيا فلبس العمامة، وكان اشتراكيا مثقفا، ثم فكرت بالدكتور محمد السراج الذي كان يتمتع بتأييد شعبي ازداد بعد نجاحه في انتخابات عام 1947 إذ برهن على صدقه وسلامة سلوكه وخلقه وهو يحمل شهادة الدكتوراه في الحقوق من فرنسا، وكان دوما إلى جانبنا في المعارضة المجلسية، كما ألقى في مكتب حزب البعث محاضرات عن الاقطاعية والأرض، وعندما رجعت الى دمشق علمت أنه مريض وأنه يستجم في مصيف صوفر، فاجتمعت به وكان في حالة من التعب ومع ذلك فقد أقنعته بأن ينضم إلى قائمتنا التي تألفت على الشكل التالي :

أكرم الحوراني.

الدكتور محمد السراج

الشيخ عادل العلواني

المحامي خليل الكلاس

ويقابل هذه القائمة قائمة الاقطاعيين وتتألف من :

عبد الرحمن العظم

حسني البرازي

بدر الدين الحامد

رئيف الملقي

وبذلك ضمن الاقطاعيون بتأليف هذه القائمة قطاعا هاما من شعب حماه باتفاقهم مع رئيف الملقي وخضر الشيشكلي شقيق الدكتور توفيق الشيشكلي، كما أنهم أزالوا كل ما بينهم من تناقضات بانضمام فريد مرهج وحسني البرازي إلى القائمة، ولم يكن أحد يتصور امكان اتفاق رئيف الملقي وحسني البرازي، لأن البرازي كان دوما من أعداء الكتلة الوطنية ومن أشد خصوم توفيق الشيشكلي، ولكن اليد السحرية الفت بين النقيضين، ولذلك قمت بعد صلاة العيد الأضحى في جامع السلطان بزيارة ضريحي توفيق الشيشكلي وصالح قنباز ووضعت عليهما أكاليل الزهور أمام جمع كبير من الناس، وكان ذلك تعبيرا عن مواصلة سيرنا في الطريق الشعبي الذي خطه هذان الرائدان.

بدأ الاقطاعيون معركتهم بإشهار سلاح الدين والمال الى جانب المسدس فوزعوا على أنصارهم وأتباعهم عددا كبيرا من المسدسات، كما استخدموا المشايخ وعلى رأسهم الشيخ محمد الحامد وحميه الشيخ أحمد سليم المراد فاستغلوا منابر المساجد في المدينة والقرى ينددون بكفر حركة الشباب ومروقها عن الدين بعد صلاة كل جمعة، وأصبح إعطاء المرأة حق الانتخاب حجة بأيديهم تضاف إلى الحجج السابقة من إلغاء الأوقاف الذرية ومجلة الأحكام العدلية، إلى جانب الادعاء بأن الاشتراكيين هم ضد التملك[1] ، إلى آخر ما هنالك من حجج، ووصلوا إلى المناداة

(1) قالت جريدة القبس في العدد 3931 في معرض حديثها عن قانون تأهيل احراج الزيتون البري وتوزيعها على الفلاحين أن هذا القانون يحرم أصحاب الملكيات ملكيتهم، وأن القصد منه ليس منفعة الفلاحين بل ضرر الملاكين وأصحاب الاراضي. وقد نشرت في اليوم التالي - 17 تشرين الأول 1949- الرد التالي في "القبس" ذاتها- ضمن الشروط التي نص عليها قانون المطبوعات :

"لقد زعمتم أن قانون تأهيل احراج الزيتون البري لا يحترم ملكية الاراضي واصحابها واني لم اقصد به نفع الفلاحين بل أردت اضرار بعض خصومي السياسيين في حماه، لأنهم وحدهم الذين يملكون بعض احراج الزيتون البري في القرى الغربية، ومن الغريب أن يصدر مثل هذا القول عن صاحب جريدة كبيرة إلا إذا كان جاهلا لمضمون القانون أو متجاهلا له. فالأحراج التي قصدها القانون ليست ملك أحد، وليس عليها مالك ولا فلاح، حمويا كان أم غير حموي، وأرجو أن تطمئنوا السيد نجيب البرازي بأنه لا علاقة له بها، بل هي ملك للدولة لا يستمثره ولا ينتفع به أحد، ومن الفخر لي أن أكون سعيت لتوزيعها على الفلاحين المعدمين. فإن هذا لا يثير الفتنة كما زعمتم، بل هو إذ يهيء لهؤلاء الفلاحين أسباب الحياة دون الاضرار بأحد أنما يمنع فتنة يمكن أن تحدث ونتيجة الضغط والفقر بنتيجة الظلم الذي يسومهم إياه أولئك الملاكون الذين تتحدثون عنهم".

بأن كل من ينتخب قائمتنا كافر مرتد وزوجته طالق طلاقا لا رجعة فيه.

كنت قد تأخرت كثيرا، وكان من واجبي أن أعود إلى حماه مبكرا لأعد العدة لهذه المعركة التي كان يقصد من ورائها ايقاظ الفتنة وإراقة الدماء وتدبير الاغتيالات عن طريق بذل المال الوفير وبمساعدة بعض عناصر الجيش التي تبين فيما بعد أن الجاسوس البريطاني داردن كان يقودها، فقد ظهر علنا يوم الانتخاب وقد شاهده أبناء المدينة يتجول فيها وهم يعرفونه جيدا، وقد التقيته بعد ذلك في بغداد عام 1956 وسأتحدث عن ذلك في سياقه الزمني.

لقد أشارت جريدة النهار البيروتية في عددها الصادر بتاريخ 1949/11/13 الى هذا التدخل البريطاني السافر بما يلي :

"دخل سورية في الفترة الواقعة ما بين الثاني من ايلول والسابع منه مائة وخمسون بريطانيا اعلنوا كلهم انهم يعملون في شركة البترول العراقية والظاهر ان هذا العدد الكبير من ضباط المخابرات البريطانية قد تولوا إدارة المعركة الانتخابية والدعوة لمشروع الاتحاد، وقد شعر الشعب بوجودهم ولكنه لم يفضح أمرهم إلا في حماه لمعرفة الشعب الحموي صغارا وكبارا بضابط المخابرات الذي كان في حماه خلال ثورة عام 1945".

لماذا منعوا لاجتمعات الجماهيرية

استغلت السلطات الشائعات المشبوهة التي اطلقت على نطاق واسع عن الفتن الدامية المزعومة لمنع الاجتماعات الجماهيرية، وقد اتخذت الحكومة هذا التدبير الاستثنائي في حماه بشكل خاص، وكان تدبيرا مقصودا، لأنه كان في مصلحة الاقطاعيين مائة بالمائة، ولأن سلاحنا الوحيد أمام ما تملكه الاقطاعية والرجعية من أسلحة هو هذه الاجتماعات الجماهيرية الكبرى في الساحات العامة.

إن أسلحة الاقطاعية والرجعية والاستعمار اسلحة ماضية حين تعمل في الخفاء ومن وراء الظهر وفي الكواليس وتحت جنح

الظلام، ولكنها تغدو أسلحة مفلولة تحت ضوء الشمس وفي رابعة النهار.

ومن له معرفة بنفسية الجماهير يعرف أي تأثير سحري للاجتماعات الجماهيرية في وصول الكلمة الطيبة إلى أعمق أعماق ضمائرها، وفي نقلها من المستنقع الآسن الذي تعيش فيه إلى المناخ الصحي السليم المملوء أملا ورجاء وقوة، بل أن تلك الاجتماعات الجماهيرية هي المطهر الذي تغتسل فيه النفوس من أوزار التخلف وآثاره وتتطهر فيه من أوساخ المجتمع وعلله لتنتقل إلى مناخات القيم الخيرة النبيلة في الانسان والمواطن.

لم يجد احتجاجنا الشديد على هذا التدبير، وقد استغله الاقطاعيون كثيرا ولا سيما وقد صحبه تدخل الجيش والشرطة العسكرية بحجة حفظ الأمن، وقد شعرت بذلك منذ البداية، وخصوصا بعد اجتماعاتي مع الضابط سليمان ناجي ومحمد كامل صالح الضابط في الشرطة العسكرية، ولم يكن الاثنان في صميمها خصوما، ولكن التعليمات التي كانا يتلقيانها كانت في صالح الجهة الاقطاعية.

كيف كسرنا نطاق الخوف.

كلما اقترب موعد الاقتراع اضطررنا للعمل ليلا نهارا: النهار للتجوال على القرى والاجتماع بالفلاحين، والليل لعقد الاجتماعات بالمدينة ومراكز الاحياء.

ولكي أكسر جو الارهاب الذي فرضه الاقطاعيون على المدينة والريف، بتهديداتهم المتتالية بالقتل وإراقة الدماء، تعمدت أن أفتتح جولاتي بالقرى بزيارة قرية "تقسيس" التي يملكها حسني البرازي والتي اشتهر أهلها بالشجاعة والصلابة وقوة الشكيمة، لذلك استمرت انتفاضاتهم النضالية طيلة عهد الانتداب الفرنسي، فأذاقهم حسني البرازي الامرين. وكانت إحدى أسر

القرية - وهم آل السبسبي[1] تجمعهم بأسرة الحوراني صلة النسب.

خرجنا بسيارتين صغيرتين، وكان معي المرشحان خليل كلاس والشيخ عادل العلواني وعدد من شباب الأحياء الشجعان الذين خاضوا غمرات القتال عام 1945 في حماه وعام 1948 في فلسطين، وهم علي عدي وعبداللطيف سالمة وعلاء الدين الحريري وجواد العيان وسليم الحريري وعلي العبيد وعوض التركاوي وفارس مراد آغا وخالد معاليقي وسراج سمعان.

وعند مرورنا بقرية "براق" القريبة من "تقسيس" قوبلنا بدعوة ملحة لزيارة المختار الحاج سليمان الأسعد وهو رجل طيب محترم يرجع اليه في كثير من الخبرات وحل المنازعات، وكان معروفا بشيخوخته الجليلة وثيابه العربية الانيقة وعقاله المقصب. وما أن وصلنا إليه حتى استقبلني معانقا وكانت تبدو عليه علائم القلق والاضطراب، وأخبرني بأن سيارتين كبيرتين تقلان عددا من شباب آل البرازي المسلحين بأسلحة حربية وقنابل يدوية قد مرتا قبل قليل في طريقها إلى تقسيس، وأنه علم بأنهم سوف يكمنون لنا وراء الأكمة، وأشار من شرفة بيته العالي إلى أكمة قريبة من الطريق العام. وبعد أن اعتذر عن عدم تمكنه من مساعدتنا رجاني بإلحاح أن أصرف النظر عن زيارة تقسيس حرصا على حياتنا التي هي أعز لديه من حياة أولاده.

أصبحت في موقف حرج ولم يعد في مقدوري أن أتراجع أمام هذا التهديد، إذن فلا بد من المغامرة، ودون أن أشعر وجدت نفسي أردد في تلك اللحظة قول أبي الطيب المتنبي :

والعار مضاض وليس بخائف من حتفه من خاف مما قيلا

وصممت على متابعة السير، وكان ذلك رأي الاخوان ايضا رغم توسلات هذا الشيخ الوقور وأبناء قريته الذين اسرعوا للصعود

(1) استمرت صلات هذه العائلة بدافع القربى مع آل الحلقي في قرية جاسم التي تنتمي إليها أيضا عائلة الحوراني في حماه

الـى رابيـة قريبـة ينتظـرون نتيجـة المعركـة بخـوف إذ ان رفـاقي لا يحملون سوى مسدسات عادية لا تصمد أمام الأسلحة الحربية.

تابعنا سيرنا إلى قرية تقسيس، وعندما اقتربنا كانت عيوننـا وآذاننا مرهفـة انتظـارا لانطـلاق الرصـاص، ولكـن لـم يعترضـنا أحـد فأشرت على السائق أن يتابع سيره.

علمت فيما بعد أن درويش بن خالد آغـا البـرازي الـذي كـان يتزعم اولئـك المتربصـين وراء الاكمـة هـو الـذي منـع جماعتـه مـن اطلاق الرصاص حـين علـم ان عـلاء الـدين الحريـري موجـود معنـا، وسـبب ذلـك أن درويـش وعـلاء كانـا سـجينين فـي مهجـع واحـد بسجن حماه، فأعجب درويش بعلاء الدين وأصر علـى أن "يؤاخيـه" فأقسم الاثنان على القـرآن أن يتآخيـا، ومـن تقاليـد "المخـاواة" ألا يرفع الواحد سلاحا في وجه الآخر مهمـا كانـت أسـباب الخـلاف أو العداوة.

وحين وصلنا قرية تقسـيس وجـدنا بعـض الفلاحـين خـائفين قـابعين فـي بيـوتهم، بينمـا اسـتقبلنا آل السبسـبي الشـجعان فاجتمعنا بهم ثم قفلنا راجعين، إذ لم يكن قصدنا مـن هـذه الزيـارة الا تشجيع الفلاحين وتحريرهم من كابوس الخوف.

وفـي طريـق العـودة مررنـا علـى الحـاج سـليمان الأسـعد، فشدني إليه وعانقني وهو يجهـش بالبكـاء، وظـل حـوالي خمـس دقائق وكأنه مربوط اللسان لشدة قلقه علينا وفرحـه بنجاتنـا، وقـد تأثرت كثيرا لصفاء سريرة هذا الشيخ الجليل.

كان لهذه الزيارة أثر كبير على جو المعركة، لكن الاقطـاعيين قاموا بمحاولة ثانية - فاشلة أيضا - عند زيارتي لحي الزئبقي وهـو حي آل العظم، فقد تجمع بعض شبابهم وسط الطريق، وجمـيعهم مسلحون، فأمرت السـائق أن يتـابع سـيره وسـطهم، وبعـد مرورنـا علمت أنهم تنادوا للاعتـداء علينـا وهـم سـاخطون شـاتمون، لكـن محاولتهم هذه انتهت عند هذا الحد، وكان الخوف المسـيطر علـى حي الزئبقي أعظم من الخوف الذي كان مسيطرا على أهل قريـة تقسيس.

رياض طه يصف معركة حماه الانتخابية .

زارنا في حماه إبان المعركة الانتخابية الاستاذ رياض طه، الذي أصبح فيما بعد نقيبا للصحافة اللبنانية، وكان قد رشح نفسه عن قضاء بعلبك الذي يعاني من ظروف اقطاعية وعشائرية من آل حمادة في الهرمل ويبدو أنه أحب أن يرى عن كثب كيف يمكن للعناصر التقدمية أن تنتصر على الاقطاعية فكتب عن زيارته لحماه في جريدة النهار ما يلي :

"توجهت إلى حماه عشية الانتخاب وأنا حاسب أن الرصاص يلعلع في جو تلك المدينة، والدماء تسيل في شوارعها، وذلك لما سمعته عن اشتداد التطاحن الحزبي في مدينة أبي الفداء، ولما أعرفه عن الحمويين من شدة بأس وفورة حماس ولما يعرفه الجميع من أن الحمويين عنيفو الاسلوب ، متسلحون، وأنه سبق لهم أن قاوموا السلطات الفرنسية والسلطات القوتلية وأشتركوا- باسلحتهم الخاصة- في حرب فلسطين بعد اشتراكهم في صد العدوان الفرنسي على حماه عام 1945.

وما أن دخلت المدينة ليلة الانتخاب وتجولت في شوارعها وأحيائها وزرت مختلف أنديتها الحزبية ومكاتبها الانتخابية حتى عجبت لما رأيت وأعجبت بتلك الروح الرياضية التي تسود المدينة المظلومة في سمعتها.

فإلى جانب "مكتب الشباب" - حزب الحوراني ورفاقه- يقوم مكتب رئيف الملقي خصم أكرم اللدود.. ويكاد كل من الفريقين يسمع الخطب التي يلقيها الفريق الآخر. ومع ذلك مرت المعركة الانتخابية وما سبقها بسلام وهدوء. ولولا الحادث الذي سببه خصوم أكرم يوم الانتخاب لما سمعت في هذه المعركة طلقة رصاص واحدة.

وقد قال لي أحد رفاق أكرم عندما مررنا أمام مكتب رئيف الملقي - وكان معي في السيارة بطريقنا الى سهرة انتخابية- قال لي ذلك الشعبي التقدمي إن أكرم قد أوصى جميع رفاقه وأنصاره بأن يصموا آذانهم عن سماع أي استفزاز أو تحد من الفريق الآخر مهما وجه اليهم الخصوم من شتائم وإهانات. وأضاف: وبكل فخر أؤكد لك بأننا سمعنا الكثير من الكلام الاستفزازي من جماعة الملقي والعظم والبرازي فلم نرد عليه ولو بالتفاتة.

وعلى الرغم من أن الحكومة السورية أباحت الحفلات الانتخابية العامة وأطلقت حرية الجميع في هذا المضمار، فإنها استثنت حماه وحدها، نظرا للمنافسة الحزبية الخطرة في تلك المدينة، وكان الوزير الاستاذ أكرم الحوراني أول المتقيدين بقرار الحكومة، محذرا أنصاره من التظاهر، واكتفى برد الزيارة للأحياء التي كانت وفودها تزور مكتبه، وقد أتيح لي أن أحضر آخر زيارة من هذا النوع، فإذا بي أجد الألوف تتجمهر على سطوح المنازل، حيث ينقل اليها أكرم ورفاقه على الأكف، ليلقوا الخطب من مكبرات الصوت. لقد سبق لي أن قلت إن الانتخابات ستكون انقلابا عقائديا وفكريا في سوريا، ولا سيما في حماه، وأعود اليوم فأؤكد أن هذا الانقلاب سيتم، حتى ولو لم تفز القائمة الشعبية التقدمية بكاملها، فإن صمود الشعبيين التقدميين الفقراء أمام الأسر العريقة في الاقطاعية والثراء والجاه والنفوذ، إن صمود أولئك أمام هؤلاء، الصمود فقط لا الفوز، هو انتصار للشعب ذو اثر عميق في مستقبله الاجتماعي التحريري".

من وقائع المعركة الانتخابية في حماه .

كانت خطة الفئة الاقطاعية هي اخراج المعركة الانتخابية عن محورها السياسي والاجتماعي وتحويلها الى معركة دينية.

فبعد أن شهر رجال الدين ضدنا حملتهم الواسعة لجأ الاقطاعيون إلى سلاح ديني آخر هو الدعوة للتآلف ووحدة الصف، فعرضوا الصلح والاتفاق معنا لتعود للمجتمع وحدته التي مزقناها، ففرقنا الأخ عن أخيه -كما يزعمون- والولد عن أبيه، وأثرنا الفتن مما أساء للمدينة وكان سببا في استمرار عزلتها وبؤسها وسوء سمعتها!

وكانوا ينتظرون الرفض مثلما رفضت العرض ذاته في كل المعارك السابقة، ليصدروا فتواهم بأنني ضد التعاليم الاسلامية التي تدعو إلى وحدة الصف "واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا".

لذلك اضطررت لأن أركز كثيرا، مع إخواني المرشحين، على أن تعاليم الاسلام هي تعاليم ثورية بجوهرها، وأن الاسلام ثورة على الظم الاجتماعي وعلى التمييز في العرق واللون، ثورة على

الظلم ودعوة نبيلة للعدل والمساواة بين الخلق، وكنا نعود دوما في شرح هذا الجوهر الثوري للاسلام، إلى ذكر حوادث السيرة وعهد الخلفاء الراشدين لنؤكد انسجام اتجاهنا التقدمي الاشتراكي ومفاهيمنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية والوطنية القومية مع مبادئ الاسلام غير المتحجرة والتي تتطور أحكامها بتطور الأزمان والمجتمعات.

ولا زلت أذكر بعد حملة رجال الدين القاسية كيف وقفت في الجماهير أخاطبها بأعلى صوت:

"لا يحق لأحد في هذه المدينة أن يستغل الدين ضدنا، إنكم تعلمون يا أبناء حماه، انني منحدر من عشرات الجدود العلماء الورعين، وانني لو كنت ملحدا لما خانتني الجرأة أن أعلن لكم ذلك وأنتم تثقون بصدقي وصراحتي، نحن لسنا جمعية دينية، نحن حزب سياسي لا علاقة لنا بعقائد الناس، ولكننا في الوقت ذاته نؤمن بأن مبادئ حزبنا لا تتناقض مع جوهر الاسلام ومفاهيمه التي ورثناها منذ عهد الصدر والراشدين، وليس مع المفاهيم الاسلامية التي تبلورت في عصور التخلف والانحطاط والاستبداد".

"إن حرية أمتنا واستقلالها ونهضتها هي في خدمة الدين والدنيا، فنحن إذن نخدم الدين ولا نستخدمه كما يفعل المستغلون الاقطاعيون والمستبدون" وقد استشهدت بتاريخ الراشدين الذي هو بحق من الصفحات اللامعة بتاريخ البشرية، وكان لذلك الخطاب الطويل المسهب أثر كبير.

وبالرغم من أننا نشرنا بيانا انتخابيا مكتوبا نشرح فيه أهدافنا ومبادئنا فإن ذلك لم يكن يترك الأثر الذي يفعله الالتقاء المباشر مع الجماهير، وكانت صحيفة حزب البعث تتابع يوما بيوم هذه اللقاءات ففي تاريخ 1949/11/7 نشرت ما يلي:

"توجه ركب الحوراني ورفاقه اليوم الى قرية مورك التي زحفت بشيبها وشبابها، تتقدمهم العراضات وتتعالى الاهازيج شاقة الفضاء دويا. وبعد أن تكلم الاستاذ عادل العلواني تقدم

الدكتور محمد السـراج فقـال: لقـد تخلصـنا بإيماننـا وتضـحياتنا مـن العدو الغاشـم فأصبح ضروريا العمل علـى الـتخلص مـن المسـتثمر الظالم، لنسير في موكب الحضـارة والمدنيـة التـي لا بـد منهـا وإلا كان الفناء نصيبنا، وهذا التغير والاصـلاح الـذي ننشـده فـي وضـعنا الحالي يتلخص في امور أربعة :

أولا : التحرر من الجهل وذلك بنشر دور العلم في القرى والبادية.

ثانيا: التحرر من الفقر وذلك برفع المستوى في القرى والبادية عن طريق إسكان البدوي وإعطائه أرضا.

ثالثا: التحـرر مـن المـرض وذلـك بتعمـيم المستشـفيات والتطبيـب المجاني.

رابعـا: التحـرر مـن الخـوف، الخـوف مـن المسـتقبل، والخـوف مـن الظلم، والخوف من الضغط.

إن موقف الدول العربيـة المؤسـف فـي فلسـطين مـا هـو الا نتيجة لسوء حياتنا الاقتصادية التي نسعى اليوم لانعاشـها ونوليهـا اهتمامنا الأول.

وبتاريخ 11/8/ نشـرت صحيفة البعث وصفا لمهرجـان محـردة الانتخابي كما نشرت جزءا من كلمة قلت فيها :

" نحن إذ نخرج إليكم فإننـا نخـرج للقـاء اخـوان وزيـارة أصـدقاء، نحـن لا نخرج إلـيكم بالمئـات لإرهـابكم ونعـرض أمـامكم مظـاهر العظمـة الكاذبـة، لأن فيكم شـبابا وشـيوخا لا يرهبون الموت ولا يؤخذون بالمظاهر الزائفة، نحن أحرار ونتعشق الحرية، لهذا فإننا لا نسـتغل مطلقا ولا نطلب إلى أي فـرد أن ينتخـب شخصـا معينـا، بـل نتقـدم إلـيكم واثقـين مـن وعـيكم ونبـذكم لمظـاهر الزيـف والتضليل، إن الحركة الشعبية التقدمية التي هي الطريق الوحيد للقضاء على الجهل والخوف والمرض، لا تسـتهدف القضـاء علـى الاقطاعيـة فحسـب، وإنمـا تستهدف القضاء على القبلية والعائلية والطائفيـة أيضـا. وإننـا نعتقـد أن أغلـب المساوئ الماضية، هي وليدة التعصب الذميم وقـد عملنـا بقـوة للقضـاء علـى هذا التعصب في كافة مجالات نضـالنا، لأننـا لا نـؤمن إلا بأمـة واحـدة ومصـلحة واحدة".

وفي 1949/11/10، نقلت جريدة "البعث" وقائع اجتماع في حي الشمالية، وهو حي مشهور بجهاده ضد الفرنسيين، فذكرت من كلمة للاستاذ عادل العلواني ما يلي:

"إنني أنحني متواضعا أمام عظمة الله وأمام عظمة الشعب المنطلق نحو التحرر، ولي الفخر أن أنحني أمام الله والشعب ولا فخر لمن ينحني أمام شخص مهما علا مركزه واتسعت ثروته.

لقد دنا موعد الاقتراع، وسيقرر الشعب مصيره الذي القي بين يديه، وسيكون النصر للشعبية التقدمية، لأن نفوسا كهذه النفوس تشع عقيدة صحيحة وتتحرق للحرية لا يمكن أن تفرط بحقوقها وتترك للاقطاعية أن تعبث بحقوق الشعب ومصير الوطن".

وقال الاستاذ خليل كلاس :

"إن المستعمرين الأتراك والفرنسيين حاولوا تحطيم الشعب العربي وإذلاله، وحقا إن المستعمر قد طرد، ولكن نظمه المجرمة لا تزال تهدد كياننا، وبقاياه الدنسة ما زالت سدودا تمنع شعبنا من الانطلاق، إن أعوان الأجنبي أخطر على البلاد من الأجنبي ذاته، بهم استطاع أن يحكمنا وبواسطتهم يريد الآن أن يؤمن مصالحه عندنا".

وقلت في ذلك الاجتماع :

"يا إخواني، أتعرفون من أقر هذا المبدأ الحقوقي الرائع وهو أن رقبة الأرض ملك لبيت المال وأن للأشخاص حق استثمارها؟ إنه عمر بن الخطاب، ونحن إذا رأينا قرية يسكنها فلاحون ويملكها رجل واحد أو بضعة متنفذين، وبقية الناس فيها لا يجدون في القرية عملا، حيث لا صناعة ولا مرتزق، ورأينا أن هذا المتنفذ فيها يطمع بأن يضع يده على أملاك الدولة ويحرم الفلاحين حق العمل والحياة فنأبى ذلك ونقول :

نحن نريد أن ترد أملاك الأمة إلى الأمة، وإلا نكون براء من الدين والقومية والمرؤءة.

إنكم في معركة انتخابية، وقد أجمع الناس على أنه لا تدور معركة في سورية حول المبادئ كمعركة حماه، وأن نتائج هذه المعركة خطيرة، وهي نتائج هامة عامة، فإذا أراد الحمويون أن يضعوا الغل في أيديهم فليفعلوا،

وعليهم تقع المسؤولة لأن الريف قد تحرر وهو يؤيد القائمة الشعبية، فإذا خذلت القائمة الشعبية فإن حماه وحدها هي المسؤولة.

لقد قال لي أحد الاخوان: إذا انتصرت القائمة الاقطاعية فليس لنا إلا أن نهاجر... قلت له:

اننا لن نخرج من مدينتنا حتى ننتصر أو ندفن تحت ثراها.

تذكروا عهد الفرنسيين، وتذكروا من يثير الفتن ويقتل الناس وهو مخذول، فكيف به إذا نجح؟ تذكروا الاخطار المحيطة بالوطن وتساءلوا :

هل ينهض من كانت تلك طبيعته ليدفع هذه الاخطار".

□

كنا نشرح الاهداف الحقيقية من تلك الحملة الدينية التي لا يقصد منها إلا التستر على التآمر الاستعماري وان معركتنا ليست معركة اجتماعية واقتصادية وسياسية فحسب، بل هي في الوقت نفسه معركة وطنية لأن سورية تتعرض لمشاريع استعمارية تتستر تحت اسم الاتحاد لادخالها ضمن منطقة النفوذ البريطاني.

كما كنت اشير الى الأيدي الخفية التي تدعم القائمة الائتلافية، وان مصير سورية متوقف على نتائج معركة الانتخابات هذه، وعلى معركة حماه بصورة خاصة.

وبنتيجة الخطابات والجولات والبيانات والأحاديث الكثيرة أصبح جو المعركة يميل بشكل ملحوظ الى جانبنا.

يوم الاقتراع هرع إلي عدد من الشباب يقولون إن "الميجر داردن" يتجول في المدينة علنا، فأرسلت معهم من يعرفونه جيدا ليتأكدو من حقيقة النبأ، فرجعوا وهم يؤكدون أن داردن يتجول في المدينة الآن مثلما كان يتجول فيها عام 1945، وقد شاهده عدد كبير من ابناء حماه، فعرفت عندئذ من هو العقل المخطط للمعركة الانتخابية الذي ظل مختفيا طول الفترة ولم يظهر الا في يوم الاقتراع.

وكان قد لفت نظرنا العدد الكبير من مرشحي الاقطاعيين، إذ بلغ عددهم ثمانية عشر مرشحا، ولم ندرك الحيلة، وظننا أنها الوسيلة لزيادة عدد وكلائهم في مراكز الاقتراع، إذ أن القانون يسمح لكل مرشح أن يعين وكيلين عنه في كل مركز اقتراع. يراقبان عملية الاقتراع وفرز الأصوات، فقلنا ربما كان قصدهم الهيمنة على المراكز وتخويف المقترعين، وأنهم ربما لجأوا إلى كسر صناديق الانتخابات عندما يشعرون أن نتيجة الاقتراع ليست في صالحهم.

وقد نشروا فعلا جوا من الارهاب خارج مراكز الاقتراع وداخلها، مما أثر على سير الانتخابات تأثيرا كبيرا. وبالرغم من الشكاوى التي عرضت على المحافظ محرم علي أديب وعلى الشرطة العسكرية فإنها لم تجد شيئا.

وما أن بدأ الاقتراع حتى صارت الأموال والعباءات توزع علنا على المقترعين في الأحياء والقرى، فاختل الميزان وبدأ يشيل لمصلحة الاقطاعيين، فهرع إلي بعض شباب الحزب، بعد مصادمة مسلحة جرت في مركز حي الجعابرة وأفادوني بأن الموقف الانتخابي أصبح ميئوسا منه، وأنه لا بد لانقاذ الموقف، من الهجوم على الصناديق وكسرها في كل مركز اقتراع تجري فيه رشوة أو إرهاب، فقلت لهم بشكل جازم: "خير لنا أن نسقط نتيجة الاحتيال والتزوير، من أن ننجح بالهجوم على مراكز الاقتراع" واتصلت هاتفيا بوزير الداخلية رشدي الكيخيا، فأمطرته بعبارات قاسية جدا، وقلت له: "إنكم قد نفذتم مؤامرتكم، ولكنها جولة وسنرى من الذي سيفوز في الجولات الأخرى" فحاول أن يهديء غضبي، وطلب مني أن أشرح له الموقف متجاهلا معرفته بتفاصيله.

والذي ظهر بعد الاقتراع ان الاقطاعيين تمكنوا بالاكثار من عدد المرشحين، من الاحتيال على قانون الانتخاب، إذ أصبح وكلاؤهم الكثيرون يقترعون مرتين، مرة في مراكز أحيائهم وقراهم الاصلية، ومرة ثانية في المراكز الانتخابية الأخرى بصفتهم وكلاء عن المرشحين، بعد أن حاز كل منهم على هويتين باسم "بدل ضائع".

وكانت الحيلة الثانية: لجوء دائرة الاحوال المدنية الى المماطلة والتسويف في منح الهويات لناخبينا، وتسهيلها منح الهويات لناخبي القائمة الائتلافية، فقد كان المرشحون الاقطاعيون يجرون وراءهم أعدادا كبيرة من الناخبين، كالأغنام، إلى دائرة الأحوال الشخصية ليستحصلوا لهم على الهويات، أما الاشتراكيون فلم يعد بمكنتهم حتى الدخول الى دار الحكومة للحصول على الهويات من تلك الدائرة. وبذلك اضاع علينا تقاعس المواطنين واهمالهم الحصول على الهويات بشكل مبكر عددا كبيرا من أصواتهم.

وأخيرا فرزت الاوراق وصدرت النتائج في خضم من الهياج والغضب الشعبي فنجحت وحدي ونجحت قائمة الاقطاعيين ما عدا بدر الدين الحامد الذي كان له ولأخيه الشيخ محمد الحامد أثر كبير في نجاح تلك القائمة.

اعتبر الحمويون نجاحي معجزة، نظرا لما رافق عمليات الانتخاب من ضغوط ورشاوى وتزوير، واحتيال على القانون، وانحياز السلطات وانفضاح تدخل الجهات الاجنبية، اما الاقطاعيون في حماه فقد شجعهم نجاحهم على القيام باعتداءات ذهب من جرائها بعض الضحايا، فاجتمعت مع قادة الحزب ومرشحينا، وقررنا أن نلجأ إلى الأساليب السياسية والقانونية في معالجة الموقف وأن نعمل على تهدئة الخواطر وحقن الدماء.

ورجعت الى دمشق لاحضر اجتماع مجلس الوزراء، بعد أن كان عفلق قد استقال من وزارة المعارف احتجاجا على مجرى الانتخابات في دمشق، وبعد أن كان رفاقنا قد ارسلوا برقية الاحتجاج التالية :

"نطلب من وزارة الداخلية تحقيقا حول وجود الجاسوس البريطاني داردن المعروف باتصالاته الواسعة في محافظة حماه خفية اثناء المعركة الانتخابية وتجوله الآن جهارا، كما نطلب تحقيقا حول مصدر الأموال الطائلة التي بذلت لرشوة الناخبين وتحريض العناصر المشبوهة على الإخلال بالأمن.

إن الحكومة التي انبثقت بعد انقلابين لا يجوز لها أن تبقي البلاد مسرحا للمؤامرات الأجنبية في أوج الظروف التي تمر بها وذلك تحت سمعها وبصرها".

وكان بين الموقعين المحامون: خليل كلاس، حافظ طيفور، سعيد الخاني والأساتذة عبد الكريم زهور وعثمان العلواني والطبيبان فيصل الركبي ونجيب عبد الرزاق والسيد نعمت الشيخ خالد.

انعقد مجلس الوزراء مساء 1949/11/21 وكان يسوده جو من التوتر لأن فضحي للتدخل الأجنبي المباشر كان طعنة صميمية لهم ولمشروع الاتحاد، ولكن ما كان بوسعهم إلا السكوت.

شرحت لمجلس الوزراء ما جرى، فكان وجه وزيرالداخلية رشدي الكيخيا يخضرويصفر ولكنه كان مالكا أعصابه وعقب على كلامي بتفنيد ما جاء فيه بهدوء واتزان مصطنع.

قبل الاجتماع تقدمت باستقالتي للرئيس هاشم الأتاسي.. ولكن مجلس الوزراء رفض الاستقالة، وكان خالد العظم والدكتور سامي كبارة اكثر اصرارا على رفضها. وقد وعدني مجلس الوزراء بإجراء تحقيق حول اتصالات داردن ومصادر الأموال التي وزعت لشراء الناخبين.

وفي اليوم التالي زارني في منزلي الزعيم سامي الحناوي، فشرحت له الصورة الواقعية للانتخابات، فأظهر تأسفه وألمه، كما حاول كثيرا أن يهديء من غضبي.

كنت أعلق أهمية كبرى على قضية الجاسوس البريطاني داردن، لأن اثبات تدخله في انتخابات حماه يطعن بسلامة الانتخابات في سورية كلها، لذلك كنت متشبثا بإجراء التحقيق إلى أبعد الحدود لما يترتب على ذلك من نتائج سياسية هامة.

في هذا الوقت بالذات، كان النائب اللبناني كميل شمعون يزور القصر الملكي في بغداد ويصرح بأن "الاتحاد السوري العراقي ضروري لتأمين الكيان العربي والأمن القومي" وقال: "إن الانتخابات السورية جرت بحرية تامة (النهار 1949/11/23) وهذا

التأكيد على حرية الانتخابات وسلامتها ونزاهتها كان الهم الرئيسي لكل أجهزة الدعاية البريطانية وما يدور في فلكها من صحف وشخصيات عربية، وقد رجع كميل شمعون من بغداد إلى دمشق واجتمع بوزير الخارجية ناظم القدسي وأبلغه توصيات نوري السعيد وتوجيهاته.

لقد استنتجت من اجتماعي الأول بمجلس الوزراء بعد عودتي من حماه أن الحكومة كانت حريصة على بقائي في عضويتها لأن استقالتي بعد استقالة ميشيل عفلق هي حكم بإدانتها ولذلك عقدت بعد اجتماع مجلس الوزراء مؤتمرا صحافيا قلت فيه :

"نحن في الواقع كنا نعتبر ان كل إخلال بالأمن في حماه يخلق سمعة سيئة للبلاد وحذرنا كثيرا وتحملنا إلى حد بعيد الاعتداءات والتحديات لئلا نجعل المجال واسعا للدعايات التي كانت تنتشر عن حماه فتصورها كفوهة البركان، وكان أملنا أن تمنع السلطة في حماه العدوان والتحدي وتحفظ الأمن وتمنع الضغط عن الاهلين، ولكن هذه السلطة مع الأسف لم تقم بواجبها، وقد أدى سكوتنا وتحملنا إلى تضحية كبيرة في الموقف الانتخابي، وكان ذلك على حساب حرية الناخبين، لقد كان ضغط شديد واضطهاد في المدينة والقرى على السواء حيال الناخبين، اشترك فيهما بعض رجال الشرطة والدرك، حتى أن محافظ حماه أمسك بيده شرطيا يكتب القوائم الانتخابية ويوزعها على الناخبين ويرغمهم على انتخاب القائمة الائتلافية، بل أن رئيس الشرطة أبدل عدة شرطيين الى مراكز اخرى اثناء عملية الاقتراع لتحيزهم وضغطهم على الاهلين، والعملية الثانية هي أن رجال القائمة الائتلافية تقدموا قبل انتهاء مدة الترشيح بربع ساعة بثلاثة عشر مرشحا صوريا ليكسبوا وكلاء عن كل مرشح. فأصبح للقائمة ثمانية عشر وكيلا بينما لم يكن لقائمتنا سوى أربعة وكلاء، لأننا لم نجنح لهذه الحيلة، وذلك كان بقصد الضغط في مراكز الاقتراع، وقد اقترع وكلاؤهم في المراكز وعددها خمسة وخمسون مركزا مرتين فكسبوا بذلك حوالي ألفي صوت، وقد لجأت الادارة أثناء الاقتراع الى قبول القوائم المكتوبة دون ذكر أسماء المرشحين وهي حيلة لجأ إليها الطرف الآخر، فكان يعطي الناخبين الأمين القائمة الائتلافية على أنها قائمتنا، فكان رئيس اللجنة يسجلها دون ان يتلوا للناخب اسماء المرشحين،

وهذه مخالفة صريحة لقانون الانتخابات الذي يوجب على الناخب الأمي أن يملي على وكيله بحضور رئيس اللجنة أسماء المرشحين الذين يختارهم.

وهذا مخالف لقانون الانتخابات صراحة، عدا عن الأموال التي وزعت والهدايا. وقد قدرت بنصف مليون ليرة سورية، وعلى كل حال فان هذا المال غير كاف لولا التحيز من قبل السلطات المحلية في حماه، والذي يلفت النظر أن داردن الجاسوس البريطاني، وهو من ضباط الارتباط اثناء الحرب، وله اتصالات واسعة في حماه، حضر عمليات الانتخاب ورافقها مرافقة تامة، واصبح يتجول علانية بين الناس، وقد تقدم وكلاؤنا في مراكز الاقتراع بجميع الاعتراضات، ورفعت الى اللجنة المركزية التي ردتها، لذلك فإن مرشحينا سيتقدمون بدعوى الى محكمة الطعون العليا... هذا وقد وقعت بعد الانتخابات حوادث اعتداءات من قبل الطرف الآخر ذهب ضيحتها قتيلة وعدة جرحى وما تزال هذه الاعتداءات مستمرة حتى الآن".

□

كان يتولى رئاسة البلدية السيد منير البرازي شقيق محسن البرازي وابن عم حسني البرازي الذي استخدم ماله من صلاحيات وما لديه من أجهزة الدولة في سبيل انجاح القائمة الائتلافية، كما كان وكيلا في أحد مراكز الاقتراع عن القائمة الائتلافية، وكان من علائم تخلف هذا المجتمع ونظامه، وسيطرة نفوذ الاقطاع، أن يعين منير البرازي رئيسا لبلدية حماه بعد أن قتل أخته وهي تصلي ونثر دماغها على حائط الغرفة بسبب الخلاف على الإرث.

□

حزب البعث العربي بعد انتخابات 1949 .

كنت أعتقد أن إرجاء استقالتي من الحكومة يجعلني في مركز أقوى لمتابعة التحقيق في انتخابات حماه. وكانت خطة فاشلة، لأنه لم يعد يعني الحكومة كثيرا أمر استقالتي، بعد أن اجتازت مرحلة الانتخابات ووصلت الى أعتاب المجلس التأسيسي الذي هو نهاية المطاف بالنسبة إليها، فتأخرت استقالتي إلى قبيل انعقاد المجلس التأسيسي بأيام.

لقد نجحت خطة الحكومة باسترضاء حزب البعث بالرغم من سقوط مرشحيه في دمشق وحمص واللاذقية (ميشيل عفلق، صلاح البيطار، كمال مشارقة، وهيب الغانم) ونجاح مرشح واحد فقط هو جلال السيد في دير الزور ولهذا حرصت حكومة الأتاسي على رفض استقالتي أولا وعلى استرضاء ميشيل عفلق عند قبول استقالته، فقد أصدر الرئيس هاشم الاتاسي بيانا متقضبا أثنى فيه على جهوده في وزارة المعارف التي كانت موضع هجوم مركز من الفئات الدينية، بينما كان طعن حزبين تقدميين ممثلين في الوزارة وإصرارهما على وجود تدخل أجنبي بالانتخابات كفيلا بوصم الحكومة والانتخابات التي أجرتها.

كان الاستاذ ميشيل عفلق بتاريخ 1949/11/17 قد أعلن رأيه بالاتحاد بما يلي : "نحن لا نرى تعارضا بين مشروع الضمان الجماعي ومشروع الاتحاد السوري العراقي. ومع ترحيبنا بالاتحاد مع العراق فنحن نصر على تحفظات أساسية، أهمها: تعديل المعاهدة العراقية البريطانية لئلا يتسرب النفوذ الأجنبي الى الاتحاد الجديد، والشرط الثاني للاتحاد مع العراق هو إبقاء النظام الجمهوري في سوريا، وأخيرا نوع الحكم في الدولة الاتحادية، فالحكم في سوريا خطا خطوات حسنة نحو التحرر والتمثيل الشعبي الصحيح، ونحن لا نريد أن تفقد هذه الصفات بل نعمل على تعميمها على العراق". (البعث: العدد 302).

رافق استقالة الاستاذ عفلق من وزارة المعارف، وانسحابه من الانتخابات، انعقاد المؤتمر الدوري لحزب البعث العربي، في 8، 9، 1949/12/10 الذي انتخب جلال السيد رئيسا له، وأمين شقير وفوزي صفوة أمينين للسر، وقد ارفض ذلك المؤتمر بعد أن اتخذ قرارا بمنح اللجنة التنفيذية الصلاحية المطلقة لمعالجة القضايا الحزبية والسياسية، فأصبح جلال السيد وصلاح البيطار يحتلان افتتاحيات "البعث" وتوجيهها، بدلا من شباب الحزب وعلى رأسهم الدكتور وهيب الغانم. أما وفد حزب الاستقلال العراقي، المؤلف من سليمان الصفواني وعبد الرزاق شبيب وصديق شنشل، فقد بقي في دمشق الى ما بعد ظهور نتائج الانتخابات، وذكرت

"البعث" في 1949/12/5 أن هذا الوفد قام بزيارة لوزير الدولة عادل العظمة واجتمع معه مدة ساعة كاملة. وتناولت الأبحاث شؤون التقارب بين سوريا والعراق، وحضر الاجتماع الدكتور ابراهيم الألوسي وزير العراق المفوض في دمشق.

ومن الجدير بالملاحظة في تلك الفترة ما جد من بلبلة وتناقض واضطراب في اتجاه جريدة البعث. فقد كتب صلاح البيطار بتاريخ 49/11/28 العدد 310.

"لا بد لنا أن ننوه بالمساعي الحميدة التي بذلها حزب البعث العربي، عن طريق وزير المعارف، لتحذير الحكومة من أن تقع فريسة تزوير للانتخابات، يشبه في قليل أو كثير ذلك التزوير الفظيع الذي تم في انتخابات 1948، والذي كان سببا في حدوث الانقلاب العسكري" ثم استطرد قائلا: "إننا إذا ذكرنا حياد الحكومة لا ننسى القول بأنه كان حيادا سلبيا فحسب، بمعنى أن الحكومة لم تزور ولم تضغط على حرية الناخبين ووقفت في هذه الحدود.. في حين أن الحياد الحقيقي هو الذي يمنع المرشحين ورجال القوائم الانتخابية من السعي للتزوير ونجاحهم فيه في بعض المراكز، ومن استعمال العنف والضغط وأساليب التضليل التي فاقت كل وصف" ثم يختتم كلامه قائلا عن الانتخابات إنها "خطوة خطاها الشعب العربي في سوريا، وبقيت الخطوة الثانية، وهي لا شك آتية. فالشعب الذي طوح برجال الحكم الذين زوروا انتخابات 1947 لقادر على الانقلاب على الذين أبوا أن تجري الانتخابات في جو من الحرية والنزاهة والكرامة، وأبوا إلا أن يكونوا نوابا من صنع الوكلاء كما كان النواب السابقون من صنع الحكومات، وإن غدا قريب" وفي 1949/12/7 كتب جلال السيد في "البعث - 318" : "نحن نميل إلى أن يتسلم حزب الشعب مع أنصاره الحكم ويحمل على عاتقه المسؤولية، ففي ذلك وحده ضمان للانسجام ووحدة الاتجاه. وفي ذلك إنقاذ الحكم من البلبلة والترقيع واختلاف الميول والتخلص من التبعات واختلاف وجهات النظر والعمل التي تسبب الأزمات وتحول دون الاصلاحات".

كنت متوهما بأننا سنكون مع جلال السيد طرفا واحدا في المجلس، يستقطب المعارضة أمام الجناح الرجعي في حزب الشعب الذي سيستقطب الرجعية الدينية والعشائرية والاقطاعية، ليمضي قدما في تنفيذ مشروع نوري السعيد الاتحادي. لذلك

صدمت عند أول اجتماع لي مع جلال السيد بإحدى غرف الندوة البرلمانية حيث شرحت له نوايا حزب الشعب وما أعدوا للبلاد بالاتفاق مع الرجعية في العراق من مخططات وقبل أن استرسل في حديثي قال لي :

- إن الانكليز خصوم لمشروع الاتحاد مع العراق، وسوف يعملون على إحباطه، فقلت له:

- إذا كان الأمر كذلك فما جدوى العمل لهذا المشروع غير إلهاء البلاد عن قضاياها المصيرية وتمزيق الصفوف وخلق الفتن والاضطراب؟

قال: إننا نريد أن نحرج الانكليز ونفضح موقفهم ، فقلت له :

على أن الأمر على العكس فالسير في ركاب هذا المشروع يحرج سورية ولا يحرج الانكليز.

واستمر الجدل بيني وبينه دون أن نصل إلى نتيجة، عندها فهمت حقيقة ما طرأ من تطورات على موقف الحزب ووجدت تفسيرا للاضطراب والتناقض في المقالات والبيانات التي كانت تنشرها جريدته ولكنني حسبت أن معظم قيادات الحزب لا يمكن أن توافق على موقف جلال السيد، ولم أكن منتظرا أن تستمر سيطرته ومن يؤيده على سياسة الحزب سواء في صحيفته البعث أو في المجلس التأسيسي أو في البيانات التي أصدرها الحزب فيما بعد، كما لم أكن مطلعا على ما كان يعانيه الحزب من انقسامات وأزمات داخلية إذ كنت حريصا دوما على أن أبقى بعيدا لئلا أتهم بأي مشاركة أو مساهمة فيها من قريب أو بعيد.

الجلسات الأولى للجمعية التأسيسية وانتخاب هاشم الأتاسي رئيسا للدولة - وضع الدستور الموقت وصيغة لليمين الدستورية لا تتضمن المحافظة على النظام الجمهوري - عريضة موقعة من عدد كبير من ضباط الجيش تنص على تكليفي باستلام رئاسة الدولة وحل الجمعية التأسيسية والدعوة لانتخابات جديدة - حركة العقداء وتنحية العقيد سامي الحناوي.

اليوم الأول لانعقاد الجمعية التأسيسية.

في يوم 12 كانون 1949 عقد المجلس التأسيسي الجديد جلسته الأولى في الصباح، وجلسة ثانية في المساء، لم أحضرهما. وهذه هي المرة الثانية في حياتي النيابية، منذ عام 1943 التي أتغيب فيها عن حضور جلسة برلمانية، وكانت الأولى خلال الفترة التي قضيتها في الجليل .

افتتحت الجلسة الأولى في الساعة العاشرة صباحا وأذيعت وقائعها بالتفصيل من المذياع. وكنت لا أزال في فراشي بحالة من اليأس والتشاؤم والألم، والمذياع الى جانبي، والمذيع يتغنى بوصف مظاهر الأبهة وحسن الاخراج التي أحيطت بها هذه الجلسة التاريخية، فقد حضرها اللواء سامي الحناوي وبعض كبار الضباط، ورؤساء البعثات الدبلوماسية بدمشق، ووفد حزب الاستقلال العراقي، وعدد من كبار موظفي الدولة، ووفد كبير من صحفيي لبنان بالاضافة إلى وفد رسمي يمثل الحكومة اللبنانية...الخ

ترأس الجلسة النائب حسن الحكيم بصفته رئيس السن ، الذي عرض على المجلس مشروع الدستور الموقت:

مادة 1 : ينتخب المجلس بأكثرية أعضائه المطلقة، وإن لم تحصل فبأكثريتهم النسبية في المرة الثانية، رئيسا للدولة يتمتع بحقوق وصلاحيات رئيس الجمهورية.

مادة 2 : يسمي رئيس الدولة رئيس وأعضاء مجلس الوزراء.

مادة 3 : يمارس رئيس الدولة بمعونة مجلس الوزراء صلاحيات التشريع والتنفيذ وفقا للأحكام النافذة منذ 15 آب 1949 إلى أن يسن الدستور ويوضع موضع التنفيذ.

بعد ذلك تم انتخاب رشدي الكيخيا رئيسا للمجلس، فألقى كلمة مكتوبة قال فيها: "أرجو أن نصرف جهودنا ليكون دستورنا منسجما مع أوضاعنا وحاجات الأمة العربية، آخذا بالفكرة القومية السليمة والمباديء الديمقراطية القويمة، مسايرا للتطور الحديث بمختلف نواحيه، وأرجو أن ننتفع بتجاربنا وتجارب غيرنا فيما طبق من النصوص الدستورية".

وبعد ذلك تكلم الرئيس هاشم الأتاسي باسم الحكومة فقال: "إن الظروف التي يباشر فيها هذا المجلس الكريم عمله الخطير بادية للعيان، فسوريا اليوم تواجه ضرورات تلح عليها بوجوب توثيق عرى التضامن والاتحاد بينها وبين الدول العربية وجمع القوى والموارد والتأليف بينها على وجه تزداد معه بلاد العرب شأنا ورفعة وقوة ومنعة، وإننا نترك لمجلسكم الكريم أن ينظر في مقتضيات ذلك مسترشدا بوقائع التاريخ وتجارب الأمم القديمة والحديثة".

ثم اقترح الشيخ معروف الدواليبي، بكلمة مسهبة، أن يوجه المجلس كلمة شكر لرئيس الوزراء الشيخ الجليل هاشم الأتاسي وإلى اللواء سامي الحناوي والجيش "بسبب الخدمات الجلى التي أديت على يديهما للبلاد".

ثم ألقى حسني البرازي خطابا طويلا أراد منه أن يحرج رئيس حزب الشعب ورئيس الوزارة اللذين تجنبا ذكر مشروع الاتحاد صراحة فقال :

"لنترك العبارات المطاطة الجوفاء، فلا ضرورة لاضاعة الوقت، إن سورية مستعدة لمد يدها لكل قطر عربي صادق ولأن تذيب كيانها فيه، وإذا ارادت مصر، وعلى رأسها جلالة فاروق مد يدها للتوحيد مع سورية فنحن مستعدون، وكذلك لو شاءت نفس الأمر المملكة العربية السعودية فنحن مستعدون للاتحاد معها، وكذلك

العراق وغيرها... وإني أعتقد أن رئيسنا الجليل سينهي حياته السياسية بهذه الصفحة البيضاء، وأرى لزاما علي أن أختتم كلمتي بتوجيه الشكر لرئيس الجيش لما له من فضل كبير لما وصلنا إليه من حرية وكرامة".[1]

□

إن حسني البرازي الذي أمضى حياته في خدمة الاستعمار والكيد للشعب وقمع الحركة الوطنية بشراسة، والذي لا يزال سجله السياسي في ضمير الشعب مليئا بالعار والخزي وزراعة الحشيش وتهريبه وسفك دماء الضحايا الأبرياء والشهداء، والذي لم يقتصر كيده للأمة على خدمة الاستعمار الفرنسي بل صارت تصريحاته قبيل وأثناء حرب فلسطين تذاع وتنشر من راديو إسرائيل[2] والصحف الأجنبية والصهيونية لأنها تصريحات تنضح بالحقد على العرب وتصمهم بالتعصب والعدوان والعمى عن "فوائد" قيام وطن قومي يهودي عصري في وسطهم"... هذا الرجل ينتخب الآن ممثلا للأمة، ويجعل من نفسه لسانا معبرا عن هاشم الأتاسي ورشدي الكيخيا فيقول ما لا يجرؤون على قوله فأي إهانة للقيم الوطنية والأخلاقية وأي شتم للمثل العربية أكثر من هذا؟ .

---

(1) لعل من المفيد تذكير القارىء هنا بأن حسني الزعيم عين حسني البرازي محافظا لمدينة حلب ومخولا بصلاحيات عسكرية.

(1) في كتاب "قراءة في مذكرات موشى شاريت" للكاتبة الاسرائيلية ليفيا روكاخ، وهي المذكرات التي كتبها وزير الخارجية ورئيس الوزراء الاسرائيلي السابق موشى شاريت، ونشرت في صحيفة معاريف عام 1979، رغم محاولة حزب الماباي منع نشرها واستلام وثائقها من عائلته. في ذلك الكتاب تقول الكاتبة روكاخ: لم تقتصر مخططات اسرائيل ضد سورية على مشاريع التوسع والإرهاب وانما تخطت ذلك الى محاولة إقامة حكم عميل فيها، ففي تاريخ 1955/7/13م يكتب شاريت في مذكراته عن تقارير رفعت إليه حول اتصالات أجراها جدعون رفائيل مساعد وزير الخارجية مع سوريين كان أحدهم حسني البرازي الذي تقول الكاتبة -استنادا للمذكرات- أنه كان مستعدا لتلقي العون من أي جهة كانت:

من تركيا مقابل دخول سورية في حلف بغداد، من الولايات المتحدة مقابل تحالف سورية مع الغرب، أو من اسرائيل مقابل توقيع اتفاقية سلام معها.

وتعلق الكاتبة استنادا أيضا الى المذكرات :

ولكن يبدو أن السلام كان آخر ما تسعى إليه اسرائيل، إذ أنها كانت تطلب ثمنا آخر مقابل تقديم العون للبرازي، فقد اقترح جدعون رفائيل على حسني البرازي القيام بتنظيم مجموعة من ملاكي الأرض امثاله، والمبادرة الى إقامة مشروع موسع لتوطين اللاجئين، فأعرب البرازي عن ارتياحه للفكرة، وضرورة عودته للسلطة من أجل مشروع كهذا، وإلى أن يحين التنفيذ يتوجب على اسرائيل أن تمده بالدعم المالي من أجل شراء الصحف والعملاء والاحزاب (ليفيا روكاخ- قراءة في مذكرات شاريت- دار ابن خلدون-بيروت- ص45).

لقد خطر في بالي وأنا أسمع خطابه كلمة مدام رولان[2] في طريقها الى مقصلة الثورة الفرنسية :

"أيتها الحرية كم من الجرائم ترتكب باسمك" ووجدت نفسي أردد :

"أيتها الوحدة كم من الخيانات ترتكب باسمك الكريم" فأي مستقبل مظلم يخبأ لسورية وللأمة العربية؟ إن هذه الجلسة كانت كاشفا لهذا المستقبل الذي تجسد أمامي بأبشع مما عرفه العراق الشقيق تحت كابوس نوري السعيد وعبد الإله... إن شمس الأمل التي بزغت فجر عام 1945 بدأت بالغروب.

ولكن ما العمل ؟

بدأت بدرس خريطة الوضع السياسي الجديد بتمعن وواقعية... فخرجت بالصورة التالية :

يجب أن نستفيد من العناصر الوطنية التقدمية بحزب الشعب، لا سيما وأن بعضهم ، سواء في خطاباتهم أو تصريحاتهم، كانوا متفقين معي في الرأي فإذا هيئت الفرصة لهم يمكنهم أن يلعبوا دورا ايجابيا هاما.

كما تجب دراسة أوضاع النواب المستقلين فردا فردا، ودراسة أوضاع الكتل الصغيرة، فالكتلة الاسلامية التي يرئسها الدكتور مصطفى السباعي ليست متماسكة، إذ يستشم من آراء رئيسها أنه شخصيا ليس بجانب مشروع الاتحاد، وذلك أيضا شأن التكتلات الأخرى.

أما النواة الصلبة فيمكن أن تبدأ بالاتفاق مع نائبي حمص المستقلين مع الدكتور سامي طيارة وإحسان حصني الذي كنت لا أزال أذكر تصريحا له، بعد فوزه بالانتخاب، يقول فيه: "نحن نحبذ كل اتحاد بين قطرين عربيين على شرط أن تتوفر في كليهما

(3) مدام رولان: كانت هي وزوجها رولان دولا بلاتيير ثائرين فرنسيين تشبعا بالمثل العليا وفلسفة روسو، وقد جعلت بيتها صالونا لاجتماع المثقفين من حزب الجيروند، عين زوجها وزيرا للداخلية وحينما سقطت وزارة الجيروندييين قبض عليها وحوكمت بسرعة وفي طريقها الى المقصلة هتفت : أيتها الحرية كم من الجرائم ترتكب باسمك.. انتحر زوجها عندما بلغه نبأ مصرعها.

ضـوامن الاسـتقلال والسـيادة. ولمـا كـان العـراق بوضـعه الحاضـر مرتبطا مع بريطانيا بمعاهدة تحد من سيادته واسـتقلاله، فـلا أرى مجالا للاتحاد إلا بعد زوال هذه المعاهدة وإلغاء مفعولها".

وبعـد تكـوين النـواة الصـلبة وتجميـع القـوى حولهـا يجـب اسـتغلال تناقضـات الـدول العربيـة، وإذا كـان أنصـار مشـروع نـوري السعيد قد أسفروا عن وجوههم، فإن الموقـف السـعودي المقابـل لا بد أن يعكس آثاره على بعض النواب في المجلس وبالفعـل فإنـه منـذ الجلسـات الأولـى انقسـم نـواب الجزيـرة والفـرات بـين مؤيـد للمشروع بقيادة جلال السيد وبين مناهض له بقيادة عبـد البـاقي نظام الدين وحامد الخجا، إذ انقسم هؤلاء النـواب حسـب انقسـام المحاور العربية.

إن هذه الصورة التي تصورتها وأنا في بيتي منـذ اليـوم الأول كانت صورة صحيحة عن الوضع السياسـي الجديـد وإمكانياتـه فـي المستقبل.

بقي علينا أن ننتظر احتدام القضية في مجلس النواب:

كانت الشرارة الأولى انتخاب رئيس الدولة. ثم اصبح الصـراع أكثر وضوحا عند وضع صيغة اليمين الدستورية.

وفي مساء ذلك اليوم لـم أحضـر الجلسـة الثانيـة للمجلـس التأسيسي أيضا، لأنني لم أكن قادرا نفسـيا علـى حضـورها، كمـا شاعت أنباء استقالتي من الوزارة على شكل احتجـاج وعـدم ثقـة بالوضع، فنشـرت جريدة البعث في اليوم التالي ما يلي: "علمنـا أن الاستاذ أكرم الحوراني قدم اسـتقالته الـى رئـيس مجلـس الـوزراء وغادر الحكم ولم يحضر جلسة الجمعية التأسيسية".

أقرار الدستور المؤقت وانتخاب الاتاسي رئيسا للدولة.

فـــي اليـــوم التـــالي - 1949/12/13- عقـــدت الجمعيـــة التأسيسية جلسـتها الثالثـة، ولـم أحضـرها أيضـا، ونوقشـت مـواد مشروع الدستور الموقت مناقشات بيزنطية لا طائل تحتها، سـوى خطـاب حسـني البـرازي الـذي طالـب فيـه بشـكل فـج أن يتعهـد

هاشم الأتاسي أمام المجلس بتحقيق الوحدة العربية قبل انتخابه لرئاسة الدولة، وكنت في هذا اليوم على اتصال بالنواب وسبر اتجاهاتهم.

وفي يوم 1949/12/14 عقدت الجمعية التأسيسية جلستها الرابعة، وقد أبرز مندوب جريدة "البعث" منها اللقطات التالية :

"لوحظ أن أكثر نواب العشائر قد وقفوا مع الاستاذ جلال السيد موقفا موحدا، وهذه أول مرة تقف فيها أكثر العشائر ضد موقف الحاكمين (هكذا أراد مندوب الجريدة أن يفسر هذه الظاهرة)... في ناحية ترى الاستاذ جلال السيد يتجاذب أطراف الحديث مع نواب العشائر وبعض الشباب (عبد الرحمن العظم) وفي الطرف الأيسر من القاعة ترى الاستاذ أكرم الحوراني مع نواب حمص المستقلين (سامي طيارة وإحسان حصني).

في هذه الجلسة أقرت الجمعية التأسيسية الدستور الموقت الذي طرحته الحكومة، بعد أن أدخلت عليه تعديلات، بحيث أصبح بالصيغة التالية :

المادة الأولى : ينتخب المجلس التأسيسي بأكثرية أعضائه المطلقة، وإن لم تحصل فبأكثريتهم النسبية في المرة الثانية، رئيسا للدولة يتمتع إلى أن يتم وضع الدستور بالحقوق والصلاحيات المنوطة برئيس الجمهورية في الدستور القديم.

المادة الثانية : يمارس رئيس الدولة بمعونة مجلس الوزراء صلاحيات التشريع، باستثناء الاتفاقات الخارجية، وصلاحيات التنفيذ وفقا للأحكام النافذة منذ 15 آب 1949، إلى أن يسن الدستور ويوضع موضع التنفيذ، على أن لا يتجاوز ذلك ثلاثة أشهر.

المادة الثالثة : تعتبر هذه المواد الدستورية المؤقتة نافذة فور إقرارها.

وقد خالف إقرار هذا الدستور المؤقت 32 عضوا، كنت منهم وكان معي إحسان حصني وسامي طيارة وآخرون هم نواة

المعارضة التي بدأنا بتكوينها، وعددنا لا يزيد عن خمسة، بينما عارضه السبعة وعشرون نائبا الآخرون لأسباب أخرى.

فنحن عارضنا المشروع لسبب مبدئي وهو انتخاب "رئيس دولة" لا "رئيس جمهورية" . وقد أجمع واضعو المشروع بأن الدستور القديم الذي ينص على انتخاب رئيس جمهورية قد سقط، وأن الوضع الحالي وضع مؤقت بينما كان بالإمكان أن تضع الجمعية التأسيسية مواد دستور موقت - تدخل فيما بعد في صلب الدستور الدائم- تنتخب بموجبها رئيسا للجمهورية لا رئيسا للدولة. لكن ذلك كان حيلة من جماعة مشروع الاتحاد مع العراق. وكانت الخطوة الثانية أكثر انفضاحا عند حلف اليمين الدستورية.

لقد كانت معارضتنا لهم في الموضوع الأول هادئة وشبه صامتة، لأن حجتهم في ذلك الوقت كانت اقوى، ولأننا أردنا أن يكشفوا عن موقفهم من النظام الجمهوري، أما النواب المخالفون الآخرون فقد خالفوا إقرار الدستور المؤقت لأن فيه تنازلا من الجمعية التأسيسية عن بعض الصلاحيات التشريعية لرئيس الدولة، كما خالف حسني البرازي لعدم إقرار اقتراحه بجلب هاشم الأتاسي ليتعهد سلفا بإقامة الوحدة.

ثم انتخبت الجمعية هاشم الأتاسي رئيسا للدولة بـ 89 صوتا. وقد نال ابنه الدكتور عدنان الاتاسي -وهو غير مرشح- خمسة أصوات هي أصواتنا، رمزنا بها إلى أن الموجه الحقيقي لهاشم الأتاسي هو ابنه عدنان الاتاسي، نظرا لما له من تأثير كبير عليه.

وقد كان لعدم استقالة عدنان الأتاسي من وظيفته بعد انقلاب حسني الزعيم واستمراره فيها ما أساء إلى سمعته حتى بالنسبة لرفاقه أعضاء حزب الشعب انفسهم، فكان ما رمزنا إليه بانتخابه مفهوما لقسم كبير من أعضاء الجمعية التأسيسية.

وقبل أن يعلن الكيخيا انتهاء الجلسة لفت نظره بعض النواب المستقلين الى اقتراح كانوا قد قدموه بتأليف "لجنة صغيرة لوضع صيغة اليمين التي سيحلفها الرئيس الجديد أمام الجمعية قبل

مباشرته أعماله"، وقد اقترح الكيخيا اللجنة من : حسن الحكيم وحسني البرازي وزكي الخطيب، ولا يخفى غرض الكيخيا من تأليف اللجنة من هؤلاء الأشخاص الذين كانوا يؤيدون علنا السياسة البريطانية والاتحاد مع العراق، ولم يلتفت الرئيس للاقتراحات التي تقدمت بها المعارضة لتبني النظام الداخلي للمجلس النيابي السابق، أو النظام الداخلي للمجلس التأسيسي الأول لعام 1928، وكان سبب رفضه الحقيقي ان صيغة اليمين فيهما تنص على الاخلاص للنظام الجمهوري.

حركة العقداء .

ما بين يوم 12 كانون الأول 1949 عندما افتتحت الجمعية التأسيسية جلساتها، ويوم 19 منه وهو اليوم المقرر لأداء اليمين الدستورية من قبل رئيس الدولة وأعضاء الجمعية التأسيسية، مرت البلاد بأسبوع حافل بالنشاط والتطورات والاتصالات بحيث كان هناك سباق سريع بين العاملين على تحقيق مشروع عبد الإله وبريطانيا من السياسيين والصحافيين والنواب السوريين المدعومين من العقيد سامي الحناوي وجماعته من الضباط وبين معارضي هذا المشروع ولا سيما كبار ضباط الجيش.

وكانت تلك الجلسات القليلة التي عقدتها الجمعية التأسيسية عاملا على توضيح الخط الفاصل بين الفريقين، فأصبحت الصورة العامة للوضع واضحة في الجيش والجمعية التأسيسية، على أن الجيش كان أكثر حساسية من الشعب وأكثر رصدا ومراقبة وتفهما للوضع.

فبعد أن اقترح رئيس الجمعية تشكيل لجنة ثلاثية من حسن الحكيم وحسني البرازي وزكي الخطيب لوضع صيغة اليمين الدستورية، اتصل بي أديب الشيشكلي وبعض الضباط، وكانوا بحالة غضب وخوف من أن يبطش بهم قائد الجيش سامي الحناوي، لأن الصراع في الجيش حول مشروع عبد الاله ونوري السعيد بدأ يخرج من نطاق الهمس والسرية، إلى حيز المجابهة والتهديد، وكانوا يعتقدون أن الرسالة التي وجهها قائد الجيش

سـامي الحنـاوي الـى رئـيس الدولـة هاشـم الاتاسـي بضـرورة المحافظة على النظام الجمهوري ما هي إلا خديعة لتهدئة الضباط الجمهوريين واستسناح الفرصة للبطش بهم.

فنصحتهم بالتريث والهدوء وعدم استعجال الأمور، فإذا أقـرت الجمعية التأسيسية صيغة للقسم تنص على الحفاظ على النظام الجمهوري يكون الخطر قد استبعد، ولكن الشيشـكلي ومـن معـه لـم يطمئنـوا تمامـا وعبـروا عـن خـوفهم مـن أن يعـاجلهم الحنـاوي فيصفي جميع العناصر التي تعـارض المشـروع، فـأفهمتهم بوضـوح أن القيام بأية حركة من قبل الجيش قبـل أن يتضـح الأمـر تمامـا لا يمكن أن يفسره الناس بأنه للـدفاع عـن اسـتقلال الـبلاد ونظامهـا الجمهـوري، وإنمـا سيفسـر علـى أنـه تعطـش للسـلطة مـن قبـل ضباط مغامرين، وإن إقدام الحنـاوي علـى تصـفيتهم لـيس احتمـالا مستبعدا، ولكنه يصـبح مسـتبعدا جـدا إذا أقسـم أعضـاء الجمعيـة التأسيسية على المحافظة على النظـام الجمهـوري، وأظـن أنهـم خرجوا من اجتماعهم معي بهذه القناعة.

كنت في تلك الفترة مشغولا بنشـاطي فـي أوسـاط النـواب لتشـكيل كتلة نيابية معارضة للمشروع، وقد نشرت النهار البيروتية بتـاريخ 1949/12/16 ان عـدد أعضـاء هـذه الكتلـة قـد بلـغ خمسـا وثلاثين نائبا برئاستي وانها سـميت الكتلـة البرلمانيـة الجمهوريـة، والحقيقة أن عدد الأعضاء كان أقل من ذلك وربما كـان العـدد الـذي ذكرته الصحيفة هو عدد النـواب الجمهـوريين مـن مختلـف الأحـزاب والتكـتلات البرلمانيـة وهـذا مـا اتضـح بعـض الشـيء فـي اجتمـاع الجمعية التأسيسية يوم 1949/12/17.

فقد تقدمت "لجنة القسم" الثلاثية بالصيغة التالية : "اقسم بالله العظيم أني احترم قوانين الدولة وأحافظ على استقلال الوطن وسيادته وسـلامة أراضـيه وأصـون أمـوال الدولـة، وأعمـل لتحقيـق وحدة الاقطار العربية".

تلـي مشـرع القسـم علـى الجمعيـة التأسيسـية فسـادها للحظات جو من الوجوم والصمت، ثم قطع الصمت نائب الرقة حامد

الخجة الذي تقدم إلى رئاسة المجلس طالبا توزيع النص على الاعضاء ليطالعوه بدقة وتمعن، وكان طلبه هذا اسلوبا لتأجيل الجلسة وإعطاء الاعضاء مهلة كافية للدرس والتفكير قبل إقرار هذه الصيغة، فأجابه رئيس المجلس رشدي الكيخيا بتهكم:

"القسم مختصر جدا، فإذا رغبتم فإننا نتلوه عليكم مرة أخرى بطريقة الإملاء لكي تتمكنوا من كتابته".

وفعلا تلا أمين السر نص اليمين ببطء فكتبه النواب، وسكت الجميع مرة أخرى فطلبت الكلام وقلت :

"أنا مبدئيا أحبذ القسم الذي ورد في الدستور السوري القديم وهذا القسم يختلف عن ذاك وقد لاحظت أمرا لا بد لي من بحثه، فنحن طبعا جميعنا طلاب وحدة عربية ولكن يتساءل المرء ما هو الحائل دون تحقيق الوحدة العربية؟ اذا أردنا أن نعطي الجواب الصحيح على هذا السؤال فلا بد لنا من أن نعترف بامرين يحولان دون تحقيق الوحدة العربية المنشودة الامر الاول الاستعمار والنفوذ الاجنبي، والامر الثاني العروش القائمة في البلاد العربية فلو أزيح كابوس الاستعمار وتقلص النفوذ الاجنبي من البلاد العربية لوجدنا الشعب العربي يحقق الوحدة العربية المنشودة، وأنا مع اعترافي واقراري وايماني العميق مثل او اكثر من أي انسان في هذه البلاد بالوحدة العربية أرى من الضروري إضافة نص آخر الى هذه اليمين لكي يستقيم الامر، ولكي لا يكون هناك أدنى التباس والنص الذي يجب أن يضاف الى القسم هو المحافظة على النظام الجمهوري في بلادنا، ان النظام الجمهوري يا سادتي لا يحول دون تحقيق الوحدة بل هو الطريق الذي يحقق الوحدة الصحيحة، اما الذي يمنع تحقيق الوحدة الصحيحة فهو النفوذ الاجنبي والاستعمار الاجنبي لذلك فانا لن اقسم هذه اليمين اذا لم تضف الى النص الفقرة التي اقترحتها وهي المحافظة على النظام الجمهوري في بلادنا".

وبذلك انفتح المجال امام المعارضين الآخرين فتكلم بعدي الدكتور عبدالوهاب حومد، فأبدى بأسلوب مجانب متردد غامض ثلاثة اعتراضات على صيغة القسم اذ قال :

ملاحظتي الأولى تتعلق بالفقرة الأولى وهي "اقسم بالله العظيم أني أحترم قوانين الدولة" ولا اعلم على الضبط ما هو المراد بقوانين الدولة هل هي قوانينها الدستورية أم هي القوانين العادية التي وضع لها الشارع عقوبات طفيفة جدا وان كان لم يهملها من القانون إلا أنه وجدها من التفاهة بحيث وضع لها عقوبات طفيفة جدا هي على حال أقل بكثير من هذه اليمين المقدسة، ولذلك لا أعلم ما اذا كان يجب على النائب مثلا أن يمتنع عن قطع شجرة من الاحراش لان قوانين الدولة تحرم ذلك أو أن يرتكب مخالفة بالسيارة فقوانين الدولة متعددة على ما اذكر ومتشعبة وفيها قوانين ذات شان كما ان فيها قوانين تافهة جدا ولذلك لا أرى أي مبرر أن تحترم هذه القوانين تحت طائلة هذه اليمين العظيمة ما دام لها عقوبات تطبق على النائب وغير النائب.

ثم أن العمل لتحقيق وحدة الاقطار العربية هو ولا شك امنية كل عربي ولقد أثبتت التجارب ان تخاذل العرب في معركة فلسطين كان كارثة كبيرة لا أعلم ما اذا كانت سورية تتحمل مسؤوليتها ولكني اعلم حق العلم ان ملوكا وامراء وشعوبا اخرى يتحملون مسؤوليتها قبل سورية فليس هناك من يجهل ان الشعب السوري والجيش السوري قد بذلا غاية ما يستطيعان في هذا السبيل ولكننا نعلم الملابسات التي جرت الى هذه الكارثة واذا كنا من دعاة الوحدة او الاتحاد كما يقولون فاني أرى أن نتريث في هذا القسم لانه وان كان يعبر عن امانينا الا أنني اعتقد أن ربط انفسنا بقسم كهذا يحتاج إلى مفاوضات تقوم بها الحكومات لذلك أرى ارجاء البت في هذه النقطة وأرى خيرا من ذلك ما دمنا ننظر إلى الوحدة العربية أن نتلفت قليلا إلى الاقطار الشقيقة المعذبة التي لا يسأل عنها احد فهناك المغرب العربي الذي يتألم ويضج ولا ارى في دساتيرنا ولا في قوانينا ما يشير اليه فالاستعمار الفرنسي في شمال افريقيا يضطهد ابناء هذا العرق ويرتكب بحقهم اعظم الجرائم فاذا كنا ننظر الى وحدة عربية فلا اقل من ان ننظر الى هؤلاء وهذا ليس من شأن اليمين ان تنص عليه ولذلك اكتفي بالقول بأن تنص اليمين على المحافظة على استقلال الوطن وسلامة أراضيه وسيادته وصيانة اموال الدولة" .

ولا يخفى ما في هذه الصيغة الخجوله من حذر وغمز في آن واحد، مما جعل خطابه الذي ابتدأ من منطلق المعارضة ينتهي إلى تأييد القسم، وهذا كان شأن معظم الجمهوريين الذين كانت تحرجهم ارتباطاتهم الحزبية والسياسية.

على أن بعض الجمهوريين الآخرين كانوا أكثر وضوحا والتزاما منهم مثلا الدكتور مصطفى السباعي المرشد العام للأخوان المسلمين الذي قال :

"كانت صيغة اليمين في الدستور القديم ما نصه : "اني احترم دستور البلاد وقوانينها واحفظ استقلال الوطن وسلامة ارضه" ولكن هذه الصيغة الجديدة تختلف عن سابقتها ولي اعتراض عليها هو نفس الاعتراض الذي اورده الاخ الدكتور عبد الوهاب حومد فيما يتعلق بقوانين البلاد اما قضية الوحدة العربية فانا أؤيد الزميل الاستاذ اكرم الحوراني فنحن لا نريد بل نخشى كل الخشية أن يكون ذكر هذه الوحدة في القسم مؤديا الى نوع من الوحدة لا يريدها الشعب السوري فنحن كلنا طلاب وحدة وقد نشأنا على حب هذه الوحدة منذ الصغر ولكن هذه الوحدة تحول دونها مطامع وأهواء من هذه المطامع والاهواء مطامع دول اجنبية في بلاد العرب ولقد علمتنا تجربة فلسطين ان من أكبر اسباب الهزيمة التي منينا بها تضارب أهواء الملوك والرؤساء والامراء ولذلك فان في لفظ هذه الكلمة التي تدل على وحدة البلاد العربية دون الاشارة إلى المحافظة على نظامنا الجمهوري ما يفيد ان المجلس يريد القضاء على هذا النظام من اساسه، أن هذه البلاد احبت النظام الجمهوري واعتنقته واعتقدت بصلاحه واننا نعلن بكل ايمان وصراحة ووضوح باننا لا نريد عن النظام الجمهوري بديلا.

أما جلال السيد فكان صريحا واضحا عندما قال :

"منذ يومين فقط انتخبنا في هذا المجلس رئيسا للدولة ولا اعلم السبب الذي دعانا الى انتخاب رئيس باسم رئيس الدولة اذا كنا سنقطع الطريق مسبقا على المجلس وعلى لجنته المخصوصة اذن فلماذ لا ننتخب رئيسا للجمهورية اذا لم نكن نريد أن نعطي للمجلس وللجنته المخصوصة حق البحث والتمحيص لوضع النظام الذي ترتأيه لذلك أجد من التناقض ان ننتخب قبل يومين رئيسا لدولة ونأتي في هذا اليوم اي بعد يومين فقط لنستبق الحوادث ونضع نصا على نظام معين قبل أن تنتهي من ذلك لجنة وضع الدستور".

بينما كان بقية النواب الذين تكلموا حول صيغة القسم بين موارب متردد وبين مؤيد لمشروع الاتحاد كحسني البرازي الذي

عاد وكرر في خطابه أن سوريا رغم كونها جمهورية فهي تمد يدها لكل دولة مصرية أو سعودية، وأنه سبق وطلب الى الملك فاروق والملك ابن سعود أن يعملا لتحقيق الوحدة، وأنه يستغرب ما صرح به الشيخ مصطفى السباعي طالبا أن يكون الشيخ سباقا إلى تحقيق هذا المثل الأعلى.

وقد عدت إلى الكلام، بعد تبجح بعض النواب الذين اتخذوا الوحدة وسيلة لتكبيل البلاد بقيود الاستعمار فقلت :

" أيها الزملاء: لا يوجد اي زميل بيننا يعترض على الفقرة الواردة المتعلقة بتحقيق الوحدة العربية واني لا اعتقد أن لاي انسان فضلا على الاخر وليس هناك شخص اكثر حماسا من الاخر سواء كان له ماض طويل عريض أو كان له ماض قصير، ونحن ولله الحمد ماضينا قصير ولكنه ماض غير ملوث. (أقصد بهذا القول حسني البرازي).

ايها الزملاء، انني اعتقد كل الاعتقاد بان امر المحافظة على النظام الجمهوري هو أمر ضروري حيوي كالمحافظة على استقلال وسيادة البلاد تماما وانني أسأل أي زميل بل أسأل الناس اجمعين من الذي ترشح للنيابة في بلادنا وتقدم الى الامة على اساس النظام الملكي، ان جميع الهيئات والافراد والزملاء تقدموا للامة على أساس حفظ استقلال البلاد وسيادتها وعلى اساس المحافظة على النظام الجمهوري ولذلك فاني أعتقد أن وضع كلمة المحافظة على النظام الجمهوري أمر ضروري كما قلت".

" لقد وقف خطباء هذا المجلس النيابي في مناسبات عديدة ورددوا هذا القول ولهم في ذلك المطولات الطويلة العريضة بالحفاظ على النظام الجمهوري ، فما هو الداعي اذن الى هذا التردد حول عدم وضع هذه الفقرة في اليمين، نحن ندرك حاجة الامة الملحة لتحقيق الوحدة العربية ونرجو من النواب المحترمين ان يوافقوا على وضع الفقرة المتعلقة بالحفاظ على النظام الجمهوري لاننا نؤمن بأن هذا النظام هو النظام الافضل لتحقيق الوحدة العربية الصحيحة أما المشاريع الاستعمارية التي يراد فرضها على البلاد العربية فهي ليست لتحقيق هذه الوحدة بل للحيلولة دون تحقيقها ولذلك اقترح الرجوع الى صيغة اليمين الدستورية الواردة في الدستور السابق ووضع الفقرة التي تنص على المحافظة على النظام الجمهوري".

عقب رئيس الجمعية على مناقشات النواب بقوله: "لقد اشتركنا في الجامعة العربية وبعض دولها مرتبط بمعاهدات أجنبية، وهذا الأمر لم يمس استقلالنا، وكذلك لا بد أنكم تعلمون أن الحكومة السورية قد رحبت في أبحاث الضمان الجماعي باتحاد عام للعرب واقترحته على الدول الأخرى. وقد لاقى ارتياحا عاما. كما رحبت به جميع الأوساط السورية، وأن الحكومة السابقة لم تخش عند ذلك على استقلال البلاد، مع أن بعض الدول مرتبطة بمعاهدات أجنبية".

طرح النواب بعد ذلك اقتراحات متنوعة متعددة فعرض الرئيس أولا الصيغة التي اقترحتها اللجنة لأن لعرضها على المجلس حق الأولوية، فوافقت عليها الجمعية بأكثرية 60 صوتا ضد 48. وقد بدا واضحا أثناء المناقشات والتصويت انقسام حزب الشعب حول صيغة القسم.

وانتهت الجلسة بتحديد يوم 12/19 /1949 موعدا لعقد الجلسة التي سيؤدي فيها رئيس الدولة والنواب اليمين الدستورية.

على كل حال فإن القسم لم ينص صراحة على المحافظة على النظام الجمهوري، مما جعل المضاعافات في صفوف الجيش تشتد وتتأزم، وقد زارني عشية 1949/12/18 الملازم حسين حدة، وقال لي أن العقيد أمين أبو عساف يطلب مقابلتي باسم مجموعة كبيرة من الضباط فاتفقت مع حسين حدة أن انتظره في ساعة محددة من الليل عند مطلع شارع بغداد، قرب المستشفى العربي، ومن هناك نذهب معا إلى معسكرات القابون حيث يكون بانتظارنا العقيد أمين أبو عساف. وفي الموعد المحدد ركبت مع حسين حدة سيارة جيب عسكرية وذهبنا إلى القابون واجتمعنا بأمين أبو عساف في غرفة باردة مجردة من الاثاث، إلا من طاولة صغيرة وسرير نوم حديدي، لذلك كان اجتماعنا وقوفا.

أخرج العقيد أبو عساف من جيبه وثيقة موقعة من عدد كبير من الضباط تنص على تكليفي باستلام رئاسة الدولة وحل

المجلس، والدعوة لانتخابات جديدة... فمزقت العريضة وقلت : مع احترامي للموقعين عليها ونواياهم الوطنية وثقتهم الغالية فإنني لا أوافقهم على هذا الرأي وهذه الخطة وأنا أنصحكم بأن تبقوا على الجمعية التأسيسية وعلى رئاسة الدولة وأن لا تغيروا، أو تبدلوا شيئا من الأوضاع.

إن حزب الشعب لا يمكن أن يخطو خطوة في مشروع الاتحاد بدون رضاكم والاتفاق معكم، وقد رأيتم ولا شك كيف أنهم وجلون مترددون رغم أن سامي الحناوي وجماعته متفقون معهم، بالاضافة إلى أنه يوجد بين قيادات حزب الشعب نفسه من يشجب هذا المشروع، ومهما عمل الفريق الآخر فإنه سيظل فريقا ضعيفا أمام الشعب والجيش لا حول له ولا قوة، وهم عندما سيرون اخفاق المشروع سيتحولون ويغيرون سياستهم كما تعلمون، إذ ليست القضية بالنسبة لهم قضية عقيدة ومبدأ. وبدا لي أن العقيد أمين أبو عساف قد اقتنع وهكذا انتهى الاجتماع.

في صباح اليوم التالي 1949/12/19 أفقت في ساعة متأخرة فاستصبحت بالعقيد عزيز عبد الكريم الذي دخل إلى غرفة نومي وأطلعني على مخطوطة بيان صغير، وأخبرني أن الجيش ألقى القبض على الحناوي وضباطه وعديله أسعد طلس وأودعوهم السجن لأنهم كانوا ينوون البطش بهم فعاجلوهم بهذه الحركة، وبعد ذهابه بقليل أذيع البيان من راديو دمشق وهذا نصه:

"بلاغ رقم 1 إلى الشعب السوري الأبي ... ثبت لدى الجيش أن رئيس الأركان العامة اللواء سامي الحناوي وعديله السيد أسعد طلس وبعض ممتهني السياسة في البلاد يتآمرون على سلامة الجيش وكيان البلاد ونظامها الجمهوري مع بعض الجهات الأجنبية... وإن ضباط الجيش يعلمون هذا الأمر منذ بدايته، وقد حاولوا بشتى الطرق، بالاقناع تارة وبالتهديد الضمني تارة أخرى أن يحولوا دون إتمام هذه المؤامرة، وأن يقنعوا المتآمرين بالرجوع عن غيهم فلم يفلحوا، فاضطر الجيش حرصا على سلامة البلاد وحفظا على نظامها الجمهوري أن يقصي هؤلاء المتآمرين، وليست للجيش أية غاية أخرى وأنه ليعلن أنه يترك أمر البلاد في

ايدي رجالها الشرعيين ولا يتدخل اطلاقا في القضايا السياسية، اللهم إلا اذا كانت سلامة البلاد وكيانها يستدعيان ذلك.

التوقيع

العقيـــــد أديـــــب الشيشكلي

وبعد ذلك تكشف لي أن الحركة لم تكن مقتصرة على أديب الشيشكلي وأمين أبو عساف وجماعتهما من الضباط الشباب، بل كان معهم أيضا الزعيم فوزي سلو، والزعيم أنور بنود، والعقيد عزيز عبد الكريم، والعقيد محمود بنيان، والعقيد توفيق نظام الدين، والعقيد شوكت شقير، والمقدم علاء الدين ستاسيس، والضباط الذين قاموا بتنفيذ الحركة فعليا وهم الرئيس فضل الله أبو منصور والرئيس حسين زعيني، والملازم حسين حدة، والملازم مصطفى دواليبي (شفيق معروف الدواليبي) والملازم أول اليكسي شبيعة، والملازم بكري الزوبري.

وكنت حتى ذلك الوقت لم أتعرف على معظم هؤلاء الضباط، ولكثرة عدد العقداء في هذه الحركة سميت حركة العقداء.

وقد علقت الصحف على هذا الانقلاب بما لا يخرج عما نشرته النهار البيروتية بتاريخ 1949/12/20 - العدد 4380-:

"لقد كان الناس يترقبون حدثا من نوع الاحداث التي تعاقبت على البلاد منذ انقلاب حسني الزعيم. لأن حكاية القسم وما رافقها من مناورات، ورسالة الحناوي الى الاتاسي ومناشدته اياه صيانة النظام الجمهوري، وغياب اكرم الحوراني عن جلسات المجلس الأولى، واعتراضه على نص القسم في الجلسة التالية، وظهور حسني البرازي على المسرح كداعية من دعاة اتحاد سوريا والعراق، هذه العوامل مجتمعة جعلت الناس يترقبون بادرة من جانب الجيش... ويجمع الناس على أن ما تم كان إنذارا للذين يعملون ضد النظام الجمهوري. إن الضباط الجمهوريين، بعد قيام الجمعية التأسيسية، استطاعوا حمل الحناوي على توجيه تلك الرسالة الى الرئيس الاتاسي، وفيها يطلب اليه الحفاظ على النظام الجموري، ولكن رئيس الأركان وعديله ما لبثا أن جددا نشاطهما في سبيل الملكية والأمير عبد الإله، فاتصلا بفريق من أعضاء

المجلس، فكان جواب هؤلاء إن بين الضباط من يقاوم المشروع، فقرر الحناوي على الأثر تطهير الجيش من العناصر المعارضة، وأصدر قرارات بإبعاد خمسة ضباط الى مراكز نائية عن دمشق، كما أصدر أوامره إلى رجال الشعبة الثانية بمراقبة بعض الضباط تمهيدا لاعتقالهم.

ليس في دمشق انقلاب، فلولا البلاغ الموقع من العقيد أديب الشيشكلي والذي أذيع من محطة دمشق لما علم أحد بالحادث، ولاضطرت الحكومة إلى اصدار قرار بإقالة اللواء سامي الحناوي الذي حجزه الجيش، ولكن الضباط أرادوا اطلاع الشعب على الحقائق.

إن كل ما جاء في هذا التعليق صحيح، أما غيابي عن جلسات المجلس الأولى فقد علم القارئ أسبابه الحقيقية.

68

1949: حركة العقداء تعلن أن الجيش لن يتدخل بالسياسة - البدء بتشكيل الوزارة - وزارة الأربع وعشرين ساعة - خالد العظم يشكل الوزارة - الترخيص للحزب العربي الاشتراكي.

تطورات الأوضاع إثر حركة العقداء.

كان أبرز انعكاسات حركة العقداء هو ما طرأ على الجيش نفسه إذ أصبح الزعيم أنور بنود (حلبي قريب من حزب الشعب وناظم القدسي) رئيسا للأركان العامة بدلا من اللواء سامي الحناوي، وعين العقيد أديب الشيشكلي معاونا لرئيس الأركان، وغسان جديد مديرا لشرطة الجيش، والمقدم ابراهيم الحسيني رئيسا للمكتب الثاني، والعقيد محمد ناصر قائدا لسلاح الطيران.

وعلى أثر الحركة مباشرة غادر الجاسوس البريطاني ستيرلنغ البلاد نهائيا، بحجة الاستشفاء في مصر كما أحدثت حركة العقداء تغييرا في مواقف الأحزاب السياسية والتكتلات وأوساط الجمعية التأسيسية، وقد خشي رئيس الدولة هاشم الأتاسي وحزب الشعب، في بداية الأمر، أن تستهدفهم الحركة مثلما استهدفت اللواء الحناوي، ولكن العقداء وعلى رأسهم أديب الشيشكلي أكدوا لحزب الشعب وللرئيس الأتاسي، بأن الحركة لا تستهدفهم وأنها لا تتعدى نطاق الجيش.

ثم أعلن ناطق بلسان الأركان العامة التصريح التالي :

"ادعت وكالات أنباء ومحطات اذاعة أجنبية أن ضباط الجيش قدموا عدة شروط وطلبوا من رئيس الدولة ورئيس الجمعية التأسيسية تعديل نص القسم الذي أقرته الجمعية التأسيسية.

إن هذه الانباء لا صحة لها، لقد قرر ضباط الجيش إقصاء اللواء سامي الحناوي لأنه استخدم نفوذه للضغط على بعض رجال السياسة، واستغل اسم الجيش لمحاولة الوصول إلى وضع لا يقره الجيش. وكان من الطبيعي أن لا يقبل الضباط هذه التصرفات وأن يثوروا عليها. وقد أرادوا، في حركتهم التي

انحصرت في النطاق العسكري، أن لا تذهب تضحيات الشعب السوري سدى، وأن يؤتي الانقلابان ثمرهما، وأن تصبح الحرية والديمقراطية حقيقيتين يتمتع بهما الشعب السوري وممثلوه، والجيش يعلن أنه لن يتدخل بأية طريقة في السياسة العامة، وأنه يعتبر مهمته مقصورة على الدفاع عن حدود البلاد وسلامتها. والجمعية التأسيسية وحدها لها حق توجيه السياسة السورية، وقد عادت قوات الجيش الى ثكناتها تاركة السلطة الى ممثلي الأمة الشرعيين، متمنية لهم النجاح في مهمتهم، وهي تبقى تحت تصرفهم لتأمين الدفاع عن البلاد ضد كل ما يهدد استقلالها وكيانها".

وزيادة في التوضيح صرح ناطق باسم الجيش بما يلي :

"إذا كانت الغاية من مشروع الاتحاد السوري العراقي اتحاد الشعبين، فالشعب السوري بأجمعه يؤيدها ويندفع الى تحقيقها بكامل قوته. لكن حقيقة الدعوة ترمي إلى اقامة عرش في سوريا يتربع عليه شخص سيجد نفسه بعد أربع سنوات بلا عرشٍ، وإذا كان القائلون بالاتحاد يكذبون ذلك، فليتكرموا بالاجابة على السؤال التالي: لماذا لم يقم اتحاد بين الحجاز وشرق الأردن والعراق عندما كان الشريف حسين ملكا في الحجاز وولداه في شرق الأردن والعراق؟ بل لماذا لا يقوم اليوم اتحاد بين العراق والاردن وعرشا البلدين يتربع عليهما عم وابن أخيه؟".

□

بعد هذه التأكيدات من قبل الجيش، عدل الرئيس هاشم الاتاسي عن استقالته من رئاسة الدولة، وكلف خالد العظم بتشكيل الحكومة، فأشرت على أديب الشيشكلي والعقداء بضرورة تأييد خالد العظم ودعمه بتأليف الحكومة فأبلغوه قرارهم وتأييدهم.

ابتدأ خالد العظم استشاراته مع رشدي الكيخيا زعيم الاكثرية المجلسية، فعارض الكيخيا اطلاق يد العظم بانتقاء الوزراء من أعضاء حزبه، وأصر على تسميتهم من قبله ليضمن ولاءهم لسياسته، فقدم خالد العظم اعتذاره عن تأليف الحكومة للرئيس الأتاسي.

والحقيقة إن تفاعلات الحركة العسكرية لم تمر بهذه البساطة فقد حدث إثرها انقسام في الرأي بصفوف حزب الشعب فتولى شاكر العاص وعبد الوهاب حومد ومعروف الدواليبي وعلى بوظو وجورج شلهوب الدعوة لاستمرار الجمعية التأسيسية في وضع الدستور الجديد، بينما كان رشدي الكيخيا رئيس حزب الشعب يريد أن يحرج الجيش ويورطه باستلام الأمور على انقاض الجمعية التأسيسية، ليضمن وحدة حزب الشعب، أما الدكتور ناظم القدسي فقد كان مترددا بين الطرفين، ولم يتح لرشدي الكيخيا أن يفرض موقفه بسبب تزايد عدد المعارضين في الجمعية التأسيسية الذين أصبحوا في رفضهم لمشروع الاتحاد اكثر جرأة من ذي قبل، وكان إصراره على موقفه يمكن أن يعرض حزبه للانفراط.

اتجه هاشم الأتاسي لتكليف ناظم القدسي بتأليف الوزارة فألفها بسرعة منتقيا ستة من حزب الشعب وثلاثة من المستقلين، وقد عرفت هذه الوزارة بوزارة الأربع وعشرين ساعة لأنها انهارت في يوم واحد، وكانت تتألف من ناظم القدسي (الرئاسة والخارجية) وهاني السباعي (المعارف) وأحمد قنبر (الداخلية) وشاكر العاص (المالية) وفيضي الأتاسي (الدفاع والاقتصاد) وزكي الخطيب (العدل) ومحمود العظم (الزراعة) وجورج شلهوب (الصحة) ومحمد مبارك (الاشغال العامة).

وقد أذاع القدسي نبأ استقالة الحكومة من راديو دمشق، دون أن يعلم رئيس الدولة هاشم الأتاسي، وبرر هذه الاستقالة بأنه سمع بشكل غير رسمي بأن الجيش غير راض عن تاليفها على هذا النحو، وكان من الممكن أن تستمر هذه الحكومة مع تطمين الجيش وإعادة الثقة إليه، ولم يعرف حتى الآن السبب الحقيقي لهذا الموقف، وقد يكون هدف القدسي إظهار الجيش بمظهر المتدخل منذ اليوم الأول لتشكيل الوزارة، فقد أخبرني أديب الشيشكلي بأن القدسي استدعاهم لوزارة الخارجية بعد تأليف الحكومة وأبلغهم نبأ تأليفها على الشكل الذي ذكرته

فصمتوا إلتزاما منهم بعدم التدخل فأراد القدسي أن يفسر سكوتهم بعدم رضاهم عن تأليف الحكومة.

وكانت حكومة القدسي قد عقدت اجتماعا استغرق ساعتين بتاريخ 1949/12/25 لصياغة البيان الوزاري. وفي الساعة العاشرة والنصف ليلا استدعى القدسي الوزراء للاجتماع في مبنى الخارجية، واستغرق الاجتماع دقائق قليلة، ولما كان الرئيس الأتاسي نائما فقد أذيع نبأ استقالة الحكومة من محطة الاذاعة وأرجيء تقديم كتاب الاستقالة لرئيس الدولة الى صباح اليوم التالي ولما سئل زكي الخطيب عن سبب الاستقالة أجاب: "لا حول ولا قوة الا بالله.. لا توجد أسباب".

كان لاستقالة حكومة ناظم القدسي، بالشكل الذي جرت به، أثر سيء في الجيش وفي الجمعية التأسيسية وحتى في أوساط حزب الشعب نفسه. وقد اعتبرناها مؤامرة من حزب الشعب لاحراج الجيش والبلاد، فأصدرت رئاسة الأركان العامة في الجيش يوم 1949/2/26 بيانا كان له أثر كبير في تسهيل تشكيل حكومة خالد العظم وهذا نصه :

" الى الشعب السوري الكريم :

إن الأحداث الثلاثة التي وقعت في البلاد، والتي قام بها الجيش، لهي انتفاضة الحيوية في صفوف الأمة ونتيجة طبيعية للسياسة التي تبناها مسؤولون في فترة دقيقة من تاريخ الوطن.

إن الأركان العامة للجيش تحرص أن يطلع الشعب الكريم على تفاصيل الأمور ليتمكن كل مخلص من كم أفواه المغرضين ومساندة الجيش في مسعاه لإقصاء العناصر الفاسدة وبث روح التقدمية في صفوف الأمة صونا لانطلاق الجوهر العربي في أجواء حرة تغمرها العزة والكرامة.

لقد استهدف انقلاب الثلاثين من آذار هذه المبادئ غير أن القائمين على الأمور قد استغلوها لأغراض شخصية فخرج الانقلاب عن هدفه الأساسي، وكان الانقلاب الثاني نتيجة طبيعية لتقويم هذا الاعوجاج.

وظن ضباط الجيش الذين ساهموا مع اللواء سامي الحناوي وتبنوه رمزا لحركتهم أنه سيصلح ما أفسد الحكم السابق وأن مجرى الأمور سيؤدي الى اعادة الحياة الدستورية والنظام الجمهوري الذي يوافق رغبات الشعب والفكرة التقدمية في العالم، غير أنه تبين لسوء الحظ أن اللواء سامي الحناوي لم يكن غير أداة طيعة تسيرها أهواء مغرضة تستهدف القضاء على استقلال البلاد.

فقد بدأ اللواء سامي الحناوي فور تسلمه مركز رئاسة الأركان العامة بمفاوضة كبار ضباط الجيش بطريقة مباشرة وغير مباشرة للموافقة على اعلان اتحاد يطيح باستقلال سوريا ونظامها الجمهوري، مبينا أن القيام بهذا العمل يجب أن يكون بصورة فجائية تجعل حسب زعمه الرأي العام العالمي والسوري أمام الواقع، وكان يؤكد في أحاديثه أنه متفق على هذه الخطة مع بعض كبار رجال السياسة الذين يرون رأيه بوجوب الاسراع بهذا الأمر عن طريق الجيش منعا للمشاحنات البرلمانية والحكومية ونقمة الشعب التي قد تحدث فيها إذا عرض الأمر بصورة طبيعية على أعضاء الجمعية التأسيسية.

وقد لفت كبار الضباط أنظار اللواء سامي الحناوي مرارا وتكرارا، بعد أن تكشفت النوايا، الى الويلات التي يجرها على البلاد السورية خاصة والعربية عامة هذا الاتجاه الخطر الذي سيؤدي إلى انشقاق مريع في صفوف العرب، وفقدان البلاد السورية استقلالها، كما أنهم لفتوا أنظار بعض كبار رجال السياسة الى ذلك، غير أن كل هذه المساعي باءت بالفشل.

وعقب اجتماع الجمعية التأسيسية بدأ ضباط الجيش المقربون بحكم وظيفتهم إلى اللواء سامي يشعرون بالتوجيه الذي يقوم به هو وعديله أسعد طلس باسم الجيش، وكذلك بعض القادة السياسيين، لقسم من النواب لحملهم على تحقيق أغراضهم.

وفي الأيام التي سبقت إقصاء اللواء سامي نقل إلى بعض الضباط من مصادر موثوقة أن بعض رجال السياسة اشترطوا على اللواء سامي اعتقال عدد من كبار الضباط حتى يتسنى لهم حمل الجمعية التأسيسية ولو بالقوة إذا اقتضى الأمر وإقرار المشروع الاستعماري فورا.

وبعد نقل هذا الخبر بأقل من ثلاثة أيام، أي مساء الجمعة الواقع في 1949/12/16 استدعى اللواء سامي ليلا إلى منزله خمسة من كبار الضباط

بعد أن هيأ الوسائل اللازمة لاعتقالهم ولكن عندما علم أن سر الاعتقال قد ذاع بين أوساط الجيش واتخذت تدابير معاكسة له تراجع عن التنفيذ، ولكنه في اليوم التالي أمر باجراء بعض التنقلات في قيادات القطعات، وفي صباح يوم الاثنين الواقع في 1949/12/19 أمر اللواء سامي الحناوي كتيبة المدرعات المرابطة بجوار دمشق القيام بسد منافذ المدينة منعا لدخول قطعات عسكرية من الخارج حتى يتمكن من إجراء الاعتقالات التي قررها. ولكن ضباط هذه الكتيبة عندما ظهرت لهم نية اللواء سامي عملوا فورا على إقصائه عن القيادة.

وقد ذهب وفد من كبار ضباط الجيش الى منزل فخامة رئيس الدولة وعرضوا له أسباب التدابير التي اتخذت، وصرحوا له بصورة قاطعة أنهم لن يتدخلوا بأي عمل سياسي وأن كل رغبتهم هي أن يضطلع المجلس التأسيسي بمسؤوليته دون ضغط أو إكراه.

أيها الشعب الكريم :

إن الجيش السوري بضباطه وجنوده عربي قومي ينشد تحقيق الوحدة العربية الصحيحة بأجلى معانيها، وأن الجيش يرى في المشروع الاستعماري مؤامرة يقصد منها القضاء على استقلال سوريا وتحطيم جيشها وإنشاء عرش جديد يبعد تحقيق الوحدة المنشودة.

إن الجيش يرفض أن يكون أداة طيعة لتحقيق الأغراض الاستعمارية لأنه من أبناء الشعب يتحسس بشعوره وعليه تقع مسؤولية الدفاع عن استقلال البلاد وحفظ كيانها وسيادتها، وكان بود الجيش، بعد إقصاء اللواء سامي، أن لا يذيع أي بيان على الرأي العام، سوى أن الدعايات المغرضة التي قام بها المتآمرون مع الأجنبي دعته لاطلاع الجمهور على بعض خفايا الأمور".

تشكيل حكومة خالد العظم .

"أتشرف بأن أرفع إلى فخامتكم استقالة الحكومة التي أتشرف برئاستها، شاكرا لفخامتكم الثقة الكريمة بي وباعضاء وزارتي التوقيع : ناظم القدسي".

ما أن قرأ هاشم الاتاسي هذا النص المقتضب لاستقالة وزارة الأربع وعشرين ساعة حتى بادر هو أيضا إلى كتابة رسالة باستقالته من رئاسة الدولة وسلمها إلى رشدي الكيخيا رئيس الجمعية التأسيسية.. وبعد ذلك بساعات قليلة صدر بيان الجيش الذي اثبته بالنص، فكان له أثر كبير على النواب الذين ما لبثوا أن هرعوا الى الندوة البرلمانية مستغربين مندهشين ومستنكرين، وكانت مداولاتهم بمثابة اجتماع غير رسمي اقترحوا فيه تأليف لجنة من مصطفى السباعي وفيضي الأتاسي وأكرم الحوراني دعوها لجنة التوفيق.

وقد قامت اللجنة فورا بالاتصال مع هاشم الأتاسي ورشدي الكيخيا وخالد العظم الذي كانت لجنتنا ترى ضرورة تكليفه بتشكيل حكومة ائتلافية، كما عملت اللجنة على عودة هاشم الأتاسي رئيس الدولة عن استقالته، وعلى اقناع الكيخيا بأن يكون ايجابيا في موقفه فأسفرت جهود اللجنة عن النجاح في مهمتها.

ولما انعقدت الجمعية التأسيسية يوم 1949/12/27 لتسمية أعضاء لجنة الدستور، قال رشدي الكيخيا :

تلقيت بالأمس رسالة من فخامة الرئيس الجليل موجهة إلى الجمعية التأسيسية يطلب فيها قبول استقالته من رئاسة الدولة، وإنني أرى ضرورة بقاء صاحب الفخامة في رئاسة الدولة، بالنظر للمهام الكبرى التي تترتب على هذا المنصب الخطير في مثل هذه الظروف الحرجة، ومما لا شك فيه أن هذا المجلس الموقر الذي أجمع على انتخاب صاحب الفخامة يحرص كل الحرص على بقائه في سدة الرئاسة لكي يعالج المشاكل الكبرى التي تتعرض لها البلاد في هذا الظرف الحاضر، وذلك ريثما يتم وضع الدستور. لهذا فإنني أرجو من المجلس الكريم أن يرد هذه الاستقالة".

وقد امتدح النواب الرئيس الأتاسي وأثنوا عليه ورجوه تلبية رغبتهم بالعدول عن الاستقالة، ورفع رشدي الكيخيا هذا القرار إلى الرئيس الأتاسي فقبل به، وكلف خالد العظم بتشكيل الوزارة.

استشارني خالد العظم بصدد اشتراكي في الوزارة، وكان ذلك أمرا محرجا لي، لأنني كنت من أعضاء لجنة التوفيق التي تهدف إلى التعجيل بتشكيل الحكومة وإزالة كل عقبة من طريقها، لقطع الطريق أمام استفحال الأزمة والانشقاق والانهيار... وقد كنت كارها الاشتراك بالحكومة وكنت أفضل أن أظل حرا طليقا في استخدام منبر الجمعية التأسيسية والانصراف للعمل في الأوساط الشعبية، وتطوير حركة الفلاحين المتصاعدة، وتنظيم إطارات الحزب.

ولكنني لم أر بدا من الاشتراك بحكومة خالد العظم بعد أن وضعني أمام خيار صعب إذ قال لي :

"لا يمكنني أن أؤلف الحكومة دون أن تشترك فيها، لأن اشتراكك فيها هو الضمانة الوحيدة لثقة الجيش، إذ كيف يمكنني أن أؤلف حكومة لا يطمئن إليها الجيش ولا يثق بها؟ إنني لا أخدع بالتأييد الذي لقيته من حزب الشعب، فهو توريط لا تأييد، لأن حزب الشعب لن يلبث أن يخاصم الحكومة ويدس عليها منذ أن يشعر بأن العاصفة قد مرت.. وإنني إذا اعتذرت عن تشكيل الحكومة فإن النهاية معروفة، وهي استقالة رئيس الدولة وانفراط الجمعية التأسيسية، فنكون بذلك قد حققنا ما يرغب به الأعداء المتربصون".

قبلت بالاشتراك في حكومة العظم مرغما على أن يكون اشتراكي موقوتا بعودة الأمور إلى مجراها الطبيعي، لكنني فوجئت بإصراره على إشراك ابن عمه عبد الرحمن العظم في هذه الحكومة، بداعي الحرص على كسب تأييد نواب حماه ومن يلتف حولهم. ولم يصغ خالد العظم إلى نصيحتي له بأن اشتراك ابن عمه سوف لا يغير من موقف هؤلاء، وأن بوق نوري السعيد

فـي الجمعيـة التأسيسـية حسـني البـرازي سـوف يوغـل بـالنفخ بأعنف من السابق.

كـان هـم خالـد العظـم أن يؤلـف حكومـة ائتلافيـة تحـوز ثقـة الجمعية التأسيسية بأكثرية ساحقة، فشكلها على النحو التالي :

خالد العظم للرئاسة والخارجية.

فيضي الأتاسي للعدلية .

فتح الله آسيون للصحة.

سامي كبارة للداخلية.

اكرم الحوراني للدفاع.

هاني السباعي للمعارف.

معروف الدواليبي للاقتصاد.

محمد المبارك للأشغال العامة.

عبد الباقي نظام الدين للزراعة.

عبد الرحمن العظم للمالية.

وبذلك تكون الوزارة مؤلفة مـن اربعـة نـواب شـعبيين، وثلاثـة مستقلين، واثنين من الكتلة المستقلة، برئاسة حيادي مـن خـارج المجلس.

وفي نفس اليوم الذي تشكلت فيـه أول حكومـة بعـد حركـة العقـداء فـي سـوريا، وصـل إلـى بغـداد الملـك عبـدالله فـي زيـارة مفاجئة للعـراق، وقالـت وكـالات الأنبـاء إن "سـمو الوصـي وجلالـة العاهل سيتباحثان في الموقـف المشـترك الـذي يجـب أن يتخـذاه إزاء الأوضـاع الراهنـة فـي سـوريا". وهكـذا التقـى طرفـا العائلـة الهاشمية، بعد أن وصل انقسامهما وخلافهمـا حـدود العلنيـة بـين مشروع سورية الكبرى ومشروع الاتحاد مع العراق.

وفي اليوم التالي عقـد مجلـس الـوزراء أول اجتماعاتـه فقـرر إلغاء الرقابة على الصحف وباشر بوضع صيغة البيان الوزاري.

وكانت العقبة هي موضوع صيغة القسم الذي أقرته الجمعية التأسيسية والذي كنت قد امتنعت وبعض النواب عن حلفه. ولم يطل النقاش حول هذا الموضوع لأن الوزراء بمجموعهم كانوا يفضلون عدم إثارة جهة أو كتلة نيابية فاتفقوا أن يكون البيان مقتضبا وأن يشار فيه إلى المحافظة على استقلال سوريا ونظامها الجمهوري وحيادها تجاه المعسكرات الدولية والمحاور العربية، والتمسك بالضمان الجماعي، والعمل لتحقيق الوحدة العربية عن هذا الطريق، وبذلك نصل إلى الهدف دون اللجوء إلى اسلوب الاثارة.

وفي غضون ذلك عقدت الجمعية التأسيسية جلسة، مساء 1949/12/29، لم تمض دون إثارة وإحراج. فقد طلب حسني البرازي أن يبين الدكتور ناظم القدسي للجمعية أسباب استقالة وزارته، وهو يقصد من وراء ذلك الإيهام بأن الجيش أرغمه على الاستقالة، وزيادة في إحكام العملية فإن القدسي لم يحضر هذه الجلسة، وقد أجاب رشدي الكيخيا بأن استقالة الوزارة لا تقدم عادة للبرلمان وإنما إلى رئيس الدولة.

وبعد البرازي تكلم منير العجلاني فقال : لقد سمعنا إذاعات الصباح التي أكسبتنا نصيرا جديدا يدافع عن استقلال سوريا وكيانها الجمهوري، وهذا النصير هو إسرائيل.. ثم قال: نحن عرب ونحب العرب وسنعيش في سبيل العرب.. الخ.

فأجبته على الفور قائلا: إذا كان قصد الدكتور العجلاني التورية لتأنيب الأشخاص المتمسكين بالنظام الجمهوري فإنني أنصحه بأن لا ينسى خطاباته الطويلة في تأييد النظام الجمهوري، وإنني مستعد الآن لإخراج نصوص هذه الخطابات.

كما أثير في تلك الجلسة موضوع صيغة قسم رئيس الدولة واليمين الدستورية من جديد.

وفي 1950/1/5 عقدت الجمعية التأسيسية جلسة لسماع البيان الوزاري الذي قمت بوضعه مع الدكتور معروف الدواليبي والدكتور محمد المبارك، وقد جاء فيه :

"إن الحكومة إذ تباشر عملها في حدود الدستور الموقت، تستوحي في الوقت ذاته تقاليدنا الجمهورية والديمقراطية، آخذة بأسباب التقدم في خدمة الشعب ريثما يتم وضع دستور جديد للبلاد.

وسنحرص أشد الحرص على استقلال البلاد وسيادتها وسلامة أراضيها متجهين بذات الوقت نحو مصلحة العروبة وما تتطلبه من توثيق الصلات وتمكين أسباب التضامن بين البلاد العربية على السواء، على ما يقتضيه أمنها وخيرها. لقد بلغ علمكم وعلم المواطنين الكرام ما دار في القاهرة من مباحثات حول مشروع الضمان الجماعي، وأن الحكومة الحاضرة ستواصل الاشتراك في تلك المباحثات باذلة قصارى جهودها حتى يأتي المشروع متفقا مع الأمنيات التي تختلج في ضمير كل عربي.. أما سياستنا مع الدول الأجنبية فسوف نرعى بشأنها أسباب الصلات الحسنة والصداقة ضمن حدود مصلحتنا القومية والوطنية مع مراعاة أحكام الشرع الدولي". وقد وزع البيان الوزاري على النواب لدراسته.

□

عين الكيخيا تاريخ 1950/1/7 موعدا لانعقاد الجمعية التأسيسية دون أن يرفقها بجدول للأعمال، وعندما حضرت إلى البرلمان شاهدت موسيقا الدرك مصطفة على جانبي الطريق قد خلت غرفة الوزراء وسألت خالد العظم ما الخبر؟

قال: إن الكيخيا عين هذه الجلسة - دون علمنا - موعدا لحلف رئيس الدولة اليمين الدستوري، فقررنا المقاطعة والامتناع عن الدخول مع رئيس الدولة إلى قاعة البرلمان، وعندما قرع الجرس دخل إلى غرفتنا هاشم الأتاسي وهو يرجو أن ندخل معه إلى قاعة المجلس فاعتذر خالد العظم.. فاضطر الأتاسي أن يدخل مع رشدي الكيخيا، وعندما خرج من قاعة المجلس دخل إليها خالد العظم والوزراء.

وقد ألقى رئيس الدولة بعد تأديته القسم الدستوري الكلمة التالية :

"ايها السادة لقد دعيتم الى وضع دستور للبلاد هو الثالث بعد انفصالها عن الدولة العثمانية، فعسى أن تجد فيه الأمة طلبها وتحقق رغبتها لا سيما وأنها تجتاز مرحلة دقيقة في تاريخها السياسي، تتجاذبها تيارات متنافرة وتتقاذفها قوى متحفزة، فأسأل الله تعالى أن يوفقكم لوضع دستور يتفق وحاجات الزمن ومقتضيات الظروف المحيطة بالبلاد، صائنا مصالحها القومية، ضامنا تقدمها الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والاداري، كافلا سيادتها وحريتها وكرامتها، باعثا على الطمأنينة والاستقرار اللذين هي بحاجة اليهما، آملا أن يحاط الدستور بما يحفظ قدسيته فلا تناله يد الزمن بالتغيير والتحوير السريع ولا تعبث به النزعات والأهواء".

وبعد أن غادر الرئيس الأتاسي الندوة البرلمانية تحدث عدد كبير من النواب في معرض مناقشة البيان الوزاري، بين مؤيد ومعارض، كما ألقى الدكتور عبد الوهاب حومد بيانا باسم حزب الشعب يمنح فيه الثقة للحكومة، وقد لوحظ أن جلال السيد غير مقعده والتزم جانب حسني البرازي. وقد تكلم الاثنان طويلا في بيان أسباب معارضتهما البيان الوزاري، فقد اعترض جلال السيد على ما جاء في البيان باستلهام التقاليد الجمهورية والديمقراطية، كما طعن بما ذكره البيان عن العلاقات مع الدول العربية "على السواء" وختم خطابه بقوله: "ولكي أكون منسجما مع نفسي ومع حزبي وأمتي فإنني أعلن حجب ثقتي عن هذه الحكومة".

وقد نالت الحكومة الثقة بثلاثة وتسعين صوتا ومخالفة تسعة نواب، كان من بينهم بالإضافة إلى جلال السيد، حسني البرازي، حسن الحكيم، أحمد قنبر، هايل سرور، صبحي العمري.

ثم جرى حلف اليمين الدستورية من قبل النواب بشكل جماعي، بأن راح أمين السر يتلو القسم والنواب يرددون العبارات وراءه، أما أنا فقد انسحبت من القاعة منذ أن بوشر بتلاوة القسم الذي لم يتضمن عبارة "المحافظة على النظام الجمهوري" وقد

جاء في العدد 4004 من جريدة القبس بتاريخ 1950/1/10 تحت عنوان: "نواب لا يحلفون اليمين وينسحبون من الجلسة" ما يلي :

"إن الوزراء النواب لم يقسموا اليمين كلهم، فإن السيدين أكرم الحوراني وزير الدفاع وعبد الباقي نظام الدين وزيرالزراعة انسحبا من الجلسة حين باشر أمين السر بتلاوة صيغة اليمين، وخرجا الى غرفة الوزراء، ولم يعودا إلا بعد الانتهاء من حلف اليمين".

وفي هذه الجلسة تم انتخاب عدد من النواب في عضوية اللجنة التي ستضع مواد الدستور، برئاسة الدكتور ناظم القدسي، كما سمي الدكتور عبد الوهاب حومد مقررا لهذا اللجنة.

لم يقف الشعب من تطورات الاوضاع في الجيش والجمعية التأسيسية موقف المتفرج اللامبالي فقد كانت ردة الفعل العفوية لبيان العقداء وتشكيل الحكومة إرسال العرائض والبرقيات من جميع أنحاء البلاد بتأييد النظام الجمهوري وشجب المؤامرة الاتحادية الاستعمارية، وكان دور الطلاب في هذا الموضوع بارزا جدا. ففي 1950/1/3 تجمع طلاب الجامعة السورية والمدارس الثانوية بمظاهرات ضخمة بدأت منذ التاسعة صباحا وطافت شوارع العاصمة وهي تهتف بحياة سوريا الجمهورية، وكانت تحمل لوحات كتب عليها "ليسقط عملاء الاتحاد الاستعماري" "عاشت سوريا جمهورية حرة" "عاش النظام الجمهوري" "عاش المناضلون الأحرار" "الطلاب جمهوريون دوما". وقد طافوا أمام جميع الوزارات وأمام سراي الحكومة القى أحد الطلاب بيانا باسم المتظاهرين جاء فيه : "نرى لزاما علينا أن نوضح موقفنا نحن الطلاب تجاه ما يجري في بلادنا من أمور تهدد كياننا الجمهوري، إن بلادنا حطمت القيود، وخرجت من ظلمات الاستعمار الى نور الحرية، واننا نعلن للملأ اننا جمهوريون أحرار مستقلون نستميت في الدفاع عن النظام الجمهوري".

كما قامت مظاهرات للطلاب والطالبات في حوران وأرسلت اللجنة الطلابية برقية الى الجمعية التأسيسية والحكومة

والصحافة بتأييد النظام الجمهوري... وأرسل طلاب حمص عريضة مذيلة بمئات التواقيع تذكر بنضال الشعب السوري الذي قدم الضحايا لصيانة استقلال نظامه الجمهوري وتعرب عن استعداد الطلاب للدفاع عن الجمهورية، كما رفعت أديبات ومثقفات وعاملات وربات بيوت في حمص، مدينة رئيس الدولة، عرائض مذيلة بمئات التواقيع لا تخرج في معانيها عن برقيات الطلاب (النصر 1950/1/3) والواقع أن المظاهرات والعرائض تواردت من جميع انحاء البلاد بشكل عفوي.

لقد كان الطلاب في عهد الانتداب، وبعد الجلاء، طليعة الأمة العربية في جميع أقطارها، ولا يزالون، وقد صمد هذا القطاع من الشعب في أحلك الظروف، وصبغت دماء الطلاب شوارع البلاد العربية من اقصاها الى أقصاها دفاعا عن الاستقلال والحرية والقيم الوطنية والتقدمية والانسانية.

ولم يقتصر التحرك الشعبي على قطاع الطلاب، بل شاركهم الفلاحون، فما أن سمعوا بتشكيل الحكومة التي أصبحت فيها وزيرا للدفاع، وكانت قوى الأمن مرتبطة بهذه الوزارة حتى بدأت دائرة انتفاضاتهم ضد الاقطاع تأخذ بالاتساع والتطور السريع، وهذا نموذج لما جرى في بعض انحاء البلاد آنذاك.

"رسالة من قضاء مصياف لجريدة "النصر" بتاريخ 1950/1/5 :

"أعلنت القرى المملوكة العصيان المدني على الملاكين في قضاء مصياف، وتأزمت الأمور بين الفريقين، حتى أصبحت هذه القضايا الشغل الشاغل للقضاء، وقد حضر المحاميان أحمد سلطان ورئيف الملقي وكيلا نجيب البرازي صاحب قرية السويدا، كما كان أحمد سلطان أيضا وكيلا عن آل حج حسين - من عائلات مصياف- وكان يوسف تقلا وكيلا لفلاحي قرية الحريف".

وهكذا نرى أن تحركا اجتماعيا سياسيا بعيد المدى أخذ يتفاعل في البلاد.

وفي تلك الفترة بالذات تقدمنا بطلب الى وزارة الداخلية للترخيص بإنشاء حزب سياسي دعوناه "الحزب العربي

الاشتراكي". وكان الأعضاء المؤسسون: أكرم الحوراني، سامي طيارة، احسان حصني، خليل كلاس، سعد الدين الخاني، نجيب عبد الرزاق، محمد عطورة، نعمة الشيخ خالد، وقد أجازت وزارة الداخلية الترخيص للحزب بتاريخ 1950/1/4 الذي باشر ممارسة نشاطه رسميا منذ ذلك اليوم.

1950: في وزارة الدفاع- كانت سياستي في تلك الوزارة تطمين الجيش وخلق الثقة المتبادلة بينه وبين الجمعية التأسيسية- الاهتمام بسلاح الطيران وايفاد عدد كبير من الضباط لمتابعة الدراسة وتعميق الاختصاص- الاهتمام بجهاز الدرك وبمخابرات الجيش- عقد صفقة شراء طائرات المتيور.

مفاجآت في اليوم الأول .

منذ اليوم الأول لاستلامي وزارة الدفاع فوجئت بسيارة الوزارة يرفرف عليها علم الجمهورية، وكان هذا الأمر مقتصرا على سيارتي رئيس الدولة ورئيس المجلس النيابي فقط، فتحملت ذلك بامتعاض لأنني بطبعي أكره هذه المظاهر، وقلت أن هذه الظاهرة هي من بقايا انقلاب حسني الزعيم، إذ ربما كان رفع العلم على مقدمة سيارة وزير الدفاع هي ردة فعل على سياسات العهود السابقة.

وعند باب الوزارة فوجئت بمظهر احتفالي آخر أربكني، فقد اصطف الجنود وانطلق البوق لأداء التحية، فرددت التحية بعجل وأنا مطرق، ودخلت دون أن ألوي على شيء، فلفت نظري رئيس الأركان بتودد ولطف إلى أصول رد التحية، ثم صرت لا أجد صعوبة في أن أودي التحية الرسمية عند دخولي إلى وزارة الدفاع كل صباح.

والعبء الثقيل الآخر كان في مواجهة سيول التهاني والشكاوى والمراجعات بشكل يستغرق الوقت كله. أما التهاني فقد اكتفيت بالرد عليها بشكر عام في الصحف وانتهى الأمر، لكن وفود المهنئين ظلت تشغلني حتى الليل في كثير من الاحيان، وبعد المهنئين بدأت وفود المراجعين بشكل يعطل كل عمل، ولا سيما نواب الجمعية التأسيسية وما يحملونه إلي من طلبات

تتعارض جذريا مع اتجاهنا وسياستنا. ولم أر بدا من استعمال المسايرة أحيانا لأننا كنا بحاجة إلى هؤلاء النواب.

زارني في مكتبي بوزارة الدفاع ذات يوم حكمت الحراكي نائب المعرة، وهو إقطاعي كبير وذو نفوذ في البرلمان والدولة، وطلب مني أن أصدر قرارا بنقل قائد درك المعرة فوعدته بأن أنظر في الأمر، وحين سألت عن ذلك الضابط شهد رؤساؤه بأنه شاب يمتلئ حيوية ونشاطا واستقامة، ورغم تهربي من طلب الحراكي فقد أحرجني لأنه لم يترك أحدا إلا ووسطه في هذا الأمر وأخيرا قلت له:

أنت رجل متدين فكيف تدعي أن هذا الضابط المستقيم يسيئ استعمال وظيفته؟ مع ذلك فإنني سأنقله وسأرسل لك ضابطا خيرا منه.

وفعلا فقد أبرقت لهذا الضابط وقدمت له وساما مكافأة له على إخلاصه واستقامته في وظيفته وقلت له سأنقلك من المعرة لا تكديرا بل تقديرا وترفيعا، ثم أبدلته بضابط آخر يماثله كفاءة واستقامة وصلابة.

إصلاح جهاز الدرك .

كان أول ما اتجهت إليه اهتماماتي في وزارة الدفاع هو قضية الدرك، تلك القضية التي ستكون الشرارة التي تشعل نار الأزمة بين أديب الشيشكلي وحزب الشعب فيما بعد وتنتهي بانقلابه على الجمعية التأسيسية.

لقد بذلت فرنسا عناية خاصة بجهاز الدرك السوري في عهد الانتداب فهو جهاز الأمن الذي يكفل لها سيطرتها على البلاد، لذلك طبقت عليه النظام الذي يسير عليه الدرك الفرنسي فتطور جهاز الدرك السوري تطورا كبيرا في سلوكه وتنظيمه وانضباطه حتى أصبح مضرب المثل بعد أن كان في العهد التركي أسوأ أجهزة الدولة، ولكن هذا الجهاز ما لبث أن انتكس بعد الاستقلال وعاد الى سيرته "التركية" القديمة من تفشي الرشوة و سوء الاستعمال وقلة الانضباط، فتهلهل ووصل إلى الدرك

الأسفل من الفساد، بعد أن حوله "حكم المزرعة" إلى أداة لخدمة أغراض المتنفذين، حتى أصبح الدرك عصابات للرشوة وإثارة الفتن والايقاع بمن لا حول لهم من الفلاحين والضعفاء.

وبعد انقلاب حسني الزعيم ارتبطت قوى الدرك بوزارة الدفاع ولاقت هذه الخطوة استحسانا ورضى من عامة الشعب لأنها قطعت الطريق على المتنفذين في استخدامهم جهاز الدرك لتنفيذ مآربهم الخاصة، ولكن وزارة الدفاع تركت أوضاع الدرك الفاسدة على حالها، لذلك كان أول ما فعلته تشكيل لجنة لدراسة أوضاع ضباط الدرك وتسريح جميع المرتشين والمرتكبين منهم، على اختلاف رتبهم، وبعد دراسات دقيقة سرحت ما يقارب الخمسة عشر ضابطا وجلهم من ذوي الرتب العالية. فأثار هذا التدبير ضجة كبرى، وتعرضت لضغوط شديدة لم أتعرض لمثلها في حياتي السياسية، فقد تألب علي أعضاء الجمعية التأسيسية والحكومة وأناس أعرفهم ولا أعرفهم. ولكنني صممت على تسريح أولئك المفسدين، وأفهمت خالد العظم بأن بقائي في الحكومة منوط بصدور مرسوم التسريح وهكذا كان.

وفي الوقت ذاته قدمت التقديرات والثناءات للضباط الأكفياء ، واجتمعت بهم وتعرفت عليهم كما أوفدت بعثة من ضباط الدرك الى فرنسا للدراسة والاختصاص.

ورغم قصر المدة التي قضيتها في وزارة الدفاع فقد انقلب جهاز الدرك الذي كان أداة ظلم وفساد، ووسيلة ضغط وابتزاز ورشوة وتزوير، الى جهاز منضبط، فأصبح يلتزم جانب الفقراء والضعفاء والفلاحين ضد اعتداءات الاقطاعيين والمتنفذين والسياسيين ، وأصبحت أمور هذا الجهاز تسير من حسن إلى أحسن.

والذي جعلني أسرع واحزم في تلك الخطوة الحاسمة برقية طويلة وصلتني من رجل مغترب من أهالي قرية الحريف بقضاء مصياف كان قد قضى في المهجر عشرين عاما ثم عاد ففوجيء بعدوان الدرك على قريته وبيته، وبعد أن يصف بشاعة

هذا العدوان في برقيته يقول: إنني رجعت إلى وطني وأنا ممتليء رجاء وأملا واستبشارا، والآن رأيت وطني بأبشع من الصورة التي غادرته فيها قبل عشرين عاما.

كانت البرقية مثيرة جدا، فاشتعلت النار في رأسي، واتصلت هاتفيا بقائم مقام مصياف رفعت زريق وهددته بالاقالة رغم أنه مرتبط بوزارة الداخلية، ووجهت اليه سيلا من التقريع والتأنيب بكلمات ظننت أنه سيستقيل بعدها، ولم أقبل منه ما حاول عرضه من مبررات وأعذار وألزمته أن يعتذر لمرسل البرقية وأن يتراجع عن تصرفاته التي جعل جهاز الدرك أداة لتنفيذها.

بعد هذه الحادثة أصبح رفعت زريق من أشد الناس إخلاصا لتطبيق الاصلاح الزراعي وحماية لحركة الفلاحين في جميع المناصب الادارية العالية التي شغلها فيما بعد.

□

كانت سياستي في وزارة الدفاع تطمين الجيش وإعادة الثقة إليه حيال الجمعية التأسيسية والحياة البرلمانية ، لا سيما وأن أواصر التفاهم قد انعقدت بيني وبين بعض أركان حزب الشعب على قيادة البلاد في الطريق الديمقراطي التقدمي، وكانوا بالفعل من أهم الدعائم للوقوف بوجه انحرافات هذا الحزب ولم يكن ارتباطهم الحزبي ليطغى على اقتناعهم بضرورة سير سورية في نهجها المستقل وتوطيد مركزها العربي والدولي وخروجها سالمة مما يحاك لها من مؤامرات.

كما ابتعدت عن التدخل بشؤون الضباط أو الانحياز لفريق منهم، بل كنت ضد أي تكتل أو انحياز وعاملت الجميع معاملة الصديق، وكنت في كل مناسبة أقنع القيادات بالابتعاد عن شؤون السياسة والانصراف إلى بناء الجيش، وكنت أركز أنظارهم على تسليح الجيش وتدريبه وتصنيعه والاهتمام بالطيران، إذ لم يكن غائبا عن ذهني الدور الحاسم الذي لعبه سلاح الطيران في معارك الحرب العالمية الثانية، وظهر ذلك جليا في المعارك التي

دارت بين العرب والاسرائيليين بعد الهدنة الأولى، لذلك طلبت من العقيد محمد ناصر أن يقدم لي تقريرا عن أوضاع سلاح الطيران في الجيش السوري، وإذا كان التقرير الذي قدمه الى محمد ناصر محزنا، فإن التقرير الذي قدمه إلى ابراهيم الحسني عن المكتب الثاني (مخابرات الجيش) كان مفجعا.

لقد كان لي بعض الالمام بأوضاع المكتب الثاني منذ أن اشتركت بأعمال لجنة التحقيق البرلمانية، ويومها رسمت القواعد التي يجب أن تسير عليها أعمال المكتب الثاني الذي ينبغي أن يحصر اهتمامه بجمع المعلومات عن اسرائيل ومراجعة النشاطات الأجنبية المشبوهة ومكافحتها.

سألت ابراهيم الحسيني فيما إذا كان المكتب الثاني قد نفذ التوصيات بأن يحصل على الصحف والمنشورات الاسرائيلية، وهل يطلعون على موازنات اسرائيل وعلى ضبوط ومناقشات الكنيست؟ وهل لديهم مجموعات منظمة من الصحف وأرشيف لتلك الضبوط، فأجاب الحسيني بأنه لم يفعل شيئا من هذا نظرا لصعوبة الحصول على الصحف الاسرائيلية، ويومها طلبت منه الحصول على صحف اسرائيل ومنشوراتها بواسطة اسم أي مشترك في دولة أجنبية، لأن هذه الصحف والمنشورات ليست سرية وإخراجها ليس محظورا، وضربت له مثلا بما يجري في بلادنا، فإن الذي يطالع صحفنا والجريدة الرسمية ويطلع على موازناتنا السنوية ومناقشات مجالسنا النيابية يمكنه أن يكون صورة أقرب ما تكون إلى الحقيقة عن تطور البلاد في جميع مجالاتها، بل يمكنه في كثير من الأحيان أن يصل بشيء من الجهد إلى اكتشاف أسرار خطيرة قد لا توضحها تقارير العملاء، بل إن التقارير التي تردنا من عملائنا في اسرائيل لا يمكن أن تفهم على الوجه الصحيح إلا إذا قورنت بالصورة التي نأخذها عن أوضاع اسرائيل من صحفها وموازناتها ومحاضر الكنيست.

كما نصحت الحسيني بوجوب استخدام الفلسطينيين والسوريين الذين يتقنون اللغة العبرية وإذا كان عددهم غير كاف

فيجب أن نعنى بتعليم بعض الشباب اللغة العبرية للقيام بهذه المهمة.

بعد تسلمي وزارة الدفاع وردتني رسائل من اللاجئين الفلسطينيين مغفلة من التوقيع تحذرني من العقيد ابراهيم الحسني، ويدعي المرسلون انهم يعرفونه ويعرفون عائلته وأباه في عكا ويؤكدون أن والده من قبله كان عميلا للانكليز ولم تكن لدي أي امكانية للتحقيق في هذه التهمة الخطيرة.

وفيما يتعلق بإيفاد البعثات فقد اتفقت مع قيادة الجيش على ايفاد البعثات العسكرية على نطاق واسع الى المعاهد العالية في مصر والعراق والدول الاجنبية، والاهتمام بشكل خاص ببعثات الطيران، وقد تم ايفاد عدد كبير من الضباط لمتابعة الدراسة وتعميق الاختصاص.(النصر 1990/1/23).

كما لفت نظر القيادة الى ضرورة رفع مستوى الكلية العسكرية بحمص، وبذلت جهدا كبيرا لهذا الغرض، ولكن قصر عمر الوزارة لم يسمح بتنفيذ ما كنت أحلم به رغم أننا حققنا بعض الخطوات الايجابية.

ولما لم يكن لمديرية العدل العسكرية والقضاء العسكري قانون أو ملاك خاص، كما كان القضاء العسكري يحكم بموجب القانون العثماني المترجم عن التركية، فقد وضعت المراسيم الاشتراعية التي نظمت العدلية والقضاء العسكري، كما وضعنا قانون العقوبات العسكري.

واتماما للخطة التي سرت عليها بمعاملة الفلسطينيين كالسوريين تماما في جميع وظائف الدولة، فقد فتحت أبواب الكلية العسكرية أمام الشعب الفلسطيني، شأنهم في ذلك شأن اخوانهم السوريين.

كما لفتت نظري أكداس الأضابير التي كانت تردني كل صباح من مختلف مصالح الجيش للتوقيع عليها، فكنت أنظر إلى تلك الأضابير الضخمة وأتساءل:

هـل يمكـن تـدقيقها قبـل التوقيـع عليهـا؟ وحسـبت الوقـت الـلازم لتدقيقها فوجدت أن ذلـك سيسـتغرق أيـام دوامـي بأكملهـا، كنـت أدقـق وأوقـع حتـى أتعـب وتتعـب يـدي، وكـان هـذا الوضـع ثمـرة البيروقراطية الموروثة عن الإدارة الفرنسـية بمركزيتهـا وتعقيـداتها، فلم أجد مخرجا موقتا للموضوع، ريثمـا أجـد حـلا آخـر، مـن تحويـل هذه الاضبارات إلى رئيس الأركان وتفويضه بتوقيعها علـى أن يرفـع إلي ما يقتضي تدقيقه منها.

استملاك اراضي منشآت الجيش .

كـان قسـم كبيـر مـن تلـك الأضـابير يتعلـق بـأجور الأراضـي القائمـة عليهـا المعسـكرات والمنشـآت العسـكرية لأن الجـيش الفرنسـي والبريطاني اللذين أنشآها أثناء الحرب لم يستملكا تلـك العقارات والأراضي، فقررت أن أضع حدا لهذا الأمر.

تذاكرت مع أركان القيادة بهـذا الموضـوع فـذكروا لـي صـعوبة تحقيقه، وأنه يتطلب مبالغ ضخمة، وعرضوا على - كنموذج - ملـف معاملة استملاك أراضي معسـكرات "قطنـا" التـي قـدر الخبـراء أن ثمن أراضيها يبلغ حوالي ثلاثة ملايين ليرة.

قلت لهم: هذا رقم كبير فأنا أعرف هـذه المعسـكرات ولـدي فكرة عن أثمان الأراضي في هذه المنطقة، فما الـداعي إذن لهـذا الثمن الضخم؟

كانت هنالك لجنـة للتخمـين فيهـا عـدد مـن الضـباط عرفـت بعضهم، وقدرت أن من خمنها قد يكون تقاضى رشوة لقاء ذلك.

اسـتدعيت أبـا الهـدى الحسـيبي وهـو مـن كبـار ملاكـي دمشق وقلت له دون سابق تمهيد :

إنك رشوت بعض الضباط الذين ثمنوا أراضيك في معسـكرات قطنا، فأنا أعرف تلك الأراضي وأعرف قيمتها، قال :

إن القضية انتهت وهي قيد الصرف بالمبلغ المقدر، قلت له :

ها هي إضبارتك، فـإذا تعنـت فـإنني سـأحيلك أنـت وأعضـاء لجنة التخمين الأولية والاستئنافية الى التحقيق، وإذا عرف النـاس

أن قيمة تلك الأراضي المخمنة هي ثلاثة ملايين ليرة فستكون فضيحة أمام الرأي العام، فامتقع وجهه وكانت النتيجة أنه تنازل عن نصف القيمة المخمنة تفاديا لتشكيل لجنة تحقيق، فوقعت له أمر الصرف بالمبلغ المقرر وانتهى الأمر، ثم سارت وزارة الدفاع على شراء الأراضي والعقارات بدلا من استئجارها وما يودي إليه ذلك من تعقيدات وإضبارات.

الاهتمام بالطيران - صفقة طائرات من بريطانيا.

أصبح العقيد محمد ناصر - بعد حركة العقداء - آمرا لسلاح الطيران، وهو ضابط ذكي ديناميكي، كانت تجمعني به معرفة قديمة منذ أن كان في حماه ضابطا في جيش الشرق عام 1939.

قدم لي العقيد ناصر في أول اجتماع لي معه تقريرا محزنا عن أوضاع سلاح الطيران وكيف أن كثيرا من المعدات الهامة التي كلفت الجيش ملايين الليرات مهملة في المستودعات دون قيود رسمية، بعضها يعلوه الصدأ وبعضها الآخر أصبح غير صالح للاستعمال.

كان العقيد محمد ناصر مهيمنا على مصلحته، فشجعته كثيرا وأفهمته بانني على استعداد لتقديم كل مساعدة لرفع شأن قواتنا الجوية وجعلها بمستوى ما يتطلبه جيش حديث.

وقد أرسلنا بعثة برئاسة العقيد عزيز عبد الكريم وعضوية سليمان نصر وعبد المسيح داغوم لجمع التبرعات من المهاجرين السوريين، وهي تبرعات كان قد بدئ بها من قبل لشراء خمسين طائرة هدية للجيش السوري.

□

أخبرني الضابط فريد كلاس بأن مدربا بريطانيا أخبره بأن مصانع طائرات المتيور البريطانية على استعداد لبيع سورية عددا من الطائرات الحديثة التي أقرت وزارة الدفاع البريطانية، بعد تجربتها، تزويد الجيش البريطاني بها، وهي تعتبر من أحدث الطائرات آنذاك.

قلت له : وهل تسمح الحكومة البريطانية ببيعنا مثل هذه الطائرات؟

قال: ان القضية تجارية بالنسبة لمعامل الطيران، وان الشركة بإمكانها أن تستحصل من وزارة الدفاع البريطانية على اذن ببيع الطائرات لسورية، وقال أنه على ثقة بأن صديقه المدرب البريطاني صادق وجدي، ثم أردف: فلنجرب فليس في الأمر خسارة، فطلبت منه أن يأتيني بهذا المدرب وبنتيجة البحث خيل إلي أن العرض يمكن أن يكون جديا، ولاح في ذهني بأنه من الممكن أن تقدم بريطانية على عقد مثل هذه الصفقة مرضاة لسوريا ولجيشها بعد أن توترت العلاقات إثر حركة العقداء، ولم يكن يخطر في بالي آنذاك أن عقد هذه الصفقة قد يكون مساومة لتسهيل أعمال شركة نفط العراق التي كانت قائمة على قدم وساق لايصال البترول العراقي إلى مصبه في بانياس، وكانت أعمال هذه الشركة لا تخلو من المشاكل والمتاعب بينها وبين الأهلين، ولا سيما قضية استملاك الأراضي التي ستمر بها الأنابيب في المناطق الزراعية المكتظة بالسكان كمحافظة اللاذقية، وكان بإمكان الحكومة أن تعرقل أعمال شركة نفط العراق فيما إذا أرادت ذلك.

وقد تم الاتفاق على أن يكتب هذا المدرب البريطاني إلى أصدقائه في شركة صنع الطائرات بأن يرسلوا الينا مندوبين عن الشركة للمفاوضة والتعاقد معهم.

ولم يلبث أن وصل الى دمشق مندوبان عن الشركة، فعقدت معهما عدة اجتماعات. وقد أحضرت معي في هذه المفاوضات اللواء فوزي سلو والعقيد أديب الشيشكلي والعقيد محمد ناصر وتولى الترجمة آنذاك العقيد سليم ابراهيم، فعقدنا الصفقة مع الشركة على شراء تسع طائرات بمبلغ ثلاثة عشر مليونا - على ما أذكر - وقد اعتبرت هذه الصفقة من أكبر صفقات التسلح في ذلك الوقت.

وفي الاجتماع الأخير مع المندوبين قال اللواء فوزي سلو :

- أما وقد انتهينا من الاتفاق على شروط الصفقة ومواصفاتها فقد بقي أمر ينبغي أن نتفق عليه، وهو قضية البيضات، فالتفت المندوبان مندهشين باستغراب مستفسرين عن البيض، فشرح لهما اللواء سلو قائلا :

- بعد شراء الحمامات ينبغي البحث في شراء البيض (يقصد ذخيرة تلك الطائرات).

فقالا : إن هذا الأمر يتعلق بإجازة من وزارة الدفاع البريطانية، واتفقنا على أن تتعهد الشركة، بالتفاهم مع الحكومة البريطانية، بتسليح وتجهيز هذه الطائرات مع قطع الغيار والذخيرة الضرورية، كما تعهدت الشركة بتدريب الطيارين.

بعد إبرام الصفقة قدم لي مندوبا الشركة هدية رمزية هي عبارة عن نموذج صغير لطائرات المتيور ومنفضة للتبغ.

وقد تم تسليم الطائرات بعد انقلاب الشيشكلي، وظهرت هذه الطائرات في سماء سورية بعد أول عرض عسكري أقامه الشيشكلي بمناسبة عيد الجلاء، وأعقب ذلك تدشين خط بترول جديد يصل إلى مرفأ بانياس بحضور فوزي سلو رئيس الدولة حيث سلمته الشركة المفتاح الذهبي للخط رمزا لابتداء ضخ البترول العراقي الى الساحل السوري.

70

1950: اهتمام وزارة خالد العظم بالتنمية - كيف كانت سورية تؤمن الأموال اللازمة للتنمية .

يمكننا أن نؤكد بأن سوريا، كشعب ودولة انطلقت منذ عام 1945 في البناء والانشاء من نقطة الصفر على كافة المستويات، وبذكاء الشعب وحيويته بدأت سوريا تشق طريقها صعدا ولكن بمسلك وعرشاق، ومن سوء الحظ أن لا يكون الجهاز السياسي بمستوى حيوية الشعب ونشاطه وعبقريته ومطامحه، بل كان بعيدا عن فهم دور التنمية في بناء المجتمع والدولة، يضاف إلى ذلك أن البلاد ظلت محرومة من أي قروض ومساعدات خارجية إذ كانت مشروطة دوما بما يمس استقلال البلاد وبما يتعلق بتصفية القضية الفلسطينية.

وبالرغم مما عانته سوريا من الاضطرابات السياسية التي تعاقبت عليها من جراء الانقلابات العسكرية، فإننا إذا رسمنا خطا بيانيا عن تطورها الاقتصادي والاجتماعي -بإمكاناتها المحدودة- نرى أن تلك الاضطرابات لم تترك أثرا يذكر على اطراد تقدمها الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، وإذا كان لتلك الاضطرابات سلبياتها فإن هذه السلبيات سرعان ما تزول لتبقى الأمور الايجابية مصداقا للآية الكريمة :

"فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض".

كان انقلاب الحناوي فرصة لتحقيق بعض الأمور التي لا يمكن تحقيقها بسرعة في ظل الأوضاع البرلمانية المعروفة كقانون الانتخاب مثلا، كما كان تأليف حكومة خالد العظم فرصة لوضع برامج التنمية موضع التنفيذ، وأول ما اتجهت إليه الانظار المصادر المائية والكهربائية في البلاد لأنهما القاعدتان اللتان ستبنى عليهما نهضتنا الزراعية والصناعية، وكان من الفرص الثمينة أن يكون خالد العظم رئيسا لهذه الحكومة، فهو الرجل الوحيد من أبناء جيله السياسيين الذي كان يهتم بمشاريع

التنمية، ويدرك أهميتها وانعكاسها على أوضاع الشعب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية، وإذا كانت الاهداف السياسية بناء الانسان والمجتمع وتفجير طاقاتهما الخيرة، فإن السياسة في الوقت ذاته اقتصاد، وإلا فإن آمال الشعوب وطموحها القومي والانساني تبقى أحلاما ما لم تتحقق لها القاعدة المادية.

كان خالد العظم ذا عقلية متفتحة متطوة، ويجدر بالقارئ أن يعود بالذكرى إلى ما كان يعتبره عام 1944 مجازفة عند البحث في تجفيف منطقة الغاب وإروائها عملية خاسرة تفقد الدولة عائداتها من سمك السلور بينما أصبح الآن أكثر اقتناعا بجدوى هذا المشروع وضرورة تنفيذه.

كان أول عمل قامت به هذه الحكومة تشكيل لجنة من وزراء المال والاقتصاد والاشغال العامة لدراسة المشروعات الانمائية ووضع التشريعات لقيام المؤسسات التي تتولى تنفيذها، ودفع ما شرع بتنفيذه ولم ينجز بعد، وهي على كل حال مشاريع صغيرة كان تنفيذها يسير ببطء شديد.

ولكن موضع العناية والاهتمام الكبير كان انشاء مرفأ اللاذقية لأن سورية ظلت محرومة سنوات طويلة من منفذ على البحر الأبيض المتوسط، فأقرت التشريعات اللازمة لانشاء مؤسسة تتمتع باستقلال مالي واداري، خروجا على الروتين ولسرعة الانجاز والتنفيذ، على أساس كونها شركة تسهم الدولة بأكثرية اسهمها وتضمن الربح للمساهمين فيها وقد رصدت الاعتمادات اللازمة للمباشرة بالتنفيذ.

في تلك الفترة لم يهتم الناس بمشاريع الري الانمائية الكبرى والصغرى قدر اهتمامهم بمشروع انشاء مرفأ اللاذقية، فقد كان هذا المرفأ مطلبا قديما لأبناء محافظة اللاذقية، كما كان الشعب مجمعا على ضرورة إنشائه لأنه يحقق لسورية استقلالها الاقتصادي بعد أن حققت استقلالها السياسي.

□

ظلت مشاكل العلاقات الاقتصادية بين سورية ولبنان مرجأة ومعلقة حتى عام 1950، فقد كانت الاجتماعات التي تعقد بين وزراء المال والاقتصاد وخبراء البلدين لا تصل إلى نتيجة لتناقض سياسة البلدين الاقتصادية مما جعل نجيب الريس يكتب :

"لو أن هذه الشراكة المعقودة بين لبنان وسوريا كانت بين أي دولتين من دول الدنيا لفسخت منذ ثلاث سنين. ولو أنها كانت بين تاجرين عاديين أو بين أخين شقيقين لما استمرت عشر المدة التي استمرت بها بين سوريا ولبنان".. ثم قال: "لم نعد بحاجة لتقديم الأدلة والبراهين والأرقام على فداحة ما نعانية حكومة وشعبا من دوام هذه الشركة مع لبنان" ثم اختتم كلمته قائلا: "فلتحقق الحكومة رغبة الشعب بأجمعه، ليقول الذين سيكتبون تاريخ هذه الدولة أن الحكومات التي سبقتها قد حققت الاستقلال السياسي فقط أي نصف الاستقلال، وأنها هي حققت النصف الآخر وهو الاستقلال الاقتصادي ولن يعيش الأول إلا مع الثاني" (جريدة القبس 1950/2/1)

وقد كان رئيس الحكومة خالد العظم مدركا مبلغ اهتمام الشعب بمشروع مرفأ اللاذقية الذي صار رمزا للاستقلال الاقتصادي، فقام بزيارة للاذقية والساحل السوري حيث استقبل استقبالا شعبيا كبيرا.

من كل ذلك تظهر أسباب الاهتمام بالقرض السعودي الذي لم يتجاوز العشرة ملايين دولار. كما تظهر أهمية إنذار شركتي التابلاين والآي بي سي أن تدفعا بالدولار والذهب عائدات سورية من مرور البترول، وقد تم صرف القرض السعودي، كما اضطرت الشركتان أن تنصاعا للانذار الذي وجه إليهما، فصرفت التابلاين العائدات بالدولار وصرفتها الآي بي سي بالذهب.

□

لم يكن القرض السعودي كافيا للبدء بتنفيذ مشاريع التنمية، وعلى رأسها مشروع المرفأ، ولذلك أجبرت الحكومة شركة التابلاين على أن تحسب عائدات سوريا إعتبارا من تاريخ مباشرتها العمل في لبنان، أي قبل سنتين من توقيع اتفاقيتها مع سوريا، وتم الدفع فعلا على هذا الأساس، فحصلت سوريا على

أربعة ملايين دولار، وبالاضافة إلى ذلك كان لسوريا ديون مترتبة على فرنسا من تصفية حسابات المصالح المشتركة، فتم الاتفاق على تسديد هذه المبالغ ولذلك حولت الادارة الفرنسية السابقة مبلغ ثمانية ملايين وربع المليون ليره سورية من حصة سوريا من المصالح المشتركة، كما سددت الادارة ذاتها 5939 ليرة عثمانية ذهبا وقدمت لسوريا 1773 سهما من اسهم شركة خطوط حديد بغداد، فتمكنت سوريا بهذه المبالغ، بالاضافة إلى القرض السعودي وعائدات التابلاين وضغط نفقات الموازنة من توفير المال الكافي -في ذلك الوقت- للبدء بتنفيذ المشاريع الانمائية.

□

لقي عزم الحكومة السورية على إنشاء مرفأ اللاذقية معارضة شديدة في لبنان، مما دعا خالد العظم لأن يدلي بتصريح في 1950/2/26 لتخفيف وطأة الحملة اللبنانية قال فيه:

"إن الدعايات المغرضة التي تثار حول موقف سوريه (يقصد لبنان) من الشؤون المشتركة، والزعم بانها تدعو للانفصال لا يوجد ما يبررها. وإذا كان إقرار الحكومة انشاء مرفأ اللاذقية يفسر بأنه يعني الانفصال بين سوريا ولبنان، فهذا خطأ كبير، لأننا نعتقد أن سورية بحاجة لمرفأ لمنطقتها الشمالية الواسعة التي تنتج القسم الأكبر من صادراتها. وإن في انشاء مرفأ اللاذقية توفيرا كبيرا في أجور النقل وغيرها. ومما دفعنا إلى الاسراع في إقرار هذا المشروع هو اعتقادنا بأن الانتاج السوري آخذ في النمو والازدياد، لا سيما بعد أن عمدت الحكومة الى تنفيذ مشاريع الري الواسعة التي تجعل البلاد بحاجة ماسة لايجاد منفذ جديد لتصدر إنتاجها وحاصلاتها".

وكانت الحكومة، قطعا لدابر أي بلبلة أو استغلال، قد أرسلت مذكرة الى لبنان بشأن إنشاء وحدة اقتصادية كاملة صحيحة، أو عقد اتفاقيات جزئية لكل قضية.

كما عقد رئيس الحكومة خالد العظم مؤتمرا صحفيا يوم 1950/3/10 قال فيه: "ان الوحدة الاقتصادية الشاملة التي تنشدها سوريا هي الهدف الأسمى الذي نعمل إليه لدرء خطر الافلاس عن اقتصاديات سوريا ولبنان بالتوالي، وقد طلبنا من الحكومة اللبنانية بيان موافقتها على هذا المبدأ

ليباشر فورا بالمفاوضات لإقرار التفاصيل، معتبرين عدم توافق رأيها مع رأينا على هذا المبدأ إنهاء للوحدة الجمركية القائمة حاليا، ورغبة في الاسراع بمعرفة ما سيؤول اليه الأمر سواء بالوحدة أو الانفصال، ليتخذ كل فريق الخطة التي يراها أنسب لمستقبل علاقاته، رجونا من الحكومة أن تعلمنا قبل اليوم العشرين من الشهر الحالي جوابها النهائي، وإننا لشديدو الأمل بأن تعير الحكومة الشقيقة اهتمامها الكلي هذه القضية الأساسية والحيوية لكلا البلدين، آخذة بنظر الاعتبار مستقبلهما الاقتصادي المعرض في الوقت الحاضر لأشد الأخطار، فنتلقى الجواب الكفيل بتحقيق الغاية السامية التي ننشدها، وهي توثيق عرى التضامن والتقارب بين هذين القطرين العربيين الشقيقين.

والوحدة الاقتصادية الشاملة التي ندعو إليها ليست أمرا جديدا اخترعته مخيلتنا، فقد عاشت سوريا ولبنان عدة عصور في العهد التركي وما يقرب من الخمسة وعشرين عاما في عهد الانتداب والوحدة الاقتصادية قائمة بينهما ثم تضاءلت هذه الوحدة فأصبحت مقتصرة على الشؤون الجمركية خلال ستة أعوام خلت، فكانت تجربة قاسية عانت سوريا خلالها كل ما عانت، وتحملت ما تحملت، آملة أن تعود المياه الى مجاريها الطبيعية فتزول مساويء الانفصال الاقتصادي الذي لا يقتصر ضرره على سوريا فحسب، بل على لبنان نفسه عاجلا أو آجلا".

وهكذا وجدنا الرأي العام في سوريا يقول على لسان صحافته: "حققوا لنا مشروع المرفأ لنسجل لكم الشكر ولنرفع لكم التماثيل على هضاب البر وشواطيء البحر، وحررونا من وصاية لبنان الاقتصادية ليكمل استقلالنا السياسي، لأن الاستقلال لا يتجزأ".

وعلى الرغم من فشل طريقة مساهمة الأهلين وشراكتهم في مشروع مرفأ اللاذقية، وعلى الرغم من أن تكاليف انشائه بلغت أضعاف التقديرات الأولية فقد أنجز هذا المشروع قبل غيره فتم انشاؤه قبل الوحدة مع مصر، ودشنه عبد الناصر عام 1959.

كما رصدت خمسة ملايين ليرة لتنفيذ مشروع نهر اليرموك (1950/1/13 جريدة النصر) ووضعت التشريعات لإنشاء مؤسسة مشروع الغاب وتراجع خالد العظم عن رأيه ببيع أراضي الغاب

فظلت أملاكا عامة، وقد وزعت بعد تجفيفها على الفلاحيبن المحرومين من الأرض، وركز الاهتمام على مشاريع : الخابور وبانياس والمطخ والروج (النصر 1950/1/18) (القبس 1950/1/10) وقررت الحكومة الدخول بمفاوضات لتأميم الخطوط الحديدية في سوريا إذ كان يدفع للشركة صاحبة الامتياز وهي شركة فرنسية ربع مليون ليرة سنويا تعويضا عن خسائرها، ثم أصدر مجلس الوزراء قرارا بتأميم شركة حصر التبغ والتنباك وتأليف لجنة من وزارات المالية والاقتصاد والزراعة لإجراء دراسات التصفية.

□

كان أعضاء الحكومة، بقطع النظر عن اتجاهاتهم وارتباطاتهم ومصالحهم، يتمتعون بثقافة عالية نسبيا، ولم تكن الدعوة لبعث مشاريع التنمية تتعارض مع مصالحهم، لذلك كان التجاوب والتآزر تامين في هذه الشؤون، فلم تعتور جلسات مجلس الوزراء اختلافات حادة، لا سيما وأن الخطوط السياسية العربية والدولية كانت واضحة ومتفقا عليها من قبل الجيش والحكومة.

□

1950 : مشاكل تهدد استقرار الوضع الجديد في سوريا

ما أن بدأت سورية تعالج قضاياها الهامة الحقيقية إلا وتحركت الدوائر الاستعمارية لصرف نظرها عن قضاياها وإشغالها بأمور أخرى، وقد التقت الولايات المتحدة وبريطانيا والمحاور العربية على أقلاق الوضع في سورية فاستغلت عدة قضايا كان أبرزها:

أولا: قضية النص في صلب الدستور الجديد على أن دين الدولة الاسلام.

ثانيا: المطالبة بالافراج عن الحناوي وجماعته، والقيام بحملة مركزة في الجمعية التأسيسية للاطاحة بالحكومة واحداث انشقاق بين الجيش والجهاز السياسي.

ثالثا: عودة القوتلي للبلاد، وذهاب وفد كبير برئاسة صبري العسلي لزيارته في الاسكندرية.

رابعا: إضراب موظفي وزارة المالية والمعلمين.

قضية دين الدولة.

قبل أن تضع لجنة الدستور التي يرئسها الدكتور ناظم القدسي مشروع الدستور الجديد وتطرحه على البلاد لأخذ رأيها فيه، أعلن القدسي في الصحف أن اللجنة ترحب بآراء المواطنين في أحكام الدستور، فتواردت على اللجنة العرائض التي تطالب بوضع مادة تنص على أن الاسلام هو دين الدولة، وبدأ المشايخ بإرسال الوفود الى الحكومة للمطالبة بوضع هذه المادة في مقدمة الدستور، وعزموا على الخروج بمظاهرة من الجامع الأموي بعد صلاة الجمعة، ولما وصل الأمر الى هذا الحد صرح رئيس الوزارة خالد العظم بما يلي :

"إن الحكومة لن تتدخل بهذا الموضوع لأنه ليس من شأنها بل من اختصاص الجمعية التأسيسية".

وقد زارني وفد من المشايخ برئاسة الشيخ الكتاني فشرحت لهم أيضا أن وضع هذه المادة في الدستور أمر يعود للجمعية التأسيسية بعد الحوار والنقاش الديمقراطي، ولكنهم لم يقتنعوا بل هددوا وتوعدوا فلم أر بدا من الاتصال -بحضورهم- برئيس الشرطة لأطلب منه أن يتخذ التدابير اللازمة يوم الجمعة القادم لمنع التظاهرات وافهمتهم أنهم سيتحملون مسؤولية ما قد يحدث.

كما اتصلت بالسيد محمد المبارك وزير الاشغال العامة الذي أصبح من قادة الاخوان المسلمين، وأعلمته بالأوامر التي أصدرتها، ثم بسطت هذا الموضوع في ذلك اليوم خلال اجتماع مجلس الوزراء، فاقتنعوا معي بأنه لا مناص من هذا الموقف الحازم، وان على الحكومة أن تتحمل مسؤولياتها، لأن القضية ليست قضية دينية بل أصبحت قضية سياسية، وان عليها أن تبذل قصارى جهدها لاقناع المشايخ بأن يتركوا هذا الموضوع للحوار الحر في الجمعية التأسيسية.

□

لقد أثارت قضية دين الدولة حوارا واسعا في الأوساط الدينية والشعبية المسيحية والاسلامية.

ففي الاسبوع الأول من شهر شباط 1950 أصدر اتحاد خريجي الجامعات والمعاهد العليا بيانا مسهبا عرضوا فيه مبررات طلبهم طي المادة المتعلقة بدين الدولة، كما عقد في حلب المؤتمر الأول لطلاب المدارس الثانوية في سورية الذي أصدر قرارا بأن "سوريا جمهورية عربية مستقلة ديمقراطية تحترم جميع الأديان" كما وردت من المغتربين السوريين في المهاجر الأميركية، على اختلاف مذاهبهم الدينية برقيات ورسائل تطلب عدم تعيين دين الدولة في الدستور، وفي دمشق قام وفد من الاخوان المسلمين بزيارة دار بطريركية الروم الكاثوليك وعقدوا اجتماعا مع عدد من كبار رجال الدين المسيحيين، على اختلاف طوائفهم، وتم الاتفاق على بناء الدستور على أساس الايمان بالله والمساواة

وحسن الأخلاق، كما أن الصحف نشرت دراسة مطولة لفارس الخوري ولغيره يبسط فيها مبررات استبعاد هذه المادة من الدستور (راجع الصحف السورية من 1 الى 10 شباط 1950).

وقد نشرت بعض الصحف، يوم 10 شباط بيانا طويلا للشيخ مصطفى السباعي، زعيم الاخوان المسلمين عرض فيه دواعي وضع مادة "دين الدولة الاسلام" في الدستور، وكان أبرز ما في هذا البيان قوله

"إننا لا نريد انقلابا في قوانينا الحالية، وإنما نريد التقريب بينها في التشريعات المدنية وبين نظريات الاسلام الموافقة لروح هذا العصر ولأصدق النظريات الحقوقية السائدة فيه، فإذا اتفق التشريع الاسلامي مع النظريات الحديثة فهل تجدون حرجا في الأخذ به تراثا قوميا عربيا تعتزون به وتفاخرون؟".

فعلق نجيب الريس صاحب جريدة "القبس" على ذلك قائلا: "هذا ما قاله الشيخ مصطفى في بيانه ويتضح منه صراحة بأنه هو ومن يقول بقوله لا يريدون سوى مجرد النص على دين الدولة فقط من غير تطبيق ما يوجبه الاسلام من أحكام وشرائع وإقامة حدود".. ثم وجه السؤال التالي للشيخ مصطفى: "ما دمتم لا تنوون تطبيق أحكام الدين الاسلامي، فلماذا تصرون على وضع مادة في صلب الدستور تظل معطلة؟ ولماذا تثيرون البلاد وتوجهونها بالوفود والمضابط؟ ألمجرد وضع نص فقط لا غير".

وفي يوم 1950/2/16 نشرت القبس في الصفحة الأولى من الجريدة وبشكل بارز ما يلي :

"بعث إلينا أحد الرجال الصالحين في دمشق بهذه الآية الكريمة مقترحا على لجنة الدستور أن يتوج بها دستورنا الجديد وأن نجعلها في المقدمة دليلا على أننا نستمد دستورنا من صميم القرآن الكريم، وفي اثبات هذه الآية السمحة احترام وتقديس للاسلام والاديان السماوية الأخرى، ونحن نزين بها القبس شاكرين :

بسم الله الرحمن الرحيم

"قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون".

قضية الافراج عن سامي الحناوي.

أما القضية الثانية فكانت: المطالبة بالافراج عن سامي الحناوي وجماعته، والقيام بحملة مركزه في الجمعية التأسيسية للاطاحة بالحكومة وإحداث شقاق بين الجيش والجهاز السياسي.

ففي البدء كانت المطالبة بالافراج عن الحناوي وجماعته تتم همسا وبأسلوب ناعم من قبل رشدي الكيخيا وحزب الشعب، ولكنها أثيرت بشكل علني ومكشوف وعنيف في اجتماع الجمعية التأسيسية يوم الأول من شباط 1950، إذ وقف النائب سعيد حيدر (وهو من قدامى جماعة الهاشميين). وذكر بسؤال كان قد قدمه في جلسة سابقة وقال :

"سيدي الرئيس، أريد أن أسأل سؤالا وهو : هل السيادة الحقيقية في البلاد هي لهذا المجلس ام لغيره؟ واذا كانت لهذا المجلس التأسيسي، أفلا يكون من حقه أن يسأل عن الاشخاص الذين تآمروا على سلامة هذه البلاد ويطلب محاكمتهم؟ لذلك اقترح ان نناقش هذا الموضوع لأن بيانا[1] أذيع في هذه البلاد ينبيء بأن اناسا في اول جلسة من جلسات هذه الجمعية قدمنا اليهم انبل العواطف والاحترام باعتبارهم انقذوا البلاد من شرور وآثام وكانوا في عملهم هذا قد تجردوا عن كل غرض شخصي وبعد ذلك نرى بيانا ينشر ويقول أن هناك اشخاصا مع فئة من محترفي السياسة تآمروا على سلامة البلاد والجيش ولذلك أوقف من أوقف وبقي الامر مجهولا غامضا بالنسبة الى محترفي السياسة لذلك أطلب من الجمعية الكريمة أن تناقش هذا الموضوع لنعلم من هو هذا الذي يتآمر على سلامة البلاد؟ ومن هو الذي يزج البلاد في مآزق حرجة أصبح الخروج منها عسيرا حدا؟.

وخلص من ذلك إلى القول :

(1) يقصد بيان الجيش بعد حركة العقداء.

هـل صـحيح أن اللـواء سـامي الحنـاوي تـآمر مـع دول اجنبيـة وبعـض محترفي السياسـي على امن الجـيش السـوري واسـتقلال الـوطن؟ واذا كـان هذا صحيحا من هم المتآمرون معه؟ ولمـاذا لـم يصـر الـى تـوقيفهم؟ واذا جـاز التوقيف فهل الاسلوب الذي نفذ فيه توقيف اللواء هو الطريق القانونية الواجـب العمل بموجبها في مثل هذه الحالات؟ وما هي الاسباب الثبوتية التـي تسـيغ حجز حرية اي سوري مواطن مـن قبـل القـوى التـي تـدخر للـذود عـن حيـاض الوطن؟

فتوجـه رشـدي الكيخيـا رئـيس الجمعيـة إلـى خالـد العظـم رئيس الوزراء طالبا إليه الاجابة علـى هـذا السـؤال، فطلـب رئـيس الحكومـة أن يوجـه السـؤال خطيـا حسـب النظـام الـداخلي، ولـم تتوقف الحملة عند هـذا الحـد بـل أن الـدكتور منيـر العجلانـي بـادر للقول :

بلغني أن رجالا لا أحب أن أذكر أسماءهم أخـذوا مـن الطريـق فـأودعوا سجن المزة العسكري، وقد كان لي شرف الاقامة فيه بعهد حسـني الـزعيم، كما أن دولة رئيس الوزراء حل ضيفا فيه".. ثم طلـب أن لا يـدخل سـجن المـزة أحد من المدنيين.

فاضطررت لأن أرد علـيهم وأكشـف نوايـاهم مـن هـذه الحملـة المبيتـة فقلت :

"لا يوجد هناك موقوفون مدنيون، وإنما كان هناك موقـوف واحـد بتهمـة حيازة سلاح، وقد أفرج عنه وأحيل الى المحكمة العسكرية، وكل ما أعلمـه أن هناك قضية وتهمة موجهة لبعض العسكريين وأن التحقيـق مـا زال جاريـا.. ثـم تحدثت عن الحريات العامة وقلت : يجـب أن لا تلتـبس الأمـور بـأن يضـاف إلـى هـذه الحريـات حريـة لـم يسـمح بهـا شـعب مـن شـعوب العـالم وهـي حريـة الخيانة... إنه عندما يرتكب أحد جريمة الخيانة يجب أن يعاقـب عليهـا، ولا أرى موجبا للتهويل بهذا الصدد... إن سلامة الجيش والبلاد يجب أن تصان، وإذا تـم ارتكاب خيانة فمن واجب الجيش الوقوف بوجهها.

ويبدو أن حديثي عن حرية الخيانة اثار حسـني البـرازي فـنهض للكـلام وذكر ماضيه الطويـل العـريض اللامـع، وقـال أن الشـخص الـذي أشـار إليـه هـو موظف بوزارة المالية وقد أخذ من بيته إلى السجن حيث ظل خمسة أيـام ثـم

أطلق سراحه فعلم أنه كان يحمل مسدسا وقال أنه لا يعتقد أن هذا يستحق سجن المزة.

فرددت عليه مؤكدا عدم وجود معتقلين في المزة "وانني لم أقصد بكلمتي التعريض بأحد ولا أريد أن "أتمرقع" الناس ولا المفاخرة كغيري.. إنني متواضع وماضي قصير ولكنه نظيف وغير ملوث بحمدالله، ولن أبحث الآن ماضي الآخرين، فالناس يعرفون كل شيء، أما قضية الوحدة التي يتسترون وراءها فأنا أيضا من أنصارها، ولكن هناك فرقا كبيرا بين أنصار الوحدة العربية وبين الذين يعملون لمصلحة المستعمرين ضد مصلحة أمتهم".

وفي جلسة الجمعية التأسيسية يوم 15 آذار 1950 أثير الموضوع من جديد، فتلي سؤال سعيد حيدر المكتوب مرة أخرى، ثم تلي جوابي المكتوب، وهذا نصه:

دولة رئيس الجمعية التأسيسية الموقر:

ورد الينا بتاريخ 4 شباط عام 1950 بعض الاسئلة - من عضو المجلس التأسيسي الاستاذ سعيد بك حيدر نجيب عليها بما يأتي:

أولا: ان تهمة التآمر مع دولة اجنبية وبعض محترفي السياسة على أمن الجيش واستقلال الوطن والتي عزيت إلى اللواء الحناوي، كان يجري التحقيق بها قبل تأليف الحكومة الحاضرة، أما التساؤل عن صحة هذه التهم- فهذا مما يجيب عليه الحكم الذي سيصدره القضاء والذي أحيلت إليه هذه الدعوى.

ثانيا: أن التحقيق الأولي كان يجري مع العسكريين دون التعرض للمدنيين، أما التساؤل عن اسماء المتآمرين معه ولماذا لم يصر الى توقيفهم؟ فالجواب على ذلك أن التحقيق سري والاستنطاق العسكري هو المرجع المختص بجمع الادلة الثبوتية وبالتوقيف واطلاق السراح ومنع المحاكمة وكل ما يعود الى ذلك بصورة عامة.

إن قضية اللواء الحناوي بيد القضاء، وله وحده دون سواه حق البت بكل ما ورد باسئلة العضو المحترم.

دمشق في 1950/2/8

وزير الدفاع الوطني - اكرم الحوراني

لكن سعيد حيدر لم يكتف بهذا الجواب بل ألقى خطابا طويلا كشف فيه عن النية المبيتة لاستثارة الجيش واحداث شقاق بينه وبين الحكومة، وإعطاء صورة سيئة عن الأوضاع فأردت أن أقطع الطريق عليه وعلى الآخرين فأجبته :

أنا لا أريد أن أخوض في القناعات لأنني لست نائبا الآن ولكنني سوف أعود إلى جانبكم وأبحث في القناعات الشخصية وأبحث في أمور كثيرة اطلعت عليها ومن الواجب أن يطلع عليها أبناء البلاد، ولكن بما أنني وزير للدفاع فالقضية لم تعد قضية اقتناع ولا اطلاعات شخصية بل أصبحت تابعة للمحكمة ولا يجوز أن ندلي بأي شيء حولها قبل أن تلفظ المحكمة كلمتها الأخيرة فقبل أن تحكم المحكمة بصحة التهمة أو بطلانها فكل ما يقال حول هذا الموضوع سابق لأوانه، أما القول بأن العمل الذي قاموا به (اي العقداء) قد جنب البلاد كارثة كادت تطيح باستقلالها فهو صحيح، والتهمة الموجهة إلى اللواء سامي الحناوي هي التآمر على نظام الحكم في البلاد وعلى استقلال البلاد بتأثيرات أجنبية، وكما أن هناك تهمة أخرى موجهة اليه هي أنه أصدر أمرا بنقل عدد من الضباط بغرض سياسي فاذا كانت هذه التهم صحيحة يكون اللواء سامي الحناوي مسؤولا والمحكمة هي التي تحكم بالأمر فيما إذا كان العمل الذي جرى مخالفا للقانون والدستور، فأنا لا أريد أن أستعجل الأمر ونحن فور تسلمنا وزارة الدفاع عملنا بالاشتراك مع وزارة العدلية على وضع قانون للجزاء العسكري وفي هذا القانون سلبنا الوزارة كل حق بالتدخل في شؤون القضاء العسكري، والقانون العثماني القديم كان يجعل القضاء العسكري خاضعا للوزارة وبامكان الاستاذ الحقوقي الكبير أن يطلع على القانون الجديد فيعلم أنه ليست هناك أية نية للتدخل في هذا الشأن وليس من أخلاقنا ولا من كرامتنا ولا من تربيتنا أن نتدخل في الموضوع فقد تركنا الأمر كله للقضاء العسكري ولهذا القضاء استقلاله وحرمته وهو الذي سيحكم في هذه القضية وعند ذلك يعرف الرأي العام كل ما يجب أن يعرفه فلا مجال إذن للعجلة.

أما ان هناك امتهانات وان المجلس التأسيسي مسلوب الحق فأنا أقول لك أنني بصفتي عضوا في المجلس التأسيسي عندما أشعر بأن كرامتي تقضي علي بالاستقالة أقول لكم بصراحة أنني أتقدم بها غيرنادم ولكنني لا أزال حتى الآن أعتقد ويعتقد الزملاء معي بأنه ليس هناك أي تدخل

في سيادة المجلس التأسيسي ولا في صلاحياته فهو يضع الدستور ويتصرف بكل الأمور بكل حرية، أما إذا كانت هناك أمور لست مطلعا عليها فهذا شيء آخر هذا ما أقوله بصفتي عضوا من أعضاء الجمعية التأسيسية.

وأما أن المجلس قد قدم للواء حناوي أنبل العواطف فهذه أمور سطحية لا تستوحي منها القناعات الكافية ونحن لا نريد أن نؤثر على القضاء أو أن نوجهه إلى جهة ما.

وقد تكلم في هذه الجلسة رزق الله انطاكي وعدد من أعضاء حزب الشعب ثم اضطر رئيس المجلس رشدي الكيخيا للاشتراك في هذه المناقشة.

لقد كان حزب الشعب ورشدي الكيخيا بصورة خاصة محرجين كل الاحراج بالسكوت عن توقيف سامي الحناوي الذي أطاح بحسني الزعيم وسلمهم حكم البلاد والذي لم يفعل شيئا إلا برأيهم وبالاتفاق معهم، وكانوا يهدفون الى التخلص من هذا الحرج أمام الرأي العام في سورية وفي حلب بشكل خاص.

ولا شك أن اهتمام بغداد بالافراج عن الحناوي كان سببا من أسباب إثارة هذه القضية، كما تشير إليه البرقية الواردة من وزارة الخارجية العراقية الى سفارة العراق في دمشق بتاريخ 1950/2/15 حول وجوب العمل وإجراء الاتصالات للافراج عن الحناوي، مع الاستعداد لدفع ما يمكن أن يكلف ذلك، وهي البرقية التي تليت كوثيقة من وثائق محاكمة وزير الخارجية توفيق السويدي بعد الاطاحة بحلف بغداد عام 1958 (كتاب محكمة الشعب - الجزء السادس - ص 2454).

قضية عودة شكري القوتلي إلى سوريا.

وفي هذه الظروف بالذات عقدت اللجنة المركزية للحزب الوطني - التي غيرت منهاج الحزب لمصلحة مشروع الاتحاد مع العراق - اجتماعا في حمص، يوم 1950/1/23، ضم الدكتور عبدالرحمن الكيالي رئيس الحزب، وصبري العسلي الأمين العام، ولطفي الحفار وبشير القضماني وجمال علي أديب وعرفان الجلاد واحسان الجابري وميخائيل اليان وليون زمريا ونجيب البرازي

وعبدالقادر شـريتح وبـدوي الجبـل.. ورافقـت انعقـاد هـذا الاجتمـاع حركة لتوزيع صور شكري القوتلي على بعض اسواق دمشـق، ثـم شكلوا وفدا من 22 شخصا برئاسة صبري العسلي لزيارة القـوتلي في الاسكندرية حيث أدلى العسلي هناك بتصريحات عديـدة جـاء فيهـا إن القـوتلي هـو رمـز الاسـتقلال .. وأن فريقـا مـن الشـعب السوري امتنع عن التصويت فـي الانتخابـات الأخيـرة وإن الدسـتور القديم لا يزال نافذا ولا حاجة لوضع دستور جيد".

ولكن رجال الحزب الوطني ظلوا متأرجحي الـولاء بـين حكـام العراق والقوتلي، ولذلك فقد أوعز شكري القـوتلي الـى ابـن عمـه المحامي مظهر القوتلي بتأسيس حزب أسماه الحـزب الجمهـوري الديمقراطي، وقد حـاز علـى تـرخيص لهـذا الحـزب فـي شـهر آذار 1950، وأشير في منهاجه أنه يعتبر سوريا جزءا من الوطن العربـي الأكبـر وأنـه يؤيـد مشـروع الضـمان الجمـاعي، ويـدعو الـى اصـلاح ميثاق الجامعة وتوسـيع صـلاحياتها، وهـو يعـارض المحـاور العربيـة التي تضعف وتعرقل أعمال الجامعة، وقد استأجر الحزب الجمهوري مقـرا لـه مقابـل البرلمـان معتمـدا علـى زعامـات أحيـاء دمشـق القديمة كأبي أمين القباني وأبي عبدو العشي الخ.. وسـلك هـذا الحزب سبيل المعارضة لحزب الشعب والجمعية التأسيسة، وكـان يدعو لعودة القوتلي، تدعمه مصر والسعودية.

□

وبالاضـافة الـى تحـرك المشـايخ فقـد شـهدت هـذه الفتـرة تهديدا بالاضراب مـن مـوظفي الماليـة والمعلمـين لزيـادة الرواتـب، ولم يكن هذا الاضراب بعيدا عن التأثيرات الحزبية وكان الهدف منـه إحراج الحكومة لإجبارهـا علـى الاسـتقالة، ولكـن الحكومـة تصـدت لهم بحزم فتراجعوا عن الاضراب.

□

1950: المحوران العربيان، ومن خلفهما يتجاذبان سورية - بعض الوثائق التي تليت في محاكمة توفيق السويدي بعد ثورة العراق عام 1958 وسقوط حلف بغداد - بعثة عسكرية سورية برئاسة أديب الشيشكلي الى مصر والسعودية - استقالة وزارة جودت الأيوبي في العراق وتوفيق السويدي يؤلف الوزارة - تسهيل هجرة عشرات الآلاف من اليهود العراقيين إلى فلسطين.

كان هدف العناصر الوطنية في الجمعية التأسيسية بعد انقلاب العقداء أن تسير سوريا في سياستها المستقلة عن المعسكرات الدولية والمحاور العربية لتضع دستورا حديثا للبلاد يبنى على أسسه مستقبل تطويرها في جميع مجالات الحياة، لبينما تتهيأ الظروف الموضوعية لتحقيق خطوات وحدوية خارجة عن مناطق النفوذ الاستعمارية.

وكانت استراتيجيتنا لتحقيق ذلك تقوم على استغلال التناقض العربي والدولي للمحافظة على استقلال البلاد دون أن ندخل طرفا في ذلك التناقض، لئلا تصبح القضية عندئذ ضحية وصريعة له.

كان هذا الموقف الصحيح دقيقا شاقا حرجا مما أوقعنا في بعض الأحيان بين فكي الملزمة:

عراق نوري السعيد والمرتبطين به من جهة، والسعودية ومن يدور في فلكها من جهة ثانية، فقد سعت السعودية في بداية انقلاب العقداء لعودة القوتلي بعد أن أخفقت باستدراجي لاستلام رئاسة الدولة وحل الجمعية التأسيسية.

أما حكم عبد الإله ونوري السعيد فقد استمر يتآمر بشراسة أشد وسخاء اكثر، سواء عن طريق عناصره السياسية والحزبية في الجمعية التأسيسية، أو عناصره العسكرية في الجيش، وفيما يلي وثيقتان من الوثائق الكثيرة التي اكتشفت عام

1958 بعد الثورة العراقية والاطاحة بحلف بغداد، وقد تليت هاتان الوثيقتان مع كثير غيرها خلال محاكمة السيد توفيق السويدي، الذي كان وزيرا للخارجية خلال عام 1950، بتهمة التدخل في شؤون سورية وإفساد الحياة السياسية فيها :

من عراقية دمشق إلى خارجية بغداد الرقم 47

برقيتكم 039 اننا مستمرون بالاتصالات اللازمة، العمل الاساسي يبدأ بعد الانتهاء من الدستور الجديد وانتخاب رئيس الجمهورية وتشكيل حكومة جديدة، لا نرى فائدة من الارتباط الان قد يصبحوا غير مسؤولين بعد الانتخاب المقبل، يرجى ارسال اجوبتكم على برقياتنا المرسلة لكم بواسطة جفرة الدفاع بنفس الطريقة ضمانا للكتمان ذلك لان جفرة الخارجية سهلة الحل ولا تؤمن السرية المطلوبة في مثل هذه القضايا الهامة.

الى عراقية دمشق الرقم 9 التاريخ بغداد 15/شباط/ 1950

ادرسو كيفية مساعدة الحناوي لانقاذه من السجن وتبرئته وما يكلف ذلك، اتصلوا بجلال السيد ويوجد موقوفون لمعارضتهم (معارضة الحكم السوري) لتكتيكنا الحاضر، هل يمكن مساعدة عوائلهم؟ اتصالاتكم يجب ان تكون بحذر زائد، بينوا ممنونيتنا لحسني البرازي على موقفه واسألوه ماذا يحتاج للعمل، وبأي طريقة يرتأيها، اتلفوا هذه البرقية بعد الاطلاع على مضمونها.

وزير الخارجية - توفيق السويدي[1]

□

في تلك الفترة أخذت الأطراف العربية والدولية المتصارعة تسلك شيئا فشيئا طريق الحدة والعنف على الصعيدين العسكري والسياسي ضد القيادات الوطنية المستقلة، من تدبير المؤامرات والاغتيالات السياسية كما سيرد فيما يلي بعد أن توصلت إلى تحقيق انقسام في الجيش والأحزاب والتكتلات السياسية لأن الالتقاء الذي تبدى اثر انقلاب العقداء بين العناصر الوطنية في

(1) كتاب محكمة الشعب - الطبعة الأولى - وزارة الدفاع العراقية - ص 2454.

الجيش والسياسيين لم يستمر طويلا أمام شدة ضغط كلا المحورين الدوليين والعربيين المتصارعين، بالوقت الذي كانت فيه هذه القوى الوطنية المستقلة عن المحورين ضعيفة بمستوى تماسكها وقدراتها حيال القوى الدولية الجبارة.

ولم يمر علي خلال حياتي السياسية فترة حرجة مثل هذه الفترة، فقد كان الوضع غيرمتكافيء، مما أفسح المجال لالتباس الصورة أمام الرأي العام، الأمر الذي استغلته أجهزة الاعلام العربية والدولية لتهيئة الجو لحبك المؤامرات تحت ستار كثيف من الضباب والغموض، بالوقت الذي كنا أحوج ما نكون فيه لوضوح الصورة والمواقف الذي هو أمضى أسلحتنا في مثل هذه المعارك.

نشاط المحور المصري السعودي لعودة القوتلي واصرار الوصي عبد الاله على تنفيذ مشروع الاتحاد.

كان من جملة المشاكل التي واجهتنا بعد انقلاب العقداء، بالاضافة إلى مشروع نوري السعيد، هجمة المحور المصري السعودي، فقد نشط هذا المحور نشاطا كبيرا جدا في أوساط الجيش والجمعية التأسيسية محتميا وراء الدعوة لعودة شكري القوتلي إلى رئاسة الجمهورية.

ولتهيئة الجو بعث القوتلي برسائل من القاهرة الى جماعته في دمشق يعتبرني فيها "دعامة النظام الجمهوري وحامي كيان سوريا في الجمعية التاسيسية". وقد أذيعت أنباء هذه الرسائل في الصحف بعد أن نقلها إلى جماعة القوتلي شفويا، وكان القصد منها فتح باب المساومة للقبول بعودته إلي رئاسة الجمهورية، ولكن موقفي ظل واضحا وثابتا، مما جعلني في نظر القوتلي وجماعته العدو الأول، ليس بنظرهم فقط، وانما بنظر المحور المصري السعودي أيضا، وفي تلك الفترة أوفدت جريدة الأهرام، الوثيقة الصلة بالسلطات المصرية، مندوبا خاصا الى دمشق، فنشر سلسلة مقالات عن الحالة في سوريا، موجهة لصالح عودة القوتلي.

كما أن المصادر ذاتها راحت تختلق الأنباء عن وجود اتجاه للعودة إلى برلمان 1947 الذي سيرفض عند اجتماعه قبول استقالة القوتلي التي قدمها لحسني الزعيم، وفي الوقت ذاته كان القوتلي يدلي بالتصريح إثر التصريح، وهو في الاسكندرية، عن سوريا والشرعية والدستورية.

في تلك الفترة جرت الانتخابات النيابية في مصر، ففاز فيها حزب الوفد فوزا ساحقا، وشكل مصطفى النحاس باشا حكومة وفدية، وعاد النشاط الى أروقة الجامعة العربية لتجديد البحث في "الضمان الجماعي" بعد توقف طويل، فوجدناها فرصة مناسبة لتشكيل وفد إلى تلك المباحثات يقوم بتوضيح موقف الجيش السوري لمصر والسعودية، وبالاتفاق مع رئيس الورزاء خالد العظم قررنا أن تكون البعثة السورية الى مباحثات الضمان الجماعي مؤلفة من العقداء أديب الشيشكلي وعزيز عبدالكريم وشوكت شقير، وأن تستهدف هذه البعثة في زيارتها لمصر والسعودية الأمور التالية :

أولا: تمتين ميثاق الضمان الجماعي حتى يصبح تحالفا عسكريا عربيا، لأن الجو أصبح مهيئا لذلك بعد أن أصبح حزب الوفد حاكما في مصر.

ثانيا: إفهام المصريين والسعوديين عقم الدعوة لعودة القوتلي، وامتناع سورية عن الدخول في سياسة المحاور العربية.

ثالثا: أن تقبل مصر البعثات العسكرية السورية التي رفض الملك فاروق قبولها بعد انقلاب الحناوي، وهي بعثات دراسية وأن يزود الجيش السوري بما يمكن من الاسلحة.

رابعا: تمتين الأواصر بين سوريا ومصر على أساس النظام القائم.

خامسا: اغتنام الفرصة لاقناع المملكة العربية السعودية بصرف القرض الذي أوقفته إثر مصرع حسني الزعيم، وقدره ستة ملايين دولار، والبحث في إمكان زيادته الى اثني عشر مليونا إذا

أمكن، لأن سوريا كانت بأمس الحاجة للمال لدفع عجلة مشاريعها الانمائية الى الامام، وهي لا تقبل قروضا أو معونات اجنبية.

وفي 1950/1/8 غادرت البعثة العسكرية دمشق ، ولتأكيد اتفاق الحكومة والجيش على سياسة موحدة للبلاد أدلى رئيس الوزراء خالد العظم بتصريح كذب فيه دعوة برلمان 1947 للنظر في شرعية استقالة القوتلي من رئاسة الجمهورية أو عدم شرعيتها، وقال : "ان تلك الانباء لا تستند الى الواقع، لأن الأمة قد استفتيت في تعيين ممثليها وقالت كلمتها النهائية".

وفي القاهرة عقد العقداء الثلاثة مؤتمرا صحفيا نفوا فيه الانباء التي أذيعت عن عودة شكري القوتلي الى سورية وقالوا: "لقد جئنا إلى مصر لأمور تتعلق بالضمان الجماعي، فالمعروف أن لهذا الضمان ناحية سياسية وأخرى عسكرية، وقد رأينا فيما يختص بالناحية الأخيرة، التي تدخل ضمن نطاق عملنا أن نحضر الى مصر الشقيقة لنقوم ببعض الابحاث والدراسات والاستعلامات مع ذوي الشأن في مصر، لا سيما بعد أن أعلنت الحكومة السورية تأييدها التام للضمان الجماعي، وعدته أداة صالحة للدفاع عن كيان العالم العربي، كما أعلنت استعدادها للمضي في طريق التعاون والتضامن الى أقصى الحدود التي تذهب إليها البلاد العربية في هذا الشأن".

وقد علقت الدوائر العراقية في بغداد بأنها "تشك في امكانية تسليم الشيشكلي بجميع المطالب المصرية، وتشك بالتالي في أمر انضمام سوريا إلى محور القاهرة جدة انضماما تاما، وتعتقد أن القصد الأول من الرحلة هو التلويح من جانب العسكريين السوريين بالانضمام الى الكتلة المصرية السعودية فيما إذا أصر ساسة العراق على تحقيق مشروع الهلال الخصيب، أما القصد الثاني فهو عدم إضاعة الفرصة المناسبة لتزويد الجيش السوري بالاسلحة الحديثة ذلك لأن مصر تتعهد بتقديم الاسلحة اللازمة للجيش السوري إذا تعهدت سوريا بالمحافظة على نظامها الجمهوري".

وقالت جريدة النهار بتاريخ 1950/1/10 "ولا تزال الأحزاب العراقية، ولا سيما المعارضة، تعتقد أن العائق الوحيد في سبيل الوحدة السورية العراقية هو المعاهدة البريطانية، وهي تعتقد بأن السوريين جميعا، ومنهم ضباط الجيش، ما كانوا ليعارضوا الاتحاد لولا هذه المعاهدة".

قام أعضاء البعثة العسكرية السورية بالاتصالات اللازمة في القاهرة، كما اجتمعوا الى مصطفى النحاس باشا رئيس الوزراء ، ثم سافروا إلى السعودية واجتمعوا الى الملك عبد العزيز الذي أبدى عدم اقتناعه باخلاص الجمعية التأسيسية وحزب الشعب، فبذل اعضاء البعثة جهدهم لتأكيد عقم محاولات حزب الشعب على افتراض عدم تراجعه عن مشروع الاتحاد.

وعادت البعثة الى دمشق يوم 1950/1/13 ، فكتب مراسل وكالة انباء الشرق في دمشق ما يلي :

وجهت سؤالا للاستاذ اكرم الحوراني وزير الدفاع يتعلق حول مهمة بعثة الدفاع الى مصر فقال :

يمكنكم تكذيب جميع الأحاديث التي نشرتها الصحف المصرية عن لسان البعثة حول مهمتها، إذ لا صحة لها مطلقا، فكل ما صرح به رئيس البعثة ينحصر في هاتين الجملتين : لقد جئنا بمهمة لدراسة الأمور العسكرية والنواحي العسكرية المتعلقة بمشروع الضمان الجماعي".

وفور وصول البعثة العسكرية الى وزارة الدفاع عقدت مع أعضائها اجتماعا دام أكثر من ساعتين، ثم انتقلت معهم إلى وزارة الخارجية للاجتماع برئيس الحكومة، وكان تقرير البعثة يدل على نجاح تام في مهمتها، لا سيما بالنسبة لموضوع صرف القرض الذي وعدت السعودية بإمكانية مضاعفته، ولذلك قررت الحكومة في اجتماعها بتاريخ 1950/1/14 ايفاد الدكتور معروف الدواليبي وزير الاقتصاد والدكتور عزة الطرابلسي مدير الموارد العامة بوزارة المالية، الى السعودية لاجراء المباحثات النهائية بهذا الصدد.

أما الحكومة المصرية فقد أظهرت اقتناعها بالموافقة على سياسة سوريا بوضعها الجديد، كما وافقت على قبول البعثات السورية في المعاهد العسكرية المصرية، ووعدت بتزويد الجيش بما تيسر من الاسلحة والمعدات الحديثة، ثم ما لبثت أن أذاعت بيانا باسم الناطق الرسمي بلسان وزارة الخارجية المصرية جاء فيه: "يهمني أن أوضح أنه لم يثبت لدى الدوائر المختصة شيء مما كتبته الاهرام، ومعلوم أن الاوضاع في سوريا قائمة على اساس صيانة استغلالها واحتفاظها بنظامها الجمهوري وعدم رغبتها في الانضمام الى العراق".

وفي اليوم التالي لعودة البعثة العسكرية الى دمشق عقد خالد العظم رئيس الوزراء مؤتمرا صحفيا تحدث فيه عن نجاح البعثة في مهمتها، وتطرق إلى القرض السعودي فقال سوف يسدد لقاء بضائع ومنتجات سورية، ثم نفى ما نشرته بعض الصحف عن قيام محادثات تهدف الى عقد معاهدة تجارية بين سوريا والولايات المتحدة وأكد أن الحكومة السورية لم تطلب من الولايات المتحدة أية مساعدات، ثم تحدث عن السياسة الخارجية فقال أن تدخل اي دولة بشؤون سوريا يزيد الامور تعقيدا اكثر مما يساعدها على ايصالها الى الاستقرار، ثم عبر عن اعتقاده أنه بقدر ما تحترم الدول الأخرى حرية رجال سوريا في معالجة أمورهم التي هم أدرى بها يكون الطريق الى الاستقرار أقصر.

□

إن الذي ظهر فيما بعد أن السعودية بقيت غير مقتنعة بهذه السياسة، رغم كل المحاولات التي بذلتها الحكومة السورية بواسطة سفير السعودية عبد العزيز بن زيد، الرجل الذكي الداهية، بضرورة المحافظة على الوضع الجديد الذي هو لخير سوريا والعرب عامة، فقد ظلت السعودية على سلبيتها وارتيابها وسعيها لعودة القوتلي، وتضاعف نشاط أجهزتها للعمل على انقلاب عسكري جديد.

بينما ظل حكم نوري السعيد مستمرا في مؤامراته ودفع أنصاره في الجمعية التأسيسية لاحراج الجيش والحكومة وتهيئة انقلاب ايضا، بالرغم مما أظهرته حكومة جودت الأيوبي من رغبتها بعدم تشجيع الانقلابات في سوريا "لتلم شعثها وتبني نظامها الديمقراطي الذي تريده، الأمر الذي يزيل اسباب الانشقاق بين الدول العربية".

ولهذا الغرض زار القاهرة في مطلع شباط 1950 مزاحم الباجه جي نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية العراقية وأجرى مباحثات مع حكومة حزب الوفد تم الاتفاق بموجبها بين مصر والعراق على تحقيق الاستقرار بسوريا دستوريا بالوساطة المشتركة والامتناع عن التدخل لمدة خمس سنوات، وقال الباجه جي: "إنني لم أدخل الوزارة الا بشرط التفاهم مع مصر وتصفية العلاقات العربية"، ولكنه ما أن وصل عائدا الى بغداد حتى وجد حكومته مستقيلة، والمساعي تبذل من قبل توفيق السويدي- وهو ظل نوري السعيد- لتشكيل حكومة جديدة، وما لبثت حكومة السويدي ان أعلنت في بيانها الوزاري أنها "ترى من حق الشعبين السوري والعراقي أن يقررا ما إذا كانا راغبين بالاتحاد أم لا، وأن هذه الحكومة ترفض رفضا باتا كل ما من شأنه تأجيل تنفيذه".

ولكن سرعان ما انفضحت حقيقة سياسة حكومة السويدي إذ كان في طليعة أعمال حكومته إصدارها قانونا يسمح لليهود العراقيين بمغادرة العراق إلى اسرائيل، مما أثار جوا صاخبا في مجلس الأعيان بتاريخ 1950/3/5 عندما عارض مزاحم الباججي هذا القانون وطلب سحبه نظرا لأضراره الفادحه بالعراق والدول العربية الأخرى، فرد عليه صالح جبر نائب رئيس الوزراء قائلا: "إن القانون المذكور هو في مصلحة العرب والعراق، كما أنه ضرورة اقتضتها الظروف الحاضرة، وإنه من الخطأ إبقاء اليهود في العراق".

وقال عزرا مناحيم دانيال، وهو عضو يهودي في مجلس الاعيان العراقي: "ان سبب فرار اليهود من العراق يرجع الى القيود المفروضة عليهم".

ثم تكلم على جودة الايوبي رئيس الوزراء السابق فأعلن معارضته هذا القانون قائلا: "إن الدول الاجنبية منعت هجرة اليهود من بلادها اكراما للدول العربية، فكيف تعمل دول عربية على تسهيل هجرتهم الى اسرائيل.

كما أشار مصطفى العمري إلى عدم تعرض القانون لذكر أموال اليهود العراقيين.

وقد ساهم تهجير يهود العراق الى اسرائيل مساهمة جدية في دعم كيان اسرائيل وكشفت مناقشات ذلك القانون الاغراض الحقيقية للذين أوهموا العرب بأن مشروع الاتحاد السوري العراقي هو مشروع دفاعي ضد إسرائيل.

ومن الغريب أن حزب البعث العربي في سورية وحزب الاستقلال في العراق استمرا رغم كل ذلك في تأييدهما لمشروع الاتحاد.

ومع الأسف فإن تسهيل هجرة اليهود العرب إلى فلسطين لم يقتصر على العراق فقط فقد جاء في تقرير وضعه رجال المراقبة الدولية بتصنيف الهجرة الى اسرائيل من مختلف أنحاء العالم أن الهجرة المصرية كانت في المرتبة السابعة بين يهود العالم، ويقول التقرير أن عدد اليهود المصريين الذين هاجروا الى اسرائيل بلغ عشرين ألفا من أصل 67 ألف يهودي موجودين في مصر، وأنهم نقلوا معهم ستة ملايين جنيه".

كما كانت الصحف السورية واللبنانية تنشر الانباء باستمرار عن هجرة يهود الاقطار العربية الأخرى الى اسرائيل - من اليمن وتونس والمغرب- وعن انكشاف بعض شبكات تهريب اليهود الى اسرائيل.

1950 : مقتل المناضل أبو رميح، عبدالله الشارع- اغتيال رفيقنا القاضي عادل العلواني- عبد الاله الوصي على عرش العراق يحاول رشوتي بأربعة ملايين دينار مقابل تجاهلي مشروع الاتحاد مع العراق.

فواجع ومفاجآت .

لم تخل فترة اشتراكي بالحكومة من فواجع مؤلمة ومفاجآت مذهلة، وخصوصا خلال شهر آذار 1950، أولى هذه الفواجع مصرع رفيقنا المناضل عبد الرحمن الشارع، الملقب بأبي رميح، وهو ابن أخت الشهيد البطل سعيد العاص، وقد تحدثت بالتفصيل عن علاقاتنا الوطنية والسياسية والأخوية مع أبي رميح منذ الثلاثينات، فقد كان هذا الشاب ركنا من أركان الحركة الشعبية في مدينة حماه.

ففي عصر يوم مشؤوم من تلك الأيام أتاني النبأ بأن الرفيق أبا رميح قدذهب ضحية حادثة سيارة في اصطدام وقع عند مفرق دمشق - دوما، فتأثرت للنبأ تأثرا كبيرا وحزنت حزنا شديدا. وفي اليوم التالي نقلنا جثمانه إلى حماه حيث شيعته المدينة بالحزن والدموع في موكب حاشد مهيب، وبعد مواراته ألقيت كلمة في رثائه واستذكار بسالته ونضاله وشهامته التي تمثل جوهر أشباهه من أبناء شعبنا المناضلين، ولكنني فوجئت لدى مغادرتنا المقبرة بأن موكب المشيعين ينقلب بجماهيره الى احتفال سياسي، حيث انطلق أبناء حي الفقيد بترديد الأهازيج: "شوف شوقال المذياع.. أكرم وزير الدفاع".. وعندما مررنا في قلب حي السخانة، وهو حي أبي رميح، ازداد هياج الجماهير وحماسهم بشكل مذهل. فأدركت من هذه الحادثة ومن أنباء اتساع عصيان الفلاحين على الاقطاعيين في مختلف أنحاء البلاد أن الشعب كان يعتقد بأننا قابضون على زمام الأمور، وأنني صرت أملك قوة التغيير، مع أن اشتراكي في الحكومة كان لا يقصد منه سوى - تثبيت

الجمعية التأسيسية والوضع الاستقلالي والتفاهم والانسجام بين الجيش والجهاز السياسي الديمقراطي وقد رجعت يومذاك الى دمشق وأنا غارق في التفكير بعظم المسؤولية التي وضعها الشعب على عاتقنا في هذا البحران من المؤامرات الدولية والعربية والداخلية، بالوقت الذي لم نكن نملك فيه تنظيما بمستوى هذه التحديات.

مصرع رفيقنا الشيخ عادل العلواني .

لم تنته آثار مصرع رفيقنا عبد الرحمن الشارع حتى فوجئت، في ليلة الخامس من آذار 1950، بأصدقاء يهرعون إلى منزلي لاخباري بأن الشيخ عادل العلواني قد اغتيل في بيته، أسرعت إلى المستشفى وأنا في حالة من الحزن والذهول والارتياب، لكنني عندما وصلت كان الفقيد قد فارق الحياة، وأخبرني من كان حوله بأنه كان يردد اسمي ويسأل عني حتى نفسه الأخير.

لقد كنت أتوقع حدوث كل شي إلا أن أفاجأ بهذا الاغتيال ولم اصل في تلك الليلة الى اي استنتاج عن الاسباب.

وفي ضحى اليوم الثاني وقفت مع جمهور المشيعين على باب المستشفى، واجما حزينا، في انتظار خروج نعش الفقيد، وبينما أنا كذلك سلم علي ملازم في الجيش، من آل الاتاسي، معروف بتعاطفه مع الحناوي، ثم وقف غير بعيد عني مرددا : "أول الغيث قطر ثم ينهمر"، فلفت نظري تمثله بهذا الشطر من الشعر الذي يعبر عن شماته وقحة، ولكنه في الوقت نفسه آثار وساوسي بأن اغتيال العلواني هو اغتيال سياسي ولكنني كنت أخاطب نفسي :

إن الشيخ العلواني قد عاد للقضاء وانصرف اليه بعد فشله في الانتخابات النيابية فكيف يمكن أن يكون اغتياله سياسيا؟

أحدث نبأ هذه الجريمة أثرا بعيدا في أوساط القضاة والرأي العام في دمشق وحماه خصوصا، وفي سوريا عموما، كما هز الحكومة والصحافة السورية هزا عنيفا، فكتبت جريدة "النصر"

(العـدد 1584 50/3/7) بمـا لا يخـرج عمـا نشـرته جميـع الصـحف الأخرى قائلة:

"سرى نبأ اغتيال ابن حماه البـار والقاضـي الممتـاز الاسـتاذ عادل العلواني في دمشـق سـريان الكهربـاء منـذ الصـباح، وتوافـد الناس على داره لتتأكد من صحة النبـأ الـذي قوبـل بـألم وفجيعـة، وعند العصر وصل جثمان الفقيد الى حماه فـي موكـب كبيـر رافقـه معالي الاسـتاذ اكرم الحـوراني وزيـر الـدفاع وعـدد كبيـر مـن قضـاة دمشق وحمص، وقد أخـذ الـدرك والشـرطة التحيـة للجثمـان عنـد وصوله، وواكبوا نعشه عندما بدأت الجنازة من دار الفقيد في محلة العليليـات حتـى مقبـرة بـاب البلـد حيـث صـلي عليـه ووري ترابـه الأخير مشيعا بالحسرات والـدموع، وقـد اشـتركت جمـاهير غفيـرة فـي تشـييع الفقيـد، وابنـه فـي المقبـرة القاضـي الاسـتاذ انـيس الملوحي، ثم معالي وزير الدفاع الذي دلل على نزاهة الفقيد بأنـه لم يعثر لديه على ثمن كفن له. ثم تكلم الاستاذ درويش العلواني فشـكر باسـم عائلـة الفقيـد جميـع الـذين شـاركوها فـي مصـابها الأليم".

والواقع أنني لم أكن مبالغا حين قلت إننا لم نعثر فيما تركـه الشيخ عادل على ثمن كفن له، فحين زرت بيته فـي تلـك الليلـة، وهو بيت بسيط مستأجر في زقاق "سـيدي عـامود" المتفـرع عـن شارع مدحت باشا، اكتشفت مـدى الفقـر الـذي كـان يعـاني منـه ذلك القاضي النزيه، فقد كان يقتر على نفسه وعلى أسرته تقتيرا شديدا لكي يتمكن من إرسال النفقات الشهرية لابنه الذي يدرس الطب في ستراسبورغ.

وهذا ما ذكره ايضا قاضي دمشـق الشـيخ علـي الطنطـاوي الذي نشر مقالة جاء فيها: "لم أصدق الخبـر.. وغـدوت أسـأل فـاذا الخبر صحيح، فذهبت الى دار الفقيد أدبـر أمـر الجنـازة فلـم أر فـي الدار الا امرأة حيرى وأطفالا تسعة أيتامـا، وإذا القاضـي الـذي كـان مستورا بالتجمل لم يخلف بعده ما يكفي لايصاله الى القبـر، ولقـد يكون في هذا الذي أقول إيلام لأسرة الفقيد، ولكنـي أقولـه بإكبـار وإعجاب، وأحني هذا الرأس الذي ما انحنى قط، أمام نعش الرجـل

الذي استطاع ان يكون قاضيا نزيها أمينا وهو يكابد الفقر عمره، ويتجرعه ويصبر عليه حتى عاش شريفا ومات شهيدا".

عدت إلى دمشق وأنا مصمم على أنه لا بد من كشف الجريمة، وكانت كلمات ذلك الملازم عن "أول الغيث" تزيد في دوافع البحث عن الفاعلين.

ولكن كيف يمكن كشف الجريمة ووسائل التقصي والتحري في بلادنا معروفة بضعفها وتخلفها؟ وكم من جريمة طويت بسبب ضعف أجهزة الأمن وتخلف أساليبها؟

لقد مارست المحاماة فترة من الزمن، وعرفت أن التعذيب كان في رأس وسائل التحقيق، مما ضلل القضاء كثيرا، وكان سببا بالحكم على الأبرياء ونجاة المرتكبين في بعض الجرائم، ذلك هو الاسلوب الذي ورثناه عن عهد الخلافة العثمانية.

لذلك لم أر سبيلا للوصول إلى كشف الجريمة إلا أن أتبع الطريق الشعبي السياسي، وكنت في تلك الفترة قد قمت -لأول مرة- باتصالات وزيارات منظمة لبعض الأحياء الشعبية بدمشق، وكنت ألاقي فيها ترحيبا ومحبة وثقة، وهذا أيضا -كما سيرد فيما بعد- كان من الدوافع المشجعة على إنشاء فرع شعبي متين للحزب العربي الاشتراكي في دمشق، فقد كانت تلك الزيارات التمهيدية سبرا للأسلوب الذي ينبغي علينا أن نتبعه لتنظيم الفرع في العاصمة.

اتصلت ببعض الشباب الأذكياء من أبناء الاحياء الشعبية الذين تعرفت عليهم في تلك الزيارات، واجتمعت بهم وأفهمتهم أن القضية لا يمكن أن تكون جريمة عادية، فلم يسبق أن اغتيل قاض في سوريا بسبب حكم أصدره، كما أن الصحف اللبنانية أخذت تلمح الى الاعتقاد بأن الجريمة ذات صفة سياسية، وفي الوقت ذاته انتشرت في دمشق إشاعات مغرضة لتلويث سمعة الفقيد وتضليلا للتحري والتحقيق بأن الجريمة وراءها أسباب أخلاقيه، وأفهمتهم أن من واجباتهم الوطنية والانسانية أن يتولوا هم بأنفسهم كشفها لأنه لا أمل لنا بالأجهزة الحكومية.

ولم ينقض يومان إلا وجاءني أحد أولئك الشبان ليخبرني بأنه عرف الفاعلين، واستحلفني أن يبقى اسمه واسم المخبر مجهولين خوفا من انتقام سعدي الكيلاني.

ولكن من هو سعدي الكيلاني؟

ان آل الكيلاني في دمشق هم فرع من عائلة الكيلاني في حماه استوطنت دمشق وكونت وجودا إقطاعيا قويا في دوما والغوطة الشرقية، فصار لها شأنها ونفوذها ووجاهتها، وقد كان أحد أركانها نسيب الكيلاني زميلا لي في برلمان1943.

نشأ سعدي الكيلاني وأخوته نشأة أبناء الاقطاعيين ترفا وبذخا ونفوذا لدى السلطات للتحكم برقاب الفلاحين، وفي أثناء الحرب العالمية الثانية شكل باسمه حزبا وغرر بشباب طيبين من أبناء دمشق فنظمهم وجعل منهم فرقة ملحقة بالغستابو النازي، ودربهم على وسائل التجسس والتدمير والاغتيالات، ثم أصبح عميلا لبريطانيا شأنه شأن من كانوا عملاء النازية اثناء الحرب.

لكن لماذا يغتال هذا الجاسوس رفيقنا العلواني؟

لقد رشح سعدي الكيلاني نفسه لانتخابات الجمعية التأسيسية، وكان قد باع إحدى قراه المسماة (بيت سوا) لحمدي الجزائري، الذي لم يلبث أن وجد مشنوقا في قريته بظروف غامضة، ولم يكشف التحقيق عن أي سبب معقول لانتحاره، لكن الكيلاني تقدم الى المحكمة بدعوى يطلب فيها تعيينه وصيا على قرية بيت سوا نظرا لأن أولاد الجزائري لا يزالون أطفالا قصر، فرفضت زوجة الجزائري ذلك وطلبت أن تكون هي الوصية على أولادها، وهذا ما حكم لها به القاضي عادل العلواني، مما أثار سعدي الكيلاني فأرسل الى القاضي من اغتاله.

ولكن كيف يمكن أن نحمي الذين ساعدوا على كشف الجريمة من انتقام سعدي الكيلاني؟

قلت لذلك الشاب الذي نقل إلي الخبر :

من الممكن أن يبقى اسمك طي الكتمان، ولكن من غير الممكن أن يبقى اسم رفيقك المخبر الأصلي مكتوما، لأنه هو الذي سيتولى إخبار الجهات المسؤولة.

تواعدنا أن نلتقي في مقهى فاروق، فأتى ومعه شاب ذكي الملامح عرفني على نفسه وذكر أن اسمه جمال الدين الافغاني، كان هذا اسمه ولم أعد أذكر اسم عائلته، قلت له :

انني متفائل كثيرا بالتعرف عليك يا جمال الدين الافغاني لأنك سمي مصلح من أشجع واكبر مصلحي هذا الشرق، ولا شك أنك ستكون صادقا ودقيقا لأنك عملت عملا وطنيا وانسانيا، فظهر على وجهه التأثر وقال أرجو أن يبقى اسمي مكتوما.

قلت له لا تخف، ويجدر بك أن تكون بشجاعة الرجل الذي تحمل اسمه، فهل تخشى ذلك الجاسوس سعدي الكيلاني؟

قال: يا سيدي أنت لا تعرفه، إنه بطاش يفعل ما يريد في الغوطة وفي دمشق، وقد ارتكب العديد من الجرائم، ولم ينو شرا لأحد إلا ونفذه دون أن تطاله يد، إن قريته في الغوطة أصبحت ملجأ للزعران والقتلة والمحكومين، وليس في الغوطة من لا يهابه ويخشاه أو يجرؤ على أن يعصي له أمرا.

قلت: هل أنت خير مني؟ تعال نوحد مصيرنا في هذه القضية الوطنية والانسانية، وسوف ترى أن راس سعدي الكيلاني ورؤوس القتلة ستلاقي الجزاء العادل، وبعد هذا الحوار شرح لي تفاصيل الجريمة.

أرسل سعدي الكيلاني ثلاثة مجرمين هم محمد خير الدرويش ومحمود حامد الصباغ ومحمد ديب الحاووط لاغتيال الشيخ عادل، فجاؤوا بسيارة يقودها مجرم رابع (عبد الستار العمري) الى ساحة المرجة، ونزلوا منها فمروا أمام مقهى الطاحونة الحمراء التي اعتاد الفقيد التردد اليها، فوجدوه هناك، وانتظروا حتى قام الفقيد متوجها بطريق العودة الى بيته، فركبوا سيارتهم وسبقوه الى البيت، ونزل محمد خير الدرويش - وهو قصاب - فاختبأ وراء باب مدخل البناية، وحين دخل الشيخ عادل

فاجـأه المجـرم بطعنـة فـي الوجـه شـقت الخـد الأيسـر والفـك والحلقوم، فأمسك به المرحوم بشدة، فطعنـه المجـرم فـي جانـب عنقه، ثم عاجله بطعنة ثالثة في الذراع الأيمن، ثم لاذ بالفرار الـى السيارة التي حملت الجناة عائدة الى سـعدي الكيلانـي ليخبـروه قائلين :

"عملنا له اللازم يا بيك".

لم أسلم القضية للشرطة بل اتصلت فـورا بالمقـدم ابـراهيم الحسيني رئيس الشرطة العسكرية، ولم تمض سـاعات قليلـة الا وكان المتهمـون جميعـا قيـد الاعتقـال والتحقيـق مـن قبـل القضـاء المدني.

كانت الحكومة والجمعية التأسيسـية والـرأي العـام بجـانبي في هذه القضية، لذلك قرر مجلس الـوزراء أنهـا مـن القضـايا التـي تمس أمن البلاد، وأصـدر لهـا مرسـوما تشـريعيا بتشـكيل مجلـس عدلي للنظر بهذه الجريمة، وقد لاقى المجرمون المنفذون جزاءهم العـادل، بينمـا تحركـت جميـع الأجهـزة الخفيـة لتخلـيص سـعدي الكيلاني من حبل المشـنقة.

أمـا أولاد المرحـوم الشـيخ عـادل العلـواني، فقـد قامـت الصحافة بالدعوة لأن تتكفل الحكومـة بـأولاده الأيتـام، وهـي دعـوة لاقت استجابة من المجلس التأسيسـي عبر عنها النواب بالكلمات الطيبة وقدموا الاقتراح التالي :

"الى رئاسة مجلس الوزراء

دولة رئيس الجمعية التأسيسية الموقر

إن الجريمة النكراء التي ذهب ضحيتها القاضي الاستاذ عادل العلـواني قد هزت البلاد من أقصاها إلى أقصاها، وسيقول القضـاء النزيـه كلمتـه العادلـة فيها، إلا أننا نرى من واجب الأمة أن تكون وفية للذين يسقطون ضحية الواجب المقدس، لذلك نرجو إحالة هذا الاقتراح للحكومة لتعمـل علـى تحقيـق النقـاط التالية :

1- اعتبار القاضي المغفور له شهيد الواجب، لأنه اغتيل بسبب قيامه بواجبه.

2- اعتبار ولده الذي يدرس في ستراسبورغ موفدا على حساب الامة حتى ينجز دراسته.

3- تخصيص راتبه الكامل لاسرته

ونعتقد أننا بتقديم مثل هذا الاقتراح انما كنا صدى صادقا لشعور الأمة حيال هذه الفاجعة الاليمة، دمشق في 1950/3/12".

وقد وافق المجلس على هذا الاقتراح فأكمل أيهم بن عادل العلواني دراسته في ستراسبورغ، أما ابنه الثاني رئيف العلواني فقد انتسب الى الجيش وصار ضابطا، لكن الاعمال الطائشة التي قام بها بعد انقلاب 8 آذار 1963 لا تنسجم مع ذكرى والده العطرة.

□

نشطت الأجهزة البريطانية وأجهزة نوري السعيد بعد تشكيل حكومة توفيق السويدي نشاطا ظاهرا وخفيا لتنفيذ مشروع الاتحاد، ويبدو أن اتفاق "جنتلمان" جرى بين بريطانيا وأمريكا على أن يجري تحقيق هذا المشروع بالطرق البرلمانية الدستورية وباختيار البلدين دون ضغط أو إكراه، ولا أدل على ذلك من تصريح سفير أمريكا بالقاهرة الذي قال فيه يوم 26 شباط 1950

"إن سياسة الحكومة الأميركية تجاه مشروع اتحاد سورية والعراق قائمة على أساس عدم التدخل في شؤون الدول المستقلة التي تتمتع بالحرية وبالسيادة القومية، ولذلك فهي لن تتدخل مطلقا لمنع أو لتحقيق هذا المشروع، الا أنها رغم ذلك ترحب كل الترحيب وتؤيد كل التأييد انضمام البلدين المذكورين لبعضهما فيما إذا تم ذلك بمحض رغبات شعبيهما، لا سيما إذا رغب فيه الشعب السوري ووجده مجالا حيويا له سياسيا واقتصاديا وفكريا، ولكن الولايات المتحدة الأميركية تشترط على سورية والعراق فيما إذا رغبتا في الاتحاد أن يتم ذلك بالطرق الدستورية التقليدية، أي بإعلان مجلس سورية التأسيسي أو النيابي موافقته على الاتحاد ورغبته فيه دون أن يتم ذلك بواسطة أي بلد أجنبي" (القبس العدد 4045).

وبهذه الفقرة تشير الولايات المتحدة باصبح الاتهام الى التدخل البريطاني لاقرار المشروع.

هذا على المستوى الدبلوماسي، أما على مستوى أجهزة مخابرات الطرفين فإنها ظلت تعمل خلاف ما يعلن وما يقال، ولا شك أن هذا التصريح قد شجع الانكليز وحكم نوري السعيد على بذل الجهود لاقرار مشروع الاتحاد من قبل الجمعية التاسيسية.

□

انني لا أستطيع أن أنفي العامل السياسي في اغتيال القاضي عادل العلواني، فليس من المألوف أن يهدد ملازم في الجيش وزيرا للدفاع، كما جرى خلال تشييع الجنازة، ولا شك أن سعدي الكيلاني ومن وراءه من الاجهزة الخفية كانت ترمي إلى إرهابي، ولكن عندما انكشفت الجريمة مع ما استتبعها من إجراءات، لجأت تلك الاجهزة إلى سلاح آخر هو الاغراء، ففي أحد الايام اتصل بي هاتفيا الصحافي اللبناني ونقيب الصحافيين فيما بعد، رياض طه يطلب مقابلتي، ونظرا لما يربطني به من معرفة سابقة فقد رحبت بمجيئه، فأتاني الى مكتبي في وزارة الدفاع ومعه رجل لبناني عرفني بأن اسمه معروف السموري وانه سكرتير شخصي لعبد الاله الوصي على عرش العراق، فاستغربت قدومه للوهلة الأولى.

وقال رياض طه في تلك الزيارة: إن عبد الاله يكن لك المحبة والاحترام والتقدير، وانه يود أن تجري مقابلة بينك وبينه اذا شئت، على الحدود السورية العراقية بشكل سري، للتعارف والتفاهم، واذا رأيت مانعا من هذا الاجتماع بينكما فإن سموه لا يصر عليه، وإنه مستعد لأن يقدم لك أربعة ملايين دينار هدية، وهو لا يطلب منك أن تؤيد مشروع الاتحاد لا علنا ولا سرا وإنما الذي يطلبه هو أن تتركه وتتجاهله.

وقد برقت في خاطري، قبل أن ينهي كلامه خاطرة، ولكنني لم أكن مستعدا نفسيا لتنفيذها، وهي أن أظهر الموافقة واستلم الأربعة ملايين دينار فأقدمها للجامعة السورية هدية في مؤتمر

صحفي، لا سيما وأن الجامعة كانت بأمس الحاجة للمال، وهذا المبلغ ضخم جدا إذا عرفنا أنه يعادل أربعين مليون ليرة سورية آنذاك بينما موازنة الدولة كلها لم تكن تتجاوز 144 مليون ليرة، وقدرت أن ذلك المؤتمر الصحفي سيكون مناسبة لفضح اساليب الانلكيز والرجعية، فتكون ضربة مسددة الى دعاته المخدوعين والعملاء والمأجورين.

مرت تلك الخاطرة في ذهني بسرعة خاطفة، ولكنني خشيت مغبتها وأن تنقلب الى عكس ما أرجوه، وعندها انفجرت بكلمات لاذعة رافضا هذا العرض بكل ما تحتويه الكلمات من احتقار وازدراء، ولم أشأ أن أتعرض لرياض طه، وقدرت بأنه سوف يجيبني بأن ناقل الكفر ليس بكافر، وأنه كان يريد أن يطلعني على ما يجري، وهذا أمر مفيد غير ضار، وفعلا كان هذا جوابه عند العتاب بعد انتهاء الزيارة.

الافراج عن سامي الحناوي وجماعته

في ذلك الوقت ركز عملاء مشروع الاتحاد، والجناح اليميني بحزب الشعب خاصة، الضغط على الجيش والحكومة للافراج عن سامي وجماعته والسماح لهم بمغادرة البلاد. وقد كان شرطا من شروط التعاون والتفاهم بين حزب الشعب والجيش بعد حملات التحريض والتحدي التي كان يقوم بها دعاة المشروع من أعضاء الجمعية التأسيسية كحسني البرازي وأضرابه، وقد أصبحت القضية قضية كرامة بالنسبة لهاشم الاتاسي ورشدي الكيخيا، لأن استمرار اعتقال الحناوي، وبالتالي محاكمته وادانته هي بالواقع ادانة لهما، مما لا يتفق مع بقائهما في منصبيهما، ومع تعاونهما مع الحكومة والجيش.

ولذلك عملت جهدي لاقناع الجيش بالافراج عن سامي الحناوي وجماعته والسماح لهم بمغادرة البلاد، بالوقت الذي كان فيه المحور الاخر يضغط باتجاه المحاكمة والادانة لاثارة الازمة والاطاحة بالحكومة وبالجمعية التأسيسية، وهكذا تم التفاهم بين

حزب الشعب والجيش لاطـلاق سـراح سـامي الحنـاوي وجماعتـه بتاريخ 1950/9/7، والسماح لهم بمغادرة سورية الى لبنان.

1950: سورية تبدأ بترسيخ استقلالها الاقتصادي - طرفا الكماشة البريطاني والاميركي يحاولان الاطباق على الوضع الدستوري الديموقراطي في سورية - ضغط اميركي فظ على اعضاء الوفود الى الجامعة العربية في القاهرة لعقد الصلح مع اسرائيل مما دعا عضو الوفد السوري الشيخ معروف الدواليبي الى التصريح بان الدول العربية تفضل ان تصبح جمهورية سوفيتية على ان يستعبدها اليهود.

الانفصال الجمركي بين سورية ولبنان

ظلت سورية ولبنان محافظين على وحدتهما الاقتصادية التامة في ظل الانتداب الفرنسي، سواء فيما يتعلق بالوحدة الجمركية او النقدية او التشريع المالي، او فيما يتعلق بانتقال الاشخاص ورؤوس الاموال وحق العمل وممارسة المهن في كلا البلدين، ولم ير الانتداب في ذلك ما يتعارض مع مصالحه بل جعله في خدمة سياسته ومصلحته في البلدين الشقيقين، ولا سيما ان المصالح المشتركة بين البلدين كانت بيد المفوضية الفرنسية العليا في بيروت تتصرف بها كما تشاء.

ومنذ ان شرعت الحكومتان الوطنيتان السورية واللبنانية في تسلم صلاحيات الاستقلال بدأ التناقض والتضارب يتعاظم شيئا فشيئا بين مصلحة النظامين القائمين في البلدين لاختلاف سياستهما الداخلية والعربية والدولية وارتباطاتهما الطبقية والمحلية، وقد تجلى هذا الافتراق في اول اتفاقية عقدها الجانبان في شتورة بتاريخ 1943/10/1 اذ نصت المادة الرابعة من هذه الاتفاقية على ان سورية ولبنان يؤلفان منطقة جمركية واحدة تتنقل البضائع ضمنها بحرية تامة وبدون اية ضريبة او رسم جمركي، وعلى هذا الاساس يكون للبلدين ادارة جمركية واحدة وتمارس هذه الادارة عملها على اساس وحدة النظام الجمركي.

وهكذا تضاءلت الوحدة الاقتصادية التامة التي كانت قائمة بين البلدين الى وحدة جمركية فقط.

ثم اخذت اسس الانفصال الاقتصادي تترسخ بين البلدين عندما عقدت الحكومة اللبنانية الاتفاقية النقدية مع فرنسا، هذه الاتفاقية التي رفضها المجلس النيابي السوري بهدف استقلال النقد السوري عن النقد الفرنسي، ولكن حسني الزعيم وقعها بعد انقلابه.

□

كان اختلاف الاوضاع الاقتصادية بين البلدين مهددا للصناعة السورية الناشئة بسبب استمرار لبنان على سياسة باب الاستيراد المفتوح لمصلحة التجارة الرأسمالية مما أثار الشكوى والتذمر في سورية وأدى الى ظهور العجز الفادح في الميزان التجاري للبلدين، ومما دعا الحكومتين لدراسة الوضع الاقتصادي من جديد فانتهت مفاوضاتهما باتفاقية 1949/7/8 التي كانت علاجا مؤقتا، اذ استمرت حكومتا البلدين بمعالجة القضايا الاقتصادية تحت تأثير ارتباطاتهما السياسية والاجتماعية والمحلية، فتفجر التناقض دفعة واحدة في عهد حكومة خالد العظم عندما تلقى وزير المالية عبد الرحمن العظم مذكرة من قبل الحكومة اللبنانية مؤرخة في 49/12/10 تحتج فيها الحكومة على القضايا التالية:

1- قضية اوراق النقد السوري وعدم تحويله من قبل الحكومة السورية الى فرنكات من الحساب السوري الى الحساب اللبناني.

2- اصدار وزير الصحة السوري القرار رقم 196 بتاريخ 49/10/25 الذي يخضع فيه جميع المستحضرات والمواد الطبية والصحية المستوردة من الخارج الى ترخيص منه.

3- بادرت الحكومة السورية منفردة وبدون ان تعلم الحكومة اللبنانية الى منع شحن القمح ومشتقاته الى لبنان، الامر الذي اعتبره لبنان مخالفة صريحة للتعهدات المقطوعة، وتجاه

ذلك سـمحت الحكومـة اللبنانيـة باسـتيراد القمـح ومشـتقاته الى لبنان معفيا من الرسوم الجمركية.

والسؤال الذي يطرح نفسه:

لماذا تفجر الخلاف في عهـد حكومـة خالـد العظـم بعـد ان اسـتمر خمس سنوات؟

لقد حرص الحاكمون: القوتلي في سـورية وبشـارة الخـوري ورياض الصلح في لبنان على استبقاء شعرة معاوية بـين البلـدين باسـتبقاء الوحـدة الجمركيـة علـى غيـر اسـاس، فلمـا انهـار نظـام القوتلي بدأت شعرة معاوية تتهدد بالانقطاع من الجانب السـوري، لأن اسـتمرار الوضـع السـابق كـان لمصـلحة الطبقـة التجاريـة فـي بيـروت علـى حسـاب هـذه الطبقـة فـي دمشـق خاصـة، وعلـى حساب الاقتصاد السوري عامة.

لم يكن يجمع خالد العظم مع نظام بشـارة الخـوري وريـاض الصـلح في لبنان اي مصلحة شخصـية او سياسـية، وكـان العظـم حريصـا جـدا علـى دعـم وتأييـد الطبقـات التجاريـة والصـناعية والزارعيـة السورية له، بالوقت الذي كانت فيه الحركة الوطنيـة التحرريـة فـي سورية فـي مختلـف الاوسـاط، سـواء فـي الاحـزاب او التكـتلات او الجيش، ترى في استمرار الوضع الاقتصادي مع لبنان بصورته التي اشرت اليها عائقا يحول دون نمو سورية الاقتصـادي، وبـذلك اجمـع الشعب السوري على تأييد سياسة حكومة خالد العظم، ولم ينـد عـن هـذا الاجمـاع سـوى شـكري القـوتلي فـي القـاهرة ولطفـي الحفار وحسـني البرازي في سورية.

ولكن هل كانت مطالبة سورية بالوحدة الاقتصادية مع لبنـان مناورة سياسية؟

أرى من الواجب ان اوكد ان مجلس الـوزراء - وكنـت احـد اعضـائه - كان مجمعا عنـدما عرضـت عليـه مـذكرة الحكومـة اللبنانيـة، وعـن قناعـة تامـة، بأنـه لـيس امـام سـورية الا ان تطالـب امـا بالوحـدة الاقتصادية او بالانفصال الجمركي، ومع ذلك لم يشأ مجلس الوزراء ان ينفرد باتخاذ هذا القرار بل كلف معروف الدواليبي وزيـر الاقتصـاد

ان يستشير الغرف الزراعية والصناعية والتجارية التي اجتمعت في اول آذار عام 1950 في بهو الجامعة السورية اياما عدة وخرجت بقرارها الاجماعي:

اما وحدة جمركية واقتصادية ونقدية مع لبنان يخلص لها الفريقان، واما انفصال جمركي يكون فيه كل من سورية ولبنان حرا في اتباع الطريق الذي يتوافق مع مصالحه، وهكذا قرر مجلس الوزراء السوري ارسال مذكرة جديدة الى لبنان يخيره فيها بين قبول الوحدة الاقتصادية الشاملة وبين الانفصال الجمركي، كما قرر منعا للتسويف وضع مهلة محددة للاجابة على هذه المذكرة، وقد كلف خالد العظم بصفته وزيرا للخارجية بارسالها الى الحكومة اللبنانية، وما ان تسلمت حكومة رياض الصالح هذه المذكرة بتاريخ 7 آذار 1950 حتى شنت حملة اعلامية نكراء على سورية.

وفي تاريخ 1950/3/13 وبينما كانت الحكومة تعقد اجتماعها في وزارة الخارجية، وصل الى الوزارة مدير الشؤون السياسية لوزارة الخارجية اللبنانية، فطلب مقابلة رئيس الحكومة خالد العظم حيث سلمه جواب الحكومة اللبنانية الذي قرأه خالد العظم امامنا وفيه رفض صريح للوحدة الاقتصادية واعتبار المذكرة السورية انذارا لا يقبل به لبنان، وبعد البحث والمداولة قرر مجلس الوزراء الانفصال الجمركي عن لبنان واتخاذ التدابير الفورية التالية:

1- تطبيق انظمة القطع على العمليات التجارية بين سورية ولبنان، وعدم السماح للاشخاص المسافرين الى لبنان والقادمين منه ان يخرجوا او يدخلوا اكثر من خمسين ليرة سورية.
2- منع نقل البضائع من لبنان الى سورية باستثناء البضائع العابرة (الترانزيت) والبضائع المعفاة من الجمرك والمحروقات.
3- اقامة مراكز جمركية ومراكز مراقبة على الحدود السورية اللبنانية.
4- منع سفر السوريين الا باجازة عند الضرورة.

كـان لاعـلان موقـف الحكومـة اثـر بعيـد المـدى، اذ اعتبـره الشعب الجلاء الثاني عن البلاد، فانهالت البرقيات من جميع فئات الشعب بتجاره وصناعه وعماله وزراعه تؤيد سياسة الحكومة، وقد نشـرت الحكومـة السـورية نـص المـذكرتين السـورية واللبنانيـة (الصحف السورية واللبنانية بتاريخ 1950/3/15) وفي الوقت نفسه اصدرت الحكومة قانونا جديدا بتنظيم النقد السوري وتحديد كيفية اصداره وتغطيته.

وعندما عقدت الجمعية التأسيسـية فـي 18 آذار جلسـتها وافقـت فيهـا علـى تقريـر اللجنـة الاقتصـادية البرلمانيـة الـذي يؤيـد موقـف الحكومة وسياستها تجاه لبنان.

وفـي 22 آذار بـدأت اجتماعـات مجلـس الجامعـة العربيـة بالقاهرة، فأدلى خالد العظم رئيس الوفد السوري بتصريح وضع فيه حدا لاي وساطة بين سـورية ولبنـان، تعـود فيهـا سـورية الـى الوضع الاقتصادي السابق مع لبنان، كما نفى اي عـرض لعقـد ايـة اتفاقات اقتصادية مع الولايات المتحدة، ولكنه أكد ان سورية عقدت اتفاقا اقتصاديا مـع السـعودية وان مفاوضـات تجـري لعقـد اتفاقـات اقتصادية مع مصر والعراق.

وترسيخا لاستقلال الاقتصاد السـوري فـان المجلـس كان قـد أصـدر بتـاريخ 1950/3/12 تعـديلا لقـانون المعـادن والمناجم بما لا يدع للسلطة التنفيذيـة اي مجـال للتصـرف حسب مشـيئتها بثـروات الـبلاد، لأن التعـديل الجديـد جعـل حق اعطاء امتياز الاستثمار من صلاحيات المجلس النيـابي كما نص على ذلك الدستور الذي صدر فيما بعـد، ولـم يمـنح المنقـب سـوى حـق الاولويـة فـي الاسـتثمار - اذا شـاءت الدولـة، وعند تساوي الشروط، كما اقر قانون جديد للتجارة البحرية.

سورية بين المحورين العربيين، ومن خلفهما الكماشة البريطانية الاميركية.

في جلسة 21 آذار 1950 عاد حسني البرازي وجلال السيد وسعيد حيدر الى معزوفة الاتحاد، فقال جلال السيد ان الاتحادات الثنائية افضل من الانعزال، وان الاتجاه نحو الاتحاد الثنائي هو المتنفس لدولة كسوريا لم تجد ما يحقق لها الاتحاد العام.

كما حاول حسني البرازي في تلك الجلسة الاساءة لسمعة الجيش واستفزازه بطريق الغمز واللمز، فلم ار بدا من الرد عليه بصفتي وزيرا للدفاع.

"اريد ان ارد على عبارات والفاظ تمس سمعة البلاد والجيش، وأشرت الى البرازي وقلت:

ان الجيش مسؤول عن الدفاع وحفظ سلامة البلاد، وان رجال الجيش شرفاء بذلوا دماءهم في فلسطين بينما كان غيرهم يعطي التصريحات في اذاعة اسرائيل ويدعم فيها حركتها العدوانية ... هؤلاء - أعني الجيش - جاهدوا عام 1945 بينما كان غيرهم - وأعني البرازي وامثاله - يتمرغ على اقدام المستعمرين... **هؤلاء لا يتدخلون فيما لا يعنيهم، لانهم رجال حرب، اما السياسة فلها رجالها ولها هذا المجلس الذي انتخب من قبل الشعب.** انه - اعني البرازي - يريد الاساءة لسمعة البلاد وتشويه الوضع الداخلي، وهذا لا يغير شيئا، لأن أبناء البلاد يعرفون حقيقة الواقع، لكن المقصود اذاعة ذلك ليستند اليه المتربصون في الخارج لتشويه سمعة بلادنا، لكن هل من الضروري زج الجيش بالقضايا السياسية دوما للوصول الى هذه الغايات والمآرب؟؟ .. ان الجيش منصرف للتدريب والتمرين، ولا أقول ان قوته تضاعفت فحسب عما كانت عليه عند دخوله فلسطين، بل أقول ان قوته زادت عدة مرات، وقد بذل الشعب الاموال الطائلة لتسليحه لا للعدوان بل للدفاع والمحافظة على استقلال البلاد ولا يمكنني ان اشرح لكم التفاصيل فقضايا الجيش يجب ان تبقى سرية"

كما أثار منير العجلاني في تلك الجلسة مسألة عودة شكري القوتلي من جديد فتصدى له نواب من حزب الشعب تصديا قويا **وهكذا تلاقى المحوران العربيان المتناقضان،**

ومن خلفهما الكماشة البريطانية الاميريكية، على هدم استقرار سورية والدفع بها الى انقلابات عسكرية جديدة.

وتكلم خالد العظم فأوجز للجمعية التأسيسية سياسة الحكومة التي تحددت بتوحيد **كلمة العرب وتجنب كل ما يفرقهم، وان سورية وسيلة اتحاد بين العرب لا وسيلة خصام، وان الوفد السوري الى اجتماعات الجامعة العربية في القاهرة - برئاسته - سيضع نصب عينيه الوحدة العربية التي اقسم عليها اعضاء المجلس التأسيسي اليمين "اما الضمان الجماعي فلا زلنا نامل ان يتحقق رغم الصعوبات التي تعترضه".** ووعد بأن يشدد في اجتماعات القاهرة على تمتين الحصار الاقتصادي على اسرائيل نظرا لاهميته، موافقا بذلك على طلب الدكتور عبد الوهاب حومد بأن تبذل كل الجهود لاحباط اي مسعى للصلح مع اسرائيل. "لأنه سيفتح ثغرة في جدار الاقتصاد العربي لا سيما وان الانفصال عن لبنان يجبرنا على تشديد الحلقة، فقد سبق ان تسربت المواد تهريبا الى اليهود. كما سبق ان تسربت الينا بضائع اسرائيلية عن طريق قبرص بماركات مزيفة".

وعندما عاد العظم من اجتماعات القاهرة ادلى بتصريح حول ميثاق الضمان الجماعي الذي وافق عليه مجلس الجامعة العربية، قال فيه: **"ان العالم العربي يشهد في هذه المعاهدة دنوا واقترابا من الغاية الكبرى التي تهدف اليها الامة العربية من حيث الوحدة الشاملة، وان اقل ما يكفله هذا المشروع هو تركيز الشؤون العسكرية واسباب الدفاع على اسس تضمن وحدة الصف وتوجيه الشؤون السياسية ودفعها في اتجاه واحد لخير الجميع، والاخذ باسباب التعاون وتبادل المنافع في اوجه الاقتصاد، بما يعود خيره للمجموعة العربية ايضا".**

ضغط اميركي لعقد الصلح مع اسرائيل.

موفد اميركي يوقظ الموفدين الى اجتماع الجامعة العربية من عز النوم!! غطرسة اميركية وتدخل فج بالشؤون السورية.

ان ذلك النقاش الذي دار في الجمعية التأسيسة حول ضرورة تشديد الحصار الاقتصادي على اسرائيل انما اثير بسبب الاصوات العربية التي كانت تخرج من هنا وهناك لعقد الصلح مع اسرائيل فقد ادلى عبد الرحمن عزام باشا، الامين العام للجامعة العربية بتصريح قال فيه: "ان الدول العربية على استعداد لتسوية نهائية لقضية فلسطين، بما في ذلك مسألة الحدود، شرط ان تذعن اسرائيل لقرارات الامم المتحدة الخاصة باعادة اللاجئين".

هذا بالوقت الذي كان فيه الجنرال كولينز، رئيس اركان حرب الجيش الاميركي، موجودا في القاهرة، حيث اجتمع بالملك فاروق وبالنحاس باشا، واعرب في اتصالاته عن رغبة اميركا في ان ترى الامن مستتبا والسلام سائدا هذه المنطقة، وان اميركا تود لو شهدت دول الشرق الادنى وقد حل الوئام بينها محل الخصام، وفضت منازعاتها، حتى لا تجد الشيوعية ثغرة تتسرب منها الى هذه البلاد... وفهمت الدوائر السياسية ان المقصود من ذلك هو المنازعات بين الدول العربية واسرائيل.

وعندما كان الدكتور معروف الدواليبي عضوا في الوفد السوري الى اجتماعات مجلس الجامعة العربية ادل بتصريح هام قال فيه: "ان الدول العربية تفضل ان تصبح جمهورية سوفياتية على ان يستعبدها اليهود".

فسئل لدى عودته مع العظم الى دمشق يوم 14 نيسان 1950 عن الاسباب التي حملته على الادلاء بذلك التصريح فأجاب:

"ان الضغط الاميركي كان شديدا جدا في القاهرة، فقد اوفدت المفوضية الاميركية موفدا خاصا طاف على رؤساء الوفود العربية وايقظهم من نومهم عند منتصف الليل ليبلغهم رسالة شفوية من حكومته املاها عليهم املاء،

وهي تنص على ان الولايات المتحدة يهمها كثيرا وصول الحكومات العربية الى صلح نهائي مع اسرائيل من اجل خدمة السلام في الشرق الاوسط، كما طلب اليهم ان لا يقدموا على اي عمل يؤدي الى فصل الاردن عن الجامعة بسبب مواقف الملك عبد الله المتجهة نحو الصلح مع اسرائيل"

وكانت الولايات المتحدة قد قامت بالاضافة لذلك، بضغط على الدول العربية بشكل منفرد، قبل اجتماعات مجلس الجامعة، من اجل تنفيذ الخطة التي اتفقت عليها مع بريطانيا لعقد صلح مع اسرائيل، فكان موقف الحكومة السورية حاسما تجاه هذا الموضوع. وبحثت التدابير الواجب اتخاذها حيال الاردن فيما اذا اقدم على مثل هذه الخطوة. وقد قام الوزير الاميركي المفوض بدمشق بابلاغ خالد العظم بان اغلاق الحدود السورية والتدابير الاخرى التي ستتخذ ضد الاردن تعتبر تدخلا بشؤون الاردن الداخلية، فكان خالد العظم حازما في رده.

وقد نشرت جريدة "اخبار اليوم" القاهرية برقية لمراسلها في واشنطن هذا نصها:

"واشنطن، 1 نيسان، تردد هنا ان اتفاقا تم بين اميركا وانكلترا، وان انكلترا تعهدت بالضغط على مصر والعراق بينما تعهدت امريكا بالضغط على سوريا والسعودية. وقد علمت من مصدر مطلع جدا ان وزارة الخارجية الاميركية تلقت نبأ من دمشق بأن خالد العظم رئيس الوزارة السورية اعلن ان سورية ستقفل الحدود بينها وبين الملك عبد الله اذا وقع صلحا مع اليهود، وانها سوف تتخذ هذا الاجراء سواء اتخذته البلاد العربية او لم تتخذه، وفي يوم 23 آذار زار وزير اميركا المفوض بدمشق خالد العظم وابلغه انه مكلف من حكومته بابلاغه ان هذه الخطة من جانب سوريا تعد تدخلا في شؤون بلد آخر هو شرقي الاردن وتحول دون عقد الصلح في هذه المنطقة ومن ثم تحول دون استقرار السلام في الشرق الاوسط، وهو السلام الذي تحرص عليه امريكا، وقد هاج خالد العظم بسبب هذا التبليغ وقال لوزير اميركا ان تبليغ

الحكومة الاميركية هو الذي يعتبر تدخلا في شؤون دولة اخرى هي سوريا"

□

أصداء تصريحات معروف الدواليبي

انفجرت تصريحات الدواليبي حول الضغط الاميركي الفظ على الدول العربية وقوله ان الدول العربية تفضل ان تكون جمهوريات سوفيتية على ان يستعبدها اليهود مثل القنبلة الذرية في المنطقة العربية، وبدأت الصحف والاوساط السياسية تبحث عن دوافعها، فقد كنا في عام 1950، وكانت اسرائيل والحركة الصهيونية ماتزالين موضع تأييد من الاتحاد السوفيتي والاحزاب الشيوعية، ويعتقد ان الحاج امين الحسني والجناح اليساري في حزب الوفد قد شجعا الدواليبي على اطلاقها، ولا سيما انه ادلى بها خلال وجوده في القاهرة فأيدتها جميع القوى الوطنية اليسارية، ولم يستنكرها الا اسماعيل صدقي باشا وأضرابه.

ولكن تجاوب الكتلة الاشتراكية الاسلامية في سورية وعلى رأسها الشيخ مصطفى السباعي (جلسة 1905/4/29 للمجلس التأسيسي) مع القنبلة التي فجرها معروف الدواليبي قد دل على ان تصريحات الدواليبي كانت ايضا بتأييد من الاخوان المسلمين في مصر.

ان هذه التصريحات التي فجرها معروف الدواليبي لم تكن جديدة، فقد سبقتها اصوات ضعيفة لم تترك اثرا يذكر، اما الان فقد تولى هذه الدعوة التي كانت تعد في الماضي كفرا والحادا مسؤولون رسميون في سورية ومصر، وصحيح ان ما قيل في الجمعية التأسيسية في سورية، وما قيل من تصريحات في مصر، ونشاط السيد سولود - وزير الاتحاد السوفيتي في دمشق آنذاك - واتصالاته بالحكومة السورية والبحث بتسليح سورية من الاتحاد السوفيتي لم يؤت ثماره العاجلة في ذلك الحين، ولكنه هيأ الجو لتحقيق ذلك، مما شجع على رفض مشاريع الدفاع المشترك والاحلاف العسكرية، وهيأ لكسر الحصار الغربي الصهيوني على

الامة العربية، وكان بداية لكسر احتكار السلاح فكانت سورية اول بلد عربي تعاقد عام 1955 مع تشيكوسلوفاكيا على صفقة اسلحة، كما شجع على عقد الاتفاقات الاقتصادية والثقافية ومشاريع التنمية في سورية ومصر فيما بعد.

ولا شك ان تفجير القنبلة الذرية في الاتحاد السوفيتي، ثم الهيدروجينية فيما بعد، كان عاملا مهما من عوامل تشجيع العرب على الصمود للدفاع عن حقوقهم حيال الغطرسة الاميركية.

كما انه لا شك عندي ان تصريحات الدواليبي كانت من الاسباب التي دفعت المخابرات المركزية الاميركية للتعجيل باطاحة النظام البرلماني الديمقراطي في سورية، والتفتيش عن الرجل القوي الذي يستطيع وضع حد عاجل امام ما يمكن ان يؤدي الى انتشار الشيوعية في المنطقة والى تسرب النفوذ السوفيتي اليها.

□

لقد شجع الدواليبي ما لاقته تصريحاته من استحسان فاستمر على اعادتها بصورة دعت خالد العظم الى لفت نظره الى ضرورة توقفه لانها تجاوز على اختصاصه كرئيس للحكومة ووزير للخارجية، كما كشفت هذه التصريحات التناقض الموجود في المجلس التأسيسي وفي قلب الحكومة ففي 1950/4/25 صرح الدكتور سامي كبارة وزير الداخلية معلقا على اقوال الدواليبي:

"ان تصريحات الدكتور معروف الدواليبي لا تمثل الا رأي صاحبها، والحكومة السورية لا تؤيد وجهة نظره.. اما انا فاعتبر هذه التصريحات مناقضة للحقيقة والواقع، فالاتحاد السوفياتي ليس بأقل مسؤولية من الولايات المتحدة عن المأساة الفلسطينية فهو على غرار امريكا ايد مشروع التقسيم وشجع العدوان الصهيوني، وبعد ان ايد مشروع تدويل القدس عاد فاتخذ موقفا مماثلا لموقف الولايات المتحدة".

الاعتكاف في 1950/3/16

كنت قد اشرت سابقا الى ان اشتراكي في وزارة خالد العظم الذي اشترطت ان يكون مؤقتا، كان يهدف الى تأمين جو مطمئن للجيش وللجمعية التأسيسية ولحزب الشعب، مما يدعم المسيرة البرلمانية الديموقراطية، ولكن الاثارات التي كانت تبدر من حسني البرازي وسعيد حيدر وجلال السيد بتشجيع من رئيس الجمعية التأسيسية الذي نعت سامي الحناوي بأنه بطل قومي، جعلتني اعتزم على الاستقالة من الحكومة للتفرغ للجمعية التأسيسية، ومجابهة حملات التشهير والتخريب والتشتيت واثارة الجيش والتحريض على الوضع والتآمر عليه، اذ ان قيود المسؤولية الرسمية التي ترتبت على عضويتي في الحكومة تحد من حريتي في مجابهة هذه الحملات، لا سيما وان الجناح اليساري في حزب الشعب اصبح له تأثير قوي في توجيه سياسة الحزب، فازداد نبضه وانتقل من مرحلة الدفاع الى الهجوم.

كما ان مشاغلي بالحكومة لم تكن لتسمح لي بالانصراف الى تنظيم الحزب الذي بدأت فروعه تتشكل في انحاء عديدة من البلاد، مما يولد مشاكل كثيرة ومتاعب عديدة، فاعتكفت يوم 16 آذار 1950 في منزلي، بعد ان اخبرت خالد العظم برغبتي في الاستقالة، وشجعته على الاستمرار في الحكم وتحمل المسؤولية، وأبديت له تأييدي لاتجاهه كما كاشفته باسباب استقالتي فقابل كلامي بدهشة واستغراب، لكنني اخبرته بانني سانقطع عن المواظبة على وزارة الدفاع.

اخبر خالد العظم العقيد اديب الشيشكلي بالامر، فزارني اديب في منزلي في اليوم الاول من انقطاعي عن العمل مستوضحا الاسباب، فكررت له ما قلته لرئيس الحكومة، واضفت لقد اصبح من واجبي ان افتح امام حزب الشعب والجمعية التأسيسية السبيل لقيام تعاون وثيق بين الحكومة والجيش.

فقال لي: ولكن هناك امور كثيرة هامة ومصيرية لا تزال مطروحة وانا ارجو غاية الرجاء ان تستمر في الحكم حتى تتمكن البلاد من اجتياز هذه المرحلة الصعبة، وعندها لكل حادث حديث، فاضطررت ان استأنف العمل حتى تنتهي هذه القضايا والمشاكل ولا سيما

ان المناقشات حول دين الدولة في الدستور المزمع اقراره قد تحولت الى مشكلة مستفحلة.

وقد نشرت جريدة النصر يوم 14 نيسان 1950 - العدد 1915 مقدمة لتصريح ادليت به يومذاك قالت فيها: " لعل هذا التصريح افضل ما قيل حول الجيش السوري وتسلحة وبعث الاطمئنان في نفوس افراد الشعب وايقاظ روح الصبر والامل والرجاء في قلوب المواطنين، وهو يكشف عن عمل جاد والم مكبوت ونار تتأجج، ولكنها تضبط باعصاب حكيمة تنتظر السوانح، وتعد ما استطاعت لمستقبل مترع بالطموح العربي والاندفاع نحو مثله العليا، لتغسل ما تلطخ به الجبين وتمسح ما علق بالاذيال من عار.

عقد وزير الدفاع اكرم الحوراني مؤتمرا صحفيا في مكتبه بوزارة الدفاع تحدث فيه الى الاساتذة الصحفيين ووكالات الانباء حول مسألتي اسرائيل ودين الدولة.

اما فيما يتعلق بالاولى فقد ناشد الصحفيين مراعاة امرين اثنين وهم ينشرون اخبار اسرائيل:

وهما عدم التقليل من اهمية الاستعدادات الحربية التي يقوم بها الصهاينة الان تمهيدا لشن عدوان جديد على الشعوب العربية في المستقبل، وبالوقت ذاته عدم التهويل بهذه الاستعدادات وبقوة الصهاينة العسكرية، مما يفت في عضد الشعوب العربية.

واستطرد قائلا: لقد قام الصهاينة بارتكاب عدد كبير من الجرائم الوحشية امثال جريمة دير ياسين ولكن ذلك لم يكن اعتباطا وعن وحشية طبعوا عليها فحسب، وانما كانوا يهدفون بذلك الى ارهاب الشعوب العربية قبل كل شيء وكذلك فقد شن الصهاينة قبيل حرب فلسطين حملة مركزة من الدعاية التي هولوا بها كثيرا عن الاستعدادات الحربية التي زعموا اتخاذهم اياها آنذاك، والواقع ان استعدادتهم الحربية لم تكن كبيرة والذي كانوا يهدفون اليه هو ارهاب الشعوب العربية ونشر الرعب في نفوسها تماما كما فعل النازيون عندما شنوا حملة دعائية كبرى لجيشهم الذي لا يغلب والذي رأينا جميعا انه قهر.

انني اريد ان اؤكد لكم ان كارثة فلسطين لم تكن نتيجة لانهزام الشعوب العربية، وهي على العكس تماما، فقد جاءت نتيجة اهمال وتخاذل

الحكام والساسة العرب الذين كانوا يتولون الحكم في ذلك الحين، وعلى الرغم من حرمان الجيش السوري من السلاح والذخيرة والاعتدة، وما حيل بينه وبين التسلح والاستعداد، فقد قام بواجبه بشجاعة في المعركة رغم ضآلة عدده، وقد عرف الصهيونيون خطر سوريا والجيش السوري عليهم، ولذلك فقد حاولوا توجيه الضربة القاصمة اليه واخراج سوريا كليا من معركة فلسطين، ولكنهم عجزوا عن ذلك عجزا تاما.

لقد كانت دعاية العدو واعلامه عنصرا هاما من عناصر هزيمتنا في فلسطين. ولذلك فان علينا ان ننتبه كثيرا لما ننشره من اخبار اسرائيل فلا نقلل من اهمية تسلحهم كما لا نكون عونا لهم على ارهاب الشعوب العربية، وفي الوقت نفسه يتوجب علينا ان لا نتبجح بقوتنا العسكرية، فان خطتنا تقوم على اساس الدفاع عن وجودنا وحريتنا، فنحن لا نفكر في العدوان، ولكنني استطيع ان اوكد لكم ان الجيش السوري، بالرغم من الدعايات الموحى بها من الخارج والتي يروجها عملاء الاجانب في الداخل، يستطيع يقينا حماية سوريا والدفاع عنها، كما ان قوته قد أصبحت على مستوى اعظم بكثير من المستوى الذي كان عليه عندما دخلت الجيوش العربية حرب فلسطين، كما استطيع ان اؤكد لكم ان الشعب السوري سيجهز قريبا بكل ما يلزمة للدفاع عن وطنه.

لقد شرد الفلسطينيون من بلادهم لأنهم لم يكونوا مجهزين بالوسائل التي تمكنهم من الدفاع عن الوطن، اما نحن فسنجهز سوريا بكل الوسائل والامكانيات المادية التي تجعلها قادرة على حماية نفسها والتي تجعل الشعب السوري يحمي بلاده دون ان يشرد منها، وستشهدون قريبا حفلات لتدشين معامل الصناعات الحربية الخفيفة والثقيلة ايضا، بحيث لا نقع ثانية بما وقعنا فيه ابان محنة فلسطين فتحرم من الاسلحة والذخيرة لان بعض الدول الاجنبية التي تؤيد الصهاينة تريد حرماننا منها. واذا ما شن عدوان صهيوني جديد على سوريا فان الجيش السوري سيغسل يقينا العار الذي مرغ به انف العرب من جراء كارثة فلسطين عام 1948 فالجيش السوري هو الجيش العربي المتحرر من كل تأثير اجنبي.

واستطرد الوزير قائلا: **انني اؤكد لكم انه مهما تغيرت الحكومات في سوريا فسيبقى لها هدفان رئيسيان هما تقوية اوضاعها الاقتصادية والاجتماعية وتقوية جيشها ووسائلها الدفاعية**، وهذان

هما السلاحان اللذان نحارب بهما الاعداء، ان الصهاينة يستعدون حتما لشن عدوان جديد علينا، ولكننا نحن نستعد لرد هذا العدوان والدفاع عن وجودنا، والصهاينة يلعبون على الحبلين اذ انهم يحصلون على الاسلحة من امريكا ومن روسيا بينما نحن محرومون من اسلحة الطرفين ولكننا نأمل ان تتغير سياسة الغرب وخاصة امريكا وبريطانيا تجاه الدول العربية لان هذه السياسة مضرة بهما كما هي مضرة بالعرب، ثم قال:

ان الشعب السوري قد انتخب جميعيته التأسيسية ومهمتها الرئيسية هي وضع الدستور الجديد وقضية دين الدولة هي احدى مواد هذا الدستور، **وان الشعب والحكومة معا يرغبان كل الرغبة في ان تعكف الجمعية التأسيسية على وضع هذا الدستور وهي حرة من كل تأثير او ضغط مهما كان نوعه**، والذي استطيع ان اؤكده هو ان هنالك عناصر مغرضة ذات سياسة معينة تعمل على اثارة هذا الموضوع بشكل يهدد استقرار البلاد ولذلك فنحن نؤكد ان الحكومة ستضرب مثيري هذه الدعايات بلا هوادة، وستمنع تنظيم اي مظاهرة سلمية كانت او غير سلمية، او عقد اي اجتماع عام لهذا الغرض، او توزيع اية نشرات او كراسات ونقلها في الصحف، حرصا على عدم تعكير صفو الامن بالبلاد، وعدم اعطاء هذه العناصر المشبوهة فرصة للاصطياد بالماء العكر، وسيعتقل كل من يحاول اثارة الفتنة مهما علا شأنه وسما مركزه، وهدفنا من ذلك هو حماية البلاد والجمعية التأسيسية من اي ضغط او اكراه، وحماية الاستقرار والنظام العام من اي تعكير"

وفي نهاية المؤتمر الصحفي اكد وزير الدفاع ردا على سؤال لمندوب وكالة انباء الشرق ان الجيش السوري يهب فورا للدفاع عن لبنان الشقيق اذا هاجمه اليهود بالحماسة نفسها الذي يدافع بها عن سورية.

مجابهة الداعين لعودة القوتلي

في منتصف شهر نيسان 1950 تعرض الوضع في البلاد لحملة مركزة من قبل جماعة القوتلي واقطاب الحزب الوطني الذين عادوا من زيارته في الاسكندرية، والحزب الجمهوري الذي أنشأه القوتلي برئاسة المحامي مظهر القوتلي.

والواقع ان الحكومة ارتكبت خطأين فسحا المجال لهذه الحملة السياسية المبيتة، ففي يوم 14 نيسان 1950 توفي

المجاهد الوطني الكبير الشيخ صالح العلي فلم تقم الحكومة بالاهتمام الواجب لتشييع جثمان هذا المجاهد، مما كان موضوعا للنقد في الجمعية التأسيسية وفي صحف الحزب الوطني التي ابنته متمثلة بهذين البيتين لاحمد شوقي:

خيرت فاخترت المبيت على الطوى لم تبن ملكا او تلم ثراء

ان البطولة ان تموت من الظما ليس البطولة ان تعب الماء

والخطأ الثاني الذي ارتكبته الحكومة عدم قيامها بالاحتفالات المعروفة بمناسبة عيد الجلاء في 17 نيسان، والاكتفاء باحتفالات شعبية، الامر الذي استغله جماعة القوتلي والحزب الوطني استغلالا واسعا، واتخذت صحفهم من هذه الذكرى الوطنية وسيلة للدعاية للقوتلي على انه "ابو الجلاء" فكتب الاستاذ نجيب الريس صاحب "القبس" تعليقا تمثل فيه بقول الشاعر:

بل كيف تكفر بي هوازن بعدما اعتقتهم فتوالدوا احرارا؟

وجعلت مهر بناتهم ودياتهم عقل الملوك هجائنا وبكارا؟

وهكذا اعتبر القوتلي محررا للعبيد السورين المجاهدين، وقد جبن حزب الشعب والحكومة عن التصدي لما وجه للشعب السوري صاحب الجلاء الحقيقي مما دعاني للوقوف في وجه هذه الحملة المزيفة لتاريخ البلاد، فعقدت مؤتمرا صحفيا بتاريخ 1950/4/18 قلت فيه:

ان عيد الجلاء هو عيد الامة جمعاء، وليس لشخص ان يدعي بانه جاهد في تحقيق هذا العيد اكثر من سواه، فأين كان الادعياء مستغلو الشعب من الصفوف في مسارح حماة والمعارك التي وقعت فيها؟ وكم

شهيدا قدموا؟ واين كان هؤلاء الساسة الذين يدعون بانه كان لهم النصيب الاوفر في تحقيق هذا العيد العظيم؟

اين كان هؤلاء في معارك الغوطة وشوارع دمشق؟ وفي المجلس النيابي كيف كان الموقف الانهزامي لهؤلاء الساسة؟ ليرجع كل مواطن الى ما جرى في المجلس النيابي وخارجه لنعلم ان الشعب وحده هو الذي حقق الجلاء اما المتبجحون فقد كانوا حجر عثرة في سبيل تحقيق هذا العيد.

ليرجع المواطنون الى ضبوط جلسات المجلس النيابي وليتذكروا من هم الذين ارغموا الحكومات السابقة على عرض قضية الجلاء على مجلس الامن الدولي؟ ومن الذي عمل فعلا لتحقيق هذا الجلاء؟ ان الشعب، والشعب وحده، هو الذي عمل على جلاء الجيوش الاجنبية عن البلاد، وأما الادعياء فقد كانوا عثرات دون تحقيق هذا الهدف، وان اعيادنا في المستقبل ستكون اعياد عمل وجد ونضال وليست مجرد اقوال فارغة تلقى من طرف اللسان ولا تتصل بالجنان وان قصة الوطنية المحتكرة خرافة قضى عليها الشعب الذي بذل الدماء والجهد والكد وكل التضحيات، هذا الشعب الذي كان موضع استثمار الساسة المحترفين الذين يعرفهم ويعرف انهم هو الذين دعوا لعقد اتفاقيات تجارية واقتصادية وثقافية وقنصلية وعسكرية مع الاجنبي في عام 1945 جبنا واستسلاما مع العلم ان تلك الاتفاقات لم تكن الا قيودا استعمارية... وهكذا نجد ان الشعب وحده هو صاحب هذا العيد بما قدم من ارواح وتضحيات، وليس لاحد ان يدعي غير ذلك".

وقد عقب خالد العظم على اقوالي بتصريح جاء فيه:

"يجب ان لا تستثمر هذه القضية للشك بوطنية احد من الناس او في نواياهم الحسنة، وان في تصريح معالي السيد اكرم الحوراني وزير الدفاع الوطني الرد الكافي على هذا الامر.. انه لو اعقب سنة الجلاء، اي سنة 1945، اعمال تعزز قوة الجيش وتوطد من اركان البلاد في جميع الحقول لكانت البلاد السورية والبلاد العربية في عام 1948 عندما دخلت معركة فلسطين احسن استعدادا واصلب عودا، ولامكنها بالتالي تجنب النتيجة التي دلت على ضعف كيان البلاد العربية وتفكك كلمتها".

غير ان الحزب الوطني اقام الاحتفالات لقبول التهاني بذكرى عيد الجلاء، وشاركه الحزب الجمهوري بمناسبة افتتاح مكتبه في

دمشق، كما اقام اقطاب الحزب الوطني احتفالاتهم في حلب، التي شاركهم فيها اقطاب الحزب من المناطق الاخرى وعلى رأسهم بدوي الجبل، حيث زاروا ضريحي ابراهيم هنانو وسعد الله الجابري.

□

رافق تلك الاحتفالات متفجرة القيت على مقر المفوضية الاميركية في دمشق ليلة 1950/4/18 فلم تحدث اضرارا تذكر، وكانت قد القيت قبل ذلك متفجرة على مقر المفوضية البريطانية.

□

انجاز مشروع الدستور

بتاريخ 15 نيسان 1950 عقدت الجمعية التأسيسية جلسة استمعت فيها الى تقرير وكتاب لجنة الدستور التي انجزت عملها بوضع مشروع للدستور الجديد من مقدمة و 176 مادة.

وعشية اليوم ذاته استقبل الدكتور ناظم القدسي رئيس لجنة الدستور رجال الصحافة السورية موضحا دور المناقشات الصحفية الايجابية في الصياغة النهائية التي سيكون عليها الدستور... وقد سئل عن الغاية من وضع العلم الوطني الجديد والنجوم السبع التي وضعت عليه فقال: ان النجوم ترمز لدول العرب السبع واذا اضيفت دولة عربية جديدة نضف نجمة جديدة على نجوم العلم وقال: ان امريكا تتبع هذه القاعدة في علمها الذي بدأ بـ 13 نجمة واصبحت الان تقارب الخمسين نجمة. (لم يؤخذ باقتراح لجنة الدستور وبقي العلم السوري القديم على حاله)

ثم تحدث عن تحديد الملكيات الكبيرة في الدستور وقال: ليس لهذه المادة مفعول رجعي، وستطبق اعتبارا من اقرار الدستور، وسينفذ تحديد الملكية على ابناء المالك عند وفاته، وان الدستور نص على ان الاراضي ستكون تصرفا وليست ملكا حرا وهذا ما يسمى بنوع الملك "الاميري" وقال: ان هذا المبدأ سيحل مشاكل كبرى ونظريات اجتماعية مختلفة وقد وضع الدستور مبدأ يخول الحكومة انتزاع حق ملكية الارض التي يهمل صاحبها استثمارها وهذا لا ريب يحقق فوائد جمة حيث يحض المتصرفين على استثمار جميع المساحات التي يملكونها ولا يخفى ما في ذلك من تنمية للانتاج العام ودعم للثروة الوطنية.

وسيكون لهذا النص مفعول رجعي، ومن المؤسف ان يوجد هذا التدبير في قانون الملكية المعمول به حاليا ويبقى بدون تنفيذ، على ان وضع هذا النص في الدستور سيجعل الحكومة ملزمة بتنفيذه والتقيد به.

اما فيما يتعلق بالتعليم فقد نص الدستور على ان تكون للتعليم الابتدائي والمهني والريفي الاولوية في اعتمادات الميزانية، وقد وضع برنامج للتعليم الابتدائي مدة عشر سنوات، على ان توضع اعتماداته الان ويقسط على عشر ميزانيات، وبهذا تكون الحكومة ملزمة دستوريا بتنفيذه... وقد نص الدستور على تأليف مجلسين جديدين الاول يسمى مجلس التعليم الاعلى، والثاني يسمى مجلس الاقتصاد الاعلى، وذلك لوضع حد لسياسة الارتجال التي الفناها في التعليم والاقتصاد.

اما المجلس الاقتصادي الاعلى فتنحصر مهمته بدراسة المواضيع الاقتصادية ووضع منهاج لاقتصاديات البلاد ينفذ على مراحل ويلزم الحكومات المتعاقبة بتنفيذه، وقال:

وقد نص الدستور ايضا على انه يجوز احداث ادارة مستقلة لتنفيذ هذه البرامج. حتى لا تتأثر البرامج الاقتصادية بتغيير الحكومات وبسياسة الارتجال والاهواء، اما فيما يتعلق بمجلس التعليم الاعلى فمهمته تنحصر بتنفيذ مواد الدستور فيما يتعلق بتعميم التعليم ومكافحة الامية والاضطلاع بالاهداف التي نص عليها الدستور، وقد الزمت هذه المجالس بارسال تقاريرها الى مجلس النواب.

وهنـاك الشـؤون الاداريـة، فتعلمـون بـان الـبلاد فـي وقتهـا الحاضـر وبالنسبة للاخطار التي تحيط بها مدعوة لان تعمل بسرعة لتثبيت كيانها وان الثابت هو اسـتحالة عمـل شـيء اذا كـان الجهـل والفقـر قائمـا لـدى مختلـف الطبقات ومن العسير ان تقوم الدولة بجهازهـا الحـالي بمـداواة هـذه الامـراض فعليـا، ولمـا كـان العمـل يتـوخى السـرعة فـي رفـع مسـتوى الـبلاد المـادي والمعنوي والثقافي رأت لجنة الدستور ان تخفض مـن الواجبـات الملقـاة علـى كاهـل الحكومـة وتوزعهـا علـى الوحـدات الاداريـة، وقـد احـدثنا فـي الدسـتور مجالس للمحافظات يكون قسم من اعضائها منتخبا وقسم اخر معينا شـريطة ان يكـون المعينـون مـن ذوي الاختصـاص، وجعلـت المهـام الاولـى لمجـالس المحافظات ان تساعد في تعميم التعليم الابتدائي في المحافظة، وذلك ببنـاء المـدارس، وان تسـاعد بمكافحـة المـرض وذلـك ببنـاء المصـحات الصـغيرة والمستشفيات، وان تعمل على فتح طرق محلية وجر مياه الشرب الى القرى والارياف، وتعميم الكهرباء، والاموال التي يحتاج اليها تؤخذ من طريقين:

اولا: نسبة مئوية من الضرائب العامة التي تحصل في المحافظة، وتعـين هـذه النسبة بقانون.

ثانيا: تخويل مجلس المحافظة حق فرض ضرائب معينة في المحافظة شريطة ان لا تعرقل الاقتصاد القومي وان لا تمنع المواطنين مـن حريـة مزاولـة مهـنهم في مختلف انحاء الوطن السوري.

واننا نعتقد ان تعميم هذه الصعوبات، وتوزيـع هـذه المسـؤوليات علـى المحافظات سيساعد كثيرا على رفع مستوى البلاد المالي والادبي، ولا يجوز الجمع بين النيابة وعضوية مجلس المحافظة، لتبقى مجالس المحافظات فـي منأى عن السياسة واهوائها.

وقال: اننا كنا نهدف الى المركزية في زمن الجهاد الوطني عنـدما كـان الاجنبـي موجـودا، امـا الان فبعـد ان اصـبح الاسـتقلال خيـر ضـامن للوحـدة السياسـية فـان المركزيـة ليسـت مشـجعة للمنـاطق السـورية علـى اعمـال الاصلاح والعمران والتعليم.

وتحدث عن اهمية المحكمة العليا التـي نـص عليهـا الدسـتور، وحقهـا بابطال اي قرار او حكم اداري اذا كان مخالفا للدستور.

وقال: لقد اوجد الدستور الجديد "مجلس القضاء الاعلى". ويقدم هذا المجلس مشروع قانون الى البرلمان بكيفية تعيين القضاة وترقيتهم ونقلهم وعزلهم، ومجلس الوزراء لا يمكنه ان يغير شيئا من هذا المشروع او يعدله الا برضى مجلس القضاء الاعلى. وله ان يرفض بدون تعديل باكثرية مجموع مجلس النواب المطلقة، والغاية من ذلك تأمين الاستقلال المطلق للقضاء وبدون اي تأثير للسلطة التنفيذية.

كما بين ان اعضاء ديوان المحاسبات سيكون انتخابهم من قبل المجلس النيابي بدلا من تعيينهم من قبل السلطة التنفيذية. (القبس العدد 4085 1950/4/7)

75

1950: الاتحاد السوفيتي يعرب عن استعداده لبيع السلاح الى مصر - لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب المصري تؤيد وزير الخارجية محمد صلاح الدين باتخاذ اي خطوة يدعم بها الجيش المصري - الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا تصدر البيان الثلاثي حول تسلح الدول العربية واسرائيل.

بتاريخ 1950/5/4 نشرت جريدة النهار نقلا عما كتبه مندوب الاهرام السياسي بتاريخ 1950/4/30 ما يلي:

"علمت ان الصعوبات التي تقيمها بريطانيا وامريكا امام تسلح مصر كفيلة بان تضطرها الى قبول العروض الروسية لبيع مختلف انواع الاسلحة لمصر، وهي عروض سخية طلب الاتحاد السوفياتي ان توافق مصر على قبولها، مما يعينها على تصريف انتاجها من القطن المصري، ومما يزيد هذا الاتجاه قوة لدى الدوائر الوزارية ان لجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب المصري، ايدت معالي الدكتور محمد صلاح الدين وزير الخارجية تأييدا صادقا باتخاذ اي خطوة يدعم بها الجيش المصري، بالوقت الذي ادلى وزير خارجية اسرائيل بتصريح اعلن فيه تقديمه طلبا للاتحاد السوفياتي باسلحة خفيفة وثقيلة، والرأي السائد في وزارة الخارجية المصرية ان تسلح مصر ضرورة تفرضها واجبات الدفاع، وانه لا سبيل الى حل القضية الوطنية حلا عمليا الا بدعامة قوية تستند اليها في تبرير حمايتها على لقناة السويس.

وهكذا يتبين ان السلاح المطلوب يقصد منه تحقيق هذا الهدف القومي، وهو الهدف الذي اعرب عنه وزير الخارجية المصرية في مذكرته التي بعث بها الى المستر بيفن يوم 11 مارس 1950 اذ جاء في الفقرة الثانية من هذه المذكرة عرض لامر الفراغ الذي سيحدث بعد جلاء القوات البريطانية عن قناة السويس (وهو الامر الذي تدعيه بريطانيا وتتخذه حجة لعدم الجلاء)

وقد اصبح من الواضح لدى المراقبين ان المعسكر الانكلوامريكي لا يوافق على هذا الاتجاه الذي تذهب اليه الحكومة المصرية، بدعوى ان تسلح مصر يدفعها الى الاعتداء على اسرائيل في حين ان الواقع الذي يهدف اليه المعسكر الانكلوامريكي هو الحيلولة دون وصول مصر الى المرتبة العسكرية

التي تستطيع فيها ان تثبت قدرتها على حماية قناة السويس بعد جلاء القوات البريطانية عنها جلاء كاملا".

□

لم يتأخر جواب الغرب على محاولات مصر وسورية تسليح جيشيهما، فقد صدر في اواخر شهر ايار 1950 البيان الثلاثي حول هذا الموضوع وفيما يلي نصه:

"اغتنم وزراء خارجية بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة فرصة انعقاد مؤتمرهم في لندن لمراجعة بعض المسائل المتعلقة بالسلام والاستقرار في الدول العربية واسرائيل، وبصورة خاصة بحث قضية تموين هذه الدول بالاسلحة والمعدات الحربية، وبعد مناقشة هذه القضية اتخذ الوزراء الثلاثة القرار التالي:

1- تعترف الحكومات الثلاث بأن جميع الدول العربية واسرائيل بحاجة للاحتفاظ بمعدل محدود من القوات المسلحة يمكنها من ضمان امنها الداخلي وحقها في الدفاع عن النفس والسماح لها بالقيام بدورها في الدفاع عن المنطقة عامة، فجميع طلبات السلاح والمعدات الحربية الى هذه الدول ستدرس على ضوء هذه المبادىء.

وترغب الدول الثلاث في هذه المناسبة باعادة تأكيد البيانات التي قدمها مندوبوها في مجلس الامن الدولي في 4 آب 1949، والمعلنة معارضة الدول الثلاث قيام سباق للتسلح بين الدول العربية واسرائيل.

2- تعلن الحكومات الثلاث انها تسلمت ضمانات من جميع الدول المعنية بان الدولة المشترية لا تنوي القيام باي عمل عدواني ضد اية دولة اخرى.

وستطلب ضمانات مماثلة في المستقبل من اية دولة اخرى في تلك المنطقة يسمح بشحن الاسلحة اليها.

3- تغتنم الحكومات الثلاث هذه الفرصة لتعرب عن اهتمامها ورغبتها الكبيرين في اقامة السلم والمحافظة على الاستقرار في هذه المنطقة، كما ترغب في اعلان معارضتها استخدام القوة والتهديد بين اية دولة من هذه الدول.

واذا وجدت الحكومات الثلاث اية دولة من هذه الدول تستعد لخرق حدود دولة اخرى او اتفاق الهدنة معها اتخذت بصفتها اعضاء في هيئة الامم التدابير داخل الامم المتحدة وخارجها لمنع هذا الخرق".

بعد صدور هذا البيان صرح الرئيس الاميركي ترومان بان "مساهمة حكومة الولايات المتحدة في هذا البيان تظهر رغبة الولايات المتحدة بصيانة السلام في الشرق الاوسط.. وترى حكومة الولايات المتحدة ان هذا البيان سيزيد الثقة بمستقبل وطيد، سواء في الدول العربية واسرائيل، وسيتسع نطاق التقدم المحقق حاليا في الشرق الادنى لفائدة شعوب هذه المنطقة وخيرها" (النهار 26 ايار 1950).

□

وافق الكنيست الاسرائيلي باغلبية كبيرة على الخطاب الذي القاه بن غوريون معلنا فيه ترحيب حكومته ببيان الدول الثلاث حول تسليح اقطار الشرق الاوسط في جلسته التي انعقدت في 1950/6/1.

اما الحكام العرب فقد اراد كل منهم ان يفهم البيان الثلاثي من النافذة التي يرى الامور منها، فقد فسره عراق نوري السعيد بأنه ضد مشاريع الاتحاد ومن جملة ما قاله نوري السعيد في مجلس الاعيان العراقي في معرض تبيان اسباب هجومه على البيان "ان العرب لا يسعهم الاطمئنان الى بيان تشترك فيه فرنسا" (جلسة مجلس الاعيان 1950/5/29).

وقال خالد العظم:

"ان البيان يحتوي اشياء حسنة واشياء يجب التحفظ بشأنها وهي موضوع دراسة مختلف العواصم العربية... ان البيان ليس تعبيرا عن مؤامرة دنيئة كما حاولت بعض الجهات ان تفسره، وليس صحيحا انه يخلق مناطق نفوذ، او انه يشكل تدخلا في شؤون الدول العربية الداخلية، ان الاسلحة التي كان يرفض بيعها لنا قد سمح الان بشرائها، وليس صحيحا انها اسلحة خفيفة، فالبيان واضح، والأسلحة التي ستقدم الينا هي للمحافظة على الامن الداخلي ولمساعدتنا عن الدفاع عن النفس ولنتمكن من تأمين نصيبنا في

الدفاع عن الشرق الاوسط، وهذا يعني ان الاسلحة على اختلاف انواعها ستقدم لنا... ان البيان قد ابلغ الينا من ممثلي الدول الغربية الثلاث، اما القائم بالاعمال الفرنسي فقد طلب منا ضمانة بان لا نستعمل السلاح في غايات عدوانية، وذلك كما ورد في البيان. وكنا قد قدمنا من قبل مثل هذه الضمانة للحكومة الفرنسية

لقاء تسليمنا كميات من الاسلحة"... وتعليقا على رد الفعل القوي الذي احدثه البيان في الصحف العربية ولا سيما العراقية، قال: "يبدو ان ما ورد في البيان حول ضمانة حدود الهدنة وابقاء الوضع الراهن على حاله لم يرق لبعض الجهات وبعض الصحف العراقية" (النهار، 31 ايار 1950، العدد 4518).

□

وكان معروفا في ذلك الوقت ان هذا البيان لم يأت بشيء جديد، فقد كان حظر بيع الاسلحة الجزئي من دول البيان الثلاثي قائما بالفعل قبل صدور هذا البيان فقد زودت بريطانيا اسرائيل بكميات محدودة من الاسلحة كما زودت الدول العربية المرتبطة بها بكميات محدودة من الاسلحة والذخيرة، لحفظ الامن الداخلي، كما بدأت فرنسا منذ انقلاب حسني الزعيم بامداد سوريا بالاسلحة والذخائر بصورة محدودة.

كان هذا البيان تكريسا للوضع السياسي والعسكري القائم في البلاد العربية، وهو لا يمنع اسرائيل من متابعة استعداداتها للجولة الثانية على جميع المستويات كما لا يمنع الدول العربية من هذا الاستعداد، والذي دعا خالد العظم لرؤية الجوانب الايجابية من البيان الثلاثي هو ان فرنسا اصبحت بموجبه اكثر حرية في بيع السلاح لسوريا، كما جعلها تقف على قدم المساواة مع بريطانيا وامريكا في هذه المنطقة الامر الذي تحرص عليه كثيرا.

والواقع ان فرنسا ظلت خلال اعوام 1950 -1955 المصدر الوحيد لتسليح الجيش السوري بكميات اكبر مما كانت بريطانيا تزود بها الدول العربية الاخرى، وهو تسليح لم يكن مرتبطا بطبيعة

الحال بنفوذ فرنسا وسيطرتها على سوريا، حسبما كان يجري التعامل بين بريطانيا والدول العربية المرتبطة بها بالمعاهدات والقواعد العسكرية.. اما شرط "عدم استعماله الا في حالة الدفاع" فقد كان شرطا شكليا. اذ تسرب قسم كبير من هذا السلاح لمساعدة الثورة الجزائرية ضد الافرنسيين انفسهم.

الرد العربي على البيان الثلاثي

سافر الدكتور ناظم القدسي الى مصر حيث شارك في اجتماعات اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية التي اسفرت عن اصدار الرد العربي الموحد على البيان الثلاثي بتاريخ 17 حزيران 1950 وهذا نص الرد العربي بعد حذف المقدمة.

2- اذا كانت الدول العربية قد اهتمت وتهتم دائما باستكمال تسليحها فانما يرجع ذلك الى شعورها العميق بمسؤوليتها كدول مستقلة ذات سيادة، عن حفظ الامن الداخلي في بلادها، والدفاع الشرعي عن حياضها، والقيام بواجب حفظ الامن الدولي في هذه المنطقة، ذلك الواجب الذي يقع اولا وبالذات عليها وعلى جامعة الدول العربية، باعتبارها منظمة اقليمية يسري عليها حكم مواد ميثاق الامم المتحدة.

3- سبق لبعض رجال الدول العربية الرسمية ان كرروا من تلقاء أنفسهم قبل ان تفكر الدول الثلاث في اصدار تصريحها، الاعراب عن نيات العرب السلمية وتكذيب ما دأبت اسرائيل على اشاعته من ان الدول العربية تطلب السلاح لاغراض عدوانية، ولا تجد الدول العربية اي بأس في ان تعرب في كل مناسبة عن نياتها السلمية وتؤكد ان السلاح الذي طلبته او تطلبه من الدول الثلاث او غيرها انما يستعمل لاغراض دفاعية.

4- ان من الانصاف مع ذلك الاعتراف بان مستوى القوات المسلحة التي تحتفظ بها كل دولة لاغراض الدفاع والقيام بنصيبها في حفظ الامن الدولي، وهو الامر الذي يرجع تقديره في المحل الاول الى هذه الدول نفسها يجب ان تراعي فيه عوامل كثيرة، اهمها عدد السكان ومساحة البلاد وترامي حدودها.

5- يهم الدول العربية ان تسجل التأكيدات التي اعطيت لها بأن الدول الثلاث لم تقصد من تصريحها محاباة اسرائيل على حساب العرب والضغط على

الدول العربية لتدخل في مفاوضات مع اسرائيل او المساس بالتسوية النهائية للقضية الفلسطينية او المحافظة على الوضع الراهن، ولكنها قصدت اظهار معارضتها للميل الى القوة لتعديل خطوط الهدنة.

6- كذلك يهم الدول العربية ان تسجل ان التأكيدات التي اعطيت لها بأن تصريح الدول الثلاث وطريقة تقديمه وما نص عليه بشأن تلقي التعهدات من المشترين للاسلحة لا تعني مطلقا تقسيمها الى مناطق نفوذ او الاعتداء بأي صورة من الصور على استقلال البلاد العربية.

7- من حق الدول العربية ومن واجبها لفت النظر الى ان افضل الطرق واضمنها لصيانة السلام في الشرق الاوسط هو حل قضاياه على اساس الحق والعدالة واعادة حالة الوفاق والتجانس التي كانت سائدة فيه والمبادرة الى تنفيذ قرار هيئة الامم المتحدة الخاص بعودة اللاجئين من فلسطين الى ديارهم وتعويضهم عن املاكهم واموالهم.

8- من الواضح ان هذه الشكوك التي اريد تبريرها بالتأكيدات المشار اليها في البنود السابقة قد ساعد على اثارتها نص البند الثالث من تصريح الدول الثلاث، فقد جاء فيه: انها اذا علمت ان احدى دول المنطقة تستعد للاعتداء على الحدود او خطوط الهدنة لدولة اخرى فانها ستبادر الى العمل على منع هذا الاعتداء سواء في نطاق هيئة الامم المتحدة او خارجه وما من شك في ان العمل وحده هو الكفيل بتبديد هذه الشكوك.

9- واخيرا فان الدول العربية تؤكد، مع حبها للسلام، انها لا ترضى بأي عمل يمس سيادتها واستقلالها".

وفي اليوم ذاته تحدث السفير الاميركي في القاهرة، رالف ستيفنسون، عن البيان الثلاثي فقال: "انه بيان لسياسة الولايات المتحدة، اما سياسة بريطانيا بشأن الاسلحة فهي لا تزال على حسب ما نصت عليه معاهداتها المعقودة مع الدول العربية".

وقد جاء في مذكرات خالد العظم.

"لا ريب ان فرنسا عندما اشتركت في التصريح الثلاثي كانت تهدف الى الحيلولة دون توسع اليهود على حساب سورية ودون تنفيذ مشروع سورية الكبرى ومشروع اتحاد سورية مع العراق،

وكان كل ذلك خوفا من اتساع نفوذ بريطانيا في الشرق الاوسط وحلول انكلترا محل فرنسا" (ص249 الجزء الثاني).

76

1950: استقالتي من وزارة الدفاع - جلسة صاخبة في الجمعية التأسيسية - تأليف لجنة من اعضاء الجمعية التأسيسية للاتفاق على مادة الدستور التي تنص على دين الدولة

وجدت نفسي في وزارة خالد العظم وحيدا في بحر متلاطم من التناقضات، ورأيت ان وضعي سيزداد حرجا اذا بقيت عضوا في الحكومة وانا مغلول اليد، فقررت الاستقالة من وزارة الدفاع والعودة الى مقاعد الجمعية التأسيسية والعمل البرلماني مع كتلة النواب التي شكلتها باسم كتلة الاحرار الجمهوريين والتي اصبح عددها اكثر من ثلاثين نائبا.

وفي اول جلسة عقدتها الحكومة في القصر الجمهوري بتاريخ 1950/4/28 بعد انتهاء خالد العظم من رجائه للوزراء بالامتناع عن الادلاء بالتصريحات، خرجت من الاجتماع دون ان اشترك بالنقاش وارسلت استقالتي الى رئيس الوزراء ويقول خالد العظم عن ذلك في مذكراته أنه طوى الاستقالة ولم يعلم الوزراء بها، وانه عندما انتهى الاجتماع اطلع رئيس الجمهورية على كتاب الاستقالة الذي استوضحه عن السبب فقال له: انني بدأت منذ مدة المس من الحوراني تباعدا وعدم اهتمام بالعمل، وفي اليوم الثاني ارسل الي خالد العظم عبد الباقي نظام الدين مستفسرا عن اسباب الاستقالة فقلت له:

"انني عندما اشتركت في حكومة خالد العظم افهمته منذ البداية ان اشتراكي في الحكومة هو اشتراك مؤقت ريثما تمر العاصفة التي هبت اثر استقالة رئيس الدولة هاشم الاتاسي، كما حدثته عن استيائي من تصرفات الدكتور سامي كبارة ومحمد المبارك ارضاء للمشايخ فتلفن نظام الدين لخالد العظم الذي اتى في الحال فأعدت له شرح الاسباب دون ان يقتنع، ولكن رجاني ان أؤجل اعلان الاستقالة الى ما بعد انتهاء اجتماعات اللجنة

السياسية للجامعة العربية في القاهرة فوعدته بذلك ويقول خالد العظم في مذكراته تعليقا على ذلك:

"كان من رأي الجيش الا تحصل ازمة وزارية قبل اجتماع اللجنة السياسية التي ستبحث قضية الحاق القسم العربي من فلسطين بشرقي الاردن

□

بعد انتهاء الاجتماعات في القاهرة وعودة خالد العظم، قررت اعلان استقالتي وقلت في نفسي:

فليتحمل حزب الشعب مسؤولياته عوضا عن ان نظل عرضة لدسائسه وهدفا لطعنات خصومه، ليخرج هذا الحزب من وضعه المتناقض، فهو يحكم ولا يحكم، وهو مسؤول وغير مسؤول، وهو مؤيد لمشروع الاتحاد وغير مؤيد وهو خصم للحزب الوطني وغير خصم له، ان بقائي في الحكومة على هذا النحو يجعلني مستغلا من قبل جميع هذه التناقضات بدلا من استغلالها لمصلحة القضية الوطنية، لقد بررت بوعدي لخالد العظم فأجلت استقالتي، وآن لي ان انصرف لما يتطلبه تأسيس الحزب العربي الاشتراكي وتنظيمه وانشاء فروعه، وان اتفرغ في الوقت نفسه لما يتطلبه العمل في الجمعية التأسيسية.

هذا ما كان يجول في نفسي بعد عودة خالد العظم من القاهرة ولكن العظم اصدر بلاغا بعد اول اجتماع لمجلس الوزراء يرفض فيه استقالتي، فقدمتها له ثانية بحضور رئيس الدولة هاشم الاتاسي فأصر من جديد على الرفض، فاضطررت في اليوم الثاني للانقطاع عن العمل واعلان استقالتي في الصحف، بعد ان وجهت كتابا الى موظفي وزارة الدفاع وكبار القادة فيها اشكرهم فيه على تعاونهم معي خلال تولي وزارة الدفاع.

وقد اشارت جريدة النهار اللبنانية الى استقالتي بما يلي:

"استقال السيد اكرم الحوراني وزير الدفاع الوطني من الوزارة ، هذا هو النبأ الذي هز الاوساط السياسية صباح اليوم، وجعلها تتساءل عن اسباب هذه

الاستقالة المفاجئة بينما كان البعض يتوقع استقالة غير اكرم الحوراني من الوزراة، فمن قائل انه غير راض عن السياسة التي تتبعها الحكومة ازاء المملكة الاردنية، ومن قائل ان وزير الدفاع غاظه ان تظهر الحكومة منقسمة على نفسها في تصريحات اعضائها.. وقد اكتفى الحوراني بالادلاء بتصريح مقتضب قال فيه: (لقد قبلت الاشتراك في حكومة السيد خالد العظم مدفوعا بالرغبة في خدمة المصلحة الوطنية، وهذه المصلحة هي التي تدعوني اليوم الى العودة لصفوف الشعب حيث اقوم بواجبي كعضو في الجمعية التأسيسية" (1950/4/27).

وعندما اتصل بي الاستاذ رياض طه صاحب وكالة انباء الشرق الاوسط سائلا عن اسباب الاستقالة صرحت له بالمعلومات التالية التي بعث بها الى الصحف اللبنانية:

لا بد للاطلاع على دقائق الازمة الحاضرة من استعراض الظروف المختلفة التي سبقتها واحاطت بها: فالكل يعلم كيف ألفت الوزارة في كانون الاول 1949 ويعلم ان مهمتها كانت انقاذ الموقف الحرج آنذاك وتركيز الامور واعادة الاستقرار وقد تألفت الوزارة دون مراعاة الاصول البرلمانية، فاشترك وزراء حزب الشعب بصفتهم الشخصية وقد استطاعت الوزارة تسيير الامور على شكل كامل الى ان اخذ بعض الوزراء يتصرفون تصرفات لا تتفق مع الانسجام الذي يجب ان يسود الحكومة... ان الاستاذ الحوارني يرى لحل الازمة ان يمثل الوزراء الشعبيون حزبهم بصورة رسمية، وان يعلن الحزب ذلك ويعتبر نفسه مسؤولا هو ايضا عن اشتراكهم في الحكم، وان توزع الحقائب الوزارية بين الكتل المجلسية وان توحد خطة الكتلتين الكبيرتين تجاه مشروع الدستور ومواده الرئيسية بشكل يجنب الجمعية والحكومة استغلال مادة دين الدولة بما يضر مصلحة البلاد، وهكذا يتم اقرار الدستور بصورة اجماعية تقريبا" النهار [1] 29 نيسان 1950.

ثم عقدت كتلة الجمهورين الاحرار اجتماعا يوم 29 نيسان، بحضوري وحضور عبد الباقي نظام الدين وزير الزراعة، قررت فيه

(1) اصبحت اعتمد في تدقيق تاريخ الاحداث والرجوع الى بعض النصوص على جريدة النهار اللبنانية في هذه الفترة من عام 1973 عندما كنت لاجئا في لبنان، وقد قدم لي المشرفون على الجريدة كل التسهيلات لاستعارة مجلداتها ولا سيما الاستاذ ميشيل ابو جودة الذي اختطفته المخابرات السورية في تلك الفترة، وكان موضوع هذه المذكرات من جملة ما استجوب عنه.

تأييد موقفي ودعوة وزير الزراعة لان يستقيل فيما اذا لم تعالج اسباب الازمة، ولما شعر رشدي الكيخيا ان موقفي سيضع حزب الشعب امام مسؤولياته غير موقفه وراح يناور ويحاول ارجاء استقالة الحكومة بينما كان لا ينفك عن وضع العصي بين عجلاتها ويحرض عليها.

جلسة صاخبة في الجمعية التأسيسية - تأليف لجنة من الجمعية التأسيسية للاتفاق على مادة دين الدولة

في مساء يوم 29 نيسان عقدت الجمعية التأسيسية جلسة تحدث فيها راتب الحسامي بلسان حزب الشعب فأعلن تأييد حزبه للحكومة وقال: ان أهم ما قامت الحكومة هو التوقيع على معاهدة الدفاع المشترك [2] المنبثقة عن ميثاق التضامن العربي.

ثم اثير موضوع تصريحات الدواليبي، فاندفع مرشد الاخوان المسلمين الشيخ مصطفى السباعي يتحدث عن الارادات الاجنبية التي تسير الجامعة العربية، وهاجم الزعماء المسؤولين عن كارثة فلسطين واستعرض اسبابها واشار الى خيانة الانكليز للعرب في حيفا ويافا، وحمل على المتخاذلين امام بريطانيا، وطالب سوريا ان تضع يدها بيد الاتحاد السوفياتي بعد ان تأكد للعرب ان الديمقراطيات الغربية خانت القضية العربية، كما طالب بالغاء الامتيازات البترولية.

---

(2) في 16 نيسان 1950 نشرت الصحف العربية نص معاهدة الدفاع المشترك والملحق الحربي والذي جاء فيه: "تؤكد الدول المتعاقدة، حرصا على دوام الامن والسلام واستقرارهما، عزمها على فض جميع منازعاتها الدولية بالطرق السلمية...

مادة (2): تعتبر الدول المتعاقدة كل اعتداء يقع على اية دولة او اكثر او على قواتها اعتداء عليها جميعا ولذلك فانها عملا بحق الدفاع الشرعي الفردي والجماعي عن كيانها تلتزم بأن تبادر الى معونة الدولة او الدول المعتدى عليها، وبأن تتخذ على الفور منفردة ومجتمعة جميع التدابير وتستخدم جميع ما لديها من وسائل، بما في ذلك استخدام القوة المسلحة لرد الاعتداء لاعادة الامن والسلام الى نصابهما... وتطبيقا لاحكام المادة السادسة من ميثاق الجامعة العربية والمادة الحادية والخمسين من ميثاق الامم المتحدة يخطر على الفور مجلس الجامعة ومجلس الامن بوقوع الاعتداء وما اتخذ في صدده من تدابير واجراءات ..

مادة (3) تتشاور الدول المتعاقدة فيما بينها على طلب احداها كلما هددت سلامة اراضي اية واحدة منها او استقلالها او امنها.. وفي حالة خطر حرب داهم او قيام حالة دولية مفاجئة يخشى خطرها تبادر الدول المتعاقدة على الفور الى توحيد خططها ومساعيها في اتخاذ التدابير الوقائية والدفاعية التي يقتضيها الوقت".

يمكن للقارىء الاطلاع على نص معاهدة الدفاع المشترك الكامل في صحف 16 نيسان 1950.

وهنا وقف حسني البرازي حاملا على الحكومة وعلى تصريح الدواليبي، متهما اياه بالتلون والعمل تارة مع الغرب وتارة مع الشرق.

ثم تحدث الدكتور منير العجلاني فأيد الملك عبد الله بضم فلسطين الى الاردن "لانهما بقعتان سوريتان ترغبان بالوحدة عاجلا ام آجلا". وتحدث عن وحدة سورية الطبيعية وانتقل الى تصريح الدواليبي قائلا: "ان الشيوعية مناقضة للاسلام وهي مستوحاة من تعاليم كارل ماركس.

وحدث شجار حاد بين البرازي والدواليبي وعلا الضجيج في قاعة البرلمان وكان الدواليبي ينعت البرازي بأنه خائن وعميل.

ثم استؤنفت الجلسة فأعلن خالد العظم نبأ استقالتي وان مجلس الوزراء لا يزال مصرا على رفضها وان الحكومة ستتقدم الى الجمعية التأسيسية ببيان حول هذه الشؤون في الجلسة القادمة، ولكنني وقد توضح تأييد الرأي العام لموقفي، عدت وأكدت من جديد ان الوزراة الحالية لا تستطيع معالجة الشؤون الخارجية والداخلية بالحزم اللازم وانني مصر على الانصراف الى العمل المجلسي والحزبي.

بعد ذلك تم تأليف لجنة من ثمانية اشخاص يمثلون جميع الكتل البرلمانية، نصفهم مسلمون ونصفهم الاخر مسيحيون، مهمتها دراسة مادة دين الدولة وايجاد الحل المناسب لها، واتفق على عدم اذاعة اسماء اعضائها لئلا يحاول المستغلون الضغط عليهم او تهديدهم، وكنت مع الشيخ مصطفى السباعي في تلك اللجنة، وكنا معا محور نشاطها وقد بذلنا جهدا كبيرا وسط تيارات متضاربة.

كان الشيخ مصطفى السباعي مخلصا في مساعيه، ولكنه كان محرجا من قبل المشايخ، ولو كان حرا في تصرفاته لما تطلب الامر بذل كل تلك الجهود، ولا بد لي من الاشارة هنا الى ان المرحوم الشيخ مصطفى السباعي كان مصلحا دينيا من قادة الاخوان المسلمين، ولكنه لم يكن قائدا سياسيا.

استقالة حكومة خالد العظم بعد تلكؤ.

كان خالد العظم هاوي حكم، وقد حدثني احد اصدقائه مرة عن نقطة ضعفه هذه قائلا:

"ان خالد العظم قد حملت به امه في سراي الحكومة وولدته فيها، فالحكم بالنسبة اليه كالماء بالنسبة للسمكة".

ولكن من الانصاف القول ان خالد العظم كان مختلفا في حبه للحكم عن غيره من السياسيين العرب المتعطشين للسلطة، والفرق كبير بين هواية الحكم وحب التسلط، بين هواية رجل الدولة وبين تسلط الديكتاتور، خصوصا وان خالد العظم كان ليبراليا ديمقراطيا، وكان احترامه لنفسه وازعا له من الانجراف كثيرا مع اهوائه في الحكم، فلم يكن محروم جاه ولا جائع ثراء، اما هناته فهنات طبقته بأحسن احوالها.

اضطررت لهذا المقدمة لكي ابين سبب تلكؤ خالد العظم في تقديم استقالة حكومته فهو رجل لا ينقصه الذكاء ليدرك ان منطق الظروف آنذاك كان يقضي باستقالة حكومته بعدما اصاب وضعها من انحلال واضطراب، وبعدما بلغت الحملات على الحكومة اوجها من قبل الحزب الوطني وحزب الشعب ودعاة مشروع الاتحاد في الجمعية التأسيسية، ولكنه لم يترك الحكم بل تمسك به، وغادر البلاد في جولة الى مصر والسعودية، ولكن أمله بالبقاء في الحكم انقطع ببقاء الحكومة باستقالة فيضي الاتاسي وزير العدل في غيابه، فقدم للرئيس هاشم الاتاسي استقالته الذي كلف ناظم القدسي في 1950/6/1 بتشكيل الحكومة الجديدة.

وكانت قد ذهبت عبثا كل المحاولات التي جرت لاستدراجي من قبل رئيس الدولة او حزب الشعب او الجيش لتشكيل الحكومة او الاشتراك فيها، فقد أكدت انني مصمم على عدم الاشتراك في اي وزارة لانني منصرف لتنظيم الحزب العربي الاشتراكي والعمل في الجمعية التأسيسية وقد نشرت لي النهار التصريح التالي في 1950/6/3:

"ان البلاد ونظامها الجمهوري لا يزالان مهددين بالمخاطر اكثر من اي وقت مضى، فالمؤامرات الاجنبية لا تزال تحاك، والدعاية لبعض المشاريع عادت الى

نشاطها السابق، وان الحكومة المطلوب تأليفها يجب ان تكون قوية وقادرة على تطبيق القرارات التي تتخذها، وان كتلة الجمهوريين الاحرار مستعدة لان تؤيد حزب الشعب على هذه الاسس دون تحفظ اذا قبل تحمل مسؤولياته في الحكم"

□

بعد تكليف الدكتور ناظم القدسي بتشكيل الحكومة، دعاني العقيد اديب الشيشكلي معاون رئيس اركان الجيش لتناول العشاء في بيته، وكان يسكن بيتا صغيرا في شارع بغداد مطلا على ساحة السبع بحرات.

كان اجتماعي مع اديب وديا وقد استعرضنا الوضع بشكل عام، وتعرضنا لاسباب استقالة الحكومة، وعرضت رأيي بصدد تشكيلها، كما تحدثت عما نقوم به من جهد مع الاحزاب والكتل المجلسية، ولشد ما كانت دهشتي عندما فاجأني الشيشكلي باقتراح اشتراك الزعيم فوزي سلو بالحكومة كوزير للدفاع.

قلت للشيشكلي:

اياكم ان تستدرجوا للاشتراك بالحكومة، وسواء اكان هذا الاقتراح منكم او من القدسي فنتائجه السلبية واحدة، ان هذا الاشتراك يقلب التعاون القائم بين الجهاز السياسي والجيش الى ازدواجية في الحكم قد تدفعكم ذات يوم الى الطريق الذي لا تريدون ولا نريد سلوكه.

كما قلت: لنفرض ان حكومة القدسي استقالت وتشكلت بعدها حكومة جديدة لم تر ضرورة لاشتراك الزعيم سلو بالوزارة مرة اخرى، او انها اشركت بها غيره من العسكريين، افلا يولد ذلك مشاكل في الجيش انتم في غنى عنها؟

ان الخصوم ركزوا في دعاياتهم ان الجيش يحكم البلاد وان تسليم وزارة الدفاع لشخصية عسكرية يجعل ما كانوا يدعونه امرا واقعا.

كان رد الشيشكلي ان الجيش لا يثق بحزب الشعب وانه لا بد له ان يطلع على ما تفعله حكومة القدسي، فأجبته:

يمكن حل هذا الاشكال بتأليف وزارة ائتلافية برئاسة ناظم القدسي.

وفي 5 حزيران 1950 الف ناظم القدسي حكومة حزبية شعبية باستثناء زكي الخطيب، على النحو التالي:

ناظم القدسي:	للرئاسة والخارجية
شاكر العاص:	للاقتصاد والزراعة
جورج شلهوب:	للاشغال العامة
فرحان الجندلي:	للمعارف والصحة.
رشاد برمدا:	للداخلية
زكي الخطيب:	للعدلية
حسن جبارة:	للمالية
فوزي سلو:	للدفاع الوطني

وسواء تم اشتراك الزعيم سلو بطلب من القدسي او بناء على رغبة الجيش، فإن القدسي قد ارتكب خطيئة كبرى.. لأن الجيش لم يكن قادرا في ذلك الوقت ان يفرض رأيه على الحكومة والجمعية التأسيسية، وهذه الخطيئة فتحت الباب امام الجيش لاستمراء الحكم والسلطة، ويمكن ان يكون ذلك بتشجيع من الخارج او محاولة من العقيد اديب الشيشكلي لتدعيم مركزه في الجيش، لان فوزي سلو، رغم انه شخصية ضعيفة كان يتمتع في تلك الفترة بالذات بسمعة طيبة في اوساط الضباط، فأراد اديب الشيشكلي ان يرضي الزعيم سلو وطموحه الذي لا يتعدى زيادة الراتب والحصول على لقب "معالي الوزير".

وبعد تشكيل حكومة القدسي لم ار بدا من متابعة السير على الطريق السياسي السابق، بدعم الحكومة الشعبية وتشجيع التعاون بين حزب الشعب والجمعية التأسيسية والجيش، امام التآمر الذي يحيط بالبلاد من كل جانب.

البيان الوزاري لحكومة ناظم القدسي

حازت الوزارة الجديدة على ثقة 78 نائبا من اصل 87 بمخالفة نائبين واستنكاف سبعة بالرغم من الصورة المهلهلة التي رسمها البيان الوزاري لحكومة القدسي، اذ لم يفهم من البيان الا ان حكومته مؤقته لتسيير الامور ريثما يتم انجاز الدستور، فهي لم تبادر على مستويي التشريع والتنفيذ الا بما تقتضيه الضرورة، ويمكن القول ان البيان الوزراي كان مجموعة اعذار يطرحها القدسي سلفا ليتهرب من مسؤولية الحكم وتبعاته وارجاء جميع القضايا الى ما بعد اقرار الدستور، كأن الدستور رقيه من الرقى التي تحقق وحدها الاستقرار وتؤمن الاصلاح، وهذه بعض مقتطفات من البيان الوزاري:

حضرات الاعضاء المحترمين:

انكم تعرفون اية ظروف تجتازها البلاد، واية مسؤوليات تواجهها الجمعية التأسيسية والحكومة فالواجب يقتضينا جميعا ان نهيء الجو الصافي لبعث الطمأنينة في النفوس والثقة في القلوب، كما تمضي جمعيتكم الموقرة سراعا في وضع دستور البلاد الذي يتوقف على انجازه تحقيق الاستقرار وتأمين الاصلاح في مختلف المرافق وميادين النشاط الحيوي للامة، فالوطن في اشد الحاجة الى اصلاح شامل ويتطلب الكثير من الجهد والوقت لاصدار القوانين واعداد البرامج وتنفيذها، والضرورة تقضي بأن تكرس الجمعية التأسيسية جماع جهدها لانجاز الدستور، لذلك ترغب الحكومة ان لا تتقدم اليكم خلال هذه الفترة التي ترجو ان لا تكون طويلة الا بما تفرضه الضرورة الملحة من مشاريع القوانين التي تتطلبها المصلحة العمومية لئلا تجتزىء من الوقت الذي يستلزمه انجاز الدستور".

وفيما يتعلق بالسياسة الخارجية ورد في البيان:

"وفي السياسة الخارجية ستعالج الحكومة شؤون الساعة التي نواجهها بما يضمن مصلحة سوريا ومصلحة البلاد العربية، وستكون الحكومة في علاقاتها مع الاقطار العربية الشقيقة داعية للوئام والوفاق ووحدة الكلمة، والحكومة اذ تتقدم بهذا البيان الموجز المجرد عن الوعود التي لا تسمح بها طبيعة هذه المرحلة الانتقالية تطلب ثقة جمعيتكم الكريمة".

وفي اليوم التالي بتاريخ 1950/6/6 نوقش هذا البيان في الجمعية التأسيسية التي اضطرب فيها الجو وتوتر بسبب التهجمات التي بدرت من نواب حماة: عبد الرحمن العظم وحسني البرازي ورئيف الملقي، فقد خرج عبد الرحمن العظم من الحكومة المستقيلة موتورا، مما جعلهم ينقلبون على حزب الشعب، فتهجم البرازي على النظام الجمهوري والجيش، اما الملقي فقد بلغ هجومه حدا اضطر معه رئيس الجمعية ان يأمر باخراجه من الجلسة مرتين.

1950: افتتاح مكاتب الحزب العربي الاشتراكي بعد ان اصبح حزبا مرخصا له.

في 30 تشرين الاول 1950 نشرت جريدة "النصر" ما يلي:

"صرح معالي الاستاذ اكرم الحوراني عميد الحزب العربي الاشتراكي، حول تعديل منهاج حزبه بقوله: ان تعديل المنهاج لا علاقة له بالدستور الجديد الذي لم يحقق سوى الجزء اليسير جدا من المبادىء الاشتراكية العربية التي يعمل من اجلها، ولا اعدو الحقيقة اذا قلت ان المسحة الاشتراكية التي يتسم بها الدستور الجديد كانت ثمرة دراسة ونضال سابقين ساهمنا فيهما الى ابعد الحدود، وان اعادة النظر في منهاج الحزب كانت للتوضيح اكثر منها للتعديل، لتكون في تناول ادارك جماهير الشعب واني لمؤمن ان المبادىء الاشتراكية ستنتصر في النهاية وستماشي التطور العالمي الذي بدا ميله واضحا للاخذ بها.

واردف معاليه قائلا: انني اؤكد ان لا حياة للشعب العربي الا بنسف الاوضاع الاقطاعية في البلاد العربية واقامة نظام اشتراكي عادل على اساس التعاون والمحبة وانسجام العلاقات بين افراد المجتمع.

افتتاح مراكز الحزب وفروعه.

بعد الترخيص بانشاء الحزب العربي الاشتراكي لم اتعجل باتخاذ اية خطوة عملية لفتح مكاتبه وفروعه، بل فضلت التريث لئلا استفز الاحزاب الاخرى، وخصوصا حزب الشعب الذي كان يخشى هذه الخطوة، كما ان مشاغلي بوزارة الدفاع والجمعية التأسيسية جعلتني افضل التريث الى ما بعد الاستقالة من الحكومة حتى اتفرغ لهذا العمل.

ولكن اتساع حركة الفلاحين كان عامل ضغط، فما ان سمع الفلاحون بنبأ تأسيس الحزب العربي الاشتراكي حتى بادروا لاعلان انتسابهم اليه، خصوصا في المناطق التي كان التحكم الاقطاعي فيها اشد قسوة وسيطرة، وكانت تصلني الى دمشق يوميا انباء عن افتتاح فروع للحزب في مناطق لم اكن قد زرتها من

قبل، بمبادرة ذاتية من فلاحي تلك القرى، وهذا امر طبيعي بالنسبة للفلاحين الذين رأوا في انتسابهم للحزب العربي الاشتراكي خلاصا من الظلم الاقطاعي.

وبسبب عدم وجود العناصر القيادية الكافية لملء كوادر حركة الفلاحين الواسعة والعميقة الجذور، كانت فروع الحزب التي افتتحها الفلاحون بمبادرتهم اكثر من الفروع التي دشنها الحزب ونظمها رسميا.

والظاهرة الاخرى التي لفتت نظري اكثر من ذلك انتشار الحزب السريع في جبل الاكراد، اذ ان الظلم الاقتصادي والاجتماعي الذي كان يعاني منه اولئك الفلاحون الاكراد الفقراء من جراء تحكم "الاغوات" الاقطاعيين كان يجمع بينهم وبين اخوانهم العرب في تطلع واحد، ويربط ولاءهم بالحزب العربي الاشتراكي ربطا متينا.

ان نضال الشعب لتحقيق قضاياه العادلة في جو ديمقراطي هو الطريق الوحيد للخلاص من آفات العنصرية والطائفية والعشائرية، وهو الدواء الشافي من عقد التخلف ورواسب الماضي.

افتتاح فرع الحزب في يبرود

كان مركز الحزب في يبرود اول فرع افتتحته رسميا فاستقبلتني جماهيرها مرحبة، وبعد زيارة مكتب الحزب والاطلاع على سير العمل، توجهت حسب البرنامج المعد الى مدرسة مطرانية يبرود، وبعد كلمات الترحيب، القيت كلمة كانت معبرة عن معاناتي النفسية، فقد شعرت براحة عميقة عندما اصبحت بين الجماهير لاول مرة بعد استقالتي من الحكومة، وأحسست بالراحة التي يشعر بها من اغتسل بعد طول انقطاع عن الاستحمام، تلك هي الراحة النفسية التي شعرت بها بعدما عدت الى صفوف الجماهير وخرجت من الحكم.

ويبدو ان ذلك الشعور المريح ولد عندي عادة زيارة تلك المنطقة دون سواها كلما المت بي ازمة نفسية، لذلك توطدت

اواصر الصداقة الشخصية بيني وبين كثير من سكان القلمون وهي الصداقة التي لفتت نظر الرئيسين عبد الناصر وتيتو اثناء مرورهما في المنطقة اواخر شباط 1959 حيث اضطرا للتوقف في بلدة قارة بسبب الثلوج والصقيع.

□

في ذلك الاجتماع في مدرسة المطرانية قلت:

"ان السياسة في هذه البلاد مستنقع، وعلى السياسي الرجوع الى الشعب ليطهر نفسه ويزكيها، وان المسؤولية العظمى ازاء الثقة التي اوليتمونيها ثقيلة على كاهلي، ولكنني اعدكم بتحملها حتى النهاية ومهما كلف الامر.

ان اوضاع المجتمع سيئة في بلادنا وان المجتمع القائم على الاستغلال والاقطاعية والطائفية لا يشكل مجتمعا منسجما بالمعنى الصريح، وان هدفنا ان نقضي على الاستغلال وان نهدم بروج الاقطاعية وندك قلاعها لنكون مجتمعا منسجما يشعر افراده جميعا بالارتباط وبوحدة المصير، الا وهو المجتمع الاشتراكي" كما قلت:

"ايها الاشتراكيون العرب يجب عليكم ان تضعوا نصب اعينكم محاربة الاستعمار والاقطاعية والقبلية... ان هدفنا في السياسة الخارجية هو مقاومة كل مشروع استعماري يحول دون الوحدة الحقيقية لامتنا العربية واننا سنفضح كل مشروع يخفي السم في الدسم".

مكتب الحزب في دمشق

في غضون ذلك استأجرنا مكتبا للحزب بالقرب من مقهى فاروق في شارع بغداد وقد تولى رئاسة فرع دمشق المحامي زهير الميداني - نقيب المحامين فيما بعد - فقمنا باتصالات واسعة وتغلغلنا بعيدا في احياء دمشق، وتعرفنا على زعماء الاحياء والعمال وافراد الشعب.

وقد توليت عمادة الحزب، وتولى النائب احسان حصني امانة السر وانطون مقدسي شؤونه الفكرية والثقافية، كما تولى المرحوم جورج عزام - الاستاذ في الكلية البطريركية بدمشق -

الشؤون الادارية والمالية للحزب، فقام باستئجار المكتب وتأثيثه وطبع الهويات الحزبية... الخ، وقد تم تقسيم العمل في القيادة الى مفوضيات للثقافة والاعلام والداخلية.

وبذلك اصبح عملي، ليلا نهارا، بين الجمعية التأسيسية ومكتب الحزب الذي كان يغص بجماهير الفلاحين القادمين من كل انحاء البلاد للانتساب الى الحزب والحصول على هويات حزبية... وكان مما يزيد من اعبائي انهم كانوا يرفضون حلف اليمين الا أمامي كما انهم كانوا يصرون على ان تكون الهوية الحزبية ممهورة بتوقيعي.

والان في عام 1973 [1] ورغم مرور كل تلك السنين والتقلبات والازمات الحادة على سورية فان كثيرا من اولئك الفلاحين، وخصوصا ابناء جبل الاكراد، لا يزالون يحتفظون بالهوية الحزبية الى جانب الهوية الشخصية، وحين يتفق صدفة ان يقابلني احدهم في بيروت فانه يعرض علي هويته الحزبية القديمة بفرح واعتزاز...

□

كان العمل مرهقا وشاقا بسبب فقدان الكوادر الحزبية، وبسبب الحملة الدموية التي شنها علينا الافندية والاغوات والبكوات في عموم انحاء سوريا... وفوق هذا وذاك كان علينا ان نستقبل وفود الفلاحين الذين كانوا يأتون الينا من اقاصي الارياف عارضين شكاواهم من اضطهاد الاقطاعيين طالبين الغوث والنجدة من الحملات التي كانت تشن عليهم بشراسة وضراوة.

هجمات ضارية للقضاء على الحزب في بداية انطلاقه

بعد ان تشكلت حكومة ناظم القدسي نشطت الدعوة بشكل اكبر واوسع لعودة القوتلي من قبل احزاب ثلاثة هي الحزب الوطني الذي بدأ يلم شعثه والحزب الجمهوري (مظهر القوتلي) والحزب التعاوني الاشتراكي (فيصل العسلي).

(1) كتب هذا القسم من المذكرات في لبنان خلال وجودي فيه بعيدا عن سورية.

لقد وحدت هذه الاحزاب الثلاثة جهودها واستهدفت بحملاتها السياسية والاعلامية الحزب العربي الاشتراكي وحركة الفلاحين.

كما اصبحت ناحية خان شيخون التابعة لقضاء المعرة، والرازحة تحت وطأة اقطاع آل الحراكي مسرحا لعمليات ارهابية دامية، فقد قام آل الحراكي في مطلع شهر حزيران 1950 بهجوم مسلح على فرع الحزب العربي الاشتراكي في خان شيخون اسفر عن مقتل ثلاثة من رفاقنا وجرح تسعة عشر شخصا الامر الذي اكده التقرير الرسمي الذي رفعه المفتش الاداري الاول بوزارة الداخلية اذ قال: "ثبت ان الاعتداء وقع على افراد الحزب العربي الاشتراكي من فريق آل الحراكي بدليل ان الجرحى والقتلى كانوا من افراد الحزب، وأيدت ذلك شهادات الشهود، وان القضاء في ادلب يقوم بالتحقيق في تفاصيل الحادث، وقد بلغ عدد الموقوفين احد عشر شخصا، وهناك عدد آخر من المشتركين في الحادث ما زالوا متوارين عن الانظار، اما طالب الحراكي فقد نقل بموجب مذكرة احضار من خان شيخون الى ادلب. وبعد استجوابه لدى المستنطق اطلق سراحه" - النصر 16 حزيران 1950.

وهكذا يطلق سراح طالب الحراكي المحرض المشترك بالعدوان الذي ذهب ضحيته كل اولئك القتلى والجرحى.

كان الاقطاعيون ينشرون اخبار تلك الجرائم على اوسع نطاق لنشر الوهم والخوف، لكن ذلك لم يفت في عضد الفلاحين بل زاد حركتهم صمودا وانتشارا، فقد نشرت القبس في 1950/6/14:

"بلغت حوادث تمرد الفلاحين في بعض قرى مصياف حدا لا يطاق بفضل نشر المبادىء الجديدة التي يبشر بها ما يسمى الاشتراكيون العرب، وقد اهتمت وزارة الداخلية امام سيل الشكاوى التي انهالت عليها بهذه المواضيع الهامة التي تحد من تصرف المالك بأرضه فألفت وزارة الداخلية لجنة للتحقيق في حوادث التمرد هذه برئاسة الاستاذ راسم الاخرس النائب العام

في العاصمة، وعضوية السادة صلاح برمدا مفتش الداخلية وشاكر عطايا مدير املاك الدولة ومندوب وزارة الدفاع الوطني، وستسافر اللجنة الى مصياف اليوم للتحقيق في اوضاع الفلاحين في تلك القرى وايجاد الحلول المناسبة للخلافات الواقعة بين الملاكين والفلاحين".

لم يقف الاقطاعيون عند حدود الاعتداءات بل لجأوا الى الوسيلة التي كانوا يلجأون اليها في تملك القرى في العهد العثماني، وهي تزوير حوادث الاعتداء وتلفيق المؤامرات ليكون بيد الدرك مبرر للتنكيل بالفلاحين وطردهم ونهب اموالهم.

فقد ذكرت جريدة القبس يوم 50/6/25 "ان جماعة من الفلاحين كمنوا لنجيب البرازي حينما كان في طريقه الى قرية سيغاتا وحاولوا اغتياله ولكنه نجا بأعجوبة، وفي الوقت ذاته قصد فلاحون آخرون من قرية السويداء - وهي من قرى نجيب البرازي العديدة - فحاولوا قتل رجاله فاعتقل الدرك عدد من الفلاحين".

ولكن نجيب البرازي ادعى بهذه الحجة على فلاحين اخرين من قرية قرمص وقد تلازمت حملة الاقطاعيين على الفلاحين مع الحملة الاعلامية التي شنتها صحف الحزب الوطني معلنة النفير العام ضد الحزب العربي الاشتراكي وقادته، فذكرت القبس ان الفرنسيين عندما سلخوا بعض القرى من محافظة حماة لالحاقها بدولة العلويين قد عوضوا على اصحابها من الملاكين، وكان من بينهم اسرة الحوراني التي كانت تملك قرية البياضية، بينما اصبح الملاك الان لا يستطيعون ان يذهبوا الى قراهم بسبب الدعوة التي يبشر بها الحزب العربي الاشتراكي.

وهنا احب في هذه ان اشير في هذه المذكرات الى واقعة تتعلق بقرية البياضية التي اشارت اليها القبس والتي اجبر الفرنسيون اسرتي على بيعها بيعا اجباريا:

لقد تم هذا البيع عندما كنت تلميذا في المدرسة، ولما انتخبت نائبا عام 1943 فاوضني غالب العظم نائب حماة، الذي اشار اليه الاستاذ نجيب الريس في مقاله، بأن نطالب بالغاء البيع

الاجباري الذي فرضه الفرنسيون على ملاكي حماة، ومن جملة اغراءاته قوله ان موسما واحدا من مواسم هذه القرى يزيد كثيرا عما دفع ثمنا لها، وقال ان الحكومة والمجلس النيابي مهيآن لالغاء هذا البيع الاجباري، فرفضت رفضا قاطعا، واعلمته صراحة بأنني سأكون خصما عنيدا ضد اي بحث في هذا الشأن.

وكان فلاحو قرية البياضية قد اتصلوا بي بعد فوزي بانتخابات عام 1943 واخبروني ان في نية الاسر الاقطاعية ان تستغل الفرصة لاستعادة تلك القرى من الفلاحين، فطمأنتهم بأنهم لن يصلوا الى بغيتهم طالما انا على قيد الحياة.

□

لقد كان من جملة ما روجه الاقطاعيون وصحفهم ان دعوتي لتحرير الفلاحين سببها انني موتور لأنني اصبحت فقيرا، وقد تلقفت الجهات الاجنبية تهمة الموتورية الكاذبة فجعلتها سببا لقيام حركة الفلاحين (كتاب باتريك سيل: الصراع على سورية) وحسبي ان اقول بصدق والتزام ان العامل الوطني والاخلاقي والانساني هو الذي دفعني في هذا الطريق.

لقد كنت املك في قضاء مصياف عندما اطلق حزب الشباب، العربي الاشتراكي فيما بعد، دعوته للعدالة الاجتماعية والقضاء على الاقطاعية، حصصا في قرى حرمل ومتنى وقرطمان التي اورثني اياها والدي، وهي حصص لو ابقيتها بتصرفي حتى الان لبلغ ثمنها عشرات الملايين، ولكنني بدأت بنفسي فلم اضع فيها قدما منذ ان بدأت بالدعوة لتحرير الفلاحين من الاقطاع، وانني اشعر اليوم (1995) بأنني أشد ايمانا بصحة ما قمت به، وقد جرى توزيع قرية حرمل وتسجيلها باسم فلاحيها التركمان، كما اشرت على اولادي خلال عام 1995 وانا بعيد عن سورية في عمان باتمام تسجيل حصتي من قرية متنى على فلاحيها العلويين، بينما استبقيت لاولادي ما املكه من ارض في قرية قرطمان.

□

لقد اصبحت حركة الفلاحين وانتشار الحزب موضوع الساعة لكثير من الصحف السورية والعربية والاجنبية التي اعتبرتها حركة شيوعية هدامة يجب القضاء عليها قبل استفحال امرها، بينما لم تكن لدينا صحيفة لنرد عن انفسنا هذه التهمة، وقد برزت الاصابع الخارجية في هذه الحملة على حركة الفلاحين فقد صرح الدكتور اصغر فيضي وزير الهند المفوض في سورية الى وكالة الانباء العربية بعد ان قدم اوراق اعتماده الى رئيس الدولة يوم 50/6/17 فقال:

"ان التجار والزراع والصناع يتوقون الى عودة الهدوء والاستقرار الى بلادهم، وان عدم الاستقرار في سوريا انما يعود الى ان في البلاد احزابا سياسية اكثر مما تحتمل ولان عددا كبيرا من ساسة العهد القديم اعتزلوا الاشتغال في السياسة".

بينما كثرت في تلك الفترة زيارات الرسميين البريطانيين الى سورية، فبعد زيارة الاميرال اديلستون قائد الاسطول البريطاني في البحر الابيض المتوسط، زار اللاذقية دوق ادنبره، كما زار البلاد عدد اخر من الرسميين البريطانيين.

الا ان تلك الحملة على حركة الفلاحين لم تزدها الا قوة وانتشارا، وكان اخطر ما فيها لجوؤها الى اثارة المواطنين باسم الدين في الوقت الذي كنا نقوم فيه بأقصى الجهد لتلافي اي فتنة باسم الدين، وهذا ما جعلني لا انقطع عن اجتماعات اللجنة البرلمانية التي تشكلت لدراسة مسألة دين الدولة.

لقد تعدت حملة الافتراءات الى الدعوة المبطنة في الصحف الى اغتيالي، وهو الامر الذي بقي هاجسا لدى الاقطاعيين سنين طويلة.

وقد نمي الى في عام 1971 من احد الذين حضروا لقاء تم في اوتيل برنتانيا في برمانا بين عدد من كبار الاقطاعيين والرأسماليين، من اقطاب حزبي الشعب والوطني الذين استقروا في لبنان بعد ان نقلوا رساميلهم واستثماراتهم اليه، ان الحديث عما آلت سورية اليه جر المجتمعين، وكان بينهم رشدي الكيخيا،

الى ذكر اسمي فأظهروا اشد الندم ونعتوا انفسهم بالجبن لأنهم لم يقوموا باغتيالي، وهذا ما اخبرني به المحامي اللبناني الاستاذ فؤاد مشعلاني الذي كان حاضرا.

لماذا لم يحتفل بافتتاح مركز الحزب في دمشق؟

قررنا تدشين مكتب الحزب العربي الاشتراكي في دمشق باحتفال كبير وكان مناسبة للرد على ادعاءات الحزب الوطني والجمهوري، والتعاوني الاشتراكي بأن هذه الاحزاب وحدها تمثل البلاد، كما كانت مناسبة لاظهار قوتنا في دمشق، لكن طلبي باقامة هذا الاحتفال لسع الجميع بما فيهم الحكومة، فقامت هذه التكتلات والاحزاب بالاتصال ببعض اعضاء الحركة النقابية العمالية فأصدر هؤلاء بيانا بشجب الاحتفال، ولكن هذا البيان زادنا اصرارا، ولم يخطر ببالنا ان يصل الامر بالرجعية لاستئجار مجرم من اصحاب السوابق ليلقي قنبلة على جدار البرلمان الامر الذي اعتبره وزير الداخلية مبررا لاصدار البيان التالي:

"اثبت التحقيق ان الحزب الوطني كانت له اليد الطولى في حادث القاء القنبلة على بناء الجمعية التأسيسية، وستضرب الحكومة بيد من حديد على كل من تسول له نفسه الاقدام على انتهاك حرمة الامن مهما كان مركزه وشخصيته، وقد اصدرت امرا بمنع جميع الحفلات السياسية". هكذا كانت النتيجة الغريبة، فبدلا من معاقبة الفاعلين والدافعين، فقد اتخذ وزير الداخلية حادث القنبلة ذريعة لعقابنا ومنعنا من اقامة الاحتفال.

فكتب الاستاذ نجيب الريس بتاريخ 1950/6/30 يرد على وزير الداخلية:

"اما قول وزير الداخلية بانه منع الحفلات السياسية وفي طليعتها الحفلة التي كانت ستقام اليوم للسيد اكرم الحوراني، فليسمع جوابنا عليه: ليس وزير الداخلية هو الذي منع اقامة الحفلة بل ان اتحاد نقابات العمال هو الذي منعها ببيانه الرصين الذي حذر فيه العمال من حضور حفلات يستغلهم بها الانتهازيون من محترفي السياسة... ان وزير الداخلية بعد ان عجزت حكومته وشرطته وتحقيقاته عن معرفة الذين القوا قنبلة البرلمان يوعز الى بعض الصحف الحكومية فتتهم الحزب الوطني بها، ويهدد بالسجن والضرب باليد الحديدية التي انقلبت الى يد حريرية في حوادث خان شيخون ومصياف

وبعض قرى حماة... لأنه عاجز هناك عن قمع فتن يثيرها بعض اصدقائه من الوزراء السابقين".

وهكذا بقي فرع دمشق مستمرا في اعماله دون احتفال بتدشينه.

□

كانت حملة الرجعية والاستعمار علينا في عام 1950 غاية في القسوة والعنف والشراسة، ولم يكن عزائي الا ان اردد في نفسي:

لو كنت مواطنا حياديا لما تعرضت لهذه الحملات، ان من يدخل هذا المعترك عليه ان يصبر امام اشد الحملات قسوة وافتراء واهانة.

ان الديموقراطية مهما كانت مشوهة في ظل الانظمة المتخلفة فانها تبقى المناخ الطبيعي لولادة ونمو الحركات التقدمية لدى الشعوب، واذا كان ذوو السلطان الحاكمون يستغلون دوما هذه الديموقراطية المشوهة ضد الحركات التحررية التقدمية، فان هذه الديموقراطية ذاتها تبقى الوسيلة الوحيدة لتحقيق الاهداف التقدمية بما فيها حماية الديمقراطية ذاتها.

وهكذا فقد حاولنا جهدنا ان نتمسك بالديموقراطية البرلمانية حتى في اوج الحملات السياسية والاعلامية المسعورة ضدنا.

وكانت تلك الحملات وسيلتنا لتحقيق ما يلي:

اولا: كشف المخططات التآمرية.. لأن الاعلام الموجه مرتبط باجهزة المخابرات العدوة التي تهيء الجو النفسي والفكري لتنفيذ المخططات المبيته، اذن فقد كان استقراء تلك الحملات والتدقيق بأسلوبها والتحري عن اهدافها احد اهم وسائل الكشف المتيسرة لدى القيادات الوطنية المحرومة من كل وسائل الاطلاع المتوفرة لدى الاخرين.

ثانيا: مهما كانت الحملات الدعائية مغرضة وكاذبة ومتجنيه فانه لا بد ان يتوفر فيها حد ادنى من الحقائق، وهذا ما ينبه القيادات الوطنية الى اخطائها مما يسمح لها بالمعرفة وتصحيح الخطأ وتقويم الانحراف.

ثالثا: ان توفر الحد الادنى من الديموقراطية كفيل بدحر كل حملات الرجعية والاستعمار مهما كانت بارعة في تشويه الحقائق وتزوير الوقائع، ومهما حاولت ان تتجرد من كل اعتبار اخلاقي او انساني، ففي ظل الديموقراطية تبقى نتائج مثل هذه الحرب الخفية القذرة كالنار التي تذيب الخبث، رغم عدم تكافؤ الوسائل والامكانيات.

لهذا بدأنا في اواخر عام 1950 نجمع التبرعات رغم كل الصعوبات لاصدار جريدة الاشتراكية التي ستكون ناطقة بلسان الحزب العربي الاشتراكي.

كما اقمنا عدة دعاوى على اصحاب الصحف وكنا نسقط حقوقنا الشخصية بعد صدور الاحكام عليهم، ليرى الناس الفرق الكبير بين التسامح والتحامل، كما وجهنا اهتماما شديدا لتنظيم صفوف الحزب وقياداته، وكان الحزب قد بدأ ينمو بفوضوية واندفاع كنمو الاعشاب البرية في الارض الخصبة، فلا بد له في مثل هذه المعركة الشرسة من تنظيم يمتاز بالدقة والضبط والتوجيه الصحيح والا اصبح حركة فوضوية وهدفا هينا للقضاء عليه.

ان التنظيم الحزبي كلمة هينة في قولها وترديدها، ولكنها كعمل من اكثر الوان النضال مشقة، فالتنظيم الحزبي يقتضي دأبا ويقظة ووعيا وصبرا لا حدود له، كما يقتضي قيادات تتوفر فيها صفات لا يتحلى بها الكثيرون في المجتمعات المتخلفة حيث يستغل الاعداء جميع رسوبات التخلف المتوارثة.

اذكر فيما يلي مثلا يكشف صورة عن المعاناة في تنظيم الشعب ورفع مستوى وعيه ومداركه الى مستوى القضية:

قدم الى مكتب الحزب من مدينة جسر الشغور وفد كبير طالبا الانتساب الى الحزب فخطر لي ان أسأل:

ما هي الاسباب التي جعلتكم تطلبون الانتساب الى الحزب؟

كنت اتوقع ان يكون جوابهم الشكوى من الاقطاعية وجورها وفسادها ولكنهم اجابوني: اننا نرغب بالانتساب تعلقا بالمبدأ.

قلت: وما هو هذا المبدأ؟

فقال كبيرهم: نحن في تنافس وخصومة منذ سبعين عاما مع العائلة الفلانية في جسر الشغور التي انتسبت لحزب الشعب، فنحن بالمقابل اردنا الانتساب للحزب العربي الاشتراكي... اننا ورثنا هذه الخصومة عن آبائنا وأجدادنا ولا يمكن ان نتخلى عن هذا المبدأ.

قلت لهم: انتم مخطئون ان مبدأ حزبنا يختلف عن مبدئكم، لأن مبدأنا يسعى لاستبدال الخصومة بين أبناء الشعب بالمحبة، ونحن عندما نحارب الاقطاعية فلأننا نريد ان نستبدل العلاقات الاجتماعية الفاسدة وغير الانسانية بين المواطنين بعلاقات سليمة ووطنية شريفة، فاذا اقتنعتم بما أقول وبرهنتم على اقتناعكم بمبادرتكم الى مصالحة خصومكم فأهلا وسهلا بكم، والا فانني اقول لكم انه لا مكان لكم بيننا..

فانصرفوا من عندي حائرين ويبدو انه المرة الاولى التي يسمعون فيها كلاما لم يكونوا منتظرين سماعه.

□

استمر عدوان الاقطاعيين في قضاء المعرة لارهاب الفلاحين ومنعهم من الانتساب للحزب العربي الاشتراكي، وفي 1950/9/3 قاموا بعدوان مسلح في بلدة معرة النعمان نفسها ادى الى سقوط خمسة وعشرين جريحا وقد أدت هذه الاعمال الارهابية الى خوف بعض مخاتير القرى في قضاء المعرة فأرسلوا تحت الضغط والتهديد برقيات تعلن انسحابهم من الحزب، نشرتها بعض الصحف بتاريخ 1950/9/12 تحت عنوان: الانسحابات من الحزب العربي الاشتراكي... برقيات الى الحكومة والصحافة.

لقد كان معظم هذه البرقيات ملفقا كاذبا، ولكن بعضها كان صحيحا اذ ان طوفان حركة الفلاحين جرف بعض مخاتير القرى، ولكن بعضهم لم يتمكن من الصمود بوجه الضغط المحموم الذي شن عليهم، اما الفلاحون الكادحون فلم تتمكن الاقطاعية في جميع العهود، وحتى في العهود الديكتاتورية ان تثنيهم عن عزمهم بتأييد الحزب فكانت لهم مواقف صمود باسلة في وجه الطغيان.

□

بعد ان امتدت حركة الفلاحين بعيدا في شمال سورية، في قضاء المعرة وجبل الزاوية وارياف ادلب وحلب وبصورة خاصة في جبل الاكراد، كان لا بد من الاطلاع على شؤون الفرع في حلب ثم تنظيمه قبل ان يغرقنا طوفان الفلاحين المنتسبين الى الحزب ليكون الفرع على درجة عالية من الوعي والكفاءة والالتزام.

كانت قيادة الفرع في حلب قد تشكلت برئاسة السيد مهدي الزعيم الذي انتسب للحزب بدافع من محبته لي وثقته بي (وهو اخ لمحمد سعيد الزعيم الصناعي والخبير الاقتصادي ومن الداعين الى الاقتصاد الحر) الى جانب اعضاء الفرع وهم المحامي زكي الحموي والمحامي امين فريد والصحفي عبد السلام الكاملي صاحب جريدة التربية، وعلى الرغم من ان هيئة الفرع في حلب كانت على مستوى اخلاقي ووطني جيد الا انها كانت اقل قدرة وكفاءة من قيادات الاحزاب الاخرى، وهذا ما دعاني لزيارة فرع حلب في اواخر ايلول 1950، وبعد ان كان مقررا افتتاح مركز الحزب في المدينة واقامة احتفال كبير عدلت عن ذلك واجلته الى فرصة اخرى، ولكنني عقدت مؤتمرا صحفيا نشرته معظم الصحف الحلبية جاء فيه:

"ان ثمانين بالمائة من سكان الارياف من حماة الى حلب قد لمسوا في الدعوة الى الاشتراكية ما يضمن لهم الحياة العادلة، وان الامة تريد التحرر من قيود الاقطاعية، والاشتراكية التي يؤمن بها الحزب تهدف الى ضمان حقوق الفلاح والعامل ليتعاون الجميع على زيادة الانتاج وفق اساس عادل مشترك"

لقد فكرت بعد هذه الزيارة بتسليم قيادة الفرع للمحامي ناظم صقال ولكن انشغال الناس بقضية محمد ابو شلباية جعلتني اتريث واستسنح الفرصة الملائمة لتشكيل قيادة الحزب في حلب من جديد.

كان محمد ابو شلباية شابا من اللاجئين الفلسطينيين يعمل استاذا للادب العربي في ثانويات حلب وهو يحمل اجازة من الجامعة المصرية.

وبعد ان مرت المساعي المحمومة لاثارة الفتنة حول دين الدولة، ثم القاء القنابل والمتفجرات في دمشق والدعوة الى الاضراب والتظاهر قبل وضع الدستور وخلال اقراره من قبل الجمعية التأسيسية، كتب محمد ابو شلباية مقالا عن الرسول في صحيفة حلبية اعتبره رجال الدين ماسا به وان كاتب المقال رجل ملحد فانطلقت بسبب ذلك فتنة هوجاء كانت موضع مناقشة في مجلس النواب ففي جلسة 1951/1/1 طرح النائب عارف الطرقجي سؤالا عن الاجراءات التي اتخذت بحق كاتب المقال، كما تكلم النائب سكر مشيرا الى انه لاول مرة ينتقص قدر الرسول الاعظم بقلم مارق ملحد، كما استنكر مصطفى السباعي هذا الاجتراء على مقام الرسول، وقد كان جواب الحكومة بأن الدعوى أقيمت على الجريدة وان الكاتب قد اوقف واحيل الى القضاء. (صحف دمشق 1951/1/2).

بعد ان القي القبض على ابي شلباية واودع السجن تولى الدفاع عنه المحامي عبد الفتاح الزلط ولم يكن قد انتسب آنذاك الى الحزب، ولكن المحكمة لم تتمكن من النظر بالدعوى اذ هجم المتظاهرون على المحكمة وحطموا كل ما وجدوه في طريقهم فنقلت الدعوى الى اللاذقية وعندما برأته المحكمة اطلق سراحه وغادر سوريا نهائيا.

ومن المفارقات انني عند كتابة هذه المذكرات بعد اكثر من 22 وعشرين عاما على تلك القضية قرأت في جريدة بيروت (1972/2/13 العدد 241) تحت عنوان "العدو يشجع الاصوات المتواطئة والمتخاذلة" ما يلي:

" قال مدرس في الضفة الغربية، وهـو السـيد محمـد ابـو شـلباية، في مقابلة له مع راديو اسـرائيل: اننـا لسـنا متطـرفين ولا نريـد ان نقذف بالاسرائيليين الى الـيم او ان يقـذف بنـا الـى الصـحراء، اننـا نريـد سـلاما وحـق تقريـر المصـير.. وأعـرب عـن اعتقـاده بانـه اذا انشئت دولة فلسطينية، فاننا قد نتمكن خلال عشـر سـنوات مـن البحث في اقامة اتحاد كونفدرالي مـع اسـرائيل، اذن دعونـا نعـش في سـلام، فمقاتلة بعضنا بعضا وقتل بعضنا بعضـا عـديم الجـدوى" لقد أساء توكـل عبـد الفتـاح الـزلط عـن ابـي شـلباية امـام القضـاء اساءة بالغة اليه وكان سببا من اسباب اخفاقـه فـي كـل المعـارك الانتخابية التي رشح نفسه فيها عن محافظة حلب فيما بعد.

78

1950: التناقض العربي والدولي على الساحة السورية - قنبلة البرلمان حلقة من حلقات هذا التناقض - معركة كلامية بين حزب الشعب والحزب الوطني بطلاها رشدي الكيخيا وصبري العسلي وانتقال المعركة الى ميدان الشعر - يمكن اعتبار ما قيل في تلك المعركة وثيقة توضح بعض الجوانب لمرحلة هامة من تاريخ سورية.

بعد انعقاد الجمعية التأسيسية عام 1950 واقصاء سامي الحناوي بحركة العقداء سلك الحزب الوطني (جماعة القوتلي) بتشجيع من مصر والسعودية طريق العنف والارهاب بهدف عودة القوتلي لرئاسة الجمهورية فأدى هذا السلوك الى اثارة الخلافات الحادة بين حزبي الشعبي والوطني مما كان له نتيجة ايجابية هي اضطرارهما لكشف بعض الخفايا السياسية للرأي العام، فكانت القنبلة التي القاها الحزب الوطني على مبنى المجلس هي التي فجرت الخلاف بين الحزبين، فبعد ان اتهم وزير الداخلية الحزب الوطني بالقاء تلك القنبلة، وبعد ان شنت صحافة الحزب الوطني حملة شعواء على حزب الشعب، القى رشدي الكيخيا رئيس حزب الشعب ورئيس الجمعية التأسيسية في جلسة 1950/6/29 خطابا جاء فيه:

لا بد لي ان اعود قليلا الى الماضي الى 31 اذار 1949، اليوم الذي وقع فيه الانقلاب الاول الذي اوقفت فيه الحياة الدستورية في هذه البلاد، والذي اعتقل فيه في ذلك الحين فخامة رئيس الجمهورية شكري القوتلي وارسل الى السجن مع رجال الامة، ولا اريد ان اتحدث عن الاسباب والدواعي التي ادت الى ذلك الانقلاب، لانني لا اريد ان اوسع الشقة بين ابناء البلد الواحد الذي كنت فيما مضى ولا ازال احرص كل الحرص على ان يكون صفا واحدا للدفاع عن كيان هذه الامة التي تحاك حولها المؤامرات في السر والعلانية، والشيء الذي اريد ان اقوله وما المحت اليه قبلا هو ان هذه الجمعية التأسيسية وليدة الانقلاب الاول والثاني، فالانقلاب الاول لم يحسن الذي قام عليه ادارة شؤونه وتوجيهه التوجيه الذي يتفق مع مصلحة البلاد،

وكان هذا من الامور الرئيسية التي دعتنا لئلا نتعاون مع ذلك الدور لاعتقادنا ان حسني الزعيم الذي كان يقوم على الامر لا يتمتع بالمؤهلات والصفات التي يجب ان تتوفر في زعيم يقوم على رأس انقلاب عسكري ولقد بذل لنا آنئذ الكثير من المغريات، وكلفنا الاشتراك في الوزارات، ولكنني شخصيا وكثيرا من اخواني رفضنا ان نقوم بهذا العمل لاننا كنا نعتقد اعتقادا جازما بأن هذه البلاد التي تتمشى على قواعد الديموقراطية الدستورية لا يجوز لفرد من افرادها ان يقوم بعمل من شأنه ان يشل الحياة النيابية الدستورية مهما بلغ من أسوائها، وعلى هذا الاعتبار، ويشهد على ذلك فريق من المواطنين الذين انتخبوا اعضاء في هذه الجمعية التأسيسية عندما عقد الاجتماع الاول ودعي اليه اعضاء المجلس النيابي السابق عقب الانقلاب مباشرة، كنت آنئذ في عداد القائلين انه لا يجوز لنا ان نساهم في ذلك الدور لان العمل الذي تم لا يتفق مع الدستور الذي اقسمنا اليمين عليه، وارجو ممن كان حاضرا تلك الجلسة التاريخية ان يصحح لي اذا كان هذا الذي اقوله لا يتفق مع الواقع، وقد ذهبنا آنذاك الى حلب وهناك تعرضنا للشيء الكثير من الملاحقات والاضطهاد، ولكن ذلك لم يفت في عضدنا لاننا كنا نعتقد ان الدستور يجب ان يحترم، وان لا مناص لمن اقسم اليمين عليه ان يقوم بواجبه نحو الامة التي انتخبته للدفاع عن حقوقها وعن كرامتها.

ولم تمض فترة قصيرة من الزمن حتى شاهدنا من كان يتحمس للادوار الماضية قبل فترة الانقلاب يتنكر لها بكلية ويقوم على التعاون مع الشخص الذي قام بالانقلاب ضد الدستور وضد الرئيس الاول وضد المجلس النيابي حتى ان البعض تقدم فعلا وبدأ يعمل [1] في وضع الدستور الجديد الذي اراده زعيم الانقلاب، ولا ادري ما اذا كان هذا العمل يتفق مع النصوص المشروعة، ام هو يخالف النصوص الدستورية التي اقسم عليها كل نائب من اعضاء المجلس السابق سواء كان في صفوف الحزب المؤيد للحكومة او المعارض لها.

ثم شاء زعيم الانقلاب رحمه الله ان ينتخب لرئاسة الجمهورية فدعا الشعب بكامله لينتخبه لها، وان يفوض ايضا بوضع الدستور دون ان يكون لاي انسان حق الاعتراض على هذا العمل، وكذلك وجدنا من يدفعون المال، ومن

(1) يقصد رشدي الكيخيا هنا صبري العسلي.

يحرصون على عودة الدستور السابق يسارعون الى انتخاب رئيس الجمهورية المرحوم حسني الزعيم فكيف اذن ايها السادة نستطيع ان نوفق بين ما يقال الان من ان هذا الوضع غير شرعي وبين تلك الاعمال التي لا تتفق مع كل الاوضاع الشرعية بشكل من الاشكال؟.. كيف نستطيع ان نوفق بين هذه الاعمال وبين الهجمات المتتالية التي تشن على هذه الجمعية التأسيسية؟

فاذن ان الدستور السابق قد صوتت الامة ضده، بما فيه الذين يقولون بأنه لا يزال قائما حتى هذه الساعة.

وبعد فترة قصيرة من الزمن وقع الانقلاب الثاني الذي اريد به اعادة الاوضاع الشرعية الى البلاد، فدعينا آنئذ مع لفيف كريم من رجالات هذه المدينة وتداولنا الرأي، وقد اتصلت شخصيا قبيل الاجتماع ببعض اعضاء الحزب الوطني؟ وهم احياء يرزقون، ويمكنني ان استشهد بهم على صحة ما اقول، ومنهم السيد نبيه العظمة، فاتصلت به شخصيا وسألته: ما هو العمل الذي يجب ان يعمل، والخطة التي يجب ان تتبع، بعد ان دعينا من قبل رجال الانقلاب الثاني؟ لاننا لا نريد ان ننفرد بالامر وحدنا بل نريد ان يشترك بالعمل جميع رجالات الامة على اختلاف هيئاتهم واحزابهم لكي يكون العمل سليما، ولكي تعود الحياة النيابية الدستورية الى البلاد، فقيل لنا بعد ان جرى ما جرى لا يجوز بشكل من الاشكال ان يعود الدستور السابق وان تعود الاوضاع.

وانني استطيع ان اعدد اسماء الاشخاص الذين اجتمعت معهم آنئذ وهم من خيرة رجال الحزب الوطني لا بل من رؤسائهم، ومن المستحسن ان تشكل حكومة ائتلافية تدعو البلاد الى انتخاب جمعية تأسيسية تضع دستورا جديدا للبلاد، لان الدستور السابق لم يعد يجوز بحال من الاحوال ان يعمل به على اعتبار ان الامة قد ساهمت واشتركت في وضع دستور جديد وصوتت على انتخاب رئيس جمهورية جديد.

ولقد حرصت كل الحرص كما يعلم جميع الذين وجدوا آنئذ في الاجتماع المصغر قبل الاجتماع الكبير الذي عقد في الاركان عندما بحث في امر تشكيل الحكومة انني رغبت بان تشكل هذه الحكومة من كافة الاحزاب، وقد دعي حينذاك السيد نبيه العظمة واخوه السيد عادل العظمة الى الاجتماع، واقول لكم بكل صراحة ان الامر لم يكن بيدنا لندعوا الى الاجتماع من نشاء، ولكن اصحاب الدعوة هم الذين ارادوا في ذلك الاجتماع ان يتفقوا

على تشكيل الحكومة بمفردهم. وبعد التداول الطويل الذي دام ساعات اتفقت الاراء على تشكيل الحكومة، ولقد ابى السيد نبيه العظمة ان يشترك فيها فانتدب اخاه السيد عادل ليشترك بالنيابة عنه.

وبعد ان تشكلت الحكومة وجدت ان من واجبها ان تعيد النظر في قانون الانتخاب على ضوء الملاحظات التي رأت انها معقولة وواجبة، ولا اكتم عليكم ايها السادة انه قد تكون وقعت بعض الاخطاء في هذا القانون ونحن لا ندعي العصمة فالعصمة لله وحده، وعندما دعيت الامة الى الانتخاب بذلت المساعي مجددا من قبل الحكومة لوضع قوائم من كافة الاحزاب السياسية الموجودة في البلاد، على اعتبار ان البلاد تمر في ظرف استثنائي ولا يجوز ان تزج في تناحر قد يجرها الى ما لا تحمد عقباه وذلك حرصا على مصلحة الامة، وقد عقدنا لهذه الغاية عدة اجتماعات حضرها فريق من رجال الحزب الوطني، وكان النقاش لا يدور حول ما اذا كانت هذه الانتخابات صحيحة وشرعية ام هي نقيض ذلك، وانما كان النقاش يدور على ان الحكومة التي كانت قائمة لا يرون لديها من الضمانات ما يبعث الطمأنينة في نفوس كافة الاحزاب من ان الانتخابات ستجري في جو من الحرية، وقد عرضت ايضا ان انسحب من وزارة الداخلية على ان يختار لهذه الوزارة رجل حيادي يتفق عليه الجميع، كل ذلك حرصا منا ومن الحكومة بأن تكون الانتخابات عامة، وان يشترك فيها الجميع ليكون الدستور الجديد غير معترض عليه من اي فئة من الفئات بصورة مطلقة، ولقد وعدت آنئذ ان اكون من الاشخاص الذين يعطون العهد بأن لا ارشح نفسي لاي منصب من مناصب الدولة في المستقبل فلم يقتنعوا ايضا، وكان الخلاف - واقول ذلك لكم بصراحة - على الكراسي لا على شيء اخر، كان الخلاف على ان يعطى للحزب الفلاني عدد من الكراسي وان يأخذ الحزب الآخر عددا اخر والخلاف نشأ من هذه الناحية وكنت ارغب بأن يشترك الجميع في هذه الانتخابات رغبة اكيدة، وان لا يتقدم الى الانتخابات الا الاشخاص الذين لا ترى الامة من وجودهم في ذلك الظرف ما يسيء اليها، بل على كل حزب ان يقدم خير ما عنده من الرجال لكي يعيدوا الطمأنينة الى نفوس كافة افراد الشعب دون استثناء، ومع ذلك لم نتمكن من الوصول الى نتيجة حاسمة".

"انا قلت ان القنبلة التي القيت على هذا المجلس اذا كان القصد منها دار المجلس النيابي يكون القاؤها جريمة شنعاء لا يجوز السكوت عنها، فان

هذا المكان بيت مقدس للامة وليس هو لي او لك او لاية فئة او حزب، وقلت ايضا، اذا كان المقصود من هذه القنبلة هو هذا المجلس بالذات او الذين وجدوا في هذا المجلس فان الذين وجدوا فيه انما جاءوا بنتيجة انتخابات حرة شرعية وبناء على رغبة وارادة الامة ولذلك لا يجوز ان يقال ان هذه الجمعية لا تمثل الامة، هذا ما قلته بالحرف الواحد".

موقف الحزب الوطني من الانقلابات في رد صبري العسلي على خطاب الكيخيا

وفي 3 تموز نشرت صحف الحزب الوطني رد صبري العسلي التالي:

1- ورد في خطاب دولة السيد رشدي الكيخيا انه عندما عقد الاجتماع الاول عقيب الانقلاب الاول ودعي اليه اعضاء المجلس النيابي كان في عداد القائلين بأنه لا يجوز لهم ان يساهموا في ذلك الدور لان العمل الذي تم لا يتفق مع الدستور.

وحقيقة الامر في هذا الموضوع ان اجتماعا عقد في وزارة الخارجية في اليوم الثاني من الانقلاب الاول حضره 77 نائبا وحضر دولة السيد لطفي الحفار وانا نهايته، وكاد يكون الامر منتهيا الى الاتفاق على تأليف حكومة مجلسية - بهذا التعبير - وابلاغ الامر الى زعيم الانقلاب الذي حدد الساعة الثانية عشرة لمقابلة دولة السيد فارس الخوري في وزارة الخارجية ومعرفة ما تم عليه الاتفاق من التعاون منه ام عدم التعاون.

وقد بادرنا بعض النواب الذين كانوا في هذا الاجتماع محاولين اقناعنا بضرورة تأليف حكومة مجلسية وانهاء الامر الى الزعيم فقال دولة السيد لطفي الحفار مخاطبا دولة فارس الخوري والنواب: كيف يمكن تأليف حكومة ورئيس البلاد الشرعي وزعيمها في السجن؟ وقد اقسمنا اليمين القانونية على صيانة الدستور وعدم العبث به، ولا يمكن ان نرضى بتأليف حكومة قبل ان يفرج عن فخامة رئيس الجمهورية، وهو وحده يتدبر الامر، وكيف يمكن ان نقبل مثل هذا البحث بعد الاعتداء على سلطان البلاد ودستورها، وما اعتقد ان واحدا من الحاضرين الذين يستشعرون قدسية يمينهم للمحافظة على الدستور يوافق على هذا الاقتراح.

وسادت الحاضرين جلسة صمت، ثم وجه الاستاذ فارس الخوري سؤالا للمجتمعين عن رأيهم في قول السيد لطفي الحفار، فقال احد

الحاضرين - ولا يحضرني اسمه الان -: "السكوت في معرض الحاجة اقرار وبيان". فانبرى دولة الدكتور ناظم القدسي وقال: "لا يا سيدي نحن لا نوافق على قول لطفي الحفار، واننا نرغب اختيار اهون الشرين وهو تأليف حكومة تعالج الامر". وحاول بعض السادة المجتمعين اقناعي بضرورة الموافقة وابدوا عدم تأييدهم لما قاله السيد الحفار، وغادرنا الاجتماع فور مجيء حسني الزعيم الى وزارة الخارجية، ولم يستطع ان يأخذ الجواب الذي كان ينتظره، فأعطى الاستاذ فارس الخوري مهلة اخرى، وعقد اجتماع اخر في فندق اوريان بالاس لم يحضره سوى ثلاثة من نواب الحزب الوطني كانوا متفرجين، وفي هذا الاجتماع تقرر التعاون مع حسني الزعيم بوساطة الامير عادل ارسلان، وكانت كثرة اعضاء حزب الشعب من الموافقين على هذا التعاون وكان دولة الكيخيا حاضرا.

ان موقف نواب الحزب الوطني لا يدل على انهم عملوا عملا مخالفا للدستور او اليمين القانونية، واما ان دولة الكيخيا كان في عداد القائلين بعدم المساهمة في ذلك الدور فقد يكون صحيحا ولكن بينه وبين نفسه، لان موقف حزب الشعب كان غير ذلك، الم يتقدم الامير عادل ارسلان بقائمة وزارته وكثرتها من حزب الشعب؟ الم يقبل معالي فيضي الاتاسي تأليف الوزارة ولم يقبل استمراره بعدئذ حسني الزعيم؟

2- اننا لم نتنكر للادوار الماضية ولم نقدم على التعاون مع الشخص الذي قام بالانقلاب وان الظروف لا تسمح لي بكشف كل الحقائق، غير انه يمكن ان يقال انني شخصيا قبلت ان اكون في عداد الاعضاء الذين دعوا لوضع الدستور الجديد سترا لعمل اتفقت عليه مع المسؤولين في العراق وهو تأليف حكومة مؤقتة تحريرية يساعدها العراق على الخلاص من حسني الزعيم وعهده، وارسلنا رسولا الى حزب الشعب وافضينا اليه بكل ما يجري بهذا الشأن وطلبنا اليه بحث الامر مع السيدين رشدي الكيخيا وناظم القدسي وذهب ولم يأتنا بجواب، فهل من يقرر مثل هذا الاجراء الخطير يكون متنكرا للادوار الاستقلالية الماضية ولرئيس الجمهورية؟

3- وحقيقة الامر في موضوع الانقلاب الثاني انه اريد به في الواقع اعادة الاوضاع الشرعية للبلاد، ولكن حزب الشعب الذي دعي للاجتماع الاول

يوم 14 آب 1949 في الاركان، اي يوم مقتل حسني الزعيم، قد دعي وحده ولم يدع احد من رجال الحزب الوطني للاجتماع. اما السيد نبيه العظمة فلم يكن وللأسف من الحزب لانه كان انهى حياته السياسية قبل ذلك بزمن بعيد.. وقد وجه حزب الشعب الانقلاب وجهة خاصة لصالحة الخاص... اما الانتخابات فقد شهد اثنان من اعضاء الحكومة التي كانت قائمة وقت الانتخابات، وهما السيدان اكرم الحوراني وميشيل عفلق، بأنها لم تكن مثالية ولا صحيحة بل كانت انتخابات مزيفة مزورة.

اما قول دولة الكيخيا ان الشعب اشترك في وضع دستور جديد وصوت، على انتخاب رئيس جمهورية جديد فاعتقد انها طعنة نجلاء يوجهها دولته الى صميم الوضع القائم الان في البلاد، فالشعب لم يشترك في وضع دستور جديد مطلقا ولم يصوت على انتخاب رئيس جمهورية برغم موجة الارهاب الطاغية في عهد حسني الزعيم الا بقدر محدود.

□

وهكذا كان خطاب الكيخيا ورد العسلي وثيقتين توضحان بعض الجوانب لمرحلة هامة من تاريخ سوريا وتؤيدان صحة رؤيتنا للاحداث التي عصفت بالبلاد في تلك الحقبة.

المعركة الكلامية بين الحزب الوطني وحزب الشعب تنتقل الى مجال الشعر.

قصيدة بدوي الجبل في ذكرى وفاة سعد الله الجابري

استمر الحزب الوطني مستغلا كل المناسبات ليواصل حملته على حزب الشعب والجمعية التأسيسية ودعوته لعودة القوتلي، وكانت اهم هذه المناسبات الاحتفاء بذكرى سعد الله الجابري في دمشق وحلب، وقد ارسل شكري القوتلي كلمة في تأبين سعد الله الجابري مذكرا بماضي رفاقه، ولكن حفلات الحزب الوطني لم تترك اي اثر شعبي، سوى القصيدة التي القاها بدوي الجبل في حلب في اواخر عام 1950 في هجاء رشدي الكيخيا رئيس المجلس التأسيسي التي ورد فيها:

حلف الساخرون انك اصبحت خطيبا مفوها منطيقا

ليت من زوروك فيهم خطيبا ... يتقنون التزوير والتلفيقا
سوف تتلو ما يكتبون ولكن ... جنبوه الاسهاب والتنميقا
يا شقيا بالجر والنصب والرفع ... تقحم اسبابها والفروقا
خل عنك الاعراب فالجهل والعجمة ... اروى زندا واروج سوقا
لا تقم للعلوم وزنا فخير لك ... منها ان ترزق التوفيقا
قدرة الله لو تؤدي حسابا ... فتريح المحروم والمرزوقا
قد راينا حيث هز لك السوط ... مباح الرضى ذليلا مسوقا
لا تلوموا الهجين قصر في الشوط ... ولوموا احسابه والعروقا
دعك من زحمة العواصف واترك ... للعقاب السماء والتحليقا

1950: موقف دستور 1950 من قضية دين الدولة - كيف افهم الاسلام

كان الهدوء والامن مخيمين على سورية بالرغم من الحملات السياسية والاعلامية بالصحف والاجتماعات والتحريض على الاضراب والقاء المفرقعات التي كانت تقوم بها الاحزاب الثلاثة المؤتلفة (الحزب الوطني، الحزب الجمهوري، التعاوني الاشتراكي) بالإضافة الى محاولة المشايخ اقرار المادة الثالثة من مشروع الدستور السوري حول دين الدولة وتدخل بعض الدول العربية في هذا الموضوع، فقد اذاع راديو عمان بتاريخ 1950/7/26 "ان السيد عبد الرحمن خليفة رئيس ديوان الملك عاد الى عمان من دمشق بعد ان سلم الرئيس الاتاسي رسالة من الملك حول قضية دين الدولة، وان الملك عبد الله ابدى عدم ارتياحه لمحاولة البعض الغاء نص دين الدولة من الدستور".

وفي جدة توقفت السعودية عن دفع القسط الثاني من القرض.

بينما استمرت سياسة نوري السعيد في دفع سورية نحو الفتنة والانقسام. وبالاضافة الى الجميع كانت الولايات المتحدة وبريطانيا تدفعان سورية الى هذا الوضع القلق، بالوقت الذي كان فيه بن غوريون يعلن عن تشكيل فرق المظليين استعدادا للجولة الثانية.

قضية دين الدولة

كانت لجنة الاحزاب المؤلفة من ثمانية نواب لدراسة موضوع دين الدولة وكيف يجب ان يكون النص الدستوري توالي اجتماعاتها بشكل مستمر ولا سيما بعد جلسة 1950/7/24 التي اختتمت بها المناقشة العامة على مشروع الدستور، وكان الحوار لا يزال قائما بين اعضاء هذه اللجنة التي يشترك فيها الدكتور مصطفى السباعي ممثل الجبهة الاشتراكية الاسلامية وبين المشايخ من رابطة العلماء الذين لم يرضوا بما اتفقت عليه اللجنة من تبني

الفقه الاسلامي كمصدر رئيسي للتشريع وجعل الاسلام دين رئيس الدولة، بالاضافة الى النص الذي وضع في مقدمة الدستور تحقيقا لهذا الهدف، والذي يعتبر جزءا لا يتجزأ من الدستور.

وبعد ان انتهت المناقشة العامة لمشروع الدستور اقرت لجنة الاحزاب المشتركة ولجنة الدستور المادة الثالثة وهذا نصها:

"1- دين رئيس الجمهورية الاسلام.

"2- الفقه الاسلامي المصدر الرئيسي للتشريع.

"3- حرية الاعتقاد مصونة، والدولة تحترم جميع الاديان السماوية وتكفل حرية القيام بجميع شعائرها، على ان لا يخل ذلك بالنظام العام.

"4- الاحوال الشخصية للطوائف الدينية مصونة ومرعية"

وتقرر ان يضاف الى مقدمة الدستور النص التالي: "ولما كانت غالبية الشعب تدين بالاسلام فان الدولة تعلن استمساكها بالاسلام ومثله العليا، ويعلن الشعب عزمه على توطيد اواصر التعاون بينه وبين شعوب العالم العربي والاسلامي، وبناء دولته الحديثة على اسس من الاخلاق القويمة التي جاء بها الاسلام والاديان السماوية الاخرى، وعلى مكافحة الالحاد والتحلل الاخلاقي.

فقام الخلاف بين جبهة المشايخ (رابطة العلماء) وبين الجبهة الاشتراكية الاسلامية التي وافقت على هذه النصوص، فأذاع الشيخ ابو الخير الميداني رئيس رابطة العلماء بدمشق، بيانا بتاريخ 28 تموز 1950 جاء فيه: "ان رابطة العلماء يؤيدها الشعب السوري الكريم، رأت ان المادة الثالثة من مشروع الدستور - دين الدولة الاسلام - التي فازت بتأييد الاكثرية، وجاءت وفقا لدساتير الدول المجاورة ومماثلة لدساتير الدول الاجنبية الكثيرة في النص على ارتباط الدولة بدين الاكثرية، وكانت مؤيدة بالوف العرائض التي قدمتها الامة ووفودها الكثيرة من جميع هيئاتها وطبقاتها، اصبحت لزاما لا يصح انتزاعه ولا تعديله".

فأذاع الشيخ مصطفى السباعي عميد الجبهة الاشتراكية الاسلامية بيانا معاكسا جاء فيه: "حينما اعرب جمهور الشعب بمختلف طبقاته عن رغبته في النص على ان يكون دين الدولة الاسلام انما كان يقصد الاستفادة من التشريع الاسلامي وتوجيه الشعب توجيها اخلاقيا والاحتفاظ بعلائق الاخوة والتعاون مع شعوب العالم العربي والاسلامي، وان النصوص الجديدة التي اقرتها لجنة الاحزاب المشتركة للمادة الثالثة تضمنت هذه المبادىء.

وطلب الشيخ مصطفى في بيان إلى الرأي العام الواعي ان يدرس هذه النصوص الجديدة بهدوء وتجرد "وعلى المتدينين خاصة ان يحكموا عليها بعد دراستها النزيهة المتجردة" الى ان يقول: "ان هذه النصوص حققت وحدة الصف ودفعت عن الوطن كارثة انقسام طائفي لا يرضى به كل متدين عاقل وكل وطني مخلص".

اما رجال الدين المسيحي فقد وافقوا على النص الذي اقرته لجنة الاحزاب المشتركة، وهكذا تمكنت الجمعية التأسيسية باجتماع 1950/7/29 ان تقر بما يشبه الاجماع النص الذي اتفقت عليه لجنة الاحزاب المشتركة لصيغة المادة الثالثة من الدستور السوري.

□

لقد تم الاتفاق على المادة الثالثة التي اوردتها بالنص، وعلى ما ورد في مقدمة الدستور بالحوار والمناقشة مع الاساتذة النواب اعضاء اللجنة: معروف الدواليبي ومحمد المبارك والشيخ مصطفى السباعي المرشد العام للاخوان المسلمين في سورية، وهم من المتضلعين بالفقه الاسلامي ومن حاملي ارقى الشهادات وكانوا اساتذة في معهد الشريعة الاسلامي في دمشق، هذا المعهد الذي تحول فيما بعد الى كلية للشريعة في الجامعة السورية، واصبح الشيخ مصطفى السباعي عميدا لها.

ان المشايخ الذين كانوا يطالبون باقرار المادة الثالثة من مشروع الدستور والتي تنص على ان دين الدولة الاسلام، كانوا لا

يفهمون الاسلام بمستوى ما بلغه العقل الانساني من تقدم وما بلغته المجتمعات من تطور، وكان اقرار هذه المادة بالصيغة التي طالب المشايخ بوضعها في مشروع الدستور يتناقض مع الديموقراطية وما تعنيه من احترام للحريات العامة والخاصة.

□

لقد اتخذ اعداء الاسلام، وما يزالون من الفهم القاصر للدين الاسلامي ذريعة للحملة عليه واتهامه بأنه دين يقف في وجه حرية الفكر وانه دين ارهابي عدواني متخلف منغلق استبدادي يتنكر لحقوق الانسان الى اخر هذه القائمة الطويلة من الاتهامات، وقد بلغت هذه الحملة التي تشنها الاوساط الاستعمارية الغربية وحليفتها الصهيونية اوجها بعد حرب الخليج عام 1991، وان كانت قد بدأت تسفر عن وجهها بعد هزيمة الخامس من حزيران عام 1967 في محاولة للاجهاز النهائي على كل تطلع عربي واسلامي للكرامة والتقدم، ودفع الجيل العربي الجديد الى اليأس نهائيا من امته وحضارته.

ان هذه الحملة المشبوهة لم تقتصر على الدين الاسلامي وانما رافقتها حملة على العروبة وعلى لغتها، اهم مقوماتها، فتزايدت، بعد الخامس من حزيران الدعوات التي تنال من اللغة العربية بحجة انها لغة قاصرة جامدة لا تستطيع ان تماشي ما يحدث في هذا العالم من تطورات، فجرت دعوات للكتابة بالعامية، او لترك قواعدها، او هجر حروفها العربية الى الحرف الاجنبي، مثلما حدث في تركيا عندما حاول اتاتورك ان يقطع روابط هذه الامة بالاسلام، وكلها دعوات ترمي في جوهرها الى فصل الانسان العربي عن تاريخه وثقافته، بينما كانت الصهيونية تتابع احياء اللغة العبرية بعد ان كانت لغة ميتة.

انني ما ازال احتفظ بين اوراقي بنص يتعرض للاسلام كتبه احد المنادين بترك قواعد اللغة والمتحمسين لما يدعونه بشعر الحداثة، هذا الشعر الغامض في معظمه والذي يفهمه كل كما

يحلو له، بحيث ينقطع الشعر عما يمكن ان يؤدي اليه من تكوين العاطفة والفكر الواحد والسلوك الواحد، يقول كاتب هذا النص: [1]

"جاءني اليوم من قال لي:

"من تقاليد العرب تقديس الشخصية ولم يشرح، ولو شئت ان اقول شيئا لقلت:

عند العبرانيين اقام الله حوارا مع الانسان فكان ابراهيم وموسى وسائر الانبياء، وفي المسيحية تجسد الله في الانسان فكان المسيح وسائر القديسيين، اما عند العرب فلم يقم الله حوارا مع الانسان ولا تجسد فيه وانما ارسله، وانا كانسان افضل ان يسكن الله في حياتي على ان يخاطبني من علياء سمائه او يرسلني عبدا له الخ..."

وهكذا يمتد قلم هذا " المثقف" العربي العصري المتحضر الذي حاول ان يقلب مفاهيم الشعر وقواعد اللغة، الى عقيدة الاله والواحد" الذي ليس كمثله شيء" عند المسلمين، هذه العقيدة التي مثلت مرحلة راقية من التفكير الانساني عندما تجاوزت التعدد الى التوحيد والتشخيص الى التجريد، كما يتغاضى عن قيم الاسلام الاخرى في التحرر والحرية والشورى والاحتكام الى العقل والدعوة بالحسنى، وعدم سيطرة اي انسان على الاخرين ولو كان النبي محمدا.

المعاناة:

كنت افضل الا اخرج في هذه المذكرات عن نطاقها السياسي، وان اترك هذا الموضوع الى من هم اكثر مني علما، ولكن اجدني ملزما بالتعرض الى موقفي الشخصي من الدين والتراث الذي لم ينفصل عن مواقفي ومعتقداتي السياسية، والى

(1) تاريخ كتابة هذا النص 1972/4/5، وكاتبه هو يوسف الخال.

مراحل تطور معتقداتي الوجدانية التي اوصلتني الى مثل الخير والمحبة والجمال والحق، تلك المثل التي جعلت لحياتي معنى ولسلوكي قيمة ووزنا.

لقد واكبت الحركات النضالية منذ بداية شبابي، وانتظمت في مؤسساتها واحزابها، فلم اعش منسلخا عن شعبي، بل عشت متصلا بضميره دون انقطاع، لذا فانا ملزم بأن افسر مواقفي وتصرفاتي على ضوء ما اعتنقه من آراء وافكار دينية، كانت دوما عرضة للحملات المغرضة ضدي.

انني لم ألجأ يوما الى التلفيق في كل ما اعتقدته حقا لانه كان ثمرة معاناة صادقة تحاول ان تستجيب لما يتصل بضمير هذا الشعب وتطلعاته، فقد كان الشعب استاذي الاكبر، وكنت اجتاز امامه الامتحان والتجربة باستمرار، ومن هنا قد يصبح لهذه المعاناة وما استقرت عليه من آراء ومعتقدات بعض القيمة والاهمية.

تبدأ الازمة الوجدانية عند الانسان العربي منذ الطفولة، تثيرها تحديات العصر بشكل حاد، وهي ازمة قد لا يعاني نظيرها ابناء الشعوب المتقدمة، انها شكوك تساور النفوس بأنه ربما يكون للدين علاقة بضعفنا امام قوة تلك الشعوب، ولا شك ان للتراكم الحضاري في تراث الشرق العربي دورا ظاهرا في التطلع الى الدين بهذا الشكل المبكر الذي يشغل الانسان العربي منذ طفولته، فاذا كان للغرب حضارته التي لا يتجاور عمرها مئات السنين فان حضارة الشرق العربي ضاربة بجذورها في اعماق التاريخ.

بدأت هذه الازمة النفسية عندي على المستويين الوجداني والفكري منذ اليفاع، وكانت تتعاظم عاما بعد عام، حتى انتهى بي المطاف الى افكار ومفاهيم اصبحت مؤمنا بها ومطمئنا لها.

ان هذه الازمة الوجدانية والفكرية ليست ازمة شخصية، كما اسلفت، بل انها معاناة يومية لا تزال تعيشها الاجيال العربية

بشكل حاد ومستمر، ولا تزال القوى الخفية تستغلها اما بالدعوة للاستسلام الكامل للماضي المتخلف على جموده وتحجره واما بالدعوة لرفض التراث جملة وتفصيلا والانسلاخ عنه.

واذا كانت حرية الفكر التي بلغها الغرب بعد ثوراته الكبرى قد فتحت الابواب الموصدة امام التفكير والتعبير والحوار الحر الطليق، فان انعدام هذه الحرية في الشرق العربي قد ادى الى انحباس ازماته الوجدانية والفكرية في عتمة النفس، تتفاعل ضمن قوقعة الخوف، مما ولد كثيرا من العقد والعاهات والامراض النفسية والمظاهر السلوكية الشاذة التي تكاد تقضي على كفاءة المجتمع وتقدمه وابداعه، مع ان الاسلام انطلق منذ بداية تبشيره من الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي احسن، وانه لا اكراه في الدين.

□

تحدثت فيما سبق عن اسلوب الشيخة القاسي الكريه في تعليمنا القرآن ونحن أطفال مما ولد نفورا في انفسنا ولم يكن اسلوب اساتذة الديانة في مدرسة دار العلم والتربية باحسن حالا.

كان استاذنا الشيخ محمود العثمان رجلا طيبا ودودا تقيا ولكنه حصر تعليم الدين في نطاق العبادة.

كانت الصلاة في المدرسة اجبارية، فكنا نذهب للصلاة احيانا بدون وضوء نكاية بالاوامر القسرية، او تجنبا لبرد الشتاء القارس، على ان هذا الجانب السلبي الارغامي كانت تواكبه نزعة دينية عميقة اصيلة في النفس.

كنا نصلي بخشوع عندما نتحرر من السيطرة، ولا سيما عندما نواجه مشاكلنا العامة والخاصة، لقد صليت لنجاح ثورة ابراهيم هنانو، وصليت لنجاح ثورة عام 1925، وكنت اصلي عند اجتياز الامتحانات المدرسية او عندما تمر الاسرة بأزمة قاسية.

كنا نصوم رمضان بلا انقطاع حتى لو جاء في حر آب على الرغم من نصح الاساتذة لنا بعدم الصيام لانه غير مفروض على من هم في سننا، ولانه يؤثر على صحتنا ونمونا، لذلك كانت ادارة المدرسة تتعمد الا توقظ الصغار عند السحور، فكنا نصوم بلا سحور، وحين تجف حلوقنا كنا نتمضمض بالماء دون ان نشرب قطرة منه لكي نجتاز التجربة، وعندما يطلق مدفع الافطار كنا نستمتع بنشوة لا تعادلها نشوة لاننا بالارداة، تجاوزنا الكبار وانتصرنا على قصور الطفولة وعجزها، وكان شهر رمضان احب الشهور الى نفوسنا، وكانت امسياته ولياليه من امتع ذكريات الطفولة.

على ان الجانب السلبي استمر في مرحلة الدراسة التكميلية والثانوية، فكانت دروس الديانة تصور الدين في اذهاننا بصورة فيها السيطرة والاجبار والاكراه والتزمت... كان لا يهم المشايخ من كتب السيرة المليئة بالصور المشرقة والعبقرية والتضحية الا الامور الشخصية التي يشترك فيها الناس جميعا، وعندما دخلت مرحلة الشباب كان للدين وللرسول وصحابته تلك الصورة التي درسناها وقرأناها على مشايخنا، فكان رد الفعل ان توجهت الى قراءة ما يتصل بالالحاد من كتب، ولكن ذلك لم يسبغ السكينة على مشاعري الوجدانية العميقة، وظل الايمان يبعث في نفسي الامل خلال تلك الازمة النفسية التي هي علامة طبيعية من علامات نهاية المراهقة عند الكثيرين، كنت اشعر في اعماقي بأن الطهارة فرح وتفاؤل، وان الخطيئة تشاؤم واكتئاب، والدعاء والاستغفار راحة قبل النوم، وان الطهارة النفسية تقتضي طهارة الجسم لذلك كنت اغتسل بالماء البارد في الشتاء القارس عمدا قهرا للنفس، فاشعر بالراحة والاطمئنان.

وظل البحث عن الله ملحا مستمرا.

□

بعد ان انتهيت من امتحانات البكالوريا الثانية عكفت على القرآن وبعض تفاسيره، في محاولة لفهمه بعقلي لا بعقول

مشايخنا، فتكونت لدي صورة مليئة بالاشراق والقيم الانسانية، كما تعدت القضية لدي حدود الوجدان فأصبح لزاما علي ان ابحث عن فلسفة للحياة تجعل لوجودي معنى وغاية.

لا بد لي من عقيدة.

قرأت بعض ما كتبه جمال الدين الافغاني ومحمد عبده والكواكبي، وناقشت آراءهم فوجدت فيها فهما متقدما للاسلام يتجاوز مفاهيم عصر الانحطاط، كما رحت انهل بشغف لا مثيل له ما كتبه بعض المثقفين العرب والمستشرقين عن التاريخ الاسلامي والتصوف، وما كتبه الاقدمون واهل المذاهب والالحاد واخوان الصفا، وابحث عن مخطوطات المذاهب الباطنية، كما قرأت في تلك الفترة كتاب الاسلام واصول الحكم للشيخ مصطفى عبد الرازق، وهو الكتاب الذي ادى الى محاكمة مؤلفه امام مشايخ الجامع الازهر.

خليط هائل متضارب من الملاحظات والتأملات والافكار ادى في حصيلة هذه المعاناة الشاقة الى ترسيخ ايماني بالاله ذي العلم المطلق والقدرة المطلقة، اله الحق والخير والمحبة والجمال، اله القيم الرفيعة الصاعدة الى السماء والتي تضرب جذورها في الارض.

اتصلت بالله في حبي لامتي لانها تجاهد في سبيل الحق والعدل، احببت في العروبة تراثها فتحديت مع الحلاج اليهودية التي تفشت في المجتمع العربي، وصرخت معه في وجوه الجشعين: الهكم تحت قدمي، ورددت من اعماقي مع محيي الدين بن عربي:

قد كنت قبل اليوم انكر صاحبي — اذا لم يكن ديني الى دينه داني

فاصبح قلبي قابلا كل صورة — فمرعى لغزلان، وديرا لرهبان

اديــن بــدين الحــب انــى ركائبــه فالحــب دينــي
توجهـــــــــــــــت وايمـــــــــــــــاني

كرهــت الاقطــاع والنظــام الرأســمالي، مجتمــع الظلــم والاستهلاك، واحببت في الاشـتراكية العـدل الاجتمـاعي، وانكـرت على الماركسية الديكتاتورية والالحـاد، وناهضـت الاسـتعمار بحـزم واستشـهاد، واصـبحت ارى فـي الهجمـة الاسـرائيلية ردة انتقاميـة ضارية يشـنها الغرب بما توقظه الصهيونية فيه من غرائز كامنة فـي صلب نظمه الرأسمالية الجشعة العدوانية.

وجدت في القرآن اتجاها عقلانيا ينـاقض مـا علـق بالاسـلام من صدأ وزوائد وخرافات. ان فيه اكثـر مـن ثلاثمائـة آيـة تـدعو الـى تحكيم العقل وتزدري من لا يحكم عقله، وهو يرفض كل ما يتعارض مع سـنن الطبيعة وقوانينهـا "لـن تجـد لسـنة الله تبـديلا ولـن تجـد لسنة الله تحويلا"، فالاسلام دين عقلاني في اسسـه ومفاهيمـه وغاياته، وهو عقلاني في جميع شـؤون الحيـاة، كمـا هـو عقلانـي في مفهومه لفكرة الاله من حيث الوحدانية، والتجريد والتنزيه.

ليس في القرآن اسرار يحـدث تصـورها تناقضـا فـي الـذهن، وكـل نـص قرآنـي يحـدث تصـوره - فـي الظـاهر- تناقضـا يجـب فيـه تحكيم العقل حتى يرتفع التناقض، فالاسلام هو الدين الذي يجعل من الجدل الديني الصارم طريقا للوصول الى الحقيقـة، والسـلطان الاعلى هو العقل في التوصل الى الحقيقة وهذا ما جعل ابو العلاء المعري ان يقول قبل الف عام:

كـذب الظـن لا امـام سـوى مشـــيرا فـــي صـــبحه
العقـــــــــــــــل والمســـــــــــــــاء

"فليس في الاسلام رجال دين، والدين ملك للجميع ينهلـون منـه، كل على قدر ما تطيقـه طبيعتـه ومؤهلاتـه الفكريـة... الـدين لـيس حرفة، والعبادات كلها تتم بغيـر وسـاطة رجـال الـدين، امـا الجانـب

الفقهي والتشريعي في الاسلام فطبيعي ان يتخصص فيه اناس.. ولكن موقفهم هو موقف كل المتخصصين في الفقه الدستوري والتشريعي في كل بلد من البلاد لا يملكون بصفتهم هذه سلطة على الناس ولا امتياز طبقيا عليهم والذين يسمون انفسهم هيئة كبار العلماء احرار بأن يتسموا بهذا الاسم او غيره ولكن ليس لهم سلطان على احد، ولا يملكون من امر الناس شيئا الا في حدود القانون، والازهر معهد علمي ديني ليس سلطة تحرق العلماء او تعذبهم وكل ما يملكه ان يطعن في فهم احد الناس للدين ويخطىء رأيه، وهو حر في ذلك لأن الناس ايضا يملكون ان يطعنوا في فهم رجال الازهر للدين ويخطئوا آراءهم، ان الدين ليس حكرا لاحد ولا لهيئة، وانما هو لمن يحسن فهمه وتطبيقه" [2]

□

الاسلام اذن هو دين العقل، وهو بالتالي دين العلم، بدأت أول آية في القرآن بالحث على القراءة والتأمل في ظواهر الخلق (اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق) وكان الحرف الذي ابتدعه الشرق العربي ليكون منطلقا لبناء العلم والحضارة الانسانية قسما في بداية كثير من السور (ي س والقرآن الحكيم).. (ال م والقرآن الكريم).. ك هـ ي ع ص ذكر رحمة ربك عبده زكريا الخ).

لقد جهل بعض مفسري القرآن الغاية من القسم بالحرف فاعتبروا ما جاء في القرآن من حروف ألغازا لا يمكن تفسيرها، مع ان التفسير واضح قاطع في هذه الاية التي لم تقتصر على القسم بالحرف وانما اضيف الى ذلك الكتابة والقلم: (ن، والقلم وما يسطرون).

ان القرآن يحث على طلب العلم بأوسع ما في هذه الكلمة من معنى وليس على الدراسات الشرعية الفقهية فحسب:

(2) فقرات من نص وردت في كتاب شبهات حول الاسلام ص 152-153 الطبعة التاسعة، لمؤلفه محمد قطب، والمؤلف من الداعين الى حكم يستند الى الشريعة - يكون فيه المتخصصون في الفقه والتشريع مستشارين عند الدولة.

"الم تر ان الله انزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود، ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه، كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء" فهل العلماء هنا هم علماء الشريعة والفقه فحسب ام هم علماء الطبيعة والعالمون بأسرار النواميس في الحياة والنبات والحيوان والمطر وطبقات الارض وغيرها؟ ومع ذلك فان القرآن ليس موسوعة للعلوم وما فيه من الاشارات الى بعض نواميس الطبيعة انما هو للدلالة على وجود النظام المحكم ثم للاستدلال بهذا النظام على وجود الله "سنيرهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق"، وما من آية تتحدث عن الله وصفاته الا وهي مبثقة من التفكير بهذا الوجود وباحكام انظمته، فادراك الله كان مقترنا بالتأمل بالطبيعة "الله موجود في كل مكان" "وهو اقرب اليكم من حبل الوريد" "هو الاول والاخر والظاهر والباطن".

□

من عقلانية الاسلام كان موقفه الحازم تجاه البدع والمعجزات والانحرافات، فعندما كسفت الشمس يوم موت ابراهيم ابن رسول الله ظن المسلمون ان كسوفها كان حزنا على موته، فقال لهم الرسول محمد:

ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تكسفان ولا تخسفان لموت أحد.

ومن هذا المنطلق كان موقف عمرو بن العاص والي مصر عندما منع بدعة وثنية هي تضحية فتاة باكر برميها في نهر النيل استجداء لفيضانه، يومذاك وقف عمرو بن العاص بحزم امام هذه البدعة قائلا:

هذا لا يكون في الاسلام.

لقد استصوب عمر بن الخطاب هذا المنع وارسل له ورقة ليرميها في النيل كان مكتوبا فيها:

"من عبد الله عمر الى نيل مصر، اما بعد:

فان كنت تجري من قبلك فلا تجر، وان كنت تجري من قبل الله فنسأل الله ان يجريك".

ان معجزة الاسلام هي انتشار هذا الدين في فترة قليلة بحساب الزمن من مشارف الصين الى مشارف القارة الاوروبية، ولقد رأيت هذه المعجزة مرتين:

كانت المرة الاولى عام 1956 عندما قرر المجلس النيابي السوري ارسال وفد من النواب لزيارة عدد من الاقطار العربية وكنت في عداد ذلك الوفد وكانت رحلتي الاولى الى السعودية، وهي اول وآخر زياراتي لها.

منذ ان انطلقت بنا الطائرة من دمشق رحت الاحظ الصحراء الممتدة تحتنا على مدى البصر، الجرداء من كل اثر للحياة، انها بحر من الرمال وكتل الاحجار الصوانية السوداء، موحشة مخيفة خارجة عن نطاق عالم الاحياء... وبعد التأمل الطويل في تلك الصحارى التي لا تحد قال مضيف الطائرة:

لقد اقتربنا من المدينة المنورة.

امعنت النظر من النافذة علني اعود الى عالم الاحياء فاذا المدينة قطرة خضراء في بحر الصحراء.

من هنا خرج العرب برسالة الاسلام الى العالم، وبأقل من ثلاثين سنة تؤمن الشعوب بهذه الدعوة من مشارف الصين شرقا الى اسبانيا غربا، فتنتشر دينا، وتبنى دولة وتنشىء حضارة، فلو ان قبائل رحل ارادت ان تهاجر من الحجاز الى مشارف الصين لظلت على الطريق مثل تلك المدة او اكثر.

كانت المرة الثانية عندما زرت الاتحاد السوفيتي عام 1958 مع الرئيس جمال عبد الناصر، فعندما وصلنا الى اذربيجان، ثم الى اوزبكستان، استقبلنا اهل طشقند بعقيدتهم الدينية كمسلمين، التي لم تستطع الشيوعية رغم جهدها وارهابها سنوات طويلة ان تمحوها وتقضي عليها.

هـذه هـي معجـزة الاسـلام الـذي لـم يكـن انتشـاره فتحـا عسـكريا بـالمعنى المحـدد لهـذه الكلمـة - كمـا يـتهم - فلـم تكـن الجيوش العربيـة بامكاناتهـا الماديـة مـن حيـث العـدد والعـدة وبعـد المسافة عن مركز الخلافة قادرة على تـوفير السـيطرة العسـكرية على الاقطار المفتوحة.

كانت دعوة الاسـلام الـى العـدل والمسـاواة والحريـة وعـدم التمييز العنصري تسبق الجيوش الى الشعوب في مشارق الارض ومغاربهـا فتلقـى لـديها الاسـتجابة والتأييـد، وهكـذا فـتح العـرب اسبانيا في بضـع سـنوات، بينمـا ظـل الرومـان فـي حـروب طويلـة استمرت اكثر من مئة عام حتى استطاعوا الاستيلاء عليها.

لم تكن شعوب البلاد المفتتحـة خائفـة علـى معتقـداتها مـا دام الله يوصي: "ولا تجادلو اهل الكتاب الا بالتي هي احسن فكأن الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حيميم" وما دام الاسلام لا يفرق بين دين وآخر ولا يعادي دينا من الاديان:

"ان الذين آمنوا والـذين هـادوا والنصارى والصـابيئن مـن آمـن بـالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خـوف علـيهم ولا هم يحزنون" واذا كان ثمـة عـداء فـان جريـرة ذلـك لا تعـود الـى الاسلام:

"لتجـدن اشـد النـاس عـداوة للـذين آمنـوا اليهـود والـذين اشركوا، ولتجدن اقربهم مودة للـذين آمنـوا الـذين قـالوا انـا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون" وانطلاقا مـن هذه النظرة للاديان كانت وصية ابي بكر الصديق لجيشـه المتوجـه الى الشام:

"اذا سرت فلا تضيق على نفسك ولا على اصحابك فـي مسـيرك، ولا تفضض على قومـك ولا علـى اصـحابك، وشـاورهم فـي الامـر، واستعمل العدل وباعد عنك الظلم والجور، فانه ما افلح قوم ظلمـوا ولا نصروا على عـدوهم، فـاذا نصـرتم فـلا تقتلـوا ولـدا ولا امـرأة ولا شيخا، ولا تقطعوا شجرة، ولا تعقروا بهيمة الا للمأكول، ولا تغـدروا اذا عاهـدتم ولا تنقضـوا اذا صـالحتم، وسـتمرون علـى قـوم فـي

الصوامع رهبانا، انهم ترهبوا في الله فدعوهم ولا تهدموا صوامعهم".

معجزة الاسلام اذن هي رسالته في الحرية والعدل والمساواة والتفاهم بين جميع الناس والشعوب: "يا ايها الناس انا خلقناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم "فلا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى" والرسول نفسه، يخطىء ويصيب ويذكره الله بخطئه "عبس وتولى ان جاءه الاعمى" الى غيرها من الايات وهو بشر كالاخرين "ان انا الا بشر مثلكم يوحى الي" وفي هذا ما فيه من العقلانية ومن ابعاد المؤمنين عن عباده شخصية اي كان، ولو كان رسول الله" فالخلق كلهم سواسية في نظر الاسلام كأسنان المشط، احرار منذ ولادتهم، هكذا علمنا خليفة الاسلام عمر بن الخطاب عندما قال غاضبا مؤنبا من استكبر واستعمل سوطه:

متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا؟

□

من عقلانية الاسلام قبوله لما يطرأ على المجتمعات من تطور، فكان الاجتهاد محاولة لتطوير الاحكام بما يتوافق مع المستجدات، استنادا الى آيات الناسخ والمنسوخ في القرآن التي شملت احكاما تتعلق حتى بتطور العقيدة ذاتها كالاتجاه في الصلاة الى الكعبة بدلا من المسجد الاقصى، كما شملت احكاما دنيوية اخرى، حتى بلغ الناسخ والمنسوخ ما يقرب من 11/1 من آياته واحكامه "ما ننسخ من اية او ننسها الا ونأتي بمثلها او بأحسن منها" ولذلك قالت المالكية ان الاجماع ينسخ القرآن، كما قال فقهاء اخرون ان القياس ينسخ القرآن.

اذن فليس هنالك احكام وقوانين مطلقة، وانما تتبدل الاحكام بتبدل الازمان.

لقد كان صحابة الرسول اول من وعى هذه الحقيقة وعيا تاما شجاعا، فأقدم عمر بن الخطاب، بمشورة الصحابة الاخرين، بعد وفاة الرسول على نسخ بعض الاحكام التي اقتضت الاوضاع

المستجدة والمصلحة العامة تطويرها، فأعفى التغلبيين النصارى بالشام من الجزية لانهم - كعرب - انفوا ان يؤدوها وازمعوا على اللحاق بأرض الروم.

ونهى عمر عن زواج المتعة كما نهى عن التحلل من بعض مناسك الحج، ولم يكن منهيا عنهما في حياة النبي، فكان الرجل يتزوج بالمرأة لاجل محتوم ثم يتركها، وكان منهم من ينوي الحج ثم يتحلل من بعض مناسكه فنهى عمر عن ذلك ايام خلافته وقال: "متعتان كانتا في عهد رسول الله، انا انهى عنهما واضرب عليهما" كما تجاوز عقوبة قطع اليد عام المجاعة في اليمن، ومنع توزيع سهم المؤلفة قلوبهم رغم ورودها القرآني الصريح.

لقد شغلت مسألة الناسخ والمنسوخ كثيرا من علماء الفقه، بالرغم من ادراك الصحابة ووعيهم للعبرة منه، فقد كان علماء الفقه والكلام بعد ذلك قاصرين عاجزين عن فهم ذلك فاغلق باب الاجتهاد نهائيا في عصور الانحطاط.

لقد اعجبني كثيرا قول احد الفقهاء: "ان الناسخ والمنسوخ اكبر دليل على صدق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ردا على اليهود الذين كانوا يقولون: "الا ترون ان محمدا يأمر اصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه، ويقول اليوم ما يرجع عنه غدا؟" والحقيقة ان اعظم ما يتمتع به الاسلام من قوة يكمن في ادراكه العميق للعلاقة الجدلية في نواميس الطبيعة والحياة، فلم يكن دينا متحجرا ساكنا، ولكنه دين تتطور احكامه الشرعية مع تطور الحياة الانسانية والمجتمعات، وقد ارادت اليهودية ان تطعنه في امنع معاقله.

ان العقلية الغيبية الراكدة الاجترارية قاصرة عن فهم التطور وادراك العلاقة الجدلية بين قيم الاسلام وبين الاحكام الدنيوية المتطورة المنبثقة عنها، لذلك كان من اعداء الاسلام شيوخه الغارقون في الجمود والتعصب الذين يرون في تطور الحياة والمجتمعات والافكار خطرا يهدد العقيدة حسب فهمهم لها، وانني بعد حياة نيابية طويلة، كنت فيها منتخبا لخمسة مجالس متتالية،

استطيع القول بكل صدق ومسؤولية انني لم اشعر بأن قانونا من القوانين التي سنتها هذه المجالس كان متعارضا مع قيم الاسلام ومفاهيمه واتجاهاته.

ان طعن اليهود بالناسخ والمنسوخ في عهد الرسول لم يكن ليثني الصحابة الذين هم اكثر الناس فهما لجوهر الاسلام، ان يدركوا العبرة منه فيستمروا بكل جرأة واقدام على نسخ بعض الاحكام القديمة ولو كان منصوصا عليها في القرآن والحديث، ووضع احكام جديدة تنسجم مع العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والروحية المستجدة على ضوء المحاكمة العقلية وكرامة الانسان ومصلحة المجتمع، فكان عهد الخلفاء الراشدين المع فترة في تاريخ الاسلام، اذ فتحت فيه الابواب مشرعة امام العقل والفكر والتطور.

ولم يقتصر الامر على الخلفاء الراشدين بل شمل الصحابة والاخرين الذين فهموا رسالة الاسلام، كأبي ذر الغفاري استاذ اليسار والاشتراكية في الاسلام الذي دعا بعد عشر سنوات من وفاة الرسول "كل انسان ان ينفق في سبيل الله واعمال البر ما فاض من ثروته او كسبه عن ضرورات العيش" وأكد ان الايات القرآنية التي تتوعد الاغنياء الممتنعين عن الزكاة تنطبق على الناس جميعا.

لقد نهى عمر المسلمين عن تملك الارض في البلاد المفتتحة على ان يكون لكل واحد عطاؤه من بيت المال، وكان صارما في تطبيق ذلك، اما الارض فهي ملك لبيت مال المسلمين (حق الرقبة)، وفي اواخر خلافته روي عنه هذا القول: "لو استقبلت من امري ما استدبرت لاخذت فضول اموال الاغنياء فقسمتها على الفقراء" وكان في سلوكه الواقعي ما يعزز هذا القول.

ان فرض الزكاة في الاسلام وتحريم الربا وتحريم الاحتكار وكنز الاموال، والمساواة التامة في الحقوق والواجبات بين الفقراء والاغنياء، وجعل حق رقبة الارض ملكا لبيت مال المسلمين كل

هذا وامثاله انما هو تعبير عن قيم فكرية واخلاقية وعن تطلعات انسانية عريقة لتحقيق العدالة الاجتماعية او ما يمكن ان نسميه اذا شئنا ان نستعمل لغة العصر اشتراكية الاسلام، ولا شك ان هذه القيم والتطلعات هي التي دعت الشيخ مصطفى السباعي مرشد الاخوان المسلمين في سورية ورفاقه من الاسلاميين الى اطلاق اسم : الكتلة الاشتراكية الاسلامية على تجمعهم السياسي في مجلس النواب السوري اواخر الاربعينات واوائل الخمسينات، كما ان الشيخ مصطفى السباعي قد الف كتابا تحت عنوان الاشتراكية في الاسلام.

□

من عقلانية الاسلام وادراكه لحتمية التطور انه لم يأت بنظام محدد مقنن للحكم بل جاء بتوجيهات عامة لانظمة الحكم الصالحة، كأمره بالشورى، وان يكون تولي الحكم بالبيعة التي هي الانتخاب او الاستفتاء في عصرنا، كما شجب الديكتاتورية "لست عليهم بمسيطر".

واذا كان الاسلام قد شرع لتنظيم شؤون المسلمين الذين لم تكن تجمعهم دولة ولا تنظمهم قوانين وتشريعات فان ما صدر من احكام كان مناسبا بالضرورة لدرجة تطور المجتمع العربي الاسلامي آنذاك.

وبالاضافة الى ان الاسلام قد اشار الى المبادىء العامة التي يقوم عليها نظام الحكم فقد اعطى الناس حق المعارضة وانتقاد الحكام، ومن ذلك الرواية المشهورة عن عمر بن الخطاب عندما وقف في الناس خطيبا بعد توليه الخلافة قائلا:

"لقد وليت عليكم ولست بخيركم فمن رأى في اعوجاجا فليقومه"... فيجيبه احد الحاضرين هذا الجواب الصارم: "والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا".

وهكذا كان المسلم يقف امام عمر رغم هيبته وشدته في تطبيق الاحكام وقفة الند للند يناقشه في الاحكام ويعترض عليها، فعندما اراد عمر ان يعاقب رجلا وامرأة سمع منهما - وكان يتفقد

ليلا احوال الرعية في المدينة - ما يدل على انهما يتعاطيان الخمر فتسلق الحائط وتأكد.. قال عمر للرجل:

"يا عدو الله اكنت ترى ان الله يسترك وانت على معصية"؟ فأجابه الرجل: يا أمير المؤمنين: انا عصيت الله في واحدة وانت في ثلاث، فالله يقول "ولا تجسسوا" وانت تجسست علينا، والله يقول "واتوا البيوت من ابوابها" وانت صعدت الجدار ونزلت منه، والله يقول "ولا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها" وانت لم تفعل ذلك..

قال عمر: هل عندك من خير اذا عفوت عنك، قال: نعم والله لن اعود، فقال: اذهب فقد عفوت عنك.

من هذا المفهوم عن المساواة بين الحاكم والمحكوم، وعن حق المحكوم في انتخاب حاكمه وان يقف امامه حر الرأي رافع الرأس يشير عليه وينتقده اذا اخطأ، وعن واجب الحاكم الا يفرط بمال رعيته، كانت تلك الروايات المتواترة عن اهل الصدر من الصحابة وما تتصف به من تقشف وتواضع، وهذا هو الاسلام..

واخيرا لا بد لي من القول ان اسباغ الصفة الدينية على الخلافات السياسية التي بدأت تستشري بعد فترة قليلة من وفاة الرسول قد ادى الى تمزق المسلمين الى ثلاث فرق دينية هي الشيعة والسنة والخوارج التي ما لبثت بدورها ان تفرعت الى فرق اخرى بدوافع سياسية ايضا، وقد عانى المسلمون من هذا التمزق ما عانوه في الماضي وما يعانونه في الحاضر، ولا يزال عدم فصل بعض الفئات الدين عن السياسة مما يفسح المجال واسعا امام اعداء الاسلام لتمزيق المسلمين ووحدتهم الوطنية في الاقطار العربية والاسلامية.

□

والان:

متى يتحرر المجتمع العربي ويصبح فيه المسلم مسلما حقا؟

متى يفكر المسلم بعقله لا بعقول الاخرين؟

متى تفرغ المكتبات من الكتب التي جمدت الاسلام وادخلت اليه ما ليس فيه؟

متى ينظر المسلم الى امام والى ما حوله؟

متى يتحرر العربي المسلم من الخوف فينتخب حكامه ويحاسبهم اذا اخطأوا او انحرفوا؟

متى يفهم بعض المسلمين ان الاسلام هو دين الديمقراطية والعدالة الاجتماعية وحقوق الانسان، وان في هذه القيم الحد الفاصل بين الواقع الذليل وبين مجتمع الكرامة والتقدم.

متى يعود العرب والمسلمون اصحاب رسالة فيساهمون في بناء الحضارة الانسانية؟

80

1950: اغتيال العقيد محمد ناصر

بعـد ان فشـلت محاولـة تعـريض الـبلاد للاضـطرابات حـاول الاستعمار دفع الجيش للانقسام الطائفي فكان وراء اغتيال العقيد محمد ناصر آمر سلاح الطيران السوري، ولكن حادثة الاغتيال هـذه سبقتها جريمة قتل غامضة في نادي الصفا.

كان نادي الصـفا ناديـا معروفـا فـي دمشـق، يقـع فـي حـي عرنوس في منزل شامي قديم له باحة تظللها الاشجار وتحيط بها احواض الاغراس والورود، وتمر بها ساقية قديمة متفرعـة مـن نهـر بردى لري بساتين تلك المنطقة وبيوتها.

بعد عصـر يـوم 2 تمـوز 1950، بينمـا كـان احـد خـدم النـادي ينظف الساقية من الحشائش فوجىء بوجود جثـة امـرأة موضـوعة في كيس قنب ومرمية بالساقية، فأبلغ الحادث للشرطة.

ولم تهتم الصحف السورية بهذا الحادث كثيرا، ما عدا جريـدة النصـر التـي أبـدت اهتمامـا بالغـا بالموضـوع، وراحـت تنشـر علـى صـفحاتها الاولـى فـي كـل يـوم صـورا وروايـات تسـتثير بهـا النـاس للمساعدة على كشف هوية المـرأة المخنوقـة المجهولـة ومعرفـة الفاعلين، وبعد ان نشرت الصورة الفوتوغرافية لوجه المرأة القتيلة، ثابرت الصحيفة على ملاحقـة التحقيـق خطـوة خطـوة، وذات ليلـة، عندما عاد الاستاذ وديع الصيداوي صـاحب الجريـدة الـى منزلـه رن عليه الجرس شخصان مسلحان وطلبا منه ان يخرج لمقابلة اديـب العقاد رئيس الشعبة السياسـية بالشـرطة وحين رفض اعتديا عليه ثم تركاه واختطفا سـائق سـيارته، فضـرباه ضـربا مبرحـا ثـم هربـا، وسرعان ما سرى الهمس بأن المكتب الثـاني (مخـابرات الجـيش) كان وراء هذا الاعتداء لمنع جريـدة النصـر مـن الاسـتمرار بملاحقـة جريمة المرأة المخنوقة والكشـف عن ملابسـاتها، وامـتلأت دمشـق بالشائعات التي تردد ان القتيلة كانت على علاقة بالعقيد ابـراهيم الحسـيني رئـيس المخـابرات وعميلـة لاحـد اجهـزة المخـابرات الاجنبية، ولم تعرف الاسباب الحقيقية لارتكاب هذه الجريمـة، ولـم

اذكر هذا الحادث الا لانه كان فاتحة لجريمة اخرى تأكدت علاقة ابراهيم الحسيني رئيس المكتب الثاني بها.

اغتيال العقيد محمد ناصر:

"برقية من المفوضية العراقية بدمشق الى الخارجية ببغداد.

"التاريخ 15 شباط 1950

"زارني اليوم حسني البرازي واخبرني عن حصول اختلاف بين العقيد محمد ناصر والعقيد عزيز عبد الكريم والضباط العلويين من جهة، وبين جماعة الشيشكلي من جهة اخرى. وذكر بأنه بلغه بصورة موثوقة عن استعداد الأولين للتقرب الينا اذا ما استميلوا بالمال، يرى لزوم وضع خطة للعمل في حالة اصطدام الجيش السوري بالمجلس التأسيسي، يؤكد ضرورة تخصيص مبالغ مناسبة لتسهيل العمل"

ان هذه الوثيقة [1] التي نشرت بعد ثمان سنوات من مصرع العقيد محمد ناصر تكشف التقاء الاستعمارين البريطاني والاميركي في محاولة استغلال الطائفية.

ففي يوم الثلاثاء 1950/8/1 اذاع راديو دمشق ما يلي: "وقع اعتداء اثيم في الساعة العاشرة والنصف من مساء الاثنين الواقع في 1950/7/31، ذهب ضحيته امر سلاح الجو السوري محمد ناصر، اذ هاجمه مجهولون يمتطون سيارة واطلقوا عليه عيارات نارية وذلك بالقرب من مفرق كيوان، وقد نقل الى المستشفى العسكري حيث اجريت له عملية جراحية توفي على اثرها في الساعة الثالثة والنصف من صباح الثلاثاء، وقد تولى القضاء العسكري التحقيق في هذه الجريمة.

(1) تليت هذه الوثيقة خلال محاكمة توفيق السويدي الذي كان وزيرا للخارجية عام 1950 وذلك بعد الإطاحة بحلف بغداد عام 1958 (كتاب محكمة الشعب - الطبعة الاولى - وزارة الدفاع العراقية - ص 2456)

وفي صبيحة اليوم الثاني شاع بأن العقيد ناصر، عندما نقل الى المستشفى كان لا يزال حيا، وعندما سأله المحقق العسكري عن قاتليه كتب بخط مضطرب اسم المقدم ابراهيم الحسيني والملازم عبد الغني قنوت، اذ لم يكن قادرا على النطق لان لسانه ايضا كان مصابا بطلقة نارية.

كان جو العاصمة في اليوم الثاني جوا قاتما، وقد اجتمع الزعيم فوزي سلو والعقيد اديب الشيشكلي مع ناظم القدسي اجتماعا سريا، ثم عقد مجلس الوزراء جلسة سرية مستعجلة.

احتفل بتشييع جثمان العقيد ناصر احتفالا عسكريا مهيبا، فسار وراء النعش مندوب رئيس الدولة، ورئيس الجمعية التأسيسية، ورئيس الحكومة والوزراء، وكبار ضباط الجيش والشرطة، وصلي على الجثمان في المسجد الاموي، والقى رئيس الحكومة كلمة تأبين بأسم رئيس الدولة، واشترك العقيد الشيشكلي في التشييع وتقبل التعازي.

لقد اعتقل بعد الاغتيال المقدم ابراهيم الحسيني رئيس المكتب الثاني والملازم عبد الغني قنوت الضابط في المكتب الثاني، كما صدرت المراسيم بتعيين راشد الكيلاني امرا لسلاح الطيران بالوكالة، وتعيين الرئيس بكري قوطرش رئيسا للمكتب الثاني بالوكالة ايضا، وكان لنبأ اعتقال المتهمين من قبل القضاء العسكري والتحقيق معهم ما يوحي بأن الشيشكلي يحاول ان يتنصل من تبعات هذه الجريمة النكراء، وعندما اصدرت الحكومة مرسوم تشكيل المحكمة الخاصة للنظر بهذه القضية لم تعين فيها سوى رئيس مدني للمحكمة هو القاضي اسماعيل قولي الى جانب عضوين عسكريين، وبعد شهور اصدرت المحكمة قرارها بالبراءة [2] مع مخالفة رئيسها اسماعيل قولي.

□

(2) لقد سألت الملازم عبد الغني قنوت بعد صدور حكم البراءة عن علاقته بهذه القضية فأكد لي بأنه اشترك بنقل العقيد محمد ناصر الى المستشفى بعد وقوع الاغتيال.

لقد سحبت هذه القضية آثارها السيئة على البلاد والجيش، اذ اصبحت الاثارة الطائفية مجالا لاستغلال العناصر الانتهازية في صفوف الجيش، ولا شك عندي بأن ابراهيم الحسيني كان عميلا للمخابرات المركزية، وانه استطاع اقناع اديب الشيشكلي بارتكاب هذه الجريمة النكراء، التي اعتقد ان السبب الرئيسي في ارتكابها هو التنافس الذي كان ما يزال قائما بين النفوذ البريطاني الذي كان يحاول التسرب الى سورية باسم الاتحاد، وبين النفوذ الفرنسي، والاميركي بصورة خاصة، الذي استسلم اديب الشيشكلي له اخيرا عندما قام بانقلابه على الحياة الديموقراطية في سورية بتاريخ 1951 وبتأثير مباشر من السعودية بعد يأسها من عودة شكري القوتلي الى سورية، وقد كان العقيد ابراهيم الحسيني رئيس مخابرات الجيش أنذاك رجل الولايات المتحدة في سورية، وبعد سقوط اديب الشيشكلي غادر البلاد الى المملكة العربية السعودية، حيث اصبح رئيسا ومسؤولا عن جهاز المخابرات فيها، ثم توفي فيما بعد بحادث سيارة غامض في روما.

وقد كان لهذا الاستغلال الاستعماري للطائفية، الذي تستفيد منه الصهيونية بلا شك، والذي جعل من مجموعة العقيد ناصر ومجموعة اديب الشيشكلي مجموعتين متنافستين على السلطة والنفوذ، سابقات خطيرة في سورية المحت اليها فيما سلف من هذه المذكرات.

الطائفية اخطر سلاح بيد الاستعمار والصهيونية

الى جانب الوثيقة التي تتعلق بالعقيد ناصر وباثارة الطائفية في الجيش السوري، كشف سقوط حلف بغداد عن وثيقة هامة اخرى اوردها الصحفي الهندي كرانجيا في كتاب عنوانه "خنجر اسرائيل"، وقبل التعرض الى هذه الوثيقة يجدر بنا ان نرجع قليلا الى الوراء، حيث دأبت الحركة الصهيونية منذ بداية الحرب العالمية الاولى على العمل لبث روح التفرقة الطائفية والعنصرية

والمذهبية في سورية ولبنان خاصة والعالم العربي عامة وكانت وراء الانتداب الفرنسي في خطوته بتقسيم سورية الى دويلات طائفية وتشجيع الزعامات القبلية والاقطاعية والطائفية لتلك الدويلات.

وقد اشرنا سابقا الى الوثيقة التي تقدم بها بعض اعضاء المجلس التمثيلي لدولة العلويين بدافع من حاكمها الفرنسي الى حكومة ليون بلوم بمناسبة المفاوضات الجارية بين سورية وفرنسا لعقد معاهدة عام 1936.

وفي الوقت نفسه كان المطران مبارك وجماعته في لبنان يحملون لواء الدعوة لانشاء وطن قومي [3] مسيحي في لبنان اسوة بالوطن القومي اليهودي في فلسطين.

ولم يخف المسؤولون الاسرائيليون بعد ذلك استراتيجيتهم واغراضهم في المنطقة العربية لتحقيق اسرائيل الكبرى، فقبيل عدوان حزيران 1967 دعا ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل علنا لتبديل خارطة الشرق الاوسط على اساس عنصري وطائفي ومذهبي.

وفيما يلي جزء من الوثيقة الاسرائيلية التي نشرها الصحفي الهندي كرانجيا وهو الجزء المتعلق بالاستراتيجية [4] الاسرائيلية الهادفة الى تمزيق المنطقة العربية وتحويلها الى دويلات طائفية وعنصرية:

---

(3) راجع كتاب ليفيا روكاخ "قراءة في مذكرات شاريت" الذي يتعرض لمشروع بن غوريون بانشاء وطن مسيحي ماروني في لبنان والى المناقشات والرسائل التي تبودلت بينه وبين موشى شاريت حول هذا الموضوع، ثم كيف بدى بتفيذ المشروع منذ عام 1955، ولكن العمل به توقف بسبب العلاقات مع فرنسا التي زودت اسرائيل بالمفاعل الذري والتي تزودها بالسلاح، ثم استأنف الاسرائيليون العمل بهذا المشروع منذ عام 1968 بعد حرب حزيران بسبب موقف دوغول من اسرائيل وامتناع فرنسا عن تزويدها بالسلاح مما جعلها تفك التحالف بينها وبين فرنسا وتستبدله بالتحالف الوثيق مع الولايات المتحدة. (ص47-57).

(4) كان حلف بغداد يؤلف العمود الفقري للمشاريع الغربية في الشرق الاوسط، وكانت اسرائيل متواطئة معه دائما، وان لم تعلن رسميا دخولها في هذا الحلف، وقد ظهر هذا التواطؤ جليا في العدوان الثلاثي على مصر عام 1956، ولا شك ان هذا الوضع كان يقتضي تبادل المعلومات مما ادى الى وجود الوثيقة الاسرائيلية بين وثائق حلف بغداد التي يقول الصحافي الهندي كرانجيا انها وصلت اليه من مصدر صديق موثوق، والذي يجعلنا نثق بصدق هذه الوثيقة هو الاحداث التي تؤيد محتوياتها، وقد نشرت الوثيقة عام 1958 في كتاب عنوانه "خنجر اسرائيل" من منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر - دمشق - ترجمة مروان الجابري - ص 77.

"يجب من اجل تقويض الوحـدة العربيـة بـذر الشـقاق الـديني بـين العرب واتخاذ التدابير لاقامة دول جديدة على اراضي البلاد العربيـة وهي:

1- دولة درزية تشـمل المنطقة الصحراوية وتدمر.

2- دولـة شـيعية تشـمل قسـما مـن لبنـان، منطقـة جبـل عامـل ونواحيها .

3- دولة مارونية.

4- دولـة علويـة تشـمل اللاذقيـة وحتـى المنطقـة الممتـدة الـى الحدود التركية.

5- دولة كردية في شمال العراق.

6- دولة قبطية في مصر او مناطق ذات استقلال ذاتي للاقباط.

اما المناطق العربية التالية فستقبقى على حالها: دمشق، جنوب العراق، مصر، المنطقة الوسطى والجنوبية من السـعودية... ومـن المرغـوب فيـه ايجـاد ممـرات واسـعة غيـر عربيـة عبـر هـذه المناطق العربية".

81

1950: الدستور الجديد خطوة الى الامام في حياة سورية السياسية.

بعد خمس سنوات من جلاء الفرنسيين عن سورية، انجزت لجنة الدستور في 1950/4/16 مشروع الدستور الجديد وطرحته للمناقشة في الجمعية التأسيسية.

كانت العناصر الوطنية والتقدمية مبالغة بتفاؤلها بالنتائج التي ستترتب على اقرار الدستور الجديد، فقد لاح لها ان مجرد اقراره سيشيع في البلاد جوا من الاستقرار والحياة البناءة الجديدة، وكان من الممكن ان يتحقق تفاؤل المتفائلين لولا المؤامرات الخارجية التي اقلقت الوضع في سورية وحرمتها من الاستقرار والسير قدما الى الامام وبسرعة قياسية.

لقد صور الدستور الجديد مرحلة هامة من مراحل تطور الحياة العامة في سورية، ولان هذا الدستور كان ردا على هزيمة 1948 وعلى حكم القوتلي، فقد اتجه بأحكامه نحو اضعاف صلاحيات رئيس الدولة والسلطة التنفيذية، فأخل بمبدأ توازن السلطات لمصلحة السلطة التشريعية.

وكان هذا ضعفا فنيا معيقا ومربكا، اما رد الفعل الايجابي لهذا الدستور فهو الضمانات التي وفرها للديمقراطية السياسية التي انتهكت كثيرا مثلما انتهكت صلاحيات المجلس التشريعي في عهد القوتلي.

كان الدستور السوري لعام 1950 اول دستور عربي يتحدث عن شؤون الفلاحين والعمال والضرائب التصاعدية وتحديد الملكية الزراعية والضمان الاجتماعي، كما كان اول دستور عربي يتبنى القومية العربية فيضع في رأس مواده ان الشعب السوري جزء من الامة العربية ويدعو الى تحقيق الوحدة العربية.

وكان للعناصر الشابة الواعية من مختلف فئات الجمعية التأسيسية دور مهم في اخراج الدستور بشكله الجديد، فجاء

ثمرة من ثمار تطور البلاد الذي اعقب جلاء الفرنسيين وهزيمة عام 1948، فكان حصيلة تجارب عهد الاستقلال في السنوات الخمس (1945-1950) بتطلعاتها لتحقيق الديموقراطية السياسية والديموقراطية الاجتماعية والوحدة العربية، وكان هذا هو الطريق الذي اختطه الشعب ردا على كارثة فلسطين.

ولكن الجمعية التأسيسية بأكثرية اعضائها كانت عاجزة عن تحقيق الانقلاب الاجتماعي الذي كان الشعب يطمح الى تحقيقه باقرار الاصلاح الزراعي كعملية جذرية ومع ذلك فقد ظل دستور 1950 ارقى من كل الدساتير الموقتة والدائمة التي اخرجتها الديكتاتوريات العسكرية والانظمة العربية حتى الان.

لقد تغلبت الجمعية التأسيسية على مشكلة دين الدولة وعلى جميع المشاكل الاخرى التي قصد منها الحيلولة دون انجاز الدستور الجديد نظرا لما يعكسه هذا الدستور على البلاد العربية الاخرى من آثار ظهرت فعلا فيما بعد في الدستور المصري الذي وضع بعد انقلاب عام 1952.

بعد انجاز هذا الدستور قامت الاحزاب الثلاثة المتحالفة (الوطني، الجمهوري، التعاوني الاشتراكي) بمظاهرة لم يتجاوب معها الشعب بالرغم مما بذلته من نشاط، ولم يتعد عدد المشتركين بها مائتي شخص سار على رأسهم اقطاب هذه الاحزاب: لطفي الحفار وصبري العسلي وميخائيل اليان واحسان الشريف وعفيف الصلح وفيصل العسلي، واخذت المظاهرة طريقها الى قصر الرئاسة بالمهاجرين للمطالبة بالغاء الدستور الجديد وعودة القوتلي واعتبار الدستور القديم لا يزال نافذا بأحكامه.

وقد اذاع الجيش بمناسبة اقرار الدستور بتاريخ 1950/8/10 البلاغ التالي:

"ان رئاسة الاركان العامة للجيش السوري، بعد ان رأت ان اقرار الدستور اصبح وشيكا وان البلاد ستقبل على عهد استقرار وامن من شأنه انهاض الوطن واعزازه، تعلن ان الجيش السوري سنقتصر رسالته على الدفاع عن حياض الوطن في ظل الدستور والقوانين، وانه اداة صالحة لكل حكومة منبثقة عن

السلطة التشريعية الممثلة للامة... لقد حذرت رئاسة الاركان كافة العسكريين من التدخل في اي شأن من شؤون البلاد العامة، تحت طائلة العقوبات المنصوص عنها في القوانين المرعية، كما انها ترى وجوب تذكير المواطنين بأن قانون العقوبات العسكري الجديد ينص صراحة في مادتيه 149 و150 على ملاحقة كل مدني يشوق احد العسكريين على الانضمام الى حزب او جمعية او مؤسسة ذات هدف سياسي الأشخاص المسؤولين عن ادارتها، فيما اذا قبل بين الاعضاء شخص عسكري، على ان تسحب نهائيا رخصة الحزب او الجمعية او المؤسسة التي تقبل شخصا عسكريا وتغلق مكاتبها واماكن اجتماعها.

وهي ترجو الله ان يرعى هذه الامة ويدرأ عنها الاذى ويكف عنها الدسائس ويسدد خطى العاملين من ابنائها.

التوقيع: الزعيم انور بنود رئيس اركان الجيش السوري.

ومن الجدير بالتذكير هنا انني عندما شغلت وزارة الدفاع كنت قد وضعت برنامجا لتحديث قوانين هذه الوزارة، ومنها قانون العقوبات العسكري الذي تضمن المادتين 149، 150 اللتين اشار اليهما البلاغ الصادر من رئاسة الاركان.

لقد شعرت بالارتياح لصدور هذا البلاغ، فقد كان الجيش عبئا على عاتقنا اكثر مما كان مسعفا ومعينا، ان حركتنا لا تحتاج الى تأييد الجيش، وانما كان الجيش بحاجة الى تأييد حركتنا.

فليس من المستغرب اذن ان يكون - في المستقبل - احد اهداف انقلاب الشيشكلي القضاء على حركة الفلاحين وعلى الحزب العربي الاشتراكي ليتاح له الاستمرار في حكم سورية.

□

صور من مناقشات الجمعية التأسيسية لمشروع الدستور:

جرت مناقشة مواد الدستور في جلسات عديدة عقدت خلال شهر آب 1950، وفيما يلي صور عنها:

نصت المادة (24) من مشروع الدستور على ان للسوريين حق تشكيل احزاب سياسية على شرط ان تكون وسائلها مشروعة وسلمية، وينظم القانون اخبار السلطات الادارية بتشكيلها ومراقبة مواردها.

وقد جرى اقتراح بتعديل هذه المادة على الشكل التالي: "حق تشكيل احزاب سياسية على ان تكون وسائلها سلمية وغاياتها غير محظورة في القانون". فوافقت لجنة الدستور على هذا التعديل، لكننا عارضناه بشدة لانه يجعل للسلطة التنفيذية الحق في تقدير الغايات المحظورة وغير المحظورة، وقد علقت على اقتراح التعديل بكلمة اكدت فيها ضرورة اطلاق الحرية للاحزاب وكف يد الحكومات عنها، واشرت الى ما حدث بهذا الصدد في البلاد العربية المجاورة فقلت: "اذا القينا نظرة على ما جرى في بلادنا والبلاد العربية والمجاورة في السابق نلمس الخطر المحيق بالاحزاب... انني اريد ان اتكلم بصراحة عن مصر، كانت هناك جمعية دينية (الاخوان المسلمون) كتب عليها الاضطهاد بعد ان اجيزت وتمتعت بحرية العمل فاغتيل رئيسها وقمعت باقصى العنف وقضي عليها، مع ان دستور تلك البلاد ينص على ان دين الدولة الاسلام، وفي لبنان كان هنالك حزب (السوري القومي) اقل ما يقال فيه انه من الاحزاب القومية بالنسبة للاحزاب اللبنانية الطائفية الاخرى، وكان مرخصا به من قبل الحكومة، لكنه عندما عارض الحاكمين اغتيل رئيسه وسجن افراده وشرد الاخرون، وفي العراق الشقيق اغتيل اشخاص وقتل آخرون بحجة انهم من الشيوعيين وفي سوريا لم يسمح العهد الفرنسي بالترخيص للاحزاب... ان شعبنا بأمس الحاجة للحريات، ولا يحتاج بالدرجة الاولى الا اليها.

اذن يجب الا ينص في الدستور على امر يمكن الحكومات من تبرير تقييدها لحرية الاحزاب في المستقبل، ان اي قانون واي دستور لا يمنع الطاغية من طغيانه، هذا صحيح. ولكنه يجب ان لا نضع مادة يتشبث بها الطغاة للتضييق على الاحزاب... لذا اعلن تأييدي للنص السابق ومخالفتي للتعديل".

□

نصت المادة الثلاثون على ما يلي:

"لتحقيق استثمار ارض الوطن استثمارا صالحا، ولاقامة علاقات اجتماعية عادلة بين المواطنين، يسن تشريع خاص يقوم على المبادىء الاتية:

1- وجوب استثمار الارض وعدم اهمالها، وفي حالة مخالفة ذلك خلال مدة يحددها القانون يسقط حق التصرف بها.

2- يعين بقانون حد اعلى لحيازة الاراضي، سواء بطرق التملك او التصرف والاستثمار على ان لا يكون له مفعول رجعي.

3- فرص تحسين الانتاج.

4- تشجيع الملكيات الصغيرة والمتوسطة.

5- توزع الدولة من اراضيها، ببدلات معتدلة ومقسطة على الفلاحين غير المالكين ما يكفيهم عن الارض لتأمين معيشتهم.

6- حماية الفلاح ورفع مستواه".

اثارت هذه المادة الكثير من الجدل والمناقشات، وخصوصا فقرتها الثانية المتعلقة بوضع حد اعلى للملكية الزراعية على ان لا يكون لذلك مفعول رجعي.

كان كبار الاقطاعيين في المجلس يتوجسون شرا من اية اشارة لموضوع تحديد الملكية الزراعية. وكانوا منزعجين انزعاجا كثيرا من هذه المادة، وقد بذلوا مجهودا كبيرا لتأمين اكبر عدد من الاعضاء الى جانبهم عند التصويت.

وبالمقابل فقد هيأنا لمعركة مجلسية حامية حول هذه المادة لنجعل لها مفعولا رجعيا، اي ان يحكم الدستور بضرورة اجراء الاصلاح الزراعي في سوريا، وبالرغم من علمنا ان الجمعية التأسيسية لا يمكن ان تحقق الاصلاح الزراعي الذي يشمل عددا كبيرا من اعضائها، فاننا اردنا ان نجعل من بحث هذه المادة

مناسبة للمطالبة بقانون الاصلاح الزراعي، مما يقوي حركة الفلاحين ويمد في عزيمتهم وتصميمهم، ولا يمكن للمرء ان يقدر الان مدى التأثير النفسي على الفلاحين عندما كانوا يسمعون ان قضيتهم اصبحت مدار بحث ونقاش في الجمعية التأسيسية، لا سيما وان اكثر من ربع اعضائها قد صوتوا الى جانب قضيتهم، بعد ان لجأنا الى استثارة المشاعر الوطنية لدى النواب.

قلت في احدى تلك الجلسات "ان قضية تحديد الملكية الزراعية ليست من القضايا التقدمية فحسب، كما انها ليست ضرورة اجتماعية فقط، بل هي قضية قومية ووطنية، وان كارثة فلسطين لاكبر دليل لكل ذي عقل وبصيرة ولكل من يريد ان يعتبر.

ان كل الاراضي التي بيعت لليهود في فلسطين كانت اقطاعيات سورية ولبنانية وفلسطينية، وقد رأينا بأم اعيننا ان الفلاحين العرب في فلسطين لم يبيعوا شيئا مذكورا من اراضيهم لليهود، بل ان الاقطاعية العربية هي التي باعت قسما كبيرا من اراضي فلسطين لليهود".

وقد عقب على كلامي الدكتور مصطفى السباعي المرشد العام للاخوان المسلمين فقال: "ان مرجع البلاء في البلاد العربية يعود الى فقدان العدالة الاجتماعية، وان الفقر كاد يكون كفرا، وان الاسلام اقر اخذ المال من الغني لسد حاجة الفقير ولا بأس من توزيع الاراضي على الفلاحين والحجز على مبذري الثروات".

وقال علي بوظو (من حزب الشعب) "ان في سوريا نوعين من الاقطاعية: اقطاعية متوارثة، واقطاعية عجيبة من نوع جديد هي اقطاعية الالات الزراعية، فشخص يملك الالات الزراعية يفلح ملايين الدونمات، وبعد سنين يضع يده عليها، بينما كثير من الفلاحين يعيشون عيشة الفقر والمرارة".

وقال فيضي الاتاسي (من حزب الشعب): ان الزمن كفيل بحل مشكلة الاقطاعية وان ثروات عقارية ضخمة تبددت في جيل واحد بالتوارث. (وهذه نظرية نوري السعيد لحل مشكلة الاقطاعية).

وتحدث حسني البرازي عما يلاقيه المالك من عنت الفلاحين، وما يقدم من خدمة للفلاح ومصالحه، وان الفلاحين يتحكمون بالملاكين تحكما مزريا.

□

كان الجناح اليميني في حزب الشعب يفكر على طريقة نوري السعيد بحل مشكلة الاقطاعية عن طريق الارث، هذا التفكير الذي كان من الاسباب الهامة للقضاء على حكم نوري السعيد في ثورة 14 تموز 1958، وكان ناظم القدسي قد عقد مؤتمرا بمناسبة انجاز الدستور صرح فيه ان حل المشكلة الاقطاعية سيكون بواسطة الارث، فكتب معلق بجريدة النصر بتاريخ 1950/8/2 مقالا قال فيه: "يرى المواطنون التقدميون ان الجمعية التأسيسية سجلت اخفاقها بالقضاء على الاقطاعية والذين ساعدوا على هذا الاخفاق برهنوا على تجاهلهم اوضاع سورية الحالية التي تستوجب اسس جديدة للحياة والمجتمع".

ان معركة الاصلاح الزراعي استمرت في عدة مناسبات عند طرح الدستور على المناقشة "محاضر مناقشات الجمعية التأسيسية خلال شهر آب 1950) وخصوصا عند طرح المادة 166 التي تنص على ان الاموال التي تنفقها الدولة على مشاريع الري ومياه الشرب وتحسين الاراضي والكهرباء وتستوفيها الدولة من الذين يستفيدون منها في مدة تتناسب مع امكانياتهم وتحدد بقانون". فطالبت بالتفريق بين مياه الشرب ومياه الري وقلت: ان مياه الشرب خدمة عامة واما مشاريع الري فتعود في معظمها لكبار الملاكين، ثم طالبت بأن تضع الدولة يدها على الاراضي التي تستفيد من مشاريع الري لتوزع على صغار الفلاحين دون استيفاء شيء منهم.

وفي النهاية صوتت الاكثرية بجانب تعطيل فقرة تحديد الملكية أي أنها بقيت مادة عامة بدون مفعول رجعي، بالوقت الذي اقرت فيه فقرة هامة جدا تتعلق بوضع قانون لحماية الفلاح، كما اقرت فقرة توزيع املاك الدولة.

معركة الاشتراكية في الجمعية التأسيسية:

تحت هذا العنوان نشرت جريدة "النصر" بتاريخ 28 آب 1950 مقالا بقلم "ديك الجن" [1] نثبته فيما يلي لانه يقدم تصويرا للاشخاص والعقليات والاوضاع اثناء مناقشات الدستور قال:

"ثار في قاعة الجمعية التأسيسية يوم امس غبار معركة طاحنة كان مدارها البند الخاص بعدم قيام مفعول رجعي لمادة تضع حدا لحيازة الاراضي، يترك الاقطاعيات الواسعة القائمة الان في الجزيرة والفرات ومحافظة حماة في امان من ان تمتد اليها يد الاشتراكية التي اشبع بها الدستور واتخذ طابعها.

والحق انها كانت معركة طاحنة تبادل بها الطرفان قذائف العبارات الحماسية والقواعد الحقوقية ، اما الاقطاعية فقد تسلحت بالحقوق المكتسبة والعدالة المطلقة، وحق التملك وعدم ملاءمة الوقت، اما الاشتراكية فقد اسدلت على خطوط الاقطاعية ستارا من نيران التقدمية والاشتراكية وتوزيع الثروات وبؤس الفلاح والعدالة الاجتماعية وشرور الاقطاعية.

وخلال هذا الاشتباك برز في صفوف التقدميين السيد احسان الحصني - الامين العام للحزب العربي الاشتراكي - الذي عرض صورة مزرية لحالة الفلاح، وتحمس العاشوري فلم يكتف بتحديد الملكية بل طالب بتوزيع الثروات، وافاض علي بوظو الذي وضع نفسه في صف "الاقطاعيين التقدميين" في رشق السهام الحادة على جيرانه الاقطاعيين: الحراكي، العظم، البرازي، مرهج، العجلاني، واسترسل في نقر هذا الصف الاقطاعي على يمينه والذي يرشقه بسهام النظرات الحادة التي كان يتفاداها بتحويل بصره والتوجه الى

(1) اسم مستعار اطلقه الكاتب على نفسه وكان لقبا لاحد شعراء حمص القدماء.

المجلس كله بالعبارات الرنانة، وبين الحين والحين كان يغمز من قناة البرازي ويلوح انه لاحظ ان الصف الارستقراطي اخذ يتصبب عرقا فخفف من غلوائه وربت على كتف جاره الحراكي الذي كان يسبح في ضباب محموم وطمأنه بأنه لو اقرت المادة فلا يعني ذلك ان توزيع الاراضي سيكون فورا ولا في المستقبل القريب.

اما الدكتور مصطفى السباعي فلعمر الحق انني ازدد اعجابا به يوما بعد يوم، وتتكشف لي شخصيته الفذة وايمانه العميق بمبادئه، فهو يبرهن دائما انه ذلك الاشتراكي الاسلامي الذي يطبق اشتراكية الاسلام كمبدأ متين يرتبط بعقيدته وليس كمبدأ حزبي يدافع عنه ارتباطا بحزبه او بجماعته ومظاهرة امام انصاره، وكان من الرائع انه وجه اقسى طعنة للاقطاعية ووصفها بأشنع الموبقات، اما مغامز البرازي حين حاول طعنه باثاره قضية دين الدولة، فقد اكتسحها اكتساحا وصب على رأس البرازي فيضا من الكلام اللاذع وتركه لا يحير جوابا.

والحق ان البرازي اطار صواب زملائه الاقطاعيين في المجلس وقد بذلوا محاولات عديدة لاسكاته فلم ينجحوا، فقد خافوا ان يستفز التقدميين فيتباروا للرد عليه وافحامه وضرب الاقطاعية في الصميم، ولكنه لم يسكت ومن سوء حظه انه خطيب فاشل، فصوته البطيء والكلمات التي تخرج ممضوغة من فمه لا تكاد تسمع تذهب بمعظم التأثير.

وهناك الاستاذ رزق الله انطاكي وهو رجل حقوقي منطقي من مزاياه انه يستطيع الباس الباطل ثوب الحق، والدفاع بحجج منطقية عن قضية فاسدة، وكان دفاعه عن الاقطاعية حقوقيا يتمسك بحرفية القانون ويهمل الحالة الواقعية التي تئن تحت كابوسها الامة.

اما معالي منير العجلاني فما زال ذلك الرجل الناعم الذي لا يريد ان يغضب احدا والذي يحاول ان يبدو تقدميا في حدود مصالحه الخاصة فهو يسلم بتحطيم الاقطاعية ولكن ليس هذا وقته.

اما معالي الاستاذ اكرم الحوارني فاقل ما يوصف به انه العدو رقم واحد للاقطاعية، فهو يحاربها في كل مكان، لا في الجمعية التأسيسية فحسب، انه رجل عملي فهو يهاجمها في معاقلها ويقتحم عليها القرى ومراكز الاقضية والنواحي، فمكاتب حزبه منتشرة في كل مكان تسيطر فيه

الاقطاعية، ومبثوثة هنا وهناك تجتذب الفلاحين وتدلهم على حقهم الواضح في الحياة.

ولفت نظري الاستاذ جلال السيد فقد اتخذ موقفا مبهما يحوطه الغموض ولا يتفق ابدا مع تعاليم حزبه، واقل ما يقال في موقفه انه تهرب من الصف التقدمي الذي يناضل ضد الاقطاعية اننا نرجو ان لا يكون الاستاذ جلال السيد مكتفيا من مبادىء حزبه بلبس القبعة فهذا لا يكفي.

واعجبني من الاستاذ عصام المحايري كلمة من نار لسع فيها الاقطاعية وخصوصا عندما قال اننا ابر بأبنائنا واحفادنا من برنا بموتانا، ولقد لوحظ في هذه المعركة الطاحنة ان الاقطاعيين اصيبوا بذعر شديد وطار صوابهم وشوهد السيد حكمت الحراكي في حالة عصبية يفرك يديه ويتلفت يمنه ويسرة وقد احتقن وجه وتكلل جبينه بالعرق، وظهر الاضطراب على عبد الرحمن العظم، ولكنه كان عمليا فأخذ يرسل قصاصات من الورق الى من يأنس بهم مؤازرته من النواب، وفي الوقت نفسه كان يناقش بوظو ويدعوه الى لفلفة المسألة.

اما معالي الاستاذ فيضي الاتاسي فهو متمسك بقاعدته الاساسية وهي ان يترفع عن كل خصومة وان يقف دائما من فوق ليصدر حكما حياديا بلغة انيقة فهذا دوره التقليدي، ويوم امس وقف ليتكلم من فوق كعادته مترفعا مستقيم العنق فاذا به اشتراكي من نوع ارستقراطي، واذا به يقف حكما من النوع الذي يريد استرضاء الطرفين فيعلن انه تقدمي واشتراكي ولكن.. دعوا الاقطاعية للزمن يطفئها على مهل، هكذا يقف معالي الاتاسي وما على زملائه الشعبين الا ان ينفلقوا.

الحق انها معركة طاحنة، وكانت معركة بين الاشتراكية والاقطاعية بين الشبان ذوي الثلاثين والرجال ذوي الخمسين على الاوضح.

اشهد ان الشبان التقدميين لم يقصروا، فقد افرغوا جعبتهم لكن الاقطاعية استماتت واستقتلت واستيأست فكانت النتيجة كما هو معروف وظلت الملكيات الواسعة في سلام، وتركت الاقطاعية للزمن يقضي عليها عن طريق التوارث، ومهما كانت النتيجة فان الدولة تستطيع ان تحقق شيئا من الاشتراكية في الريف وترفع مستوى الفلاح السوري اذا وزعت الاراضي الاميرية عليه وجعلته مالكا للارض التي يسكب فيها عرقه ودمه".

82

1950: عودة الالتقاء بين الحزب العربي الاشتراكي وبين حزب البعث - قلب الجمعية التأسيسية الى مجلس نيابي - الافراج عن سامي الحناوي واغتياله في لبنان - محاولة النائب منير العجلاني قلب الاوضاع وتصريحه في المحكمة بأنه منحاز للغرب.

في أواخر شهر آب 1950، عندما اوشكت الجمعية التأسيسية على انجاز الدستور واقراره كان أهم ما يطرح من أسئلة:

- هل ستنقلب الجمعية التأسيسية الى مجلس نيابي؟
- واذا تم قلب الجمعية التأسيسية الى مجلس نيابي فهل مثل هذا المجلس قادر على تحمل مسؤولياته الداخلية والعربية والدولية على ضوء احكام الدستور الجديد؟
- اليس هنالك تطورات شعبية هامة جرت في صالح الحركة التقدمية؟

كان رأي حزبنا ان الجمعية التأسيسية قد انجزت مهمتها بوضع الدستور، بينما حدثت في الاوساط الشعبية تطورات هامة تقتضي انتخابات جديدة.

كانت سياستنا في الماضي تهدف الى تحقيق التفاهم والانسجام بين الجيش وحزب الشعب بصفته حزب الاكثرية النيابية لتمكين البلاد من وضع الدستور وقد انتهت هذه المرحلة.

واذا كانت الضرورة الوطنية قد قضت باقصاء الحناوي من الجيش، فان البلاد مع ذلك ستظل عرضة لتدخل الاصابع الاجنبية والعربية ما لم يتوفر الجهاز السياسي الشعبي التقدمي الذي يستطيع ان يحول دون ذلك، ولا سيما بعد ان اصبحت الاحزاب الثلاثة المؤتلفة في سورية متحدة بالهدف وهو اسقاط النظام الديموقراطي الذي يقف سدا امام المحاولات البريطانية والاميركية

على السواء لادخال سورية في مناطق النفوذ، بالاضافة الى ان المواد التقدمية التي استطاع الشعب السوري ان يتوصل الى اقرارها في دستوره الجديد سيكون لها انعكاساتها على الاوضاع السياسية والاجتماعية في المحورين العربيين.

لذلك كانت تلك الاوضاع تقتضي ان يكون في سورية جهاز سياسي وطني قوي قادر على الصمود، فكان لا بد لمواجهة المرحلة القادمة من حل الجمعية التأسيسية بعد ان انهت مهمتها واجراء انتخابات جديدة لتقوية الحركة الوطنية التحررية، وهكذا عاد الالتقاء من جديد بين الحزب العربي الاشتراكي وبين حزب البعث لتحقيق هذا الهدف، بينما كانت الاكثرية المجلسية ضد اجراء انتخابات جديدة، فأصدرت الاكثرية التأسيسية في جلسة 1950/9/4 القرار التالي:

"تنتهي مهمة الجمعية التأسيسية فور ابرام الدستور فتتحول الى مجلس نيابي وتمارس الصلاحيات المنصوص عنها في الدستور، وتبدأ دورة المجلس الجديد ومدتها أربع سنوات، ابتداء من أول تشرين الثاني سنة 1949.. وينتخب المجلس مكتبه في اول تشرين الاول 1950".

وهذا ما دعاني لان اعلن استقالتي من الجمعية التأسيسية بعد ان انتهت مناقشة مواد الدستور، وقد طلبت من الجمعية ان تعتبر استقالتي الشفوية استقالة مكتوبة وانسحبت من الجلسة.

وفي 5 ايلول انتخبت الجمعية التأسيسية السيد هاشم الاتاسي رئيسا للجمهورية بأغلبية 92 صوتا مقابل صوت واحد، ثم عقدت جلسة ثانية في اليوم نفسه اقسم فيها رئيس الجمهورية اليمين الدستورية... وقد ذكرت الصحف انني لم احضر الجلستين بعد ان قدمت استقالتي "التي رفضها المجلس".

وبعد ان اقسم الرئيس الاتاسي القسم الدستوري القى خطابا جاء فيه:

حضرات النواب أشكركم على ما منحتموني من ثقة غالية وما اوليتموني اياه من شرف رفيع بانتخابكم اياي رئيسا، واني اذ اشكركم لشعوركم هذا اتوجه الى الله ان يوفقني لاداء الامانة التي حملتموني اياها، وتحقيق الرسالة التي عهدتم بها الي. وان ذلك كله منوط باحترامنا جميعا لنصوص الدستور.

انه ليسرني، وقد اتممتم ما عهدت به الامة اليكم من مسؤولية، ان ابارك لكم عملكم، وان اثني على ما بذلتموه في سبيل ذلك من جهد واخلاص لحقوق كل مواطن وتأكيد سلطان الشعب وتحديد حدود كل سلطة في مبادىء تقدمية واضحة وعلى أسس حديثة عادلة تساير تطورات الزمن وتحقق العدالة الاجتماعية.

أيها النواب: اما وقد وضعتم دستورا يحقق مطالب البلاد ارجو ان تبدأ اليوم مرحلة جديدة تتعاون فيها جميع عناصر الامة لتوطيد اسباب الرخاء والازدهار للشعب، ويطيب لي ان انوه بأن سوريا ستعمل على تقوية اواصر الصداقة والود والتعاون مع جميع البلاد العربية والعمل في اخلاص على دعم الجامعة العربية، وسنعمل بصورة خاصة لاعادة الحق والعدل الى نصابهما في فلسطين العزيزة".

لم احضر هذه الجلسة ولا الجلسة التي تلتها، كما انني لم اشارك في المداولات التي جرت لتأليف حكومة جديدة برئاسة الدكتور ناظم القدسي، وقد تمزقت كتلة الجمهوريين الاحرار بعد اعلان استقالتي لانهم لم يكونوا موافقين على اجراء انتخابات جديدة، ولو قدر للبلاد آنذاك ان تشهد انتخابات جديدة لتجنبت العثرات والصعوبات والمؤامرات التي انتهت بقيام ديكتاتورية اديب الشيشكلي.

وفي 1950/9/9 تشكلت الوزارة على النحو التالي:

ناظم القدسي	للرئاسة والخارجية
رشاد برمدا	للداخلية
علي بوظو	للزراعة
شاكر العاص	للمالية
جورج شلهوب	للصحة

احمد قنبر للاشغال العامة

هاني السباعي للاقتصاد الوطني

الزعيم فوزي سلو للدفاع الوطني

زكي الخطيب للعدلية

فرحان الجندلي للمعارف.

فهي نفس الوزراة الحزبية الشعبية السابقة بعد ان اخرج منها معروف الدواليبي، ولكي يعلن الجيش عن تأييده للوضع الجديد قام وفد عسكري بزيارة الدكتور ناظم القدسي لتهنئته بتأليف الوزارة، وضم الوفد الزعيم فوزي سلو وزير الدفاع والزعيم انور بنود رئيس الاركان العامة والعقيد اديب الشيشكلي معاون رئيس الاركان، وعدد من كبار الضباط،

وبالرغم من المعارضة المجلسية التي لقيتها وزارة القدسي في جلسة 10 ايلول فقد نالت الثقة بأكثرية 62 نائبا.

وتعليقا على هذه الجلسة فقد سجلت جريدة النصر الملاحظات التالية: (اواخر ايلول 1950).

"تميزت جلسة الثقة في البرلمان بطابع الفتور، فقد تأخر موعد افتتاحها اكثر من 45 دقيقة، وتغيب عنها (48) عضوا، اي اكثر من ثلث مجموع الاعضاء وكانت دلائل عدم الارتياح مرتسمة على وجوه الاعضاء منذ الابتداء واثناء المناقشة وعند التصويت.

2- شمل عدد الغائبين كبار المستقلين ورجال الكتلة الجمهورية والحزب العربي الاشتراكي.

3- ظهر ان جميع الكتل البرلمانية - ما عدا حزب الشعب - اما حجبت الثقة عن الوزارة او استنكفت فيما اذا اعتبر التغيب المقصود استنكافا.

4- انصبت انتقادات البيان الوزاري على ما يلي:

(أ) ضعف تشكيل الوزارة لاستبعاد العناصر الشعبية القوية من حزب الشعب عنها بدافع عوامل خارجية

(ب) غموض البيان وسكوته عن قضايا جوهرية داخلية وخارجية

(ج) تعمد حذف قضية فلسطينية من البيان، وقد همس بعض المستمعين قائلا: هل اصبحت القضية الفلسطينية خطرا كبيرا حتى يخشى ذكرها بصراحة وترمز بالتوريات والاحاجي والالغاز غير المفهومة ولا المعقولة؟

5- كان المستنكفون يجيبون بصوت مرتفع بينما اجاب الكثيرون من الموافقين بصوت خافت يكاد لا يسمع كأنه خجل من الموافقة".

وفي جلسة 3 تشرين الاول 1950 قال النائب الدكتور محمد المبارك (الاخوان المسلمون): "طلب احد الزملاء في الجلسة الختامية للجمعية التأسيسية اعتبار مهمته قد انتهت بانتهاء الجمعية التأسيسية، واعتبر طلبه هذا استقالة، ولما كان المجلس الكريم يعز عليه ان يفقد نشاط نائب كريم له في ميادين العمل الوطني جولات، فانني ارى ان يدعى النائب الكريم الى حضور جلسات المجلس، وارجو من مقام الرئاسة تلبية رغبة المجلس بدعوة النائب المحترم لحضور الجلسات، خاصة وان امر تقديم الاستقالة له غير هذه الاجراءات".

وقال النائب رئيف الملقي:

"انا اؤيد الزميل في طلبه، وارجو ان يكون التكليف واضحا، وهو ان يكلف مقام الرئاسة بعض الزملاء بدعوة الزميل الكريم السيد اكرم الحوراني ليتابع نشاطه اعماله في المجلس، وتبليغه رغبة المجلس وحرصه على ان لا يحرم من عمل الاستاذ الحوراني ونشاطه.

فوافق المجلس على اقتراحي المبارك والملقي بالاجماع.

وقد أرسل رئيس المجلس وفدا من مختلف الاحزاب، فزارني في مكتب الحزب العربي الاشتراكي بشارع بغداد، وحاولوا اقناعي بحضور جلسات البرلمان وتحقيق رغبة المجلس ولم تكن قيادة الحزب في الاساس موافقة على استقالتي لذلك اصدر مجلس المفوضين في الحزب العربي الاشتراكي بتاريخ 1950/10/10 قرارا بعودتي عن الاستقالة من المجلس.

الافراج عن سامي الحناوي واغتياله

بعد ان تم تحويل الجمعية التأسيسية الى مجلس نيابي وانتخاب الاتاسي رئيسا للجمهورية وتوطيد التفاهم بين الجيش وحزب الشعب، افرج الجيش بتاريخ 1950/9/7 عن اللواء سامي الحناوي والمقدم محمود الرفاعي والمقدم عصام مريود والمقدم محمد معروف والرئيس خالد جادا، بعد اعتقال استمر حوالي تسعة اشهر فلجأوا الى لبنان.

وفي يوم 30 تشرين الاول 1950 اغتيل اللواء الحناوي في بيروت برصاص حرشو البرازي ثأرا لابن عمه محسن البرازي.

وبعد اسبوعين وصل محمود الرفاعي وعصام مريود ومحمد معروف وخالد جادا الى بغداد وذكرت الصحف انه جرى تعيينهم في الجيش العراقي بنفس الرتب التي كانوا يحملونها في الجيش السوري.

وقد اثبتنا سابقا وثيقة تتعلق بطلب بغداد، ولا سيما من جلال السيد وحسني البرازي، العمل على اخراج الحناوي وجماعته من الضباط من السجن، فقد اعتبرت بغداد نفسها ملزمة بذلك وبتخصيص الرواتب لهم ولعائلاتهم (وثائق حلف بغداد - كتاب محكمة الشعب ص 2454).

مؤامرة منير العجلاني:

خلال شهر آب 1950 بلغت حملة الاحزاب المؤتلفة اشدها على الوضع وعلي بشكل خاص، مما اضطرني لاقامة الدعوى على الاستاذ نجيب الريس صاحب جريدة القبس، ودعوى اخرى على سعيد التلاوي صاحب جريدة الفيحاء، وبعد ان اصدرت المحكمة حكمها عليهما اسقطت حقي الشخصي.

على ان موجة القاء القنابل والمتفجرات ظلت مستمرة لاشاعة جو البلبلة والفوضى وعدم الاستقرار في البلاد.

في هذا الجو، قال لي جميل الشماط (نائب الزبداني السابق) ان الدكتور منير العجلاني يريد ان يجتمع بك، فقلت لا

مانع عندي من ذلك، فطلب مني تحديد الموعد والمكان، فقلت له: غدا نجتمع في احدى غرف المجلس.

وعندما اجتمعت بالعجلاني بادرني قائلا:

ان اوضاع البلاد سيئة جدا وشكا طويلا من تردي الاحوال واستطرد قائلا:

ان كثيرا من الضباط يباعون ويشرون ولا يمكن الاعتماد عليهم، كما ان كثيرا من الساسة هم كالضباط لا يعتمد عليهم، وانا متأكد انه في وقت قريب سينهار هذا الوضع، ومن الخير ان تقوم بسرعة حكومة يرضى عنها الانكليز لانقاذ ما يمكن انقاذه!

فأجبته يجب ان نقاوم ذلك، وهكذا انتهى الحديث بيني وبين الدكتور العجلاني، وبعد فترة قصيرة جاءني جميل الشماط قائلا:

ان الدكتور العجلاني كلفني اكثر من ثلاث مرات كي افاتحك بشأن لم أجد بدا من اخبارك به بعد الحاحه، فهو مكلف ان يبلغك بأنك اذا قبلت ان تجتمع بوزير دولة اجنبية فان هذا الوزير على استعداد ليعطيك المبلغ الذي تحدده.

ضحكت وقلت للشماط: ان الدكتور العجلاني يعرفني جيدا.

فأعاد لي الشماط تأكيده بأن العجلاني كلفه مرارا وبالحاح ان يخبرني بذلك، وانتهى الامر عند هذا الحد، والواقع انني لم أعبأ كثيرا بأقوال العجلاني واعتبرت ذلك نوعا من الحرب النفسية التي كنت اتعرض لها دائما.

وذات ليلة بينما كنت ساهرا في بيت عبد الحليم قدور مع النائب خليل بشور اذا بجميل الشماط يأتي ويقول لنا ان انقلابا عسكريا سيقع الليلة، واقترح علي ان انتقل الى بيت آخر ولكنني رفضت مغادرة المنزل، وخطر لي ان اتصل ببيت العقيد بهيج كلاس ولكن لم يخطر ببالي أبدا ان تكون له علاقة بخبر الانقلاب. وعندما لم أجده اتصلت بنادي الضباط فجاءني العقيد بهيج بصحبة اخيه خليل وأشار علينا بمغادرة المنزل قائلا: اذا وقع انقلاب وانت خارج المنزل فيمكن ان نتدبر الامر اما بقاؤك في المنزل فهو مجازفة لا

اشير بها، ثم انصرفا كما انصرف عبد الحليم قدور الذي لم يقض تلك الليلة في منزله، وعندما وصل عوض التركاوي حارسي الخاص الى المنزل وجلس مع رشاشه في الشرفة اشرت على جميل الشماط وخليل بشور بالانصراف وذهبت للسرير مستسلما الى نوم عميق.

بقيت طيلة حياتي - رغم نصائح اخواني - ارفض حمل سلاح شخصي وارفض وجود حراسة لي او لمنزلي، رغم الظروف العصيبة التي كنت امر بها في اغلب الاحيان، وكنت اتمثل دوما بقول الجواهري:

يحميك مجدك المجد ان يحيمك وحده بالناس، لا شرط ولا حجاب

وقد زادتني الايام ثقة بوطنية شعبنا واخلاقه، لأنه ما أعدت مؤامرة لاغتيالي في عهد من العهود الا واخبرني بها الاشخاص المكلفون بتنفيذها، واذا كنت قد قبلت الحراسة في بعض الظروف فما ذلك الا لأنها كانت مفروضة علي فرضا من الحزب.

□

مضت الليلة بسلام فقمت في اليوم التالي بزيارة صديقنا العقيد نبيه الصباغ في منزله المطل على حديقة السبكي فأخبرته عما جرى في تلك الليلة وتحدثت معه عن المؤامرات التي تحيط بالبلاد، وانه من واجب العناصر الوطنية في الجيش ان تتآزر لاحباطها.

وبتاريخ 11 ايلول اذاعت محطات الاذاعة الاجنبية "ان رجال السلطة العسكرية في سورية القوا القبض على العقيد بهيج الكلاس مفتش الجيش السوري واحد اعوان حسني الزعيم بتهمة حصوله على اموال من دولة اجنبية"

اجتمعت بالعقيد اديب الشيشكلي فور سماعي النبأ واستفهمت منه عن صحته فأكده لي، فأسفت لتورط بهيج وما

فيه من احراج لاخويه خليل ونخلة وشاركني اديب هذا الاسف وقال:

ما كنت احب له هذا المصير ولكن العقيد بهيج قد قبض اموالا من الخارج وان التحقيق سيجري في طريقه القانوني دون اي اذى وبكل ما يعطيه القانون للدفاع عن نفسه، وهذا اقصى ما يمكن ان افعله لان للتغاضي عن هذه المؤامرة نتائج خطيرة على سلامة الجيش والبلاد تعرضني لمسؤولية لست مستعدا لتحملها من اجل العقيد بهيج كلاس.

وقد تولى الاستاذ خليل كلاس الدفاع عن اخيه في المحكمة العسكرية ومن الطريف انه كان في الوقت ذاته وكيلا لاديب الشيشكلي في المحاكمات التي جرت في حادث الاعتداء على الشيشكلي بقضية السيارة العسكرية.

وفي 30 ايلول صرح المدعي العام العسكري عبد الوهاب الازرق، بعد خروجه من مكتب رئيس الوزراء ناظم القدسي، بأن التحقيق تناول اثنين من العسكريين وخمسة مدنيين (بينهم النائب منير العجلاني المعتقل) واضاف انه لا يحتمل وقوع اعتقالات جديدة، وان الموقوفين اوقفوا بموجب مذكرات رسمية قانونية صدرت عن الدوائر العدلية العسكرية، وان المحكمة العسكرية هي التي ستنظر بهذه القضية.

وفي الجلسة الاولى لمجلس النواب، المنعقدة بتاريخ 1 تشرين الاول 1950، تلت رئاسة المجلس نص الرسالة التي تلقتها من منير العجلاني بواسطة النائب العام العسكري التي يدعي بها ان توقيفه خرق لاحكام القانون والدستور.

رسالة العجلاني:

الى دولة رئيس المجلس النيابي المعظم:

لقد اوقفت من قبل الشرطة العسكرية صباح يوم الاربعاء الماضي بطريقة غير مألوفة وبعد ان حقق النائب العام معي وطال التحقيق في مركز الشرطة العسكرية ساقوني الى سجن المزة حيث استؤنفت التحقيقات من

غير ان أبلغ اية مذكرة توقيف، وانا الان موقوف في سجن المزة وقد فهمت انه نقل اليكم انني اوقفت في حالة الجرم المشهود بسبب التآمر على سلامة الدولة والتهمتان في اعتقادي - كما تثبت ذلك الادلة - لا اصل لهما، وان هنالك مؤامرة ولكنها مدبرة من بعض الموظفين في المكتب الثاني ضدي، وضد مواقفي عن ضرورة تغيير الاتجاه السياسي في بلادنا الى التقارب مع العراق والاردن، مستغلين زيارتي الى عمان بتراكيب اقرب الى الخيال، ليس هناك اولا جرم مشهود وليس هناك ثانيا ما يبرر توقيفي فعدم اطلاق سراحي يؤلف خرقا للدستور ارجو ان تمنعوا وقوعه، اذا تفضلتم بطلب مقابلتي او انتخبتم لجنة تحقيق، واحرص ان يكون الدكتور عبد الوهاب حومد احد اعضائها، تبين لكم حالا كل شيء واتضح لكم بصورة واضحة عدم جواز توقيفي، ولا اقول الان اكثر من ذلك واقبلوا فائق الاحترام"

السبت 1950/9/20 التوقيع: النائب منير العجلاني.

لقد اعتبر بعض النواب، من زملاء العجلاني، توقيفه خرقا للدستور ودليلا على ازدواجية الحكم والقضاء على الحصانة النيابية، فاثار هذا الموضوع مناقشات حامية ومعارك كلامية، وكنت غائبا عن هذه الجلسات جميعا وذلك خلال استقالتي من عضوية الجمعية التأسيسية بعد ان تحولت الى مجلس نيابي.

وفي 1950/10/16 صدر مرسوم بملاحقة المتآمرين على سلامة الدولة وهم: العقيد بهيج كلاس، المقدم حسن الخير، الملازم الاول بهيج كلاس، الدكتور منير العجلاني، المحامي يوسف تقلا، السيد رشيد كلاس، السيد محيي الدين مراد، الشيخ علي اديب السيد رأفت عرنوق، العريف نور الدين الحكيم، السيد شفيق دهاب وفيما كانت التحقيقات تجري مع هؤلاء المعتقلين، صرح الملك عبد الله:

"ان سوريا فريسة عدم الاستقرار والفوضى، ولن يعود اليها النظام الا بالاتحاد مع الاردن، لان هذا الاتحاد هو طريق الحق والعدالة".

(جريدة الزمان البيروتية 1950/11/10)

لـم اهـتم كثيـرا بمـؤامرة العجلانـي الا بمـا يتعلـق بوضـع الاستاذين نخلة وخليل كـلاس فكنـت دومـا اسـألهما عـن موضـوع اخيهما بهيج، ولم يخطر ببالي ان يطلب منير العجلاني من قاضي التحقيق استدعائي بصفة شاهد دفـاع فقـد اوقعنـي هـذا الطلـب باحراج كبير اذ ان شـهادتي تدينه ولكننـي لـم اجـد بـدا مـن الادلاء بالشـهادة، وبتاريخ 1951/1/6 استدعيت الى المحكمـة العسـكرية فأدليت بنفس الشـهادة التي ادليت بها الى قاضـي التحقيـق وقـد سئلت في المحكمة عن العقيد بهـيج فـذكرت حادثـة مجيئـه بعـد منتصف الليل ونصيحته لي بأن أغادر المنزل لان انقلابا سيقع فـي تلك الليلة.

وقد اعترض المحامي القضـماني علـى اللاحقـة بشـهادتي التي ادليت بها امام المحكمة المتعلقة بعروض الشماط لأنني لـم اذكرها امام المحقق فأجبت بأن المحقق سألني فقـط عمـا جـرى في الاجتماع بيني وبـين الـدكتور العجلانـي الـذي تـم فـي احـدى غرف المجلس.

كما سئلت عن سبب عدم موافقتي على ايفاد العقيد بهيج الكلاس ملحقا عسكريا لواشنطن عندما كنت وزيـرا للـدفاع، وكـان يقصـد مـن هـذا السـؤال ان اشـير الـى عـدم المـودة بـين اديـب الشيشكلي والعقيد بهيج الكلاس فأجبت.

ان المصلحة العامة كانت تقضي ببقائه في سـوريا واضـفت: انني بالرغم من كل شـيء لا ازال حتى الان اعتقـد الخيـر بالعقيـد كلاس.

وهنا قال العجلاني:

- اخشـى ان يكون الاسـتاذ الحوارني تأثر بما قرأ فـي الصـحف عـن اقوالي امام المحكمة عنه واظن انها استفزته، واستطرد قائلا:

- اما موضوع الاتحاد مع الاقطار المجـاورة والانحيـاز الـى المعسـكر الغربي فانني دائما كنت اعلن رأيي بذلك، ثم تساءل:

- الا يـذكر الاسـتاذ الحـوراني انـه جـاء الـى داري حـين كـان وزيـرا للدفاع فقلت له: ان هناك معسكرين غربي وشرقي، وانني انحـاز للمعسـكر الغربـي لان مصـلحة بـلادي تقضـي بـذلك، وان مـن الضروري ان نرتبط مع البلاد المجاورة؟

فأجبت:

نعم لقـد اجتمعـت بالـدكتور العجلانـي فـي داره وبحثنـا فـي هـذه المسائل وقلت له يومذاك:

انني مـن طـلاب الوحـدة العربيـة، ولكـن مشـروع الاتحـاد لا يقصد منه الاتحاد بل يقصد منه ادخال سـورية فـي منـاطق النفـوذ الاجنبي.

وقد سئل الدكتور العجلاني عما يقوله بشهادتي فقال:

ليس لـدي مـا أقولـه، ولكـن قضـية عـروض الشـماط فـان الاسـتاذ الحوراني هو نفسه كان يشك بها [1] .

وقد برىء المتهمون جميعا في هذه القضية من قبل القضاء العسكري.

(1) "النصر" "النهار" بتاريخ 1951/1/7.

1950: محاولة اغتيال أديب الشيشكلي - مـن هـي كتائب الفداء العربي

في صباح يـوم الخمـيس 1950/10/12 اصـدرت وزارة الـدفاع البلاغ التالي:

" في حوالي الساعة الواحدة من بعد منتصف الليـل تصـدى مجهولون لسيارة عسكرية كانت في طريـق عودتهـا الـى دمشـق بالقرب من دمر، وأطلقوا عليها الرصاص فأصيب أحد الضـباط بجـراح خفيفة، وقد تسلم القضاء العسكري التحقيق بهذا الحادث".

كـان أديـب الشيشــكلي فـي تلـك الفتـرة يـدمن الشــراب، ويصطحب معه في كل ليلة عـددا مـن الضـباط الصـغار الـذين كـانوا يلتفون حوله، وكان يتردد معظم الليالي على مقهى متواضع على طريق دمر. وقد علمت بعد الحادث أن الشيشكلي عندما كان فـي طريق عودته من ذلك المقهى، ومعه الضباط حسـين حـدة وغالـب الشـقفة وبكري الزوبري تصدى لهم مسـلحون مجهولـون تمترسـوا على الجانب الآخر من الطريق، فأطلقوا النار مـن اسـلحتهم علـى السيارة العسكرية، فنزل أديب ومرافقوه الضباط مـن السـيارة فـورا وردوا علـى المهـاجمين الـذين مـا لبثـوا أن ركبـوا سـيارتهم وفـروا هاربين.

كيف اكتشف الفاعلون .

في صباح اليوم التالي زارني النائب السابق جميل الشماط الذي كانت تجمعه بالملازم حسين حدة معرفة وصداقة وسألني :

ما رأيك ؟ من تظن الفاعلين؟ قلت :

إن الجو يوحي بأن جماعة القـوتلي هـم وراء الحـادث، وذكـر لـي الشـماط ان حسـين حـدة أخبـره عـن لـون سـيارة المعتـدين ونوعها، وبعد ذهابه تابعـت التفكيـر وكانـت كـل التحلـيلات تتلاقـى عنـد الاسـتنتاج الـذي توصـلت اليـه، ولكننـي لـم اسـتبعد قيـام محاولات للتمويه عمن هم وراء الحادث، كأن يقال مـثلا ان الجـيش

يضرب بعضه، أو أن حزب الشعب هو وراء الحادث، وهذا ما قيل فعلا فيما بعد، فقد أصبحنا نعرف أساليب المخابرات في مثل هذه الأمور.

بعد أيام جاءني جميل الشماط وقال لي :

كنت مارا بسوق ساروجه فرأيت سيارة تشبه السيارة التي ذكرها لي حسين حدة وسألت عن صاحبها فعلمت انها تعود الى محل لتأجير السيارات، فأشرت عليه أن يعود وأن يسأل ذلك الرجل عمن استأجر منه السيارة ليلة الحادث، وبالفعل فإن الشماط علم من صاحب المحل ان شابا مصريا يسكن بحي المهاجرين قد استأجر منه تلك السيارة وعاد بها في ساعة متأخرة من ليلة وقوع الحادث.

كان الضابط محمود شطره رئيسا للمكتب الثاني، لأن ابراهيم الحسيني لا يزال معتقلا بتهمة اغتيال العقيد محمد ناصر، ولو كان الحسيني على رأس المكتب الثاني آنذاك لضاعت آثار الجريمة، وكانت تحمعني بالضابط محمود شطرة صداقة جعلت الشيشكلي يسرحه عندما قام بانقلابه فيما بعد.

استدعيت الضابط شطرة ورويت له ما جرى.

وبالفعل فقد ذهب محمود شطرة إلى حي المهاجرين واعتقل الشاب في بيته حيث وجد بعض الأسلحة، وقد قابله الشاب بغطرسة عند اعتقاله، وقال ان اسمه عبد القادر عامر وأنه يعمل مدرسا، كما اعتقل معه شابا آخر اسمه حسين توفيق هو رفيقه في سكنى المنزل.

وعلى ضوء الاعترافات التي أدلى بها الشابان أكملت العدلية العسكرية التحقيقات التي أسفرت عن كشف معلومات خطيرة عن دور جماعة القوتلي والاجهزة المصرية في تلك المؤامرة.

وتجاه جو الشائعات المغرضة اضطر النائب العام العسكري الاستاذ عبد الوهاب الأزرق أن يذيع بتاريخ 1950/10/28 البلاغ التالي :

"في الساعة الواحدة والنصف من ليل 11-12 تشرين الثاني الجاري، بينما كانت سيارة العقيد أديب الشيشكلي العسكرية تقله ومعه بعض الضباط في طريق عودتهم الى دمشق عن طريق دمر، فاجأهم كمين مسلح بأسلحة نارية اوتوماتيكية، فأصيب الملازم الأول حسين حدة بأربع رصاصات احداها في عنقه والثانية في كتفه الأيسر والثالثة في ساعده والرابعة في راحته، وأصيب الملازم الأول بكري الزوبري برصاصة في فكه، وأصيب الملازم غالب شقفة بجرح خفيف، ولم يصب الباقون بأذى، وقد أشرف جراح المستشفى العسكري الدكتور مرشد خاطر مع طائفة من الاطباء على اسعاف الجرحى.

وقام القضاء العسكري بتحقيقه ووفق لاكتشاف الجريمة، فتبين أن الكمين المنوه به مؤلف من أربعة أشخاص هم المدعى عليهم حسين توفيق وعبد القادر عامر، وهما من التبعية المصرية، وعباس الخرسان، وهو طالب عراقي في معهد الحقوق بدمشق، وزهير ابراهيم يوسف وهو لاجيء فلسطيني وموظف في المطار المدني، ووقف التحقيق على مخبأ الأسلحة والذخيرة في إحدى دور حي المهاجرين وأحد حوانيت حي الشركسية، وعثر فيهما على كمية من الرشاشات والقنابل والمسدسات والالغام والديناميت ومختلف آلات التفجير والتدمير وعدد ضخم من الذخيرة المتنوعة.

وقد أقر المدعى عليهم بجريمتهم، وذكروا واقعاتها بالتفصيل، وتبين لقاضي التحقيق أن هؤلاء المعتدين ينتمون الى منظمة ارهابية تضم فضلا عن بعض السوريين اشخاصا من سائر الاقطار العربية، قامت بسلسلة جرائم خطيرة منذ سنتين، أخلت بالنظام والامن في البلاد.

وألقي القبض على المدعى عليهم: عبد القادر عامر، أحمد الشراباتي[1] ، أمين رويحة، بهجة العلبي، هاني محمود الهندي، حسين توفيق، عباس حميد الخرسان، زهير ابراهيم يوسف، نجيب سليم كحيل، محمد علي نويلاتي، اسماعيل كامل اسماعيل، عبد الرحمن شرقاوي، جودت موسى ضاحي، جهاد ضاحي، فهد نافع المولى، نشأت شيخ الأرض، أنطون عبده الحمصي، يوسف وديع البنا، توفيق عثمان قيطان، فتحي مصطفى الكتكاني، وليس بينهم أي عسكري، وهؤلاء هم رؤساء وموجهو وممولو هذه المنظمة، ولا يوجد الآن موقوف سواهم، وسيتابع التحقيق علاقة هؤلاء بغيرهم ممن اشتركوا في هذه الحوادث أو وجهوها أو مولوها، وأن كل ما أذيع أو نشر من أنباء تغاير ما أوضحنا لا صحة له، والتحقيق ما زال مستمرا".

ولكن ما هي هذه المنظمة التي تحدث عنها بلاغ المحقق العسكري؟

في بحران العواطف الملتهبة لدى الشباب العربي إثر كارثة فلسطين تنبهت المحاور العربية ومن وراءها لهذه الظاهرة فاستغلتها وعرفت كيف تحتضن أولئك الشباب وتعبئهم في منظمات ارهابية، مستخدمة مهارتها المعروفة في اخفاء اغراضها الحقيقية، وكانت جمعية كتائب الفداء إحدى هذه المنظمات الارهابية التي استغلتها اجهزة المخابرات العربية، وقد تكونت في سوريا بعد لجوء الارهابي المصري حسين توفيق اليها اثر اغتياله عثمان باشا عميل الانكليز المعروف، وقام بتنظيمها الدكتور أمين رويحة بالاشتراك مع أحمد الشراباتي وبتمويل السعودية وعرفت هذه الجمعية بعد انكشاف مؤامرة السيارة العسكرية بحركة القوميين[2] العرب".

---

(1) وزير الدفاع السابق.

(2) بعد هذا الحادث بثمانية عشر عاما، أي في عام 1968 عندما كنت لاجئا في لبنان، تقدم مني فتحي مصطفى الكتكاني من القوميين العرب وأحد المشتركين في قضية السيارة العسكرية، وكنت جالسا في مقهى الدولشة فيتا فعرفني بنفسه، وجرى حديث حول الماضي، فقال لي مازحا :

وقبل الاسترسال في قضية السيارة العسكرية علينا أن نستعرض اتجاه السياسة الأميركية في تلك الفترة، في سوريا خصوصا وفي المنطقة العربية عموما.

السياسة الأميركية في المنطقة في أواخر عام 1950.

في أواخر عام 1950 ازداد اهتمام الولايات المتحدة بسوريا، ففي 1950/10/13 أعلن الرئيس ترومان تعيين المستر كافانديش كانون وزيرا مفوضا في دمشق، خلفا لجميس هوف كيلي الذي استقال من منصبه الدبلوماسي بدمشق ليعود الى ممارسة التعليم في احدى الجامعات الأميركية، وقيل ان الوزير الجديد من أقدر رجال السياسة في الولايات المتحدة.

وفي الوقت ذاته أوفدت واشنطن أحد الشيوخ الأميركيين في جولة استطلاعية لسوريا والشرق الأوسط، وقد قابل ناظم القدسي وغيره من المسؤولين العرب مقابلات طويلة، وكانت لجنة التوفيق الدولية قد نشرت في 1950/9/26 تقريرها عن قضية فلسطين حيث قالت فيه: "إنه من العبث المضي في الجهود الرامية الى انشاء لجان مختلطة عربية يهودية وذلك بسبب موقف الحكومات صاحبة العلاقة... وان حكومة اسرائيل تنوي تشكيل هيئة خاصة لدرس النواحي الفنية والقانونية لقضية التعويضات الواجب دفعها للاجئين الفلسطينيين الذين يرفضون العودة، وهي تلح على عدم مناقشة هذه القضية الا في نطاق التسوية العامة، أما الدول العربية فقد ألحت على ضرورة اعطاء اللاجئين حقهم المشروع في العودة ودفع التعويضات التي نص عليها قرار الجمعية العمومية المتخذ في 1948/12/11.. ويقول التقرير ختاما إن الدول العربية أخذت تفكر في قبول عدد كبير من اللاجئين الفلسطينيين في أراضيها بصورة موقتة أو دائمة، وذلك لحل هذه المعضلة نهائيا".

لقد قضيت اكثر من عشر سنوات حتى أقنعتني حركة القوميين العرب (هو من أكراد سورية) بالقومية العربية، والآن يحاولون من جديد أن يقنعوني بالماركسية.

وقد جرى أثناء ذلك في دمشق ليلة 1950/9/15 نسف مبنى وكالة غوث اللاجئين بطوابقه الثلاثة، واتهم الاميركيون اللاجئين الفلسطينيين بالحادث.

كان المخطط الأميركي يقضي باغتيالي .

لم أكن أعرف جهاد ضاحي ولا أيا من أفراد منظمة "كتائب الفداء" ... ولكنني تعرفت على بعضهم فيما بعد، وقد حدثني جهاد ضاحي عن خفايا حادث السيارة العسكرية فقال :

"إن الدكتور أمين رويحة بعد أن ضمن ولاء أولئك الشباب، عرض عليهم أمر اغتيالي قائلا: "إن أكرم الحوراني هو المسؤول عن هلهلة الوضع في سوريا وعدم قيامها بدورها العربي، وهو ومصدر القلق، فبزواله يمكن أن تستقر الأمور ويعود الرئيس القوتلي ".

كما قال رويحة لأولئك الشباب :

"إن السعودية ستجري عليكم إذا توفقتم في هذه الضربة نهرا من الذهب".

لكن جهاد ضاحي اعترض على اقتراح رويحة باغتيالي قائلا :

ولكن اغتيال الحوراني سيقيم عرسا عند الاقطاعيين، وكان قد ورد في إفادة المتهمين في جلسات المحاكمة ما يؤيد أن جهاد ضاحي وهاني الهندي عارضا اقتراح اغتيالي ورفضاه (راجع الصحف السورية الصادرة بتاريخ 1951/1/11).

وتجنبا لانقسام المنظمة وافق الدكتور رويحة على البدء باغتيال الشيشكلي، ظنا منه أنه يسهل الخطوة الثانية، وهكذا اتفقوا على اغتيال الشيشكلي على النحو الذي ذكرناه؟

لقد كان رأسي مطلوبا من المحورين العربيين، من السعودية ومصر لأنني ضد استلام القوتلي الحكم في سورية الأمر الذي يطمئن السعودية ومن وراءها نهائيا إلى ابتعاد سورية عن الاتحاد مع العراق ومن الحاكمين في العراق لأنني ضد الاتحاد

في ظل المعاهدة البريطانية، وضد إقامة عرش لعبد الإله في سورية.

أما سبب معارضة جهاد ضاحي في اغتيالي فيعود لأنه من أبناء قريتي صدد والحفر، وهما قريتان مسيحيتان على مشارف الصحراء في القلمون، حيث يسود طغيان آل سويدان الاقطاعي، ومن الملفت للنظر أن تصمد هاتان القريتان في تلك المنطقة النائية المحاطة بالبدو الرحل من كل جانب، ولكن هاتين القريتين المسيحيتين قد تأذتا من اقطاع آل سويدان بينما تعايشتا بسلام ووئام مع بدو الصحراء.

وضع أديب الشيشكلي في تلك الفترة .

بالوقت الذي أطاحت به حركة العقداء باللواء الحناوي، كان أديب الشيشكلي يشهر برفاقه من العقداء ويدعي انهم مرتبطون بالسعودية، وكان يعلن عن تمسكه باتجاه مستقل في الحقل العربي والخارجي، وهذا كان من أهم الأسباب التي دعت لالتفاف صغار الضباط حوله دون سائر العقداء الآخرين الذين أرهبهم اغتيال العقيد محمد ناصر.

وقد عبر الشيشكلي عن اتجاه الجيش السياسي المستقل في تلك الفترة، بعد حادث السيارة العسكرية بالتصريح التالي :

"نحن لسنا انعزاليين، وأنا ورفاقي العقداء ومن يؤيدنا من رجال السياسة مستعدون لبذل دمائنا في سبيل وحدة الاقطار العربية على أن تكون وحدة صحيحة قائمة على التحرر من الاستعمار والصهيونية وتقارب مستوى الشعوب التي ستشترك فيها، إن فكرة الاتحاد بعد أن اصطدمت بحرص الشعب السوري على عدم الارتباط بأي قيد من القيود الاستعمارية التي طالما ناضل للتحرر منها، قد أخذت شكلا لا ينظر القائلون به لا إلى مصلحة سوريا ولا إلى مصلحة العراق نفسه، وكل ما يهمهم منه تحقيق رغبات بعض أصحاب المطامع وإن النظام الجمهوري هو النظام التقدمي الذي يكفل تمثيل ارادة الشعب". (النصر 1950/11/31).

لبنان ورياض الصلح خائفان على استقلال سورية .

بعد انكشاف المؤامرة في حادث السيارة العسكرية، بدأت الصيحات من الداخل والخارج تنطلق بآن واحد "لانقاذ سورية من الضياع" وكان الضياع في رأيهم هو أن تتمكن سورية من متابعة نهجها الديمقراطي المستقل عن المحورين العربيين ومن وراءهما. ففي يوم 1950/11/28 أقام نائب حمص عبد الحميد رسلان (من الحزب الوطني) حفلة عشاء على شرف رئيس فرع حزب الشعب في حمص راتب الحسامي حضرها بعض أقطاب الحزب الوطني وتناولت الأحاديث إقامة ائتلاف بين الاحزاب، بينما كان الحزبان في السابق على أشد ما يكون من الخصومة والخلاف، وادعى المجتمعون ان الائتلاف الذين يقترحون هو "لدفع الأخطار التي تتهدد البلاد من الداخل والخارج، وقد أبدى المجتمعون ارتياحهم لهذه الفكرة لما يعلق على تحقيقها من خير عام لانقاذ البلاد من الاخطار المحدقة بها" النصر : 1950/11/29.

وفي اليوم ذاته قالت جريدة "الاهرام" ان المباحثات بين رياض الصلح رئيس وزراء لبنان وبين رجال الحكومة المصرية تناولت "ضرورة المحافظة على الاستقلال السوري".

وكانت "النهار" قد ذكرت لمراسلها في القاهرة ما يلي، تحت عنوان: "وسائل انقاذ سوريا: "علم أن الخطوط الرئيسية للتعاون بين الدول العربية في سبيل صون استقلال سوريا قد رسمت في المباحثات التي دارت بين أركان الحكومة المصرية والسيد رياض الصلح بحضور نجيب الراوي ممثل العراق ووزير المملكة العربية السعودية المفوض بالقاهرة".

فإذا أضفنا إلى ذلك التصريحات الأميركية عن "قلق واشنطن" على الاستقرار في المنطقة أدركنا الهدف من وراء المؤامرة الفاشلة.

وكانت حكومة رياض الصلح تستمد العون والتأييد من حكم القوتلي في سوريا، وقد انقلب الموقف بعد استمرار سورية في تشبثها باستقلالها الاقتصادي، كان هذا بالوقت الذي اشتدت فيه

وطأة المعارضة لحكومة رياض الصلح في الاوساط السياسية اللبنانية.

لهذا لم ير الصلح مخرجا من الازمات التي تتخبط بها حكومته سوى عودة القوتلي وأصدقائه القدامى الى الحكم، فبذل نشاطا كبيرا بالاتفاق مع مصر والسعودية في هذا السبيل. مما دعاني للادلاء بالتصريح التالي لوكالة انباء الشرق بتاريخ 1950/10/29 :

"من المضحك أن تتنطع حكومة رياض الصلح لبحث قضية الاستقرار في سوريا بينما تقوم الثورات الدامية متتالية في لبنان ويتدخل فيها الجيش فتقصف طائراته ومدافعه القرى اللبنانية الآمنة، وينسف الجيش البيوت بدون تفريق لمجرد الانتقام والارهاب غير حاسبين أي حساب للنساء والأطفال (إشارة الى حركات العصيان في جرود بعلبك والهرمل) ومن المضحك حقا والمؤسف أن تبيح حكومة رياض الصلح لنفسها التعرض لقضايا سوريا بينما الشعب اللبناني نفسه وبأكثريته المثقفة الواعية يناهض حكما انبثق عن مجلس 25 أيار.

وسئلت عن موقف الحزب العربي الاشتراكي من العلاقات الاقتصادية السورية اللبنانية فقلت :

"نحن كحزب يعمل على تحقيق الوحدة العربية لا نفرق مطلقا بين مصلحة اللبنانيين ومصلحة السوريين والعرب أجمعين، وهذا الايمان يجعلنا نقاوم كل استغلال مصدره فئة من الناس لفئة أخرى، ولقد مر الوضع الاقتصادي بين سوريا ولبنان في مرحلتين:

الأولى في عهد الانتداب الذي تعمد في ذلك الوقت أن يتحكم البعض في شؤون لبنان وبالتالي في شؤون سوريا، وكانت هذه الفئات آلة طيعة في يد المستعمر فراحت تستغل جهود البلدين الشقيقين استغلالا جشعا بشعا سيئا كانت من نتائجه أن عاش البلدان مدة من الزمن بدون أي منهاج اقتصادي سليم يراعي مصلحتيهما.

أما المرحلة الثانية فتبدأ بعد قيام العهد الدستوري النيابي فيهما، وقد استمرت العلاقات الاقتصادية على ما كانت عليه في السابق على أساس استغلال المستثمرين والشركات في لبنان وأصحاب النفوذ في البلدين.

وكان سكوت الحكومات السابقة على هذا الاستغلال لجهود الشعب السوري يعود إلى اعتبارات شخصية وطبقية كانت قائمة بين الحاكمين في البلدين، وعندما حصلت القطيعة التي جاءت نتيجة لإزاحة الطبقة الحاكمة المستغلة في سوريا وانهيار أحد جانبي هذه الشراكة، قامت قائمة المسؤولين في لبنان وإلى الآن لم تهدأ.

إن على المسؤولين في لبنان ان يدركوا جيدا بأنه مهما اختلفت الحكومات في سوريا فإن الاقتصاد السوري لن يكون مسخرا لمصلحتهم ومصلحة شركائهم من لبنانيين وأجانب". وبعد نشر هذا التصريح باسبوع ذكرت جريدة "النهار" ما يلي:

"لا يزال بعض الصحف يلغط بتصريح الاستاذ اكرم الحوراني متهما إياه بالتدخل في شؤون لبنان، غامزا من قناة السوريين، مهولا "بمطامحهم" مع أن السيد اكرم الحوراني هو من اقرب السوريين الى لبنان، وأكثرهم تحررا، ويذكر اللبنانيون خطبته الشهيرة في المجلس السوري في تشرين 1943 ردا على مزاعم المندوب السامي الفرنسي الذي اتهم الحكومة السورية بالتآمر مع السوريين الطامعين بلبنان".

وقد أدلى الحوراني إلى مراسل "النهار" الخاص في دمشق بتصريح حول ما يوجه اليه من تهم التدخل قال فيه :

من الغرابة أن تتهمنا الحكومة اللبنانية وأبواقها و "زلمها" بالتدخل في شؤون لبنان الداخلية، وهي وأبواقها و "زلمها" قد جعلت الدس على الحكومات السورية المتعاقبة، شغلها الشاغل، ولم تتردد في الاعلان عن عدائها للوضع السوري القائم وفي العمل جهرا لقلب هذا الوضع واعادة أصدقائها الى الحكم.

ليس في سوريا من أجاز أو يجيز لنفسه التدخل في شؤون لبنان، ولم يقم سوري مسؤول يعلن في المجلس النيابي، شأن السيد رياض الصلح مثلا "أن في لبنان مأساة"، وجل ما هنالك ان سوريا لها كل الحق في الدفاع عن كيانها وحماية أوضاعها ضد الذين يعملون لنسف هذه الأوضاع، وهي حرة في مفاوضة من تشاء وعدم مفاوضة من تشاء، وحرة في اقامة العلاقات الاقتصادية وغير الاقتصادية مع من تريد، وحرة كذلك في تنظيم اقتصادها على النحو الذي تشاء، وذلك كله من شأنها وحدها لأنه شرط سيادتها.

أما الذين يتهموننا بالتدخل في شؤون لبنان فإنهم يفترضون استمرار العقلية القديمة في سوريا، ليس لسوريا أي مطمع في لبنان، ولا تريد للبنان غير الخير، ولا تطلب منه سوى حسن الجوار، ونحن واثقون ان الشعب اللبناني لا يريد لسوريا كذلك الا الخير، وواثقون بالتالي أن الشعب اللبناني يفهم حرص السوريين على العمل لبناء المستقبل الذي يريدونه لأنفسهم.

ليس ثمة مشكلة بين الشعبين، اما العلاقات بين الحكومتين فتستقيم عندما تحترم كلتا الحكومتين شعور شعبها تجاه الشعب الآخر، وتحترم سيادة الدولة الأخرى، وتمتنع عن العمل لقلب أوضاع لا يعنيها أمر استمرارها أو زوالها".

□

تركت محاولة اغتيال الشيشكلي ثم اغتيال العقيد سامي الحناوي بعد اسبوعين في بيروت أثرا نفسيا وسياسيا، فقد تملك الشيشكلي وقادة حزب الشعب الخوف، فقام هذا الحزب مع الجيش باسترضاء السعودية التي أدت الاتصالات معها الى رحلة القدسي غير المنتظرة الى الرياض بتاريخ 1950/11/5 مصطحبا معه وزير الدفاع العقيد فوزي سلو. وهو الشخص الذي أصبح الشيشكلي يستخدمه كستارة لنفوذه في الجيش، ثم أكمل القدسي تجواله بعد السعودية الى بغداد وعمان وبيروت والقاهرة بحجة السعي لاقناع الدول العربية بالتصديق على معاهدة الضمان الجماعي وانشاء اتحاد فدرالي عربي مما أثار دعاة مشروع الاتحاد مع العراق في المجلس النيابي وزاد من شكوكهم وتخوفهم من جنوح سياسة حزب الشعب نحو المحور السعودي المصري، ولكن الأمر الذي لم يقدره حزب الشعب ان هذه التسوية مع السعودية لن تكون لمصلحة هذا الحزب، بل ستكون لمصلحة قيام ديكتاتورية عسكرية في المستقبل القريب.

□

لم أكن أقصد تأزيم العلاقات بين سورية والسعودية، وانما كنت استهدف أن يكون هذا التفاهم الذي يجريه القدسي معها على أساس احترام استقلال سورية عن المحاور العربية والدولية،

ولا يمكن لهذه العلاقة أن تتحقق إلا على أساس كشف المؤامرة ومعاقبة المشتركين بها، ولذلك أفهمت الشيشكلي بأن أي تستر سوف يجر إلى نتائج سياسية خطرة، فسمع أديب النصيحة، ونشر في الاذاعة والصحف قرار قاضي التحقيق العسكري مظهر وصفي مساء يوم 1950/11/11 وفيما يلي مختصر له :

كتائب الفداء العربي .

إن المدعى عليهم : حسين توفيق، عبد القادر عامر، هاني الهندي، جهاد ضاحي، جورج حبش، من حيث تشكيلهم جمعية "كتائب الفداء العربي" بقصد ارتكاب الجنايات على بعض الناس وعلى حياتهم وعلى الأموال يشكل الجنايات المنصوص عنها والمعاقب عليها بأحكام المادة (325) من قانون العقوبات.

وإن المدعى عليهم: عباس الخرسان، زهير اليوسف، جودت ضاحي، بهجت العلبي، عبد الحسيب العلبي، فتحي الكتكاني، اسماعيل كامل، عبد الرحمن الشرقاوي، موسى الحمدان، طارق الخضيري، عاصم الشيخ، انضموا إلى الجمعية المشار اليها وتحققوا من مقاصدها بدليل اشتراكهم في بعض الجرائم كما سيأتي، فعملهم هذا يشكل أيضا الجناية المنصوص عنها والمعاقب عليها بأحكام المادة (325) المنوه عنها.

وأما المدعى عليهم: فهد المولى، نجيب كحيل، محمد علي النويلاتي، انطون الحمصي، يوسف البنا، توفيق قبطان، خالد العثماني، فقد أثبت التحقيق انتماءهم إلى هذه الجمعية إلا أنه لم تقم ادانة تثبت اطلاعهم على حقيقة أهدافها وغاياتها الاجرامية، ولم يثبت اشتراك احد منهم في أي جرم من الجرائم التي قامت بها الجمعية وجل ما في الأمر أنهم اعتقدوا أن هذه الجمعية جمعية قومية لها غايات وطنية نبيلة.

ثم يعدد قرار الاتهام العمليات التي أقدم عليها المنتمون الى جمعية الفداء العربي الذين وردت أسماءهم، فوجه تهمة القتل عمدا في حادث نسف الكنيس اليهودي الذي حدث أيام حسني الزعيم وأسفر عن قتل ثلاثة عشر شخصا وإصابة واحد وعشرين الى جهاد ضاحي وفتحي الكتكاني وموسى حمدان.

ووجه تهمه محاولة قتل الكولونيل سترلينغ مما أدى الى قتل طاهي الكولونيل أثناء المحاولة الى جودت ضاحي وعبد القادر عامر وفتحي الكتكاني، كما وجه تهمة التدخل بمحاولة قتل سترلينغ الى جهاد ضاحي وحسين توفيق اللذين كانا يقومان بالمراقبة اثناء محاولة القتل، ووجه الى الخمسة المذكورين تهمة اطلاق النار على الخفير الليلي.

أما تهمة نسف مدرسة الأليانس في بيروت الذي لم يسفر عن خسارة في الأرواح فقد وجهت الى السوري هاني الهندي والى جورج حبش وطارق خضيري وعاصم الشيخ غير السوريين.

كما وجهت تهمة إلقاء متفجرة على المفوضية البريطانية الى جودت ضاحي وإلى بهجت العلبي الذي نقله بسيارته الى مكان الحادث، أما إلقاء المتفجرة على المفوضية الأميركية فقد وجهت التهمة فيه الى حسين توفيق وعبد القادر عامر والى عباس الخرسان الذي راقب الطريق.

ووجهت تهمة وضع لغمين وتفجيرها في الحي اليهودي الى جهاد ضاحي وشقيقه، وأما حسين توفيق وزهير اليوسف فقد وجهت إليهما تهمة تفجير مبنى الاغاثة في دمشق مما أدى إلى مقتل الخفير الليلي.

أما المدعى عليه أحمد الشرباتي فإنه بعد الاطلاع على بعض الاعمال الإرهابية التي قامت بها الجمعية فقد وجهت إليه تهمة مؤازرة الجمعية بالمال.

وأما الدكتور امين رويحة فقد وجهت إليه تهمة التحريض على قتل أديب الشيشكلي، وتهمة التدخل في محاولة تامة للقتل عمدا، كما انه ارتكب جناية التدخل في القيام بالأعمال الإرهابية التي قامت بها جمعية كتائب الفداء، باعتبار أنه أمد رجالها بالسلاح والمال، كما أنه ارتكب جناية التحريض على قتل الملك عبدالله.

ووجهت الى نشأت شيخ الأرض تهمة أخذ الأموال من السعودية وتسليمه الى أمين رويحة ليؤمن هذا الأخير تزويد الجمعية بالمال والسلاح للقيام باغتيال الملك عبدالله.

أما حسين توفيق وعبد القادر عامر وعباس الخرسان وزهير اليوسف فقد وجهت إليهم تهمة محاولة اغتيال أديب الشيشكلي ومرافقيه من الضباط.

بينما وجهت تهمة حيازة الأسلحة والمتفجرات للقيام بالأعمال الآنفة الذكر إلى : أمين رويحة، حسين توفيق، عبدالقادر عامر، عباس الخرسان، زهير اليوسف، جهاد ضاحي، فتحي الكتكاني، موسى حمدان، جودت ضاحي، هاني الهندي، جورج حبش، طارق خضيري، عاصم الشيخ، بهجت العلبي، عبد الرحمن الشرقاوي، اسماعيل كامل، عبد الحسيب العلبي.

□

لقد أدركت جميع الأطراف القصد من نشر هذا القرار بالوقت الذي يجتمع فيه رئيس وزراء سوريا مع الملك عبد العزيز آل سعود.

بينما تقدم نائبا حمص فيضى الاتاسي وراتب الحسامي الى المجلس النيابي بالسؤال الآتي :

"إلى مقام رئاسة المجلس النيابي الموقر: دمشق في 1950/11/22 .

شاع منذ ايام أن مفوضية المملكة العربية السعودية أبلغت الحكومة السورية مذكرة احتجاجية حول ما تضمنه قرار قاضي التحقيق العسكري في قضية كتائب الفداء العربي عما تعلق بالحكومة العربية السعودية، وبعد أن نوهت الصحف المحلية بالمذكرة الاحتجاجية عمد بعضها الى نشر المذكرة الكاملة وقد جاء في غضونها الفقرة التالية : "ان لدى الحكومة السعودية ما يدل بوثائق صريحة أن المحقق معهم عذبوا وضربوا لالزامهم بأن يقرروا ما يريد التحقيق الزامهم به لغاية يبتغيها في الصاق التهم بالابرياء". فهل هذا النص مطابق لما تلقته وزارة الخارجية؟ وما هو موقف الحكومة من هذه التهمة؟ وهلا تري الحكومة أن التزام الصمت بعد تمام نشر المذكرة في الصحف لا ينطوي على شيء من الخير؟

نائبا حمص : فيضي الاتاسي وراتب الحسامي"

□

في تلك الفترة، اي أواخر عام 1950، كان بالإضافة الى قضية السيارة العسكرية ثلاث دعاوى كبرى أخرى أمام القضاء :

دعوى اغتيال سامي الحناوي في بيروت، وما كشفته مرافعات المحامين من تلاعب السياسة الأميركية بحسني الزعيم، وارتباط الحناوي بسياسة نوري السعيد، ودعوى اغتيال العقيد محمد ناصر، ودعوى مؤامرة منير العجلاني.

لقد أدانت هذه الدعاوى الحكومات العربية في العراق والأردن ومصر والسعودية ولبنان بالتدخل بشؤون سورية الداخلية، هذا بينما كانت سورية تغلي لدعم مطالب مصر بجلاء القوات البريطانية وتحقيق وحدة وادي النيل.

وقد كنت في جلسة البرلمان يوم 1950/11/20 أول المعلقين على العرائض العديدة التي وردت الى المجلس النيابي من الطلاب وفئات الشعب معلنة التأييد لنضال الشعب العربي في مصر فقلت :

"سيدي الرئيس: مهما حاولت أبواق الاستعمار والعملاء المأجورين في البلاد العربية فإنها لن تستطيع قطع الأواصر القومية بين الشعوب العربية، إن الشعب العربي في كل قطر يعتبر نفسه جزءا من أمة واحدة هي الأمة العربية، ولذلك فإن الشعب العربي في سوريا قد أظهر عواطفه الحقيقية نحو الشقيقة مصر وشاركها في نضالها ضد الاستعمار، ونحن بصفتنا نوابا عن هذه الامة نشاطر الشعب العربي في مصر شعوره ونعلن بأننا في جانبه بهذا النضال. وإننا نرجو الله ان يوفق الشعب المصري والشعوب العربية الأخرى في نضالها لتكسير القيود الاستعمارية، وعند ذلك فإن الوحدة العربية ستحقق بعون الله لا محالة".

ثم تكلم عدد من النواب فـي الموضـوع ذاتـه، بمـا يعبـر عـن مدى اهتمام الشعب السوري بتحرير الشعوب الأخرى في البلدان التي كان حكامها في ذلك الوقت يتآمرون لجـر سـوريا الـى تيـارات النفوذ الاستعماري.

1950: غـزوة إقطاعيـة علـى أمـلاك الدولـة - تـأميم شركة حصر التبغ والتنباك (الريجي).

كان ازدهار زراعة القطن في أوائـل الخمسـينات حـدثا هامـا بالنسبة للاقتصاد السوري، فبعد أن كانت سورية تستورد الاقطـان لسد حاجة معامل الغزل والنسيج ارتفع محصـول القطـن السـوري عام 1950، وبشكل مفـاجيء، الـى اكثـر مـن 45 الـف طـن، وكـان لظهور هذه الثروة الزراعية المفاجئة من الاثر ما لظهور البترول في الدول الفقيرة. واذا كانت تلك الدول قد دعت البترول باسم الـذهب الأسود فإن "الذهب الأبيض" صار يعني القطـن فـي سـوريا، وكـان لنجاح زراعة القطن وارتفاع أسعاره في الأسـواق العالميـة بسـبب الحرب الكورية أثر كبير للتوسع بزراعته في السنوات التاليـة حتـى صارت سوريا في مقدمة الدول المصدرة للانواع الجيدة من القطـن في المنطقة العربية.

فكأن الطبيعة التي أنزلت بثـروة سـوريا مـن أشـجار الزيتـون تلك الكارثة الضخمة في ذلك الشـتاء، عوضـت عليهـا فـي الصـيف بموسم القطن الباهر[1] ، على أن أهم ما فـي الأمـر هـو أن نجـاح زراعة القطن اقترن باستيلاء الاقطاعيين على ملايين الدونمات من أراضي أملاك الدولة العامة والخاصة، فزاد ذلك مـن حـدة الخلافـات بين الاقطاعيين والفلاحين، وقد فضح هذا الاستيلاء الواسـع علـى أراضي أملاك الدولة الوضع الاقطاعي بشكل لم يعـد مـن الممكـن التستر عليه.

فقد كان الاقطاعيون يدعون فـي الماضـي بـأن الاقطاعيـة لا وجود لها الا في محافظة حماه، كما كانوا ينكرون الاعتداءات علـى

(1) بلغ الدخل القومي في عام 1950 استنادا لاحصاءات الـدوائر المختصـة فـي الدولـة 1250 مليـون ليرة سورية، وكان قيمة ما استوردته سوريا خلال الربع الثالث من عام 1950 بلغ 50 مليون ليرة. وبلغ قيمة ما صدر من القطن السوري خـلال المـدة نفسـها 50 مليـون ليـرة، كمـا قـدرت كميـات القمح المصدرة حتى نهاية الربع الثالث من سنة 1950 بـ 40 مليـون ليـرة سـورية، وقـد صـرحت مصادر رسمية، ان باستطاعة سوريا بما تصدره من قمح وقطن فقط أن تسـدد ثلاثـة أربـاع أرقـام استيرادها (جريدة النصر 1951/1/31).

أمـلاك الدولـة التـي اسـتمرت مـن عهـد الانتـداب الفرنسـي ولـم تتوقف، أما الآن فلم يعـد ثمـة مجـال للانكـار والتسـتر بعـد أن أخـذ الاغتصـاب شـكلا حـادا شرسـا وبعـد يقظـة الفلاحـين التـي كانـت عاملا في فضح هذه الاغتصابات التي كان الخوف والتغاضي يلفها في الماضي.

وفيما يلي لقطات نموذجية من المناقشـة التـي جـرت فـي المجلس فـي جلسـة 1950/12/7، حيـث يلاحـظ أن الأمـر الجديـد فعـلا هـو أن المطالبـة بإلغـاء الاقطاعيـة، وتحديـد الملكيـة، وتوزيـع أراضي أملاك الدولة على الفلاحـين، لـم تعـد مقتصـرة علـى قـادة الحزب العربي الاشـتراكي ونوابه، بـل أصـبحت تتـردد علـى لسـان عدد من نواب الكتل والأحزاب الأخرى.

قال جادالله عز الدين (من جبل الدروز) :

"سيدي الرئيس: بين العرائض التي تليت علينا الآن عريضة يطلب فيها مقدموها إعادة الأراضي التي اغتصبها منهم بعض الاقطـاعيين، وعنـدما اقتـرح في الجمعية التأسيسية تحديد الملكيـة فـي الدسـتور لـم يلـق هـذا الاقتـراح تأييد، وأعتقد أن هذا التساهل شجع الذين لا يتورعـون مـن الاقطـاعيين علـى التسلط على أملاك الدولة ووضع يدهم عليها.

ولذلك فإنني أسأل الحكومة: ما هو موقفها من هذه الاعتـداءات علـى أملاك الدولة؟".

وتكلم محمد العاشوري (من أدلب - حزب الشعب) فقال :

سيدي الرئيس : لقد نشرت إحدى الصحف اليوم خبرا مفـاده أن شـيخ عشائراتهم شقيقه - وهو نائب فـي هـذا المجلـس - باغتصـاب مـا يقـرب مـن مليـون ونصـف مليـون دونـم مـن أراضـي الجزيـرة مـن الفلاحـين المسـاكين، بسطوته وقوة نفوذه، فما هو قول النائـب الكـريم بهـذه التهمـة؟.. إننـي ألفـت نظر الحكومة الى ضرورة التحقيق فـي هـذه القضـية المهمـة وأن نطلـع علـى نتائجها ".

كما وقف نواب عديدون آخرون الموقف ذاته، وقد عقبت علـى كلمـاتهم بقولي :

"إنني أؤيد ما قاله الزملاء . ولكنني أختلف معهم بالطريقة التي يجب أن يعالج بها هذا الموضوع، لأنني أعتقد أن الحكومة مسؤولة مسؤولية كبرى. فقد سمعنا كثيرا عما يجري في الجزيرة، وسمعنا الأعاجيب عن اغتصاب اراضي املاك الدولة التي تنتقل بسرعة الى أيدي الاقطاعيين، في حين ان الفلاحين والبدو الرحل الذين تغنينا بتحضيرهم وتوطينهم في الاراضي يحرمون من هذه الاراضي التي هي ملك للدولة.

إن أراضي أملاك الدولة التي يغتصبها الاقطاعيون ليست ملكا لآبائهم وأجدادهم، وكل هذه الاغتصابات تجري دون أي اهتمام من قبل الحكومة التي انبثقت عن دستور يقال إنه تقدمي، ولقد بتنا نعتقد أن هذه التقدمية، إذا استمر الحال على هذا المنوال هي حبر على ورق، ولذلك فإنني أسأل الحكومة عن الخطة التي تتنوي تطبيقها لكي تمنع الاقطاعيين من استملاك الأراضي الشاسعة الواسعة.

ولقد قرأت في الصحف أن الحكومة أوقفت عمليات التسجيل في الجزيرة، وهذا التدبير تدبير سلبي لا يفيد شيئا، ونحن نريد منع الاقطاعيين من التمادي في اغتصاب أملاك الدولة، كما نريد أن تحرر وتسجل هذه الاراضي وتوزع على الفلاحين والبدو الرحل.

وبهذه المناسبة أود أن أسأل الحكومة عن موقفها من مشاريع الري الكبرى، فثمة شائعة تقول إن مشروعا في الجزيرة (مشروع تل مغاص على الخابور) يملكه أشخاص معدودون، فما هي خطة الحكومة الزراعية والاجتماعية تجاه هذا المشروع؟.. هل يجوز أن تنفق الدولة ملايين الليرات على هذه المشاريع لتصبح بالتالي ملكا للاقطاعية؟

إن مثل هذه الامور لا يمكن أن تجري في أي بلد من بلاد العالم. وإن هذه المظالم وهذا الفساد سيؤدي إلى الانفجار، إنني أطلب من الحكومة أن تضع منهاجا كاملا لمعالجة هذه القضايا".

فكان جواب الحكومة على لسان وزير الاشغال أحمد قنبر ما يلي :

"إذا كان هذا الذي تكلم به الزملاء انما يريدون به معالجة أوضاع عامة متسلسلة الينا منذ عشرات السنين فإن ذلك يحتاج لاكثر من مناقشة عابرة لأن الموضوع أعمق وأخطر من ذلك بكثير، فإن هنالك ملايين الدونمات من الاراضي قد انتزعت من اراضي املاك الدولة العامة والخاصة، انتزعت عن

طريق التحايل حينا وعن طريق التواطؤ مع الحكام حينا، وعن طرق أخرى أحيانا أخرى، كل هذه الأمور تحتاج الى معالجة من قبل الحكومة واجراءات تمنع التمادي، كما أنها تحتاج الى بحث وإعادة نظر فيها من الناحية القانونية، إنها تحتاج الى ايجاد تشريع يحمي الاراضي الشاسعة من ان تتسرب الى أيادي الافراد عن طريق القانون الراهن، كما أنه يجب أن يعاد النظر فيما اغتصب وامتلك وفقا لنصوص الدستور، ولا سيما في الملكيات الواسعة التي وصلت الى بعض الايادي بالتحايل على القانون أو بالتواطؤ، ولا أعتقد أن الحكومة تستطيع أن تبت في هذا الموضوع في شهر أو شهرين، لأنه موضوع قديم متسلسل منذ عشرات السنين في هذه البلاد.

وأما فيما يتعلق بمشروع الري الذي أشار اليه الزميل الاستاذ اكرم الحوراني فإن هذا المشروع لم ينته بعد، وهو سينتهي في أواخر عام 1951، وسنباشر في وقت قريب بري الاراضي منه والحكومة تضع الآن مشروع قانون للاستفادة لا من ري مياه الخابور فقط بل من ري جميع المشاريع الأخرى التي تقوم على تنفيذها الدولة، وسنتخذ هذه القوانين وسيلة لتحقيق كل المباديء التي نص عليها الدستور فيما يتعلق بالأراضي، وإنني أشارك الزميل السيد عبد العزيز حسن بك فيما قاله بان التعدي على أملاك الدولة لم يكن محصورا في وقت من الأوقات بالجزيرة فقط، ولكنه يقوم في الجزيرة على نطاق واسع، واستطيع أن أقول إنه يجري في مختلف أنحاء البلاد".

فأجبت أحمد قنبر بقولي :

"إنني أستميح وزير الاشغال العامة عذرا إذا اضطررت للاجابة على بعض النقاط التي وردت في كلمته: إننا يا سيدي لا نقول كلمة عابرة، وإن هذا المجلس يشهد أن لنا مواقف ووجهة نظر واضحة منذ عام 1943 في موضوع الأراضي والملكية الزراعية الذي نعتبره مشكلة الامة العربية لا مشكلة الشعب السوري فقط، إنه مشكلة الشرق العربي بأسره، ولذلك سنبحث هذا الموضوع دوما بمناسبة وبدون مناسبة، ولنا الفخر أن نبحث في هذا الموضوع دوما وأن نذكر الحكومات التي بيدها السلطة، نحن لا نملك السلطة التي تملكها الحكومة، فنحن نوجه الحكومة ونراقبها ونطلب اليها أن تنفذ المشاريع والأمور التي تحتاج إلى التنفيذ، وإن هذا الموضوع ليس بالجديد، وهو موضوع واضح جدا. لأن القوانين السارية المفعول منذ عهد الانتداب حتى الآن لا تجيز لشخص ان يتملك ثلاثين ألف دونم مثلا من أملاك

الدولة، وإن التشريع الذي صدر في عهد الفرنسيين لا يسمح بهذه الملكيات الواسعة لأراضي أملاك الدولة، وإذا شاء وزير الأشغال العامة فليرجع الى التشريعات التي أصدرها الفرنسيون بهذا الخصوص، ليرى بأن القانون لم يطبق في هذه البلاد، وأن كل متنفذ اغتصب من أراضي أملاك الدولة أكثر مما هو مسموح به قانونا، تارة بطرق الاحتيال، وأخرى بطريق التواطؤ مع الموظفين، ولو أن الحكومات السابقة والحكومة الحالية نفذت القوانين السارية المفعول لما نشأت هذه الاقطاعيات الكبرى على حساب أملاك الدولة، هذه الاملاك التي هي حق للفلاحين والعاطلين عن العمل، إذن فالقضية ليست قضية تشريع فحسب بل هي مشكلة عدم تطبيق حتى النصوص التشريعية النافذة، وها قد صدر الدستور الآن، فما الذي يمنع الحكومة من أن تطبق أحكام القوانين؟ وما الذي يمنعها من أن تعرض على المجلس القوانين الجديدة المتعلقة بتحديد الملكية الزراعية؟.. فلو أقر المجلس تحديد الملكية الزراعية لامتنع وتوقف الكثير من سوء الاستعمال، وما الذي يمنع الحكومة من مراقبة مديرية أملاك الدولة مراقبة شديدة، ومراقبة الموظفين الذين يتواطأون مع الاقطاعية ومعاقبتهم؟.. وإذا قلنا بأن ملايين الدونمات تذهب عن طريق التواطؤ والرشوة فليس هنالك مبالغة.

إننا لم نعد نكتفي بالحلول السلبية كايقاف التسجيل، بل نريد حلولا ايجابية، نريد من الحكومة أن تتبنى قانون حماية الفلاح، وتحديد الملكية، ولا نسمح لها أن تتهاون في تسرب الأراضي الى الاقطاعيين، إنني أقول بكل صراحة إذا أردتم ايراد الامثلة على ذلك فإنني مستعد لاعطاء الأمثلة من الماضي وفي زمن هذه الحكومة الحاضرة، وليس ذلك في الجزيرة فقط، بل في الجزيرة وفي دمشق وفي كل انحاء سوريا تغتصب أملاك الدولة من قبل الاقطاعيين، وهذه الاراضي ليست ملك آبائهم واجدادهم بل هي ملك الدولة فيجب أن توزع في نطاق المصلحة العامة.

وهنالك سؤال لم يجب عليه وزير الاشغال، وهو سؤال الزميل فريد مرهج فيما يتعلق بأملاك الدولة العامة. فهنالك أراض في الغاب مسجلة باسم أملاك عامة حول قسم منها الى أملاك الدولة الخاصة، وإن هناك مشروعا لاستثمار هذه الاراضي يقوم على اساس المزاودة في استئجار الأرض، ونحن نختلف مع الحكومة في هذا الموضوع كل الاختلاف ونرى أن توزع هذه الأراضي على الفلاحين".

فأجاب وزير الأشغال :

"أنه لم يصدر أي مرسوم بتحويل أي قطعة أرض من أملاك الدولة العامة الى أملاك الدولة الخاصة، سوى قطعة صغيرة لا تتجاوز بضع دونمات حولت لتكون وقفا لجمعية خيرية في حماه لا أذكر اسمها، وأما فيما يتعلق بكيفية استثمار اراضي الغاب فإن مجلس الوزراء في عهد الوزارة السابقة كان قد اتخذ قرارا بمنع تسجيل أي قطعة من أراضي الغاب ونقلها لأي شخص كان، ومعنى ذلك أن مجلس الوزراء قد منع انتقال الاملاك العامة الى أملاك الدولة الخاصة ريثما يتم مشروع الغاب وتجفيفه ووضع نظام خاص بكيفية استثماره".

ثم استطرد: "أما ما يتعلق في الناحية التي أشار إليها الزميل الاستاذ أكرم الحوراني من أن بعض كبار المزارعين، أو من يسميهم الاقطاعيين، يستطيعون أن يشتركوا في المزاودة وأن يضعوا يدهم على قسم كبير من هذه الأرض فأقول ان هذه الناحية لم أفكر بها بعد، لأن الاهتمام انحصر بإيجار هذه الاراضي لمدة سنة واحدة فقط، وفي خلال هذه السنة لا أعرف ما هو الضرر الكبير الذي يصيب الدولة اذا جرى ذلك عن طريق المزاودة التي فضلتها لأنها تضع حدا لاستغلال النفوذ والوساطات والشفاعات".

كانت تلك الجلسة البرلمانية الهامة وما أثارته من تعليقات في الصحف والمنتديات فضيحة كبرى للاقطاعية.

□

حاولت الاقطاعية أن تتستر على جرائمها بتمثيلية مضحكة حشدت لها دعاية صخمة لايهام الرأي العام بأن الاقطاعيين يوزعون أراضيهم طوعا على الفلاحين. فقد نشر حسين الايبش بيانا في الصحف قال فيه إنه وزع 61 ألف دونم من "أراضيه" في منطقة الهيجانة القريبة من دمشق "المدفوع ثمنها لخزينة الدولة من ست سنوات" على 210 عائلة فلاحية. وسرعان ما انطلقت معزوفة الحمد والثناء على هذا "العمل الانساني" في الصحف السورية وبعض الصحف اللبنانية غير أن هذه التمثيلية لم تجز على أحد، بل بالعكس كانت مدارا للهزء والسخرية، خصوصا بعد أن أصدرت مديرية أملاك الدولة بيانا أوضحت فيه أن هذه الأراضي هي ملك للدولة كان حسين الايبش قد وضع يده عليها وأنها لا تزال موضع نزاع قضائي لايجاد تسوية.

عودة العلاقات الاقتصادية بين سورية ولبنان .

ومن المواضيع الهامة التي اتخذ فيها موقف نهائي أواخر عام 1950 موضوع استقلال سورية الاقتصادي، والمفاوضات الاقتصادية مع لبنان، **حيث دأب بعض النواب من دعاة مشروع الاتحاد على إثارة هذا الموضوع باستمرار، فلقد اتخذ جماعة نوري السعيد من انصار الاتحاد شعار الوحدة الاقتصادية مع لبنان سبيلا لتحقيق جبهة قوية مع نظام الحكم في لبنان وعراق نوري السعيد ضد الوضع القائم في سورية،** وكان الوضع اللبناني والبورجوازية اللبنانية والاعلام اللبناني من القوة بحيث يمكن استخدامها من قبل نوري السعيد وانصاره في سورية بفعالية ضد الوضع السوري.

ففي جلسة 1950/12/20 أثار حسني البرازي وعبد الرحمن العظم وجلال السيد هذا الموضوع بمناسبة السؤال عما وصلت اليه المفاوضات الاقتصادية بين سورية ولبنان، فاضطررت للعودة الى هذا الموضوع وقلت ردا على هؤلاء النواب:

سيدي الرئيس :

لم يكن الوضع الاقتصادي السابق بيننا وبين لبنان سائرا باتجاه قومي صحيح فمما لا يفيد القومية العربية والوحدة العربية أن نتغنى بها وأن يكون القسم الاعظم من شعبنا عراة حفاة في سبيل طبقة مستثمرة محتكرة في لبنان، ان هذا ليس من القومية العربية وليس من الوحدة العربية ولا من المنطق السليم في شيء.

نحن نعلم أن المسؤولية في البلاد العربية انما تقع على سورية بالدرجة الأولى، ولنفرض ان غزوا صهيونيا وقع على لبنان فمن هو المكلف بالدفاع عنه؟ ان سورية هي المكلفة بذلك، ولهذا يجب عليها أن تقوم بتهيئة جميع الشؤون المؤدية إلى تقويتها.

إن سورية لا يمكن أن تكون قوية إلا إذا كانت اقتصادياتها مبنية على أساس سليم، وأنا أقول أن الوضع الاقتصادي مع لبنان أيام الانتداب لم يكن وضعا صحيحا رغم أنه كان قائما على ما يشبه الوحدة الاقتصادية.

إن في لبنان بورجوازية تتمتع بترف كبير. وكان هذا الترف على حساب الشعب السوري، وليست القضية بيننا وبين لبنان قضية قطيعة بل هي قضية اقتصادية اقتضتها ضرورة الدفاع عن الاقتصاد السوري.

لقد أراد لبنان أن يجعل من نفسه محطة للاستيراد الذي تمتصه سورية وخاصة في الاشياء الكمالية التي لا يجوز لسورية أن تستوردها من الخارج ولذلك كان هنالك خلل في الميزان الاقتصادي السوري.

ثم وجهت كلامي الى رئيس الحكومة ناظم القدسي قائلا :

"ونحن يا دولة الرئيس لسنا وحيدي الطرف في هذا الموضوع، فإذا طال أمد المفاوضات فذلك لا يعود أمره إلينا نحن فقط بل إنه يعود إلى لبنان نفسه، وإن هذا المجلس الكريم قد بت سابقا بشأن هذا الموضوع باجماع كلمته، وإن الشعب السوري ايضا قد بت به باجماعه، إذن فلا حاجة لاثارة هذا الموضوع من جديد، فالشعب السوري بأكمله يؤيد الحكومة فيه".

ثم ألقى رئيس الحكومة ناظم القدسي كلمة أوضح فيها بعض جوانب هذا الموضوع الذي لم تنته المفاوضات بصدده، فقال :

"في حزيران الماضي، بعد أن نالت الحكومة ثقة مجلسكم الكريم، ذهبت بنفسي إلى لبنان وفي أول بحث كان لي مع الوفد اللبناني المفاوض بحضور رئيس الحكومة اللبنانية، أوضحت في غير غمغمة ولا لبس ولا غموض سياسة سوريا الاقتصادية فقلت لهم إننا كنا نسير معكم خلال السنوات الخمس الماضية وبعد جلاء الاجنبي عن بلدينا، بموجب اتفاقية المصالح المشتركة. وقد جربنا خلال هذه المدة جميع الاساليب لنتفق معكم على سياسة تضمن مصالح البلدين ولكننا مع الاسف لم نصل الى النتيجة المطلوبة، وبعد مأساة فلسطين رأت سوريا ان طبيعة بقائها تحتم عليها أن تختط سياسة واقعية صحيحة تحفظها من الاسواء المقبلة، وأنها ما دامت أمام خطرين، خطر معروف لسنا بحاجة الى وصفه، وخطر داخلي هو الجهل، فإنها تحتاج الى جيش قوي لاتقاء الخطر الأول، والجيش يحتاج إلى مال، كما تحتاج مكافحة الجهل بالتعليم الى المال ايضا، لذلك كان لا بد من انتهاج سياسة اقتصادية توفر المال المطلوب، لا سيما وأن سوريا تنفق في الوقت الحاضر ما يقرب من عشرين بالمائة من ميزانيتها على محاربة الجهل، كما تنفق ما يقارب عشرين بالمائة من ميزانيتها على تقوية الجيش.

من هذه الحقائق توصلنا إلى سياستنا الاقتصادية الجديدة اعتقادا منا أنه لن يستطيع بعد الآن أي بلد من البلدان ان يعيش في الجهل ومن غير جيش يحمي كيانه ما دام الخطر الصهيوني جاثما على قلب البلاد العربية.

وعلى هذا فقد دعونا لبنان إلى وحدة اقتصادية بينه وبين سوريا فلم نلق ترحيبا بهذا العرض، لذلك اضطررنا أن نسير سيرا واضحا دافعه سياسية تحفظ حقوقنا ومصالحنا وأقول بقاءنا.

وإن سياستنا الجديدة لا تقوم على الطلاسم ولا على الغموض، بل هي تستند الى الحقائق البسيطة وأعني بها أن كل بلد لكي يعيش يجب أن يجعل صادراته اكثر من وارداته، لأن الاستيراد بمثابة الصرف والتصدير بمثابة الوفر، وكل بلد بل كل فرد لا يستطيع ان يوازن بين صرفه ووفره يكون مصيره الى الافلاس المحتم.

ان أحدا لا يستطيع أن يدعي أننا في مفاوضاتنا مع الحكومة اللبنانية نهجنا نهج المجافاة أو المعاداة أو المماطلة للمماطلة، بل على العكس فقد أقمنا في كل يوم برهانا على أننا نريد أن نصل الى حل، ولكن الى حل يضمن مصالحنا ولا يضر بمصالح لبنان. وأقول وأكرر أمامكم اليوم بأننا لا يمكن أن نقبل بحال من الأحوال اي حل يضر بمصالح سوريا مهما كانت الاسباب والدوافع. ولهذا فإني أطرح الثقة بالحكومة على سياستها الاقتصادية، فإن شئتم دعمنا مضينا في انقاذ اقتصاديات سوريا بما لا يضر لبنان، ومشينا مع لبنان بما لا يضر بمصالح سوريا. وإلا اعتزلنا الحكم وأفسحنا الطريق أمام غيرنا لتولي مسؤولياته.

انني أعلن بصراحة إيماننا القوي بأننا اذا لم نعالج اقتصادياتنا في هذه المرحلة ونعطيها الأولوية بالاهتمام فلن نستطيع أن نستمر في الحياة، اذ أن الاقتصاد الصحيح هو الذي يؤمن المدارس وهو الذي يؤمن السلاح وهو الذي يؤمن القوت والكساء، وبالتالي هو الذي يؤمن القومية الصحيحة، وان كل قومية لا تستند إلى بسطة في العيش تتمتع بها الاكثرية الساحقة من الشعب ليست بقومية صحيحة.

اننا نتحدث كثيرا عن الوطن والوطنية وأرجو أن تسمحوا لي أن أقول لكم بوضوح ان كل وطنية لا تهدف الى اسعاد اكبر عدد ممكن من أفراد الشعب هي وطنية زائفة؟

من هذه الأسس نستلهم المباديء التي نتفاوض عليها مع لبنان. وأقول لكم بصراحة ان مفاوضاتنا التي جرت حتى الآن لم تصل الى نتيجة".

وقد طلب القدسي اجراء التصويت على سياسة حكومته الاقتصادية، وبلغ عدد الذين اشتركوا في التصويت 62 نائبا. فكان الموافقون 54 والمتسنكفون 4 والمخالفون اربعة... .

تأميم شركة الريجي (اي شركة حصر التبغ والتنباك) .

بتاريخ 1935/2/19 أصدر المفوض السامي الفرنسي القرار ذي الرقم 38 الذي منح بموجبه امتياز احتكار التبغ في سورية ولبنان الى شركة مساهمة من الجنسية اللبنانية باسم الشركة المغفلة ذات المنفعة المشتركة لاحتكار التبغ والتنباك في سورية ولبنان برأسمال قدره مليون ليره سورية لبنانية ثم زيد الرأسمال بعد ذلك الى 127500 ل. س. ل .

لقد كان رأسمال هذه الشركة بمعظمه وطنيا ولكن الاشراف والتوجيه والادارة كان فرنسيا، وكان امتياز هذه الشركة مع غيرها من الشركات الفرنسية الأخرى وسيلة لاستثمار سورية اقتصاديا والسيطرة عليها سياسيا، وقد قررت وزارة هاشم الاتاسي التي كنت عضوا فيها كوزير للزراعة أن تؤمم هذه الشركة اعتبارا من أول كانون ثاني 1951، وأبلغت الشركة فورا قرار الحكومة، وفي تاريخ 1950/2/1 ألفت وزارة خالد العظم، وكنت فيها وزيرا للدفاع، لجنة للقيام بالدراسات التي تمكن الحكومة من تنفيذ القرار في موعده المحدد.

ولو كانت حكومة ناظم القدسي التي أتت فيما بعد أكثر اهتماما بشؤون التوعية والاعلام لوضحت الموقف ونشرت هذه المعلومات التي كانت تقطع الطريق على ما جرى من مظاهرات في حلب تولى قيادتها حزب البعث للمطالبة بأمر تحقق في عهد الحكومة التي كان الاستاذ ميشيل عفلق عضوا فيها، ولكن الحكومة تأخرت إلى ما بعد قيام المظاهرات وقدمت تقرير اللجنة بشأن استعادة امتياز شركة الريجي.

وبشكل خجول حاول نائبا منطقة اللاذقية أحمد علي كامل (حزب وطني) وعبد اللطيف اليونس (مستقل) استغلال الطائفية كوسيلة للدفاع عن بقاء امتياز الشركة. فتصدى لهما بعض الانواب ولا سيمالا رفيقنا احسان الحصني الذي قال:

"انني الاستغرب كل الاستغراض ان يعود أحد الزملاء الى ذكر المظاهرات التي قامت مؤخرا، وسواء كانت هذه المظاهرات موجهة أو غير موجهة فقد ظهر من بيان وزير المالية أن الترتيبات التي اتخذت فيما يختص بشركة الريجي كانت سابقة لهذه المظاهرات. اذن لا مجال للقول أن الحكومة قد طأطأت الهام أمام ضغط الشارع. كما أني استغرب ان يؤدي الحماس بالزملاء الى ان تجري على السنتهم بعض العبارات التي كنت أود أن لا أسمعها تحت قبة البرلمان: كالقول مثلا (محافظة اللاذقية - استضعفوك فأكلوك) إن أبناء الأمة جسم واحد، ولا يعقل أن يأكل الجسم بعضه بعضا.

ان الحكومة بما اتخذته من تدابير قد أنقذتهم من شركة كانوا إلى الامس القريب يشكون من اضطهادها للفلاح الفقير ويحتجون من جورها. وأما القول بأن المشاريع التي تتولاها الحكومة مشاريع فاشلة قياسا على مصلحة الميرة والاعاشة فهذا القول غير وارد أيضا لان المبدأ الذي قامت عليه الميرة والاعاشة لم يكن مبدءا سيئا لكن الذين قاموا على شؤون هذه الدوائر كانوا سيئين وانني لاستغرب جدا أن يقال بأننا نخشى على مصلحة المزارعين. وسبب استغرابي هذا هو أننا لا نخشى على هذه المصلحة والاجنبي يقوم على ادارتها ونخشى عليها والحكومة التي هي من الشعب تقوم على ادارتها، فاذا وجدنا ان الحكومة قد اشتطت أوانها الحقت غبنا بأبناء منطقة اللاذقية فإن من يخشى على ابناء هذه المنطقة هو رقيب على الحكومة ويمكنه ان يحاسبها. واني أختم كلمتي هذه بالرجاء الى الحكومة ان تدرس موضوع التأميم حتى يكون ناجحا وحتى تتوفر فيه جميع الشروط من ايجاد اسواق وتحسين انتاج وغير ذلك.

أما رأي الحزب الوطني بتأميم الشركات فقد ورد بمقال في القبس اقتطع منه ما يلي :

"ابت حكومة حزب الشعب إلا أن تحقق الاشتراكية أو التقدمية في عهدها السعيد، وأن تؤمم الشركات المساهمة، لتثبت للأمة انها ليست

رجعية مثل الحكومات الوطنية السابقة، وهي تعلم مثل الناس جميعا أن شر الادارات التجارية وأسوأ المؤسسات الاقتصادية والمالية هي التي تتولاها الدولة مباشرة، ولعل فشل الحكومات كلها في الاعاشة والميرة هو خير برهان على ان جهاز الحكم والادارة والقائمين عليه في هذه الدولة لا يشجع على عدم تأميم الشركات فقط، بل يشجع حتى على "تلزيم" بعض دوائر الدولة للشركات، وحبذا لو أن شركة وطنية أو أجنبية مثلا تعهدت أشغال الدولة من طرق وأبنية وحفر آبار وتجفيف مستنقعات، إذن لكانت أعمالها أصلح من أعمال الدولة وتكاليفها أقل منها.

ان موعدنا مع هذه الحكومة "التقدمية" التي تحاول أن تقلد بريطانيا في تأميم، الشركات، هو نهاية عام 1951، فإما أن نهنئها على نجاح "اشتراكيتها" إذا بقيت الواردات على حالها، مع أن عدد المدخنين يزيد كل سنة بمعدل عشرة آلاف مدخن، وإما أن ..." - القبس 31 / 12/ 1950

وقد تم تأميم شركة الريجي ثم تبعها تأميم شركات الماء والكهرباء والخطوط الحديدية عام 1951 .

85

1951: قضايا مختلفة طرحت أثناء مناقشة موازنة عام 1951: تأميم الشركات الأجنبية، موضوع الاوقاف الذرية، عودة الى موضوع نهب أراضي أملاك الدولة، الحملة تشتد على الجيش والحكومة بعد التأميم.

كانت دورة كانون الثاني 1951 البرلمانية مخصصة لمناقشة الموازنة العامة، وقد كانت الأكثرية المجلسية تحول بيننا وبين عضوية لجنة الموازنة.

كانت مناقشة مواد الموازنة هي الفرصة التي تتيح لنا مناقشة وبحث كل ما نرى ضرورة لبحثه، لذلك لم تقتصر هذه الدورة على مناقشة الموازنة والتصويت على موادها بل تعدتها الى كثير من الشؤون الجوهرية الهامة.

وسأعرض في هذا الفصل بعضا من هذه الشؤون التي تعكس الصورة الحقيقية للبلاد بشكل عام في تلك الفترة.

تأميم الشركات الاجنبية في سورية :

استيقظ الشرق في مطلع عام 1951 على نهب الاستعمار الغربي لثرواته المعدنية وموارده الطبيعية، ففي ايران استمرت المظاهرات الصاخبة أياما عديدة احتجاجا على شركة البترول الانكلو إيرانية، وكان المتظاهرون يطالبون بتأميم صناعة النفط وإلغاء امتياز عام 1933 الممنوح للشركة المذكورة، وقد هاجمت المعارضة البرلمانية، التي تمثلت بالجبهة الوطنية- حكومة رازمارا وأخذت عليه عدم مراعاته المصالح الوطنية في سياسة حكومته البترولية .

وهكذا تتلاقى الحركات الوطنية التقدمية في استفاقتها ويقظتها، ففي اليوم الذي كان يتظاهر به الشعب الايراني لاسترداد ثرواته المنهوبة، كانت صيحتنا في مجلس النواب

السوري تنطلق محذرة من استغلال الاجنبي لثروات البلاد، ففي جلسة 1951/1/2 قلت كلمة ورد فها ما يلي :

"وأحب بهذه المناسبة أن أشكر الحكومة على البيان الذي أصدرته والمتعلق بتأميم الشركات الأجنبية كشركة الكهرباء والنقل مثلا. وإن كان هذا التأميم قد بت به في السابق بالنسبة لشركة كهرباء حمص حماه وشركة كهرباء دمشق وشركة الماء والكهرباء في حلب، ومع ذلك لا يسعنا إلا أن نكرر شكرنا للحكومة على تبني هذه الخطوة لأنني أعتقد أن الشركات الأجنبية في بلادنا تورم خبيث يجب أن نتخلص منه نهائيا، لأن الاستعمار في حقيقته هو استعمار اقتصادي واسطته الشركات الأجنبية، ونتمنى على الحكومة أن تسير قدما في هذا الطريق، وأنا على يقين بأن جميع الأحزاب توافق على تأميم الشركات الأجنبية، إننا نريد من الحكومة أن تكون جريئة وأن تتبع هذه الخطوة خطوات أكثر جرأة".

وكانت الحكومة قد تقدمت إلى المجلس النيابي بطلب استعجال النظر في مشروع التأميم فكان موضع معارضة من الرجعية في المجلس وعلى رأسها حسني البرازي الذي قال :

"إنني لا أرى سببا موجبا لإقرار استعجال هذا المشروع لأن هذا الأمر حيوي بسلبيته وايجابيته، بنجاحه وفشله، وأنا من أول المقتنعين بأن الاختصاصيين في هذه البلاد قليلون جدا، سواء من الناحية النظرية أو من الناحية العملية". واستطرد مشككا بقدرة سوريا المالية على التأميم قائلا : "ان هذا العمل يحتاج الى مئات الملايين من تعويض وتكاليف".

فاضطررت للرد عليه قائلا :

"لو كان هذا المشروع المعروض على المجلس الآن يتعلق بتأميم الشركات الوطنية لقلنا بأن الأمر يستحق المناقشة والبحث، لكن القضية ليست قضية تأميم شركات وطنية وإنما هو تأميم شركات أجنبية، أي أن الأمر ليس خلافا بين الاشتراكية والنظام الاقتصادي الحر، وإنما هو أمر يمس الاستقلال مباشرة، إن شعبنا منذ أن استفاق وناضل ضد الاستعمار أحس بعمق أن الاستعمار هو اقتصادي بالدرجة الأولى، والدليل على ذلك أن أحداث عام 1936 في سورية انطلقت شرارتها من الاحتجاج على شركة كهرباء

دمشـق، ولا أزال أذكـر تلـك الوثبـة فـي حمـص وحمـاه تجـاه شـركة الكهربـاء الأجنبية.

ان النضال في هذه البلاد استمر منذ 25 عاما ضد الشـركات الاجنبيـة، فالقضية المعروضة على مجلسكم هي قضية وطنية وقوميـة، فـلا داعـي إذن للاحتجـاج بـأن بلادنـا ينقصـها الخبـراء والاختصاصـيون، ان هـذه كانـت حجـة الفرنسيين عندما كان الشعب يطالب بالاستقلال، هذه كانت حجة الاسـتعمار الفرنسي إزاء مطالب الشعب التحررية، ونحن بـالرغم مـن أننـا نعتـرف بتواضـع بأننا بحاجـة إلـى الخبـرة والاختصـاص فـإن هـذا لا يمنعنـا مـن الموافقـة علـى مشروع التأميم المقـدم مـن قبـل الحكومـة، وأنـا أعلـم ان معظـم الاخصـائيين والخبراء الذين تستخدمهم الشركات الأجنبية هم من السوريين الذين يقومون على إدارة شؤونها؟

ان القضية هي قضية مسـتعجلة وهـي وطنيـة وقوميـة وأرى أن نـدعم الحكومة بهذه الخطوة الجريئة" كما قلت :

منذ سـنين عندما عرضت قضية الشركات الاجنبية على هذا المجلـس وعندما تناقشـنا مع وزير الاشغال العامة آنذاك وسـألناه هـل ان شـركة كهربـاء حلب قد سرقت من أموال الشعب أربعة ملايـين ليـرة؟ فلـم يسـع الـوزير فـي ذلك الحـين الا أن يعتـرف بسـرقة الشـركة لهـذا المبلـغ، ولكنـه قـال بسـذاجة عجيبة بأن القضية كانـت غلطـة حسـابية بسـيطة، ولا شـك أن الـزملاء الـذين كـانوا اعضـاء بـالمجلس فـي ذلـك الحـين يـذكرون هـذه الفضـيحة جيـدا إننـا نستصـرخ وجـدان الشـعب السـوري وضـميره عنـد اللـزوم إذا لـم يكـن لـدى الحكومة المال الكافي وكانت الخزينة عاجزة عن تسديد ما يقتضيه تأميم هذه الشركات، وأعتقـد أن الشـعب سـيلبي النـداء وهـو علـى اسـتعداد لأن يقـدم المال اللازم للخلاص من استغلال الشركات الأجنبيـة... يقولـون إن للشـركات الأجنبية حقوقا. وأنا لا أؤمـن بتلـك الحقـوق مـا دام قـد ظهـر بنتيجـة التفتـيش الذي قامت به الحكومة أن أربعـة ملايـين ليـرة سـورية قـد سـرقت مـن جيـوب الشعب.

وقد عدت للكلام مرة أخرى، رادا علـى تشـكيك وتخويـف بعـض النـواب المعارضين لهذا المشروع، فقلت :

"أما الناحية السياسية لهذا الموضوع فيجب أن نبحثها بوضوح، ولم نحاول أن نسدل عليها الستار؟؟.. ان قضية الشركات الأجنبية كانت منطلقا لنضال شعبنا، فهل يمكن بعد هذا النضال الطويل ان لا تكون عقلية الاجنبي قد تبدلت بالنسبة لاحترام استقلال الشعب السوري وسيادته؟ انني أعتقد بأن الأجانب سوف يقدرون كل التقدير أن وضعنا قد اختلف عن السابق وأننا مستقلون وان موضوع التأميم موضوع داخلي بحت وحق من حقوق السيادة".

□

زارني العقيد أديب الشيشكلي في منزلي، بعد قرار الحكومة بتأميم بعض الشركات الاجنبية، ومعظمها برؤوس أموال فرنسية، وكان يرتاب بموقف حزب الشعب ويدعي بأن تأميم الشركات كان بتحريض من الانكليز، وأن هذه الخطوة ستسيء للعلاقات بين سوريا وفرنسا، المصدر الوحيد الذي يمد الجيش بالسلاح.

قلت له : هب أن ما تقوله صحيحا، فمن مصلحتنا أن نستغل التناقض الاستعماري، ولا أعتقد أن رد فعل فرنسا على التأميم سيكون الامتناع عن تسليح سوريا، فهذا أمر مستبعد جدا، ومع ذلك فهل يمنحنا الفرنسيون هذا السلاح مجانا أم أنهم يتقاضون ثمنه نقدا وبالقطع النادر؟

الحملة على الجيش والحكومة تشتد بعد التأميم :

اشتدت المعارضة في حملتها في المجلس النيابي بعد التأميم على الحكومة وعلى الجيش معا.

ولا يخفى سر هذه الحملة إذ أن التأميم مهما كان شأنه صغيرا محدودا فإنه بعبع للاستعمار، وأن فتح هذا الباب في سورية سيهدد وجود الاستعمار ومصالحه الحيوية- البترولية بالدرجة الأولى - في المنطقة العربية، فليس من المستغرب أن يستشري هجوم الاجهزة الاستعمارية، وكانت جلسة 51/1/14 التي ناقش فيها المجلس مشروع قانون بفتح اعتماد مبلغ 14

مليون ليرة لوزارة الدفاع مناسبة لكي يشن حسني البرازي حملة مركزة على الجيش والحكومة فاضطررت للرد على هذه الحملة :

"اننا نسمع ونشاهد أمورا لا يصح السكوت عليها، بل أصبح من الخيانة أن نسكت عنها، ان من يقرأ الصحف الأجنبية يتصور أن كل فرد من أفراد الشعب السوري يحمل مسدسا مصوبا نحو الآخرين، وان هنالك انقلابات تجري كل يوم واضطرابات دائمة في سوريا، وتجاه هذه الدعايات الخبيثة المنظمة سواء في البلاد العربية أو الأجنبية يصبح الانسان الذي لديه تفكير سليم يؤمن بأن للصهيونية اليد الطولى في هذه الحملات والدعايات، لأن بلدنا هو البلد العربي الذي يهيء نفسه للوقوف في وجهها في الصراع القادم، لذلك فإن من مصلحة الصهيونية أن تسيء لسمعة سورية وأن تنشر عنها الأكاذيب.

وهذا أيضا شأن الدول الاستعمارية التي يهدد نهوض سورية مصالحها انهم يثيرون الدعايات ضد سورية لأجل أن يقدموا بعض الأعذار للشعب العربي المضطهد في الأقطار الأخرى، وليوهموا ان البلاد العربية التي نالت استقلالها هي في أوضاع متردية اكثر من البلاد التي لم تنل استقلالها، وهي اكذوبة ينشرها الاستعمار في البلاد المغلوبة على أمرها والتي لم تتمكن بعد من تحطيم قيودها، ولكن شعبنا الذكي الذي قدم التضحيات الجسام لا يمكن أن تنطلي عليه الدعايات.

أما فيما يتعلق بالجيش فنحن لا نريد أن يتدخل الجيش في السياسة، ولكننا لا نريد أن نتخلص منه كما حدث في الماضي عندما دخل الى فلسطين وتعداده لا يتجاوز آلافا قليلة دون أن يكون مزودا بالسلاح والعتاد اللازم فكانت الكارثة التي لم تصب سورية فحسب بل أصابت الأمة العربية بأجمعها.

نحن لا نرضى ان نجعل قوى الأمن اكثر عددا من الجيش كما كان الأمر في السابق ولا نرضى ان تمتهن كرامة الجيش ولكن ليس معنى هذا اننا نريد أن يتدخل الجيش في السياسة.

إن من ينظر الى الأمور نظرة منصفة يتأكد بأن الوضع في سورية هو أحسن بكثير مما هو عليه في البلاد العربية الأخرى التي لا تزال مكبلة

بالاغلال ورازحه تحت وطأة الاحتلال وإن وضعنا يتحسن يوما بعد يوم وشهرا بعد شهر.

إن هذا الشعب بفضل وطنيته واخلاصه قد تمكن من الخلاص من فرنسا نفسها ومن جيش فرنسا الذي كانت تعيش في ظله الحكومات الرجعية (كان حسني البرازي مرارا وزيرا ورئيس وزراء في حكومات عهد الانتداب). **نحن الآن لا نعيش تحت سلطة الجيش اذ لو كان الأمر كذلك لما تجرأ البعض على التعرض للجيش بمناسبة وفي غير مناسبة. ولو وقع مثل هذا التعرض في أي بلد آخر لما قبلت به الحكومة ولما رضي به الشعب. وإذا كانت هنالك بعض الأوضاع الشاذة فبالإمكان معالجتها من قبل المجلس والحكومة ووضع حد لها. إذ ليس من الوطنية وليس من الاخلاق ان نتعرض للجيش فنهين كرامته ونصور الاوضاع في بلادنا تصويرا كاذبا كئيبا كالحا خلافا للحقيقة والواقع".**

كما رد رئيس الوزراء ناظم القدسي بالكلمة التالية :

"بمناسبة اقرار القانون المتعلق بفتح اعتمادات جديدة لتقوية اسباب الدفاع عن بلادنا، أراد احد حضرات السادة النواب لفت النظر الى ضرورة عدم وقوع اخطاء عند صرف هذه الاعتمادات في حين عمد السيد حسني البرازي الى اعادة ما اعتاده في كل جلسة فقام ينبهنا الى المحافظة على ما سماه الكرامة القومية، وأن كرامة هذا المجلس وكرامة هذه البلاد مداسة من قبل اجنبي. ومضى بعد ذلك يندب الحرية المضاعة، مع أن الحرية لم تبلغ في سوريا يوما من الايام الشأن الذي بلغته الآن.

انكم تذكرون ولا شك الملابسات الكثيرة التي احاطت بوضع الدستور، وتذكرون ولا شك تلك المحاولات المختلفة والمتنوعة التي قامت للحيلولة دون اقراره، وكيف أن هذه المحاولات كانت تتلبس الوانا مختلفة، ولكنها في الوقت ذاته تسعى وراء هدف واحد، هو هدف الحيلولة دون اخراج دستورنا الجديد الى حيز الوجود، ذلك لان مثل هذا الدستور يزعج الكثير من المصالح الاجنبية والرجعية لا في سوريا فحسب بل في مختلف البلاد العربية ويهزها هزا.

اننا نتحمل الكثير من النقد والكثير من الملاحظات، ونحن لا نفعل ذلك الا حبا بالوصول الى وضع الامور في نصابها الطبيعي، اذ كلنا يعلم اننا نريد من جيشنا ان يهتم بامور الدفاع عن سلامة بلادنا فحسب، وليس فينا من يرضى بغير ذلك، ولكنه يعلم في الوقت نفسه ان للامور طبيعة لا يمكن الا ان تجابه في حقيقتها، فجيشنا قام بثلاثة انقلابات متوالية، ولم يمض على الانقلاب الاخير سنة واحدة، ونحن ملزمون في سبيل الوصول الى الوضع الطبيعي ان نجعل هذا الجيش يؤمن بأن الشعب يرعاه، ويبذل في سبيله، ويساعده على تقوية نفسه، ولتمكينه من القيام بواجب الدفاع الا سمى عن الوطن. لقد عرفنا بأننا من الغيورين على كرامتنا القومية، واني اذ اعلن ذلك لا أهدف الى تشجيع اي تجاوز من سلطة على أخرى وانما اريد أن أقول بصراحة انني أفضل ان يدوسني أحقر فرد في هذه البلاد على أن يدوسني أشرف اجنبي على وجه الأرض".

دفاع عن حل الاوقاف الذرية .

وفي جلسة 1951/1/27 البرلمانية أثيرت مسألة الاوقاف الذرية وطرحت، اقتراحات بعرقلة وتجميد المرسوم الذي صدر بحلها، فحلت دون ذلك :

- سيدي الرئيس لا احب الاطالة بعد الابحاث القيمة التي تفضل بها الزملاء، ولكن لا بد لي من كلمة في هذا الموضوع فالوقف اذا كان موجودا من قبل الاسلام ومنذ عهد اليهودية وعهد موسى فانه اذا كان يناسب المجتمعات البدائية فانه لا يتناسب بشكل من الاشكال مع الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي تسود القرن العشرين واعتقد اذا اجاز الاسلام الوقف فان هذا لا يعني ان يبقى الوقف ولو اساء الى المجتمع الاسلامي اقتصاديا واجتماعيا فالاسلام لا يسن سنة تضر بالمجتمع وإنما وجد الاسلام لخير البشر ولخير المجتمع، والدليل على ذلك الحادثة التي رواها الاستاذ مصطفى السباعي كما في الفيء وتقسيم الفيء، وهي معروفة في الاسلام فعندما تدفق الفاتحون العرب الى الشام والى فارس كان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو الذي اجتهد بجعل رقبة الارض عائدة لبيت المال مع ان هنالك نصوصا صريحة وردت في القرآن تتعلق بهذا الأمر (أي بالفيء) ولكن سيدنا عمر كان من الاشخاص العظام الذين بنوا الاسلام على وجه صحيح لانه من الذين يفهمون ان الاسلام انما وجد لخدمة المجتمع وخدمة

الانسانية وان الاحكام تتطور بتطور الازمان. ولكن -مع الأسف- عندما تجوف الذهن والعقل العربي اصبح يحشى ويتكالب على الشكليات ويضيع الجوهر والحقيقة، ولذلك فنحن بالنتيجة متفقون مع الزملاء بأن القضية ليست قضية دينية وانما نبحث على أساس أنها قضية اجتماعية واقتصادية لا سيما وأن الاخوان لم يعارضوا هذا الموضوع من ناحيته الفقهية او من ناحيته الاسلامية وعلى كل حال فانني اريد ان اقول للزميل السباعي اذا كان المرحوم حسني الزعيم قد أصدر في ذلك العهد غير الدستوري هذا المرسوم فانه يعتبر بحق وانصاف خطوة اصلاحية عميقة وبعيدة المدى في نواحيها الاجتماعية والاقتصادية ولا اعتقد انه يوجد انسان في هذه البلاد يقول بأن حل الاوقاف الذرية ليس بصالح المجتمع العربي.

ان هذا المشروع الخطير كان قد قدم الى المجلس النيابي قبل عهد حسني الزعيم ولكن الاهواء والمصالح المتضاربة قد أبقته في اللجان اكثر من سنة واذكر ان الحكومة في ذلك الوقت استردت المشروع بعد ان كاد يقدم الى الهيئة العامة ربما كان المرسوم القاضي بحل الاوقاف الذرية قد صدر بسرعة وربما كانت فيه بعض النواقص ولكنه بلا شك خطوة اصلاحية جريئة، أنا مبدئيا متفق مع الاخوان في السعي لضمان حقوق الضعفاء اذ ان مقدمي هذا المشروع أرادوا هذا الامر لانه صدر عن شعور بالحيف الذي لحق ببعض الافراد من جراء بعض الاحكام التي أصدرتها المحاكم ولكننا يجب ان نقدر الامور بقدرها ولا نذهب بعيدا فانا أسأل الا تخطيء المحاكم بالدعاوي التي تصدر بها أحكام بالشكل الطبيعي وبالشكل العادي بالنسبة الى اموال الناس وعقاراتهم وارواحهم؟ ان هؤلاء القضاة الذين يحكمون بين الناس هم الذين يحكمون في قضايا الاوقاف الذرية فاذا كنتم لا تأتمنون القضاء بالنسبة لاحكام الاوقاف الذرية فيجب ان لا تؤمنوا بالاحكام الاخرى التي تصدر من اجل القضايا الاخرى، اما القول بجعل تلك الاحكام خاضعة للتمييز فأنا أقول بان التحديد والتحرير عندما أوجد وعرضت القضايا امام المحاكم كانت تلك الاحكام تصدر دون ان تكون خاضعة للتمييز ولكن ما الذي دعا المشترع لعدم اخضاعها للتمييز مع ان هذه القرارات موجودة؟

كان الوضع الاستثنائي وحزم المشترع في فصل هذه القضايا هو الذي دعا المشترع لعدم اخضاعها لقرارات محكمة التمييز، هذا هو السبب فما أحرانا نحن وبالنسبة للاوقاف الذرية التي هي محدودة وضئيلة جدا بالنسبة

لقضايا التحديد والتحرير الواسعة المتشابكة التي استقرت عليها الملكيات في هذه البلاد ما أحرانا أن نتوخى السرعة في انجاز القضايا التي من هذا النوع اذ انني أخشى أن تبقى معلقة خمسة وعشرين عاما بدون حل، كما انني اخالف اقرار هذا المشروع الذي لا أزال مقتنعا بأنه مضر بمصلحة البلاد وأن من الواجب ان لا يصادق عليه مجلس النواب بل يرده لان المجلس اذا ما صادق عليه فمعنى ذلك أن قضايا الاوقاف الذرية ستبقى بدون حل وسوف ترون ذلك.

ولكن مع الأسف لم تقف الكارثة عند هذا الحد بل تعدته الى حد آخر لا أعتبره مخالفا للقانون فحسب وانما وهو قضية المفعول الرجعي فان اللجوء الى هذا الامر لا يقضي فقط على الحق المكتسب بل هو بادرة لعدم جعل اية ضمانة لاي حكم تصدره المحاكم، قولوا لي ما هي ضمانة القضاء اذا كنا نصدر في كل يوم قانونا يمحو حكما من الاحكام، ما هو استقلال القضاء بل ما اللزوم لهذا القضاء اذا كنا سنسير في هذا الطريق؟ أنا أعتقد ان موافقة المجلس على المفعول الرجعي تعتبر مخالفة للدستور ومخالفة لاستقلال القضاء الذي ضمنه الدستور كما انها بادرة خطيرة جدا لا يمكننا بشكل من الاشكال ان نوافق عليها والا فيصبح بامكان كل نائب ان يتقدم باقتراح قانون يقضي بالغاء بعض الاحكام الصادرة أو قد يأتينا مشروع قانون بالغاء هذا الحكم او ذاك ولهذا فانني اخالف هذا المشروع من حيث الاساس واعتقد جازما أنه مضر ومسيء لمصلحة البلاد وأن من المفيد ان تنتهي قضايا الاوقاف الذرية بشكل سريع وان تصرف في سبيل ذلك بعض التضحيات لان كل خطوة اصلاحية تتطلب بعض التضحيات من الافراد وتتطلب بعض التضحيات من المجتمع، أما إذا كان هناك بعض حكام لا نثق بوجدانهم ولا بأحكامهم فطريق اصلاح القضاء له اساليب معروفة يجب ان نسلكها والا ان نلجأ الى طرق اخرى ملتوية تسيء الى المصلحة العامة".

عودة الى الحديث عن نهب املاك الدولة وعرقلة المشاريع الزراعية .

ذكرنا قصة "الذهب الأبيض" في سورية باتساع زراعة القطن في عام 1950 والواقع ان زراعة القطن استمرت تتسع باطراد بعد ذلك، في الوقت الذي كان نهب الاقطاعيين يزداد لأراضي أملاك الدولة.

وبدلا من أن يرافق تلك النهضة الزراعية تطور ونمو في مؤسسات وزارة الزراعة التي كنت قد وضعت اسسها عام 1943 فإن تلك المؤسسات كانت موضع تخريب وتلك المشاريع كانت موضع عرقلة وإلغاء.

وهذا ما أثرته في مجلس النواب في جلسة 1951/1/13 :

"سيدي الرئيس بمناسبة السؤال المقدم لمقامكم من النائب المحترم السيد عبد العزيز المسلط والذي يسأل فيه عن الاسباب الذي دعت لتوقيفه عن بذر واستثمار اراضيه الكائنة في الجزيرة والتي هي من أملاك الدولة فانا اريد ان أسأل سؤالا مقابلا له واقول : ما هي الاسباب التي دعت للسماح للنائب المحترم باستثمار وبذر هذه الاراضي التي صدر قرار من الحكومة بمنعه من بذرها واستثمارها؟

اقدم هذا السؤال للحكومة وأسألها هل ان منع السيد عبدالعزيز المسلط او سواه عن استثمار أراضي املاك الدولة يعتبر حلا لمشكلة الاراضي في الجزيرة انا اقول بالنفي لان هذا المنع لا يعتبر حلا بل يعتبر موقفا سلبيا فقط وقد سبق لي ان تقدمت بسؤال للحكومة بل رجوتها ان تقف الموقف الايجابي من معضلة الجزيرة واعتقد ان القضية تنفيذية اجرائية كما سبق للمجلس ان تناقش فيها كثيرا عندما قرر تأليف لجنة للتحقيق مع ان الامر لا يحتاج للتحقيق ولا للتدقيق ويعلم معالي وزير الزراعة، كما يعلم معالي وزير الداخلية بانه كثيرا ما قدمت تقارير ضافية الى الحكومات المتعاقبة تصف الوضع هناك بصورة مفصلة كما تصف الحلول الواجب اتباعها ولكن مع الاسف فلا هذه الحكومة ولا الحكومات السابقة وقفت الموقف الذي تقتضيه مصلحة البلاد.

لـذلك نحـن نعتقـد ان القضـية ليسـت اقتصـادية وقوميـة وحسـب بـل خطيرة ما دامت الجزيرة تقع على الحدود الشمالية لبلادنا ولذلك نريـد ونرغـب ان تحل الحكومة هذه المشكلة حـلا ايجابيـا وتقـف مـن هـذا الموضـوع موقفـا حاسـما حازما لانه اذا لم تستطع الحكومة حل هذه القضية فليس بامكانهـا ان تحل اية قضية اخرى، واني لاسأل أخيرا ما هي الاسباب التي دعت الحكومـة إلى التغاضي عن حل هذه المعضلة حتى الآن".

كان من اغرب المصادفات التي تكشـف عـن طبيعـة العلاقـات بـين الاسـتعمار الاجنبـي والاقطاعيـة فـي البلـدان المتخلفـة، أن مجلـة "ميـدل إيسـت جورنـال" الاميركيـة نشـرت فـي تلـك الفتـرة بالـذات (يـوم 6 شـباط 1951) مقـالا بقلـم "موظـف بـوزارة الزراعـة الأميركية". يـدعى الـدكتور عفيـف طنـوس وصـف فيـه الاقطـاعيين بأنهم تقدميون وقال :

"ان الجماعـات التقدميـة فـي لبنـان ومصـر وسـوريا والعـراق والمملكـة العربية السعودية تعمل بإخلاص ونشاط كبيـرين لاصـلاح الاراضـي وتحسـينها وازدياد الانتفـاع مـن مواردهـا ان هـؤلاء هـم الامـل الحقيقـي للسـير بمنطقـة الشرق الاوسط في طريق التقدم والعمـران، وإن الحقيقـة المشـجعة هـي أن هذه العناصر الطيبة ليست بين الطبقة المثقفة وأصحاب المهـن فحسـب، بـل بين زعماء القبائل والملاكين الكبار ايضا. فقد شرع بعضهم في تنفيـذ مشـاريع الاصلاح الواسعة، ويستعد القسـم الاكبـر الاخـر لتقـديم كـل مسـاعدة عنـدما تباشـر الحكومات القيام بأي مشروع وطني من هذا النـوع، وقـد اقترحـوا وضـع قوانين جديدة لاصلاح الاراضي وتوزيعها وحسـن اسـتثمارها، ومنهم من كرسـوا الجهود الكبيرة لتوزيع ممتلكاتهم الواسـعة علـى فلاحـيهم، إن هـؤلاء الزعمـاء يعتبرون دعامة لنجاح البند الرابع[1] في البلدان العربية". - النهار 1956/2/7.

متابعة موضوع توزيع امـلاك الدولـة علـى الفلاحـين والبـدو في جلسة 1951/4/5.

- سـيدي الرئيس، في عـهد وزارة فخامة الرئيس هاشـم بـك الاتاسـي فكر لاول مرة في موضوع البلعاس وقد كانت قـرارات المفـوض السـامي تحـرم

(1) نـوع مـن المسـاعدات الاميركيـة كـان يقـدم للـدول المتخلفـة، وقـد اصـطلح علـى تسـميته آنـذاك "بالنقطة الرابعة".

على الاهلين استثمار حرم البلعاس زراعيا، ولكن في الواقع ان الحكومة الغت هذا التحريم بقانون آنذاك لان السلطات التشريعية كانت معطاة للوزارة فالغت هذا التحريم وسمحت باستثمار اراضي حرم البلعاس ووضع نظام بكيفية استثمارها وهو ينص على استثمارها من قبل الفلاحين ومن قبل البدو ايضا ولكن بنسبة ضئيلة للفلاحين وبنسبة كبرى للبدو، وكان القصد من ذلك ان يتعلم البدو الحديثو العهد بالزراعة وفلاحة الاراضي الاصول المتبعة لدى الفلاحين الممتهنين ولكن مع الاسف مضى على حكومة الرئيس الاتاسي ما يقرب من عامين ولم يطبق هذا النظام ولا قامت وزارة الزراعة بأي تدبير حازم واعتقد ان السبب في ذلك يعود الى تدخلات شخصية من قبل المتنفذين لوضع اليد على هذه الاراضي، والا فما هو المانع من تطبيق النظام منذ سنتين حتى الآن، فنحن نريد ونأمل من وزارة الزراعة ان تنظر الى هذا الامر بعين الجد واذا شاءت فلتطبق النظام الموضوع منذ عامين او تعيد النظر فيه وتضرب عرض الحائط بكل تدخل من قبل أي متنفذ او أي طامع بهذه الاراضي فالذي يهمنا نحن هو ان تعطى هذه الاراضي الى الفلاحين والى البدو وان تمنع على كبار المتنفذين والمستغلين لسلطة الدولة ونفوذها واعتقد ان النظام الذي صدر منذ عامين ينص على صيانة حرج البلعاس، هذا الحرج الثمين، ويتعهد الفلاحون الذين يستثمرون الحرم بالمؤازرة والحراسة مع تشكيل مديرية خاصة لضمان هذه الحماية ولذلك فإن الموضوع جد خطير بالنسبة لبلادنا ولهذا المنطقة الهامة ونحن نأمل ايضا بعد تشكيل مصلحة السبر ان تبدا هذه المصلحة بحفر الابار في تلك المنطقة تسهيلا لاستثمارها.

المشاريع الانمائية ومشاريع الشرب للفلاحين .

كانت مناقشة موازنة وزارة الاشغال العامة في جلسة 1951/1/2 مناسبة للتذكير بالمشاريع الانمائية التي كان يتطلع اليها الشعب إبان النهضة الزراعية والاقتصادية التي شهدتها البلاد في تلك الفترة، فسألت الحكومة عن المراحل التي وصل اليها موضوع مشروعي الغاب واليرموك.

وردا على وزير الاشغال الذي قال: "اما مشروع اليرموك فليس هناك غير دراسة لا أستطيع أن أقول إنها أولية بل ابتدائية

تتناول المشروع بصورة اجمالية فقط ولا يمكن ان يقال عنها إنها دراسة فنية بل هي دراسة ابتدائية". قلت :

ان الاتجاه في تنفيذ هذه المشاريع يتضمن تشكيل أجهزة لاجراء الدراسات وللتنفيذ وهذا ما جرت عليه الحكومات السابقة بشأن مرفأ اللاذقية ومشروع اليرموك ونحن اذا طالبنا الحكومة بالتنفيذ فاننا نعلم ان جهاز وزارة الاشغال العامة ضعف وعجز عن تنفيذها فلا بد والحالة هذه من ايجاد جهاز يقوم بالدراسة وبالتنفيذ بالنسبة لمشروع الغاب.

اما المشروع الاخر فانا أعتقد انه ليس له دراسة اولية فقط بل دراسات تفصيلية ولا أدري ما اذا كانت سرقت من وزارة الاشغال وقد يكون ذلك صحيحا، اما ما نريد ان نلفت اليه نظر الحكومة هو اننا نتطلب مشاريع منتجة كمشروع الغاب مثلا وهو جليل جدا يمكن ان يزيد في ثروة البلاد العامة مائة مليون ليرة سنويا ومثل هذا المشروع لا يجوز ان يتأخر تنفيذه وكذلك مشروع اليرموك الذي سبق ان شكل الجهاز الذي يقوم على تنفيذه لا يمكن ان تبقى الدراسة بشأنه في وزارة المالية اكثر من ستة شهور لاننا نريد الاسراع في هذه المشاريع الحيوية الهامة ونحن اذا ألحفنا والححنا في هذا الموضوع فلنا كل الحق ان نطالب الحكومة بان تضع هذه المشاريع في الدرجة الاولى وأن ترجيء الامور الثانوية والفرعية الاخرى.

ثم تكرر البحث في جلسة 1951/1/4 حول المشاريع الانمائية فعدت الى الالحاح حول البدء بتنفيذ مشروع الغاب والمشاريع الاخرى. وكنت في كل مناسبة ألفت النظر الى ان المشاريع الانمائية يجب الا تستغل لصالح الاقطاعيين بل أن تكون لمصلحة الشعب، لذلك فإنني عند بحث موازنة مصلحة الري في جلسة 1/10 اقترحت ان تعمل هذه المصلحة في المشاريع ذات المنفعة العامة، وان لا تسخر لمصلحة افراد كائنا من كانوا.

تخلف الأوضاع الاعلامية .

كان الاعلام ولا يزال من أخطر الاسلحة التي استخدمها المستعمرون والخصوم ضد البلاد، ومن المؤسف ان العرب لم يستخدموا حتى الآن وبشكل فعال هذا السلاح الخطير في خدمة القضية العربية، وفي أوائل عام 1951م كان الجهاز الاعلامي لا

يزال بدائيا في سوريا، وعندما طرح في المجلس موضوع تطوير الاذاعة رأى بعض النواب أن يشكل مجلس لتوجيه الاذاعة من خمسة أعضاء بينهم مدير الاوقاف فعلقت على هذا الاقتراح بكلمة ورد فيها :

اننا نعلم بأنه يوجد في كل مجلس اكثرية كما توجد اقليات سياسية فاذا كان المقصود ان يكون بين اعضاء مجلس الاذاعة اشخاص يمثلون مختلف هيئات المجلس فيجب ان ينص على ذلك صراحة ولا بأس ان يناط تعيينهم برئيس مجلس النواب أو أن يكون ذلك بالانتخاب من قبل المجلس نفسه"..

اما فيما يتعلق بمدير الاوقاف العام فانا اقدر تمام التقدير الشعور الطيب الذي حدا بالزملاء وجعلهم يصرون على جعل مدير الاوقاف العام عضوا في مجلس الاذاعة ولكنني أسأل الاستاذ السيد مصطفى السباعي هل هو راض- في السابق وحتى الآن - عن الخطب والتوجيه الديني الذي يقع في المساجد وفي المحلات الاخرى التي تعتبر مديرية الاوقاف مسؤولة عنها؟ نحن بالطبع نريد ان نفهم الدين فهما صحيحا فهما يربطنا بالصدر الاول للاسلام فهما عميقا لحقيقة الدين ولا نريد ان نفهم الدين على اسوأ أشكاله التي تبلور عليها في عصور الانحطاط".

1951 : سورية تجابه الضغط الاستعماري لجرها الى مشاريع الغرب العسكرية بطرح مشروع الضمان الجماعي العربي

بدأ الحزب العربي الاشتراكي، بعد أن أرسى قواعده وتنظيمه، يظهر نشاطا مركزا ومعالجة واعية لقضايا البلاد، ففي يوم 1951/1/19 عقد مجلس المفوضين للحزب العربي الاشتراكي اجتماعه الاسبوعي وكان المجلس مؤلفا من :

أكرم الحوراني عميد الحزب، الاستاذ إحسان الحصني أمين السر ومن الأعضاء: الاستاذ أنطون المقدسي، الدكتور حكمت هاشم، الدكتور أمجد الطرابلسي الدكتور صلاح عمر باشا[1] ، وبعد دراسة الأوضاع الداخلية والخارجية على ضوء التطورات الدولية، اتخذ المجلس المقررات التالية (التي يمكن اعتبارها المنطلقات الأساسية لسياسة الحزب العامة على المستويات الداخلية والعربية والخارجية التي التزم بها الحزب ونفذ معظمها فيما بعد) :

"1- المحافظة على النظام الجمهوري واعتباره النظام الضامن لاستقلال البلاد وسيادتها، والطريق الوحيد لاجراء اصلاحات اجتماعية واقتصادية واسعة عميقة، ومحاربة المتآمرين عليه من عملاء الاستعمار.

2- بالنظر لموقف المعسكر الغربي من القضايا العربية عامة وقضية فلسطين خاصة واستمراره بتقديم جميع المساعدات المادية والمعنوية الوافرة لاسرائيل الرامية الى افناء الشعب العربي، وبالنظر لتحرج الوضع الدولي، يرى الحزب أن أقل واجبات الحكومة هو انتهاج سياسة الحياد تجاه الصراع القائم بين المعسكرين الشرقي والغربي.

3- العمل على تأميم الشركات الاجنبية عامة ومؤسسة اصدار النقد .

4- وعلى تأميم الطب ووسائل الصحة العامة.

---

(1) كان الاستاذ انطون المقدسي استاذا للفلسفة في ثانوية دمشق، وكان الدكتور حكمت هاشم استاذا للاجتماع في الجامعة السورية والدكتور أمجد الطرابلسي استاذا للأدب العربي فيها، كما كان الدكتور صلاح عمر باشا استاذا للتاريخ.

5- وعلى مكافحة الاحتكار باتخاذ التدابير الاقتصادية والاجراءات الادارية للحد من غلاء المعيشة والتلاعب بالأسعار.

6- المطالبة بإصدار قانون حماية الفلاح وقانون تحديد الملكية.

7- المطالبة بحصر توزيع أملاك الدولة على الفلاحين وخريجي المدارس الزراعية والعاطلين عن العمل غير المالكين، ضمن نظم التعاونيات، وبإعادة النظر في تسجيل أملاك الدولة الذي وقع نتيجة الاغتصاب أو استخدام النفوذ والتلاعب.

8- المطالبة بالاسراع في انجاز المشاريع الكبرى (مشروع الغاب واليرموك والمرفأ) للنهوض بالدخل القومي ومكافحة البطالة التي أخذت تتفشى على نطاق واسع.

9- العمل على وضع منهاج عام لتصنيع البلاد واستخراج ثروتها المعدنية.

10- المطالبة باعادة النظر في قانون العمل بشكل يضمن حقوق العمال عامة مع ضمان حقهم في ممارسة هذه الحقوق دون أن يتعرضوا الى التسريح التعسفي، والعمل على تنشيط الحركة النقابية، ومؤازرة النقابات التقدمية الداعية الى الانطلاق من النضال الاقتصادي البحت الى النضال السياسي لتتمكن القوى العمالية من المساهمة بدعم الاستقلال واستبدال النظم البالية بنظم يزول فيها استثمار أي فرد لأخر.

11- تطبيق الخدمة العسكرية الالزامية العامة ونظام الفتوة.

12- انشاء معامل السلاح بمختلف أنواعه لتزويد الجيش بوسائل الدفاع الضرورية وبشكل يتناسب والمسؤوليات العظام التي تقع على كاهله في سبيل حفظ استقلالنا من كل اعتداء".

□

كانت سوريا، منذ مطلع عام 1951، أول بلد عربي رفع شعار تأميم الشركات الاجنبية ونفذه فعلا.

وكانت أول بلد عربي انطلقت فيه حركة الفلاحين وتبلورت بمطالب واضحة من تحديد الملكية، ووضع قانون لحماية الفلاح

في صلب الدستور، والحث على توزيع اراضي املاك الدولة على الفلاحين.

وكانت اول بلد عربي رفع شعار الحياد بين المعسكرين الدوليين، ونفذه فعليا وواقعيا.

وكان من أهم المنجزات النضالية التي حققها الشعب السوري، منذ مطلع عام 1951: إسقاط المشاريع الاستعمارية التي كانت تتستر بفكرة الوحدة العربية، رابطا ربطا وثيقا فكرة التحرر من الاستغلال الداخلي بفكرة التحرر من الاستعمار الخارجي، كأساس للنضال في بناء الوحدة العربية الصحيحة، ومن خلال تلك المنطلقات التحمت لأول مرة في الشرق حركة الفلاحين بحركة الطلاب والمثقفين.

كان من أهم ما طرح في مطلع عام 1951 موضوع الحياد بين المعسكرين الشرقي والغربي، وهو أبرز ما في بيان الحزب العربي الاشتراكي الذي جعل موضوع الحياد محور نشاطه في الاوساط الشعبية وفي اتصالاته مع الاحزاب والهيئات السياسية الأخرى في تلك الفترة، وقد قامت المظاهرات الطلابية الواسعة مطالبة الحكومة باعلان سياسة الحياد رسميا، كما أخذت الاقلام التقدمية الواعية تنشر المقالات والاحاديث في الصحف والمنتديات عن مخاطر الانجرار الى أحد المعسكرين.

وفي مصر بدأت تتعاظم موجة الحياد، وقام طلاب القاهرة بمظاهرات ضخمة تطالب بالتزام الحياد بين الكتلتين، والامتناع عن ارسال قوات مصرية الى الخارج (حرب كوريا)، ورفض مشروع الدفاع المشترك في حالتي الحرب والسلم، فاستقبلهم الدكتور محمد صلاح الدين وزير الخارجية "فطلب ان يهتفوا معه بسقوط الشيوعية وسقوط الاستعمار وسقوط بريطانيا وامريكا"(النصر 1951/1/15).

ولكن لماذا طرحت فكرة الحياد بكل تلك الحدة عام 1951؟

كانت سورية بشكل خاص، والبلاد العربية بشكل عام، تتعرض لضغط شديد من قبل السياسة الاميركية والبريطانية في

فترة بلغ فيها التأزم بين المعسكرين الشرقي والغربي حدود المجابهة من جراء الحرب الكورية، وخيم على الوضع الدولي شبح حرب عالمية ثالثة.

وفيما يلي أمثلة عن الضغوط التي كانت تمارسها الولايات المتحدة وبريطانيا:

نشرت جريدة الجمهور اللبنانية في عددها رقم 619 - 1951/1/15 "أن المفوضية الأميركية في بيروت قد وجهت الى الحكومة اللبنانية مذكرة تتضمن النقاط التالية :

1- اعتبار الصين الشيوعية دولة معتدية .

2- اعلان انضمام لبنان رسميا الى المعسكر الغربي، واستعداده لان يضع اراضيه تحت تصرف هيئة عسكرية مشتركة "لبنانية أميركية" في حالة نشوب حرب عالمية ثالثة.

3- السماح بادخال قوى اميركية مسلحة لحماية المعاهد الاميركية وانابيب النفط. وترى امريكا، كخطوة اولى في سبيل تحقيق ذلك أن يوضع حد للوضع الشاذ بين لبنان واسرائيل وان تنتهي حالة الحرب بينهما".

كما نشرت صحيفة النصر السورية يوم 1951/1/23 :

"ان مصادر مطلعة على سير السياسة البريطانية صرحت في دمشق بأن قائد قوات الشرق الأوسط البريطاني الجنرال روبرتسون، الذي سيزور سوريا خلال ايام، سيدرس قضية امكان تأليف جيش في سوريا ولبنان والعراق وشرق الأردن يبلغ مقداره نحوا من 500 - 750 ألف جندي لدعم الجيش التركي في حالة نشوب حرب ثالثة، على ان تقوم بريطانيا بتقديم كافة المساعدات اللازمة لهذا الجيش من حيث السلاح والعتاد".

□

وبتاريخ 1951/1/10 عقدت لجنة الطوارئ المنبثقة عن لجنة الشؤون الخارجية البرلمانية اجتماعا لدراسة الاوضاع على ضوء التقارير التي يقدمها ممثلو الاحزاب حول الاوضاع السياسية

الداخلية والخارجية "وحضر ذلك الاجتماع فيضي الاتاسي (حزب الشعب) اكرم الحوراني (الحزب العربي الاشتراكي)، عصام المحايري (الحزب القومي الاجتماعي). جلال السيد (حزب البعث)، مصطفى السباعي (الجبهة الاشتراكية الاسلامية). عبد الباقي نظام الدين (التكتل الجمهوري)، وتدارس المجتمعون ما يجب ان تتخذه الحكومة من موقف حيال الصراع العالمي القائم بين المعسكرين، **فكانت الاكثرية مع وجوب بقاء سورية على الحياد والعمل على تقويتها عسكريا لكي تعتمد على نفسها في المشكلات العالمية القائمة.**

وتجاه هذه الموجة الشعبية العارمة المطالبة بالتزام الحياد، وتجاه الضغوط الدولية في تلك الظروف الدقيقة والحرجة، طلبت الحكومة السورية من جامعة الدول العربية ان تعقد اللجنة السياسية اجتماعا في القاهرة، وسافر القدسي بتاريخ 1951/1/18 ليجتمع مع رؤساء الدول العربية الذين كان وضعهم ما عبر عنه نوري السعيد في تلك الاجتماعات :

"إن الدول العربية مرتبطة سلفا بالمعسكر الغربي بالمحالفات القائمة وان الحياد امر غير عملي". وقد قدم الدكتور القدسي للجنة السياسية المذكرة التي أذاعتها وسائل الاعلام العربية بتاريخ 1951/1/26، وهذا بعض ما جاء فيها :

"إن خطورة الحالة الدولية واضحة لا تحتاج الى بيان، وتتوالى الاحداث دائما بشكل تمثل فيه الاخطار الداهمة للعيان، كل هذا والعرب على ما هم فيه من ضعف وتفرق وتردد وتخلف وحيرة مما يدع أقطارهم وشعوبهم عرضة لمصائر يصعب على المرء تحديدها، ومما لا يجعل لهم، متفرقين، شأنا في الميزان الدولي سواء استمرت الحرب الباردة أو يوم تقع الواقعة، وخاصة بعدما ثبت أنه لم يعد للدول الصغيرة من ذكر ولا بد لها من تكتل يربط بينها وبصلات قوية.

وإلى جانب هذه الاخطار التي تقلق العالم نجد أن الدول العربية بليت بخطر آخر ألا وهو العدو اليهودي المقيم في بلادنا والمتربص بنا شرا، والذي يزداد خطره كلما رست باخرة من المهاجرين اليهود على شواطيء فلسطين.

وتدل الاعتبارات العسكرية السليمة انه يتعذر في الوقت الحاضر لأكثر الدول العربية، منفردة، مجابهة هذا الخطر الصهيوني الذي كان ولما يزل همه الاكبر التفريق بين الدول العربية ومقابلتها واحدة بعد أخرة ليكتب له البقاء ثم التوسع، وان الوسيلة الوحيدة حاليا لاتقاء شره هي احاطته بسوار دفاعي من الشمال والشرق والجنوب.

وإن من أكبر النكبات التي نخشاها من جراء اسرائيل هو الشطر بين عرب مصر وما جاورها في الغرب من جهة، وهم حوالي ستين مليونا، وبين عرب المشرق وهم حوالي عشرين مليونا من جهة أخرى.

والمعروف أن عناصر القوة والاستعداد الحربي والامكانيات المادية هي وحدها التي تجعل للدول شأنا في رقعة الأمور السياسية، ويتضح أن تركيا واسرائيل وحدهما يدخلان في الوقت الحاضر بعرف الكتلتين العالميتين في حساب الدفاع عن الشرق الأوسط وتحقيق الأمن فيه بالاستناد الى جيوشهما اما العرب في نظر قادة الحروب واخصائييهم فكمية غير ذات شأن، ولهذا لا تشحن اليهم الاسلحة ولا تحقق المساعدات التي طالما منوا بها، واقتصرت آخر الأمر على مخابرات ودراسات وتسويفات لا طائل تحتها.

ونشير الى أنه اذا ماطل العرب في حالهم فليس الامر في انحيازهم الى الكتلة الديمقراطية او الشيوعية، فسواء انتصرت هذه او تلك سيظلون على بلواهم بالصهيونية، واحتمال تعرضهم للخطر الخارجي من الشرق أو الغرب، وإن المهم هو ايجاد القوة أولا ثم تقرير موقفنا على ضوء مصلحتنا من هذا المعسكر أو ذاك.

ولهذه الاعتبارات نرى لزاما اقتراح مشروع عملي يشمل الدول العربية جميعا ويكفل التوحيد في السياسة الخارجية وفي قوى الدفاع القومي والاقتصادي والمرافق الرئيسية، ويكون بنظر الرأي العام العربي وينظر الكتل العالمية موضع اهتمام وأمل وخشية وليس هذا بدعا في تاريخ العرب، فقد كانوا لاثني عشر قرنا خلت دولة واحدة، وهذه اقوى من الدول المتحدة.

أما الشكل الثاني وهو أقل أثرا من الاول في نتائجه كما اثبت التاريخ فهو الاتحاد بين الدول العربية.

أما الشكل الثالث وهو اضعفها فهو الكونفديراسيون.

وإننا اذ نتقدم بهذه الاقتراحات نعلن ايماننا بأرجحية الشكل الأول حتما. واذا كنا اشرنا الى الشكلين الثاني والثالث فذلك دفعا لصعوبات وعقبات قد تعترض سبيل الأول أو تؤدي الى البحث في الشكلين الآخرين.

ولما كانت الظروف الحاضرة لا تمهل ولا تغتفر التأجيل أو ضياع الأيام فنرى، الى جانب ما تقدم ومنذ الآن، ان يبرم الضمان الجماعي على أساس القيادة الموحدة، وتدعى اللجنة او اللجان العسكرية المختصة لتقوم بأعمالها، ولا سيما تنظيم القيادة في زمن السلم وتأمين التدريب العسكري العام في الاقطار العربية.

ثم انتهت المذكرة الى القول :

"وقد يرى البعض في ما تنطوي عليه هذه المذكرة من مقترحات ضربا من المشاريع البعيدة التحقيق أو الخيالية، ولكننا في يقيننا أن بقاء العرب على ما هم فيه تجاه الظروف الدولية الخطيرة هو الأقرب الى الخيال والأبعد عن الدوام".

□

رافق تقديم مذكرة القدسي الى اللجنة السياسية دعاية اعلامية واسعة النطاق سواء في سورية او في البلاد العربية الاخرى، ولنا أن نتساءل لماذا طلبت حكومة القدسي عقد مجلس الجامعة العربية، ولماذا قدمت إليها هذه المذكرة، وأعلنت عنها في الصحافة، وهل كانت جادة في تحقيق مضمونها؟.

لقد ألف القدسي حكومته الحزبية بالاتفاق مع الجيش على أساس تراجع حزب الشعب عن الاتحاد مع العراق، الأمر الذي يضعه في موقف حرج أمام دعاته في سورية والعراق، لذلك كان تقديم تلك المذكرة التي تطالب بتحقيق وحدة او اتحاد فدرالي أو كونفدرالي، وكان دعاة مشروع الاتحاد مع العراق يظهرون دوما - لتبرير هذا المشروع ولكشف مواقف الدول العربية الأخرى المعارضة - استعدادهم للموافقة على اي مشروع اتحاد شامل.

وفي تلك الفترة بالذات تعرضت سورية -كما ذكرنا- لاكبر حملة من الضغوط الخارجية لربطها بعجلة الغرب، كما تعرضت في الوقت ذاته لاكبر ضغط شعبي لانتهاج سياسة الحياد، ولذا لم تجد حكومة القدسي سوى صيغة الدعوة لهذا المشروع والمطالبة بتنفيذ الضمان الجماعي بديلا عن مشروع الدفاع المشترك والمشاريع الاتحادية الاخرى.

وقد علقت على هذا المشروع باسم الحزب العربي الاشتراكي في جلسة 1951/1/29 بما يلي :

"لأول مرة في تاريخ الجامعة العربية يصرح ممثل لسورية عن بعض ما يجيش في نفوس السوريين من آمال ولذلك فأنا من المؤيدين لنداء الدكتور القدسي، وإن كنت أحب لو أن هذا الصوت كان أجرأ وأصرح مما جاء في هذا البيان، لانه لا يمكننا ان نعتبره مشروعا بالمعنى الدقيق.

يقول بعض المعلقين على مشروع الدكتور القدسي، انه مشروع خيالي، فاذا كان الامر كذلك فهذا يعني ان الشعب الذي ما برح ينادي بالوحدة العربية غير مؤمن بتحقيقها، مع أن هذا الشعب منذ العهد العثماني لم يعترف بالتجزئة التي فرضها الاستعمار على الدول العربية، والتي لا يزال هذا الشعب يعمل على الخلاص منها. فما بالهم يقولون عن الاتحاد العربي انه ضرب من الخيال ونحن نعلم ان مشاريع الري الكبرى يهيئها الصهيونيون للتنفيذ على شاطيء الفرات وفي رحاب الشرق الخصيب؟ .. وهل تعتبر وحدة شعب يجمعه الدم واللغة والدين والمصلحة ضربا من الخيال ولا تعتبر اقامة وطن قومي صهيوني في فلسطين ضربا من الخيال؟

ان الشعب الخائر القوى، المتداعي، المتفسخ، هو الشعب الذي يعتبر ان تحقيق الامور الجوهرية بالنسبة لحياته ضربا من المستحيل.

انني في الواقع لا آخذ على "مشروع" الدكتور القدسي أمرا سوى غموضه عند بحث الاسباب التي حالت دون تحقيق

هذا الاتحاد العربي المنشود. ان هذه الاسباب هي التي اضاعت فلسطين واخشى ان تضيع البقية الباقية من البلاد العربية وتجعلها طعمة للصهيونيين وللاستعمار الضارب رواقه في بعض البلاد العربية الأخرى، أما الاحتجاج بالقضايا الخاصة لكل قطر، كمطالبة المصريين بالجلاء ووحدة وادي النيل، ومطالبة الاردنيين والعراقيين بالخلاص من الاغلال والقيود الاستعمارية، فان الموقف الموحد للحكومات العربية، والاتحاد، هو الكفيل وحده بحل هذه القضايا وتحقيق أماني الشعوب العربية في مصر والعراق والاردن وغيرها من الاقطار العربية الأخرى.

إن ما نادى به الدكتور القدسي صرخة عربية صادقة، وكنت أرغب لو أنها كانت أكثر جرأة وصراحة عند معالجة الأوضاع العربية التي لم يأت على ذكرها ولم يكشف أمرها أمام الشعوب العربية".

وهكذا يجد القارئ أن العرب وقفوا منذ الخمسينات على مفترق الطريق:

فإما التعاون مع الغرب والخضوع لمخططاته والقبول بمساعداته بما لا يخرج عن حدود تفوق اسرائيل في المنطقة العربية باستمرار.

وإما اتخاذ سياسة الحياد بين المعسكرين سبيلا الى التعاون الاقتصادي والعسكري مع الاتحاد السوفيتي لبناء القوة العربية الذاتية الاقتصادية والدفاعية بما يضمن لهم امكانية الدفاع عن انفسهم تجاه الغزو الصهيوني التوسعي الاستعماري.

1951: الحرب الكورية توشك ان تؤدي الى حرب عالمية ثالثة والمنطقة العربية تتعرض للضغط الاميركي البريطاني - غليان المنطقة بالنقمة على الاستعمار الغربي - استقالة ناظم القدسي - تأزم الاوضاع بين الملاكين والفلاحين في المنطقة الوسطى بصورة خاصة.

كادت الحرب الكورية التي اندلعت في عام 1950 أن تؤدي الى حرب عالمية ثالثة، فلقد توتر الجو الدولي توترا شديدا بين الولايات المتحدة وحلفائها وبين الاتحاد السوفيتي، وبدأ سباق التسلح يأخذ شكلا حادا بين دول المعسكرين، وبينما كانت حالة التوتر والاستعداد للحرب تعم العالم كانت منطقة الشرق الاوسط بطبيعة الحال اخطر المناطق بالنسبة للحرب المتوقعة.

ففي 1951/2/6 وصل الى دمشق الجنرال روبرتسون القائد العام للجيوش البريطانية في الشرق الاوسط في نطاق زياراته لبعض العواصم العربية وتل ابيب تمهيدا لحضوره مؤتمر الدبلوماسيين الاميركيين الذي تقرر عقده في اسطنبول بتاريخ 14 شباط، وفي يوم وصول روبرتسون لدمشق نقلت "النهار" عن مراسلها في باريس ما يلي "ان الخبراء العسكريين من بريطانيا والولايات المتحدة يجوبون الشرقين الادنى والاوسط للبحث عن مواقع للقواعد الجوية والبحرية لتأمين الدفاع ضد اي هجوم قد تقوم به روسيا، والقواعد العسكرية التي تملكها دول الاطلنطي تمتد من جزر الوشيان عبر الباسيفيك حتى سنغافورة في الشرق، ومن الاسكا وشبه جزيرة غروئنلند حتى شواطىء افريقيا الشمالية.

اما المنطقة الممتدة من القاهرة حتى جزيرة سيلان فتعد نقطة ضعيفة وثغرة في هاتين السلسلتين الهائلتين من القواعد العسكرية، وقد كانت الضرورة التي تقضي بايجاد قواعد جوية منيعة في هذه المنطقة حافزا لبريطانيا بان تعيد النظر في برنامج الدفاع عن الشرقين الادنى والاوسط،

والمعروف ان بريطانيا تبحث الان عن قواعد اضافية في الاقطار غير الخاضعة لنفوذها مباشرة".

اجتمع الجنرال روبرتسون فور وصوله الى دمشق مع الرئيس هاشم الاتاسي والدكتور ناظم القدسي في جو متأزم بعد اغلاق المدارس اثر الاضرابات الطلابية التي قامت ضد هذه الزيارة.

وقد اذاعت الحكومة السورية "ان الجنرال روبرتسون اجرى مباحثات ودية مع السلطات السورية العسكرية والمدنية استعرضت خلالها حالة الشرق الاوسط من جميع النواحي، ولم يطلب اي من الطرفين اعطاء تعهد ما، كما لم يلزم اي من الطرفين نفسه بشي".

وعلى الرغم من ان هذا البلاغ لم يوضح شيئا عن المباحثات بين الجنرال روبرتسون والمسؤولين السوريين فانه كان بلاغا دقيقا الى حد ما، لأن الجيش والحكومة لم يلتزما، بالفعل بالامور التي عرضها الجنرال البريطاني. وقد فهمت ذلك من العقيد اديب الشيشكلي الذي قال ان مهمة روبرتسون كانت اخبار السلطات السورية بما سيقدم عليه الحلفاء اذا تعرضت منطقة الشرق الاوسط لهجوم من قبل الاتحاد السوفياتي دون تقديم التزام بالقبول او الرفض.

وفي هذه الفترة كانت الأنباء التي تصل من عواصم الغرب تزيد في المخاوف من اتجاه الوضع الدولي نحو حافة حرب عالمية، ففي تاريخ 1951/2/8 صرح مصدر في وزارة الدفاع البريطانية بأن المحادثات البريطانية الاميركية المتعلقة بالدفاع عن المتوسط قد بدأت مرحلتها الاولى في 24/ 1950/12 في جزيرة مالطة وستستأنف في شهر آذار.

وفي 1951/2/14 وبينما كانت دعايات الغرب تنشر في المنطقة العربية انباء مثل "روسيا تنشىء جيشا اسلاميا لغزو العالم الاسلامي" كان مؤتمر سفراء الولايات المتحدة يبدأ اجتماعاته في اسطنبول برئاسة جورج ماك غي وكيل وزارة

الخارجية الاميركية لشؤون الشرق الاوسط، وحضور وزير الطيران الاميركي، وقائد الاسطول الاميريكي في المتوسط واوروبا.

هذا بينما كان الاتحاد السوفياتي يخشى من تأزيم الوضع الدولي، فبتاريخ 1951/2/17 اذاع راديو موسكو حديثا صحفيا لستالين حيث سئل: "هل تعتقدون انه لا مفر من وقوع حرب عالمية جديدة؟" فأجاب: "كلا، او على الاقل في الظروف الحاضرة وانه يمكن تجنب حرب عالمية شرط ان تأخذ جميع شعوب العالم في يدها قضية الدفاع عن السلم وان تدافع عنها حتى النهاية، ان الاتحاد السوفياتي فيما يختص به مصمم على ان لا يترك الدفاع عن قضية السلم".

تصريح وزير بريطانيا المفوض في دمشق

لقد تابعت الولايات المتحدة وبريطانيا ضغطهما على سورية لضمها الى مشاريعهما الدفاعية، ففي تاريخ 1951/2/20 ادلى وزير بريطانيا المفوض السيد (بولوك) بحديث الى الصحف السورية قال فيه ان بريطانيا ارتكبت في الماضي اخطاء تجاه الدول العربية بالنسبة لقضية فلسطين، وقال: "ان الشرق الاوسط وبقية العالم مهدد فورا بذلك الشكل من التوسع الاستعماري الذي يعمل تحت راية الشيوعية، واذا لم يجنب هذا الخطر عن طريق بذل جهد مشترك من قبل جميع البلدان المحبة للسلام فان قضية كقضية فلسطين ستصبح عندئذ مجرد قضية نظرية، فأنتم السوريون لا تزالون على الاقل احرارا في ابداء رأيكم بشأن فلسطين والشؤون العالمية الاخرى، ولكنه لن تتيسر لكم حرية ابداء الرأي اذا ما قامت دولة شيوعية في سورية.

ان سورية وغيرها من بلدان الشرق الأوسط يجب ألا تخشى عدوانا اسرائيليا يهدد سيادتها واستقلالها، لأننا نحن - انكلترا وامريكا وفرنسا - أصحاب البيان الثلاثي قد ضمنا الحدود الراهنة لدول الشرق الأوسط.

وسئل عن العدوان الاسرائيلي قبل أسابيع قليلة الذي سلخ من الاردن منطقة عربية فقال:

نحن لا نريد التدخل في قضايا حدود بسيطة كهذه، وقد تركنا معالجة أمثال هذه القضايا الى لجنة التوفيق الدولية.

ثم قال: اننا نعتقد أنه اذا كان لا بد من درء الخطر الداهم من الشمال فانه من الضروري ان نتعاون نحن بريطانيا مع جميع دول الشرق الاوسط بما فيها اسرائيل للدفاع عن هذه المنطقة، وان بريطانيا تعتقد أن عاملا حيويا في هذا الدفاع هو وجود قوات بريطانية كافية في قاعدتها الرئيسية في قناة السويس بحيث يتيسر لها ان تهب بسرعة زائدة للدفاع عن أية دولة عربية عندما تطلب ذلك.

وسئل: هب ان الدولة العربية لم تطلب ذلك، وأن تركيا مثلا تعرضت لغزو سوفياتي، وطلبت من بريطانيا ان تسرع لنجدتها، فهل تجتاز القوات البريطانية الاراضي السورية دون موافقة من حكومتها؟

فأجاب: أننا نشعر أن مصلحة الدول العربية تقضي بأن تطلب مساعدة في الوقت الملائم.

وتحدث عن زيارة روبرتسون لدمشق فقال: ان الجنرال لم يطلب من الحكومة السورية اثناء زيارته الاخيرة أي تعهد أو التزام ولكن هذا لا يعني ان الجنرال روبرتسون لم يحذر سوريا من الخطر الذي يهدد الشرق الاوسط.

وسئل عما اذا كان قد ترك لبريطانيا امر الدفاع عن الشرق الاوسط فأجاب: لا اعتقد بأن هناك اي اتفاق بهذا المعنى، ولكن لا ننس ان بريطانيا هي الدولة التي تملك اكبر عدد من القوات في هذه المنطقة.

وتحدث عن مشكلة اللاجئين فقال: املي كبير بأن توافق الحكومات العربية على توطين اللاجئين في بلادها، وآمل ان تتوفر الضرورات اللازمة للتوطين في هذه الظروف.

وانتهى الى الحديث عن مشروع الدكتور القدسي فقال: لم تتح لي الفرصة لابحث مع الدكتور القدسي مشروعه، ولا أدري ماذا يرمي من ورائه ولكنني اذكر ان احد اهداف زيارته الى العواصم العربية هي أن يؤكد لكل دولة عربية عدم رغبة سوريا في تحمل اي تدخل بشؤونها من قبل أية دولة عربية أخرى، ولقد ايدته بكل قواي في هذا الصدد" - النهار، 1951/2/21-

وقد كشف هذا التصريح نظرة الغرب الى البلاد العربية برغم ما فيه من أساليب التمويه المعروفة.

وتعليقا على هاتين الزيارتين فقد صرحت لمراسل وكالة أنباء الشرق:

"ان سورية عندما تظاهرت بوجه الجنرال روبرتسون اعربت عن رغبتها في بقائها مستقلة حرة، والذين تظاهروا في تلك الايام لم يكونوا من الشيوعيين كما تريد بعض الاوساط ان تصفهم، فسورية الجمهورية المستقلة لن تقبل بأي عرض أو شرط أو اتفاق أو قرض من شأنه أن يحد من السيادة السورية" النهار 1951/3/2

□

في هذا الجو الدولي المتأزم وبتاريخ 1951/3/5 القى الدكتور ناظم القدسي بيانا في مجلس النواب طرح على أساسه الثقة بحكومته.

فبعد أن تحدث عن زيارته للعواصم العربية، وعن اجتماعات اللجنة السياسية للجامعة العربية قال انها اتخذت مقررات بصدد القضايا العربية التالية:

- المسألة الليبية، وقد فوضت الحكومة المصرية بمتابعتها.
- قضية مراكش والقيام بالمساعي في سبيلها (وكان الصدام قد بدأ بين الفرنسيين والشعب المراكشي وسلطان مراكش)
- قضية اللاجئين ووضع مذكرة وافيه تؤكد حقهم في العودة الى ديارهم وتعويض من لا يريد العودة منهم وفقا لقرار هيئة الامم المتحدة في 1948/12/11.
- الاموال المجمدة في فلسطين والسعي للافراج عنها.
- مقاطعة اسرائيل ومتابعة الجهود لاحكامها.
- البروتوكول الاضافي لمعاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي بين الدول العربية وقد وقعته ست دول من الجامعة وستتقدم به الحكومة الى مجلسكم الكريم للنظر فيه وفقا لاحكام الدستور.
- البيان المتعلق بالموقف الدولي بالنسبة للدول العربية.

وأشار البيان الى ان "قضية فلسطين كانت خلال اجتماعات مجلس الجامعة قطب الرحى ومدار الابحاث وكانت تسيطر على جو الجلسات. لما تثير في كل قطر عربي من اهتمام بالغ وما تحتله في سياسته من شأن كبير".

وقال الدكتور القدسي

يطيب لي في هذه المناسبة ان احيي الاحزاب والمنظمات والجمعيات والصحافة والشخصيات التي استقبلت المذكرة بالتأييد واخص بالذكر المعارضين الذين تركوا جانبا موقفهم الحزبي وايدوا بتصريحاتهم ومقالاتهم ما جاء في المذكرة مما يدل على وعي ممتاز له طيب الاثر في المحافل العربية.

ثم تحدث عن المذكرة التي قدمت باسم الحكومة السورية الى الجامعة العربية، فيما يلي بعض مقاطعها:

"لقد جاءت الدعوة فيها عامة الى وحدة او اتحاد فيدرالي او اتحاد كنفدراسيوني دون بيان المبادىء الدستورية او التشريعية، ذلك اننا لم نقصد تقييد المذكرة مقدما بحلول معينة او مبادىء محددة او قواعد ثابتة بل فضلنا ان يقوم ممثلو الدول العربية في دراسة القضية على شكلها الواسع العريض وأن يرتأوا اخيرا الحلول العملية الممكنة وسورية سائرة الى ابعد ما يستقر عليه الرأي من مدى في سبيل الوحدة العربية المنشودة."

اما محادثات الجنرال روبرتسون:

فلم يكن بودي في الاصل ان اتطرق الى هذه المحادثات لانها ما زالت في مرحلة تبادل الاراء.

ولكن ما اشيع ويشاع عن هذه المحادثات يدعوني الى وضع الامور في نصابها فاقول:

"ان زيارة الجنرال روبرتسون القائد الاعلى للقوات البريطانية في الشرق الاوسط لدمشق لا تهدف الى غرض معين سوى رغبة الجنرال في التعرف الى زملائه العسكريين في سورية والتحدث مع المسؤولين عن الوضع العسكري في الشرق الاوسط.

وكما جاء في البلاغ الرسمي الذي صدر عقب انتهاء الزيارة وفي تصريح الجنرال نفسه لم يعط احد من الجانبين السوري او البريطاني اي تعهد كما لم يطلب احد من الاخر اي تعهد او التزام.

وارى من واجبي ان اؤكد لكم من على هذا المنبر ان كان من حاجة للتأكيد، بعد ان ذهب الخيال بعيدا ببعضهم في تصور نتائج هذه الزيارة، اؤكد ان ما جاء في البلاغ هو الحقيقة بالذات".

اما فيما يتعلق بالسياسة الخارجية فمن حق المجلس الكريم ومن ورائه الشعب السوري ان يعرف الخطط الرئيسية للسياسة الخارجية التي تنتهجها الحكومة سواء في السياسة العربية او الدولية.

ففي السياسة العربية: لم نعول على نشر الاماني والرغبات بل بدأنا بخطوات عملية نأمل ان يكون لها اثر في توطيد روابط التعاون بين سورية وشقيقاتها العربية، فقد وقعنا مع المملكة المصرية معاهدة تجارية واسعة النطاق اعدتها الحكومة السابقة واقرها مجلسكم بقانون صدر في الثامن والعشرين من كانون الثاني 1951 ووضعت موضع التنفيذ، كما ان الوفد الاقتصادي السوري في بغداد انهى مفاوضاته لعقد اتفاقية اقتصادية واتفاقية مدفوعات مع الحكومة العراقية ستعرضان عليكم في وقت قريب.

وقد اعدنا تنظيم علاقاتنا التجارية مع لبنان بشكل يضمن مصلحة الطرفين، كما وقعنا معه اتفاقا قضائيا يعتبر اساسا صالحا للتعاون بين دول الجامعة العربية في مضمار القضاء وسيتم في وقت قريب تبادل التمثيل السياسي بين الجمهورية السورية وبين المملكة الاردنية الهاشمية، وان الحكومة جادة في تهيئة اتفاقية اقتصادية مع هذه المملكة".

"اما في السياسة الدولية، فقد عملنا على دعم العلاقات بيننا وبين الدول الشرقية التي تتصل بالامة العربية باوثق الروابط الروحية والثقافية واحلنا الى مجلسكم معاهدتي صداقة عقدتا الاولى مع مملكة الافغان والثانية مع الباكستان. ويسرني ان اقول بأن هذه الدولة الاسلامية الكبرى لا تترك فرصة الا وتظهر فيها عطفا على سورية يقدره الشعب السوري كل التقدير ويقابله بمثله وقد كنت كثير الاغتباط لمقابلة دولة السيد لياقت علي خان رئيس حكومة الباكستان في مطار دمشق اولا ثم في مطار القاهرة ولشعور الود الذي ساد محادثاتنا، واني اثق بان هذا الشعور سيؤدي الى توثيق الروابط

ودعم التعاون بين دول الشرق الادنى والاوسط في هذا البحران الذي ينشق عنه العالم اليوم.

ويطيب لي بهذه المناسبة ان اشير الى جارتنا تركيا آملا ان لا تصمد محاولات الايقاع بيننا التي يقوم بها الخصوم امام روابط الجوار والدين والتاريخ الوثيقة وامام تصريحات رجالات تركيا الطيبة حول الصداقة العربية التركية التي تجد خير صدى في العالم العربي لان العرب والاتراك عنصران رئيسيان في سلام الشرق الاوسط.

وننتقل الان الى منهج سياستنا الدولية فاصرح لكم بأن سياستنا الدولية مقيدة بروح البيان الذي اعلنه مجلس الجامعة العربية بشأن الموقف الدولي والمنطوي على الخطة التي لا يمكننا ان نتجاهلها لانه ليس من الحكمة انفرادنا عن سائر الدول العربية بسياسة خاصة. واني لاتلو على حضراتكم الفقرتين الاخيرتين من ذلك البيان:

"ويهم الجامعة العربية ان تعلن انها من جانبها تجعل شعارها الذي لا تتحول عنه الاستمساك بمبادىء الامم المتحدة والعمل في نطاقها دون تحيز لابعاد شبح الحرب المخيف".

ثم انتهى البيان الى الحديث عن أثر الأوضاع الداخلية في دعم مواقف الحكومة في سياستها الخارجية.

بعض النواب يطالبون بالتحالف مع الغرب

ناقش المجلس النيابي بيان رئيس الوزراء ناظم القدسي في جلسة 1951/3/7 وقد هيأ انصار التحالف مع الغرب أنفسهم لهذه الجلسة فقال حسن الحكيم:

"ان الاذهان مشغولة بالحالة الدولية التي تدنينا من حرب ثالثة نخشى ان نكتوي بنارها ونحن في ذعر وقلق وتوجس في الحاضر والمستقبل، تتعاورنا اتجاهات مختلفة وتيارات متباينة، وافقنا محتبس ونحن عن الدول العربية منفردون بسياسة خاصة، ويجب ان نحدد موقفنا تحديدا قاطعا، والى متى يجب ان نتريث والذئب يكاد يأكلنا؟.. لقد أنشأت الدول الغربية الحلف الاطلسي وجرت الى معسكرها تركيا واليونان واسرائيل وأهالت عليهم قناطير الدولارات، أبعد هذا من تريث وحكمة؟ لقد بلغ محضر

زيارة روبرتسون 37 صفحة، فهل هذه الزيارة عادية؟ انكم تقولون انكم لم ترتبطوا معه فيا ليتكم ارتبطم وربطتمونا بضمان تسلحنا وتمكيننا من الدفاع عن أنفسنا".

وقال الدكتور منير العجلاني:

"نحن مع الكتلة الغربية في الامم المتحدة ونحن معها في الجامعة العربية ونحن معها في بلادنا.

فلا نستطيع ان نحارب الكتلة الغربية لاننا لا نستطيع ان نحارب اخواننا العرب، ونحن معها في الامم المتحدة لاننا نتبع الاكثرية الدولية، ونحن معها في بلادنا فقد علمت ان الاميركيين منحوا حق استخدام مطار رياق، واذا نزلوا به فانما ينزلون في وطننا. واني اتخيلهم في الطريق بين دمشق وحلب. فالكتلة الغربية اخذت منا اكثر مما تريد ان تأخذ انها تشترك في حياتنا الاقتصادية وفي حياتنا السياسية بل انها تتداخل في الضغط على بعض حكوماتنا فأين منها الفرار وكيف التخلص؟.. نحن لا نقول اننا على الحياد لان هذا يرضي اليهودية العالمية التي تطمع بهذه الكلمة لتحرمنا من ثمن التضحيات التي قدمناها والتي سنقدمها في المستقبل".

وقد ردد حسني البرازي ونواب آخرون الافكار نفسها فرد عليهم النائب احسان حصني أمين سر الحزب العربي الاشتراكي، كما ألقيت في تلك الجلسة الكلمة التالية:

"ايها الزملاء لنتكلم بصراحة، ماذا يعني الانضمام الى احد المعسكرين؟ انه يعني ان نزج البلاد في الحرب القادمة اذا وقعت وان نخرب بلادنا ونقتل ابناءنا وان تمر او تحتل باسم المرور الجيوش الاجنبية هذه البلاد ولكن من يضمن لنا خروج هذه الجيوش بعد الحرب، ان فكرة الانحياز الى احد المعسكرين ليست كلمة تلقى على عواهنها، وانني اتحدى اي مسؤول في هذه البلاد ان يتحمل تبعة جر البلاد الى حرب دون ان تكون للبلاد العربية مصلحة رئيسية فيها وكيف نقنع الشعب العربي بالانضمام الى المعسكر الغربي؟ الأن المعسكر الغربي قد شرد مليون عربي فلسطيني من ديارهم وخرب بيوتهم وسبب سلب اعراضهم وشردهم تحت كل كوكب؟ ولم يكتف المعسكر الغربي بذلك بل استمر في امداد اسرائيل بجميع المعونات المادية والمعنوية حتى الان، ولا اخال احدا من الزملاء الا ويعتقد معي ان كل معونة تقدم

لاسرئيل معناها معونة في سبيل فناء الشعب العربي وفي سبيل تحقيق مملكة اسرائيل في المستقبل فما هي المصلحة التي تجعل الشعب العربي يسير بجانب الحلفاء، الان المعسكر الغربي يحتل البلاد العربية ويفرض عليها حكوماتها ويحمي الاوضاع السئية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية؟ لنفرض اننا انضممنا الى هذا المعسكر فهل تعتقدون اننا لو قدمنا كل ما نملك وكل ما نستطيع في سبيل نصرة المعسكر الغربي وتقويته هل تعتقدون اننا سنخرج من الحرب القادمة الا بخفي حنين؟ الا تذكرون موقف الحلفاء منا في الحربين الماضيين ان العهد ليس ببعيد وكان من الاجدر ومن الطبيعي جدا عندما تقدم الحلفاء بطلب من الدول العربية للانحياز اليهم ان يبدلوا سياستهم تجاه الشعب العربي، كان من الطبيعي ان ينفذوا على الاقل قرارات هيئة الامم المتحدة فهل نفذ قرار هيئة الامم المتحدة بارجاع اللاجئين العرب الى فلسطين، هل نفذ قرار هيئة الامم المتحدة حتى بتقسيم فلسطين العربية؟ نحن لا نطلب عونا من الحلفاء ولا دولارا واحدا ولكن على الاقل المساواة بيننا وبين اسرائيل".

وقد رأى النواب انه لا ضرورة لطرح الثقة بالحكومة فأجاب القدسي: "ما دام المجلس يرغب بذلك فانني انزل عند رغبته" وهكذا انتهت هذه الجلسة المهمة.

□

وتتمة لفصول الحملة التي قام بها الغرب في البرلمان وخارجه لربط سوريا بالمعسكر الغربي، فقد زار دمشق المستر ماك غي وكيل وزارة الخارجية الاميركية لشؤون الشرق الاوسط، وعقد فيها مؤتمرا صحفيا بتاريخ 1951/3/24، في إبان الازمة التي نشأت عن استقالة وزارة ناظم القدسي، وجاء فيه:

"لقد وجدت في كل مكان حللت به ان الحياد يخسر انصاره، لان الحياد قد أصبح لا مكان له، ولأنه مع مرور الزمن يزداد عدد الذين يدركون انه لا يمكن ان يكون هنالك حياد بين اعداء الحرية والمدافعين عنها، ان هؤلاء الناس يعلمون ايضا ان مثل هذا الحياد هو بمثابة دعوة الى العدوان، **وان الامم التي تجعل من الحياد سياسة لها تنتظر لترى اسمها على قائمة الضحايا**

المرتقبة، واود ان أؤكد رغبة الشعب الاميركي ورغبة حكومتي في التعاون مع الشعب السوري بكل طريقة ممكنة".

غليان المنطقة بالنقمة على الاستعمار الغربي

في تلك الفترة، كانت بلدان المنطقة تغلي بالنقمة على الاستعمار الغربي... ففيما كان اصوات المعارضة الوطنية في العراق تطالب باعلان سياسة الحياد، وفيما كانت الصحف السورية تنشر مقتطفات يومية من قصيدة الشاعر محمد مهدي الجواهري، بعنوان "ايها الوحش" [1]

اقتحم شاب ايراني الصفوف في طهران واطلق النار على الجنرال رازمارا فأرداه قتيلا، يوم 7 آذار 1951، وعندما سئل هذا الشاب، وهو مقرىء في مسجد بطهران، عن السبب الذي دعاه لاغتيال رئيس الوزراء قال بصوت مرتفع: "انكم بعتم البلاد الى الاجانب وارغمتموني على القيام بهذا العمل".. وهذا الشاب ينتمي الى جميعة "فدائيان اسلام".

وفي اليوم التالي لمقتل رازمارا وضعت لجنة برلمانية برئاسة محمد مصدق تقريرا يدعو لتأميم النفط الايراني وفي 14 آذار وافق البرلمان الايراني بالاجماع على قرار تأميم موارد البترول في ايران وسط تأييد جماهيري عارم، كما رفضت ايران عرضا اميركيا بمدها بقرض مالي، وايد مجلس الشيوخ الايراني قرار مجلس النواب تأييدا حازما.

استقالة حكومة ناظم القدسي

على اثر تعرض حكومة القدسي للضغوط الخارجية اجرى حزب الشعب اتصالات سرية مع الهيئات البرلمانية الاخرى بصدد

---

(1) مطلع تلك القصيدة الطويلة:

خل شدقيك يمصان دمي ... ويمجان دما كالعلق

خل عيشي مضغة من علقم ... خله نهب الطوى والقلق

تشكيل وزارة ائتلافية بداعي ان حزب الشعب يرغب ان تساهم جميع الاحزاب في مواجهة الاحداث العالمية.

بدا الطلب بهذه الصيغة معقولا ولقي من الاطراف الاخرى قبولا على ان تؤلف الحكومة برئاسة القدسي في حال الاتفاق على توزيع الحقائب الوزارية، وبذلك بقي الجو طبيعيا بالرغم مما قام به دعاة الغرب من النواب الذين جعلوا من جلسة الثقة مناسبة لحملتهم المفتعلة، ولهذا السبب بالذات لم ير المجلس ضرورة لطرح الثقة بحكومة القدسي اي بتاريخ 51/3/7، ولكن بعد هذه الجلسة بيومين قدم القدسي استقالة حكومته لرئيس الجمهورية بشكل مفاجىء، وفي جو من الاستغراب والدهشة الذي كانت تثيره تصريحات اقطاب حزب الشعب المتتالية بأن حزبهم، بعد ان قرر الخروج نهائيا من الحكم - دون بيان الاسباب - لن يرجع اليه وانهم سيسهلوا تشكيل حكومة جديدة لكنهم لن يشتركوا فيها، وقالت جريدتهم "الشعب" في 12 آذار: "ما كان هذا البلد في اي يوم من الايام اكثر حاجة الى تضامن اهله وتكاتفهم ويقظتهم وحذرهم مما هو عليه اليوم، ولم يسبق ان تعرض جزء من الشرق العربي لمثل الخطر الذي تتعرض له سوريا في الوقت الحاضر، واذا كان ما يعوز الامم في ساعات الخطر والشدة السلاح والعزم والقوة فان الذي يعوز هذا البلد في الدرجة الاولى الضمير الحي والنزاهة والتضحية".

وربما يستغرب القارىء اذا علم ان هذا الكلام الغامض كان اوضح ما صدر عن حزب الشعب في بيان اسباب استقالة القدسي، فقد قال احد الوزراء مثلا "ان هناك عوامل كثيرة حملتنا على تقديم الاستقالة منذ شهر واكثر ولكن المصلحة القومية كانت تمنعنا من ذلك، ولما وجدنا انه اصبح من المتعذر البقاء في الحكم قررنا الاستقالة في يوم 7 آذار" - يوم جلسة الثقة - والحقيقة ان النواب جميعا، بما فيهم بعض نواب حزب الشعب نفسه، ظلوا خلال تلك الازمة الوزارية التي استمرت ثمانية عشر يوما يجهلون الاسباب الحقيقية لاستقالة حكومة القدسي، وكانت البيانات الغامضة التي تصدر عن اجتماعات اللجنة التنفيذية لحزب

الشعب ابان تلك الازمة والتصريحات المتناقضة، لا تفسر الاسباب الحقيقة بل تزيد من صعوبة تشكيل حكومة جديدة.

العلاقات غير الودية بين الشيشكلي وحزب الشعب

في صيف عام 1950 وجه الدكتور جورج شلهوب وزير الصحة دعوة لي وللعقيد اديب الشيشكلي لزيارة بلدة معلولا لأن الدكتور شلهوب من ابناء هذه البلدة التاريخية الجميلة التي تقع في منطقة جبلية لا يزال بعض اهلها يتكلمون اللغة السريانية، وقد قضينا فيها النهار بكامله، وزرنا الدير الشهير القائم في اعالي القرية فوصلنا اليه مشيا على الاقدام، عن طريق النفق الذي ينسرب في قلب الجبل المطل على القرية، ثم كتبنا انطباعاتنا عن هذه المنطقة العريقة في دفتر الزيارات.

لقد لاحظت خلال ذلك النهار الممتع ان علاقة الشيشكلي بوزراء حزب الشعب لم تكن طبيعية، فقد كان استعلاء الشيشكلي واضحا، بينما كان الدكتور جورج شلهوب على غاية الكياسة وكرم الضيافة، كما شملتنا معلولا بحفاوتها وكرم أخلاق أبنائها.

وفي شتاء عام 1951 دعانا الدكتور جورج شلهوب الى منزله بحي باب توما بدمشق لتناول طعام العشاء، وكان بين المدعوين رشدي الكيخيا وناظم القدسي واديب الشيشكلي وآخرون لا أتذكر اسماؤهم، ومن حسن الحظ ان الكيخيا لم يلبث ان غادر المنزل معتذرا ولبث القدسي وبعض وزرائه.

وبعد ان تناول الشيشكلي كأسا من الوسكي بدأ يسخر من الرئيس هاشم الاتاسي ويغمز منه، ولم يشتبك معه ناظم القدسي والوزراء الشعبيون بأي نقاش وكان الموقف بغاية الاحراج - وقد كنت اكثر منهم قرفا وحرجا - مما اضطر ناظم القدسي ان

يعتـذر ويغـادر المنـزل، ثـم غادرنـا الـدعوة واحـدا بعـد الاخـر والشيشكلي مستمر في نكاته البائخة عن هاشم الاتاسي.

كان الشيشكلي يبدو في صحوه مهذبا خجـولا، ولكنـه فـي سكره ينقلب الـى عكـس ذلـك، وكـان يجعـل مـن شـرابه وسـيلة للتطاول على الاخرين، ولكنه كان يتجنب التعـرض لمـن يعـرف انـه يكيلون له الصاع صاعين.

لقد زادتني هاتان الحادثتان وحـوادث أخـرى مماثلـة اقتناعـا بـأن رفقـة الشيشـكلي لحـزب الشـعب قصـيرة وان الشيشـكلي يضمر النية السـيئة لهـذا الحـزب، ولـم يكـن بوسـعي الا أن أعمـل على اطالة أمد التعاون في تلك الظروف الحرجة.

دسائس بريطانيا ومناورات حـزب الشـعب تزيـد مـن تعقيـد الازمة الوزارية بسـوريا:

كلـف هاشــم الاتاســي رئـيس الجمهوريـة الـدكتور نـاظم القدســي بتـأليف حكومـة ائتلافيـة فاعتـذر بعـد ايـام دون سـبب معروف، فاضطر الرئيس الاتاسي لتكليف خالد العظم الذي ما لبث ان اعتذر بسبب عدم تجاوب حزب الشعب معه وهو حزب الاكثريـة البرلمانية، فعاد رئيس الجمهورية لتكليف الدكتور القدسي مجددا، وهكذا ظلت الازمة تدور في حلقة مفرغـة ثمانيـة عشـر يومـا فـي جـو مـن التسـاؤل والاسـتغراب، وكنـت قـد رفضـت محاولـة تكليـف هاشــم الاتاســي لــي عنـدما رشــحتني لديــه كتلـة الجمهـوريين الاحرار قائلا له: ان رفضي مبني على قـرار مبـدئي اتخذتـه هـو ألا اؤلف او اشترك بأي حكومة قبل أن يكون لحزبي أغلبية نيابية.

وفي 51/3/20 اجتمع بي ناظم القدسـي وطلـب اشـتراكي شخصـيا فـي وزارة ائتلافيـة فاعتـذرت ثـم اسـتمزج رأيـي بشـأن اشتراك الحزب العربي الاشتراكي بالوزارة فوعدته ان اعـرض الامـر علـى الحـزب، فاجتمعـت القيـادة واتخـذت قـرارا بعـدم الاشــتراك

بالحكومة مع تسهيل امر تشكيلها، اما موقف الحزب من الوزارة الجديدة فسيقرره على ضوء برنامجها الذي ستقدمه الى المجلس النيابي.

والسؤال الان: ما هي الاسباب الكامنة وراء هذه الازمة المفتعلة؟

كان تفسيري لموقف حزب الشعب في بداية الازمة ان اعصاب القدسي لم تكن لتحتمل الضغط البريطاني والاميركي معا، وقد حدثني شاكر العاص، قبل استقالة الحكومة بأن القدسي اقترح في مجلس الوزراء فكرة انضمام سوريا للحرب الكورية وارسال كتيبة رمزية من الجيش لتحارب مع قوات الحلفاء فرفض معظم الوزراء هذا الاقتراح وقرروا ضرورة الحياد بين المعسكرين.

كما قدرت ان الخوف قد ساور القدسي وبعض قادة حزب الشعب بعد وقوع حوادث الاغتيال [1] ومحاولة [2] الانقلاب فانعكس ذلك على موقفهم، سواء بالنسبة لاستقالة حكومة القدسي على ذلك النحو المفاجىء، او بالنسبة لموقفهم من الازمة الوزارية التي نشأت بعد الاستقالة.

□

اما مقال جريدة التايمس البريطانية شبه الرسمية الذي يعزو الازمة الوزارية الى موضوع مطالبة حزب الشعب الحاق جهاز الدرك بوزارة الداخلية بدلا من وزارة الدفاع، والذي جعلته الصحيفة سببا للازمة الوزارية أنذاك، فلم يكن سوى نوع من الدس والتحريض والتغطية على الاسباب الحقيقة للازمة الوزارية التي وجدتها الصحيفة مناسبة للتعرض للبلاد ولجيشها ولرئيسها ولي شخصيا، مما اضطرني الى التعليق على المقال، خلال الازمة الوزارية، لصحيفة النصر بتاريخ 1951/3/21، ايضاحا لبعض الضغوط والدسائس التي كانت تتعرض لها البلاد في تلك الفترة الحرجة.

(1) اغتيال العقيد محمد ناصر واغتيال العقيد سامي الحناوي.
(2) قضية منير العجلاني.

"كتبت جريدة التايمس المعروفة برصانتها وانها الجريدة شبه الرسمية للحكومة البريطانية مقالا خطيرا تعرضت فيه الى الوضع الاخير في سوريا محاولة الدس والافتراء وتفريق الكلمة بين ابناء الشعب الواحد، دون ان تنسى المساس بشخصيات وطنية خطيرة الشأن، هادفة من وراء كل ذلك بث البلبلة وايجاد لون من التدخل الاستعماري البغيض في البلد السوري المستقل، وقد قابل مندوب "النصر" معالي الاستاذ اكرم الحوراني وسأله رأيه فيما كتبته الجريدة المذكورة وما تعرضت اليه من نقاط قوية خاصة في حياة البلاد السياسية، فقال:

ان ما ذكرته هذه الجريدة التي يمكن القول بأنها ناطقة بلسان الخارجية البريطانية يجب الا يمر دون تعليق، واذا كان ما حشرته في كتابتها عن الازمة الوزارية الاخيرة من التعليقات المغرضة المغلوطة يكشف النقاب الى حد ما عن نوايا الحكومة البريطانية تجاه سوريا فان هذا الاتجاه امر يؤسف له اشد الاسف.

تزعم هذه الجريدة بأنه منذ انقلاب حسني الزعيم في 30 آذار 1949 نشب الصراع بين رجال السياسة والجيش حول الحاق الدرك بوزارة الداخلية، بينما الواقع ان هذه الفكرة لم تكن من ابتكار حسني الزعيم، وانما هي من اقتراح المعارضة في البرلمان في عهد شكري القوتلي، اذ تقدمت هذه باقتراحها لتوحيد قوى الامن في فرقة عسكرية محاربة عند الاقتضاء، وترتبط بوزارة الدفاع في التدريب والتسليح والتجهيز والنظام، بينما توضع في ايام السلم تحت تصرف وزارة الداخلية للمحافظة على الامن الداخلي كما هو الحال في العراق الان.

ان هذا الاقتراح، عدا انه يجعل من قوات الامن الداخلية فرقة محاربة عند اللزوم، فانه يوفر على الخزينة ملايين الليرات السورية التي يمكن انفاقها في المشاريع الانشائية، ولكن حسني الزعيم عندما الحق الدرك بوزارة الدفاع لم يطبق الاقتراح كما تقدمنا به قبل الانقلاب على شكله الصحيح المفيد، وكان هذا الالحاق غير قائم على الاسس التي طالبنا بها، ومع كل ذلك فان شكاوى المواطنين من الدرك بعد الحاقهم بوزارة الدفاع قلت كثيرا.

والواقع ان هذه القضية يجب ان يدرسها البرلمان ويقر لها النظام الملائم لمصلحة البلاد، وان هذه المسألة لا تستحق ان تكون موضع صراع

كما توهمت التايمس، بل ربما كانت اصغر مشكلة من المشاكل التي تعانيها البلاد.

اما قول التايمس بان اهمية الحاق الدرك بالداخلية تتعلق بالتأثير في الانتخابات المتوقعة في حزيران المقبل فنحن نقول لها سلفا: ان عهد تدخل الدرك او غيره في حرية الانتخابات قد انقضى، وان اي تدخل في حرية الانتخابات في المستقبل من قبل الحكومة سوف لن يمر كما مر في العهود السابقة، ولا اعتقد ان حكومة ما تجرؤ في آتيات الايام على تزييف ارادة الناخبين بواسطة قوى الامن.

ومن الغريب ان تتحدث الجريدة البريطانية عن نوايا الدكتور القدسي وعن عزمه على اجراء انتخابات في حزيران القادم، بشكل جازم، مع ان هذه القضية في بلادنا تتعلق بالمراجع العليا، ولا يمكن لاية جهة اجنبية الجزم بها قبل حدوثها او العلم بها، والاغرب من ذلك كله ان تطمئننا الجريدة الى ان الانتخابات سوف تجري في حرية وعدل اكثر من اية انتخابات في ظل حكومة اخرى في الشرق الادنى.

واني لاقول: ان الانتخابات لن تجري بالحرية والعدل المطلوبين الا اذا كفت الجهات الاجنبية عن التدخل في شؤوننا، واني لا اعتقد ان المستقبل سيتيح لهذه الجهات تكرار الاعيبها السابقة على مسرح بلادنا، حتى لو افترضنا انها اقدمت على ذلك فان الشعب اصبح واعيا مدركا لدرجة تمكنه من الحيلولة دون اي تدخل اجنبي خفي.

ومما يؤسف له حقا ان تتعرض هذه الجريدة لرئيس البلاد بعبارات يستنكرها كل سوري، سواء كانت تقصد بها الرئيس نفسه، وهو ما استبعده كثيرا، او انها تجعل من التعرض له وسيلة للدس والافتراء على الوضع الراهن.

واذا كان التعرض لي شخصيا لا يسيء الي في نظر الشعب عندما زعمت الجريدة بأنني محمي بالجيش، وان الحزب العربي الاشتراكي يمكن ان يكون قويا بمساعدة الدرك، فان ابناء البلاد جميعا يعلمون بأنني كثيرا ما كنت في بعض الاحيان المعارض الوحيد في عهد السيد شكري القوتلي دون ان احتاج لحماية احد، وان من ينتمي لحزب يفوق عدد افراده العشرين الف منتسب ولما يمض على تأليفه اكثر من عام واحد، لن يحتاج ولا يحتاج لمثل

هذه الحماية، لانه ابن الشعب وفي حماية الشعب، اما الذين يحتاجون للحماية فهم عملاء الاجنبي واعداء البلاد.

ان القصد من كلمة التايمس هو ان تخلق - شأنها شأن الدعايات الصهيونية هوة وكراهية بين الشعب والجيش، ولكننا نرد على ذلك بقولنا: ان الجيش الذي يضم اغلب ابناء البلاد وخيرة شبابها لا يمكن لاي دعاية اجنبية مهما تفننت بأساليب الدس والافتراء ان تخلق هذه الفجوة، لان الشعب هو الجيش والجيش هو الشعب، وان الجيش هو الحامي لسيادة البلاد ولاستقلالها، وشأنه شأن الجيوش في البلاد الراقية الاخرى: له رأيه المحترم واتجاهه القومي الصحيح، لان عليه حماية البلاد وبذل دمه في سبيلها عند الاقتضاء، وهذا هو ما يجري ايضا في امريكا وروسيا وبريطانيا فهل اتخذ ساسة تلك الدول موقفا حاسما في القضايا الوطنية الخطيرة دون استشارة الجيش؟

لقد ذكرت التايمس انني مفروض من قبل الجيش لاكون وزيرا للداخلية في الحكومة القادمة، ولكن الحزب سبق له ان اعطى قراره بعدم اشتراكنا في الحكم قبل وقوع الازمة الحاضرة، وقد اعلنا ذلك في حينه وخلال الازمة ايضا، اما القول: ان لي تأثيرا في السياسة الشرقية وانه يمكن ان اكون خطرا كبيرا على المصالح الغربية فانني ارد عليه بأننا لن نكون خطرا الا على الاستعمار ولن نقاوم الا الظلم والطغيان، واذا ظن بأن مقاومة الاستعمار تكون خطرا فان الشعب في الشرق العربي برمته هو اكبر خطر على الاستعمار وزبانيته وان الاوضاع الجائرة المفروضة على الشرق العربي لن تستمر ولن يكتب لها البقاء ومن الخير للدول الغربية ان تدرك هذه الحقيقة".

الجيش يرد على حزب الشعب

استمر ناظم القدسي في مناوراته لزيادة تأزيم الوضع الداخلي وترك البلاد بلا حكومة مسؤولة، فبعد أن كلفه رئيس الجمهورية للمرة الثانية بتشكيل الوزارة، وأعلن حزب الشعب بتاريخ 51/3/24 عن قراره بتأليفها حزبية شعبية، وبعد ان اجتمعت تلك الوزارة برئاسة القدسي في وزارة الخارجية لتوزيع الحقائب الوزارية، خرج القدسي من ذلك الاجتماع ليصرح بانه سيقدم

اعتذاره وانه لن يعود للحكم مطلقا طيلة حياتـه... ثـم قصـد القصـر الجمهوري وقدم اعتذاره للرئيس الاتاسـي.

ثم سرت شائعات بأن القدسـي انما عدل عـن تـأليف وزارتـه بسبب خلاف طرأ داخل حزب الشعب حول منصب وزارة الداخليـة، كما اشاع حزب الشـعب بـأن اللـواء فـوزي سـلو رفـض تـولي وزارة الـدفاع فـي وزارة حزبيـة، وتنـاثرت شـائعات حـول تـأزيم الجـيش لمساعي تشكيل الحكومـة، ممـا اضـطر وزارة الـدفاع الـوطني لان تصدر في 1991/3/27 البيان التالي:

"راجت في المدة الاخيرة شائعات كاذبة رددت اصداءها بعـض المصـادر والصحف الاجنبية، مؤداها ان السلطات العسكرية في سوريا كانت وراء الازمة الوزارية الاخيـرة، وقـد أدت التصـريحات الغامضـة التـي نشـرتها الصـحف علـى السنة بعض المسؤولين والقائلة بـان مـن المتعـذر فـي الوقـت الحاضـر ايضـاح اسباب الازمـة، الـى اتسـاع نطـاق هـذه الشـائعات والتكهنـات التـي لا تتفـق ومصلحة البلاد القومية والوطنيـة التـي يحـرص عليهـا الجـيش حرصـا شـديدا، ولذلك تحذر وزارة الدفاع الـوطني الجمهـور الكـريم مـن هـذه الحبائـل التـي لا تهدف الا لتمزيق الوحدة الوطنية واضعاف المعنويات المرتفعة التي يتمتع بهـا الشعب السوري المناضل وبث روح التفرقة وعدم الثقة في صفوفه.

وقد لوحظ ان معظم الشائعات التي رجع لها اصحابها ترتكز حول نقطـة واحدة، الغاية منها النيـل مـن ثقـة المـواطنين بجيشـهم والسـعي الـى فصـم الروابط المتينة التي تربطهم به واضعاف الروح العسكرية التي بدأت تظهر قوية في صفوف الشباب المثقف الواعي واتهام الناس بـأن النهضـة المباركـة التـي ظهرت مؤخرا في الميـدان العسـكري انمـا هـي مسـتوحاة مـن دولـة اجنبيـة معينة يحرص الجيش على عدم إغضابها.

فقـد قيـل: ان الازمـة الوزاريـة نجمـت عـن معارضـة الجـيش مشـاريع التأميم الحكومية لان هذا التأميم يسـيء الى الحكومات التي تتبعها الشركات المؤممة.

وقيل: انها نجمت عن معارضة الجيش اشتراك سوريا في اتخاذ تـدابير حازمـة في الجامعة العربية بشأن قضية مراكش للسبب نفسه.

وقيل: انها نجمت عن تدخل الجيش في سياسة الدولة الخارجية، وسعيه الى فرض اتجاهات معينة فيما يتعلق بالتدابير التي تتخذ للدفاع عن دول الشرق الاوسط.

وقيل: انها نجمت عن اتفاقات سرية عقدها المسؤولون في الجيش شفهيا او خطيا مع بعض الممثلين الاجانب.

وقيل اخيرا: انها نجمت عن معارضة الجيش تحقيق بعض المشاريع الداخلية.

ان وزارة الدفاع الوطني تنفي كل هذه الشائعات جملة وتفصيلا وتعلن صراحة ان الجيش لم يخرج منذ شهر كانون الاول 1950 عن نطاق واجبه العسكري الذي يفرض عليه حماية حدود البلاد وسلامتها واستقلالها وحريتها ونظامها الجمهوري الدستوري، وان كل ما يقال خلافا لذلك انما غايته خدمة مآرب ومطامع ليست وطنية ولا عربية، وهو يطمئن الامة الكريمة الى انه ماض في تحقيق هذا الواجب حتى النهاية، ولا يبخل في هذا السبيل بأية تضحية، معتمدا على ثقة الشعب وعلى تضامنه في الحرص على استقلال البلاد وعلى نظامها الديمقراطي، هذا التضامن الذي كان موضع اعجاب العالم بأسره.

وهكذا فان الشكوك التي كانت تساور الناس من موقف القدسي في تلك الظروف تجاوزت الشك والارتياب ودخلت في حدود الادانة، الا فما هو معنى هذا التأزيم المصطنع وترك البلاد بلا حكومة، بالوقت الذي بدأ فيه اليهود بتنفيذ مؤامرتهم لتحويل نهر الاردن؟

□

بعد ان استفحلت الازمة شكل المجلس النيابي لجنة رباعية من:

الشيخ مصطفى السباعي عميد الكتلة الاشتراكية الاسلامية

اكرم الحوراني عميد الحزب العربي الاشتراكي

الدكتور عبد الوهاب حومد من اركان حزب الشعب

جلال السيد من قيادة حزب البعث العربي

للوساطة مع حزب الشعب والعمل على تأليف حكومة ائتلافية تكون على مستوى الاحداث، وقد اخفقت هذه اللجنة في مهمتها نظرا لموقف حزب الشعب الذي ظهر بأن غايته كانت استمرار الازمة وعرقلة تشكيل حكومة ائتلافية، ولذلك صرح ناطق بلسان كتلة الجمهوريين الاحرار بأنه في حال استمرار حزب الشعب في تعنته وتصلبه فان الكتلة لا ترى بدا من ترشيح خالد العظم لتشكيل الوزارة.

وبالرغم من كل ذلك فانني اعلنت بصفتي عضوا في تلك الكتلة البرلمانية ترشيح ثلاثة اعضاء من حزب الشعب لتشكيل الحكومة اذا لم يكن القدسي راغبا في تشكيلها وهم: معروف الدواليبي وفيضي الاتاسي وشاكر العاص وتركت لحزبهم امر اختيار واحد منهم ولكن حزب الشعب رفض هذا الاقتراح ايضا.

لذلك لم ير رئيس الجمهورية امامه الا تكليف خالد العظم مرة ثانية فقبل هذه المهمة بعدما وعده حزب الشعب، صاحب الاكثرية المجلسية، بمهادنة الحكومة الجديدة ومنحها الثقة، وبتاريخ 1951/3/27 صدرت مراسيم تشكيل الحكومة الجديدة على النحو التالي:

خالد العظم	للرئاسة والخارجية
الدكتور سامي كبارة	للداخلية
عبد الباقي نظام الدين	للزراعة والعدلية
عبد الرحمن العظم	للمالية
اللواء فوزي سلو	للدفاع الوطني
رئيف الملقي	للمعارف والاقتصاد
الدكتور سامي طبارة	للصحة والاشغال العامة

وفي جلسة 1951/4/4 قدمت حكومة العظم للمجلس بيانها الوزاري وهذا موجزه:

حضرات النواب المحترمين:

1- قبلت مع اخواني الوزراء اعباء الحكم، تلبية لدعوة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية وللواجب الوطني، الذي شعرنا به جميعا، بعد ان مرت على البلاد أزمة طال امدها، ففي هذه المرحلة الدقيقة التي تجتازها البلاد، وفي هذا المضطرب الدولي الخطير الذي يتخبط فيه العالم والذي يتهدد كيان الامم، أصبح من واجبنا جميعا التناصر والتكاتف والسمو عن كل نزعة خاصة او ضيقة وبذل كل تضحية في سبيل الحفاظ على وحدة الصفوف، ويقيني انكم تشعرون كلكم كما تشعر الحكومة برهبة الزمن الذي نعيش فيه وبخطوره المسؤولية التي نتصدى لها وليس للحكم ولا لقبوله معنى اذا لم يعمل على الدعوة الى الالفة وتعاون الافراد وحشد القوى في سبيل الوطن وعزته وازدهاره.

ولقد كنت شديد الرغبة في ان تضم هذه الحكومة ممثلين عن جميع الهيئات السياسية لاعداد البلاد وتنظيمها كي تتمكن من مجابهة الاحداث بقوة ومضاء.

وقد بذلت ما في طاقتي من جهد لتأليف وزارة جامعة، واني اذ سرت في الطريق التي ادت بي الى ان اكون اليوم على هذا المنبر فذلك لاني رأيت من الخير لهذا الوطن، بل من الضرورة القصوى، ان تكون في البلاد حكومة تضع حدا لما ساور الافكار من قلق خلال الازمة الوزارية، وهي ترجو ان تكون باعثة على الثقة والاطمئنان".

"ونحن في سياستنا القومية عاملون على تحقيق الوحدة العربية ومتابعة دراسة الوسائل الموصلة لهذه الغاية السامية بالاشتراك مع سائر الدول العربية.

والى ان تحقق هذه الغاية سنثابر على دعم جامعة الدول العربية وتمتين اسسها وتوطيد اواصر التفاهم والتعاون بين اعضائها، ولهذا سنتابع اقرار معاهدة الدفاع المشترك التي اودعتها الحكومة السابقة الى مجلسكم الكريم حتى اذا تم ابرامها من الدول الموقعة عمدنا الى تنفيذها تنفيذا عمليا صحيحا.

ونعتبر قضية فلسطين قضية قومية توجب على كل عربي ان يوليها بالغ اهتمامه وان يكرس لها ما يستطيع من جهد وما يملكه من قوى

وسنواصل السعي للوصول الى حل مشكلة اللاجئين حلا يأتلف مع العدل والانصاف ريثما يعود الحق الاصلي الى نصابه وصاحبه.

وكذلك سنناصر كل دولة عربية ونكون الى جانب كل شعب عربي في تحقيق اهدافه وامانيه القومية ونتعاون تعاونا وثيقا مع الامم الشرقية التي تربطنا بها روابط الثقافة والتاريخ.

وتقوم سياستنا الخارجية على المحافظة على صلاتنا الحسنة بالدول الاجنبية وعلى الدفاع عن استقلالنا وسلامة بلادنا بكل ما لدينا من قوى ورد كل معتد على اراضينا واتخاذ الاحتياطات اللازمة لذلك.

وان الحكومة لتقف في الازمات العالمية الموقف الذي تمليه مصلحة البلاد العليا فتتشاور مع جميع الدول العربية في هذا الشأن لجعل خطة العرب موحدة، في سبيل تحقيق الاهداف التي من اجلها اقرت مبادىء الامم المتحدة.

ومهمة الحكومة بهذه القضايا الدرس والاستطلاع حتى اذا لزم الامر اتخاذ تدبير ما عرض على مجلس النواب للموافقة عليه وسنظل على اتصال دائم مع لجنة الشؤون الخارجية في المجلس لاطلاعها على سير الحوادث والمذاكرة مع اعضائها بما تراه الحكومة في جميع هذه القضايا."

وتهدف سياستنا الداخلية الى تعزيز جيش البلاد وتزويده بأحسن وسائل الدفاع والمحافظة على الروح العالية في افراده ليقوم بالمهمة الخطيرة الملقاة على عاتقه في الدفاع عن حدود الوطن وسلامته وستدعو الحكومة جميع المواطنين للمساهمة في تجهيزه وتأمين حاجاته.

وترى الحكومة ان الاصلاح الداخلي الصحيح يقوم على دعم القيم الاخلاقية والتقيد باخلاص تام بالنظم الديمقراطية الصحيحة في تحقيق المساواة بين المواطنين واحترام الحريات كاملة في حدود القانون حتى تتمثل مبادىء الدستور في حياة الافراد والجماعات وتدخل في العادات والاعراف.

بهذا المفهوم ستعمل الحكومة على فرض حرمة القانون وتقوية الجهاز الاداري ملتزمة في جميع شؤونها واعمالها الحياد ونزاهة القصد جاعلة العدالة اساسا للحكم والكفاءة والاستقامة وحدهما مقياسا للتقدير مؤثرة مصلحة الامة أيا كان فردا ام جماعة".

اســرائيل تبــدأ الخطــوة الاولــى بمشــروع ســرقة الميــاه العربية

وفيما كانت الصحف تؤكد ان "امريكا عرضـت علـى الحكومـة السورية استعدادها لتقديم كـل مسـاعدة اقتصـادية مـن مشـروع النقطة الرابعة بلا قيد او شرط، وان السوريين رفضوا هـذه العـروض المغريـة" نشــرت الصـحف اللبنانيـة فـي 1951/3/1 الـبلاغ التـالي الصادر عن حكومة حسين العويني التي تشكلت فـي 1951/2/16 بعد استقالة حكومة رياض الصلح:

"وقع دولة السيد حسين العويني، رئيس الـوزراء ووزيـر الخارجيـة والمغتـربين، باسم الحكومة اللبنانية، في 24 شباط سنة 1951 على اتفاق بـين الحكومـة اللبنانية وحكومة الولايات المتحدة يتعلق بتحضـير دراسـة فنيـة لمشـروع نهـر الليطاني على اساس النقطة الرابعة من تصريح ترومان، ويقضي الاتفـاق بـأن تتعاون الحكومتان على تحضير هذه الدراسة الفنية فتوفـد الحكومـة الاميركيـة اثنى عشر خبيرا وتقدم الحكومة اللبنانية لهـم مـا يحتـاجون اليـه مـن مكاتـب ووسائل نقل، وينتظر ان يباشـر الخبـراء اعمـالهم فـي اوائـل آذار وينهوهـا فـي مدة اربعة اشـهر تقريبا.. وبعد انتهاء المرحلة الاولى التي يستعين فيهـا لبنـان بـالخبراء الاميـركيين، تبـدأ مرحلـة التنفيـذ فتـدرس الحكومـة اللبنانيـة تحقيـق المشروع كمشروع وطني يهدف الى استثمار امكانيات الليطاني الى اقصـى حد ممكن.

كما اذاع مكتب المعلومات الاميركي ببيروت، في اليوم ذاته، بيانـا جـاء فيه:

" ومع ان اللبنانيين البعيدي النظر قد درسـوا مشـروع الليطـاني الحيـوي بدقـة فان السيد غوردون كلاب رئيس بعثة الاستقصاء الدولية الى الشـرق الاوسـط ومدير مشروع وادي تنيسـي العظيم قد درس باهتمـام المشـروع عنـدما اتـى الى لبنان عام 1949 واكد اهميته الكبـرى بالنسـبة الـى لبنـان بصـورة خاصـة والشرق الاوسط بصورة عامة".

فكـان هـذا الاتفـاق الـذي وقعـه لبنـان تحـت اسـم معونـات النقطة الرابعة الفصل الاول من قصة المؤامرة الاسـرائيلية لتحويـل

مياه نهر الاردن وروافده، وكذلك نهر الليطاني الى صحراء النقب، التي سنرى فصولها وتطوراتها فيما بعد.

وبعد ثلاثة اسابيع من توقيع هذه الاتفاقية استغلت اسرائيل الظروف الدولية والازمة الوزارية في سوريا فشرعت بتجفيف بحيرة الحولة كمرحلة اولى من مشروع تحويل نهر الاردن وسرقة المياه العربية في سوريا ولبنان ونظرا لعدم وجود حكومة اصدرت المديرية العامة للدعاية والانباء في دمشق، بتاريخ 1951/3/16 البلاغ التالي:

"اذاعت احدى المحطات الاجنبية خبرا مفاده ان السوريين يعرقلون اعمال مشروع تجفيف مستنقعات الحولة مدعية ان الجانب السوري قد أطلق النار على العمال اليهود ومنعهم من متابعة العمل، ودفعا لكل التباس فالمديرية العامة للدعاية والانباء مفوضة بايضاح القضية كما يلي:

1- يجري العمل على ضفتي نهر الشريعة بغية تجفيف بحيرة الحولة في المنطقة المجردة على اراض معظم اصحابها من السكان العرب وبعضهم من السوريين.

2- ان اتفاقية الهدنة لا تجيز للشركة اليهودية القيام بمثل هذا العمل.

3- قرر الجنرال رايلي توقيف العمل في المنطقة المجردة فورا ريثما يجري الاتفاق بواسطة لجنة الهدنة على هذه القضية بين الجانبين السوري واليهودي وذلك بكتابه المؤرخ في 1951./3/5

4- لم يقم الجانب السوري باي محاولة لمنع العمل بالقوة، وقد اتخذت السلطات العسكرية جميع الاحتياطات للحيلولة دون وقوع اي حادث وذلك بعلم رئاسة لجنة الهدنة المشتركة، الا ان الملاكين العرب وهم من سكان هذه المنطقة المجردة الذين يجري العمل في اراضيهم قاموا باطلاق النار على العمال اليهود لمنعهم من متابعة العمل".

ثم اصدر الجيش بتاريخ 1951/3/27 البلاغ التالي:

"منذ أوائل شباط 1951 بدأ العمال اليهود يقومون باعمال هامة على ضفتي نهر الشريعة فوق اراض خاصة بسكان المنطقة المجردة من العرب، بغية تجفيف بحيرة الحولة.

ان الجانب السوري يعلق اهمية بالغة على هذه الاعمال غير الشرعية التي تجري في المنطقة المجردة ويعتبرها خرقا صريحا لاتفاقية الهدنة نظرا للتغييرات الجغرافية التي ستطرأ على اراضي المنطقة الدفاعية بالقرب من الحدود السورية، وهي ترى:

اولا: ان تجفيف بحيرة الحولة سيزيل حاجزا طبيعيا يفصل بين القوات السورية المسلحة والقوات اليهودية، وهذا يعني ان الجانب اليهودي سيحصل من جراء هذا العمل على كسب عسكري وسياسي لا تبيحه اتفاقية الهدنة المشتركة.

ثانيا: لا يحق للاسرائيليين ان يباشروا بأي عمل في المنطقة المجردة فوق اراض عربية لانه ليس هناك اي قانون يجبر السكان العرب اصحاب هذه الاراضي على التنازل عن املاكهم كما ان اتفاقية الهدنة لا تتعرض لمثل هذا الموضوع.

ثالثا: ان الملاكين العرب لا يمانعون بكل عمل فوق اراضيهم مهما كان نوعه فحسب، بل انهم لا يقبلون اي تعويض مهما بلغت قيمته، ولهذا فان كل عمل يمنعهم من التصرف باراضيهم رغم ارادتهم انما يعتبر خرقا واضحا لاتفاقية الهدنة.

رابعا: ان المنطقة المجردة قد جعلت لكي تفصل بين قوات الطرفين وتسمح لسكان هذه المنطقة بالعودة لحياتهم المدنية الطبيعية، وان الاستمرار في هذا العمل لمما يمنع سكان المنطقة العرب من ممارسة هذا الحق وكأن العودة الى الحياة الطبيعية في المنطقة المجردة كما يفهمها اليهود مقتصرة عليهم فقط، وقد بين الجانب السوري في لجنة الهدنة رأيه الصريح في هذا الموضوع وطلب الى رئاسة لجنة الهدنة المشتركة ان توعز لليهود بالكف عن متابعة العمل في هذه المنطقة الحساسة ولكن تعنت الجانب اليهودي واستمراره في العمل اضطر رئاسة الهدنة الى ان ترفع هذه القضية الى الجنرال رايلي رئيس هيئة المراقبة الدولية الذي طلب بمذكرته المؤرخة في 1951/3/5 توقيف العمل على ضفتي نهر الشريعة فورا، ريثما يصل الجانبان الى اتفاق حول هذا الموضوع، الا ان الجانب اليهودي رفض تنفيذ هذا القرار، وعندما استمر العمل لم يستطع سكان المنطقة المجردة من العرب الوقوف مكتوفي الايدي وهم يرون اراضيهم واملاكهم مباحة يتصرف بها اليهود كما

يشاؤون، فقاوموا هذا التحدي بالقوة واطلقوا النار على العمال اليهود وارغموهم على ترك العمل، ولم يكن للسلطات العسكرية السورية اي تدخل في هذا الموضوع رغم انها اتخذت جميع التدابير للحيلولة دون وقوع اصطدامات على حدودها.

وعقدت لجنة الهدنة المشتركة بعد ذلك اجتماعا لبحث هذه المشكلة بتاريخ 51/3/19 قررت بموجبه تسليم القضية الى هيئة المراقبين لدراستها.

وقبل ان ينهي رئيس اللجنة دراسته عاد اليهود الى العمل مرة ثانية متحدين قرار لجنة الهدنة وارادة الملاكين ولكن اصحاب الاراضي لم يسكتوا عن هذا التحدي وفضلوا الموت على ان يروا املاكهم نهبا بيد اليهود، فهبوا لمقاومة العمل ضمن امكانياتهم واطلقوا النار في صباح 1951/3/25 على العمال اليهود، فما كان من الجانب اليهودي الا ان اطلق النار باتجاه الحدود السورية بغية التحرش بالقوات السورية المتمركزة على الحدود ولكن الاوامر الصارمة والانضباط الشديد وحرص القوات السورية على التقيد باوامر هيئة الامم المتحدة الممثلة بالمراقبين الدوليين حالت دون ان يبدر منهم اي رد فعل لهذا التحدي المقصود.

الا ان استمرارهم في تحديهم سوف لن يقابل بالسكوت من قبل القوات السورية، وان الجيش السوري يعرف كيف يدافع عن كرامة بلاده، وهو على الرغم مما قيل عنه، لا يحسن استعمال الرشاشات فحسب، وانما يتقن صناعة الموت على اتم وجه في سبيل الذود عن كرامة وحدود وطنه، وان له من ماضيه وحاضره ما يثبت ذلك".

حزب الشعب يدفع الاوضاع الى اقامة حكم عسكري

في 4 نيسان 1951 قدم خالد العظم بيان حكومته للمجلس النيابي وفي اليوم ذاته وقع العدوان الاسرائيلي على الحمة فصده الجيش صدا رادعا اكسبه تأييدا شاملا في كافة الاوساط الشعبية وعلى مختلف المستويات.

وفي 7 نيسان كانت جلسة البرلمان لمناقشة البيان الوزراي والتصويت على الثقة بالحكومة الجديدة.

وخلال كل ذلك كان حزب الشعب يزداد في سلبيته وتأزيمه للاوضاع، مما جعل توقيته لتلك المعركة مع الجيش في هذه الظروف، دون ان يعلن الدوافع والاسباب، بداية النهاية للحكم البرلماني الديمقراطي الذي كان قائما بقيادته... لا سيما وانه كان يزداد غموضا وتكتما على اسباب موقفه بقدر ما كان الرأي العام يطلب معرفة تلك الاسباب الى ان قالت جريدة "الشعب": "ان وزارة الدكتور القدسي لم تستقل لانها عجزت عن اداء مهمتها كحكومة، وانما استقالت لاسباب تعلمونها.. ولا تستطيعون ان تواجهوا الرأي العام بانكارها، فماذا صنعتم بهذه الاسباب؟ ان حزب الشعب لا يصطنع خطواته اصطناعا ولا يعتبطها اعتباطا، فهو يعرف لماذا اتخذ موقفه السلبي كما يعرف الشروط التي يجب ان تلازم عدوله عن هذا الموقف السلبي".

بهذه العبارات الغامضة، التي قصد بها الازدواجية في الحكم اراد حزب الشعب ان يبرر استقالته، دون ان يطرح الامثلة والشواهد الحسية، والواقعية مما دعا الرأي العام ان يوجه الى حزب الشعب تلك الاسئلة التي عبرت عنها جريدة القبس 1951/4/20:

"اذا كانت عندكم اسباب تشرفكم للاستقالة فلماذا تخجلون من الجهر بها؟ ولماذا لا تحتكمون الى الامة في ظلها؟ ولكنكم لا تجرؤون على الافصاح عنها لانها لا تشرفكم ولا تكسبكم مثقال ذرة من العطف ما دمتم انتم طوال حكمكم نفيتم اي تدخل او ضغط وتحديتم النواب والمعارضة والدنيا ان يدلوكم على حادثة واحدة تثبت التدخل (تدخل الجيش). بل وقف رئيس وزارتكم يشيد باستقلال حكومته وحرية عهده ونبل سياسة ونزاهة دوره.. واذا استطاعت جريدة حزب الشعب ان تبرر الاستقالة حسب منطقها بتدخل سلطات معروفة بغير اختصاصها (اي الجيش) فلماذا لم تبرر العودة عن الاستقالة وقبول تأليف الوزارة الثانية برئاسة القدسي نفسه والايعاز الى محطة الاذاعة بنشر اسماء اعضائها ثم الاعتذار عن الاستمرار في تلك اللعبة؟ فهل زالت اسباب الاستقالة ساعة قبلتم تأليف وزارة العشر ساعات؟

واذ كانت قد زالت فكيف عادت حتى حملتكم على الاعتذار؟... انكم تلوحون باسباب الاستقالة تلويحا وتلمحون الى العوامل التي قذفت بكم من الحكم

تلميحا، ولكنكم لم تجرؤوا ان تقولوا تصريحا... اما نحن فسنقول لكم لماذا استقلتم فاسمعوها منا كلمة صريحة بسيطة: لقد اردتم ان تكونوا محميين في الحكم وحدكم من الذين تشكون من تدخلهم، ولو كانت الحماية التي تطلبونها للنظام والقانون والامن لكان لكم بعض العذر، ولكنكم اردتم ان تحمى حتى اعمالكم غير المشروعة، وان تحرس وتصان منافعكم ومصالحكم المادية والتجارية وصفقات الاستيراد والتصدير والتراكتورات والاراضي والبنايات والكميونات، وان تملأوا الامانات العامة والمديريات العامة والمحافظات بالانصار والاقارب من البررة والفجرة معا، ثم تتحكمون بهذه البلاد تحكم السادة بالعبيد، فلا وظيفة الا لواحد من حزب الشعب، ولا صفقة الا لعضو من اعضائه ولا تصديرا يمنع او استيرادا يباح الا لمن يتصل نفعه اتصالا وثيقا بالحزب واعضاء الحزب او صندوق الحزب".

□

ان تنامي القوى الشعبية في سورية قد جعل اليمين في حزب الشعب يفضل - حسب اعتقادي - الحكم الديكتاتوري الذي يصون مصالحه وامتيازاته على ان تحكم البلاد حكما وطنيا ديموقراطيا.

واذا لم يعترف حزب الشعب بأن هذه الازمة قد دفعت الجيش للقيام بانقلابه العسكري التالي، الذي كلف البلاد والجيش غاليا، فانه هيأ الاجواء الملائمة لقيام ذلك الحكم العسكري.

□

لقد كنت محرجا عندما عرض حزب الشعب علينا الاشتراك في الحكم، وكان بودي ان اشترك كما جرى بعد حركة العقداء ضد سامي الحناوي، ولكنني لم اكن واثقا برغبة القدسي والكيخيا بحل الازمة، بل كان ذلك احراجا لي في تلك الظروف الدقيقة التي كنت منصرفا فيها كليا لتنظيم الحزب.

كنا منهمكين بالاعداد للمؤتمر الحزبي الذي سيقرر منهاج الحزب ونظامه الداخلي بعد ان اصبح دستور حزب الشباب قاصرا عن استيعاب تطور الحركة وشمولها، كما ان الظرف لم يكن ملائما

لاشـتراكنا بـالحكم بعـد اتسـاع الحركـة وتخطيهـا مرحلـة الـدعوة والتبشير، فلا يمكن للشعب ان يدرك ان اشـتراكنا بهـذه الحكومـة كان لدواع سياسية طارئة، هذا بالوقت الـذي كانـت فيـه القيـادات اليمينيـة بحـزب الشـعب وحـزب البعـث (جـلال السـيد) والاحـزاب المؤتلفة ودعاة التحالف مع الغرب داخـل المجلـس وخارجـه كلهـم ينتظرون الفرصة لاظهار التناقض بين اهدافنا ومواقفنا.

لذلك لم يكن امامي الا ان ابذل ما استطيع من جهـد لاجـل ان يغير حزب الشعب مواقفـه وان ابصـره بالعواقـب الوخيمـة عليـه كحزب وعلى سورية.

وكنـت كمـا سـبق لـي القـول قـد تمكنـت مـن انشـاء علاقـات ود وتفاهم مع بعض قيادات حزب الشعب كالدكتور عبد الوهاب حومـد وجـورج شـلهوب وشـاكر العـاص وعلـى بوظـو والـدكتور معـروف الدواليبي وكنت احاول ان نكون دوما بوجة نظر سياسية واحدة.

وهـذا مـا سـاعد علـى بقـاء الجمعيـة التأسيسـية والحيـاة البرلمانية اطول وقت ممكن ولكن هـذه الصـلات الوثيقـة والعلاقـات الطيبـة لـم تكـن لتثمـر دائمـا لان زعامـة رشـدي الكيخيـا ونـاظم القدسي المستندة الى القوة السياسية الكبيرة في منطقة حلب والتي بيدها مصائر معظـم نـواب الحـزب ومسـتقبلهم السياسـي كان لها دائما القول الفصل في تحديد موقف الحزب اخيرا.

لقد استمر حزب الشعب بالدسائس والشائعات كما استمر داخل المجلس بالمنـاورات فبعـد تـأليف حكومـة خالـد العظـم قـدم رشدي الكيخيا استقالته من رئاسـة المجلـس النيـابي ونـزل الـى صفوف النواب منذرا ومهددا واعلـن حـزب الشـعب انـه اصبح حزبـا معارضا وبعد ان القـى العظـم بيـان وزارتـه طلـب الكيخيـا ان يتلـى كتاب استقالته من رئاسة المجلس، فاقترحت ارجاء ذلـك الـى مـا بعد مناقشـة البيان الوزاري، فوافق المجلس علـى اقتراحـي فأصـر نواب حزب الشعب علـى مناقشـة البيـان الـوزاري بعـد 24 سـاعة فقط فاقترحنا تأجيل المناقشة لعلنا نتمكن من اقناعهم بخطورة ما يفعلون وانعكاسه على الحياة الديموقراطية.

لقد كان موقفنا في غاية الحرج، وفشلت خطتنا التي كانت تتجه، مع الزمن، نحو اقامة جبهة وطنية من حزب الشعب وحزب البعث العربي، والحزب العربي والاشتراكي، والفئات التقدمية الاخرى لكن سيطرة القيادات اليمينية على تلك الاحزاب والفئات لم تمكننا من تنفيذ هذه الخطة التي شاءت الظروف ان تتحقق بعد نضال سنوات ضد ديكتاتورية اديب الشيشكلي.

كان ضعف حكومة العظم محرجا لمؤيديها، بالوقت الذي استمر فيه حزب الشعب في مناوراته، فجعل من جلسة التصويت على الثقة في المجلس مظاهرة احتجاج ضد الشبح! (الجيش) فقد غادر قاعة المجلس بصمت اساطين الحزب وحلفاوهم اثناء التصويت: تسعة من نواب حزب الشعب وثلاثة من نواب الجبهة الاسلامية الاشتراكية، فنالت الحكومة ثقة هزيلة بـ 51 صوتا واستنكاف 42.

وقد اتى رد خالد العظم حكيما رغم كل مظاهر الاستفزاز:

"اني لمغتبط للجو الذي ساد المجلس اليوم، لقد ظن البعض ان الاصطدام سيقع بين النواب، ولكن هذا الظن خاب وحل مكانه التفاهم والتعاون في سبيل مصلحة البلاد، اذ وقف الجميع صفا واحدا امام الشدائد، اليد مع اليد والاخ مع الاخ. اننا لفخورون بهذا التضامن وان كان في المجلس صفان يمكن تسمية الاول بالمناضل المحارب

الذي يمنح الحكومة الثقة ويؤيدها بأعمالها، والفريق الثاني بالمؤازر لانه لم يكن معارضا ولو كان في نفسه ما يستدعي عدم منح الثقة الا بعد ان تتبين له اعمال الحكومة.

"اما الحالة المتوترة في النفوس والتي ادت الى عدم نجاحي بتشكيل وزارة ائتلافية فانني اعتقد جازما بأن المستقبل القريب سوف يحقق هذه الرغبة التي في قلبي والتي يجب ان نعمل كيفما كان الحال لتحقيقها".

"واما الحالة على الحدود فالافضل ان اجتمع مع لجنتي الشؤون الخارجية والدفاع لادلي للسادة الاعضاء بالمعلومات المفصلة،

علـى ان تخصـص جلسـة ليسـتمع السـادة النـواب الـى هـذه التفاصيل".

الاحزاب المؤتلفة المؤيدة للقوتلي تستغل الازمة

لم يقف الشعبيون عند حدود تأزيم الوضع باسـتقالة حكومـة القدسـي ومناوراتهم اثناء تشكيل الحكومة، بل جعلوا مـن تشـكيل حكومة خالد العظم مناسبة للاستمرار في معـركتهم مـع الجـيش دون ان يعلنوا بشكل رسـمي دوافـع مـوقفهم واغراضـه فـي وقـت كانت تقوم فيه المظاهرات الشـعبية فـي دمشـق وحلـب والمـدن الاخـرى مؤيـده الجـيش لموقفـه الشـجاع امـام اسـرائيل، اذ حـال بـالقوة [2] دون تنفيـذ مآربهـا مـن الاسـتمرار فـي تجفيـف بحيـرة الحولة، كمرحلة اولى من مراحل تحويل نهر الاردن، وكانت برقيـات وعرائض الدعم والتأييد تنهال على الجيش من كل انحاء الـبلاد بـل من كل قرية وحي.

وقـد اسـتغلت الاحـزاب المؤتلفـة (المؤيـدة للقـوتلي) هـذه الازمـة فركبـت الموجـة وايـدت الجـيش فـي موقفـه وادانـت حـزب الشـعب بتواطئـه واعتبرتهـا مناسـبة ثمينـة للحملـة علـى حـزب الشعب وعلى حركة الفلاحين والحزب العربي الاشـتراكي فـي آن واحد.

فقد جاء في مقال لنجيب الـريس بجريـدة القـبس، الناطقـة بلسان الاحزاب المؤتلفة، بتاريخ 8 نيسان 1951، ما يلي:

"لا احب ان افترض بحزب الشعب - سـلفا - سـوء النيـة او سـوء الوطنيـة كمـا يفترضها غيري، ولكني اريد ان اعتقد ان جماعـة حـزب الشـعب انمـا يقـامرون هذا المساء (جلسة الثقة بوزارة خالد العظم) بكيانهم ومسـتقبلهم وتـاريخهم اذا تجاهلوا الاثر العميق الذي سيتركونه في نفس الشعب اذا هم وقفـوا فـي الداخل يحاربون حكومـة تحـارب فـي الخـارج، ويخـذلون وزارة تقـف مـع بلادهـا

(2) في 4 نيسان 1954 هاجمت ثمان طائرات اسرائيلية منطقة الحمة وقصفتها لمـدة سـاعة علـى دفعات، فتصدت لها المدفعية المضادة، ثم قدمت الى المنطقة مفـرزة يهوديـة مسـلحة بالبنـادق والاسلحة الاتوماتيكية وحاولت دخول المنطقة بالقوة ومهاجمة مخفر سوري، فوقـع اشـتباك دام بين رجال المخفر السوري وبينهم اسفر عن قتل 7 يهـود وجـرح واحـد واسـر اخـر وفـرار البـاقين، وفشلت الحملة اليهودية بتحقيق اهدافها.

وجيشها وشعبها في وجه عدو خطر، تسانده اسلحة واموال اقوى دولة في الدنيا، وتسلطه على جميع مقدسات الاسلام والعرب، وهذا العدو لا يعتمد على هذه القوى في عدوانه على سوريا فقط، بل يستفيد من ضعف حكومة يزعم ان اكثرية المجلس ضدها وان مثل هذه الحكومة لن تستطيع ان تجمع القوى الوطنية في داخل البلاد على محاربة اسرائيل فالفرصة اذن سانحة امام اليهود ليسجلوا نصرا جديدا لهم يستمدون بعض وسائله من داخل البلاد السورية ومن مجلسها النيابي".

ثم قال:

"ان على حزب الشعب هذا المساء ان يؤدي امتحانا امام الشعب وامام العالم على مقدار استحقاقه للحكم والسياسة والزعامة، وان هذا الامتحان سيقرر مستقبله".

وفي اليوم ذاته نشرت "القبس" فصلا من فصول حملتها على حزبنا وعلى حركة الفلاحين فقالت:

"تلقينا طائفة من البرقيات وقعها فريق من آل العاشق وآل البارودي ملاكي قرى الطار في حماة ومن بعض التجار الحمويين الذين اسسوا مشاريع للقطن في قرى هؤلاء الملاكين، يقولون فيها ان الفلاحين من اهالي هذه القرى وجوارها وهم من عرب السماطية نصف الرحل، هاجموا الاراضي وطردوا المزارعين الحمويين اصحاب المشاريع، وحشدوا فدنهم ودوابهم وطروشهم، فحرثوا الاراضي المزروعة قطنا فعطلوها وزرعوا الحقول المزروعة بالقمح، وخربوا البيوت التي اقامها اصحاب القطن، واجلوا العمال والبساتنة ويقدر عدد المهاجمين بنحو الفي شخص مسلحين بشكل ثورة مسلحة وعصيان عام، ويتهم اصحاب البرقيات في حماة بهذا الهجوم او هذه الثورة الحزب العربي الاشتراكي ويطلبون الى الحكومة انصافهم وحماية اموالهم وارواحهم واملاكهم.

على اننا لم نفاجأ بهذه الحركة فقد توقعناها منذ سنة كاملة يوم حرض هؤلاء السياسيون فلاحي قرية السويداء على صاحبها الشرعي القديم السيد نجيب البرازي رئيس الحزب الوطني في حماة، ويوم اسس هؤلاء حزبهم في المعرة وخان شيخون ووقعت الحوادث الدامية بين آل الحراكي وبينهم، فقد بذرت بذور الشيوعية باسم الاشتراكية والتقدمية، وحرض هؤلاء

السياسيون الفلاحين على الملاكين في قرى بعرين وعقرب ونيصاف رغما عن جميع السندات الشرعية والقانونية التي يحملها الملاكون من خمسين سنة وقلنا ان على ملاكي حماة ان يذودوا عن املاكهم بارواحهم واموالهم لان الحكومات لن تنصفهم ما داموا ضعفاء متخاذلين متباغضين، وأنذرناهم بأنهم ان لم يقضوا على الفتنة قبل ان تستفحل، فسيأتي يوم يطردون فيه من قراهم واملاكهم رغما عن الشرع والقانون ومرور الزمن، ولكن اكثر هؤلاء الملاكين وقفوا من الاعتداء على زملائهم موقف المتفرج الحيادي، كأن الامر لا يعنيهم، وكأن نجيب البرازي وحده مثلا هو المقصود بالذات دون سواه، ولكن هذا الرجل صمد وحده وناضل بنفسه امام المحاكم وامام دوائر الدولة، وقد ايده الحزب الوطني بصحفه ورجاله ووسائله لانه صاحب حق ولانه ملاك شرعي قديم، حتى استطاع ان يسوي الامور بنفسه وان يضع حدا لهذه الحركة، فهل وقف ملاكو حماة الى جانبه؟ كلا! لقد تركوا بذور الفتنة تبذر في قراهم والحزب الاشتراكي او الشيوعي يؤسس في بيوتهم فاذا بهم يفاجأون اليوم بهذه الثورة المسلحة تخرجهم من اراضيهم وتعطل زراعة القطن في اخصب المناطق، وتقضي على رؤوس الاموال التي بذرها الحمويون في اراضي الطار.

ان آل البارودي وآل العاشق في قرى الجبين وحيالين وكفر هود والتريمسة ملاكون من خمسين سنة، وان الفلاحين من عرب الطار السماطية كانوا على ولاء معهم طول تلك السنين، ولكن الاشتراكية او الشيوعية لم تكن قد دخلت تلك القرى ايام كان الملاكون يبيعون مد القمح باربعين قرشا سوريا ويستدينون ضرائب الدولة ونفقات الفلاحين بفاحش الربا، وحين كان الفلاح اسعد من الملاك، اما الان وقد تحسنت اسعار الحبوب وازدهرت زراعة القطن فان على الشيوعية ان تبطل هذا الازدهار وان تقضي على زراعة القطن الناشئة وان يطرد الملاكون من املاكهم.

ايها الملاكون من اصحاب القرى والمشاريع الزراعية والصناعية والتجارية ان الحركة ليست محلية ولا حموية بل انها يسارية شيوعية فاذا لم تتضامنوا وتستعدوا وتناضلوا بأموالكم ورجالكم وانفسكم واولادكم فان مصيركم مصير كل رجل يخسر البعير حتى لا يدفع ثمن الرسن، وعليكم ان تخرجوا من حيادكم الضعيف الذليل، وأن تغيروا هوياتكم من وجهاء وذوات الى حزبيين سياسيين فتنضموا علنا الى الاحزاب التي تحمي برامجها الملكيات

المشروعة ورؤوس الاموال والعائلة والدين وامامكم حزبان سياسيان: الحزب الوطني وحزب الشعب على ما بينهما من اختلاف".

1951: الاشتراكيون العرب يعقدون مؤتمرهم الاول في دمشق (آذار 1951)- المؤتمر يحدد مبادىء الحزب العربي الاشتراكي - اول التقاء مع الاحزاب الاشتراكية العربية

الحزب العربي الاشتراكي

حقق الحزب في اوائل عام 1951 انجازات هامة ترافقت مع اتساع دعوته في اوساط الفلاحين التي شملت معظم انحاء البلاد للصمود امام طغيان الاقطاعيين، فقد تمكن من فتح فروع له في مختلف انحاء سورية، كما حقق لاول مرة اتصاله مع الاحزاب الاشتراكية في الاقطار العربية الاخرى، وانجز وضع دستوره الجديد ونظامه الداخلي واقرهما مؤتمر الحزب العام الذي انعقد في دمشق.

وفي هذه الفترة اعدت تشكيل هيئة جديدة لفرع حلب، حيث ذهبت مع الاستاذ احسان الحصني فاتصلنا بالمحاميين ناظم الصقال وعبد الفتاح الزلط وعقدنا عدة اجتماعات مع اشخاص آخرين اذكر منهم المحامي يوسف اليان ومحمد علي الزرقا استاذ الجغرافيا في ثانويات حلب (من لواء الاسكندرونة) وقد انتسب المحاميان الصقال والزلط الى الحزب فكلفتهما بالتعاون مع المحاميين زكي الحموي وامين مزيد بادراة فرع حلب بعد ان جرى حل هيئة الفرع السابقة.

وبعد ان تم تشكيل الفروع في كافة انحاء القطر ارسلنا تعميما لكل الفروع لتوفد عنها ممثلين الى المؤتمر العام الذي انعقد في شهر آذار 1951 لوضع دستور الحزب ونظامه الداخلي.

أول مؤتمر للاحزاب الاشتراكية العرابية

في مطلع عام 1951 قام كمال جنبلاط رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي بزيارة لحزبنا في دمشق، وقد استعرضنا معا

فكرة عقد مؤتمر عام للاحزاب الاشتراكية في اواخر شهر آذار 1951.

وكان الاستاذ كما جنبلاط بحكم اتصالاته السابقة مع الاحزاب الاشتراكية العربية الاخرى اكثر قدرة على عقد مثل هذا المؤتمر. وقد تقرر عقده في لبنان في 27 آذار.

ولكن المعارضة اللبنانية كانت آنذاك في اوج معركتها مع الحكومة بمناسبة الانتخابات الجارية يومذاك، فقررت الحكومة منع عقد مؤتمر الاحزاب الاشتراكية العربية، وقد نشرت (النهار) نبأ هذا المنع في 24 آذار وقالت: "ويبدو ان التعليمات قد ارسلت الى المفوضيات بمنع ممثلي الاحزاب الاشتراكية العربية من الحضور. فقد تلقى الاستاذ كمال جنبلاط من مصر البرقية الاتية:

البرقية الاتية:

النائب المحترم كمال جنبلاط

امتنعت قنصليتكم في مصر عن اعطاء تأشيرة للاستاذ كمال سعيد المحامي، مندوبنا بالمؤتمر اطلبوا من وزارة الخارجية مراجعة المفوضية حالا

احمد حسين

رئيس الحزب الاشتراكي

وحين ابلغنا كمال جنبلاط قرار المنع برقيا اتجهت النية لعقد المؤتمر في سورية، وكتبت النهار في 25 آذار قائلة: "ومن المنتظر ان يتبنى الحزب العربي الاشتراكي فكرة الدعوة لعقد المؤتمر في سوريا، وربما وقع الاختيار على احدى المناطق السورية القريبة من الحدود اللبنانية ولعلها مدينة تلكلخ.

وكان ثلاثة آخرون من اعضاء الوفد المصري قد وصلوا الى بيروت في 24 آذار وهم محمد حلمي غندور مراقب عام الحزب الاشتراكي، والدكتور محمود علي زيتون امين شعبة الزقازيق وابراهيم زيدان عضو لجنة الحزب التنفيذية، وقال السيد غندور

رئيس البعثة: "وفي اليوم الثاني لوصولنا الى بيروت ذهبنا للتشرف بزيارة دولة الحاج حسين العويني في منزله لنرفع اليه تحياتنا وتركنا له بطاقاتنا، وكان رد دولة الحاج حسين علينا ان ارسل الينا بعد ساعات الامير فريد شهاب مدير الامن العام يحمل الينا (اللعنة) من دولة رئيس الوزراء ويطلب منا مغادرة البلاد فورا، وسحبت جوازاتنا واعتقلنا في دائرة الامن العام لترحيلنا بالقوة".

(النهـــــــــــار 1951/3/27)

ونظرا لعدم وجود مقاعد في الطائرة المسافرة من بيروت الى القاهرة فقد ظل مندوبو الحزب الاشتراكي المصري في بيروت يومين آخرين، وحضر من دمشق سرا رفيقنا احسان الحصني، فانعقد المؤتمر في ظل تلك الصعوبات والظروف غير الطبيعية في بيروت وصدر عنه القرار التالي:

"ان الاحزاب الاشتراكية العربية الملتئمة في اول مؤتمر عربي اشتراكي عقد في لبنان في 26 آذار 1951، وهي ممثلة:

- بحزب مصر الاشتراكي - مصر

- بالحزب العربي الاشتراكي - سوريا

- بالحزب التقدمي الاشتراكي - لبنان

- بالحزب الوطني الديمقراطي -العراق، الذي حالت موانع قاهرة دون حضوره.

بعد تبادل الاراء والمداولة في الاوضاع الشاذة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تسيطر على البلاد والتي تشكل عقبة كبيرة في سبيل تطوير هذه الشعوب وفي سبيل انشاء الانظمة الشعبية الصحيحة الرامية الى ضمان حقوق الجماهير الشعبية في المعيشة وفي العمل وفي العلم وفي الحرية:

ان هذه الاحزاب التي تمثل وعي الشعوب العربية لمصالحها الاساسية في الاستقلال وفي التعاون وفي الحياة السعيدة، قررت بالاجماع تبني المقررات التالية:

اولا: عقد مؤتمرات دولية دورية للاحزاب الاشـتراكية فـي الـبلاد العربيـة، بغيـة تنسيق التعاون وتسهيل التعارف وتقريـر المنـاهج العلميـة، وسـيعقد المـؤتمر المقبل في القاهرة في اوائل عام 1952.

ثانيا: اسـتنكار موقـف الحكومـات العربيـة ازاء الاحـزاب الاشـتراكية، والمطالبـة بحرية العمل الحزبي العامة وحرية النشر والصحافة والاجتماع.

أ- استنكار منع الحكومة اللبنانية المؤتمر الاشتراكي الاول من الانعقاد فـي بيروت ومنع بعض المؤتمرين من الوصـول الـى لبنـان، والاحتجـاج الصـارخ على طريقة معاملة الوفد المصري من جانب الحكومة اللبنانية.

ب- اسـتنكار موقـف الحكومـة المصـرية مـن الغـاء امتيـاز جريـدة مصـر الفتـاة الاشتراكية وعدم الترخيص لنائب حـزب مصـر الاشـتراكي باصـدار جريـدة اخرى، واستنكار سجن رئيس تحرير جريدة الاشتراكية دون محاكمة.

ثالثا: السعي لتعديل قوانين الانتخابات المعمول بها حاليا في البلـدان العربيـة بغية التمثيل الشعبي الصحيح.

رابعا: اقرار مطالب المرأة في ممارسة حقوقها الاجتماعية والسياسية.

خامسا: تقرير حق انشاء نقابات للعمـال وجعـل الانتمـاء اليهـا اجباريـا، وتقريـر حق الاضراب وحق الراحة بأجر، وتأمينهم ضد البطالة والعجز.

سادسا: انشاء نقابات للعمال الزراعيين وتطبيق قوانين العمل عليهم.

سابعا: تعميم مجانية التعليم في جميع مراحلـه وجعلـه الزاميـا فـي المرحلـة الابتدائية.

ثامنا: تحديد الملكية الزراعيـة علـى ان يشـمل هـذا التحديـد اراضـي الاوقـاف والشركات والحكومات، وتشجيع التعاون الزراعي.

تاسـعا: المطالبـة بجـلاء الجيـوش الاجنبيـة جـلاء تامـا نـاجزا عـن وادي النيـل والعـراق وشـرقي الاردن وليبيـا، وايجـاد حـل لقضـية فلسـطين يرجعهـا الـى اصحابها العرب الاصليين، واحترام استقلال كافة الدول العربية.

عاشرا: مطالبة الحكومات العربية بالسعي الى تأميم مرافقها الحيوية والعمـل على محاربة الاحتكار الاجنبي في شـتى اشـكاله وصـوره، وتهنئـة مجلسـي

البرلمان والشعب الايراني على قرارهم العظيم القاضي بتأميم منابع زيوت البترول.

حادي عشر: العمل على توثيق روابط التعاون الاقتصادي بين الدول العربية على اساس مصالح شعوبها المتبادلة.

ثاني عشر: اعلان رأي الشعوب العربية بأن لا تتعاقد ولا تتحالف الا مع الدول التي تضمن لها مصالحها الاساسية في الاستقلال وفي الحرية دونما اي اعتبار للمذهب السياسي الذي تسير عليه هذه الدول".

□

حقق هذا المؤتمر، وهو الاول من نوعه، الخطوة الاولى نحو وحدة النضال العربي للاحزاب الاشتراكية ضد الاستغلال الداخلي والاستعمار الخارجي، ومن المؤسف ان يكون حزب البعث غائبا عن هذا المؤتمر لانه لم يكن معتبرا من الاحزاب الاشتراكية نظرا لجنوح نائب الحزب جلال السيد الى صف الفئات اليمينية في المجلس النيابي.

وكان هذا المؤتمر بداية الانطلاق للتعاون فيما بعد بين الحزب العربي الاشتراكي وبين الحزب التقدمي الاشتراكي في لبنان مما ستظهر آثاره في النضال ضد الديكتاتورية، وفي سبيل انتهاج سياسة الحياد الايجابي بين المعسكرين الدوليين المتصارعين.

□

بعد شهرين من ذلك المؤتمر وصل الى دمشق بتاريخ 26 مايس 1951 اعضاء الجبهة الاشتراكية الوطنية في لبنان وهم: كمال جنبلاط وكميل شمعون وانور الخطيب وبيار ادة وغسان تويني واميل البستاني وديكران توسباط، وزوجة كمال جنبلاط.

وقد ذهب معي عدد من النواب للترحيب بهم في فندق الشرق، كما اقام رئيف الملقي وزير المعارف والاقتصاد بالوكالة مأدبة غذاء في احد مقاهي دمر "وكانت حفلة جامعة زادت من توثيق الاواصر بين سورية واركان المعارضة في لبنان" حسب تعبير الصحف، وقد أعلن النائب كميل شمعون بالحفلة سروره

لاجتماع رائدي الاشتراكية في سورية ولبنان، مشيرا الي الى كمال جنبلاط، وقد كنت معجبا بذكائه وكياسته.

□

المؤتمر العام للحزب العربي الاشتراكي - آذار 1951

كان حزب الشباب تنظيما محليا، وكان أحد بنوده ينص على تطوير مبادئه واهدافه، كما كان منهاجه منفتحا على الحركات والاحزاب العربية الاخرى التي تعتنق المبادىء والاهداف المماثلة، ولعل هذا الانفتاح في منظمة الشباب كان من اهم نقاط قوتها، فلم تتخذ الحركة من العقيدة دينا غيبيا غير خاضع للتجربة، بل على العكس، كانت الحركة بشعبيتها وانفتاحها تؤمن بالتطور والتجدد والتكامل بالوقت الذي تحافظ فيه على المبادىء والاهداف الاساسية التي بني عليها منهاجها وهي الوحدة العربية والديمقراطية والاشتراكية.

من هذه النظرة العقلانية انبثق دستور الحزب العربي الاشتراكي في مؤتمره العام الذي انعقد في دمشق في آذار 1951.

انعقد مؤتمر الحزب بحضور ممثلين من جميع فروعه في المحافظات والاقضية السورية، وكان عدد المندوبين يربو على الثلاثين عضوا، اذكر منهم نائب حمص في مجلس النواب احسان الحصني والمحامي زاهي الخوري (حمص) والمحامي زهير الميداني (دمشق) والاستاذ في الثانويات جورج عزام (دمشق) واستاذ الجامعة انطون مقدسي (بيرود) والمحاميين عبد الفتاح الزلط وناظم الصقال (حلب) والمحاميين محمد عطورة وخليل الكلاس والاستاذين نعمة الشيخ خالد وجورج حريكة (حماة) مع عددا آخر من ممثلي الحزب.

انتخبني المؤتمر بالاجماع رئيسا له، ودامت الجلسات اياما في مكتب الحزب، وكان الدستور القديم لحزب الشباب مدار البحث واساسه مع الاقتراحات التي قدمت للمؤتمر، وقد تمت

مناقشة واقرار مبادىء الحزب العربي الاشتراكي التالية بعد التصويت عليها مادة مادة:

المبادىء الاساسية

المادة 1 - الحزب العربي الاشتراكي حزب قومي، انقلابي اشتراكي، ديمقراطي.

1- الحزب قومي

المادة 2- العرب امة واحدة وعليهم ان يؤلفوا دولة واحدة في وطن عربي واحد.

المادة 3- أ- مؤسسات العرب الحضارية من اخلاقية وفكرية وفنية متحدة في اصولها العميقة وفي مختلف ادوار التاريخ.

ب- لغة العرب هي التي تعبر عن اصالتهم وطابعهم الذاتي وتماسك مؤسساتهم.

المادة 4- تتجلى الامة العربية في رسالتها الانسانية القائمة على نشر روح التضامن والاخاء بين الامم.

المادة 5- الوطن العربي هو كل ارض سكنها العرب ونشروا فيها لغتهم وطبعوها بطابعهم فاصبحت ضرورية للدفاع عن كيانهم.

المادة 6- يعتبر العرب جميع المناطق التي اغتصبت من اراضيهم جزءا من الوطن العربي.

المادة 7- القومية العربية ايمان عميق بعبقرية الامة العربية ومقدرتها على التجدد وعلى المساهمة في انشاء الحضارة الانسانية.

2- الحزب انقلابي

المادة 8- الحزب هيئة نضالية غايتها اذكاء الشعور القومي حتى يؤمن كل فرد برسالة الامة العربية ويستعد للنضال في سبيل انشاء كيان عربي سليم.

المادة 9- يستهدف الحزب ازالة الحواجز بين مختلف الطوائف الدينية والمذهبية والعنصرية والطبقية بهدم النظم الاجتماعية والاقتصادية

والسياسية الفاسدة ووضع نظم تتفق مع طبيعة العرب وحاجاتهم في العصر الحاضر.

المادة 10- الحزب هيئة شعبية تؤمن بالقوى الكامنة في الشعب العربي وتسعى الى ايقاظ هذه القوى وتنظيمها في سبيل الدفاع عن حق الشعب وحشدها لقلب جميع الاوضاع الفاسدة.

المادة 11- يسعى الحزب لتكوين خلق حزبي يمتاز بالتجرد عن الانانية الفردية وبتنمية الروح الغيرية بالاستماتة في سبيل اهدافه المثلى التي ليست في حقيقتها سوى اهداف العرب الاساسية.

المادة 12- يخضع الحق للواجب في صفوف الحزب.

3- الحزب ديمقراطي

المادة 13- الشعب مصدر القوة وصاحب السلطة في الحزب وفي البلاد، وهو الذي يصطفي قادته ويقرر بذاته وفي كل مرحلة من مراحل حياته النظم التي تصلح له.

المادة 14- سياسة الحزب مستمدة من حاجات الشعب وخاضعة لانتقاداته.

المادة 15- السلطة العليا في الحزب مجموعة افراده التي تؤلف طليعة العرب.

المادة 16- يلغي الحزب الالقاب والمراتب الصنعية ولا يعترف الا باسبقية المواهب.

4- الحزب اشتراكي

المادة 17- يأخذ الحزب بالاشتراكية العلمية كأساس لتنظيم الحياة الاقتصادية في البلاد العربية ويعتمد لتحقيق هذه الاشتراكية على الغاء التزاحم الاقتصادي الفردي والقضاء على الطبقية والرأسمالية والاقطاعية وذلك ليمكن افراد الامة من التعاون على رفع مستوى الحياة المادية للجميع.

المادة 18- يسعى الحزب لايقاظ روح التضامن بين افراد الشعب في سبيل القضاء على الخلق الاستغلالي.

المادة 19- الشعب هو الذي يقرر في كل مرحلة من مراحل تدرجه في الرقي الاقتصادي طريقة استغلاله لموارد بلاده واستفادته منها.

المادة 20- وسائل الانتاج ملك الامة.

المادة 21- الملكية وظيفة اجتماعية على المجتمع ان يراقبها ويحددها بالنسبة لحاجاته وظروفه.

المادة 22- العمل هو مصدر الثروة في البلاد ولذا يناضل الحزب ضد كل استغلال لمجهود العمال والفلاحين.

المادة 23- الاجور وسيلة لتوزيع الانتاج بين المنتجين بالنسبة للجهد الفردي.

المادة 24- العمل واجب اساسي على كل مواطن فعلى الدولة المطالبة به، وحق له فعلى الدولة تأمينه، وهو في نطاق الحياة الاجتماعية المصدر الرئيسي للحقوق.

المادة 25- العامل والفلاح هما الركن الاساسي في كيان الامة.

الفصل الثاني

الخطوط الاساسية لسياسة الحزب

1- السياسة الشعبية الاجتماعية

المادة 26- يجب ان ينبثق الحكم عن الفئات العاملة من الشعب في انتخابات حرة وان يكون الاداة المعبرة عن الاهداف والحاجات الشعبية.

المادة 27- على الدولة ان تؤمن لكل مواطن مستوى ماديا ادنى يحفظ له كرامته الانسانية، وتسن تشريعا اجتماعيا يحمي الشيوخ والعجزة من العوز، ويرعى الطفولة والامومة.

المادة 28- يحارب الحزب الانفصال القائم حاليا في كل البلدان العربية بين الحكم والشعب وذلك بانماء الوعي الشعبي وتسليم القيادة للذين يصطفيهم وينتخبهم الشعب.

المادة 29- خدمة العمل واجب على كل المواطنين.

المادة 30- يحارب الحزب المرض والجهل وذلك:

أ- بتأميم وسائل الصحة العامة.

ب- يجعل التعليم مجانيا في جميع درجاته والزاميا في دوره الابتدائي.

المادة 31- المرأة مساوية للرجل في الحقوق والواجبات.

المادة 32- البداوة خطر على مدنية الامة العربية، فتحضير القبائل منبع من منابع قوتها وفتوتها وحافظ لامنها واستقرارها، فعلى الدولة ان تسعى لتحضيرهم بتأمين وسائل الحياة الحضرية لهم.

2- السياسة الخارجية

المادة 33- السياسة العربية الخارجية مستقلة عن كل توجيه اجنبي، وهي لا تستهدف الا المصلحة القومية.

المادة 34- يحارب الحزب الاستعمار بكل اشكاله مادية كانت ام فكرية ويعتبره عدوا للانسانية

3- السياسة الاقتصادية

المادة 35- تصنع الدولة الزراعة وتحدد ملكية الاراضي كخطوة اولى في سبيل انشاء اشتراكية صحيحة وذلك على نحو يؤمن مصلحة كل مواطن وينمي الانتاج القومي.

المادة 36- توزع املاك الدولة على المواطنين القادرين على استغلال الارض بانفسهم على ان يفضل منهم الفلاحون وطلاب المدارس الزراعية.

المادة 37- تعنى الدولة بانشاء تعاونيات بين الفلاحين لاستثمار الاراضي استثمارا مشتركا على طرق فنية، ويدير هذه التعاونيات الفلاحون انفسهم.

المادة 38- تصنع الدولة البلاد، وفي الطور الاول لتحقيق الاشتراكية، تدار المعامل من قبل العمال واصحاب المعامل في المعامل الخاصة، ومن قبل العمال والدولة في المعامل المؤممة.

المادة 39- المرافق العامة ملك للامة كالخطوط الحديدية والموانىء، والمطارات، ومنابع القوة الحركية والكهربائية والمصارف الكبرى، وشركات التأمين والمناجم، والمشروعات الاساسية التي يتعلق بنجاحها انماء الثروة القومية والتي تتصرف بعدد كبير من المواطنين.

المادة 40- لا يجوز استغلال موارد البلاد الاقتصادية من قبل رأسمال اجنبي ولذا يعتبر العمل على تأميم الشركات الاجنبية من واجبات الدولة الاساسية.

المادة 41- على الدولة ان تقوم بالمشروعات الزراعية الكبرى من تجفيف المستنقعات وتعميم الري والغرس والتحريج وبناء القرى النموذجية وتعميم الالة، وتسلم كل هذه المشاريع تدريجيا للعمال والفلاحين الذين يعملون فيها على ان تكون ملكيتها مشتركة بينهم.

المادة 42- تشرف الدولة على التجارتين الداخلية والخارجية وذلك لحماية المواطنين من الاحتكار ومن تحكم الاجانب بالاسواق الداخلية.

المادة 43- على الدولة ان تنشىء مصارف للتسليف الزراعي والصناعي على ان تكون افضلية التسليف للتعاونيات.

المادة 44- تطرح الضرائب المباشرة على اساس تصاعدي يعفى منها الحد الادنى من الدخل الضروري للمعيشة، اما الضرائب غير المباشرة فتحدد في اضيق نطاق ممكن.

المادة 45- توجه السياسة النقدية نحو توحيد النقد العربي.

4- السياسة التشريعية

المادة 46- الشعب العربي مصدر كل سلطة وسيادة.

المادة 47- التشريع مستمد من حاجات الشعب العربي الحاضرة ومن تراثه.

المادة 48- نظام الحكم جمهوري شعبي.

المادة 49- حرية الضمير والتفكير والتعبير والاعتقاد والاجتماع والتظاهر وتأليف النقابات والاندية والاحزاب السياسية يضمنها التشريع في حدود المصلحة العربية الاشتراكية.

5- الجيش

المادة 50- الجندية واجب على المواطنين جميعا، ولا يجوز استبدالها.

المادة 51- يطبق نظام الفتوة في المدارس.

المادة 52- من الواجبات القومية الاساسية تقوية الجيش وتجهيزه باحدث ادوات القتال وانشاء المصانع الحربية والنهوض بالمدارس العسكرية.

الفصل الثالث

مواد متفرقة

المادة 53- مركز الحزب العربي الاشتراكي دمشق.

المادة 54- يقرر شعار الحزب ونشيده وتحيته مجلس المفوضين.

المادة 55- لا تعدل مواد هذا الدستور الا بطلب من العميد ومجلس المفوضين وثلث اعضاء مجلس الحزب التمثيلي العام.

المادة 56- لا يجوز ان يتناول التعديل نظام الحكم الجمهوري والمبدأ الاشتراكي والسعي الى الوحدة العربية.

□

بعد اقرار المبادىء فوضني المؤتمر مع الامين العام احسان الحصني ومفوض الثقافة الاستاذ انطون المقدسي بتنسيقها، وفيما يلي شرحها وتحديد معناها كما اتفق عليه في المحاضر المدونة للمؤتمر:

1- الوضع الراهن

ان من يلقي نظرة مخلصة على الشعب العربي، في هذه المرحلة من تاريخه، يرى اول ما يراه ان هذا الشعب قد فقد ثقته بذاته، وذلك لما توالى عليه من نكبات خلال الاجيال الاخيرة، نكبات مصدرها تحكم الدول الاجنبية بمصيره، تدعمها في طغيانها وتواكبها قوتان - الاقطاعية والرأسمالية - هما دائما وابدا الد أعداء الشعب. ولذا فالفكرة الاساسية التي تقوم عليها الحركة العربية الاشتراكية هي:

اولا: ايقاظ العرب من سباتهم ليستعيدوا ايمانهم بانفسهم، ثم حشد قواهم الشعبية وقذفها في وجه الاستبداد الاستعماري وتعسف رأس المال.

ان الامة العربية في وضعها الحاضر مصابة بشبه شلل نفسي مصدره الفئة المسيطرة فيها على قوى الانتاج ومنابع الثروة تلك الفئة التي تعمل بوحي الطبقة الحاكمة وبالتالي بوحي الاجنبي.

فالواجب الاساسي على كل عربي محاربتها حتى يزاح عن الامة كابوس الاستعمار الخارجي والداخلي.

لقد ادى تضارب المصالح بين الشعب العربي وحكامه الى خلق فجوة عميقة تفصل بين الاثنين، وتشل كل تقدم في البلاد وصارت ازالة هذه الفجوة

ضربا من المحال اذا لم تعرف الجماهير العاملة كيف تخلع عن اكتافها نير الاستعمار وتوحد افراد هذه الامة بالعمل وللعمل.

اجل، ان الحكومات - في كل الاقطار العربية- لا تمثل الشعب ولا الشعب يتعرف الى ذاته فيها، فكأنها - وهذا ما هو حاصل بالفعل - قدر مفروض عليه من قبل قوة خارجية وكأنه محتم عليه ان يلجأ ابدا للحصول على بعض حقوقه الى الاساليب الملتوية، مع ان العلاقة الصحيحة في مجتمع سليم، بين الجمهور والقادة، يجب ان تكون علاقة محبة وتفاهم لا علاقة بغضاء وتزاحم.

وهذا التنافر واضح في موقف الجماهير العربية من حكوماتها فمجرد التلفظ بكلمة حكومة كاف ليثير في النفوس صورة كابوس بغيض وعاطفة سخرية واشمئزاز.

وكان من نتيجة ذلك ان تكونت في بلادنا عقليتان متميزتان عن بعضهما عقلية المستغلين وقوامها الطغيان وعقلية المستغلين وقوامها الخنوع، وهذا امر طبيعي اذا كانت السلطة التنفيذية متآمرة مع الاجنبي على الشعب، مسخرة قلبا وقالبا لارضاء نزوات بعض الافراد ممن لا ينظرون الى العمل والفلاح الا من خلال انانيتهم.

ان الحكومة المنبثقة عن الشعب لا تهتم فقط بما يطالبها به الشعب، بل تستبقه الى معرفة حاجاته وتسعى الى تبنيها قبل ينتبه هو اليها.

عبثا نتبنى في قوانينا شكل الحكم الديمقراطي، فاذا لم يتحرر الفلاح من نير الاقطاعي، والعامل من نير الرأسمالي، واذا لم نتحرر في تكويننا الاجتماعي فقانون الانتخابات يبقى حبرا على ورق. ولذا فالحزب العربي الاشتراكي، اذ يطالب في المادة (26) من دستوره بانتخابات حرة، يسعى بالدرجة الاولى الى خلق مجتمع متحرر من شبح الاستبداد والخوف الذي يهيمن على نفوس الطبقات العاملة ويشل حركتها التقدمية.

واما المثقفون فقد وضعوا في اكثريتهم الساحقة، بينهم وبين الشعب حاجزا كثيفا لا بل اتخذوا من الهزء بالعامل والفلاح شعارا لهم. وهكذا حكموا على انفسهم بالعقم وراحوا يسترون فراغ تفكيرهم وراء كلمات جوفاء ومناقشات سفسطائية لا تصلح الا لقتل الوقت في جو المقهى، واولى نتائج انفصالهم عن الشعب تدني الادب والفن والفكر في كل البلاد العربية.

فلا عجب بعد ذلك اذا اعرض الجمهور عن كل ما يكتب او ينشر او يقال، فهو يدرك بحسه السليم ان ما يعرض عليه غريب عنه، بل مجرد ثرثرة غايتها تشويه الحقائق وتضليل الفكر الصحيح.

وفي الواقع ان الفكر عندنا اذا لم يكن مسخرا لخدمة الطبقات الحاكمة فهو يكتفي بنقل وتقليد - وبالاحرى بتشويه - الفكرين العربي والغربي. ولذا نرى الادباء اول من يهزأ بالادب، والمفكرين اول من يهزأ بالفكر.

ان الادب الصحيح هو الذي ينتج عن التفاعل الحي المتبادل بين الاديب والشعب، فاذا فقد هذا التفاعل فقد الادب علة وجوده.

2- الفكرة القومية

القومية الشعبية: من البديهي بعد ما تقدم ان يكون اول شيء يستهدفه الحزب العربي الاشتراكي هو الرجوع الى الشعب ليتساعد معه على ازالة كابوس الاستعمار عن هذه الامة. وبذلك تعود اليها مقدرتها على التطور والتجدد والابداع، فتنتج قادة وادباء ومفكرين يعبرون عن رغباتها، كما تضع نظما اجتماعية وسياسية واقتصادية تتفق مع حاجاتها وطبيعتها الخاصة.

واذا كانت الديمقراطية هي حكم الشعب لذاته، فلا يعني ذلك سوى هذا الاتصال الوثيق بين الشعب وقادته من حكام ومفكرين، اذ يشعر كل فرد من افراد الشعب بأن الموجه والمنظم منبثق عنه ويعبر عن آماله.

فالحزب العربي الاشتراكي اذا عندما يسير تحت شعار الديمقراطية والشعبية كما توضح ذلك المواد (10و 13و17 و19و25) من دستوره يتجه الى العنصر السليم في الامة اي الى العمال والفلاحين لا الى الذين يعيشون من مساوماتهم على عمل الاخرين، لان الجماهير العاملة وحدها بامكانها ان تتبنى رسالة العرب وتأخذ على عاتقها امر تحقيقها.

الشعوبية واللاقومية: ولكن اذا كان الحزب شعبيا فهو يعلم بأن الشعبية مهددة بالتحول الى شعوبية ولذا يحرص على مبادئه القومية تفاديا لمثل هذا الخطر.

من المعلوم ان الشعوبية كما عرفت في اول عهود الاسلام كانت تقوم على تفضيل العجم (اي الاجانب) على العرب، لتقصير هؤلاء وعراقة اولئك في مجال الحضارة، والشعوبية بمعناها العميق هي اللاقومية، وبهذا

الاعتبار تهدد كل الامم الناشئة اذ تكون في وعيها شعورا بالتقصير وقد عرف الغربيون في مختلف عصورهم وبشكل خاص في القرن الثامن عشر اللاقومية على شكل نزعة انسانية متطرفة يطلقون عليها اسم (كوزموبوليتزم Cosmopolitisme) والامم الحديثة - حتى التي تسير منها تحت الشعار الانساني كروسيا وفرنسا - تدرك خطر الانحراف اللاقومي وتحاربه بشتى الوسائل.

وذلك واضح في حرص الامم الغربية على طابعها واصالتها وتراثها القومي وعملها الدائب على تجديد هذا التراث.

ومن الملحوظ ان اللاقومية بدأت تتفشى عندنا وتكتسح بشكل خاص صفوف المثقفين. والسبب عائد كما قلنا الى ان الفكر العربي قد انسلخ عن منابعه بابتعاده عن جمهور الشعب.

وتتجلى عندنا اللاقومية في نزعتين متناقضتين ظاهريا، متحدتين في الاعماق: الاولى تقوم على اعتبار كل ما هو عربي فاسد من الاساس وغير صالح للحياة، ولذا تنادي بجعل الفكر الغربي اساسا لنهضتنا - وهذه هي الشعوبية بمعناها الحصري - والثانية تقوم على كره كل ما هو اجنبي، واعتبار كل ما هو عربي ذا قيمة مطلقة، وخطر هذا الانحراف الاخير لا يقل عن الاول.

ومما يسترعي الانتباه هو ان الفرد عندنا ينتقل على شكل مفاجىء من احدى هاتين النزعتين الى الاخرى، مما يدل على انهما واحد في الاصل، وعلى ان مبدأ التقليد والاقتباس خاطىء من الاساس.

وهناك اتجاه ثالث تدين به فئة تطالب بانشاء حضارة جديدة تجمع مزايا كل الحضارات السالفة ويعرف هذا الاتجاه عند الفلاسفة بالانتقائي وبالفعل كثيرا ما تسمع بعضهم يردد مثلا - وبدون اقل تهكم -: يجدر بنا ان نجمع بين اخلاق العرب وعلم الغربيين او ان نحيي مادية الغرب بروحانية الشرق مع ان الانتقائية لا تولد سوى الهجانة.

واقعيا هذا الاتجاه الاخير هو المسيطر على مفكرينا. ولذا لم ينجحوا لا في الاقتباس عن الغرب ولا في احياء التراث العربي، بل صفوا احدهما الى جانب الاخر صفا صنعيا مضحكا وهذا واضح - لدرجة تلفت النظر - في مدننا التي تفقد تدريجيا طابعها الخاص لتتزيا بزي هجين.

ان الاصالة ليست في التقليد، ولكن في الابداع ضمن الشخصية الحية وفي اتجاه خصائصها المميزة، ولذا فالمقصود بدراسة الحضارة الغربية ليس نقلها ولا انتخاب القسم الحسن منها، ولكن تمثلها لتكون بمثابة محك لذكائنا، كما ان احياء التراث العربي ليس الهدف منه اعادة الماضي، فالحياة لا تعرف التكرار - ولكن دوام حياتنا وتحقيق الانسجام في كياننا القومي.

ان كل اقتباس يبقى اضافة خارجية اذا لم نحوله الى جزء منا.

وخط السلوك الصحيح لامة حية هو ذاك الذي غالبا ما سلكه العرب بعد خروجهم من الجزيرة، والذي تسير عليه كل امة ناهضة، الا وهو صهر جميع النزعات في بوتقة واحدة، هي جسم الامة الحي، فبهذه الوسيلة وحدها يتحقق الشرط الاساسي لحياة الامة اي دوام تجددها.

فالاساس العملي اذن لنهضتنا، هو شعار الحزب الاول اي ايقاظ وعي الامة لتصبح قادرة على الاستيعاب والهضم وبالتالي على الانتاج.

ان المفاهيم الثلاثة التي ذكرناها كلها نماذج من اللاقومية لانها تقوم على الاقتطاع والانتقاء، وعلى الجمع والتلزيق، لا على مبدأ الحياة الاساسي مبدأ التمثل والتجدد الدائم، وخطرها ناتج عن انها تعتبر جسم الامة على شكل وحدات بالامكان ضمها وفصلها حسب الظروف، ولذا فهي تسلخ الفرد عن جذوره الحية والامة عن ماضيها.

القومية الانسانية: فالحزب العربي الاشتراكي اذ يضع عمله تحت شعار القومية، كما تدل على ذلك المواد 2و7 من دستوره يعتبر نضال الشعب العربي ضد الاستعمار والاستغلال نضالا قوميا في سبيل انسانية تضم في احضانها قوميات مختلفة عن بعضها في خصائصها ومتحدة في اهدافها العليا.

ولكن اذا كانت نزعة الحزب القومية تقي شعبيته من الشعوبية، فشعبيته بالمقابل تقي فكرته القومية من التعسف القومي المعروف بالنازية.

ان الفكرة القومية تقوم على اعتبار الامة كلا حيا يتطور دون ان يفقد شخصيته، وهذه الفكرة لاصالتها في الانسان، رافقت كل ادوار تاريخ البشر، ولكنها غالبا ما تقع في انحراف خطر عندما تستلم البورجوازية زمام الدولة فتأخذ شكلا مغلقا هجوميا، ذلك ان الهدف الاول للبورجوازية هو اخضاع الاقتصاد العالمي لبعض كبار المحتكرين، ولذا تغذي الشعور القومي

لتستخدمه في حروب استعمارية غايتها امتلاك المواد الاولية والسيطرة على الاسواق التجارية، وتستثمر الطبقة الرأسمالية في مثل هذه الظروف لتحقيق غايتها العدوانية، بعض الافكار الفلسفية منها: العرقية ونظرية المدى الحيوي او نظرية الامة المختارة.

ولذا يقرر في المادة (5) من دستوره بان الطابع العربي كاف لتحديد عروبة الفرد، لا الفروق الخارجية والمميزات العرقية، وبهذا الاعتبار يكون العربي كل فرد عاش بين العرب واحبهم وتمثل لغتهم وعاداتهم، وشاركهم في نضالهم وشاطرهم افراحهم والامهم، وتبنى وجهة نظرهم في الحياة، وآمن برسالتهم الانسانية وبمقدرتهم على النهوض لتحقيق هذه الرسالة (المادة 7 من الدستور) وبتعبير مختصر "العربي من انصهر في كيان العرب".

وعطفا على ما تقدم تقرر المادة 5 من دستور الحزب بأن الوطن العربي هو كل ارض سكنها العرب ونشروا فيها مبادئهم واخلاقهم وهو يطالب بهذه الارض اذا كانت قد اغتصبت منهم عنوة.

ان الحزب العربي الاشتراكي يدافع - ضمن نطاق شعاره الانساني - عن حقوق العرب المشروعة والطبيعية.

ان السنين التي قضتها النازية في الحكم افسحت المجال في الحقل الفلسفي لجدل سفسطائي حول تقييم الامم وتصنيفها في مراتب وحول الخصائص الفيزيولوجية للعروق. وهو جدل رفضه العلم.

وقد أدت كل هذه المناقشات الى مفاضلات اقرب الى المهاترة منها الى الدراسة الصحيحة ومن دلائل ضعفها انها انهارت بانهيار المانيا وكادت تنهار معها الفكرة القومية لما انتهت اليه من تطرف بغيض.

وقد شاهدنا في الخمس عشرة سنة الاخيرة تسرب هذه الافكار الى بلاد العرب وانتشارها في صفوف مثقفينا تحت تأثير المهووسين من الشباب، مع ان العرب لم يعرفوا ابدا مثل هذه الانحرافات حتى ولا في مراحل تاريخهم التي كان فيها للبورجوازية الاثر الاول في توجيه امور دولتهم.

وهذا ايضا مظهر اخر من مظاهر تقليدنا الطائش للغربيين.

والحزب العربي الاشتراكي، اذ يعلن في المادة (4) من دستوره بانه يسير تحت شعار الانسانية، يعتبر بان رسالة العربي هي رسالة محبة

وسلام لا رسالة بغضاء وشر، واصالة العربي في خلقه بالدرجة الاولى، لا في خصائصه الجسمية.

الفكرة القومية: قلنا بأن الفكرة القومية تقوم على اعتبار الامة كلا حيا يتطور دون ان يفقد شخصيته، وبأن الخصائص الروحية، لا المادية هي التي تميز الامة، فالقومية اذن وجهة نظر اصيلة في الوجود تنبثق عن الامة بشكل عفوي وتحدد سلوكها بالنسبة لبقية الامم، وتتجلى في مؤسساتها اي في الفنون والقيم والفلسفات والنظم التشريعية والاقتصادية التي تضعها لتحقق ذاتها. واذا كانت مؤسسات الامة تتغير بتغير الزمان والمكان فهي تبقى واحدة في اتجاهها العميق وفي طابعها الاول، ولذا يتعرف المرء الى ذاته دون ما جهد فكري في كل ما يصدر عن امته ويعبر عن حقيقتها.

ومن اليسير على كل عربي ان يتأكد بذاته من صحة هذه العقيدة - التي نعتبرها بديهية - برجوعه الى لغته التي حافظ بها ابناء قومه على كيانهم وبقائهم من الفناء خلال الاجيال التي تحكم فيها الاجانب بمقدراتهم.

وهذا ما تقرره المادة (3) من الدستور اذ تعتبر الشخصية العربية كوجود روحي يتجلى في كل نتاج العرب، لا في الدخيل عليهم من افكار مشوهة صاغها الاجنبي ودسها بينهم ليفسد حقيقتهم.

الانعزالية الفردية والاجتماعية: قلنا ان المجتمع العربي مصاب بشلل داخلي يعطل فيه كل حركة نحو الامام ومن اسباب هذا الداء - الى جانب التحكم الاقطاعي، والطغيان الاستعماري - نمو الفردية الانعزالية بين كتله وافراده.

والفردية المتطرفة مصدر كل فساد في القيم الاخلاقية لانها تنمي الانانية وسوء الظن وتخلق العقليات الموتورة وهذا ما نشاهده بالفعل في مجتمعنا فلا تتحدث الى امرىء الا وتراه متبرما بالآخرين، يصم اذنيك بشكواه، مطالبا بحقوقه ناسيا او متناسيا واجباته.

وهنالك انعزالية اخرى اخطر من الاولى لانها مصدر الرجعية، هي الانعزالية الاجتماعية ومن نماذجها العنصرية والعائلية والطبقية والطائفية والمذهبية. وكلها كتل اجتماعية ذات مصالح مستقلة متضاربة، تعمل على تحقيقها ولو ادى ذلك الى فناء الامة - اي المجموع -.

ويجدر بنا ان نشير هنا بشكل خاص الى ثلاث من هذه الكتل فنعمل على ازالتها من مجتمعنا وهي الطبقية والعنصرية والعائلية.

الطبقية: لانها تقوم على التحكم والاستغلال اللذين يناقضان كل فكرة انسانية.

والعنصرية: لانها انحراف قومي لا اساس له ولا تستفيد منه الا البورجوازية المستعمرة.

والعائلية: لانها لون من الوان الاقطاعية (المادة 9 من الدستور).

ومن البديهي ان الحزب لا يقصد من مقاومة العائلية محاربة العائلة بل مقاومة تكتل الافراد سياسيا واقتصاديا في اسر متنافرة تهدم المجتمع من الداخل، اما الاديان فالحزب يحترمها ويعتمد عليها في نشر روح المحبة والاخاء والتسامح بين الناس، ومن المعلوم ان الفضيلة هي الاساس الذي تعتمد عليه كل حركة تعاونية لا بل ان الايمان الصادق هو الخاصة المميزة لكل مجتمع سليم، ولا يعني الحزب ان يتدخل في المعتقدات السماوية لانه يعمل في الحقلين الاجتماعي والسياسي والاديان تذهب الى ما هو ابعد من المجتمع والطبيعة.

الرجعية وتطور الامة: قلنا ان الانعزالية الاجتماعية هي مصدر الرجعية، والرجعية هي الداء الذي ينخر جسم كل امة ينتشر فيها، ذلك ان المجتمع المغلق اذ ينعزل، بحكم انطوائه على نفسه، عن تيار الحياة المبدع، يحكم على ذاته بالفناء.

ان كل حركة رجعية مخفقة حتما لانها اذ تحاول ان توقف التطور، تكون كمن يقف في وجه تيار جارف، هو تيار الحياة المتجدد، وعدم زوالها يشل المجتمع الذي يحتضنها، هذا اذا لم تبده وتفنه.

ما من شك في ان محافظة كل امة على اصالتها وعلى طابعها المميز، نزعة طبيعية في الانسان وشرط اساسي في حياته ككائن اجتماعي، ولكن اذا تحولت الى تشبث صنعي بحرفية الماضي اصبحت مرضا قد يجر الامة نحو الفناء، ان روح الامة لا تبرهن على صلاحها للحياة الا اذا كانت مرنة تتكيف بتكيف الزمان والمكان دون ان تفقد اصالتها لان وحدة الامة

داخلية لا خارجية ولذا فالتطور الصحيح ليس في التقلب ولكن في الابداع الذي يجدد وينمي الفكرة الاصلية دون ان يشوهها.

ان من يتتبع تطور المؤسسات العربية ليعجب من مرونة العرب ومقدرتهم على الاقتباس والتمثل والتجديد الى جانب محافظتهم على شخصيتهم الاصلية ووحدتهم الداخلية، وهذا ما يلاحظه الحزب في المادة (9) من دستوره ويتخذ منه شعارا لعمله الاصلاحي ولذا يعتبر كل الوان الانعزالية من قومية واجتماعية فاسدة من اساسها ورجعية تتستر وراء بعض الافكار الزائفة لتحافظ على امتيازاتها، ويحاربها دون ما هوادة حتى يقضي عليها قضاء تاما ويقرر كما توضح ذلك المادة (17) من دستوره بان لا افضلية لمواطن على آخر الا بنسبة ما يقدمه من خدمات لمجتمعه وما يمتاز به من مواهب يضعها تحت تصرف امته. وفي نظره ان هذه الوسيلة هي الوحيدة التي تمكنه من اعادة المجتمع العربي الى وحدته الاصيلة، اي من جعله مجتمعا تعاونيا اشتراكيا بالمعنى الصحيح والعملي لهذه الكلمات.

3- الفكرة الاشتراكية

ان الاشتراكية في تفسيرها المعنوي هي اولا القضاء على كل الوان الظلم والانعزالية الضيقة، ثم صهر الافراد والكتل في جسم واحد منسجم هو جسم الامة الحي، والامة التي تم لها ذلك، يمكنها ان تنمو نموا طبيعيا وتوفق بين مصلحة الفرد والصالح العام.

ونحن نعتبر ان الفكرة القومية في صميمها اشتراكية لانها توضح معنى اشتراك الافراد اشتراكا عضويا في شخصية الامة مصدر حياتهم، قبل اشتراكهم في قوى ملكية الانتاج، فالتآزر في تحقيق اهداف الامة العليا، كالهدف الانساني هو الذي يعد الافراد ليتآزروا في الحقل الاقتصادي، فاذا لم يتم للامة صهر افرادها في وجودها الروحي فعبثا تدفعهم من الخارج الى العمل الاقتصادي الموحد، فالاكراه والزجر لا يولدان سوى النفور والتمرد.

ان العامل الاساسي في نهوض امة ما هو ما يقدمه ابناءها من تضحيات في سبيلها، والتضحية لا تثمر الا اذا كان دافعها المحبة، والمرء لا يحب امته الا اذا شعر بأنها ذاته العميقة التي اذا ما تحققت تحقق وجوده على شكل صحيح، فالفكرة الاشتراكية تقوم اذن بالدرجة الاولى على اساس اخلاقي قوامه التضامن والتعاون.

ولكن لا يمكننا ان نحقق هذا الهدف الا بتذليل العقبة الكبرى التي تعترضنا الا وهي وجود الطبقية والعنصرية والعائلية والفردية الزائفة، وعندئذ يمكننا ان نفسح المجال امام افراد الشعب ليتعرفوا الى واقعهم النفسي والاقتصادي وليتكتلوا تكتلا صحيحا في نقابات وتعاونيات وجمعيات تحل تدريجيا كل مشاكلهم.

ومن الواضح اليوم لكل انسان ان المجتمع الصحيح لا ينشأ الا اذا كان قائما على اساس اقتصادي سليم زال منه استغلال الانسان للانسان وتكافأت فيه الحقوق والواجبات وقد اصبح من البديهي ايضا عند كل انسان ان الاشتراكية المبنية على اسس علمية صحيحة وحدها - على الاقل في هذه المرحلة من التاريخ - بامكانها ان ترتب اقتصاديات العالم ترتيبا يقضي على تحكم الانسان بالانسان، وعلى الاستعمار ويضمن توزيع الثروة توزيعا عادلا يعطي لكل مواطن حقه ويؤمن للفرد نموه الطبيعي وتفتح مواهبه.

ولذا فالحزب اذ يسير تحت شعار الاشتراكية يرى في تحقيقها الشرط الاول لانعاش الشعب ولانشاء كيان عربي سليم ودولة عربية مستقلة استقلالا ناجزا.

الاشتراكية المشوهة: ولكن هناك خدعة، علينا عند ما ندعو الى الاشتراكية ان ننتبه وننبه الطبقات العاملة اليها. فنحن نرى الان الرأسماليين اول من يتبنى مطاليب العمال، والاقطاعيين اول من ينادي بتوزيع الاراضي كما نرى دعاة التجزئة اول من يتغنى بالوحدة العربية فهل تغيرت طبيعة الانسان ام صرنا على ابواب العصر الذهبي اذ يتآخى الذئب والحمل؟

لا هذا ولا ذاك بل هي حيلة قديمة يقصد منها تخدير اعصاب الشعب ونشر الفوضى بينه اذ يأخذ بالفكرة اعداؤها ليشوهوها في نظر اصحابها وكفى الله المؤمنين شر القتال.

وليس المهم اذن الان بالنسبة الينا تقرير البرامج ولا تعليل الشعب بالامال المعسولة ولكن وضع الخطط التي تمكن هذا الشعب من جعل الوعود حقيقة ملموسة، ان الاصل ليس تحويل الواقع الى كلمات، ولكن تحويل الكلمات الى واقع.

الاشتراكية الانقلابية: ومن الطبيعي ان يتمسك اصحاب الامتيازات بامتيازاتهم، وان لا يتنازلوا منها الا عن القليل القليل مما يلهي العمال

والفلاحين عن حقوقهم المشروعة، ولكن من الطبيعي ايضا ان يستجمع هؤلاء قواهم وان ينظموا اعمالهم ليستعيدوا ما اغتصب منهم، والحزب العربي الاشتراكي اذ يعرض دستوره على الامة يتبنى قضية الشعب العادلة ويضع الخطة الوحيدة التي تكفل تحقيقها، الا وهي ايقاظ الشعب وقذفه في وجه مستغليه، وهذا هو معنى الانقلابية التي يسير تحت لوائها.

ان اشتراكية الحزب تفرض عليه ان يعمل على قلع جذور الاستغلال والاستثمار ولكنه يعلم في ذات الوقت، ان ذلك لن يكون الا اذا تكاتفت الطبقات العاملة في هذه الامة وغيرت الاوضاع باخرى تتفق ومبادىء العدالة الطبيعية.

لقد اعتاد الشعب حتى الان ان يقف من جلاديه - حكومات كانت أم احزابا- موقف المستجدي ليحصل منهم على بعض مطالبه تعطى له كمنة، والان عليه ان يقف منهم موقف صاحب الحق الذي اغتصب منه حقه وموقف الحاكم الذي لا يعرف له دستورا سوى العدل.

لقد اصبحت الطبقة المستغلة في البلاد العربية كالجسم المشلول الذي يشعر في كل لحظة بقرب انهياره، وهي الان تستجمع قواها كي تصمد ما تمكنت من الصمود وتجاه هذا الموقف يدعو الحزب المؤمنين بقضية امتهم كي يناضلوا معه في صفوف الشعب وهو متأكد بان موقفهم هذا سيدك صرح الاستعمار والاستغلال.

اشتراكيتنا: ورب قائل يقول: وما هي الاشتراكية التي تدعون اليها؟ اهي التي تبنتها هذه الامة ام تلك.

من المنطقي ان تستفيد الامة العربية في تنظيم حياتها الاجتماعية والاقتصادية من نتاج الفكر البشري ومن تجربة التاريخ وبشكل خاص من اختبارات الامم الحديثة، ولكن وهذا ايضا من بديهيات المنطق - لا يمكن لهيئة اصلاحية ان تستبق الحوادث فتفرض على الشعب حلا جاهزا مجردا واذا كان العمل يستمد من الفكر اسسه فهو بدوره يوجه الفكر ويدفعه نحو استنباط الحلول وفقا للظروف، ولذا فالمهم قبل كل شيء هو كما قلنا ان يهب الشعب لرفع الظلم عنه. ومتى بدأ ثورته الاصلاحية ينظم اشتراكيته وفقا لحاجاته وطبيعته (المادة 20).

ولكن هناك مبادىء اساسية تؤمن بها الطبقات العاملة من الشعب واصلاحات تدركها بحسها السليم وتطالب بها، وهذه المبادىء والاصلاحات هي التي يتبناها الحزب في دستوره.

ومن هذه المبادىء ما يلي:

1- حذف استغلال الانسان نهائيا وذلك بدمج الطبقة المستغلة في صفوف الشعب واعتبار افرادها عمالا كبقية المواطنين يشتغلون لكسب معيشتهم كل حسب اختصاصه ومواهبه مادة (19).

2- توزيع ثروة الامة على العمال والفلاحين توزيعا عادلا يضمن ازدهار الاقتصاد القومي ويسمح لكل فرد ان يساهم في انماء ثروة بلاده (المادتان 36 و37 من الدستور).

3- اعتبار الملكية وظيفة اجتماعية على كل ملاك ان يؤديها بكل اخلاص، لاحقا مطلقا يتصرف به كيفما شاء. وبتعبير اخر الملكية حق يقابله واجبات فاذا ما فهمت على هذا الشكل تمكنت الامة من استغلال كل ثرواتها (المادة 21).

4- اعتبار الثروة المنتجة ملكا للامة، لا لافراد يتصرفون بها وفقا لنزواتهم، وبهذا الاعتبار يكون للامة الحق بتحديد ملكية الافراد وباستخدام ادوات الانتاج كما تقتضيه المصلحة وهذا هو المعنى العميق للاشتراكية الاقتصادية (المادة 21).

5- العمل كالملكية حق لجميع الافراد يطالبون به وواجب يطالبون به (المادة 24).

6- العمل هو المصدر الرئيسي للحقوق، ولذا يحق لكل عامل ان يستهلك من ثروة الامة قدرا مناسبا مع الجهد الذي يبذله في سبيل حفظ وتنمية هذه الثروة. (المادتان 23و24).

وهنا لا بد لنا من ابداء ملاحظتين رئيسيتين:

الاولى: هي ان كلمة عامل تأخذ في اصطلاحات الاشتراكية بمعنى واسع يشمل كل مناحي النشاط الاجتماعي المنتج من فني ويدوي وفكري الخ..

الثانية: ان هناك حدا ادنى من الثروة المعدة للاستهلاك يحق لكل عامل ان يطالب به لانه ضروري لحفظ كرامة الانسانية.

7- العمل وحده منتج، ولذا لا يستهلك انتاج الامة الا الذين يعملون في صفوفها، اما العجزة والمرضى فعلى الدولة ان تؤمن لهم كل ما هم بحاجة اليه لتقضي على البؤس والتسول (المادتان 29 و30).

ومن الاصلاحات الاقتصادية: التي يطالب بها الشعب ويتبناها الحزب ما يلي:

1- على الدولة ان تبدأ كخطوة اولى لتحقيق نظام اشتراكي.

اولا: بالقضاء على مراكز الاستعمار الحساسة وذلك بالغاء امتيازات الشركات الاجنبية التي تمتص دماء عمال البلاد (المادة 31) وبتأميم المرافق العامة وكل منابع الثروة الاساسية (المادة 40).

ثم بتمهيد الطريق امام نهضة الشعب الاقتصادية وذلك بتجفيف المستنقعات وتعميم الري والغرس والتحريج واستخدام الالة في الزراعة والصناعة (المادة 41).

2- اما الخطوة الثانية فتقوم على تحديد الملكية وتوزيعها بشكل يؤمن لكل فرد حصة من ادوات الانتاج يبرهن باستغلالها على امانته لشعبه وحرصه على ازدهاره الاقتصادي، والامة في مثل هذه الحالة تراقب بواسطة حكوماتها نشاط افراد الشعب كي لا تؤدي الحركة الاقتصادية الى نشوء اقطاعية ورأسمالية جديدتين.

قلنا في عرض المبادىء (الفقرة 4 من المقطع السابق)

3- ان الاشتراكية في معناها الاقتصادي الصحيح، تقوم على اعتبار ادوات الانتاج ملكا للشعب، وهذا المبدأ يفترض كمتمم له اشتراك اكبر عدد ممكن من العمال والفلاحين في تعاونيات صناعية وزراعية يعملون فيها ويقومون بانفسهم على ادراتها ويتقاسمون نتاجها بينهم، كل بنسبة مجهوده، وقد اصبح من الواضح اليوم ان العمل المشترك ينمي الانتاج ويحسن نوعه ولذلك على كل حكومة شعبية ان تعمل على انشاء تعاونيات تزودها بالالات وتشرف على تنسيق حركتها على الاقل في طور تأسيسها (المادتان 37 و38).

4- واذا اقتضت الحاجة في بعض الظروف او في بعض المناطق الابقاء على الملكية الفردية لمدة من الزمن فعلى الملاك ان يشرك العمال والفلاحين في ادارة ملكه وان يوزع عليهم بالاضافة الى اجورهم قسما كبيرا من الارباح (المادة 38).

5- ولما كانت سياسة الحزب كما يتبين مما سبق موجهة نحو انعاش الشعب واعطاء العامل والفلاح المكان الاول في حياة الامة (مادة 25) كان من الطبيعي ان توجه جباية الضرائب نحو نظام يحمي المنتج الصغير وهذا ما تشير اليه المادة 44 من الدستور اذ تقرر مبدأ تخفيف عدد الضرائب غير المباشرة الى ابعد حد ممكن لانها تصيب مواد الاستهلاك الاساسية، ومبدأ الاعتماد على الضرائب المباشرة التصاعدية التي تقع على المنتج الكبير.

6- واخيرا بما ان ادوات الانتاج في النظام الاشتراكي ملك للامة فيجب ان يكون النقد كذلك وان تكون سياسة الحكومة موجهة نحو حصر حق اصدار الاوراق النقدية في مصرف عربي واحد (مادة 45) فالنقد الذي يعبر عن مدى تقدم الانتاج القومي لا قيمة له الا بهذا الانتاج الذي يدعمه.

ان ما ذكرناه عن الاشتراكية ليس الا خطوطا عامة حاولنا فيها ان نستوضح ونتبين ما تؤمن به الطبقات العاملة في الامة العربية وما تعتقد انه طريق خلاصها من البؤس ولهذه الطبقات ان تقرر في كل مرحلة من مراحل تدرجها في الرقي الاقتصادي والاجتماعي كيفية تطبيق هذه المبادىء (مادة 19) ذلك ان الحزب ليس القصد من تأليفه انشاء كتلة جديدة للمناورات السياسية ولكن ايجاد نخبة من ابناء الشعب تتفهم مطالب هذا الشعب العادلة وتوضحها وتنشرها وتناضل حتى نفسها الاخير في سبيل تحقيقها (المادتان 10 و11 من الدستور).

4- الفكرة الشعبية

ان الحزب العربي الاشتراكي حركة منبثقة عن الشعب معبرة عن رغباته وخاضعة لتوجيهاته وانتقاداته (مادة 14) وهو اذ يدعو الجماهير الى الالتفاف حوله يدعوها في الواقع الى تنظيم نشاطها في حركة قوية مؤمنة بذاتها وقادرة بالتالي على ان تجعل من مثلها العليا حقيقة واقعية، ولذا

يسلم السلطة (المادة 13 من الدستور) الى الشعب صاحبها الحقيقي ويطلب منه ان ينتخب قادته وحكامه السياسيين، واذا كان في طوره التأسيسي يقترح على افراد الشعب بعض الموجهين فهو يترك لهم الحرية منذ الان ليقولوا كلمتهم فيهم ولينتخبوا اذا احبوا غيرهم ممن يعتقدون انهم اصلح لقيادتهم.

القائد الحزبي: ان مهمة القائد الحزبي في نظر الحزب تنحصر بتنظيم نشاط العمال والفلاحين كما يريدون هم لا في فرض سلطة مزيفة ومراتب صنعية عليهم، ولهذا يلغي الحزب في المادة 16 من دستوره كل الالقاب والمراتب ولا يتعرف الا على اسبقية المواهب اي على اسبقية الذين يسلمهم الشعب زمام امره.

رد على اعتراض: وقد يعجب بعض المثقفين - نقول المثقفين لا السياسيين المحترفين لان هؤلاء قد انفصلوا نهائيا عن جماهير بلادهم ليصبحوا دعاة وخدما للمستعمرين - من هذا الاتجاه الذي يسلكه الحزب العربي الاشتراكي اذ ينصهر تماما في الطبقات الشعبية لتوجهه ويوجهها فالى هؤلاء نقول:

اما بالنسبة الينا فالمسألة ليست موضوع بحث فافراد الحزب كلهم من الطبقات العاملة ولا عجب اذا حرصوا على البقاء في صفوفها.

واما بالنسبة للتفكير المنطقي فاتجاهنا مبني على فهم عميق للواقع العربي وبالنتيجة على يقين تام، وهذا ما توضحه الاعتبارات التالية:

1- قلنا ان الحزب العربي الاشتراكي حزب قومي، والقومية في نظره اتصال روحي عميق بين حاضر الامة وماضيها، اتصال يهيء المستقبل ويضمن اصالة الامة ودوام حياتها، فاين نجد هذه الاصالة؟ اعند الاقطاعي وهو يقيم دعائم عرش استبداده على انقاض ابناء امته؟ ام عند الرأسمالي الذي لا يعرف له كوطن وكدين سوى الربح المادي والمساومة على حساب العمال؟ ان الجماهير الشعبية وحدها تفهم معنى القومية لانها هي الامينة على تراث وتقاليد وعادات وارض الاجداد تغذيها وتتغذى منها ولان نفسيتها لم يفسدها بعد الطغيان ولا دنسها حب المال.

الشعب والنهضة الثقافية: لقد كثر الكلام عندنا في هذه الايام الاخيرة حول مسألة حيوية بالنسبة للعرب الا وهي مسألة احياء تراثهم ونشره في

العالم وما من شك في ان كل محاولة اجريت حتى الان في هذا الاتجاه قد اخفقت بدليل ان المثقفين لا يعرفون عن الفكر العربي شيئا يستحق الذكر، ذلك ان كل ما عملناه من هذا القبيل خاطىء من اساسه لانه لا يستند على نهضة شعبية ترفع سوية الفكر عندنا الى ما كان عليه في الايام الغابرة وبالتالي تؤهلنا لفهم وتمثل نتاج الحضارتين العربية والغربية.

ان البلاد العربية تعاني ازمة عنيفة من جراء انتشار عدد لا يستهان به من الاتجاهات الخاطئة فيها، منها التقدمية الزائفة المقلدة للغرب ومنها الرجعية المتعصبة التي تتمسك بحرف الماضي. وبين هذين الاتجاهين يتأرجح كل تفكيرنا، فاذا امعنا النظر نرى بان النهضة الشعبية وحدها تقدر ان تحل هذه المشكلة التي استعصيت على الفكر النظري، ذلك ان حركة الشعب الصاعدة حركة حية منبعثة من الماضي ومتجهة نحو ابداع المستقبل، ولذا تتنافى مع الرجعية التي تحاول خنقها ومع التقدمية الخاطئة التي تسعى لابعادها عن طريقها الطبيعي.

ونقدر ان نعمم هذه النتائج فنقول: ان انتاج الفكر النظري عندنا لا يزال حتى الان دخيلا على الامة لانه ليس مستمدا من طبيعتها ولا مستندا على حاجاتها ولا يقصد منه في الغالب سوى التشويه والتضليل او ملء فراغ صفحات المجلات والجرائد، ولذا كثيرا ما يثير ويعالج مشاكل وهمية وعندما يحاول حلها يضيع في تيه النظريات، وبتعبير اخر الفكر عندنا يبدأ وينتهي في العقل المجرد، دائما وابدا يعوزه الالهام وتنقصه الحياة، وهذه كارثة تحل بكل تفكير ينفصل عن الشعب حيث الفكر متصل بتيار الحياة ومندمج فيه، ولنا في الفكرة الانسانية خير دليل على ذلك.

الشعب والفكرة الانسانية: لنقارن بين كل ما قيل وكتب في البلاد العربية عن هذه الفكرة وبين ابسط تصرفات ابناء الطبقات الشعبية نجد التناقض كليا فهناك كلمات جوفاء ومناقشات عميقة لا تنتهي، وهنا محبة وتضامن وعطف دون ما غاية او مصلحة، ان ابن الشعب في اكثر تصرفاته يعمل كانسان سليم لان الانانية لم تشوه بعد نظرته الى الوجود، فكل ما في العالم منسجم معه. واما موقفه من الاجنبي فواضح وصريح فهو يحبه ويحترمه اذا ما رأى فيه اخا وينبذه ويحاربه اذا ما رأى فيه فاتحا مستعمرا.

ان الشعب بفطرته انساني عدو للاستعمار وللديكتاتورية ولذا نراه في كل وقت على اتم استعداد ليتضامن مع الشعوب المستعبدة وليحارب معها في سبيل تحررها من الاستبداد خارجيا كان أم داخليا ويتعاون معها في رفع مستوى الانسانية.

والخلاصة ان القومية الاشتراكية الشعبية هي الاساس الوحيد لنهضتنا الثقافية لانها وحدها كفيلة بازالة الفجوة التي تفصل بين ماضينا وحاضرنا، بين فكرنا النظري وعملنا الاجتماعي، لانها كنزعة نحو اصالتنا القومية تقضي على الافكار المشوهة، وكاندفاع نحو هدفنا الانساني تنمي فينا الابداع الحر.

فاذا ما هيأنا لبلادنا بذور نهضة شعبية صحيحة بالاستناد على اقتصاد سليم نكون قد مهدنا السبيل امام الامة العربية حتى يلتقي ما كانت عليه في السابق مع ما هي عليه الان الامم الحديثة وحينئذ يمكنها ان تواصل رسالتها وتؤثر في جريان التاريخ، والحزب العربي الاشتراكي لا يناضل الا في سبيل ذلك.

ما نطالب به الحكم الحاضر: والمسألة الاولى التي يسعى الحزب الى تحقيقها الان هي انعاش الطبقات الشعبية لتتفتح مواهبها وتعود اليها ثقتها بذاتها، ولكي يمهد السبيل لحركته هذه يطالب الحكم الحاضر بما يلي:

1- ان يحافظ على النظام الجمهوري، فهذا النظام وحده يسمح للشعب بان يقول كلمته في كل الامور التي تعنيه سياسية كانت ام اقتصادية (مادة 49) لا بل يذهب الى ابعد من ذلك فيقرر ان النظام الجمهوري لا يمكن ان يكون موضوع بحث لا في صفوفه ولا بين السياسيين (مادة 56).

2- ان يجعل هذا النظام شعبيا وذلك بتهيئة جو من الحرية يسمح لكل فرد من افراد الطبقة العاملة ان يبدي رأيه الخاص في كل الامور، لا الرأي الذي يمليه عليه الملاك او الرأسمالي او الدركي او الشرطي او الموظف.

3- ان يحافظ على استقلال وسيادة هذه الامة، وان يجعل سياستها مستقلة عن كل توجيه اجنبي (مادة 33) فالاجنبي لا تعنيه الا مصلحته الخاصة عاشت الامة ام ماتت.

4- ان يراعي في كل تشريع يضعه حاجات الشعب وتقاليد العرب لان تقاليدنا الصحيحة وحدها تتفق مع طبيعتنا الخاصة.

5- ان يعتبر الشعب المصدر الوحيد للسلطة ، ومصلحته هي الموجهة لتصرفات الحكومة لا مصالح اعدائه في الداخل كانوا ام في الخارج (مادة 46).

6- ان يعنى بالجيش عناية خاصة، وان يرى فيه هذه النخبة التي كرست ذاتها للدفاع عن الشعب لا عن مآرب الدولة الاجنبية ولا عن مصالح المستغلين (مادة 50) ان الجيش ليس جماعة مأجورة تعمل لمن يمولها ولكنه ابن الشعب ومصلحته مرتبطة بمصلحة الطبقات العاملة.

7- ان يعمل على توحيد البلاد العربية في دولة واحدة قوامها الشعب ودعامة اقتصادها الاشتراكية ونظام حكمها الجمهورية.

8- ان يبيح الحرية الفكرية باوسع معانيها حتى يتمكن كل فرد من تفهم ومناقشة كل الاراء والمعتقدات والنظريات (مادة 49) فطغيان الافكار كطغيان القوى الغاشمة، واذا كان التحرر من نير الاستغلال شرطا اساسيا في نهضتنا، فحرية التفكير شرط اخر لا يقل اهمية عنه، والحزب يجعل من هذه الحرية عقيدة وركنا من اركان عمله الاجتماعي ولا يعرف لها حدا سوى الافكار التي تحاول تهديم مبادىء الشعب الاساسية اي الاشتراكية والجمهورية والانسانية والقومية.

اصلاحات اساسية: والى جانب هذه المبادىء التي يطالب بها الحزب الحكومة باسم جماهير البلاد مجموعة اصلاحات تشمل مختلف مناحي الحياة يتبناها ايضا ويجعل من تحقيقها هدفا اخر لعمله السياسي والاجتماعي، ومنها ما يلي:

أ- في الحقل الاجتماعي

1- وضع تشريع للضمان الاجتماعي يقي الفلاح والعامل الفقر والمرض ويحافظ على سلامة العائلة ويضمن تربية الطفل تربية بدنية واجتماعية صحيحة تؤهله ليكون فيما بعد فردا عاملا في صفوف الامة.

2- العمل على تحسين شروط الصحة وازدهارها في الارياف حتى تخف الهجرة الى المدن ويحتفظ بالتوازن الطبيعي بين نمو القرية ونمو المدينة.

3- تشجيع الزواج وانعاش العائلة على اعتبار انها الخلية الاساسية للمجتمع.

4- تشجيع كل المهن حتى لا تنمو واحدة على حساب الاخرى.

5- تحضير البدو على الاسس المذكورة في المادة 32 من الدستور.

6- رفع مستوى المرأة الثقافي واعطاؤها جميع الحقوق المدنية والسياسية واعتبارها مساوية للرجل في الحقوق والواجبات (مادة 31).

ب- في حقل الصحة والاسعاف العام

1- انشاء مستشفيات ومصحات ودور توليد بعدد وافر وجعلها مجانية للطبقات العاملة حتى يتمكن كل فرد من استشارة الاخصائيين.

2- مكافحة الامراض الوراثية حتى يكون النسل سليما.

3- مكافحة الامراض السارية وتجفيف المستنقعات والقضاء على الاوبئة.

4- جر المياه الصالحة للشرب وتعميمها في احياء المدن والقرى وفي جميع البيوت قدر الامكان.

5- بناء مساكن للعمال والفلاحين مستوفية كل الشروط الصحية وباسعار زهيدة تستوفى على دفعات.

جـ- في الحقلين الثقافي والفني

1- اعتبار الثقافة حقا لكل المواطنين وواجبا عليهم وذلك بجعل التعليم مجانيا في كل درجاته والزاميا في دوره الابتدائي.

2- القضاء على الامية بتعميم المدارس الليلية.

3- تسهيل طريق التعليم المهني للعمال الذين لا تسمح لهم مواردهم بدخول المدارس الصناعية وانشاء مدارس للفلاحين يتعلمون فيها الطرق الحديثة للزراعة وتقرير دروس اختصاص للعمال الاخصائيين تمكنهم من ان يصبحوا مهندسين.

4- تشجيع الفكر العلمي والعلماء وحرية التنقيب في كل مناحي العلم وذلك برعاية التعليم العالي وبانشاء المكتبات الواسعة في كل انواع الاختصاص والاعتناء بالمتاحف والاكثار من المخابر في المدارس.

5- رفع مستوى التعليم في كل درجاته حتى تضاهي شهاداتنا من حيث سويتها العلمية اعلى الشهادات في المدارس الغربية، وذلك بتعديل البرامج وتشجيع تعلم اللغات الاجنبية واللغات القديمة واستدعاء عدد كبير من الاساتذة الاخصائيين الاجانب للجامعة.

6- الاكثار من دور المعلمين حتى تسد حاجة البلاد الى معلمين واساتذة.

7- الاكثار من المدارس الصناعية والزراعية والتجارية ومن دور المعلمين الريفية.

8- الاكثار من البعثات الى الخارج وتشجيع الطلاب الذين يدرسون على نفقتهم في البلاد الاجنبية.

9- تشجيع الفنون بمختلف انواعها وذلك بالاكثار من البعثات وبانشاء مدارس عالية للتصوير والرسم والنحت والموسيقى والمعمار والتمثيل.

10- تشجيع الفنانين والمؤلفين بالجوائز والمسابقات والمنح.

11- الحرص على تثقيف الشعب من الوجهة الفنية بالاكثار من معارض التصوير والرسم والنحت واقامة حفلات موسيقية مجانية للجماهير.

12- رفع مستوى الاذاعة.

13- ضمان حقوق الفكر واحترام الرأي وذلك باطلاق حرية النشر وتشجيع النوادي الثقافية والمجامع العلمية وعدم ملاحقة الافراد بسبب ارائهم الا اذا كانت هذه الاراء مفسدة للاخلاق او هدامة للكيان القومي او مناقضة لمطاليب الشعب.

14- احترام الحقيقة واعتبارها قيمة مطلقة.

5- اسس التنظيم الحزبي

ولا غنى لنا ان نقول الان كلمة عن الاساس الذي يستند عليه الحزب في تنظيم حركته دون ان ننظر الى التفصيلات التي يعالجها بوضوح النظام الداخلي.

تنص المادة 11 من الدستور على ان الحزب يعمل على انشاء خلق حزبي فماذا نقصد بذلك؟.

ان الجماهير الشعبية اصبحت تنظر بحذر الى كل العاملين في مجال السياسة، لا بل كثيرا ما ترى فيهم خونة تنصاع لهم كما تنصاع لشر فرضه القدر عليها وذلك لان الاحزاب التي قامت حتى الان في الشرق العربي كانت مقتصرة:

1- اما على مناقشات عقيمة حول أفكار مجردة.

2- واما على نشر الفوضى في صفوف الشعب بقصد الصيد في الماء العكر.

3- واما على المناورات السياسية بقصد الوصول الى كراسي الحكم ولو ادى بها ذلك الى العبث بمصالح الناس. ونقدر ان نقول بأن هذا كان الشغل الشاغل لكل الكتل السياسية في البلاد العربية، ولذا نراها تضحي بحقوق الشعب في سبيل ارضاء زعماء الاحياء ووجهاء القرى حتى تضمن لاعضائها اكبر عدد ممكن من المقاعد النيابية او من الوظائف الحكومية.

وما سبب هذا الوضع الشاذ الا لان الاكثرية الساحقة من رجال السياسة ليست من ابناء الشعب ولا ممن شاطروا الطبقات العاملة آلامها.

ولذا فأول ما يسعى اليه الحزب العربي الاشتراكي هو ان يجعل من القائد السياسي مفكرا موجها وجنديا مناضلا يضع مواهبه تحت تصرف بلاده ويضحي بحياته في سبيل الجماهير التي اصطفته.

ان الحزب العربي الاشتراكي لا يعمل على اضافة اسم جديد الى قائمة الاحزاب بل هو حركة شعبية شاملة ترمي الى احداث انقلاب في العمل الحزبي وبالنتيجة في اوضاع البلاد واستنادا على ذلك يطلب من اعضائه ان يعتبروا انهم منذ انتسابهم اليه قد صاروا ملكا للامة لا لذواتهم وان اليمين التي اقسموها قد عاهدوا بها انفسهم على الا يلقوا السلاح حتى يحقق الشعب اهدافه كاملة.

وهذا هو معنى المواد 11 و12 من الدستور التي تخضع الحق للواجب وتشذب الانانية الفردية.

ان الفترة الحاضرة من تاريخنا تتطلب من كل عربي مخلص ان يقف مواهبه واموالة وحياته على ابناء امته. فوضعنا بحاجة الى تغيير كلي ومن الاساس حتى يساير تطور الامم الحديثة ويسير في مقدمتها. وهذا ما تشير اليه المواد 8 و9و10 من الدستور اذ تعتبر الحزب هيئة نضالية شعبية وبالتالي انقلابية:

1- نضالية لانها تتخذ من النضال في سبيل اهداف الامة شعارا ومن الاستماتة في سبيل تحقيق مطاليب الشعب دستورا.

2- انقلابية لان رائدها الاصلاح الكلي لا الترقيع والمداراة.

3- شعبية لانها والشعب واحد.

□

لم يكن التوجه اليساري في مؤتمر الحزب عند وضعه دستور العربي الاشتراكي بسبب اشتراك بعض الماركسيين - آنذاك - كالاستاذ جورج حريكة والمحامين ناظم صقال وعبد الفتاح زلط الاعضاء الجدد في مؤتمر الحزب، وانما كان بسبب دعم الغرب الرأسمالي الامبريالي للصهيونية العالمية في عدائها للامة العربية.

لقد كان انعقاد مؤتمر الحزب متزامنا مع بداية محاولات الاتحاد السوفيتي دخول المنطقة العربية عن طريق تأييده ودعمه الامة العربية في مواجهة الصهيونية، وقد شمل هذا التوجه اليساري حتى منظمات الاخوان المسلمين في سورية ومصر فقد اطلق المرحوم الشيخ مصطفى السباعي على الجبهة الاسلامية التي كان يقودها اسم الجبهة الاسلامية الاشتراكية، كما اصدر بعد الوحدة كتابا عن الاشتراكية في الاسلام.

وهذا ما حدا بناصر ايضا بعد هزيمة حزيران ان يذهب بعيدا في تبنيه للمقولات الماركسية في بناء نظامه الاشتراكي وتحالفه مع الاتحاد السوفيتي، كما اقام بومدين في الجزائر نظاما مقلدا لانظمة المعسكر الاشتراكي.

كان هذا التأثير شديدا على صعيد الاحزاب فقد انقلب حزب البعث (حزب عفلق والبيطار) بعد انقلاب الثامن من آذار 1963 من اليمين الى تبني المقولات الاشتراكية في بناء نظام الحكم في سورية على غرار ما هو جار في المعسكر الاشتراكي، وظل الامر كذلك في حزب البعث بشقيه القيادة القومية والقيادة القطرية بما اقاماه من انظمة بعد انقلاب صلاح جديد في 1966/2/23 وانقلاب حافظ اسد في تشرين الثاني 1970.

كما انقلب القوميون العرب المتطرفون قوميا الى اليسار الماركسي فأقاموا بعد تحرير عدن نظاما ماركسيا متزمتا اكثر من النظم القائمة في المعسكر الاشتراكي.

لقد كان ضغط الصراع العربي الاسرائيلي وتأييد الغرب الرأسمالي لاسرائيل بكل وسائل الدعم والتأييد عاملا مهما وراء تطور جميع الاحداث والتحولات السياسية والفكرية والاقتصادية، ومبررا للانقلابات العسكرية التي كان يدفع اليها ويشجع عليها التناقض بين الاستعمار القديم الاوروبي والاستعمار الجديد الاميركي في صراعهما على المصالح ومناطق النفوذ في المنطقة العربية.

1951: صعود شعبية الجيش على حساب هلهلة النظام الديموقراطي البرلماني- الجيش يتصدى لمحاولة اسرائيل تجفيف بحيرة الحولة وتطور القضية على الصعيد الدولي - وحدة حركة التحرر بين الشعوب العربية والاسلامية.

مع هلهلة النظام البرلماني في نظر الشعب بسبب الازمة الوزارية ومضاعفات مواقف حزب الشعب السلبية، كان الجيش يكتسب المزيد من التأييد الشعبي بفضل تصديه المستمر للاعتداءات الاسرائيلية المستمرة على منطقة الحولة، الامر الذي اوضحة خالد العظم رئيس الوزراء في الاجتماع المشترك الذي عقدته لجنتا الخارجية والدفاع الوطني، ثم في الخطاب الذي ألقاه في مجلس النواب في جلسة 51/4/18 وهذه بعض مقاطع منه:

"منذ اكثر من شهرين يحاول اليهود القيام ببعض الاعمال على ضفاف الاردن تمهيدا لتجفيف بحيرة الحولة. وقد وجد المسؤولون ان في مشروع التجفيف المذكور ضررا بصالح سوريا وخرقا لشروط اتفاقية الهدنة السورية - اليهودية وذلك لاسباب اشير الى الرئيسية منها:

أ- ان بحيرة الحولة حاجز طبيعي يفصل بين القوات السورية واليهودية ويؤدي تجفيف هذه البحيرة الى تغيير بالغ في الوضع الجغرافي للمنطقة ويسمح لليهود بأن يجعلوا من اراضيها اماكن انطلاق عسكرية ويقيموا فيها مستعمرات كثيفة بينما الاراضي السورية المقابلة لا تصلح طبيعتها لهذا الغرض، وقد نصت شروط الهدنة بصراحة كلية على انه لا يجوز لاي طرف ان يقوم بأي عمل يؤدي الى كسب عسكري او سياسي مهما كان شأنه، وهذا ومن الواضح ان رغبة سورية في الابقاء على هذا الحاجز الطبيعي دلالة قوية على نواياها السلمية.

ب- ان قسما كبيرا من الاراضي التي بدأ اليهود اعمالهم التمهيدية فيها في المنطقة المحرمة تخص ملاكين عربا او هي اوقاف اسلامية، وقد احتج هؤلاء الملاكون على هذه الاعمال بواسطة المراقبين الدوليين الى هيئة

الامم المتحدة ولم يقبلوا بأي ثمن او تعويض عـن اراضـيهم وطلبـوا وقـف الاعمال فورا.

جـ- ليس في المنطقة المحرمة التي تجري فيهـا الاعمـال حكومـة مسـؤولة بالمعنى الصحيح فقد كانت هذه المنطقة يوم توقيـع الهدنـة محتلـة مـن قبل الجيش السوري بنتائج العمليات العسكرية اذ ذاك، ثم نصت اتفاقيـة الهدنة على ان تبقى هذه المنطقـة مجـردة عسـكريا لا سـلطان لفريـق عليها فانسحبت القـوات العسـكرية وعهـد بالسـلطات فيهـا الـى رئـيس لجنة الهدنة المشتركة وفق المادة الخامسة من الاتفاقية، وعلى ذلك لا يجوز القيام باعمال ومشاريع كبيرة اذ ليس هنالـك مـن يضـمن للسـكان العرب حقوقهم قبالة الشركة التي تدعي امتياز التجفيف.

وقـد قـدم ممثلـو سـورية الـى لجنـة الهدنـة المشـتركة يطلبـون وقـف الاعمـال فـأمر رئـيس اللجنـة اليهـود بوقـف الاعمـال موقتـا ريثمـا يتخـذ قـراره النهائي في الامر ولكنهم لم يذعنوا للامر وارسـلوا جرارا ليتـابع العمـل وازدادوا بغيا وقاموا بالاعمال التالية وكلها خرق صريح لاتفاقية الهدنة.

اطلقـت هـذه القـوات النـار علـى السـاكنين العـرب وعلـى المخـافر السـورية الاماميـة. وقـد تأكـد للمـراقبين الـدوليين ان الطلقـات صـدرت عـن رشاشات ومدافع هاون لا تملك الشرطة المحلية مثلهـا وبالتـالي صـدرت عـن قوى يهودية احتلت المنطقة المحرمة.

اجلـوا السـكان العـرب عـن قـراهم ولا سـيما فـي كـراد الغنامـة وفـي البكارة وفي مزرعة الخوري ورحلوهم الـى داخـل الـبلاد الفلسـطينية، بعـد ان نسفوا دور هؤلاء القرويين والمزارعين.

"جرت كل هذه الاعمال الفظيعة رغم كل محاولات المـراقبين الـدوليين ورغم اوامرهم المتكررة للمسؤولين اليهود باحترام شروط الهدنة.

وقد حرص الجانب السـوري علـى ان يحتـرم الهدنـة التـي وقعهـا فلـم تصدر عنـه طيلـة هـذه الاحـداث رصاصـة واحـدة، وقـد اعجـب كافـة المـراقبين الدوليين بروح الطاعة وضبط النفس اللتين تحلت بهما القوات السـورية مـع مـا تتمتع به من معنويات ممتازة ورغبة في كيل الصاع صاعين للمعتدي."

"اما حادث الحمة الذي وقع عصر الاربعاء 4 نيسان 1951 فهو دفاع مشروع لهجوم غادر قامت به قوة كبيرة من الشرطة اليهودية في محاولة لاحتلال المنطقة المحرمة في الحمة فردها مخفر الشرطة المحلية على اعقابها فتحرشت بالمخفر السوري العسكري على الحدود في طريق عودتها فاطلق عليها النار وتلقت درسا قاسيا كما تعلمون.

وتلا ذلك في الغداة تحليق سرب من الطائرات اليهودية فوق المخفرين المذكورين وقصفهما بالقنابل وقد شاهد المراقبون الدوليون آثار هذا العدوان ايضا."

"واخيرا حاولت طائرتان يهوديتان بعد ظهر الاربعاء 11 نيسان 1951 بلوغ دمشق بطريق سعسع فتصدت لها طائراتنا المطاردة فولتا الادبار وتأكد للقيادة العامة ان احدى الطائرتين اليهوديتين سقطت والنيران تندلع منها قرب النبي يوشع في فلسطين".

"ازاء هذه الاحداث قامت القيادة العامة السورية بما يترتب من اجراءات في الحقل العسكري تتفق مع تعهداتنا الواردة في اتفاقية الهدنة واكتفي بالقول حولها انه يطمأن اليها اما في الحقل السياسي فقد واصلنا الاتصال بحكومات الدول العربية وببعض ممثلي الدول الاجنبية ولا سيما الاعضاء منها في مجلس الامن، كما كنا على اتصال ببعثاتنا في العواصم الكبيرة وبرئاسة وفدنا في منظمة الامم المتحدة.

وقد تقدم وفدنا الدائم في منظمة الامم المتحدة بالشكوى الى مجلس الامن بعد او زودناه بالوثائق والبيانات اللازمة.

وقد عقد مجلس الامن جلسته الاولى مساء البارحة ولا يسعني والقضية لما تزال بين يديه وبانتظار قراره الا ان اكرر ايماننا بعدالة قضيتنا واملنا بأن يجد حقنا الصريح ومساعينا السلمية ثمراتها السريعة في الهيئة العليا التي انيط بها امر السلام العالمي وفرض احترام المواثيق الدولية، ومن بعدها يكون لكل حادث حديث."

"ان سورية تبغي احترام شروط الهدنة في ايقاف اعمال التجفيف وسحب القوى العسكرية من المنطقة المحرمة واعادة كل ما فيها الى ما كان عليه يوم توقيع الهدنة دون اجراء اي تبديل في احوالها، واعادة السكان الى

قـراهم والتعـويض علـيهم وعـودة الحيـاة الطبيعيـة الـى المنطقـة والعهـدة بالسلطات فيها الى رئيس لجنة الهدنة تعاونه شرطة محلية.

□

لم تتوقف حوادث الحدود خلال الشهور الثلاثة (آذار، نيسان، مايس 1951)، فبعد حوادث آذار التي ذكرناها في فصل سابق قامت بتاريخ الخامس من نيسان اربع قاذفات قنابل ثقيلة بقصف منطقة الحمة الواقعة في المنطقة المجردة ومخفر الجيش السوري في باب الحديد، وفي ليلة 6 نيسان قام اليهود بنسف القرى العربية الواقعة في المنطقة المجردة وهي قرية كراد البكارة والغنامة ومزرعة الخوري والنقيب، وفي 10 نيسان هاجمت قوات يهودية قرية اللجيب لطرد سكانها العرب منها.

وكان تصدي الجيش لهذه الاعتداءات المتلاحقة باسم "عرب الشمالنة" يلاقي استجابة وتأييدا ودعما هائلا من الشعب الذي كان يعبر عن التفافه حول الجيش بكافة الوسائل، ففي يوم 9 نيسان قامت مظاهرات طلابية ضخمة في دمشق تعلن تأييد الجيش ومؤازرته وفتح باب التطوع والتبرعات لمساعدته، ثم القى عدد من المتظاهرين خطابات حماسية في ساحة الاركان، فرد عليهم المقدم عدنان المالكي بكلمة طمأن فيها المتظاهرين الى ان الجيش مستعد للدفاع عن الوطن ورد العدوان، وقال "ان الجيش السوري بتأييدكم يستطيع بنفسه ان يمحو العار الذي لحق بالعرب في معركة فلسطين، واذا كان العدو يشترك رجاله ونساؤه في عدوانه، فما احرانا نحن رجالا ونساء اطفالا وشيوخا ان نشترك في رد العدوان ونحن اصحاب حق وعدالة"

ثم تابع الطلاب سيرهم الى المجلس النيابي حيث هتفوا طويلا بحياة الجيش وحياة سوريا وشكلوا منهم لجانا لجمع التبرعات والهدايا للجيش.

وكانت هذه المظاهرات التي قامت في دمشق يوم 9 نيسان نموذجا عن المظاهرات الشعبية والطلابية المماثلة التي كانت تعم انحاء سوريا. واذا كانت لغة الارقام تغني للعتبير عن

كثير من الوقائع، فانه منذ بدء حوادث اشتباكات الحولة وحتى يوم 8 مايس - اي خلال 6 أسابيع تقريبا - تلقت وزارة الدفاع اكثر من ثلاثين الف برقية يطلب فيها مرسلوها قبولهم مجندين في الجيش وقد وردت هذه البرقيات من مختلف الاوساط الشعبية السورية والفلسطينية.

على ان اعمال الردع السوري كانت تزيد المعتدين الاسرائيلين ضراوة، ففي 11 نيسان حاولت طائرتان اسرائيليتان الهجوم على دمشق، وفي 12 نيسان احرق اليهود قرية كراد الغنامة في المنطقة المجردة ورحلوا اهلها العرب... وفي يوم 2 مايس شن اليهود عدة هجمات على سكان المنطقة المجردة، كما تكررت هذه الهجمات في يوم 3 مايس وفي الايام التالية بحيث يمكن القول انها لم تتوقف تقريبا، وفي 7 مايس شن اليهود هجوما كبيرا على المنطقة المجردة فصدهم "عرب الشمالنة" بعنف، فارتدوا تاركين وراءهم اكثر من مائة قتيل وعددا كبيرا من الجرحى، فقصفت اثر المعركة خمس طائرات يهودية مخفر "الحاصل" السوري فأصيب الملازم اسعد العمير الذي توفي متأثرا بجراحه، وقد كان تشييع جنازته مناسبة اخرى لتعبير الجماهير عن تأييدها للجيش.

وهكذا فقد اكتسب الجيش في مقاومته للعدوان الاسرائيلي شعبية كبيرة، وكان صعود نجم الجيش في الاوساط الشعبية مترافقا مع صعود نجم الشيشكلي في اوساط الجيش والتفاف الضباط حوله، فكان ذلك مناسبة له لكي يعمل على تنحية الزعيم انور بنود من منصب رئاسة الاركان والحلول محله.

كان انور بنود حلبيا ومن اقرباء ناظم القدسي، فكانت ازاحته واحالته على التقاعد الخطوة التي قطعت شعرة معاوية ما بين حزب الشعب والشيشكلي، وكان هذا التسريح بالاتفاق مع رئيس الوزارة خالد العظم الذي كان الشيشكلي يمنيه بحل المجلس واجراء انتخابات جديدة يأمل العظم بعدها ان ينتخب رئيسا للجمهورية.

وهكذا حقق الشيشكلي خطوة اخرى من خطوات تصفية رفاقه قادة "حركة العقداء" كما انه بدأ يخرج عن حدود صلاحياته العسكرية ويمارس الامور السياسية فعليا في الحقلين الداخلي والخارجي، وقد بدأ ذلك منذ توليه منصب رئاسة الاركان في 51/4/23 بتشجيع من خالد العظم الذي اقام له حفلة تكريمية في نادي الضباط يوم 4/28 يمكن ان نسميها "حفلة تنصيب" حيث القى خطابا كال فيه المديح والثناء للعقيد الشيشكلي الذي رد عليه قائلا:

"لقد عصفت بسوريا ازمات وتنازعتها ميول واهواء واجتاحتها غيوم دكناء خرجت منها اكثر قوة ومضاء وثباتا" ثم تحدث عن تساند الامة والجيش وخاطب الضباط معاهدا اياهم على العمل لتحقيق انبل المبادىء وأسمى الاهداف. وقال: "ان لنا من الحكومة خير سند لتعزيز هذا الجيش بالحديد والنار".

□

راح العقيد الشيشكلي ينثر التصريحات بسخاء حتى قبل تنصيبه رئيسا للاركان، فقد سلطت عليه الاضواء الاعلامية كثيرا ابان زيارته لمصر في اوائل نيسان، كما ان الاصوات البرلمانية المتعاطفة مع الغرب اخذت تسهم في تزيين صورة الشيشكلي، كسياسي محنك، وتركب موجة تصعيد الزعامة العسكرية على حساب هلهلة النظام البرلماني الديمقراطي، وأحسن مثال على ذلك خطاب الدكتور منير العجلاني الذي القاه في البرلمان بجلسة 18 نيسان، علما بأن العجلاني ذاته كان معتقلا قبل أسابيع وكان يشتكي من الازدواجية، وتسلط الجيش، وضياع الديموقراطية.

□

زيارة تريغفي لي لدمشق

في تلك الفترة، زار دمشق تريغفي لي الامين العام لمنظمة الامم المتحدة يومي 21 و22 نيسان 1951 وقد أثارت حفاوة الحكومة باستقباله نقد أعضاء المجلس، ففي جلسة 25

/نيسان طرح الدكتور مصطفى السباعي وعدد من النواب السؤال الاتي:

لقد زار البلاد العربية مؤخرا المستر تريجفلي الامين العام لهيئة الامم المتحدة واحتلفت به حكومتنا بالغ الحفاوة، وليس هذا غريبا بالنسبة لزائر او ضيف، ولكن غريبا بالنسبة للمستر تريجفلي نفسه، وهو الذي وقف جهوده ونفوذه وما يملك من وسائل التأثير على وفود الدول في هيئة الامم لاقرار مشروع التقسيم، ولا يزال من اشد انصار اسرائيل ومساعديها، وقد قدم حزبه في النروج مستعمرة لاسرائيل مؤلفة من (75) بيتا دلالة على ولاء الحزب لاسرائيل وتأييده لوجودها وكيانها، ولقد كان من المفروض في حكومة عربية كالحكومة السورية ان تقتصر في لقائه عند حدود المجاملات التي لا بد منها لمن كان في مثل مكانة المستر تريجفلي، اما ان تبالغ في الاحتفاء به كما تحتفل بصديق مخلص للقضية العربية، واما ان تقلده وشاح امية وهو أرفع اوسمة الدولة، اعترافا بجهوده الانسانية فهذا ما نستغربه كل الاستغراب.

ولقد قيل ان المستر تريجفلي قدم ليقوم بمباحثات مع المسؤولين حول الصلح مع اسرائيل واستيطان اللاجئين نهائيا في البلاد العربية، وقد اجتمع بدولة رئيس الوزراء في اجتماعات خاصة.. فهل لدولة الرئيس ان يدلي للرأي العام ببيان عن حقيقة المهمة التي قدم من اجلها المستر تريجفلي...؟ وعن مدى المباحثات التي جرت بينه وبين المسؤلين..؟ وهل ارتبطت الحكومة بشيء معه، واذا كانت قد اتفقت معه على امر ما فهل لرئيس الوزراء ان يطلع المجلس عليه..؟

وبعد ان تحدث بعض النواب عن الموضوع نفسه رد عليهم خالد العظم بكلمة جاء فيها:

"لا اريد ان اجيب على ما تفضل به حضرة النائب السيد السباعي بلغة العاطفة وانما اريد ان اجيب بلغة الوقائع، فاننا عندما جئنا الى الحكم علمنا ان المستمر تريغفيلي سوف يأتي الى دمشق قمنا بإعداد برنامج هذه الزيارة وقد تضمن هذا البرنامج زيارة اللاجئين وزيارة بعض النواحي التي تتعلق بالشؤون الاقتصادية وبعض المسائل الاخرى كما كان يتضمن الدعوات التي اقيمت احتفاء به والقصد منها ايجاد سبيل لاجتماع المستر تريغفلي بفئات عديدة من فئات البلاد وقد اردنا من هذا الامر شيئا واحدا يقنع به غير القانع

ان قضية اللاجئين هي قضية حق وانصاف وانسانية مهما كانت وسائل الاقناع فنحن نريد ان نتحري الاقناع نفسه بصرف النظر عن وسائله ومظاهره واشكاله".

"اما الابحاث التي دارت بيني وبين المستر تريغفلي فقد كانت من ناحتين الاولى تتعلق بقضية اللاجئين والثانية بالامور الحاصلة على خطوط الهدنة بيننا وبين اليهود، وقد ابنت له حقيقة الحالة على الحدود وفقا لما جاء في البيان الذي تشرفت بالقائه على مجلسكم الموقر في جلسة سابقة، اما بشأن قضية اللاجئين فقد ابنت له ان سوريا وبقية الدول العربية تتمسك بمبدأ عودتهم الى بلادهم وفق ما قررته الامم المتحدة فالذين يريدون العودة الى بلادهم يجب ان تسهل السبل امامهم كما قررت الهيئة العامة للامم المتحدة، واما الذين لا يريدون العودة فسوريا وبقية الدول العربية على استعداد لايوائهم على شرط ان يتناولوا التعويض الكافي عن الاملاك التي تركوها في فلسطين".

وقد عقبت على كلمة رئيس الوزراء بما يلي:

سيدي الرئيس: اذكر بهذه المناسبة انه عندما قتل الكونت برنادوت في فلسطين من قبل اليهود كان هناك اتجاه عندنا بأن قضية فلسطين سوف تنقلب رأسا على عقب وان الرأي العام الدولي سوف يكون بجانب العرب وكنت اعجب لهذه العقلية عندنا، ولكن ظهرت بعد ذلك الحقيقة الراهنة وهي ان مقتل برنادوت قد افقد العرب منطقة النقب وحول الموقف لصالح اسرائيل اكثر مما كان عليه سابقا، واني لاعجب او لاستغرب ان يأتي تريغفلي الى سوريا واود ان اتصور الموقف بالعكس، إن تريغفلي طلب ان يستشهد في فلسطين في سبيل اليهود وهذا ما نشرته الصحف عن لسانه آنذاك فلو قال انه اراد ان يستشهد في فلسطين في سبيل قضية العرب الحقة فهل يجرؤ تريغفلي ان يأتي الى اسرائيل؟ انا لا اعتقد ذلك لان هذا يكلفه حياته ولكن مع الاسف، نحن لا نلوم الحكومة وانما نلوم عقلية هذا الشعب ونقابل بين عقلية اسرائيل وعقليتنا نحن في مقتل برنادوت وفي مقدم تريغفلي واستقباله والاحتفاء به وتقليده اكبر وسام في الدولة.

والواقع ان قضية فلسطين كانت في تلك الفترة تمر في اخطر مراحلها، نظرا لمباشرة اسرائيل في تنفيذ مشاريعها التوسعية العدوانية، الامر الذي اعلن عنه قادة اسرائيل جهرا.

فقد قال مناحيم بيغن زعيم منظمة الارغون الارهابية سابقا ورئيس حزب حيروت، في خطاب القاه في17 مايس 1951 بتل ابيب: "ان عيد اليهود سيأتي عندما يرقص شبابنا في شوارع العواصم العربية. ولو كنت في الحكم مكان بن غوريون لامرت الجيش اليهودي بضرب العدو الضرب المبرح والتقدم داخل سوريا والقاء درس على السوريين".

□

لذلك فانني لم اكتف بما اثير حول الموضوع بصدد زيارة تريغفي لي، وانما كنت اثيره في كل مناسبة، فقلت في جلسة 2 أيار 1951 بالبرلمان عند مناقشة قانون الجنسية السورية:

"انا اخشى ان نقع بالشرك الذي وقع فيه العراق فقد سمعنا مؤخرا ان الحكومة العراقية اصدرت قرارا بتجريد اكثر من 150 الف يهودي من جنسيتهم لارسالهم الى اسرائيل كهدية ومنحة وانا ارى في هذه العمل خطوة جدية في بناء كيان اسرائيل يتخذه اولو الامر بدعوى الحرص على العروبة.

ان الوطن القومي الصهيوني يتجه نحو جمع جميع اليهود في فلسطين، وانا اعتقد جازما بأن هذا العمل الذي جرى في العراق موحى به من دولة اجنبية للحكومة العراقية واعتبره مساهمة في بناء الوطن القومي الصهيوني لان من البداهة بمكان ان تمنع الحكومات العربية تسرب اي يهودي عربي الى فلسطين."

"انا اعتقد ان هذا الموضوع هو من الوضوح بمكان لان الفكرة الاساسية من انشاء الوطن اليهودي هي جمع يهود العرب في فلسطين والسبب في ذلك يعود الى ان يهود اوروبا واليهود المتشردين في جميع انحاء العالم من العسير عليهم ان يقيموا في فلسطين وان ينسجموا مع هذا المكان واعتقد ان كل من ساهم في حركة التحرير في فلسطين يدرك ان يهود البلاد العربية كانوا اشد فظاعة واشد قتالا للعرب من يهود اوروبا وانني اكرر ايضا ما قلته سابقا بأن ارسال (150) الف يهودي من العراق الى

فلسطين بعد ان فسحت الحكومة العراقية لهم طيلة هذه المدة المجال لتهريب اموالهم اعتبر ذلك بشكل جازم وواضح انه مساعدة لانشاء الوطن القومي الصهيوني واعتبر هذا العمل ايضا عملا موعزا به من الاجنبي وكذلك فانني اعتقد بأن اية مساهمة تبذل في سبيل تسهيل ذهاب اليهود من البلاد العربية الى فلسطين تعتبر مساهمة في انشاء الوطن القومي الصهيوني".

وقلت في جلسة 9 ايار 1951

سيدي الرئيس زملائي الاكارم: من الخطأ الشديد ان ننتظر انصافا من الدول الغربية فدولة اسرائيل لم تنشأ على مسمع ومرأى من الدول الغربية وانما انشئت من قبلهم ومن صنع ايديهم فمن هو الذي اعطى وعد بلفور لليهود ومن هو الذي فتح ابواب فلسطين للهجرة اليهودية ومن هو الذي سمح بتشكيل جيش يهودي مع ان الانتداب الذي كان في فلسطين قد منع العرب من تشكيل او اقامة اية قوة وجردوا حتى من السكاكين واضطهدوا وقتلوا وشردوا من قبل الانكليز بينما كان اليهود ينشئون جيشا عرمرما في فلسطين فمن هذا الذي انشأ الوطن القومي الصهيوني؟ نحن لا نطلب انصافا من انكلترا او اميركا لانهما مسؤولتان عن انشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين ولكننا نتساءل من الذي منع الجيوش العربية من الحرب في فلسطين ومن هو الذي عارض نهضة الشعوب العربية ومن هو الذي استثمر موارد الدول العربية انها الدول الغربية ولا شك وانا لنتسائل من الذي فرض الهدنة الاولى في فلسطين رغم انف الشعب العربي انها الدول الغربية ايضا لذا فنحن لا ننتظر انصافا ولا ننتظر ايقافا لسلسلة الاعتداءات التي يقوم بها اليهود سواء على الحدود المصرية او الاردنية او السورية انها اعتداءات تقوم باموال ومعونات مادية ومعنوية معروفة المصدر وقد اقيم الوطن القومي في فلسطين وانكلترا وامريكا مسؤولتان عن هذا الامر وما وقع بعده من تهجير اكثر من مليون عربي مما لم يشهد له التاريخ نظيرا فماذا فعل الانكليز والامريكان؟ لقد استمروا على تقديم المعونات المادية والمعنوية لاسرائيل بينما وقفوا حاجزا في وجه نهضة الشعب العربي وتطوره واقاموا حكومات رجعية ومنعوا اية مساعدة عن الشعوب العربية ومع ذلك فاننا نلحظ بعض الامور قبيل الاعتداء على الحدود السورية، الم نسمع في الاذاعات الموجهة بالضغط على المسؤولين العرب لاقامة صلح بين اسرائيل والدول العربية الم

نسمع بأن اسرائيل وتركيا هما القوتان اللتان يحسب لهما حساب في الدفاع عن الشرق الاوسط؟ ايضا وايضا ان تركيا واسرائيل قد قررتا اقتسام سوريا؟ الم نلمس المؤامرات الاستعمارية بعد اقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين؟ الم نلحظ الاجهزة الاجنبية وبلادنا مفتوحة لكل دخيل ولكل عميل؟ الم نلحظ بأن هذه الاجهزة الاجنبية تستعمل كل اسباب التضليل والتدجيل الم نسمع الم نر الم نلمس كل الوسائل التي استعملت واتبعت لاحداث التفكيك الذي اشار اليه الاستاذ جلال السيد؟ ومع ذلك فقد سمعنا بأن بعض النواب في مجلس اسرائيل قد تقدموا الى حكومتهم يسألون عن مصدر الايعاز الذي وجه اليها للاعتداء على حدود سوريا ومع هذا فانني اعتقد جازما بأن الاعتداء الذي وقع من اسرائيل ربما كان موحى به من قبل دولة اجنبية لتطبيق بعض المشاريع الاستعمارية او لفرض صلح بين البلاد العربية واسرائيل او لاضطرار الحكومة السورية ان تنحاز الى المعسكر الغربي ولا يفهم هؤلاء الغربيون من الانحياز الا احتلال هذه البلاد ونحن لا يمكن ان نقبل ان نجعل لهم موطىء قدم بل نعلن بأنه لم يخلق الشخص ولم تخلق الحكومة التي يمكنها ان توجد موطىء قدم في هذه البلاد لاية دولة اجنبية وانه لم يخلق الشخص ولم تخلق الحكومة في سوريا التي يمكنها ان تعقد صلحا مع اسرائيل وان شعبنا على اتم استعداد للاستشهاد.

وقد كنت في هذا اليوم مع مسؤول يحدثنا عن استشهاد امرأتين عربيتين من عرب الشمالنة كانتا تحملان السلاح وتقاتلان مع الرجال وقد استشهدت هاتان المرأتان وانني مؤمن كل الايمان بأن الشعب في بلادنا مستعد الاستعداد كله للاستشهاد ولن يدع لاسرائيل مجالا لان تخطو خطوة واحدة ضمن الاراضي السورية **وانني اوجه نظر الحكومة السورية ونظر الجيش ايضا الى انه لا يمكننا ان نقبل بأي تنازل عن حقنا في الارض الحرام مهما كانت النتائج نحن لا نقول ان النصر قطعا في جانبنا ولكنا نقول اننا لا يمكننا ان نتنازل عن شبر واحد سواء في الارض الحرام او في الاراضي السورية ولن نسمح لليهود ان يجففوا الحولة ويستفيدوا منها اقتصاديا وعسكريا، ان الشعب أيها السادة مستعد استعدادا روحيا وعندما يكون الاستعداد الروحي موجودا في الشعب فان الخصومات السياسية والاهواء الحزبية دائما تزول من تلقاء نفسها ولا يمكن لاي سياسي ان يجعل مجالا للخلافات**

السياسية حينما يرى الشعب صفا واحدا مستعدا للجهاد والذود عن بلاده مستعدا للبذل والتضحية مستعدا للاستشهاد فنحن اذا كنا على اتم الاستعداد الروحي فينقصنا الاستعداد المادي ونطلب من الحكومة ان تعيد النظر في نظام الضرائب، ان مواسم العام الحالي تقدر بمليار ليرة سورية فلا يمكننا ان نسكت مطلقا عن تضخم رأسمالي ولن نسكت ابدا عن ضرائب واموال هي حق الدولة، عن اموال سوف تبذل في سبيل الدفاع عن هؤلاء الاغنياء الرأسماليين والاقطاعيين فنحن نريد تدبيرا سريعا واعادة النظر في نظام الضرائب كما نريد ان تستكمل جميع التدابير السريعة في جميع اسباب الدفاع عن حياتنا سواء في الطائرات او في غيرها ليكون الجيش على اتم الاستعداد المادي كما اننا نطلب من الحكومة ان تنظر في امر فرض الخدمة الاجبارية والغاء البدل وان تفرض نظام الفتوة في المدارس وعند اللزوم يمكن للحكومة ان تدرب الشعب بكامله وتجعل من سوريا ثكنة واحدة مستعدة للدفاع، وكل هذا الامر في قبضة ايدينا وان امكانياتنا الاقتصادية والمالية على جانب واسع جدا وان مشروعا واحدا عندما نخصصه في بلادنا نخطو في سبيل انتاجنا خطوات واسعة، ها هو مشروع الغاب مثلا ويمكن ان تستفيد منه سوريا سنويا اكثر من مائة مليون ليرة سورية في اسوأ الاحتمالات والظروف، وها انه لدى سوريا ثروة معدنية يمكنها ان تستفيد منها، ولا يمكنني في هذه البرهة ان اعدد المشاريع الكثيرة التي تدر انتاجا في هذه البلاد ولا ينقصنا الا ان نركز جهودنا والا ان نحسن نياتنا وان نوطد عزيمتنا ونترك اهوائنا ونزكي ونطهر انفسنا وان المسؤولية لا تقع على عاتق الشعب وانما تقع على الساسة في هذه البلاد وان علة البلاد العربية وعلة الشعب العربي هي في الساسة وفي أهواء الساسة ايها السادة انه لا مجير لنا الا نفوسنا ولا بقاء لنا الا اذا اعدنا النظر في انظمتنا الاقتصادية والاجتماعية الفاسدة واقررنا مبدأ العدالة الاجتماعية في هذه البلاد واستفدنا من المبادىء الاشتراكية المطبقة عند اسرائيل وعند بقية الشعوب الاخرى في العالم، فيا سيدي الرئيس نحن لا نريد ان نضيع الاوقات سدى وقد اضعنا اوقاتا ثمينة اننا نريد ان تنصرف جهود المسؤولين في هذه البلاد حكومة ومجلسا وجيشا وشعبا في سبيل العمل

المثمر في سبيل الانتاج وفي سبيل اعادة النظر في الانظمة الفاسدة في بلادنا بكل اخلاص وبكل حسن نية وجدية.

التأييد العربي لسوريا وتفاهم الشيشكلي مع السعودية

لاقى موقف سوريا ضد الاعتداءات الاسرائيلية تأييدا شعبيا ورسميا من مختلف الاقطار العربية فقد تبارت الحكومات العربية في نثر التصريحات والخطابات بتأييد سوريا والتغني ببسالة جيشها ووطنية شعبها، بينما كانت المظاهرات الشعبية في اغلب العواصم العربية، والصحافة، والبرلمانات، تتصاعد في تأييدها يوما بعد يوم.

وفيما كانت اللجنة السياسية للجامعة العربية تعقد اجتماعاتها في القاهرة لبحث المسألة الليبية وتصدر البيانات تلو البيانات في تأييد سورية، سافر الى القاهرة يوم 9 نيسان 1051 العقيد اديب الشيشكلي، يصحبه العقيدان سعيد حبي وعزيز عبد الكريم وقالت جريدة النصر بتاريخ 51/4/11 نقلا عن جريدة الاهرام:

"ان الامير فيصل بن عبد العزيز آل سعود تلقى برقية من والده بإرجاء عودته الى الرياض ريثما يقابل العقيد الشيشكلي، حيث اجتمع سموه امس بالعقيد في فندق سمير اميس طويلا، ثم عقد اجتماع اخر حضره الشيخ يوسف ياسين، ومن المفهوم ان المحادثات تناولت قضية القرض السعودي وشؤونا اخرى هامة".

والحقيقة ان ذهاب الشيشكلي الى مصر واجتماعاته بالامير فيصل كان الخطوة الثانية بعد ان كانت الخطوة الاولى ذهاب القدسي ووزير الدفاع فوزي سلو الى السعودية ومصر اثر انكشاف مؤامرة السيارة العسكرية.

ولست مطلعا على ما جرى بين الشيشكلي والامير فيصل في القاهرة ولكن من المؤكد ان الامر تعدى قضية العفو عن مرتكبي جريمة الاعتداء عليه، وانه في هذه الاجتماعات وضعت خطوط السياسة المقبلة التي ادت الى انقلاب الشيشكلي على المجلس والحياة الديمقراطية في سورية.

وحين عاد الشيشكلي الى دمشق عقد مؤتمرا صحفيا تخلى فيه عن صفة العسكري الذي لا يتدخل بالسياسة وقال للصحفيين: "لقد كنت اتجنب الاجتماع الى الصحافيين لاعتبارات خاصة، مع انهم الصلة الواقعية بيننا وبين الشعب فقررت تغيير النهج القديم وسأكون على صلة مباشرة مع رجال الصحافة لانني تعلمت ان اكون على صلة مع الشعب الذي نحن انبثقنا عنه" - النصر 17 نيسان 1951.

وقد ظهر مباشرة احد بنود اتفاق الشيشكلي مع السعودية بالافراج عن بعض متهمي حادث السيارة العسكرية وتخفيف الاحكام الصادرة بحق بعضهم الاخر.

تطور الاحداث حول قضية تجفيف الحولة

لخص رئيس الحكومة خالد العظم في خطابه الذي القاه في البرلمان بتاريخ 18 نيسان 1951، ثم في خطابيه يوم 8 ايار و28 ايار تطورات الاحداث حول قضية تجفيف الحولة، والمواقف الداخلية والعربية والدولية فبعد ان وصف ملابسات الموضوع قال: (جلسة 1951/5/8):

لقد اقترحنا دعوة اللجنة السياسية للاجتماع في الرابع عشر من ايار، في دمشق او بيروت لبحث هذه الامور، ان مجلس الامن اصدر في الليلة الفائتة قرارا يطلب فيه الى الجانبين التوقف عن اطلاق النار (وكان مجلس الامن قد وافق على مشروع تقدمت به الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وتركيا، وعارضه الاتحاد السوفياتي، يدعو الطرفين او الاشخاص في المناطق المعنية ان يوقفوا القتال ويلفت نظر الطرفين الى التزاماتهما).

وليس لنا اعتراض على هذا القرار، فقد يكون فيه اذا اثمر خطوة للحؤول دون هذه المجازر في المنطقة المجردة، ولكننا في نفس الحين لا نعتبر هذا القرار حاسما للقضايا التي اثرناها امام مجلس الامن والتي ترمي الى اعادة الحال في المنطقة المجردة الى ما كانت عليه قبل الحوادث التي بدأت فيها منذ ثلاثة اشهر.

ونذكر بهذه المناسبة انه رغم هذا القرار الذي وافق عليه مندوب اسرائيل في مجلس الامن فقد قام اليهود في الساعة

الاولى من هذا الصباح بقصف قرية الشمالنة اكثر من ساعة فسقطت القذائف على مخفر الحاصل السوري واراضي البطيحة وقتلت من جراء ذلك امرأة".

□

تلك الفترة كانت فترة قصيرة، ولكنها رائعة في حياتنا السياسية فقد تلاحمت الحكومة والجيش ومجلس النواب باتجاه هدف واحد هو صد العدوان الاسرائيلي على الارض الحرام.

□

التفوق الاسرائيلي لسلاح الطيران

كان تفوق الاسرائيلين بالسلاح الجوي ولا يزال علة العلل في هزائم الجيوش العربية..

ان اليهود لم يتمكنوا في معارك الحولة من تسجيل اي تفوق بري على مواقع الجيش السوري الحصينة، فاستخدموا سلاح الطيران على نطاق واسع مما عرض المواقع السورية للخطر، وكان الشيشكلي يقول:

"لا خوف على قوانا البرية ولكننا ضعفاء في سلاح الجو، الطائرات اليهودية تستطيع عرقلة دفاعنا، مما يخشى معه ان تتمكن القوات البرية المعادية من اقتحام جبهتنا".

اذن لا بد من تقوية التغطية الجوية للجيش السوري لذلك استنجدت الحكومة بالدول العربية، فكانت اسرعها بغداد التي ارسلت سربا من الطائرات كما تبعتها مصر فأرسلت سربا آخر، وقد قال لنا خالد العظم:

"ان القائم بالاعمال البريطاني في سورية لم يخف انزعاجه من نجدة سلاح الطيران العراقي لسورية".

وكان قرب انعقاد مجلس الجامعة العربية مناسبة لان تطلب الحكومة السورية انعقاده في دمشق ليعيش مندوبو الدول العربية جو الاحداث التي تقع على خطوط الهدنة فلبت الدول العربية هذا

الطلب وانعقد مجلس الجامعة في دمشق، **وقد تمكنت من اقناع الشيشكلي وخالد العظم بعرض اقتراح استخدام البترول في المعركة على الجامعة العربية، ويقول خالد العظم في مذكراته: "ان جميع المندوبين العرب ولا سيما مندوب السعودية لم يرتاحوا لاقتراحه، باستثناء محمد صلاح الدين وزير خارجية مصر".** (ص 268 الجزء الثاني)

ولم تخرج اجتماعات اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية - كعادتها - عن حدود التأييد والقرارات، سوى ما يتعلق باحكام طوق المقاطعة الاقتصادية على اسرائيل باقتراح من الحكومة السورية.

وبتاريخ 1951/5/28 القى رئيس الوزراء خالد العظم كلمة في المجلس النيابي حول الاحداث الجارية على الحدود، ونتائج اجتماعات الجامعة العربية يمكن تلخيصها بما يلي:

1- الاشتباكات التي وقعت على الحدود.

2- مجلس الجامعة واجتماعاته في دمشق من 5/14 الى 5/19 وبحثه قضية الاعتداءات اليهودية واحالتها الى اللجنة السياسية المؤلفة من رؤساء الوفود.

3- بحث مجلس الجامعة موضوع احكام الحصار الاقتصادي على اسرائيل.

4- بحث مجلس الجامعة الاتفاقات الاقتصادية بين الدول العربية وموضوع تنظيم الدعاية العربية في العالم وملاك جامعة الدول العربية.

5- جرى بحث موضوع الاعتداءات الاسرائيلية على ضوء المذكرة التي قدمتها الحكومة السورية والتي تعرضت للنواحي التالية:

أ- منشأ الخلاف ووجهة نظر سوريا فيه.

ب- مباحثات لجنة الهدنة المشتركة.

جـ- سلسلة الاعتداءات والعمليات العسكرية التي قام بها اليهود.

د- ابحاث مجلس الامن.

هـ- السياسة اليهودية في هذه القضية ومثيلاتها والموقف الدولي منها.

و- نظرة اليهود الى موقف الدول العربية

ز- اهداف اليهود البعيدة.

ح- اقتراحات الحكومة السورية حول الموقف الذي تقضي المصلحة القومية بان تتخذه الدول العربية من هذه القضية.

6- اصدار مجلس الامن قراره مساء 51/5/6 بصدد حوادث الحدود في منطقة الحولة وابرز نقاطه:

اولا: يأمر المجلس بوقف اعمال التجفيف حتى يتم الاتفاق بشأنها.

ثانيا: يعتبر المجلس ان لا سلطان لاسرائيل على المنطقة المجردة.

ثالثا: يأسف للتعديات اليهودية.

رابعا: يطلب عودة السكان العرب الى قراهم.

وعلق خالد العظم على هذه القرارات بقوله:

"وهي امور حقة طالبت بها سوريا وآزرتها الدول العربية فجاء قرار مجلس الامن مؤيدا لشكوانا.

وبصدد بحث ما يتعلق بقرار مجلس الامن حول الاتفاق من اجل تجفيف بحيرة الحولة نرى لزاما علينا الاعلان اننا لا نزال متمسكين برأينا في ان هذا التجفيف سيؤدي الى خلل في الحالة الراهنة ويعطي لليهود ميزة عسكرية تخالف شروط اتفاقية الهدنة كما ان فيه اجحافا بحقوق الملاكين العرب، وبهذه المناسبة اذكر ان اليهود اعلنوا انهم تلقوا طلبات من مشايخ قريتي البكارة والغنامة بنقل افراد قبيلتهم الى داخل الاراضي الفلسطينية وهذا دليل قاطع على النوايا التي يبيتها اليهود للحصول على تصريح او تنازل من اولئك العرب عن حقوقهم واملاكهم بطريق الضغط والاكراه في ظروف معلومة لدى الجميع عما يقاسيه هؤلاء من الشدة والتقتير حتى ان المراقبين الدوليين انفسهم لم يستطيعوا الحصول على اذن السلطات اليهودية لزيارة هؤلاء الجماعات في المعتقل".

ثم تحدث العظم عن قرارات مجلس الجامعة العربية بدعم موقف سورية وهي القرارات التي اعلنت في 18 ايار 1951 وجاء فيها ما يلي:

قرر مجلس الجامعة تأييده المطلق لموقف سوريا المحق والمنطبق على اتفاقية الهدنة، واستعداده للوقوف الى جانب سوريا ومؤازرتها بكل الوسائل لدفع العدوان.

وقرر دعوة الدول العربية الموقعة على معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي الى الاسراع بابرامها.

وانه ريثما يتم ابرام معاهدة الدفاع المشترك، قرر المجلس ضرورة اجتماع رؤساء اركان حرب جيوش الدول الموقعة على معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي لوضع خطط الدفاع اللازمة لكل حالة في مكان ووقت قريب تحدده حكومات تلك الدول بالاتفاق فيما بينها.

ولما كانت التدابير والمقررات الدولية لم تف حتى الان بما يدرأ الخطر عن البلاد العربية وسلامتها، فعلى الدول العربية القيام بدراسة جميع الاحتمالات لاتخاذ اللازم الموقف اللازمة والتدابير المشتركة تجاه الدول التي تساهم في تعريض سلامتها للخطر.

وقد ختم خالد العظم خطابه بقوله: لسنا مستعدين للمساومة على حريتنا وعلى استقلالنا، **ونحن نعلم تمام العلم اهمية موقع البلاد العربية الجغرافي فهي طريق ومراكز ومنابع ومجار لعصب الحرب، ونعلم ان الغير ايضا يعرف هذه الحقائق ويقدرها حق قدرها، ونحن سنتخذ من هذه العوامل كلها وسيلة للدفاع عن حياتنا واستقلالنا وحريتنا".**

وفي هذه الفترة اعلنت حكومة خالد العظم رسميا رفضها لمساعدات النقطة الرابعة بسبب موقف الولايات المتحدة المتحيز لاسرائيل في مجلس الامن ودعمها لها في محاولتها التوسع وتجفيف بحيرة الحولة.

تطور القضية على صعيد العلاقات الدولية مع السياسة السورية:

كانت الاعتداءات الاسرائيلية وما رافقها من مضاعفات دافعا لتطورات عديدة على صعيد العلاقات الدولية.

فقد ازداد دعم فرنسا لسوريا وقد تجلى موقفها في اجتماعات لجنة الهدنة حيث ادى ذلك لتنحية رئيس اللجنة الكولونيل بوسافي الفرنسي، وبموقفها الايجابي في صدور قرار مجلس الامن القاضي بمنع اسرائيل من تجفيف الحولة.

اما البادرة الهامة الجديدة - على المستوى الدولي- فهي موقف الاتحاد السوفياتي الايجابي من الحق العربي، فقد كانت المرة الاولى التي يتدخل فيها بموضوع فلسطين الى جانب سوريا في مجلس الامن الدولي، وقد اشيع ان مذكرة سوفياتية ارسلت الى كل من الحكومتين البريطانية والاميركية بالاحتجاج على الاعتداءات اليهودية التي تعتبرها موسكو مناورة انكليزية اميركية يهودية لطعن استقلال سوريا وقد احدث نشر هذا النبأ في الصحف السورية يوم 9 نيسان 1951 صداه فأرغم المفوضية البريطانية بدمشق على نفيه بعد اربعة ايام مدعية بأن لا علم لها بمذكرة كهذه.

□

عاد المقدم عدنان المالكي من فرنسا بعد ان حاز على شهادة الاركان، وقد حدثني بأن المفوضية السوفيتية دعت عددا من ضباط الجيش الى حفلة خاصة، فأظهر عدنان ورفاقه الضباط المدعون امام السوفيت التفافهم حول الشيشكلي، كما اظهروا تمسكهم بقيادته، ولكن الشيشكلي اخجلهم وسود وجوههم بتناوله كمية كبيرة من الشراب، فتفوه باقوال وقام باعمال مخجلة في المفوضية اساءت للجيش وللسوفيات بآن واحد.. وكان عدنان يروي الحادث بأسف ومرارة.. ولا يستبعد ان يكون الشيشكلي قد تظاهر بالسكر الشديد ليسيء للسوفيات مرضاة للغرب الامر الذي سيتضح جليا فيما بعد، كما تبين ان زيارة تريغفي لي لم تكن فقط للاطلاع عن كثب على المشكلة، بل كان من نتائجها اقتسام المنطقة المجردة بين سوريا واسرائيل... والمهم في الامر ان اسرائيل حققت في هذه المناوشات، التي ظهرت وكأنها مقتصرة على تجفيف مستنقعات الحولة، خطوة رئيسية في طريقها لتحقيق مشروع تحويل نهر الاردن وارواء النقب، تلك

العملية التوسعية التي لم يهتم بها العرب كثيرا وفي شهر تموز سمح الجنرال رايلي رئيس لجنة المراقبين الدوليين لليهود بمتابعة اعمال تجفيف الحولة، بينما كانت سلطات اسرائيل تعلن بأنها لن تتوقف عن متابعة المشروع "في اراضيها" وهكذا تم لاسرائيل ما اورادت، ولف الصمت بعد ذلك انباء اعمالها.

وقد حدثني خالد العظم انه خلال زيارة تريغفي لي لدمشق وبحث موضوع الاعتداءات اليهودية على الحدود وتجفيف بحيرة الحولة، اصر تريغفي لي على بحث موضوع توطين اللاجئين فقال له العظم ان الاستقرار في الشرق الاوسط لا يتم قبل تنفيذ قرارات هيئة الامم المتحدة المتعلقة بعودة اللاجئين الراغبين بالعودة الى وطنهم فلسطين، اما اذا اختار احدهم البقاء في سوريا فانها ترحب به ولكنها لن تقدم على توطينهم قبل تنفيذ القرار الصادر بتاريخ 1948/12/11 ودفع التعويضات العادلة لهم، فاستغرب تريغفي لي اقوال العظم واخبره ان عزام باشا الامين العام للجامعة العربية ابلغه موافقة رؤساء وزارة الاردن وسوريا ومصر على توطين اللاجئين في سيناء وضفتي نهر الاردن وسوريا "دون ان يمس ذلك بحق عودتهم"..

يقول حسن الحكيم في مذكراته [1] : انه عندما كان رئيسا لوزراء سوريا زاره المستر بولوك وزير بريطانيا المفوض بدمشق، بتاريخ 3 ايلول 1951 وجرى بينهما حديث طويل قال فيه بولوك "ان ناظم بك القدسي كان قد اخبره قبل ان يستقيل ان الحكومة السورية وافقت مبدئيا على توطين اللاجئين في الجهات الموجودين فيها ضمن شروط معينة، منها مد يد المساعدة من اجل شراء الارض اللازمة لايوائهم، ولكنه استقال دون ان يجد شيء في الموضوع". (ص 105 -106) الجزء الثاني.

كان هم السياسة الاميركية هو توطين اللاجئين اكثر من اهتمامها بمشاريع الدفاع عن الشرق الاوسط، ولذلك استمر الضغط على حكومة خالد العظم لانجاز هذا المشروع فاضطر

(1) حسن الحكيم - مذكراتي- دار الكتاب الجديد - بيروت 1965.

العظم ان يعرض على لجنة الشؤون الخارجية في البرلمان التي كنت احد اعضائها، مشروعا تتعهد امريكا بموجبه ان تدفع لسوريا 275 مليون دولار لقاء توطين اللاجئين.. وربما كانت السفارة الاميركية قد قامت باتصالات سرية مع بعض اعضاء البرلمان اذ ما ان انهى خالد العظم هذا العرض الاميركي على لجنة الشؤون الخارجية الا وبادر بعض اعضائها بتأييد المشروع والموافقة عليه بحجة ان هذا المبلغ الكبير الذي يعادل تسعة اضعاف موارد الموازنة العامة بالقطع النادر يمكن ان يحل جميع مشاكل مشاريع التنمية في سوريا ويرفع من مستواها ويدفع بها اشواطا واسعة في طريق التطور والتقدم، وربما كانت موافقتهم تلقائية على المشروع نظرا للازمة المالية التي كانت تعاني منها الخزينة السورية، حيث ان نفقات الجيش كانت تستنزف القسط الاوفر من الموارد العامة.

وبحضور رئيس الحكومة خالد العظم جرت مناقشات اللجنة الخارجية التي انتهت برفض اكثرية الاعضاء لهذا المشروع.

هذا بالوقت الذي كانت فيه الولايات المتحدة مستمرة بامداد اسرائيل بالمعونات الاقتصادية لتتمكن من استيعاب المزيد من المهاجرين الجدد، ففي شهر مايس 1951 وقع مئة وخمسون نائبا امريكيا يمثلون الحزبين في ثلاثين ولاية بيانا جاء فيه ان موقعيه "يشعرون انه يجب على الولايات المتحدة ان تقدم مساعدة اقتصادية لحكومة اسرائيل لتساعدها على استيعاب السيل المتدفق من المهاجرين اليهود وعلى تطوير مرافقها الاقتصادية وتحسين صناعتها، ذلك ان مساعدة اسرائيل ستجعل منها قاعدة عسكرية واقتصادية وفكرية للعالم العربي والشرق الاوسط، الامر الذي يحقق اغراض الولايات المتحدة واهدافها في هذه البقعة من العالم.

المجلس النيابي يسير نحو نهايته

لا شـك ان خالـد العظـم اعتـراه اليـأس مـن موقـف حـزب الشعب، كما كان يأمل ان يوافقه الشيشكلي على حل المجلـس واجراء انتخابات جديدة، بينما اصبح الشيشكلي يسعى للاستيلاء علـى الحكـم والقضـاء علـى الحيـاة الديموقراطيـة بتشـجيع مـن الولايات المتحدة، فاشـتد دعـاة الغـرب فـي المجلـس علـى تـأزيم الموقف بين حزب الشعب والجيش.

كنت اعمل على رفض استقالة رشدي الكيخيـا مـن رئاسـة المجلـس علـى أمـل ان يتراجـع عنهـا منعـا للقطيعـة بـين حـزب الشـعب والجـيش، كمـا حاولـت مـرة اخـرى ان يرجـىء المجلـس قبولها ما لم يتقدم الكيخيا بكتاب جديد، ولكن هذه المحـاولات لـم تؤد الى نتيجة اذ ان الكيخيا وصل الى حدود القطيعـة النهائيـة مـع الشيشكلي وخالد العظم، بعد احالة انور بنود على المعاش، فكان مصـمما علـى الاسـتقالة، وعازمـا علـى ايصـال الازمـة مـع الشيشكلي الى نهايتها، فأرسل الى نائب رئـيس المجلـس كتابـا اخر يقول فيه:

"تبلغت كتابكم الذي تبلغونني فيـه قـرار المجلـس النيـابي بـرفض اسـتقالتي بعـد ان ابلغتمـوني بـذلك شـفهيا، واننـي اكـرر الشـكر الجزيـل ويؤسـفني جـدا ان لا اتمكـن مـن تلبيـة رغبـة المجلـس، واننـي اعلن لسعادتكم تمسكي بكتاب الاستقالة".

وفـي 1951/6/24 انتخـب الـدكتور معـروف الـدواليبي، مـن حـزب الشعب، رئيسا للمجلس النيابي.

□

فـي جلسـة 2 حزيـران 1951 اسـتغل الـدكتور رزق الله انطاكي، مقرر لجنة الموازنة، مشـروع قـانون يتضـمن فـتح اعتمـاد بموازنـة وزارة الـدفاع، فـاعلن معارضـته لهـذا المشـروع، وقـد كـان موقفه مناسبة لان ينهض عبد الرحمن العظم وزيـر الماليـة مـدافعا عن المشروع، وقـد ادركـت المـؤامرة المبيتـة فـورا، فقلـت لـرئيس المجلـس بعـد المبـارزة الكلاميـة بـين وزيـر الماليـة ومقـرر لجنـة الموازنة: "اذا اردنا ان نسير جديا بالامور فان وزيـر الماليـة والزميـل

الانطاكي قد شرحا الموضوع شرحا وافيا مستفيضا، ولذلك فانني اقترح ان يطرح تقرير لجنة الموازنة على التصويت".

ولكن احمد قنبر اصر على الاستمرار في مناقشة تقرير لجنة الموازنة مؤيدا الانطاكي، وتدخل بالموضوع منير العجلاني قائلا حسب طريقته في الكلام التي يمكن تلخيصها بنعم ولا في وقت واحد:

"انني مستعد ان اصوت للجيش، وخاصة في هذه الاوقات، على كل ما يطلبه، ولكنني لا استطيع كاستاذ في كلية الحقوق الا ان اؤيد وجهة نظر الدكتور الانطاكي، لانها نظرية علمية".

وعندما تكلم حسني البرازي معرضا بالجيش علت الصيحات وبدأ الضرب على المناضد وانتصب فوزي سلو كالاسد الهصور واتهم معارضي المشروع بالخيانة والعمالة وغيرها من الالفاظ.

وقد كبرت علي كلمات فوزي سلو كثيرا وان كانت موجهة للاخرين، فهو الذي كان يتزلف لاصغر ضباط الجيش الفرنسي ويخضع لاوامرهم.

نشرت الصحف ما تفوه به فوزي سلو، مما شكل اهانة للمجلس امام الرأي العام، فعاد النواب المستقلون في الجلسة التالية التي عقدت في 20 حزيران لاثارة الموضوع مرة اخرى بشكل جبان متستر، متذرعين بضرورة الزام الصحافة بتكذيب ما نشرته لان وزير الدفاع لم يقل شيئا من ذلك".

ولكن وزير الدفاع ظل على صمته، لا معتذرا ولا مكذبا، فقلت: "الحقيقة ان المهاترة جرت بين بعض الوزراء وبين بعض اعضاء المجلس وما دام الزملاء قد سمعوا جميعا الالفاظ التي صدرت فانا ارى ان لا حاجة لمثل هذا التكذيب".

فلم تقف المناقشة عند هذا الحد، فقلت مرة اخرى: "انني استغرب جدا هذا البحث، فاذا كنتم تعتقدون بأن وزير الدفاع لم يتفوه بالالفاظ التي نشرتها الصحف فقد كان من الواجب ان تقف الحكومة من الصحف التي نشرتها موقفا حاسما، كما ان على

رئاسة المجلس ان تكذب تلك الصحف التي نسبت لوزير الدفاع اقوالا لم يتفوه بها، اما اذا كنتم قد سمعتم هذه الاقوال وتريدون تبريرها فلا اظن ان انسانا في هذا المجلس يقبل بها، وانا اول الاعضاء الذين يدافعون عن كرامتهم حتى الموت.

المخطط الجديد للسياسة الاميركية

ان الذي يظهر مما نشرته مصادر المخابرات المركزية فيما بعد ان الولايات المتحدة في اواخر عام 1951 كانت قد انتهت من وضع خطتها لقلب الاوضاع واقامة نظم عسكرية دكتاتورية في كل من سورية ومصر واعادة الشاه الى عرشه في ايران بعد خلافها مع حكومة الدكتور مصدق واستفحال حركة التحرر في ايران وانعكاسها على حركة التحرر في منطقة الشرق الاوسط (لعبة الامم - مايلز كوبلاند)

فقد لاقت قرارات حكومة محمد مصدق بتأميم منابع النفط في ايران صدى عظيما وتأييدا من الحركات الشعبية في الاقطار العربية والاسلامية، حتى ان حسين مكي، الامين العام للجبهة الوطنية الايرانية اعرب في 26 ايار 1951 عن شكر الامة الايرانية لجميع البلاد العربية والاسلامية لتأييدها وعطفها على حركة التأميم، وقال:

"لقد استنكرنا اعتراف الحكومة السابقة باسرائيل، هذا الاعتراف الذي تم عن طريق الرشوة".

ووجه علماء الازهر الى الزعيم الديني ابي القاسم القاشاني كتابا طالبين فيه استعمال نفوذه لسحب اعتراف ايران باسرائيل.. وفي 10 تموز سحبت ايران اعترافها باسرائيل، وقد ابرقت الحكومة السورية الى حكومة ايران شاكرة موقفها، كما اقترح المجلس النيابي ان يرسل برقية شكر الى البرلمان الايراني وفي جلسة 17 تموز 1951 علقت على ذلك الحدث بقولي: "**قبل ان تسحب الحكومة الايرانية اعترافها باسرائيل صرح احد زعماء الشعب الايراني بان الحكومة التي اعترفت باسرائيل لم تكن تمثل الشعب الايراني تمثيلا صحيحا،**

وبعد هذا التصريح من احد زعماء الشعب الحقيقين قامت حكومة ايران، تلبية لرغبة الشعب الايراني، بتحقيق هذا العمل المشكور بالنسبة للامة العربية ولذلك فاننا كمجلس وكنواب وكمواطنين نحيي النهضة الايرانية الحديثة ونحيي نضال ايران ونشكر موقف الشعب الايراني والحكومة الايرانية".

والواقع ان هذه القضية كشفت عن بوادر وحدة الحركة التحررية بين العرب وايران، فمن جهة كان الشعب العربي يعلن تأييده المتزايد لنضال شعب ايران منذ اغتيال رئيس الوزراء رازمارا العميل البريطاني، في قرار البرلمان الايراني بتأميم منابع النفط، وفي تنصيب محمد مصدق رئيس للوزراء.. وبالمقابل فان حكومة مصدق التي جاءت لتؤمم النفط، اي لتضرب مصالح الاستعمار البريطاني، قررت ايضا سحب اعترافها باسرائيل.

ولكن المخطط الاميركي الذي تمهل بعض الوقت في ضرب حركة التحرر الايرانية كان متعجلا بقضية تحويل مجرى نهر الاردن التي كان مشروع تجفيف بحيرة الحولة خطوة اولى فيها، فقد وصل الى فلسطين اوائل حزيران 1951 الخبير الاميركي لوذرميلك "المعروف بمشروعه الكهربائي الكبير على نهر تنيسي لتحويل مجرى نهر الاردن وتوليد الطاقة الكهربائية من الشلالات التي ستنشأ عن ذلك" حسب ما ذكرته الصحف (النصر 1951/6/7).

اوائل الخمسينات: شعب سورية يحاول جاهدا ان يفك قيود التخلف فيصطدم بجمود المؤسسات - التناقض المصطنع بين مطامح الشعب واندفاعه نحو التطور وبين الديموقراطية السياسية - كنا نحاول ان نجعل الشعب اكثر ثقة بنظامه الديموقراطي واكثر رقابة على اجهزة الدولة لذلك كنت اطلب في كل مناسبة ان تتلى علنا عرائض وشكاوى المواطنين.

كان شعب سورية اوائل الخميسنات يحاول بامكاناته المحدودة ان يبني نهضته بصبر على كافة المستويات ليصل الى المستوى الحضاري القادر على الصمود امام اسرائيل.

لهذا سأعرض بعض اللمحات التي تبين مدى ما كان لكارثة فلسطين من اثر بعيد في تطوير عقلية الشعب الذي كان يحاول جاهدا ان يفك قيود التخلف عن عنقه ليبني مجتمعا حديثا بمستوى العصر.

في اواخر عام 1950 اسست الانسة مفيدة الركبي شقيقة رفيقنا الدكتور فيصل الركبي جمعية نسائية في حماة باسم جمعية الفتاة العربية، وما ان اعلنت في مطلع نيسان 1951 عن افتتاحها صفوفا لتعليم الاميات من نساء المدينة القراءة والكتابة ومبادىء الحساب حتى انهالت عليها الطلبات من الفتيات المحجبات باعداد اكبر مما كان يتصوره احد، وكتبت جريدة القبس بتاريخ 20 نيسان 1951: وافتتحت جمعية الفتاة العربية لهذا الغرض صفا في حي العليليات، وهو من الاحياء الفقيرة التي يعمل اكثر سكانه بالبستنة، فاذا بالاقبال من الفتاة الحموية المحجبة عظيم جدا، حيث بلغ عدد الطلبات خلال اسبوع واحد 170 فتاة من الفتيات العشرينيات الامر الذي دل على تعطش الفتاة عندنا الى مناهل العلم ولو كان في مراحله الاولى".

وفي 22 نيسان 1951 اشارت القبس الى الاوضاع المادية السيئة التي يعانيها شعبنا، وكان لها رأيها في معالجة هذه

الاوضاع بما لا يخرج عن الاحسان والصدقة وجمع التبرعات، ولا شك ان ذلك مظهر من مظاهر التكافل الاجتماعي الضروري لكل المجتمعات ولكنه ليس الطريق الوحيد لتحقيق العدالة الاجتماعية وقد كتب مراسل القبس في حماة ما يلي:

"احدثك بحديث ثلاثة تلاميذ في حماة اتصلت بي حكايات بؤسهم مؤخرا فسجلتها في المفكرة وانا اعلم ان لهم في وطننا امثالا واشباها كثيرين.

اما الحادثة الاولى فقصة تلميذ ضرير في دار العلوم الشرعية اثبت فحصه الطبي انه مسلول، وان تطبيبه يحتاج الى 200 ليرة سورية لا يملك اهله منها العشر وقد اخرجته المدرسة خوفا على بقية الطلاب ولا ادري ماذا تم لهذا المسكين.

والحادثة الثانية في المدرسة نفسها مع تلميذ فقير اخر لم يجد دواءه في دوائر الصحة الرسمية وقال الطبيب الحر ان دواءه يساوي حوالي ثمانين ليرة سورية لا يملك اهله عشرها ايضا، وقد انقطع التلميذ كذلك عن الدرس.

والثالثة ادهى وامر.. انها قصة جوع تلميذ صغير في الصفوف الاولى بمدرسة رسمية ابتدائية اغمي عليه بعد الظهر فظنت الادارة ان عارضا صحيا اصابه وراحت ترش الماء على وجهه حتى اذا صحا التلميذ وسئل عما به فاذا به لم يذق الطعام صباحا، ولم يجد في بيته ما يأكله عند الظهر وذلك لان اباه مصاب من جراء عمله بجروح الزمته الفراش منذ اسابيع عدة".

واختتمت الجريدة هذا العرض الاخباري بقولها: "اليس من العار على المروءات والاخلاق ان يجري هذا في بلد زراعي مزدهر مثل حماة؟.. ولماذا نلوم الحكومة وحدها ولا نحتقر الاغنياء البخلاء الذين لا يعرفون واجبهم نحو الله والفقراء انه عار وفظاعة".

ان هذا الواقع البائس الذي كانت تعيشه فئات كثيرة من شعبنا السوري لم يمنع تلاميذ مدرسة في حماة من اقامة احتفال كبير لجمع التبرعات للجيش ففي 11 ايار 1951 اقيم لهذا الغرض احتفال كبير في ثانوية ابي الفداء وخلاله حدث ما اثار حماسة الجمهور وصفق له طويلا هو ان طفلة صغيرة تقدمت من منصة الاحتفال وخلعت قرطيها الذهبيين وقدمتهما هدية للجيش.

وبقدر ما كان الشعب متحمسا ومندفعا لبناء قوته العسكرية لردع اسرائيل ومنع توسعها، وما كان يطالب جاهدا لتحقيق مشاريع التنمية، والنهضة العلمية واستثمار ثروات البلاد وتوزيعها توزيعا عادلا، بقدر ما كانت المؤسسات الفوقية السياسية والاجتماعية، بحكم مصالحها وتخلفها، عاجزة عن مواكبة هذا التطور، بل ومعرقلة له في بعض الاحيان، مما اوجد تناقضا مصطنعا بين مطامح الشعب واندفاعه نحو التطور، وبين الديموقراطية السياسية، وكشف عجز المؤسسات الفوقية عن مواكبة التطور الذي يحفظ الحياة الديموقراطية ويحصنها، وممـا افسح المجال امام الاستعمار الجديد لتشجيع الانقلابات العسكرية.

امثلة ووقائع يومية:

فلاحو منطقة الطار يطالبون بحقهم في الكرامة والحياة ويساهمون - بالتزامهم بتوجيهات قيادة الحزب - مساهمة كبرى في دفع حركة الفلاحين الى الامام

ذكرنا فيما سبق قصة ثورة عرب السماطية على الاقطاعيين في منطقة الطار غربي مدينة حماة من خلال الحملة الاعلامية التي شنتها الصحف على حزبنا وقصة السبعين معتقلا من الفلاحين، ومن حق القارىء ان يتابع تتمة هذه القضية:

لقد وردتني في8 نيسان 1951 البرقية التالية التي ارسل عرب السماطية صورا عنها الى الصحف:

"ان اقطاعيي حماة شوهوا قضيتنا نحن الفلاحين من عرب السماطية، لقد اغتصبوا الاملاك خلافا للدستور، وضموها الى اقطاعاتهم الواسعة، مع اننا نحن الذين احييناها ثم طردونا منها وزعموا انها ملكهم وتركوا الفي عائلة بلا مورد رزق جئنا الى الارض وطرحنا اجسادنا تحت التراكتورات لكي تسحقها

قبل ان تفلح الارض، هذا ما سموه عدوانا وغارة وثورة، لا نطالب الا بما يضمن لاولادنا الخبز ويطالبون بما يزيدهم تخمة، هذا واقع قضيتنا نعرضها امام انسانيتكم ووطنيتكم انصفونا... التواقيع: حسين الجابر، غثوان الاحمد، احمد الفارس، خالد الصطوف، احمد الجاسم الحمدان، شدهان الخلف، صافي الفارس".

ونتيجة للمراجعات والاتصالات ومئات البرقيات التي كانت تصل من حماة فقد اوفدت الحكومة الى منطقة الطار لجنة مؤلفة من مدير العشائر والمفتش الاول بوزارة الداخلية برئاسة محافظ حماة لدراسة الموضوع على الطبيعة، كما ارسلت وزارة الاشغال فرقتين عقاريتيين لمسح الاراضي المختلف عليها وفرزها وتعيين الاملاك العامة والخاصة منها دفعا لما يجره تفاقم الخلافات بين الاقطاعيين واهالي القرى.

وفي 15 نيسان حضرت اجتماعا عقد لبحث هذا الموضوع في مكتب وزير الداخلية الدكتور سامي كبارة، حضره عبد الرحمن العظم والدكتور فؤاد شباط الامين العام لوزارة الداخلية وخالد الداغستاني المدير العام للمصالح العقارية ومحرم علي اديب محافظ حماة استغرق هذا الاجتماع ساعتين ونصف، وخرجنا منه بالمقررات التالية:

1- فيما يتعلق بالاملاك العامة يصار الى توزيعها على الفلاحين من سكان القرى ذاتها.

2- فيما يتعلق بالعقارين رقم 9 و6 من اراضي التريمسة وهما عبارة عن منخفضين من الاراضي الخصبة يجفان صيفا ويتحولان الى مستنقعين شتاء، والمستنقعات تعد من املاك الدولة عادة، فيصار الى توزيعها على الفلاحين بعد اثبات ما اذا كانت املاكا عامة.

3- فيما يتعلق باراضي الجلمة توزع اراضي الاملاك العامة على الفلاحين رغم ان الاقطاعيين كانوا قد اجروها لمستثمر صاحب مشروع ري، وتصبح العلاقة بين المستأجر والدولة والفلاحين البساتنة، وتبقى الارض بيد المستأجر حتى نهاية الموسم الزراعي.

والسؤال الان: كيف استطاع عرب السماطية ان يحققوا هذا الظفر العظيم وان يخطوا هذه الخطوة الهامة في ثورة الفلاحين ودفعها الى الامام؟

لقد اثبتوا صمودا وبسالة وانضباطا والتزاما بتوجيهات القيادات الحزبية في فرع حماة، كما ان جهاز الدرك قد اصبح عاجزا عن التصدي لهذه الحركة الثورية الواسعة والباسلة، بالاضافة الى ان الجيش (اديب الشيشكلي) لم يكن من مصلحته في تلك الفترة بالذات ان يتصدى لهذه الحركة الشعبية في الوقت الذي كان فيه الشعب يحيط الجيش بمظاهر الدعم والتأييد.

الطائفية والجهوية واراضي املاك الدولة.

تعرض النواب في جلسة 1951/5/2 لموضوع اراضي جبل البلعاس ثم اثير هذا الموضوع مرة اخرى في جلسة 1951/5/21 عندما ردت اللجنة القضائية مشروع القانون القاضي بالغاء قرارات المفوض السامي، بحجة الانتظار لوضع تشريع خاص لاراضي املاك الدولة، والسبب ان الغاء هذه القرارات يصطدم مع مصالح الطبقة الاقطاعية النافذة كما يصطدم بالمصالح الطائفية، فقد كان امراء السلمية يتصورون ان مناطق البادية شرقي سلمية هي مناطق خاضعة لنفوذهم واستملاكهم مما جعلهم يقفون موقف المعارضة من قدوم بعض الفلاحين من جبل اللاذقية الى جبل البلعاس وكان نواب السلمية ونواب بانياس تسيرهم الدوافع الطائفية في الخلاف الذي قام بينهم، الامر الذي كنت اتعمد ان اتحاشاه في مناقشاتي للموضوع فقلت:

"ان ارجاع مشروع الغاء قرارات المفوض السامي الى الحكومة معناه بقاء الاوضاع السابقة الى امد بعيد لان هذا الموضوع لم يبحث في عهد الوزارة السابقة فحسب وانما بحث منذ عهد وزارة فخامة الرئيس الاتاسي وقد بحث هذا الموضوع آنذاك وجرت محاولات ولكن مع الاسف حالت العراقيل دونه، وقد مرت سنتان او اكثر حتى وصل المشروع الى المجلس، وانا اعتقد انه اذا اعيد الى الحكومة فانه سوف ينام ابديا.

ان بعض الاخوان يجهلون بعض نقاط هذه القضية سواء من حيث خط البادية او من حيث حرم البلعاس او المناطق التي حرم المفوض السامي الاهلين من استثمارها، فالواقع ان القوي والمتنفذ سواء من اهل الحضر او البدو يستطيع ان يعمل في البلعاس او في البادية فالاقوياء يفلحون الارض ويزرعونها اما الذي يحرم من فلاحة الارض واستثمارها فهو الضعيف من ابناء العشائر المحروم من الارض، فاذا اردتم بقاء الوضع الحاضر فانكم تفسحون المجال لاستيلاء الاقوياء على البقية الباقية من الاراضي الصالحة للاستثمار.

ان الاحكام العامة التي تطبق في بلادنا سوف تطبق بعد الغاء هذا القرار على الاراضي البور، فاذا كانت القوانين لا تطبق حاليا فليس الذنب ذنب القوانين وانما ذنب السلطات التي لا تتقيد باحكام القانون، ونحن بالتالي اذا كان اخواننا رؤساء العشائر يخافون ان يزاحمهم ابناء المدن باستثمار هذه الاراضي فان احكام الدستور وجميع النواب يرغبون في ان تتخذ الحكومة التدابر لتفضيل ابناء العشائر على ابناء المدن واعطائهم الاراضي لتحضيرهم اذ لا يوجد انسان في هذه البلاد ولا نائب في هذا المجلس الا ويرغب بتحضير العشائر واعطائهم الاراضي للاستقرار ولذلك كان هذا الموضوع غير وارد ولا يمكن لابناء المدن ان يزاحموا ابناء العشائر، والمفوض السامي عندما اصدر هذا القرار قد بناه على مبررات ما انزل الله بها من سلطان، فقد قال ان استثمار الارض قد يفسح مجال الاصطدام والنزاع بين العشائر، ان من واجب السلطة ان تضع حدا لكل اصطدام وان توزع الاراضي وتطبق الاحكام القانونية التي تخدم المصلحة العامة دون خشية من اي انسان **لذلك فانا اطلب من المجلس اعادة هذا التقرير الى اللجنة القضائية لتعيد النظر به وان تلغي قرارات المفوض السامي، والا فان بقاءها يعتبر كارثة ومصيبة لانها تبقي اراضي صالحة للزراعة دون استثمار".**

□

كان تخلف اجهزة الدولة واهمالها يبرز اكثر ما يبرز في التباطؤ بتنفيذ المشاريع الانمائية وهذا ما بينته في خطابي بجلسة 21 ايار 1951:

"سيدي الرئيس - هناك بعض المراسيم وعدد من القوانين، صدرت عن هذا المجلس ولم تنفذ بعد، فمثلا هناك مشروع الغاب، صدر بتنفيذه مرسوم اشتراعي سابق، ثم تقدمت به الوزراة السابقة واعادت النظر فيه، فأقره المجلس واصبح قانونا ولكنه حتى الان لم ينفذ، وكذلك مشروع اليرموك وقانون سبر وحفر الابار، فانا اتساءل: ما هي الاسباب التي تحول دون تنفيذ هذه القوانين التي تهدف الى قضايا جوهرية، وخاصة قضية حفر الابار الارتوازية.

اننا نرى في هذا العام كيف ان منطقة حوران تعاني العطش، ونرى ان الحكومة تلاقي كثيرا من المصاعب في سبيل تأمين مياه الشرب لهذه المناطق العطشى، فما هو السبب الذي جعل الحكومات تتأخر في تنفيذ هذا المشروع؟ لا سيما واننا حينما صدرنا هذا القانون اطلقنا يد الحكومة للقيام بتنفيذه سواء بواسطة اجهزتها مباشرة او بطريق الاتفاق مع الشركات وقد علمت ان شركات عديدة قد تقدمت بالماضي الى وزارة الزراعة وان هناك عروضا يمكن ان تستفيد منها البلاد فائدة كبرى. لذلك ارجو من الحكومة ان تهتم بهذا الموضوع فاذا كانت القضية ناقصة من الناحية التشريعية فأرجو ان تتقدم الحكومة الى المجلس بمشاريع القوانين لاستكمال هذه النواقص.

وانا اعتقد انه بامكان وزارة الزراعة ان تدرس العروض المقدمة لها وتقر العرض الموافق منها، وان تتفق مع هذه الشركات على القيام بحفر الابار دون اي تأخير. كما اصر على تنفيذ مشروع الغاب الذي طالما بحثنا فيه ولاحقنا تنفيذه منذ سنوات وطالبنا الحكومات المتعاقبة بتجفيفه وريه لانه يتوقف على تحقيق هذا المشروع حل بعض الازمات الزراعية والاجتماعية في بلادنا وطالما نادينا بذلك وتعهدت الحكومات المتعاقبة بتنفيذه ولكننا حتى الان لم نر بادرة تشعر بان الحكومات مهتمة بتنفيذ هذا المشروع الحيوي، ولم تشكل الاجهزة الادارية للبدء في وضع الدراسات موضع التنفيذ".

كـان اهمـال الاجهـزة الحكوميـة يتجلـى ايضـا حتـى فـي المشروعات التي تم تنفيذها، وهذا ما بينته في خطاب بجلسة 4 حزيران 1951 فقمت معلقا على تقرير لجنة الموازنة في البرلمان.

"انني لم افهم المبررات التـي دعـت لوضـع هـذا التقريـر لان مشـروع القـانون المقـدم مـن الحكومـة يسـتهدف قضـايا جوهريـة جـدا، فمـثلا هنـاك اتمـام مستشـفى القـدموس، ومخصصـات للمطبعـة الرسـمية، والقضـايا الزراعيـة والمكافحة وغيرها مـن هـذه الامـور الضـرورية، اذ لـيس مـن الطبيعـي ان تمـر الايـام وان تضـيع الفـرص، فـالمبررات التـي اوردتهـا اللجنـة فـي توزيـع المـال الاحتياطي على الامور التي اعتقدتها جوهرية انما هي في الحقيقـة مضـيعة للوقت والمال، فالزملاء يعلمون ان مستشـفيات السل فـي بلادنـا، وهـذا مثـل من امثلة كثيرة، لا تستوعب واحدا من الف من المصابين بالسل مـن الفقـراء، ومـن المعلـوم ان مستشـفياتنا لا تسـتوعب غيـر العـدد القليـل بينمـا يشـكل المسلولون الاخرون بؤرا لانتشار مكروب السل بين الاطفال والنسـاء والرجـال، مما سبب وضعا غير انساني لا يجـوز التغاضـي عنـه، ولـذا ارى مـن الضـروري جدا ان لا نضـيع ولا يومـا واحـدا بالتأجيـل، فكيـف اذا كـان هـذا التأجيـل حتـى الموازنـة القادمـة اذ قـد كفانـا اننـا اضـعنا نصـف السـنة الحاليـة فـي الموازنـة المؤقتة، فانا لا اوافق مبدئيا علـى تقريـر اللجنـة لانـه لا يجـوز لنـا ان نؤجـل او نسوف الامور الضرورية والجوهرية".

اما بالنسبة لمستشفى الامراض العقلية في حلب فقد قلت: "علمت من وزير الصحة والاسعاف العام بأن مستشفى الامراض العقلية في حلب قد انتهى انجازه منذ سنتين وتم بناؤه ولكـن لـم يسـتعمل حتـى الان، والسـبب في ذلك كما يزعمون انه بحاجة لبعض المخصصات مـن اجـل تجهيـزه وتأثيثـه، وقد فكرت الحكومـة فـي جعلـه مستشـفى للسـل، ولا يقتضـي ذلـك سـوى تخصـيص مبـالغ ضـئيلة لا تتجـاوز ثلاثـين الـف ليـرة، ولا اعلـم اذا كـان النـواب يوافقـون علـى ان يبقـى هـذا البنـاء اكثـر مـن سـنتين وهـو مسـتكمل لكافـة الشروط دون استعماله، لان الحكومـة قـد تركتـه طيلـة هـذه المـدة مـن اجـل انفاق مبلغ جزئي".

وقد تبين ان السبب في اهمال هذا المستشفى يعود للنزاع الحاصـل بـين الحكومـة وبلديـة حلـب حـول ملكيـة هـذا المستشـفى فقلـت: حسـما للخلاف: "ان القضية محلولـة فسـواء بقـي هـذا المستشـفى للبلديـة او كـان

تابعا لوزارة الصحة فلا يجوز ان يبقى ثلاث سنوات مهملا دون استعمال من قبل الحكومة او البلدية فالشعب بحاجة قصوى لايواء المرضى في هذا المستشفى ولا فرق لديه في ان يبقى ملحقا بالبلدية او بوزارة الصحة، فالضرورة تقتضي تجهيزه وتأثيثه من الاعتمادات المخصصة.

□

كان ذلك التخلف والعجز في اجهزة الدولة، والاهمال والفساد، يؤدي احيانا الى وقوع كوارث شعبية اليمة جدا، كالفاجعة المذهلة التي وقعت في حمص في عام 1950 عندما انفجر مستودع بترول في محطة لبيع المحروقات السائلة وسط المدينة راح ضحيته عدد كبير من القتلى والجرحى، وروعت سوريا من اقصاها الى اقصاها بهذه الفاجعة، وامتلأت مستشفيات المدن السورية واللبنانية بالضحايا وكل ذلك بسبب تخلف اجهزة الدولة المختصة بعدم فرضها على محطات بيع البنزين ان تتقيد بالشروط الفنية المتعارف عليها..

ورغم هول تلك الفاجعة فقد تكررت، وفي حمص ايضا، بسبب استمرار الاهمال وغياب رقابة الدولة وهذا ما حدا باحسان الحصني امين سر الحزب العربي الاشتراكي ان يوجه لرئيس المجلس النيابي السؤال التالي في جلسة 31 ايار 1951.

"لقد فجعت حمص في الرابع عشر من هذا الشهر بحريق اودى بحياة اثنين من المواطنين الابرياء، كما اتى على عدد كبير من المتاجر وبيوت السكن واحدث اضرارا مادية كبيرة لحقت باناس لا ذنب لهم ولا جناح عليهم، وقد كان السبب انما هو اهمال من بعض المسؤولين عن اداء واجبهم، لا يجوز السكوت والتغاضي عنه، ارجو سؤال الحكومة عما اتخذته من اجراءات حيال المسؤولين عن هذه الحوادث".

وقد عقبت هذا السؤال بتعليق قلت فيه:

"لا بصفتنا نوابا او مواطنين في هذه البلاد، بل من الانسانية على الاقل ان نبحث عن المسؤولين في كارثتي حمص، ففي المرة الاولى وقعت الكارثة التي لم تشهد لها هذه البلاد مثيلا فلم تقترن بتعيين المسؤولين وانزال العقوبة الصارمة بهم ولكن كان يتبادر الى الذهن بأنه لاول مرة تقع مثل هذه

الكارثة وان الجهاز الاداري لم يكن واعيا خطر الكوارث من جراء وجود المواد المشتعلة داخل المدن، ولكن بعد وقوع تلك الكارثة لا يمكنني ان اتصور ان تقع ثانية وفي المدينة ذاتها.. واذا كانت المسؤولية ضائعة فانني اخشى ان يودي ضياعها بهذا الشعب وان تقع الكوارث المتلاحقة دون ان تنزل العقوبة الصارمة بحق المسببين والمسؤولين، انني بصفتي انسانا لا بصفتي نائبا او مواطنا احتج احتجاجا صارما على اهمال الحكومة امر تعيين المسؤولين وعدم انزال العقوبة بحقهم".

وكانت موجة من البطالة قد اجتاحت مدينة حمص وحلب ودمشق في تلك الفترة، وقامت مظاهرات عمالية في حمص كان شعارها "شغلونا.. بدنا ناكل" .. فالقيت خطابا في جلسة 21 ايار 1951 قلت فيه:

"سيدي الرئيس: سرح في حلب وفي دمشق من اغلب مصانع النسيج عدد كبير من العمال وذلك من جراء الضائقة التي حلت بهذه المصانع فأصبح عدد كبير من العمال دون عمل. وقامت مظاهرات في حمص وفي حلب يطلب فيها العمال القوت ويقولون انهم جياع. وقد قيل لي ان المعاهدة التجارية الاخيرة بين سوريا والعراق جعلت تجار العراق يمتنعون عن استيراد المنسوجات من سوريا، واقترح بعضهم لتخفيف ازمة البطالة منع استيراد كل سلعة يصنع مثلها في سوريا كالمنسوجات على اختلاف انواعها، اننا نادينا في هذا المجلس مرارا انه من الواجب منع استيراد كل ما يصنع مثله في سوريا ومنع المواد الكمالية، وهناك ايضا عدة اقتراحات تقدم بها العمال الى وزارة الاقتصاد الوطني، فنحن نطلب من الحكومة ان تدرس هذا الموضوع باهتمام وان تزيل اسباب الشكوى وان تسهل سبل العمل امام العمال الجائعين، والا فان القضية لن تقف عند اتخاذ شكل اقتصادي".

هذا التناقض والاهمال والفوضى في تنظيم اقتصاديات البلاد لم ينحصر في نطاق الصناعة فقط وانما كان يشمل نطاق الزراعة ايضا، فمن المعروف ان انتاج القمح كان ولا يزال مصدرا رئيسيا من مصادر الثروة القومية في سوريا، ومع ذلك فقد بقي مصدرا لاستثمار التجار وثرائهم الفاحش بينما كان يتعرض تموين البلاد بالقمح لازمات في كل عام، لذلك قلت في جلسة 21 ايار، معلقا على حديث القحط والجفاف في تلك السنة:

"منذ اكثر من سنة ونحن نطلب ان تشكل الحكومة (مكتب القمح). ولكن يبدو أن هذه الاغنية لها بداية وليس لها نهاية، فهل تنوي الحكومة انشاء هذا المكتب، وهل تراه ضروريا لتنظيم اقتصاديات سوريا وتموينها ام انها صرفت النظر عنه؟ وان المجلس قد اتجه في جلسات سابقة نحو انشاء مكتب للقطن ايضا، ومضى اكثر من سنة دون ان يتحقق ذلك .. فهل صرفت الحكومة النظر عن انشائه؟ وما هي الخطة التي ستنتهجها الحكومة في هذا السبيل؟"

وقد اضطررت لكشف هذه التناقضات في حياتنا الاقتصادية، في جلسة 2 حزيران 1951، عند مناقشة السياسة الاقتصادية لحكومة خالد العظم، فقلت:

"عندما نبحث في هذا الموضوع لا نوجه اللوم الى هذه الحكومة فقط، وانما نعالج واقعنا السيء بشكل عام، ويمكنني ان اقرر بأننا حتى الان لم نر للحكومات المتعاقبة اي موقف حاسم الا ازاء ضغط شعبي، ويتذكر دولة رئيس مجلس الوزراء ان قانون العمل لم يخرج من المجلس النيابي عام 1946 الا تحت وطأة مظاهرات العمال في شوارع دمشق. واقول بكل صراحة ان قانون العمل كان عرضة لمؤامرة بعدم اخراجه من المجلس قطعيا، ولكن عندما وقف العمال ذلك الموقف عمد رئيس المجلس آنذاك الى الاتصال بالنواب وطلب منهم ان يصدروه بشكل مستعجل جدا، لان العمال قاموا يطالبون به ويتظاهرون في شوارع العاصمة وعلى هذا فقد صدر قانون العمل بنتيجة ضغط العمال ولولا ذلك لما صدر او لتأخر صدوره عشرين عاما.

والقضية الان ليست قضية نظريات اقتصادية طويلة عريضة، وانما هي مبادىء يدركها العقل والحس السليم، وقد طالبت بها الامة، فطالبت مثلا بالحد من استيراد الكماليات، ولا سيما التي يصنع مثلها في هذه البلاد وتذكرون جيدا ان وزارة الاقتصاد سمحت باستيراد الاحذية، ولولا ثورة هذا المجلس لما منع استيرادها.

والان تقدم العمال بمطالب عديدة يطلبون فيها منع استيراد المنسوجات التي يصنع مثلها في بلادنا، ومع ذلك كان معالي وزير الاقتصاد يقول بأنه وقع منذ ثلاثة ايام قرارا يقضي بمنع استيراد الملبوسات العتيقة، وكان تدبيره هذا حكيما ومع ذلك فانني اتساءل

ما هو السبب الذي حدا بوزارة الاقتصاد لاغراق الاسواق بهذه المبلوسات القديمة ومضاربة انتاج المعامل في بلادنا وتعطيل الوف العمال في حمص وحلب ودمشق؟

كما ان هناك قضية الكماليات التي تغزو بلادنا رغم ان وسائل انتاجنا لا تزال بدائية فكم وكم عندنا من البضائع الكمالية التي لا يوجد مثلها في فرنسا كالسيارات الفخمة التي تنتجها المعامل الاميركية حيث لا تستعمل هناك ولكن تستعمل في بلادنا ذات الانتاج العظيم الذي يفوق انتاج امريكا!!!

انني لا افهم السياسة الاقتصادية التي تسير عليها البلاد وانني اتساءل مثلا: لماذا لا يكون مرفأ اللاذقية طريقا للاستيراد والتصدير؟ منذ كم سنة ونحن نسمع بأن مصلحة الميرة هي في طريق التصفية دون ان تنجز هذه القضية؟ .. ومكتب القمح متى سينشأ ودودة القطن هل نكافحها بعد موسم القطن؟ مع اننا طالبنا باستعجال النظر في مشروع المكافحة ولا ادري السبب في عدم اخراجه حتى الان، مع ان حشرة السونة خصصت لمكافحتها، جلسة طويلة عريضة ومبالغ طائلة، ومع ذلك لم تزل السونة تتلف المزروعات ولم نر للمكافحة اثرا او نتيجة. اننا نطلب وضع سياسة اقتصادية سليمة لها خطة ومنهاج"

هذه الامثلة هي نماذج عن مدى تخلف الاجهزة الفوقية عن النهضة التي كان الشعب يتطلع اليها، وقد كانت الشكاوى التي تصل الى المجلس النيابي من المواطنين تعكس مدى هذا التطلع وتعطي صورة حية عن المظالم الاجتماعية والفساد الحكومي والتردي الاقتصادي وكنا نحاول جاهدين ان نجعل الشعب اكثر ثقة بنظامه الديموقراطي، واكثر رقابة على جهاز الدولة، ولذلك كنا في كل مناسبة نطلب ان تتلى علنا عرائض وشكاوى المواطنين لتناقش في مجلس النواب.

1951: اغتيال رياض الصلح (1951/9/16) - اغتيال الملك عبد الله (1951/9/20)

بينما كانت الامور في سوريا تسير على الشكل الذي وصفناه اذاعت محطة بيروت بتاريخ 16 تموز 1951 البلاغ التالي: "في الساعة الخامسة من مساء هذا اليوم نعى الملك عبد الله الى رئيس الجمهورية اللبنانية المغفور له رياض الصلح ضحية اغتيال وهو في طريقه من المقر الملكي في عمان الى المطار عائدا الى لبنان... والحكومة اللبنانية، وهي جادة في استجلاء ظروف الحادث من جميع نواحيه، يؤلمها ان تنعي الى الشعب اللبناني والى الدول العربية وشعوبها الفقيد الغالي"... وذكرت من تفاصيل الحادث انه "بينما كان الفقيد يستقل السيارة، يواكبه الحرس الملكي، الى المطار، هاجمت سيارة مجهولة الفقيد واطلق ركابها المجهولون الرصاص عليه بعد اختراقهم نطاق الحرس، فأصيب برصاصتين قاتلتين، اما الحرس الملكي فقد اطلق الرصاص على ركاب السيارة فاصاب واحدا منهم وتمكن من احتجاز السيارة قيد التحقيق".

ثم اذاعت عمان بعض التفاصيل الاخرى ، ومنها انه "ثبت ان محمد امين صلاح الدين، وهو شاب فلسطيني من حيفا ورقيب في الجيش الاردني، وميشيل الديك وهو لبناني من طرابلس يقيم في درعا، هما اللذان اطلقا النار على رياض الصلح وقد قتلا في الحادث، ويعتقد انهما من الحزب القومي السوري وكانا يركبان سيارة يسوقها شخص أردني يدعى سبيرو وديع وقد تمكن من الهرب.

وعندما اطلعت على تفاصيل النبأ رجعت بالذكرى الى عام 1945 عندما حدثني رفيقنا عبد الحليم قدور، وكان قاضيا في درعا آنذاك عن استبسال احد رجال الجمارك واسمه ميشيل ديك في الهجوم على ثكنة الفرنسيين في درعا.

كنت اسمع برياض الصلح عندما كنت تلميذا في المدرسة اقرأ مع رفاقي عن نشاطه ونشاط المكتب السوري الفلسطيني في خدمة القضية العربية خاصة والاسلامية عامة، ونتتبع اخبار المكتب ونشراته، ولا سيما ما كان يصدره الامير شكيب ارسلان من كتب مترجمة ومؤلفات لا ازال اذكر اني قرأت منها "آخر ملوك بني سراج" و "أناتول فرانس في مباذله" وغير ذلك من كتبه المترجمة وتآليفه العديدة.

وظلت هذه الصورة الطيبة للمكتب السوري الفلسطيني في نفسي حتى الثلاثينات ثم ضعفت وبهتت كثيرا بعد ان اخذ شكيب ارسلان واحسان الجابري يمالئان موسوليني المستعمر البغيض، ولا سيما بعد اعدام الطليان للبطل الليبي عمر المختار.

اما صورة رياض الصلح فقد ظلت لامعة في ذهني، وكنت اتسقط أخباره حتى اتيحت لي رؤيته شخصيا عندما كنت اقضي العطلة الصيفية في كلية عالية الوطنية (مدرسة ابي محمد: مارون عبود) فقد شاهدته عندما كنت اتنزه مع الدكتور محمد السراج فلهفت قلوبنا له وسلمنا عليه كواحد من أبرز واذكى قادتنا الوطنيين.

ثم رأيته مرى اخرى، بعد انتسابي الى كلية الطب في الجامعة اليسوعية ببيروت راكبا الترامواي، وسبحته المعهودة في يده، فسلمت عليه فرد التحية بأحسن منها.. كان رياض الصلح جميلا جذابا تشع على وجهه مخايل الذكاء والجرأة.

ورأيت رياض الصلح لاخر مرة عندما زار دمشق في عام 1943 حيث اقام له سعد الله الجابري رئيس الوزراء حفلة في حديقة مجلس النواب ثم ارتفعت اسهم رياض الصلح في سورية عام 1944 بعد ثورة بشامون.

ولم تضعف هذه الصورة اللامعة لرياض الصلح في نفوسنا اثناء معركة فلسطين عام 1948، بل كنا، على العكس، نقدر اهمية الدور الذي لعبه في فتح حدود لبنان للمجاهدين ومساعدته لهم، ثم مساهمة لبنان العسكرية بالمعركة فيما بعد.

بعد اربعة ايام من اغتيال رياض الصلح اغتيل الملك عبد الله في القدس بتاريخ 1951/7/20 بينما كان يهم بدخول المسجد الاقصى لصلاة الجمعة، فقد فاجأه شاب من اهالي القدس يدعى مصطفى شكري عشو فأطلق عليه النار وأرداه قتيلا، ثم سقط الجاني صريع رصاص الحرس الملكي.

وفي اليوم التالي عقد المجلس النيابي السوري جلسة برئاسة الدكتور معروف الدواليبي الذي افتتح الجلسة بكلمة مؤثرة عن جلالة المغفور له الملك عبد الله، فقد قال بعد ان اعلن الاسف على فقده:

"اننا لا نستطيع ان نمر سراعا بهذه الامور دون ان نجهر بالألم والاسى من السياسة الاجنبية التي كانت السبب فيما جرى".

وفي الجلسة البرلمانية ذاتها علق خالد العظم على اغتيال الملك عبد الله بما يلي:

"لقد تلقت الحكومة نبأ مصرع المغفور له جلالة الملك عبد الله عاهل المملكة الاردنية الهاشمية بملء الاسى وأسف، وأبرقت باسمها لفخامة رئيس الحكومة الاردنية معزيا..

لقد تكررت حوادث الاغتيال السياسية في بلاد الشرق، وازداد معها القلق من هذا الاسلوب الذي لا تجيزه شريعة وليس للمرء ان يذهب بنفس حرم الله قتلها، فالمرء يخطىء ويصيب، ولكن العدالة الالهية لا تخطىء، والبلاد العربية تذكر ما اسداه جلالة الملك الراحل من خدمات جلى للعرب في الثورة العربية التي قام بها المرحوم جلالة الملك حسين بن علي التي كانت مبدأ تحرير العرب من الاستبداد والاستعمار".

كان من نتائج المباشرة لاغتيال الملك عبد الله بعث مشروع سورية الكبرى، فطالب عدد من نواب المجلس السوري باقامة

اتحاد بين سورية وشرق الاردن بعد اسبوع من وفاة الملك في الجلسة المنعقدة بتاريخ 1951/7/28 وقد جاء في كلمة نائب دمشق صبحي العمري ما يلي:

"اما الان وقد ذهب الى رحمة ربه الملك عبد الله الذي كان قائما على امر شرقي الاردن، وهي في الاصل منطقة سورية ظل السوريون صامتين عن فصلها طوال هذه السنين عن وطنها الام، وبما ان سوريا والحمد لله اصبحت حرة طليقة، فلم يبق اي سبب لبقاء هذا القسم المهم من سوريا منفصلا عنها... ان هذ القسم من سوريا المسمى بشرق الاردن يشكل اهم منطقة عسكرية بين جميع البلاد العربية، لسبب كونها نقطة اتصال بين جميع اقطارها، وهي مفتاح الجزيرة العربية وصحراء سيناء، وهي ايضا اقصر طريق يربط البحر العربي الاحمر بالبحر الابيض المتوسط بالاضافة الى هذه الاسباب، ولكون البريطانيين كانوا في سنة 1921 يملكون الانتداب في فلسطين وعلى العراق وعلى مصر، قاموا باختراع هذه الدولة وهذا الاسم ليبقى بيدهم المفتاح اولا، وليمنعوا وصول الفرنسيين الى البحر الاحمر ثانيا... ان البريطانيين يدركون ان هذه الدولة ليس لها اي مورد من موارد الحياة وهي تعيش على الاعانات البريطانية من حين تشكلها الى الان، والدول التي لا تعيش على مواردها الخاصة لا يمكن ان تكتب لها الحياة، وقد ادرك الملك عبد الله هذه الحقيقة منذ البداية. ولذلك لم يقنع بهذه الامارة واعتبرها نقطة انطلاق لتحقيق الدولة السورية بحدودها الطبيعية والتي كانت تسمى سوريا الكبرى.

اما الان وقد تبدل كل شيء عما كان عليه في سنة 1921 فلم يبق من سبب لوجود بريطانيا في هذا الجزء من وطننا سوى رغبتها في ان تكون في هذا الموقع الاستراتيجي الهام.

ان ميزانية الاردن هي 16 مليون جنيه، تدفع منها بريطانيا ستة ملايين كمساعدة للجيش الاردني مقابل سيطرتها عليه. ولولا هذه الاعانة لما امكن بناء هذه الدولة. ولكن هل هذه الحالة طبيعية؟ وهل يمكن ان يكتب لها البقاء؟ لا نحن نقبل ان يبقى هذا الجزء العزيز من بلادنا تحت سيطرة اجنبية، ولا اخواننا هناك يقبلون هذا الوضع المزري فيعيشون على صدقات الاجانب مقابل سيطرتهم على وطنهم ولا باقي الاقطار العربية تقبل ان يكون مفتاح بلادنا بيد بريطانيا... ان اخواننا هناك يعلمون تماما بأن الازدهار الذي مر عليهم

بفضل الحرب والتهريب والقطع النادر لم يكن سوى ازدهار مؤقت غير طبيعي، وقد زال بزوال الحرب، وهم الان في ضائقة تكاد تخنقهم لانه بالاصل لا يمكن ان تكون هذه المنطقة الجرداء وحدة اقتصادية قائمة بذاتها لانها ليست سوى جزء متمم لسورية الطبيعية فلا يمكن ان تعيش لوحدها".

وقد علق خالد العظم رئيس الوزراء على خطابات النواب المطالبين باعادة شرقي الاردن الى سوريا بقوله ان مقتل الملك عبد الله "قد اثار مشاكل عديدة وان كانت غير ظاهرة بجلاء ووضوح، ولكن الوضع يتمخض عن امور كثيرة، ويجب ان يكون لسوريا والبلاد العربية الاخرى جميعها رأي موحد فيها".. وقد المح في تصريحاته الصحفية في تلك الفترة الى ان شرقي الاردن هي جزء طبيعي من سوريا الام.

□

والاثر المباشر الثاني الذي تركه اغتيال الملك عبد الله هو ان الانكليز استغلوا الحادث فراحوا يحركون النعرات الاقليمية بين الاردنيين والفلسطينيين مما ادى الى وقوع حوادث اليمة اثير موضوعها في هذه الجلسة ايضا، فقد خطب الشيخ مصطفى السباعي قائلا:

لنا سؤال حول هذا الموضوع تقدمنا به الى الحكومة لنستوضح منها عن الاعمال الانتقامية التي جرت في فلسطين عقب اغتيال جلالة الملك عبد الله، وقد كنا نريد ان نكذب هذه الشائعات الا انها على ما يظهر واقعة فعلا، فرد خالد العظم.

بالفعل وصل الى سمعي بعض هذه الاخبار، ولا شك ان الحكومة ستعنى بالسؤال عن هذه الوقائع على قدر ما تسمح لها الاصول الدبلوماسية.

□

وبتاريخ 1951/8/11 اعلن توفيق ابو الهدى رئيس وزراء الاردن انتهاء التحقيق بمقتل الملك عبد الله واحالة المتهمين الى المحاكمة، وفي 28 آب صدر قرار المحكمة باعدام كل من الدكتور موسى الحسيني، وعبد القادر فرحات والاخويين عبدو عكة وزكريا

عكـة، وعبـد الله التـل، وموسـى الايـوبي، وقـد تـم تنفيـذ الاعـدام بالاربعة الاوائل بتاريخ 4 ايلول 1951 وفي اليوم الثاني غـادر الامير طلال[1] بن عبد الله ولي العهـد سويسـرا عائـدا الـى الاردن حيـث نادى البرلمان الاردنـي بـه ملكـا، فوصـل الـى عمـان فـي 6 ايلـول واستلم سلطاته الملكية.

□

لقد اشارت اصابع الاتهام في اغتيال ريـاض الصـلح الـى السـوريين القوميين، نتيجة لموافقة حكومة الصلح على اعدام انطون سـعادة الذي سلمته حكومة حسـني الزعيم ومحسـن البرازي الـى لبنـان، هـذا الاعـدام الـذي تـم خـلال اربـع وعشـرين سـاعة لـم يسـمح لسـعادة فيهـا بتوكيـل محـام، وكـان ذلـك ارضـاء لحـزب الكتائـب والعناصر الانعزالية المتحالفة في لبنان مـع حكومـة ريـاض الصـلح، ولا سيما بعد ان اعلن انطون سـعادة الثـورة علـى حكومـة الصـلح وبشارة الخوري مما يهدد السـتاتيكو المفروض على المنطقة وهـو الامر الـذي يعنـي فرنسـا بصـورة خاصـة بمـا يتعلـق بنفوذهـا فـي لبنان.

اما بالنسبة لاغتيال الملك عبـد الله فقـد اتجـه الاتهـام الـى الحاج امين الحسـني والى مصر والملك فاروق للاختلاف بين الحاج امين ومصر مـن جهـة والملـك عبـد الله مـن جهـة اخـرى بالنسـبة لمستقبل القضية الفلسطينية، ولكن هذا الاتهام ما لبث ان توجـه بعـد ذلـك الـى المخـابرات البريطانيـة التـي كـان الـرأي العـام فـي المشـرق العربـي يـدينها باغتيـال الملـك فيصـل والملـك غـازي واضطهاد الملك حسين بن علـي ونفيـه الـى قبـرص بعـد ان نفـى الحاج امين والهيئـة العربيـة العليـا اي علاقـة بالاغتيـال، كمـا نفـاه قادة الاخـوان المسـلمين علـى لسـان الـدكتور معـروف الـدواليبي

(1) ولد الملك طلال بن عبد الله سنة 1900 في مكة المكرمة، وقضـى سـني طفولتـه بـين مضـارب بدو الحجاز، وتطوع في عام 1927 في الفرقة العربية (جيش الامير عبد الله) برتبـة مـلازم، وفـي عام 1929 ارسل الى كلية ساندهيرسـت العسـكرية فعـاد منهـا 1939 برتبـة ميجـر، وفـي عـام 1948 رفع الى رتبة جنرال... وقد كان خلال فترة من الزمن مرافقا لجده الملك حسين الذي نفـاه الانكليز الى قبرص تخلصا من مطالبته الملحة بتحقيق وعودهم للعرب التي نكثوا بها. ومـن هنـا نشأت علاقاته غير الودية مع الانكليز.

رئيس مجلس النواب السوري، الذي لفت الانظار الى السياسة الخارجية ودورها في ذلك.

لقد لفت نظري بعد اغتيال الملك عبد الله الخطاب الذي القاه تشرشل في مجلس العموم البريطاني، وكان ممثلا للمعارضة آنذاك فبعد ان اثنى على خطاب أتلي رئيس حكومة البريطانية في رثاء الملك عبد الله قال:

"لقد عمل الملك عبد الله الراحل باستمرار في سبيل اجراء المصالحة بين العالم العربي واسرائيل، وبموته فقدت اسرائيل صديقا، وفقدت بريطانيا حليفا امينا" (النهار 1951/7/24) وهنا حبكت النكتة مع احد اعضاء مجلس العموم فقال لتشرشل:

هل تريد ان ترثي الملك عبد الله ام تريد الاساءة اليه بنظر العرب؟

لقد استغرب الناس يومذاك هذا الرثاء، وكان تعليقهم عليه ان تشرشل ليس من الجهالة بحيث يرثى الملك عبد الله بما يسىء اليه في العالم العربي، وانما الذي قصده الصاق التهمة بالفلسطينيين والحاج امين الحسيني، مما ادى الى خلافات وحوادث انتقام بين الاردنيين والفلسطينين.

وتمر الايام، وينشر اللواء على ابو نوار، ابو خلدون، مذكراته السياسية [2] عام 1990 تحت عنوان: حين تلاشت العرب، وقد جاء فيها:

"لقد كانت قناعتي الوجدانية منذ تلك الايام ان الانكليز استعملوا موسى الحسيني ليسهل ربط الجريمة بالحاج امين الحسيني وعبد الله التل... ان هذه القناعة حديث الكثرة من المحللين هذه الايام، ومن السياسيين الاردنيين الذين اصبحوا يلقون التهمة على بريطانيا بالرغم من أن بعضهم قد تحدث همسا عن هذا الاحتمال منذ عام 1951 كما يذكر:

"والذي يؤكد قناعتي انني علمت آنذاك من الضباط بما لا يقبل الجدل ان موسى الحسيني طلب من قائد معسكر المحطة، وقبل ساعة من اعدامه ان يستدعى اللواء عبد القادر باشا الجندي ليعترف له بكامل الحقيقة، فاتصل

(2) مذكرات علي ابو نوار - عندما تلاشت العرب - دار الساقي - لندن

عبد القادر الجندي بغلوب باشا ليبلغه الخبر، وبدلا من الاستجابة لطلب موسى الحسيني، أمر قائد المعسكر بتنفيذ حكم الاعدام فورا بموسى الحسيني ورفاقه".

ويؤكد اللواء علي ابو نوار في مذكراته ان موسى الحسيني المتهم بقضية اغتيال الملك عبد الله كان عميلا للمخابرات البريطانية، كما يعزو سبب الاغتيال الى ان الملك عبد الله اصبح عبئا على السياسة البريطانية في المنطقة العربية بطرحه مشروع الوحدة مع سورية تارة ومع العراق تارة اخرى مما يهدد الستاتيكو الذي اصبح قائما على البيان الثلاثي في المنطقة العربية (ص123-128).

92

1951: أزمة وزارية تنذر بانقلاب عسكري - معروف الدواليبي يفكر بتشكيل حكومة ائتلافية - اضراب الموظفين يزيد من مضاعفات ازمة الحكم - استنفار طبقي ضد القوى التقدمية: اول مؤتمر للاقطاعيين.

كانت الظروف التي احاطت بتشكيل حكومة خالد العظم والتي تحدثنا عنها سابقا قد جعلتها حكومة ضعيفة في أحرج فترة تمر بها البلاد، وزاد في ضعفها استمرار حزب الشعب، وهو حزب الاكثرية على مناوراته، وكانت استقالة رشدي الكيخيا انذارا باستمراره على اساليبه المعروفة، فكأن يدا خفية كانت تحاول بكل ما تمسك به من خيوط ممتدة، ان تهلهل الوضع حتى من داخل الحكومة نفسها.

وبلغ من ضعف الحكومة ان بعض الاشخاص اقتحموا منزل الوزير الملقي في مصيفه في قضاء مصياف وانتزعوا من زوجته وبناته ما في ايديهم من الحلي والاساور، فجاء تعليق جريدة "القبس" على هذا الحادث في 1951/9/2 بما يلي:

"ان الذين اقتحموا منزل رئيف الملقي، ولم يخجلوا من تهديد النساء والأطفال بالسلاح ارادوا ان (يعلموا) على الوزير علامة التحدي، لا على رئيف الملقي بالذات بل قصدوا ان يسلبوا هيبة الوزارة لامال الوزير، لانه رجل فقير لا يملك

مالا ولا مجوهرات.. فوالله لو ان تشرشل كان من اعضاء هذه الوزارة ، ورأى الناس هذا الضعف البادي عليها في البرلمان وفي الدوائر وفي الشارع وامام الموظفين، وفي البر والبادية، لاستضعفوه".

وقد دأبت جريدة حزب الشعب على التشهير بتصرفات وزير الزراعة عبد الباقي نظام الدين، وهو من نواب الجزيرة فنشرت "الشعب" بتاريخ 29 حزيران مقالا بعنوان "اسباب الخلاف بين وزير الزراعة ومدير املاك الدولة تعود لمعارضة المدير للوزير بالاستيلاء على الاراضي لنفسه ولانصاره من النواب". فرد وزير الزراعة في جريدة القبس بتاريخ 11 تموز مفندا التهم التي وجهت اليه حول قضية المشيرفة، وقضية النائب الشيخ عبد الرزاق الحسو، وقضية النائب الشيخ عبد العزيز المسلط، وقضية اراضي البلعاس.

وكان الحزب الوطني، رغم عدائه لحزب الشعب، يعمل هو ايضا على ارباك الوضع وتأزيم الامور، تمهيدا لحل المجلس النيابي، من ذلك مثلا ما قالته جريدته "القبس" في 18 تموز 1951: "لم يكن طبيعيا ان تستمر هذه الحكومة في ظل هذا المجلس وان تقدر على ادارة البلاد وحكمها وهي تلاقي في كل جلسة تقريبا من التهجم والتقريع والوعيد ما يضعف من هيبتها وسلطانها، ذلك لان الذين يسيطرون على المجلس وعلى لجانه هم الذين يؤلفون الاكثرية المعارضة تجاه حكومة يؤلف انصارها الاقلية المؤيدة، ولعل من ابرز متناقضات هذه الدولة ومن الشذوذ الظاهر ان الاقلية هي التي تحكم والاكثرية هي التي تعارض".

الدواليبي يفكر بتشكيل حكومة تستند على حلف بين العناصر اليسارية

بعد استقالة رشدي الكيخيا من رئاسة المجلس النيابي رشح حزب الشعب معروف الدواليبي ورشحت الكتلة الجمهورية عبد الباقي نظام الدين لهذا المنصب وقد املت حكومة العظم ان تكون انتخابات رئاسة المجلس مناسبة لان تسدد فيها ضربة لنفوذ حزب الشعب في البرلمان وان توجد اكثرية تلتف حولها ولكن الحكومة لم تعد لهذه المعركة الاعداد الصحيح، فكان ذلك من الاسباب التي رجحت فوز معروف الدواليبي بدعم من الكتلة

الاشـتراكية الاسـلامية والهيئـات البرلمانيـة الاخـرى، ممـا عـرض البرلمـان لحملـة مشـتركة مـن الحـزب الـوطني وخالـد العظـم بالمطالبة بحله والخلاص منه.

وقال نـاطق بلسـان الكتلـة الجمهوريـة الموالية للعظـم: "ان فريقا كبيرا من النواب يميلون الى التعجيـل بحـل المجلـس، لان الحالـة داخـل المجلس اصبحت غير طبيعية ولا يمكن ان تؤمن الاستقرار... واذا كان التنافس مألوفـا فـي المجـالس النيابيـة فـان الحالـة بـين احزابنـا قـد خرجـت عـن هـذا المفهوم". القبس: 28 حزيران 1951.

لقـد عارضـت هـذا الاتجـاه فـي الكتلـة الجمهوريـة معارضـة شـديدة ومن هنا بدأ الخلاف والانشـقاق فـي صـفوفها، بينمـا اخـذ التقـارب بـين الحـزب الـوطني والكتلـة الجمهوريـة يتعـدى حـدود التعاون السياسـي ضد حزب الشعب، بل أخذ يتجه داخل الحكومة والمجلس لان يصبح تكتلا طبقيـا ضـد العربـي الاشـتراكي وحركـة الفلاحين.

بينما كان معروف الدواليبي، منـذ انتخابـه رئيسـا للمجلـس النيابي يتجه اتجاها معاكسا لحل المجلس ويسعى لاقامة حلـف مـن الاحـزاب السياسـية تنبثـق عنـه حكومـة توحـد الصف لمجابهة ظروف البلاد داخليا وخارجيا.

ولا بد من الاشارة مرة اخرى الى ان معروف الـدواليبي كـان مرتبطا باتجاهـه السياسـي آنـذاك بالكتلـة الاشـتراكية الاسـلامية التي كانت على اتصال وثيق بالاخوان المسلمين في مصر، كما لا بـد مـن التنويـه بالتنـافس القـديم بـين نـاظم القدسـي ومعـروف الدواليبي وانقسام حزب الشعب حيث كـان رشـدي الكيخيـا يقـف في الوسط موقف الحكم، ولكنه في الحقيقة كان اكثر تأييدا لناظم القدسـي والجنـاح اليمينـي فـي الحـزب منـه لمعـروف الـدواليبي ورفاقه الاخرين، وكان ناظم القدسي يطلق على معروف الدواليبي لقب "ابن الحمامي" اشارة الى منشـئه الشـعبي، ويتضـايق مـن منافسته له في رئاسة الوزارة، وكان يلتـف حـول الـدواليبي علـى بوظو وشاكر العاص وعبد الوهاب حومد مـن اركـان حـزب الشـعب،

وقد وجد الدواليبي ان الفرصة قد اصبحت مناسبة لتشكيل حكومة برئاسته او برئاسة خالد العظم تستند الى دعم الاحزاب المجلسية، ولكن رشدي الكيخيا وهاشم الاتاسي كانا عثرة كبيرة امام طموح الدواليبي وخططه فقد كان الاتاسي ينزعج كثيرا من تصريحاته ضد الغرب.

خالد العظم يجنح للسير مع عائلته وطبقته:

في هذه الفترة اتسعت زراعة الاقطان في سورية اتساعا كبيرا، وأنشأ الرأسماليون والاقطاعيون المشاريع الزراعية الضخمة، وقد استقرض آل العظم وهم اقارب رئيس الوزراء ووزير المالية مبالغ كبيرة من البنك السوري لانشاء مشاريعهم الزراعية، كما أنشأ خالد العظم مشروعا كبيرا في قريته "خطاب" في محافظة حماة، هذا بالوقت الذي كانت فيه حركة الفلاحين تزداد قوة واتساعا مما عكس اثاره على سياسة خالد العظم بعد يأسه من حل المجلس واجراء انتخابات جديدة.

وفي الوقت الذي كانت تتوسع فيه مشاريع الاقطاعيين الزراعية كانت شكاوى الفلاحين تتزايد من هذا التوسع سواء باستئجار الاراضي او بوضع اليد على املاك الدولة، وفيما يلي نص البرقية التي ارسلها بديع العظم عم عبد الرحمن العظم وهي مصداق على هذا التوسع، الى جريدة القبس بتاريخ 1951/7/27.

"التضليل المفضوح على صفحات الجرائد الحزبية المغرضة تحد للحكومة المسؤولة عن حقوق الناس وكراماتهم . الاراضي التي استثمرها في قرية الحويز الشمالي (في الغاب) او اية قرية خلافها محددة ممسوحة. صكوك الايجار واسناد التمليك منظمة حسب القوانين النافذة، انني اطلب ايفاد هيئة تفتيشية لدحض الافتراءات التي تمثل من قبل جماعات تغذيهم وتدفعهم العناصر الهدامة في البلاد (يقصد الحزب العربي الاشتراكي)".

فشل خطة الدواليبي:

لم نر بدا من الاستجابة لمساعي معروف الدواليبي الرامية الى تشكيل حكومة ائتلافية واقرار ميثاق قومي بين الاحزاب السورية، وكان الدواليبي يدير المفاوضات بصفته ممثلا عن حزب الشعب،

مـع ممثلـي الاحـزاب الاخـرى: مصـطفى السـباعي عـن الجبهـة الاشـتراكية الاسـلامية، واكـرم الحـوراني عـن الحـزب العربـي الاشـتراكي، وجـلال السـيد عـن حـزب البعـث العربـي، وعصـام المحـايري عـن الحـزب السـوري القـومي بالاضـافة الـى عـدد مـن النواب المستقلين.. وقد بذلت ما استطيع مـن جهـة ليبقـى خالـد العظم في جبهتنـا هـذه، وحاولـت ان أتلافـى القطيعـة بينـه وبـين حـزب الشـعب وان احـول بينـه وبـين القـوى الرجعيـة الاخـرى، فاقترحت ان تتشـكل الحكومـة برئاسـته خصوصـا وان علاقاتـه مـع معروف الدواليبي كانت طيبة حتى ذلك الحين.

وقد خرج امر هذه المفاوضـات والابحـاث عـن نطـاق السـرية بعـد ان تـم الاتفـاق علـى الخطـوط السياسـية العريضـة، كمـا تـم الاتفاق على تشكيل الحكومة وتوجيه سياسـة المجلـس والـبلاد، الامـر الـذي اقـض مضـجع الحـزب الـوطني فعلقـت جريـدة القـبس قائلة: "لم تعد المساعي المبذولة لتأليف وزارة ائتلافية في نطاق الكتمان او الاجتماعات السرية، بل اصبحت مكشوفة علنية ولا سيما بـين النـواب وبعـض الوزراء الحاليين، ولقد قيل ان هـذه المسـاعي نجحـت او كـادت وهـي تقضـي باستقالة الـوزارة الحاضـرة وتـأليف وزارة ائتلافيـة مـن احـزاب المجلـس وكتلـه برئاسة معروف الدواليبي صـاحب الميـول اليسـارية المتطرفـة، والمـدافع فـي مجلس النواب عن مؤتمر انصار السلم، وقيل ان الـوزارة العتيـدة سـوف تتـألف من ممثلين عن احزاب المجلس فيدخلها الشعبي بجانب العربي الاشـتراكي، والاشـتراكي الاسـلامي، والجمهـوري ، والمسـتقل، والقـومي السـوري، وسيكون هناك مجلس يراقب هذه الوزارة ويوافق على مشاريعها قبل عرضـها على مجلس النواب، ويتألف هذا المجلس من مندوب عن كـل حـزب، ويـدعى "مجلس المفوضية" او "لجنة مندوبي الاحزاب" على غرار مجلـس المفوضـين في الاتحاد السوفياتي، وهذا امر طبيعي ما دام رئيس الوزارة المقبلة معـروف الدواليبي من القائلين بالتحالف مع المعسكر الشرقي ضد المعسـكر الغربـي والاتفاق معه. وهذا ما أعلنـه منـذ مـا كـان وزيـرا للاقتصـاد فـي حكومـة خالـد العظم الاولى، لكن هل يوافق خالد العظم على الدخول في الوزارة القادمة او هل يـدعى الـى الاشـتراك فيهـا؟ نعتقـد انـه لا يوافـق علـى هـذه التشـكيلة

العجيبة او على هذا الخليط المدهش من المبادىء والاحزاب في وزارة ستكون مثال الفوضى والقلق ورمزا للانتفاضات والانقلابات الاجتماعية".

اضراب الموظفين يزيد من مضاعفات الازمة الوزارية:

كان الجناح اليميني في حزب الشعب، بقيادة ناظم القدسي، يقف في مواقع الحزب الوطني تجاه هذه الخطة ويعتبرها خطرا اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا كبيرا فلجأ الى الاسلوب المعروف في تفشيلها قبل ان تقترن بالتحقق. وكانت قضية زيادة رواتب الموظفين التي تبنتها حكومة العظم احسن مناسبة لتفشيل هذه المساعي التي كادت تصل الى نهايتها...

استغلت حكومة العظم الضائقة التي كان يعاني منها الموظفون من جراء قلة رواتبهم، فقدمت للبرلمان مشروع قانون عرف باسم قانون ترفيه الموظفين، وذلك لكسبهم واسترضائهم، بالوقت الذي كانت فيه موازنة الدولة تعاني عجزا تجاه النفقات الباهظة التي تستنزفها وزارة الدفاع، خصوصا بعد توقف السعودية عن دفع القسط الثاني من قرضها لسورية.

وبتشجيع من الحكومة شكل الموظفون لجنة عليا منهم بادرت للاتصال بالحكومة والمجلس لشرح ما يعانيه الموظفون من ضآلة الرواتب، وقد كان نواب حزب الشعب هم المهيمنون على لجنة الموازنة واللجنة المالية فتعمدوا عرقلة مشروع الحكومة وهم عالمون بان الموظفين سينفذون تهديدهم بالاضراب، مما يضطر الحكومة للاستقالة، وبذلك يقطعون الطريق على التفاهم بين احزاب المجلس وبين خالد العظم.

وبالرغم من المراجعات التي قام بها الموظفون للمجلس فان اللجنة المالية كانت تراوغ وتماطل في إقرار المشروع، وفي الوقت ذاته كان بعض اعضاء حزب الشعب ايضا يحرضون الموظفين على تنفيذ الاضراب، فقد قال راتب الحسامي (الشعبي) في جلسة 30 تموز: "ان الموظفين قرروا الاضراب. ولعلهم معذورون في ذلك، لانهم اعتادوا ان لا ينالوا مطالبهم الا عن هذا الطريق".. فرد مقرر اللجنة المالية، وهو (شعبي) ايضا ان "المجلس

سيناقش المشروع في الجلسة القادمة" فأعلنت لجنة الموظفين العليا بتاريخ 30 تموز الاضراب العام يوما واحدا اعرابا عن استنكارهم لاساليب البطء والمماطلة في اقرار قانون الترفيه من قبل المجلس النيابي.

وقد اشتركت اطراف عديدة في تحريض الموظفين على الاضراب الذي نفذوه فعلا يوم 31 تموز فلم يداوم احد من الموظفين على اية دائرة حكومية لا في العاصمة ولا في المحافظات... وبالرغم من البيان الذي اذاعته لجنة القوانين المالية ووعدت فيه بدرس مشروع قانون الترفيه فقد قررت لجنة الموظفين العليا الاستمرار في الاضراب ... وهكذا اصبحت قضية رواتب الموظفين موضع استغلال الجميع.

وقد صرح احد الوزراء قائلا: "اننا درسنا مشروع القانون قبل ان نقدمه الى المجلس النيابي بشكل لا يدع مجالا للاعتراض عليه. ويظهر ان في المجلس نوايا فقد بدلوا وعدلوا فيه لعرقلة تنفيذه لغاية خاصة، بينما كان المشروع الاصلي عادلا بالنسبة للجميع".

استنفار طبقي اقطاعي ضد القوى التقدمية:

تذرع رئيس الجمهورية هاشم الاتاسي باضراب الموظفين فكلف فارس الخوري بتشكيل الحكومة، دون ان يقدم خالد العظم استقالة حكومته، وقالت "القبس" في 2 آب 1951: **"ان العقلاء في مجلس النواب وفي الوزارة الذين يرون ان القضية لم تعد قضية وزارة ولا ازمة حكومة، بل هي ازمة حكم ونظام عام وتهديد بانقلاب اجتماعي، اخذت انظارهم تتجه نحو رفع مستوى الوزارات وشخصيات الحكم من الدرك الذي تدنت فيه، وذلك بتشكيل حكومة برئاسة فارس الخوري، يدخلها رؤساء الوزارات السابقة ورؤساء الاحزاب الكبرى في البلاد، وقد ذكرت اسماء هؤلاء ومنهم: خالد العظم**

ورشدي الكيخيا وحسن الحكيم وناظم القدسي ولطفي الحفار وحسني البرازي، ويظهر ان هذا الاتجاه لاقى ارتياحا في القصر وقد اجتمع رئيس الجمهورية مع فارس الخوري اكثر من ساعتين".

وهكذا تطرح القضية على المشكوف بانها خارجة عن كونها اختلافات حزبية وسياسية، وانها استنفار طبقي اقطاعي ضد الاتجاهات التقدمية، وهو استنفار يشترك فيه رئيس الجمهورية وقسم كبير من اعضاء المجلس والحزب الوطني المعارض، وقد قام كل من هؤلاء بدوره في هذه التمثيلية التي كان ظاهرها موضوع معالجة اضراب الموظفين الذي استمر اياما، بينما كانت تستهدف اغراضا اخرى.

□

كان فارس الخوري يعلم ان المهمة التي انتدب اليها شاقة بالنسبة اليه، فاشترط تسليم جهاز الدرك والشرطة لوزارة الداخلية، لعل الجيش يرفض هذا الطلب، فيجد الخوري العذر باعفائه من مهمة تشكيل الحكومة، ولكن العقيد الشيشكلي استجاب لطلبه، واعلن لفارس الخوري بأنه لا يجد اي مانع من اعادة ارتباط الدرك بالداخلية حين يتقدم بمشروع قانون بذلك الى المجلس النيابي، لان فصل الدرك عن وزارة الداخلية وربطها بوزارة الدفاع تم بموجب مرسوم تشريعي في عهد حكومة حسني الزعيم".

□

استمرار اضراب الموظفين:

مساء يوم 1 آب 1951 عقد المجلس النيابي جلسة اعلن رئيسه الدكتور معروف الدواليبي في افتتاحها انه تلقى تقرير اللجنة المالية المتعلق بمشروع الترفيه عن الموظفين فوافق

المجلس على بحث التقرير، الذي يشير الى ان اكثرية اعضاء اللجنة رأت ان من المتعذر عليها درس المشروع بالضغط والتهديد وقد توقفت عن بحثه بمخالفة النائبين صالح رمضان وعبد السلام حيدر الذي قال ان اللجنة لا يحق لها ان تضرب مثل الموظفين عن دراسة المشروع، وقال عبد اللطيف اليونس انه لا يجب ان يقابل خطأ الموظفين بخطأ مثله.. وحمل رزق الله انطاكي على اضراب الموظفين وقال ان الدين العام يتزايد بصورة مخيفة، وقال: لو اضرب المكلفون عن دفع الضرائب فماذا نفعل؟ وقال ان الحكومة ارادت احراج المجلس وان هناك خطة مرسومة للحط من كرامة المجلس وارغامه على اتباع خطة معينة.

واتهم الشيخ مصطفى السباعي الحكومة بتشجيع الاضراب واحراج موقف المجلس وختم رئيس المجلس المناقشة مقترحا ارجاء الموافقة على تقرير اللجنة المالية ريثما يجتمع اليها ويعيد النظر في المشروع على ضوء المصلحة العامة، فوافق المجلس.

واستمر اضراب الموظفين اياما اخرى..

بوادر استعداد اديب الشيشكلي لضرب حركة الفلاحين

كان اتجاه الاحداث يشير الى النية المبيتة لحركة الفلاحين وقد اصبحت اتحسب بسبب اتساع هذه الحركة من انقضاض الشيشكلي ذاته عليها، فالشيشكلي ينتمي الى عصبية عائلية لاسرة مزارعة ومالكة وذات نفوذ ووجاهة، وقد كان والده حسن آغا مع اخويه يملكون قرية (تل ذهب) وهي من القرى الغنية زراعيا، كما استملك والده فيما بعد قرية الشويحة شرقي حماة، وكان اديب بالرغم من التنافس والتنافر بين آل البرازي وآل الشيشكلي فخورا بهم ولا سيما بجده لامه محمد آغا البرازي الذي كان رأس عشيرة البرازي، وهي عشيرة كردية اتت من شمال سورية الى حماة في النصف الاول من القرن التاسع عشر واستقرت في الحي الذي عرف باسمها.

كان محمد آغا البرازي في سلك الدرك خلال العهد العثماني وكلف بقمع عصيان في وادي العيون في منطقة

العلويين، وبعد ان قمع العصيان استولى على عدد كبير من القرى تمتد من غرب حماة حتى وادي العيون ومن احسن الاراضي الزارعية ثم اقتفى اولاده خطاه في التوسع والاستملاك شرق حماة وغربها.

واذا كانت ابرز الاسر الاقطاعية في حماة هي البرازي، العظم، الكيلاني، فان آل العظم كانوا يتعالون على الاسر الاقطاعية الاخرى، بينما كانوا ينظرون بمودة واحترام لال الكيلاني بصفتهم عائلة كبيرة عريقة النسب، وبالمقابل فان اديب الشيشكلي لم يكن متعاطفا مع آل العظم، وكان عندما يريد ان ينتقد اعمال خالد العظم يقول: خالد العظم ... بك ينظر الى الامر بعقلية البكوات، وقد سمعت منه هذا بعد تكليف فارس الخوري بتشكيل الوزارة.

واذا كان اديب الشيشكلي قد نشأ نشأة وطنية في مدرسة دار العلم والتربية بحماة فان ظروفه لم تتح له ان يشارك في معارك النضال الشعبي، اذ انتسب فور تخرجه من مدرسة سلمية الزراعية الى الكلية العسكرية خلال الانتداب الفرنسي، لذلك لم يتحرر من ارتباطاته الطبقية والعائلية وكان لوالدته تأثير كبير عليه، واذا كان لم يظهر حتى الان معاداته لحركة الفلاحين فلأن كثيرا من ضباط الجيش هم من أبناء الفلاحين ومن العائلات الشعبية في المدن... وتدريجيا بدأت الحظ التفاف اقطاعيي حماة حوله، ثم أصبحت الطبقة الاقطاعية والرجعية في سورية كلها تلتف حوله وتعتبره المنقذ وتدفع به، كما كان للمحور السعودي المصري دوره البارز في هذا الموضوع.

كان الشيشكلي يفضل ان تتحمل حكومة مدنية مسؤولية قمع حركة الفلاحين، ولكن اية حكومة مدنية كانت عاجزة عن قمع هذه الحركة، لذلك اعتذر فارس الخوري عن تشكيل الحكومة بعد ان وضع شرطا آخر ليبرر اعتذاره وهو ان يعلن رؤساء الكتل النيابية وكبار الشخصيات السياسية بأنهم يقبلون التعاون معه بأشخاصهم اذا انتدبهم للعمل، فاضطر هاشم الاتاسي ان يطلب الى خالد العظم سحب استقالته فاعتذر واشترط لبقائه في

الحكم ان يوقع رئيس الجمهورية مرسوما بحل مجلس النواب واجراء انتخابات جديدة قد تمكنه من تحقيق حلمه بالوصول الى رئاسة الجمهورية، الامر الذي لا يمكن ان يوافق عليه حزب الشعب ولا الشيشكلي الذي اصبح يطمح لحكم البلاد.

اول مؤتمر للاقطاعيين:

خلال الازمة الوزارية عقد الاقطاعيون اول مؤتمر لهم في معرة النعمان بتاريخ 4 آب 1951 وقد وصفته صحفهم على النحو التالي:

"تنادى المزارعون والملاكون السوريون الى عقد مؤتمر لهم في معرة النعمان لمعالجة مشروع قانون تحديد الملكية الزراعية واعمال الحزب العربي الاشتراكي وقد حضر المؤتمر كبار الزراع في المناطق السورية ووصلت وفودهم من حلب وحماة وحمص واللاذقية ومحافظتي الجزيرة والفرات، وقد عقد المؤتمرون اجتماعهم في قصر الوجيه الكبير السيد طالب الحراكي.

وكان اول شيء لجأ اليه المجتمعون ان اجروا انتخابا لمكتب المؤتمر ففاز بالاقتراع السري كل من الاستاذ رأفت الغوري المزارع والمحامي، ورئيس الغرفة الزراعية بحلب بالوكالة برئاسة المؤتمر، وعضوية كل من الاستاذين حلمي البارودي ومحمود البرازي، وعهد للاستاذ عدنان النجاري بامانة السر.

ثم عقد المؤتمر اول اجتماع رسمي له ، وقد طرح الرئيس مناقشة مشروع قانون تحديد الملكية الزارعية على بساط البحث، بعد ان مهد له بمقدمة المح فيها الى مساوئه ثم استعرض قضايا الزراع، والخلافات التي اوجدها جماعة الحزب العربي الاشتراكي بينهم وبين الفلاحين.

وقد قرر المؤتمر تأليف لجنة تضم كبار الاقطاعيين في مختلف المحافظات لمتابعة تنفيذ مقررات المؤتمر، كما تقرر مراجعة السلطات والطلب اليها بالتدخل لتلافي هذه الفتنة التي تهدد البلاد داخليا وخارجيا وتشل حركة الانتاج في البلاد" وقد تليت البرقية التي تقرر ارسالها الى الحكومة فوافق عليها المؤتمرون بالاجماع وهذا نصها:

المؤتمر الزراعي المنعقد في معرة النعمان يحتج على مشروع قانون تحديد الملكية الزراعية، مؤيدا بيان غرفة زراعة حلب الاخير، ويلفت نظر

المسؤولين للفوضى والاعتداءات التي يرتكبها الحزب العربي الاشتراكي، ومبادئه التي تحاكي المبادىء الشيوعية الهدامة التي ينتج عنها الشلل الزراعي العام وايقاد نار الفتنة في البلاد، حيث اننا بحاجة ماسة الى الاستقرار وفرض النظام" (القبس 1951/8/7)

وقد ترافق هذا المؤتمر بحملة من البرقيات والعرائض التي انتزعوها بالضغط والاكراه من الفلاحين يعلنون فيها انسحابهم من الحزب العربي الاشتراكي على نفس الطريقة التي سوف يمارسها الشيشكلي بعد انقلابه على النظام الديمقراطي.. وهذا نموذج من تلك البرقيات:

"نحن الموقعين ادناه اهالي (حربنفسه) التابعة لحماة نعلن على رؤوس الاشهاد باننا كنا ننتسب الى الحزب العربي الاشتراكي ولما اقتنعنا بأن هذا الحزب لا يقوم بخدمة المصلحة العامة بل يسعى لبذر بذور التفرقة في القرى بين الفلاحين الامنين ويسعى لاثارة القلاقل فقد انسحبنا منه لان مبادئه هدامة".

ويلي ذلك تواقيع عدد من فلاحي هذه القرية التي اثبتت في انتخابات عام 1954 ان اهلها كانوا من العناصر النضالية الصامدة.

ان انعقاد مؤتمر [1] الاقطاعيين هو الذي اوحى إلي لاول مرة بفكرة عقد مؤتمر للفلاحين في مدينة حلب مقابل هذا المؤتمر.

(1) ورد في مذكرات موشى شاريت، وزير خارجية اسرائيل ثم رئيس وزارتها، التي نشرتها "معاريف" عام 1979 ان اتصالات جرت بين حسني البرازي وجدعون رفاييل مساعد وزير الخارجية في تموز 1955 حيث اقترح الجانب الاسرائيلي على البرازي مقابل مده بالمال ومساعدته على الوصول الى الحكم ان يعمل على تنظيم مجموعة من ملاكي الارض امثاله. (قراءة في مذكرات موشى شاريت - ليفياروكاخ - دار ابن خلدون - بيروت - ص 45)

93

1951: العقيد اديب الشيشكلي يزور السعودية ويتلو الزيارة تكليف حسن الحكيم بتشكيل الحكومة السورية - حزب الشعب كان في مقدمة الكتل النيابية التي اقترحت على الرئيس هاشم الاتاسي هذا التكليف.

في يوم 6 آب 1951 سافر اديب الشيشكلي فجأة الى السعودية، دون ان يصطحب معه احدا، فقابل الملك عبد العزيز آل سعود، وعقد اجتماعا مع الامير فيصل - قبيل سفره الى بريطانيا، ثم عاد الى دمشق بتاريخ 8 آب.

وقد علمت فيما بعد ان السكرتير الثاني في المفوضية السعودية بدمشق، عبد الفتاح ياسين قريب الشيخ يوسف ياسين وكيل وزارة الخارجية السعودية والذي كانت له صلات واسعة بالاحزاب والسياسيين وضباط الجيش والذي لعب دورا خطيرا في سوريا، قد ابلغ العقيد الشيشكلي بتكليف من الملك عبد العزيز بضرورة زيارته للسعودية لاجراء مباحثات مع الامير فيصل وزير الخارجية قبل رحلته الى لندن.

"وقد ذكرت مصادر سياسية عربية ان المقامات البريطانية ستعرض على الامير فيصل في اجتماعها اليه في لندن المشاريع التي اعدتها بالاتفاق مع الولايات المتحدة الاميركية، نتيجة لمقررات مؤتمر وزراء دفاع دول الكومنولث البريطاني بشأن تعزيز الدفاع عن منطقة الشرق الاوسط" (النصر: 6 آب).

وفي 8 آب جاء من لندن "قابل سمو الامير فيصل آل سعود وزير خارجية المملكة العربية السعودية المستر هربرت موريسون وزير الخارجية البريطانية.. ويستفاد من المعلومات المستقاة من مصدر بريطاني حسن الاطلاع بأن سمو الامير والمستر موريسون **بحثا من وجهة نظر عامة النتائج التي احدثها اغتيال الملك عبد الله في العالم العربي، كما بحثنا الصعوبات الناجمة عن ولاية العرش الاردني".**

كان كل ما جرى مفاجئا لنا، فقد كنا نحاول الا تمتد الازمة الوزارية طويلا، ففي يوم 6 آب كنا في اجتماع مع الدكتور معروف الدواليبي في مكتبه برئاسة المجلس النيابي، فاتصل خالد شاتيلا الامين العام للقصر الجمهوري بالدكتور الدواليبي هاتفيا وابلغه نبأ اعتذار فارس الخوري عن تشكيل الوزارة.. فتوجهت مع لفيف من النواب اذكر منهم زكي الخطيب ومصطفى السباعي وعصام المحايري وعبد الحميد دويدري وجلال السيد الى القصر الجمهوري واجتمعنا الى الرئيس الاتاسي وذكرنا له الضرورات الملحة بعدم جواز ابقاء البلاد بلا حكومة في تلك الظروف العصيبة، فقال لنا بأنه كلف حسن الحكيم بتأليف الوزارة.. ففوجئت بالنبأ وفكرت فورا بموقف الجيش من هذا التكليف لان ميول حسن الحكيم ومواقفه المؤيدة لمشاريع الغرب معروفة، ولكن لم يسعني ان اقول شيئا.

وقد سئلت من قبل الصحافة عن موقفنا من تكليف الحكيم فقلت:

"اننا نؤيد مساعيه، غير ان هناك بعض المسائل لا تزال موضع بحث... اما بصدد اشتراكنا في الحكم فاننا حزب صغير في البرلمان، وعدد نوابنا قليل، ولنا اهداف ومبادىء معروفة لا نحيد عنها، وهي تشكل مانعا لاشتراكنا في الحكومة".. اما الاحزاب الاخرى فكانت جميعها مؤيدة للاشتراك بحكومة الحكيم، وقد صرح رشدي الكيخيا لوكالة الانباء السورية "لا اجد ان مهمة حسن الحكيم عسيرة ما دامت اكثرية احزاب المجلس وكتله قد وقفت موقفا ايجابيا من تكليفه. وقد ابلغته استعدادها لمنح الثقة".

كان الدواليبي يطمح برئاسة الحكومة عن طريق قيام الجبهة الوطنية والعلاقة الطيبية مع الجيش ولم يكن يرى تناقضا بين صداقته للسعودية وبين تصريحاته ضد الغرب والتزامه هو والجبهة الاشتراكية الاسلامية بالاتجاه التحرري الذي كانت تنتهجه مصر، بينما كان الكيخيا مرتاحا لتكليف حسن الحكيم بتشكيل الحكومة وشامتا باقصاء الدواليبي عنها.

وبتاريخ 9 آب تشكلت الحكومة اثر اجتماع عقده هاشم الاتاسي في القصر الجمهوري مع حسن الحكيم وفوزي سلو والعقيد الشيشكلي العائد من السعودية على النحو التالي:

حسن الحكيم	الرئاسة والمالية
فيضي الاتاسي	للخارجية
فتح الله اسيون	للصحة والاسعاف العام
شاكر العاص	للاقتصاد الوطني والزراعة بالوكالة
فوزي سلو	للدفاع الوطني
رشاد برمدا	للداخلية
حامد الخوجة	للاشغال العامة والمواصلات
عبد الوهاب حومد	للمعارف
عبد العزيز حسن بك	للعدل

ثم اسندت وزارة الزراعة للدكتور محمد المبارك.

وقد علقت جريدة "النيويورك تايمز" على اختيار حسن الحكيم لرئاسة الوزارة الجديدة بأن اختيار ملائم، وان حسن الحكيم دعا للتعاون مع الدول الغربية، وقالت انه ينتظر ان تعدل الوزارة الجديدة "سياسة العزلة" التي سار عليها رئيس الوزراء السابق، وان هناك ما يشعر بأن سورية ستقبل الان المعونة الاميركية وفقا للنقطة الرابعة من مشروع ترومان (13 آب 1951).

أما اديب الشيشكلي فقد ادلى بتصريح اثر عودته قال فيه:
كانت رحلتي مكملة للرحلة السابقة (التي اجتمع فيها الى الامير فيصل في القاهرة) فقد بحثت في القرض الذي عقدته سورية مع المملكة السعودية بقصد تدعيم الجيش وتسليحه، وقد قدمت مصر مشكورة سربا من طائرات (ماكي) التي نقوم الان بتسليحها، كما وافقت على الافراج عن المعدات الحربية التي اشتريناها من السوق المصرية، وقال انه بحث مع العاهل السعودي قضية ضم الاردن للعراق، واوضح له ان مستقبل الاردن يهم سوريا

والمملكة السعودية، وان من رايه ان مصير الاردن لا يمكن ان يقرره الا شعب الاردن نفسه باستفتاء حر يجري بعيدا عن تأثير الضباط البريطانيين.

ثم رحب بانضمام الاردن الى سوريا الام شريطة ان تتحرر من معاهدتها واضاف قائلا: انه يرحب ايضا بانضمام العراق يوم يتحرر بأي شكل من الاشكال، ونفى الشيشكلي تدخل الجيش بالسياسة وقال: نحن لا نطمح بشيء سوى استقرار الامور في هذا الوطن العزيز والمحافظة على النظام الجمهوري والحياة النيابية الديموقراطية.

ورد على سؤال حول انتشار الشيوعية قائلا: ليست سوريا مرتعا صالحا للشيوعيين فليس لدينا نظام اقطاعي بمعنى الكلمة، والشيوعيون القلائل ليسوا سوى متعطلين .. والعمال والفلاحون عندنا يتقاضون اجورا طيبة، ولا ضير ان يكون في سوريا حزب شيوعي منظم على ان يكون حزبا وطنيا ذا اهداف محلية لا ان يكون على صلة بدولة اجنبية ويجب ان لا ينسى الغربيون ان لديهم احزابا منظمة خطيرة تضم ملايين الشيوعيين".

□

زارني العقيد اديب في منزلي اثر عودته من السعودية، فدار الحديث حول تلك الرحلة فقال انه عاد من السعودية يحمل شيكا بالقسط الثاني من القرض الذي اوقفته السعودية (اظهارا لعدم رضاها عن سلوك سوريا السياسي) وكان اديب مسرورا من نتائج رحلته نظرا لحاجة الجيش للمال، والخزينة السورية خالية وقال ان السعودية وعدته بعدم التوقف عن مده بالمساعدة في المستقبل، كما قال انه اتفق مع السعودية على منع ضم الاردن الى العراق والعمل على تنصيب الامير طلال على عرش الاردن.

قلت لاديب: ولكن ليس من المصلحة منع ضم الاردن للعراق لأن الانكليز، بالرغم من الخمسة وعشرين مليون جنيه التي يكلفهم اياها احتفاظهم بالاردن قاعدة لهم، فهم احرص من السعودية بكثير على انفصاله عن البلدان العربية الاخرى، اذ ييسر لهم هذا الانفصال امر بقاء اخطر قاعدة لهم في المنطقة وانني لاتساءل عن الاذى الذي يصيب المصلحة العربية من جراء انضمام الاردن للعراق... ان كلا البلدين مرتبط مع بريطانيا بالمعاهدة

وكلاهما يخضع للعرش الهاشمي، ان انضمامهما لبعضهما في مصلحة العرب لانه يساعد في المستقبل على تحرر البلدين من النير البريطاني ويخلص الاردن من المعونة البريطانية، ويشد شعب الاردن الى شعب العراق، ويجعل الطريق الى اسرائيل مفتوحا امام القوات العراقية.. وان الاصوات التي ترتفع في بغداد لضم الاردن الى العراق هي بلا شك اصوات عربية واعية ومخلصة (1)

فقال: ان ضم الاردن للعراق يطوق سوريا من كل اطرافها، وقد احتدم النقاش بيننا دون ان نصل الى نتيجة، ثم انتقلت الى تكليف حسن الحكيم بتأليف الحكومة وهو المعروف بميله الى الغرب فقال الشيشكلي:

ان حسن الحكيم افضل من حزب الشعب، فهو على كل حال صادق وصريح.

بعد ذلك انتقلنا الى تصريحه الذي نفى فيه وجود اقطاعية في سورية، فقال: قصدت ان اقول ان الاقطاعية في سوريا ليست كالاقطاعية في مصر والعراق.

قلت: اليست اقطاعية؟!

وذكرت له ما جرى قبل يوم في الاجتماع الذي حضرته في مكتب وزير الداخلية رشاد برمدا والمناقشة التي دارت حول تحديد نصيب الفلاح من المحصول الزراعي، اثر المصادمات التي وقعت بين ابناء خاله من آل البرازي وبين فلاحي قرية طلف (2) وقلت له: انت ملاك وتعرف كما اعرف ان العرف والعادة، منذ القديم، يقضي بأن يكون للمالك ربع محصول الارض البعلية، هذا قبل الغاء ضريبة الاعشار وضريبة العقارات التي كان يدفعها مالك الارض وحده، لقاء

(1) في 7 آب 1951 اصدر محمد مهدي كبة رئيس حزب الاستقلال بيانا قال فيه: ان المناورات الاستعمارية والاثرة العربية هي الاسباب الوحيدة التي حالت حتى الان دون اتحاد العراق والاردن ويجب ان نواصل جهدنا في سبيل هذا الاتحاد... ويؤكد البيان ان وحدة البلدين هي السبيل الوحيد لتحرير الاردن من قيود معاهدته مع بريطانيا.

(2) اشتهرت هذه القرية بنضالها القديم ضد الاقطاعية.. وعندما اصبح حسني البرازي وزيرا للمعارف ايام الانتداب الفرنسي اغلق المدرسة الابتدائية في هذه القرية الباسلة وهجر اهلها.

ربع المحصول، وقبل تطبيق ضريبة الانتاج الزراعي التي يشترك في ادائها المالك والفلاح، ولكن الاقطاعيين لا يكتفون بنصيبهم المقرر، وانما يفرضون على الفلاحين الاتاوات باسم الشرية والشكارة وغيرها من الوان السخرة، ويعتبرون اهل القرية التي تمتنع عن زيادة الربع التقليدية عصاة متمردين.. انك تعرف كل هذه الامور ثم تصرح انه لا اقطاعية في بلادنا مع ان الاقطاعيين يعقدون المؤتمرات ويرتكبون الاعتداءات ويهجرون الفلاحين ويتهددون ويتوعدون تحت سمع الدولة وبصرها..ولعلك قرأت في الصحف تلك البرقية التي ارسلها الى رئيس الجمهورية والى المجلس النيابي اقطاعيو حمص مذيلة بعشرات التواقيع من آل الاتاسي والحسيني والدروبي والجندلي ورسلان وادريس والسباعي يعلنون فيها سحب ثقتهم من صديقك احسان حصني، "لتشجيعه الافكار الهدامة وعمله على اثارة الفتنة بين الطبقات، واستثماره سذاجة الفلاحين تحت ستار التقدمية".

قال: وماذا كانت نتيجة اجتماعكم في وزارة الداخلية؟

قلت: اقرار حصة الربع للمالك والغاء كل الزيادات والاتاوات وماشاكلها ... ولكن الاقطاعيين يتوعدون بتهجير الفلاحين الذين لا يدفعون لهم الحصة الكيفية التي يقررونها.

ثم انتقلنا الى حديث المعونة الاميركية والنقطة الرابعة فقال: ان ما تنشره الصحف غير صحيح، فسوريا لن تقبل هذه المعونة التي سوف يترتب عليها تغلغل النفوذ الاميركي تحت هذا الستار.

ثم قال: انني لاعجب من الاخوان المسلمين الذين يطالبون بالتحالف مع الشيوعية ثم يداوم قادتهم على مكتب المعلومات الاميركي بحجة التعلم والدراسة.

قلت: ومن هم هؤلاء؟

قال: ان القاضي نهاد القاسم والشيخ مصطفى الزرقا يتحالفون مع حزب الشعب ولا ينقطعون عن مكتب المعلومات الاميركي ثم ينادون بالتحالف مع الشيوعية.

قلت: ان القضية لا تطرح بهذا الشكل.. فليس كل حزب الشعب صديقا للانكليز او الامريكان اذ ان كثيرا من قادة حزب الشعب وطنيون، كما ان عددا كبيرا من قادة الاخوان المسلمين - رغم اختلافي معهم - وطنيون كالدكتور مصطفى السباعي.

فانهى اديب حديثه مازحا: انك اصبحت رجعيا لطول معاشرتهم.

□

من وراء تكليف حسن الحكيم بتأليف الحكومة؟

قال حسن الحكيم في مذكراته:

"عندما كلفني رئيس الجمهورية هاشم الاتاسي بتأليف الحكومة قال لي: انت اليوم موضع ثقة الجميع في المجلس النيابي، وان جميع احزابه وكتله وعلى رأسهم حزب الشعب هم الذين اقترحوا علي تكليفك بتأليف الوزارة فلم اجد بدا من النزول عند ارادة الرئيس انقاذا للموقف بعد ان بلغت العلاقات بين حزب الشعب والجيش هذا الحد من التردي" (ص57 الجزي الثاني)

ويتضح من رحلة الشيشكلي الى السعودية وعودته السريعة منها موافقة السعودية على تكليف حسن الحكيم تمهيدا للاجتماع الذي اشرنا اليه بين الامير فيصل ووزير الخارجية البريطاني موريسون.. وهكذا التقى قرار الجيش مع قرار رشدي الكيخيا والرئيس هاشم الاتاسي.

□

كان نشاط الديبلوماسية الاميركية واجهزتها ضعيفا منذ انهيار حكم حسني الزعيم وحتى اواخر عام 1951، يقول مايلز كوبلند في كتابه لعبة الامم:

"كان لفشل تجربتنا في سوريا (نظام حسني الزعيم) اثر كبير على العديد من تصرفاتنا، فقد آثرنا الانسحاب مؤقتا من مسرح الشرق الاوسط وفضلنا الانتظار ريثما يتضح لنا الطريق اكثر فأكثر..

ولكن ضغط الحوادث العالمية بدأ يتراكم على كواهلنا محذرا ايانا من مغبة التسويف من القيام بعمليات جديدة تعيدنا الى حلبة الصراع في الشرق الاوسط، وخلال الفترة التي امتدت حتى عام 1952 كان موظفو وزارة الخارجية منهمكين في العثور على طرق افضل لضم احد الحكام العرب الى طاولة اللعب". (ص80-82)

وهذا ما اتاح لبريطانيا الفرصة لاستلام زمام المبادرة من جديد بعد انهيار تجربة سامي الحناوي. واخذ الخوف على نفوذها ومصالحها في الشرق الاوسط يزيد من تشبثها، ولا سيما بعد النهضة التحررية في ايران وتأميم البترول ومطالبة مصر بالجلاء والغاء معاهدة 1936، كل هذه الاحداث التي تعاقبت على مسرح الشرق الاوسط كانت تدفع ببريطانيا لان تبذل قصارى جهودها لتدخل سوريا ضمن مخططاتها ودائرة نفوذها. وقد اصبحت مشاريع الدفاع عن الشرق الاوسط حجتها ووسيلتها بعد ان فشلت حجة غيرتها على الوحدة العربية والمشاريع الاتحادية، وكان تشكيل حكومة برئاسة حسن الحكيم ثمرة من ثمرات جهودها المبذولة لادخال سوريا في مشروع الدفاع عن الشرق الاوسط لان امريكا لم تكن قد انتهت بعد من وضع مخططاتها بالنسبة للمنطقة العربية، كما ان مريكا - بالاساس- لم تكن مختلفة مع بريطانيا بصدد مشاريع الدفاع الغربية بل كان الاختلاف على النفوذ والمصالح في المنطقة.

ويجب ان لا ننسى الزيارة التي قام بها الامير فيصل وزير خارجية السعودية لبريطانيا ومباحثاته مع المسؤولين الانكليز في تلك الفترة، وقد اشارت مجلة لايف الى تلك الزيارة فقالت "ان ذهاب فيصل الى لندن هو لعرض مشروع ضم الاردن الى سورية للقضاء على اي مشروع اتحادي بين عمان وبغداد وان قبول بريطانيا بهذا المشروع مشروط ببقاء قواعدها العسكرية في سورية الكبرى".

ان هذا المشروع الذي حمله فيصل الى بريطانيا بعد اغتيال الملك عبد الله هو وجه من اوجه التناقض السعودي الهاشمي، وبالمقابل فقد تحدثت الصحف العربية عن تحركات اردنية تهدف

للحفاظ على وضع الاردن الحالي، وكان سعيد باشا المفتي قد سافر الى اوروبا لمقابلة الامير طلال سعيا وراء هذا الهدف.

البيان الوزاري وجلسة الثقة

ركز حسن الحكيم في بيانه الوزاري على المشاكل الداخلية وقال: "ما ان جاءت الحكومة الحاضرة الا ووجدت نفسها حيال امور خطيرة وداهمة لا تقبل التسويف ولا التأجيل. واول هذه القضايا قضية الموازنة التي سنلتمس سحبها كيما ندرسها ونتقدم بها اليكم بعد تمام دراستها... وثمة قضية داهمة وخطيرة هي قضية تموين البلاد بحاجاتها من الغلات. وان مشروع مكتب الحبوب ما يزال في حوزة اللجنة البرلمانية. على ان الحكومة رأت الا تنتظر خروج القانون كيما تباشر دراسة الاسباب العلمية الناجعة في هذا الباب. وتقارن هذه القضية قضية اخرى هي قضية موظفي الدولة والترفيه عنهم، فالحكومة سوف تولي هذا الامر عنايتها وتشرك مساعيها بمساعي اللجنة البرلمانية والمجلس الكريم..

ثم استطرد البيان (وهذا اصبح لازمة لجميع البيانات الوزارية) واعدا بقانون تحديد الملكية حسب المادة (22) من الدستور، وتوزيع املاك الدولة على الفلاحين، واصلاح نظام الضرائب على اساس تصاعدي، وانجاز المشاريع الانشائية والانتاجية الكبرى كمشروع الغاب، وانشاء مصرف مركزي للدولة واحداث مصارف عقارية وصناعية، وزيادة رأس مال المصرف الزراعي، وتطبيق نظام الجندية الالزامية بغير فكاك نقدي، وتطبيق نظام الفتوة، وانشاء قرى ومزارع نموذجية والاهتمام بشؤون البدو.

"اما فيما يتعلق بالسياسة العربية: تشعر الحكومة تمام الشعور بواجبها تجاه نفسها وحيال البلاد العربية، وتبعا لذلك ترى ان جمهوريتها ودستورها وشرائعها الحرة هي قوام كيانها وسر نهضتها وتقدمها والحكومة على اتم استعداد لشد الاواصر وتمتين العرى بين سوريا والبلاد العربية الى منتهى الحدود واقصى الغايات التي فيها جمع شمل العرب ولم شعثهم وتوحيد كلمتهم.. وان الحكومة لن تنسى واجبها نحو فلسطين وما تفرع عن تلك القضية من امر اللاجئين.. واما سياستنا تجاه الدول الاجنبية فاننا نقول بوضوح

انها ستقوم على اساس الحرص على الصداقة مع الجميع في حدود صالحنا القومي وفي نطاق ميثاق الامم المتحدة والشرع الدولي والاعراف الدولية".

وقد منح البرلمان حكومة الحكيم ثقة شبه إجماعية، فقد صوت الى جانب الثقة 84 نائبا وحجبها اربعة نواب فقط ومن الاسباب الهامة لمنحه الثقة الإجماعية تبني وزارة حسن الحكيم كثيرا من نصوص الميثاق الوطني في بيانها الوزاري، ذلك الميثاق الذي وضعته لجنة الاحزاب باشتراك رئيس المجلس معروف الدواليبي.

جلسة الثقة بحكومة حسن الحكيم

في جلسة الثقة تعرض حسن الحكيم لحملة شعواء من دعاة حكم الوصي في العراق. فقد هاجمه البرازي بعنف وشدة لان حسن الحكيم" الذي كان يقول بأنه اتحادي عراقي، وانه لن يحيد عن هذه العقيدة ما دام فيه عرق ينبض، واذا بنا نقرأ تصريحاته ونسمع بيانه الوزاري انه بعيد كل البعد عن ذكر هذه الناحية والدوران حولها" .. ثم هاجم البرازي الجيش وحرض حزب الشعب والمجلس عليه.

كما علق منير العجلاني على بيان الحكيم متملقا ومساوما الشيشكلي على الكرسي الوزاري، قائلا: "لقد ظن بعض الاخوان ان اسمي قد استبعد لان سعادة العقيد الشيشكلي منع دخولي في الوزارة. واني احب ان يعلم الناس ان هذا غير صحيح، فاسمي لم يدخل القائمة.. وقد اجتمعت الى سعادة العقيد ثلاث مرات، وعرفت جملة افكاره وعرف جملة افكاري، وقال له احد اصدقائي ان بعض الناس لا يزالون ينقلون الى الدكتور العجلاني انك تريد ان تقتل حياته السياسية وانك لا تريد ان يمضي في الطريق الطبيعية الى اقداره، فقال له سعادة العقيد: هذا رقم هاتفي اذا قال لك انسان هذا القول فاتصل بي وانا اقول لمن ينشر هذه الاضاليل انه يكذب.. هذا ما قاله سعادة العقيد بقوة وشجاعة وجرأة وهو لا يحتاج لمداهنة امثالي".

والقى النائب راتب الحسامي بيانا مكتوبا باسم حزب الشعب جاء فيه:

"لقد جرى العرف ان تتالف الحكومات الائتلافية في ظروف خاصة يأخذ رئيسها واعضاؤها على عواتقهم التعاون لتحقيق امور معينة ينعقد الاتفاق والاجماع عليها مقدما وهذا ما كان سبب وجود هذه الحكومة..

لقد تألفت حكومة حزب الشعب عقب اقرار الدستور وكان من اول واجباتها اعادة الاوضاع الى طبائعها القانونية والدستورية، ولما رأى الحزب ان حكومته لم توفق الى ذلك خلال بضعة اشهر اتخذ قرارا في 1951/3/7 بوجوب انسحابها من الحكم فاستقالت وبعد ازمة وزارية استمرت ثلاثة اسابيع تألفت الحكومة السابقة في ظروف وملابسات معروفة وكان ما كان خلال وجودها في دست الحكم.

والان يرى الحزب ان مجلس النواب والحكومة مقدمان على تجربة اخيرة بعد ان اجتمعت كلمة فئات المجلس وهيئاته على ميثاق وضعوه واقروه وتعاهدوا على رعايته والتعاون على تحقيق ما جاء فيه. وابرز ما تضمنه الميثاق ان تنفذ الحكومة الائتلافية الدستور نصا وروحا، **ومعنى ذلك ان تكون الكلمة العليا في البلاد والهيمنة الكاملة في الدولة لمجلس النواب والحكومة المنبثقة عنه. فاذا لم توفق هذه الحكومة المؤيدة من فئات المجلس وهيئاته في تحقيق هذه المهمة فان الحزب آنذاك يرى ان الحياة النيابية لم يعد لها معنى ولا فائدة من استمراره في ممارستها"**

ان بيان حزب الشعب هذا كان يدل بوضوح على رغبة الحزب بافتعال ازمة جديدة بينه وبين الجيش.

لقد كان رشدي الكيخيا، منذ اقصاء سامي الحناوي يفتعل الازمات وبعد استقالته من رئاسة مجلس النواب اصبحت القضية بينه وبين الجيش قضية كرامة شخصية فقد اخذ يشعر بعد تهديد خالد العظم بحل المجلس النيابي ان الانتخابات القادمة ستفقده زعامته واكثريته المجلسية ولن يحظى بالتأييد او النجاح الذي رافقه بوجود سامي الحناوي على رأس الجيش ولا سيما بعد اقصاء العقيد انور بنود ولم ير وسيلة للمحافظة على زعامته

واكثريته المجلسية الا باستعادة قوى الامن الداخلي من وزارة الدفاع الى وزارة الداخلية. لان اية انتخابات نزيهة، حتى ولو أجرتها حكومة شعبية، سيخسر فيها حزب الشعب كثيرا من مقاعده الانتخابية بعد ان اصبحت حركة الفلاحين تنذر بتغيير كبير في موازين القوى السياسية في البلاد، لذلك وافق رشدي الكيخيا على تكليف حسن الحكيم بتأليف الوزارة لعل ذلك يحقق الاصطدام المنتظر مع الجيش نظرا لما عرف عن سياسة حسن الحكيم الغربية ولكن الذي حدث كان العكس تماما اذ ان الشيشكلي وافق على تكليف الحكيم بعد عودته من السعودية وكان الانسجام والتفاهم بينهما يزداد يوما بعد يوم.

يقول حسن الحكيم في مذكراته:

"اجد من الانصاف ان انوه بأن الجيش لم يتدخل في عهدي بأي عمل من اعمال الحكومة. والوزراء الشعبيون لا يستطيعون انكار ذلك، بل بالعكس كان رئيس الاركان العقيد اديب الشيشكي يقول لي: استدعني في اي وقت شئت وقل لي ما هي ملاحظاتك على الجيش لاسارع لتلافيها" (ص70، جزء 2).

من هنا ندرك احد اهم الاسباب التي دفعت الكيخيا لطعن وزارة الحكيم من الخلف بعد ثلاثة اشهر وعشرين يوما واضطرارها لتقديم استقالتها.

حكومة حسن الحكيم والمشاكل الداخلية

كانت بعض المشاكل التي واجهت حسن الحكيم ناتجة عن فساد الجهاز السياسي وعجزه وكنت قد تحدثت سابقا كيف ان اضراب الموظفين كان بدفع من الحكومة وتشجيع من الاحزاب وموضع استغلال، وخلاصة الموضوع ان رواتب الموظفين كانت عن حق ضئيلة بالنسبة لارتفاع الاسعار ومستوى المعيشة، واذا كانت الموازنة عاجزة فلا بد من زيادتها ورفع مستواها.. وهكذا تيسر لحكومة حسن الحكيم، بعد ان خرجت القضية من ميدان الاستغلال السياسي، ان تقدم للبرلمان مشروعا بزيادة رواتب

الموظفين على اساس زيادة غـلاء المعيشـة والتعـويض العـائلي.. وانتهت المشكلة.

وقد حمل ذلك الخزينة عبئا جديدا مقداره ثمانية ملايين ليرة غطته الحكومة باللجوء الى اصدار الموازنات الاثنـا عشـرية لنفقـات الاشـهر السـتة الاخيـرة مـن عـام 1951، مـع مراعـاة الاحـداثات الضرورية لوزارة المعارف التي كان المجلس النيابي قد اقرها، ورفع معدلات بعض الضرائب بنسب بسيطة جدا، والزام المحافظات بـأن تساهم بنفقات الصحة والتعليم.

وكانت مشكلة انشـاء مكتـب الحبـوب وتـأمين التمـوين اكثـر اهمية وصعوبة.

وهي مشـكلة اربكـت اقتصـاد الـبلاد واهـدرت مئـات الملايـين مـن الليرات.

ولا بد لنا من ان نبحث عن الخلفيات التي كانت تحـول دون انشـاء مكتب الحبوب وانشـاء مسـتودعات التخـزين "السـيلويات" وتـأمين المؤونة والبذار للشعب والفلاحين.. كان تجـار الحبـوب فـي المـدن السورية عامة وفي حلـب ودمشـق خاصـة يشـكلون طبقـة نافـذة غنية، وكانـت ارباحهم تبلـغ الملايـين عـن طريـق الاتجـار واحتكـار الحبوب والتصرف بشرائها وبيعها وتصديرها.

ولم يكن هؤلاء التجار وحـدهم الوسـطاء بـين الفـلاح المنـتج وابن الشعب المستهلك، بل كان يشـاركهم فـي ذلـك الاسـتغلال الملاكون الذين كـانوا يسـتدون ديـونهم مـن الفلاحـين فـي معظـم الاحيـان حبوبـا بالاسـعار المناسـبة لهـم وهـو نفـس الاسـلوب الاستغلالي الذي كان يتبعه "السـاحاتية" فـي اسـتعادة قروضـهم من صغار الملاكين ومن الفلاحين.

وكثيرا ما كان بعض الملاكين الكبار يخزنون حبوبهم ويتاجرون لحسابهم ويحققـون ارباحـا طائلـة. كمـا كـان تجـار الحبـوب يتولـون المتاجرة بهـا فـي الـداخل وتصـديرها الـى الخـارج بحريـة مطلقـة، وبذلك فان مادة القمح كامت محتكرة بيـد كبـار الملاكـين والتجـار.. على ان حصة الاسد في هذا الاستغلال كانت لصالح تجار الحبوب

الذين اصبحوا من كبار الرأسماليين الذين هربوا اموالهم الى لبنان فيما بعد قرارات التأميم، وكان هؤلاء التجار يعتبرون من المفاتيح الانتخابية للاحزاب التقليدية: الشعب والوطني.

ثم اصبح هذا الوضع ينطبق على الاقطان بعد انتشار زارعتها واتساع مشاريعها.

ومن هنا تتضح العقبات الكبرى التي كانت تحول دون انشاء مكاتب للحبوب والاقطان، فان الاكثرية البرلمانية - ان لم تتأثر مصالحها المباشرة من انشاء هذه المكاتب - كانت مرتبطة سياسيا بطبقة كبار تجار الحبوب والاقطان الذين كان لهم تأثيرهم المالي والسياسي والانتخابي على هؤلاء النواب.

ومن الغريب ان يصبح الفلاح المنتج شاكيا من هذه المكاتب بعد انشائها، فهذه الظاهرة الشاذة ان دلت على شيء فانما تدل على سوء الادارة والفساد والبيروقراطية التي جعلت الفلاحين وصغار المنتجين يترحمون على عهد التجار والمرابين.

وعلى كل حال فقد كان لانشاء هذه المكاتب اثر بالغ في حياة البلاد الاقتصادية والسياسية والتموينية.

□

اضطرت حكومة خالد العظم السابقة ان تتقدم للمجلس النيابي بمشروع قانون لانشاء مكتب الحبوب، تحت وطأة الخوف من المجاعة، بعد ان سمحت الحكومة بتصدير الحبوب بالوقت الذي كان فيه المحصول الموسمي لا يكفي للاستهلاك الداخلي. فبيعت الحبوب للخارج بأسعار تقل كثيرا عن الاسعار التي دفعتها الحكومة فيما بعد لسد حاجة البلاد التموينية.

فتابعت حكومة حسن الحكيم مطالبة البرلمان باقرار المشروع "لان مشكلة التموين خطيرة جدا لعلاقتها بقوت الشعب، وكان المدخر من الحبوب بدمشق لا يكفي لايام قد لا تتجاوز اسبوعين، والسماح بالتصدير ذهب بكمية غير قليلة، وكان الموسم رديئا وقانون مكتب الحبوب لم يكن قد اقر بعد

"والمحتكرون لا يرحمون ولا يهمهم الا ملء جيوبهم" حسبما ورد في مذكرات حسن الحكيم الذي يتابع قائلا: "وقد اضطررت لاستدعاء عبد الاحد آقشين وزير تركيا المفوض ورجوته السعي لدى حكومته بأن تبيعنا خمسين الف طن من القمح. فلبت تركيا الطلب، فاضطر المحتكرون لاظهار ما خبأوه من القمح". (ص28، الجزء الثاني)

ولم تكن هذه الصفقة لتحل المشكلة الا مؤقتا. وبالرغم من شبح المجاعة الذي اخذ يتهدد البلاد، فان المجلس النيابي قضى جلسات عديدة، وبذلت مجهودات خارقة، حتى امكن اقرار مشروع مكتب الحبوب، وقد اضطررت لانذار المجلس بمغبة ما يفعل عندما حاول عرقلة اقرار المشروع واعادته ثانية الى اللجان البرلمانية فقلت:

"تعرضت بلادنا في هذا العام للقحط وان محافظتي حوران والسويداء بحاجة للتموين والبذار، كما ان المحافظات الاخرى هي في حالة تشبه القحط فالموضوع اذن خطير جدا ويحتاج لسرعة بت المجلس فيه، ان الناس اذا صبروا حتى الان على غلاء الاسعار فانهم لن يصبروا على غلاء الخبز او فقدانه، وستشهدون امورا خطيرة جدا، لان الشعب لا يصبر على فقدان (3) الرغيف... اما ان ننتظر رأي الغرف الزراعية وغيرها كما تقولون فانتم تعلمون بأن هذه الغرف تمثل كبار المزارعين الذين ينظرون في الدرجة الاولى لمصلحتهم. بينما واجب المجلس والحكومة ان ينظرا بالدرجة الاولى الى مصلحة الشعب بمجموعه واني لالمح بأن النية تتجه لعرقلة اقرار هذا

(3) فيما يلي وصف لما حدث في حماة يوم 1951/9/25 منقولا عن صحف تلك الفترة:
"استفاقت المدينة اليوم والوجوم يريم على الجميع والتوتر بالغ منتهاه حتى اذا ما وضح النهار وانصرف الناس الى اعمالهم قامت مظاهرة نسائية ترتفع الولولة منها فتشق الفضاء وتستثير القلوب طالبة تخفيض اسعار الخبز من 31 قرشا الى 26 قرشا للكيلو الواحد كالسابق. ثم اعقبت ذلك مظاهرة كبرى اشترك فيها الرجال والصبية واندفعت من اطرافها مقذوفات الاحجار تحطم الزجاج وتعطل المرور وتغلق الحوانيت، وما هي الا هنيهة حتى اقفرت الشوارع واغلقت حماة من اقصاها. ثم حصل الاصطدام اخيرا، فقد حاول رجال الامن توقيف اعمال الهيجان وقذف الاحجار للابنية ومن بينها وكالة الاغاثة عندما كان الجمهور متكتلا حول نعش ملأه بالاحجار" ووضعه في ساحة العاصي منصرفا الى الهتافات العدائية ضد الحكومتين الحالية والسابقة، باعتبارهما مسببي ازمة الخبز، وحصل من جراء ذلك معركة طاحنة قوامها الحجارة ثم تطور الامر الى اطلاق رجال الامن الرصاص ارهابا لتفريق المتظاهرين ولولا ان تدخل قائد الدرك فأنقذ الموقف لحدثت نتائج لا تحمد عقباها. وقد سقط في المعركة سبعة جرحى من الشرطة بينهم رئيسهم، وبضعة عشر متظاهرا .. هذا وقد اعلن المحافظ تهدئة للحال تسليم الاعاشة بسعر 26 قرشا على مسؤوليته.

المشروع ولذا فانني اناشد الزملاء باسم المصلحة العامة بأن يبتوا سريعا بهذا الموضوع. لان الارجاء يؤدي الى نتائج خطيرة جدا. لا سيما ونحن لم ننس بعد الخطئية التي ارتكبتها الحكومة السابقة عندما سمحت بتصدير الحبوب ثم عادت فمنعت تصديرها ولكن منع التصدير لا يحل المشكلة. واصبح اقرار مشروع مكتب الحبوب بشكل مستعجل ضرورة قصوى".

دارت مناقشات طويلة اشترك فيها عدد كبير من النواب، بقصد عرقلة اقرار المشروع اولا.. ثم حاولوا جعل مهمة المكتب مقتصرة على تأمين التموين فقط، ليسمحوا للتجار بحرية البيع والاحتكار. ولذلك عدت للقول:

"ليست مهمة مكتب الحبوب التموين فقط. وانما هناك مهمات اخرى كالاستيراد والتصدير، وقد رأينا كيف عجزت الحكومات السابقة عندما عقدت المعاهدات التجارية مع الدول الاخرى ولم تتمكن من تنفيذ تلك المعاهدات لانه لا توجد لدينا مكاتب لاستيراد وتصدير هذه المواد، وقد رغبت مصر في العام الماضي او الذي قبله بشراء كميات من الحبوب من سوريا فلم تتمكن من شرائها من الاسواق الحرة فصرفت النظر عن الصفقة وسعت لتأمينها من الدول الاخرى، ولذلك فمكتب الحبوب المزمع انشاؤه لا يقتصر اختصاصه على التموين وانما علاقته ايضا بالتصدير وتحسين انواع البذار وجميع المهمات الاخرى التي وردت في مشروع هذا القانون".

ولما سقطت كل حيلة بيد النواب تقدموا باقتراح مشروع جديد، ليوقفوا الاستمرار في مناقشة مشروع الحكومة الذي اقرت بعض مواده، وليعيدوه الى اللجان مرة اخرى. وقد اشترك في التوقيع على هذا الاقتراح نواب حزب الشعب والاقطاعيون ونواب العشائر.. ولما هم رئيس المجلس بتحويل الاقتراع الى لجنتي الزراعة والقوانين المالية اعترضت قائلا:

"هل يجوز للمجلس، وقد قبلنا مناقشة مشروع الحكومة، وبعد ان وافقت عليه اللجنتان، ان يتقدم النواب بمشروع جديد؟ ان الامر على ما ارى يحتاج اذن الى وضع نظام داخلي جديد للمجلس.. ولذلك ارى ان نستمر في دراسة المشروع الاصلي واقراره".

فأصر الرئيس معروف الدواليبي (شعبي) على احالته الى اللجان فاضطررت للرد عليه ثانية. وكشفت الغطاء عن الايدي التي كانت تتآمر لتحول دون اقرار المشروع لان البنك السوري كان يشكل تكتلا سياسيا رأسماليا واقطاعيا، في المجلس وخارجه وكان يجني من وراء التلاعب بأموال الدولة والمودعين مئات الملايين من الليرات في كل عام، مدعوما من هذا التكتل الذي كان يشترك معه بالاتجار وجني الفوائد وتمويل المشاريع الزراعية والتجارية فقلت:

"كنت اسمع من زملائي النواب ان المصرف السوري حاول احتكار القمح وتصديره لحسابه الخاص في الاعوام التي سلفت. كما انه يجري نفس المحاولة للاستفادة من تجارة الاقطان، هذا ما علمته وسمعته كما علمته وسمعت به غالبية اعضاء هذا المجلس. وهذا ما دعانا لان نلح بطلب انشاء مكتب الحبوب وانشاء مكتب القطن. وذلك لوضع حد للاحتكار واستثمار المواد الاساسية التي تنتجها البلاد. لهذا فان عملية مكتب القمح ليست عملية تموين فقط. وانني لاعجب كل العجب ان يلجأ بعض الزملاء لعرقلة المشروع باسم العدالة الاجتماعية. فهل انشاء مكتب الحبوب يتعارض مع العدالة الاجتماعية؟ ان الذي يتعارض مع العدالة الاجتماعية ويصطدم مع كل المشاعر الانسانية هو ان يترك الشعب بلا خبز ليجني التجار والرأسماليون والمحتكرون الملايين فهذا الامر لا يأتلف مع العدالة الاجتماعية ولا يأتلف مع اي شعور انساني كما لا يأتلف مع مصلحة الدولة والمجتمع. ولذا لا يجوز بشكل من الاشكال ان ينسف مشروع انشاء مكتب الحبوب باسم العدالة الاجتماعية لان الحكومات المتعاقبة لم تحدد اسعار بقية الحاجات الضرورية الاخرى.. ان عدم تحديد اسعار جميع الحاجيات الضرورية لا تقع تبعته على عاتق الشعب وانما تقع مسؤوليته على عاتق الحكومات والمجالس المتعاقبة ولطالما نادينا بتحديد اسعار الحاجيات الضرورية منذ فجر الحياة النيابية عام 1943".

وهكذا اعيد البحث تكرارا، حتى اضطر رئيس الحكومة لان يقول: "ان هذا ارهاق لنا. فالحكومة لا تستطيع ان تحضر جلستين في اليوم".. ومع ذلك استمرت المناقشات شهرا كاملا حتى اقر المشروع.

1951: التهاب المنطقة ضد الاستعمار الغربي - استمرار تصاعد حركة الفلاحين في سورية والتجاوب العربي والاسلامي معها - صدور جريدة الاشتراكية - المثقفون ونضال الجماهير.

بالرغم من اصوات عملاء الغرب الخافتة التي كان يدفع بها هنا وهناك، كصوت خشبة باشا الذي طالب حكومة الوفد بالصلح مع اسرائيل، فان جو منطقة الشرق الاوسط الاوسط كان ملتهبا ضد الاستعمار، لا سيما بعد انتصار حركة التحرر الايرانية والتقائها مع حركة التحرر العربية فقد دعا آية الله القاشاني جميع المؤمنين لتأييد اخوانهم المصريين والاحتجاج على موقف الدول الاستعمارية في مجلس الامن بشأن حرية الملاحة بقناة السويس.

كما كان امتناع الاتحاد السوفياتي عن التصويت الى جانب امريكا وفرنسا وبريطانيا على القرار الذي يؤيد شكوى اسرائيل بادرة جديدة في السياسة السوفياتية حيال القضية العربية، وهي بادرة ايجابية كان لها انعكاس كبير على الحركة التحررية العربية في تلك الظروف، الامر الذي علقت عليه مجلة (الايكونوميست) قائلة: "لا ينتظر الغرب ان يتمسك الروس الى ما لا نهاية بموقفهم من النزاع العربي اليهودي". ثم قالت: "من الخير ان يذكر المصريون ان مناصرة الروس ليهود فلسطين قبل ثلاث سنوات كانت احدى العوامل التي ادت لقيام اسرائيل".

وفي مصر اتجهت الحركة التحررية الى الغاء المعاهدة البريطانية مستندة الى قاعدة شعبية واسعة، ففي 24 ايلول 1951 اعلن في القاهرة عن ميثاق وطني صدر عن اجتماع ممثلي منظمات الشباب التابعة لحزب الوفد الوطني وحزب الاحرار، والاخوان المسلمين، والحزب الاشتراكي، وحزب الفلاح الاشتراكي، وحزب الجبهة الوطنية، ويتضمن هذا الميثاق تحقيق وحدة وادي النيل وتحرير البلاد تحريرا شاملا من الاحتلال العسكري البريطاني والغاء معاهدة 1936 البريطانية واتفاقية

1889 المتعلقة بالحكم الثنائي في السودان.. ويعتبر الميثاق ان عهد المفاوضات قد مضى ويعلن عن تشكيل جيش من الشباب يدعى جيش التحرير الوطني..

وقد ادلى وزير الخارجية المصرية بتصريح قال فيه ان مصر لن تتعاون بأي شكل عسكري كان مع البريطانيين وحلفائهم في حالة وقوع نزاع مسلح بين الشرق والغرب ما دامت بريطانيا مستمرة على انتهاك السيادة المصرية.

وقد طرحت في شهري ايلول وتشرين الاول 1951 عدة قضايا عربية هامة، من ابرزها مقررات لجنة التوفيق الدولية التي كانت لمصلحة اسرائيل، وشراسة الاستعمار الفرنسي في مراكش التي استفحلت بعد اقدام فرنسا على خلع محمد الخامس وتنصيب عميلها الكلاوي باشا الذي هاجم حزب الاستقلال "لان غايته طرد الفرنسيين" وقال "ان هذا ما حدا به مع اصدقاء فرنسا من الزعماء المراكشيين لمقاومة حزب الاستقلال" وبعد ان امتدح الجنرال جوان طاغية الاستعمار الفرنسي في مراكش - تحدث عن القواعد الاميركية في مراكش واسند حق البحث فيها لفرنسا وقال "ان الاميركيين لا مطامع لهم".

اما اللجنة السياسية التابعة للجامعة العربية فقد اكتفت بتقديم مذكرة احتجاج الى فرنسا وطالبت بتوسط الولايات وقررت ان ترفع قضية مراكش الى الامم المتحدة.

كان موقف اللجنة السياسية في هذه القضايا جميعا موقفا ضعيفا مترددا مساوما، ولم يكن امام الفئات الوطنية التقدمية في سورية الا الضغط على الحكومة في لجان المجلس واجتماعاته وفي الصحافة، ودفعها في الطريق الصحيح.

الحلول الجذرية التي اقترحناها للرد على الاستعمار الغربي:

قلت في جلسة البرلمان يوم 1 ايلول 1951 كلمة ورد فيها:

"انني استغرب جدا موقف اللجنة السياسية التابعة للجامعة العربية من القضايا التي تهمنا. فقد قرأنا ان في رأس اعمال تلك اللجنة بحث قضية الصلح مع اليابان، اما قضية الغاء المعاهدة المصرية البريطانية وقضية حق مصر بمنع سفن العدو من الملاحة في قناة السويس فهي تأتي بالدرجة الثانية بعد معاهدة الصلح مع اليابان وانني اعلن بأن الشعب العربي لا يمكن ان يسكت طويلا ازاء تضليله من قبل المسؤولين العرب واذا كانت مصر في حالة نزاع مع بريطانيا لالغاء المعاهدة فان العراق ايضا مكبل بالاغلال والقيود، وكذلك شرقي الاردن، وان الغرب يحتل الشرق العربي بقواعد استراتيجية سواء في الجزيرة العربية او في العراق او في مصر او شرقي الاردن، لهذا فان الغاء المعاهدة قضية عربية لا مصرية وكان على الدول العربية، ما دام حكامها يطالبون بالاتحاد والوحدة، ان يعلنوها حربا شعواء على بريطانيا وامريكا وفرنسا، تلك الدول التي وقفت صفا واحدا ضد الحق العربي في قضية الملاحة بقناة السويس، وما دامت الدول الاستعمارية الغربية قد وحدت صفوفها ضد العرب فما على العرب الا ان يوحدوا كلمتهم ويقفوا صفا واحدا امام المطامع الاستعمارية.

وانني لأعتقد ان هذه الحرب لا تعلن في مجلس الامن، لانه وكر للدول الغربية، وانما تعلن هنا في البلاد العربية نفسها، وفي تأميم البترول العربي، لان هناك شركات للبترول تمتص دم الشعب العربي سواء في العراق او السعودية او الكويت، كما ان هناك مؤسسات مالية غربية كالمصرف السوري وشركة قناة السويس ومؤسسات مالية اخرى يجب ان تزول بل يجب ان تؤمم جميع المؤسسات التابعة للدول الغربية الثلاث.

لقد دخل الاتحاد السوفياتي عنصرا ثالثا في قضية شكوى اسرائيل التي ايدتها الدول الغربية الثلاث، وانني لاعلن بكل صراحة انه ما دام الحلفاء الغربيون يقفون منا هذا الموقف المعادي فنحن بكل صراحة ووضوح نطلب من الحكومات العربية ان تمد يد الصداقة للاتحاد السوفياتي، واذا كانت الحكومات العربية لم تجرؤ على ذلك فان الشعب العربي في جميع اقطاره ليتجه بقلبه نحو الاتحاد السوفياتي منتظرا موقفه من الشكوى الاسرائيلية الباطلة ضد مصر.. ونحن بانتظار موقف روسيا هذا نقول بكل صراحة: اذا كان هناك ساسة مباعون للانكليز والاميركان والفرنسيين فان هناك شعبا عربيا لا يباع ولا

يشرى وسيقف هذا الشعب في المستقبل صفا واحدا يصارع الاستعمار ويلغي كل مؤسساته.

ان الاحتجاجات لا تكفي، فاذا شاء المجلس ان يتخذ قرار ناجعا فلنطلب الى الحكومات والبرلمانات العربية ان يقف الشعب العربي موقفا موحدا ضد المؤسسات الاجنبية، فهذه هي اللغة التي يفهمها الانكليز ويفهمها الاميركان ويفهمها الفرنسيون.

اننا لا نؤيد مصر لكونها مصر، كما قال وزير خارجيتنا (فيضي الاتاسي) وانما نؤيد مصر لانها دولة عربية تضم شعبا عربيا، ونؤيد مصر لانها تقف هذا الموقف في قضية عربية.

ان قضية الملاحة في قناة السويس لا تمس سلامة مصر فحسب وانما تمس سلامة الشرق العربي باسره.. فالقضية ليست قضية مصرية حتى نؤيد مصر كجارة شقيقة عزيزة علينا، وانما نؤيدها لان القضية تمس مصلحة الامة العربية.

لنتكلم بصراحة.. فقد سبق لسوريا ان عرضت على الحكومات العربية موقفا موحدا فيما بينها اذا استمرت الدول الاستعمارية الكبرى على تأييدها لاسرائيل، ولا اعتقد ان قضية الملاحة في قناة السويس سوى تأييد لاسرائيل ودعم لها. وقد رأينا بأم العين ان القنابل التي القيت على منطقة الحمة هي قنابل اميركية".

سوريا تناصر نضال مراكش

منذ ان احتدمت المجابهة بين الاستعمار الفرنسي والشعب العربي في مراكش وقفت سوريا موقف المناصر لنضال مراكش على المستوى الشعبي والبرلماني والصحافي، وفي اواسط شهر ايلول 1951 وصل الى دمشق علال الفاسي زعيم حزب الاستقلال المراكشي فعقد مؤتمرا صحفيا اثنى فيه على النفس القومي في الصحافة السورية وقال: ان مسألة مراكش ليست غير مسألة شعب عربي يريد التحرر من نير الاجنبي والتمتع بالاستقلال التام ليتأتى له العمل على اصلاح نفسه والمشاركة في نهضة الامة العربية، وعرض تاريخ الاستعمار الفرنسي في مراكش ومحاولاته طمس الهوية العربية عن شعبها والنضال المرير الذي خاضته مراكش للتحرر من الاستعمار.. ثم قال:

"لقد رأيتم وزراء خارجية الدول الغربية الكبرى يجتمعون لدراسة قضايا مراكش ومصر وايران باعتبار انها قضايا تهدد السلم وتفرض ضرورة تنسيق موقف امريكا وانكلترا وفرنسا منها، الامر الذي يفرض علينا اعتبار هذه القضايا قضية واحدة ويحتم تنسيق اعمال الدول والهيئات العربية بشأنها". النصر: 16 ايلول 1951.

لم تكن لي صلة سابقة بعلال الفاسي. وقد رغب بالاجتماع بي فكلف بذلك صديقه محمد المبارك الذي دعانا الى الغذاء في منزله، حيث عرض الاستاذ الفاسي وضع مراكش وطلب النجدة فأبديت له تأييدنا المطلق على كل المستويات، واقترحت عليه ان يجتمع بأديب الشيشكي للغرض ذاته.

وقد اجتمعت بأديب الشيشكي وبحثت معه ضرورة تأييد مراكش في معركتها الصعبة مع الاستعمار الفرنسي، لا سيما وان حزب الشعب يتهم الجيش بممالأة فرنسا، وقلت له: ان هذه المناسبة ممتازة للاعراب عن صدق وطنية الجيش وتأييده الحركات التحررية في البلاد العربية.

وبالفعل لبى الشيشكي النصيحة، فأقام حفلة غذاء تكريما لعلال الفاسي القى خلالها كلمة ترحيبية قال فيها "انني اذ ارحب

باسم الجيش السوري فانما ارحب بجهاد مراكش العربية ونضالها في سبيل حريتها واستقلالها... وانني انتهز هذه المناسبة لاحملك اصدق تحيات الجيش السوري وانبل عواطفه، امانة تقدمها نيابة عنا الى الشعب العربي في مراكش... عاشت مراكش حرة مستقلة".. فرد عليه الفاسي بكلمة مماثلة اعرب فيها عن نظرة الشعوب العربية الى سوريا بصفتها المثال والقدوة للتحرر القومي.

فشل لجنة الاحزاب بتنفيذ الميثاق الوطني

استمر معروف الدواليبي رئيس المجلس النيابي في بذل جهوده الرامية لاقامة جبهة وطنية تقدمية بين احزاب الشعب، والجبهة الاشتراكية الاسلامية، والعربي الاشتراكي، والبعث العربي، والسوري القومي وكان الدواليبي يسير على خط الجبهة الاشتراكية الاسلامية والاحزاب الوطنية اليسارية في مصر مؤيدا من الجناح اليساري في حزب الشعب (العاص، حومد، بوظو...) وكانت الاجتماعات تعقد باستمرار مع ممثلي الاحزاب الميثاقية. ففي 1 ايلول حضرت اجتماعا مع الدكتور الدواليبي وشاكر العاص ومحمد المبارك وعصام المحايري وكان منتظرا حضور جلال السيد ممثل حزب البعث... وفي 23 ايلول شهدت اجتماعا مماثلا في مكتب الدكتور الدواليبي حضره احمد قنبر وجلال السيد وشاكر العاص وعصام المحايري وعلي بوظو.. ولكن لم يكتب لسياسة الميثاق والجبهة الوطنية النجاح لان بعض القيادات في حزب الشعب والحزب الوطني والاحزاب المؤتلفة، ولان انظمة الحكم في السعودية والعراق ومصر اصبحت تخشى نمو الحركة التقدمية الديموقراطية التي ادى اليها الانتشار المذهل للحزب العربي الاشتراكي، فاخذت تدفع تجاه تسليم الجيش حكم البلاد، والعمل على فرط الجبهة الوطنية الديموقراطية الاخذة بالتشكل ووأد ميثاقها القومي.

صحيفة الاشتراكية

كنا خلال شهر آب وأيلول وتشرين اول من عام 1951 في سباق مع الزمن، وكان اهتمامنا على الصعيد الحزبي منصرفا لاصدار صحيفة باسم الحزب، فالصحف بالنسبة للاحزاب هي بمثابة الروح للجسد، وبعد ان قام الحزبيون بحملة لجمع التبرعات لاصدار جريدة "الاشتراكية" قررنا ان نصدرها اسبوعية لان الوضع المالي وصغر جهاز التحرير لا يسمحان لنا باصدارها يومية... وقد وضعنا في خطتنا، بعد اتساع حركة الفلاحين والحزب في سوريا، ان تحقق هذه الصحيفة توازنا في ايراداتها ونفقاتها، مع تقديرنا سلفا انها ستحرم من موارد الاعلانات وستلاقي عرقلة في التوزيع.

استلمت اعباء تحرير جريدة الاشتراكية وادارتها ولم اختر من الصحفيين المحترفين الا شخصا واحدا هو نشأت التغلبي ليشرف على تبويب الصفحات وترتيب المواد، وتولى رئاسة التحرير منذر الموصلي، بينما تولى احسان الحصني ترجمة الدراسات والمقتطفات من الصحف والكتب الفرنسية، كما انضم الى جهاز الجريدة خطاط حزبي شاب هو منير الصيرفي، وكان يكتفي بأجر زهيد لقاء كتابة الخطوط وتصحيح تجارب الطباعة، وكان يقيم في مكتب الجريدة الذي هو عبارة عن غرفة من غرف مكتب الحزب في شارع بغداد.

كما ساعدنا الدكاترة: امجد الطرابلسي وحكمت هاشم، وانطون مقدسي وصلاح عمر باشا الاساتذة في الجامعة السورية الذين تولوا كتابة المقالات بشكل دائم، واستقطبت الجريدة عددا كبيرا من مثقفي البلاد لمدها بالدراسات والتعليقات، وعددا من كبار الشعراء منهم الشاعر العبقري نديم محمد الذي القى قصيدة رائعة في مهرجان الفلاحين في حلب، ومنهم سليمان العيسى وشوقي البغدادي وعبد الباسط الصوفي الذي مر على الحزب كالطيف وعبر الحياة سريعا.

كنت اطيل الجلوس مع الشاعر عبد الباسط كلما مر على "الاشتراكية" ومعه احدى قصائده، ثم انقطعت اخباره عني عندما غادر البلاد الى افريقيا في عهد الوحدة، ثم سمعت انه انتحر

يأسا في غربته، وانه مما لا يزال يحز في نفسي ان تطوى صفحة هذا الشاعر الشاب دون ان يكترث بها احد فيضيع شعره في زوايا الاهمال والنسيان.

قال الصوفي مخاطبا الفلاح:

منك من ساعدك المفتول حبات
السنابل

ومن المحراث علمت الندى عطر
الخمائل

انت علمت مغاني الارض انغام
المناجل

ومسحت الجبهة السمراء عن فيض
الجداول

انت تحت الشمس تاريخ واجيال
تناضل

□

حققت "الاشتراكية" نجاحا كبيرا. ومنذ العدد الاول كان (تيراجها) ثمانية الاف، وهو رقم قياسي في ذلك الوقت لم تبلغه اية جريدة اخرى، ولم تتمكن الاجهزة من عرقلة توزيعها الا بواسطة البريد لان الفروع الحزبية كانت تشرف على توزيعها وبيعها في المحافظات وايصالها الى القرى النائية.

وحققت الجريدة توازنا بين ايراداتها ونفقاتها. وكان المشتركون يبادرون تلقائيا لارسال قيمة الاشتراك السنوي سلفا.. ولا يزال ماثلا في ذهني التأثير السحري لجريدة "الاشتراكية" في الاوساط الشعبية، فقد كان تأثيرها اعمق واشمل من تأثير صدور "اليقظة" عام 1946، وذلك بسبب اتساع الحركة وشمولها وتحديد طريقها واهدافها، فلم يعد اثر الحركة محصورا في حدود البلاد، بل تخطاها الى العالم العربي

والخارجي، فأصبح المعنيون بشؤون الفلاحين، العرب والاجانب، يترددون باستمرار على مكتب الحزب والاجتماع بنا والبحث معنا حول تجربتنا الفريدة.

وكان لصدور الجريدة اثر كبير في اوساط المغتربين العرب في المهاجر الافريقية والاميركية، فانهالت علينا طلبات اشتراكهم مرفقة بقيمة الاشتراك السنوي سلفا، وقد كان المهاجرون السوريون في امريكا الجنوبية يلحون على صديقنا عمر ابي ريشة، الوزير المفوض، بالعمل لتأمين وصول الجريدة اليهم، اذ ان اعدادها لم تكن تصلهم بانتظام رغم اننا كنا نرسلها بالبريد الجوي، وكنت شديد التأثر والحرص على بادرة المهاجرين واهتمامهم بشؤون وطنهم، وكلهم من منشأ شعبي دفع بهم الفقر والبؤس للهجرة من البلاد، فبحثت الامر مع المدير العام للبرق والبريد، وبعد التحقيق رأيت بأم عيني اكداس الجريدة وعليها طوابع البريد الجوي مهملة في احدى الغرف... وبالرغم من انني وضعت يدي على الجريمة فاننا لم نتمكن من معاقبة مأمور البريد الذي لم يبرر امتناعه عن ارسال الجريدة بأي عذر مقبول، وهكذا استمر هذا الموظف الصغير في عرقلة ارسال الجريدة دون ان يخشى احدا، وانني لاذكر هذه الواقعة لالفت النظر الى اهمية صون البريد العربي من عبث شبكات المخابرات الاجنبية، اذ ان البريد هو احدى اهم المصالح الوطنية التي تستهدفها هذه الاجهزة، ويؤسفني القول - نتيجة لبعض الوقائع - ان البريد في سورية تسربت اليه في بعض الفترات المخابرات الاسرائيلية.

لقد ازعج صدور الاشتراكية الاحزاب اليمينية، فكان صدور كل عدد منها مثار نوبة هيجان وتعليقات وردود في صحف تلك الاحزاب التي كان موقفها نتيجة عاملين:

1- الجهل بمدى اهمية حركة الفلاحين بالنسبة لمنع المد الشيوعي من الانتشار في سورية.

2- المصلحة الطبقية والعصبية العائلية والحزبية لدى معظم قيادات تلك الاحزاب، اما الحزب الشيوعي الذي هاجم ايضا

حركة الفلاحين فلم ينتبه لخطأ موقفه الا في عام 1955 عندما اصدر نشرة داخلية انتقد فيها مواقفه السابقة من هذه الحركة.

كما اصبح دأب صحيفة القوميين السوريين مهاجمة حركة الفلاحين بشكل مبطن دائما وعلني احيانا، وكان الحقد والجهل بحقيقة هذه الحركة ينضح في مقالاتها.

اما بالنسبة لحزب البعث فقد كان نجاح حركة الفلاحين محرجا اشد الاحراج لممثله في المجلس جلال السيد، وقد تجلى ذلك في تناقض مواقفه واضطرابها بسبب وقوعه تحت ضغط قاعدة الحزب من جهة وانتمائه القبلي الاقطاعي في دير الزور من جهة اخرى.

□

كان صدور الاشتراكية داعما هاما لحركة الفلاحين والحزب، كما اصبح الكثيرون ينتظرون صدور عددها كل اسبوع، بل اصبحت مثار اهتمام للصحافة العربية والاجنبية، ولا ازال اذكر التردد المستمر لمراسلي الصحف الاجنبية على مكتب الحزب والجريدة لمد صحفهم بالتصريحات والريبورتاجات عن الحزب وعن حركة الفلاحين.

ولا بد لي من الاشارة هنا الى الصدى الكبير لحركة الفلاحين سواء في البلاد العربية او في غيرها من الدول الاسلامية، وانني اثبت هنا ترجمة للمقال الذي نشرته صحيفة الدون الباكستانية وقد وردت هذه الترجمة في العدد السابع من جريدة الاشتراكية (1951/10/13) تحت عنوان (ما تقوله الصحف الاسلامية في تحديد الملكية: حتى لو طبق القانون يبقى بعيدا عن العدالة الاجتماعية):

يشتبك اصحاب الاراضي الاقطاعيون بسوريا كأمثالهم في اقطار اخرى في صراع مرير للاحتفاظ بمصالحهم دون انتصار العدل الاجتماعي فهم يقاتلون ضد صدرو قوانين اصلاح الاراضي من الندوة السورية وقد اصابوا نجاحا مؤقتا

بعرقلة سبيلها وارجاعها الى اللجنة الخاصة لتستزيد من دراستها وتضفي عليها تعديلات تخدم مصالحهم.

اما قانونا اعادة توزيع الاراضي الاميرية وملكية الاراضي فقد استندا مباشرة على المادة (30) من الدستور السوري المبرم في آب العام الماضي وهذه المادة المتنازع عليها والتي انتزعت من بين براثن الفئة التي تمثل المصالح الاقطاعية قد اضفت حرمة دستورية على تحديد ملكية الارض على اصحابها الاقطاعيين والملاكين غير الممارسين وكما انها تخول مصادرة الدولة للاراضي التي تركها ملاكها غير مزروعة بعد مدة نصت عليها. وقد اكتفى الدستور بقبول هذه المبادىء وترك للندوة ان تضع النصوص والحدود في تشريعاتها ومشروع القانون الحاضر قد أعدته الحكومة السورية تنفيذا لهذه الاحكام الدستورية.

وتحديد ملكية الارض مع الاعتراف بالملكيات الصغيرة والمتوسطة يكون مبدأ لا تقوم ضده معارضة عنيفة وكتقرير للواقع تتوقف كل جدوى هذا الاصلاح على التحديدات الفعلية التي سيفرضها، وسوريا قطر زارعي في الدرجة الرئيسية ويتألف سكانها من 70% تقريبا من فلاحين لا يملكون ارضا. وما يزيد عن نصف الاراضي القائمة يملكه نفر من الاسياد الاقطاعيين والحكومة، والثلث منه تقريبا من الملكيات دون المتوسطة. وقد قرر قانون ملكية الاراضي ان تكون 500 دونم من الاراضي المروية 5000 دونم من الاراضي غير المروية حدا اعلى للتملك الفردي وحتى لو كان هذا تحسينا للاحوال السائدة فانه يجعل هذا الاصلاح للاراضي من اساسه مهزلة. ففي قطر لا تكفي اراضيه المزروعة لتأمين فدانين للفرد حتى على اساس تساوي التوزيع فان التحديد لحد اعلى كهذا لتملك الفرد يجعل كل المشروع اسوأ من السيء.

ومما يذكر هنا ان لجنة العصبة الاسلامية لاصلاح الاراضي في باكستان وضعت حدا اعلى لتملك الفرد هو مئة وخمسون فدانا للاراضي المسقية طول العام و450 فدانا لغير المسقية كذلك، وحتى هذا لم يكن يعتبره كل فرد في باكستان قريبا بدرجة كافية من العدل الاجتماعي الذي تناضل من اجله باكستان، ولكن العصبة الاسلامية قبلت هذه التوصيات كمنهاج حسن صالح للتطبيق في ظروفنا السائدة. ويستطيع اصدقاؤنا السوريون ان يعيرونا بالقول بأن توصيات لجنة اصلاح الاراضي لم تنفذ في باكستان ولكن مع هذا فلنا في شرق الباكستان مثل حسن حيث ان قانون

الغاء الملكيات الواسعة للاراضي قد يسر اصلاحا للاراضي اكثر تقدما في نطاقه من اي اصلاح حاول القيام به اي قطر اسلامي آخر بل ومن نواحي معينة ابعد مدى من مقترحات لجنة اصلاح الاراضي.

وفي خلال مناقشة الندوة عن الدستور في العام الماضي ابدى عميد الحزب العربي الاشتراكي السيد الحوراني عدم عدالة توزيع الاراضي، وقد اعلن السيد الحوارني بالذات بأنه ما لم تحطم الاحتكارات الكبرى للاراضي في سوريا بتوزيع الملكيات الاقطاعية على من لا يملكون من المزارعين، فسيكون هناك خطر فلسطين اخرى تعيد نفسها في سوريا.

وكذلك فان السباعي طالب بالتحرر من الظلم والتحرر من العوز والتحرر من الجوع.

ونحن نرجو ان لا يسمح زعماء سوريا الراشدون لقوى الاقطاع الرجعية ان تهزم محاولتهم في تنفيذ منهاج لاصلاحات الاراضي وتوزيعها تأمينا للعدل الاجتماعي للملايين من المظلومين والمحرومين وكل تصالح مع الاقطاعية على حساب مبادىء العدالة الاجتماعية يعتبر كارثة على حركة الانعاش الاقتصادي.

□

كان صدى حركة الفلاحين في الباكستان سببا في زيارة بعض الصحافيين الباكستانيين لمكتب الحزب العربي الاشتراكي بينهم مندوب محطة اذاعة كراتشي الذي طلب إلي ان اوجه كلمة للشعب الباكستاني بمناسبة عيد الاستقلال فكتبت له كلمة مقتضبه بتاريخ 12/آب/1951 اذاعتها محطة كراتشي بأمانة ونشرت جريدة الاشتراكية نصها في عددها الاول:

تسيطر على العرب رغبة اكيدة لرؤية الهند والباكستان مزدهرتين وذلك باعتبار ان الشعب الهندي بدولتيه شعب شرقي عريق في الحضارة تربطنا واياه روابط تاريخية وثقافية متينة.

ونحن في يوم استقلال الباكستان نرجو للبلدين الشقيقين كل تقدم ورقي وازدهار ويؤسفنا جدا ان يقع خلاف بينهما، كما نرجو ان تتحكم روح غاندي ومحمد علي جناح في حسم الخلافات بينهما، ونأمل ان يحل النزاع

القائم حول كشـمير بـروح الاخـوة والصـداقة، ولا شـك ان عمـلا كهـذا سـيتيح للدولتين ان توجها جهودهما نحو تثبيت اسس نهضة وحضـارة جديـدتين بـدأت تباشيرهما واضحة منذ اليـوم، نهضـة وحضـارة تـدعوان للمحبـة والسـلام فـي ارجاء العالم.

وانا نأمل كـذلك ان تعمـل الحكومتـان علـى ازالـة الاوضـاع الاجتماعيـة السيئة، فتمهدان الطريق لرقي الشعب ورفاهيته وتمكناه من المساهمة في بناء الحضارة الانسانية الجديدة كما ساهم في ذلك اجداده العظام من قبل.

وانا فـي هـذا المقـام لا ننسـى ان نـذكر ان الاسـتعمار هـو المسـؤول الاول عن الخـلاف القـائم ومـا زال يحـاول توسـيع الشـقة بـالطرق والاسـاليب الملتوية ولذا نأمل من الشقيقتين ان تدركا هذا الامر جيدا وتعملا على احبـاط مـؤامرات المسـتعمرين الـذين عـز علـيهم ان يـروا ظلهـم يـتقلص عـن القـارة الهندية والسلام. 12 آب 1951

□

كـان صـدور العـدد الاول مـن صـحيفة الاشـتراكية بتـاريخ 51/8/24 وقد كتبت افتتاحية هذا العدد تحـت عنـوان: انـتم النـبلاء ايها الفلاحون:

انتم الامناء على الارض، لم تسلبوا حقلا ولم تنهبوا مالا، كنتم المطية والضحية، سلبكم الاقطاعيون الارض، وحرموكم مورد الرزق، نظراتكم الشـاردة وقسمات وجوهكم المتجعدة تعبر عما ارتكبه الظالمون.

انتم الحراس الاوفياء على ثروة الامة، فما عرفـت موائـد الميسـر لكـم وجها، ولا الليالي الحمراء لكم مكانا ولم تنفق ايديكم خارج الوطن درهما.

تبيتـون علـى الطـوى، وتفترشـون الثـرى ومـا عـرفتم غيـر الـذرة خبـزا والحشائش طعاما.

والاقطـاعيون مـن نتـاج سـواعدكم يبنـون القصـور، وبعصـارة قلـوبكم ينعمون، حتى ملتهم الملاهي والاندية وضجت من مجونهم الجبال والاودية.

انتم النبلاء ايها المنتجون لم تظلمـوا احـدا، ولـم تفرضـوا سـخرة، ولـم تأخذو أتاوة، ولم تمتصوا دماء الابرياء، ولم تلدوا الاشقياء.

هم الضعفاء، وانتم الاقوياء، لم يحفظوا للوطن عهدا ولا للامة وعدا.. الهبت سياطهم منكم الظهور وامتلأت من ضحاياهم القبور.

مبتكراتهم اتاوة جديدة وانواع من السخرة فريدة.

لذائذهم شرب الدماء، وطربهم عويل النساء...

انتم المخلصون ايها الكادحون.. لم تصافحوا اجنبيا، ولم تبتسموا لدخيل، سقيتم ارض الوطن دما قانيا وثرتم على المستبدين فما ونى منكم العزم، ولا عرف في صفوفكم الوهن.

ثورتكم اللاهبة طهرت ارض الوطن في الشمال وفي الجنوب والجزارون كؤوسهم مع الغاصب مترعة واسلحتهم الى ابناء الوطن مشرعة.

ان رأو اجنبيا تهللت وجوههم بشرا، وخفقت قلوبهم طربا، يحثون اليه الخطى مرحبين، وبمقدمه مسلمين، وان مروا بمواطنيهم نظروا اليهم شذرا.

انتم المناضلون ... قطرات العرق من جباهكم السمراء روت التربة الحمراء، فانتجت كنوز الارض الصفراء، والبيضاء، فاطعمتم الجياع، وكسوتم العراة وظلت بطونكم خاوية واجسادكم تسترها الاسمال البالية.

الان ... وقد ثرتم على الظلم والظالمين وتمردم على المستثمرين المستغلين فليكن شعاركم التعاون والمحبة، فلا تمدوا ايديكم الى مال حرام، ولا تفكروا بالاعتداء، وابنوا مجتمعكم على الاخاء لتصبحوا جديرين بلقب الفلاح العربي الاشتراكي.

□

لقد عالجت أيضا في العدد الاول من الاشتراكية طرق المحاصصة في المحصول في الاراضي البعلية في بعض المناطق السورية وكان ذلك موضوع الساعة في خلافات الفلاحين مع الاقطاعيين، والمقال بعنوان: على مفترق الطريق.

في البلاد ضجة...! ضجة مصطنعة من نوع جديد يثيرها الاقطاعيون فيبرقون الى الصحف ببرقيات تشوه واقع الحال وحقيقة الوضع في ريف العلويين وحمص وحماة والمعرة ويعقدون الاجتماعات ويثيرون حولها الاراجيف والاكاذيب، ويوزعون البيانات الطافحة بالاضاليل يلبسونها ثوب المسكنة والتزلف الى الشعب.

ان الشعب السوري بجميع طبقاته بدأ يتحرك اليوم على اصوات دقات اجراس الاشتراكية التي ينادي بها الحزب العربي الاشتراكي كطريق صحيح للنهوض بالامة من كبوتها والخلاص من اعداء الاصلاح الذين يجنون خيرات البلاد ويتحكمون بسياستها الاقتصادية حسب خطتهم الاستغلالية، ويقفون امام كل حركة تقدمية تعمل لايصال الوطن الى ما يبغي من سؤدد ومجد وفلاح.

وهم ككل فئة مستأثرة تخشى على مصالحها التقليدية بدأوا يحاولون تشويه الحركة البريئة التي يقوم بها الفلاحون في ريف سوريا ليضعوا حدا للوضع السيء الذي يعيشونه اليوم، ثم قاموا يتباكون على مصالحهم ويحتكمون الى القانون، واي قانون هذا الذي يبيح لهم ان ينعموا بعيش القصور ويقضوا اوقاتهم الفارغة وكل اوقاتهم فراغ امام موائد القمار ودنان الخمر بينما يكد الفلاح ويكدح ليل نهار ليقدم اليهم المال ينفقونه كله عن سعة وهو عريان يتخبط وابناؤه في دياجير الجهل وويلات المرض والفقر، وكل حصيلته من الانتاج الذي توصل اليه بعرقه وتعبه، بضع مئات من الليرات عليه ان ينفقها على غذائه وكسائه وثمن الدواء للامراض التي تفتك به وبعائلته، وغذاؤه يتكون عادة من خبز الذرة الذي تعافه النفس وقطعة من البصل وما تنبته البرية من حشائش وان حالفه الحظ فقليل من البرغل، واما كساؤه فقد يمتد به العمر الى بضع سنوات حتى يبدو مهلهلا قذرا لا يليق بانسان، واما التعليم واما المسكن الصحي والغذاء الجيد، وغير ذلك من ابسط المستلزمات التي يجب ان يتمتع بها الكائن الحي ذلك الانسان فهو حرام عليه... ولماذا؟ لانه فلاح.

قد لا تصدق ايها المواطن الحر ما سنقصه عليك مما يجري في القرى السورية، وما يقوم به الاقطاعيون من ويلات يأباها الضمير الانساني والوجدان.

قد لا تصدق هذا كله.. لان ما يجري في الريف فوق الوصف، وفوق المعقول، قد لا تصدق ايها المواطن الشريف كيف يجري امتصاص الدماء.. دماء الفلاحين، عصب الشعب ومكمن الخير فيه، اجل قد لا تصدق كل ذلك لان الاقطاعيين عزلوا الريف عنك واحاطوه بسياج كثيف يبعده عن ابناء الوطن.

لن نحدثك في هذا المجال عن حق الملكية الذي يتغنون به... ولن نقص عليك كيف آل اليهم هذا الحق... وموعدنا معك باحاديث قادمة نشرح

لك فيها كيف تم النهب والسلب والقتل على مجرى التاريخ، وحسبنا اليوم ان نقص عليك قصة الالم والعرق والدموع والحرمان، قصة الفلاح السوري وكيف يعيش، ويؤمن مورده في الحياة، وكل ما نحدثك عنه الان هو الواقع الذي لا يستطيعون هم انفسهم انكاره، وسنعمل قريبا على تمكينك من زيارة الريف السوري لتشاهد بعينك وتحكم بنفسك على مسببي تأخر بلادك ومعاوني الاجنبي على امتصاص دمائك.

ان الفلاح السوري يعيش على طريقة المزارعة، وهي في بلادنا على شكلين:

طريقة المرابعة وطريقة المخامسة

1- طريقة المرابعة: وهي ان يقدم الاقطاعي كل وسائل العمل ولا يطلب من الفلاح الا جهده العضلي شريطة ان يأخذ ربع المحصول، قد يبدو هذا معقولا، ولكن هل يصل هذا الربع الى يد الفلاح؟

إن الاقطاعيين الذين يطبقون نظام المرابعة يأخذون عند جني المحصول (12.5) بالمائة مقابل ضريبة الاعشار وهي ضريبة كانت تجبى بموجب التشريع المالي القديم للدولة وقد الغيت اليوم ورغم ذلك انتقلت جبايتها من خزينة الدولة الى جيب الاقطاعي الذي نصب نفسه، هكذا، وبدون مبرر مشرعا يفرض ضريبة وهمية لشخصه بأسم الحكومة، وهذا كما يبدو احتيال فاضح مكشوف يأخذه القانون بالعقوبة الجنائية.

ثم يقسم الباقي الى خمسة فيعطي الفلاح قسما واحدا من خمسة فيكون نصيبه (17.5) بالمائة وليس (25) بالمائة كما يجب ان يكون حسب نظام المرابعة.

وهذه النسبة الضئيلة نفسها هل تصل الى يده في النهاية؟

إن لدى الاقطاعي طرقا اخرى من الاستغلال، هناك اجور البيطار والنجار والحداد الذين يعملون عند الاقطاعي ويجب ان تدفع اجورهم من حصة ذلك البائس المسكين ... الفلاح.

هل تصدق كل هذا ايها المواطن؟ انه يبدو غريبا فاضحا ولكن الاقطاعي يقوم به في الريف السوري وهنالك ايضا طريقة المخامسة التي تقضي بأن يقدم الاقطاعي الارض فقط وكل ما يحتاجه العمل الزراعي من

حيوانات وادوات حصاد وبذار.. الخ يقدمه الفلاح ويعمل في الارض طوال السنة، وعند جني المحصول حسب العرف السائد، يأخذ الاقطاعي الخمس... وهذا الشرط نفسه هل يطبق؟

كلا مرة ثالثة... لان الاقطاعي الذي يرى ان الفلاحين خلقوا ليكونوا له خدما وعبيدا يستكثر عليهم حقهم في هذا النصيب الضئيل وتبدأ عمليات النصب والنهب والاحتيال ويبدأ النظام الذي كفرت به الانسانية منذ زمن قديم وقامت من اجله الثورات اللاهبة... انه نظام السخرة عدو الانسانية الرهيب ومخلفات القرون الوسطى يعاد تطبيقها في سوريا وفي القرن العشرين بالذات.

وتبرز الاتاوات الجديدة بأسماء تدعو الى الضحك والرثاء فقسم آخر باسم "الشرية" وقسم ثالث شكارة المغلول ولكن هل انتهت الرواية؟

لا ان هناك المطاليب نفسها المتبعة بطريقة المرابعة وهي اجور السائس وخدم الاقطاعي ورعاة غنمه ورواتب وكيله... كل هذا من يدفعه؟

ذلك البائس المسكين.. الفلاح.

ايها المواطن الصديق. هل تظن الامر انتهى عند هذا الحد؟

اسمع اذن تتمة القصة واضبط عاطفتك القومية وسر معنا الى النهاية:

القصور كيف تبنى؟ والسيارات التي تتجدد في كل سنة تمشيا مع الموديلات الجديدة، والحفلات الصخبة والسهرات المشبوهة والموائد الموبوءة كيف تؤمن نفقاتها؟ لا بد اذن من تحايل جديد وليكن اذن بدعة فريدة في نوعها وهي على شكلين "الشكارة العامة" و "شكارة الاولاد" فهم ينتقون اخصب مقاسم الارض ويجبر الفلاحون على القيام بكل الاعمال الزراعية حتى نقل المحاصيل الى عنابرهم ولا يبقى للفلاح بعد ذلك سوى القسم الردىء من الارض وعليه ان يتكفل ايضا بالضرائب، ومواشي الفلاح هل يسمح له ان يربيها ويجعلها ترعى العشب الذي ينبت في الارض دون مقابل؟ ان هذا مستحيل في عرف الاقطاعي لذا يفرض الضرائب العينية ويأخذها من الخراف والدجاج والبيض والجبن والسمن.. وكل نتائج الحيوان.

والان هل انتهت القصة؟

لم تنته بعد وما اظنك تمل المتابعة ايها المواطن لانك تسمع قصة تتصل بجوهر قوميتك فتابع معنا الى النهاية:

ان الفلاحين والفلاحات يعيشون على ارض الاقطاعي وليس لهم حق بهذا الوطن فكيف يعقل ان يتزوج الافراد دون ضرائب على زواجهم؟ ان الحكومة تأخذ ضريبة على الزواج... والحكومة مع ذلك لم تقدم الى الفلاح ارضا يسكنها فكيف اذن لا يحق للاقطاعي ان يأخذ ضريبة زواج وهو يقدم الى الفلاح ارضا يعيش عليها؟ لا بد من ضريبة زواج تتروح بين خمسين الى مائة ليرة وسورية وقد تصل الى المائتين يدفعها الفلاح طائعا مختارا ليكون اسرة تنجب اولادا يعيدون المأساة.

ايها المواطن العزيز

جميع هذه المآسي تمثل على مسرح بلادك في الريف ناهيك عن السخرة في اعمال البناء والحفر والخدمات الخاصة، فهل يكتب لشعب هذا شأنه البقاء؟ وهل يستطيع الصمود وهو على هذه الحال امام اي اعتداء؟

وهكذا ... قدمنا اليك بعض القصة ... اما المسرح الذي تمثل عليه واعني به الاملاك التي يتبجحون بأنهم اصحابها الحقيقيون فان لها حديثا آخر سنسمعك اياه قريبا... وعندئذ تنكشف امامك اسطورة حاولوا حتى اليوم احاطتها بهالة من القدسية والتحريم...

اسطورة حاكت خيوطها سياط الاغوات الاتراك... وجبروت المستعمرين.

فرع حلب يصدر بيانا بتأميم المساكن

كان تصورنا للرد على تحديات الاستعمار والصهيونية هو تأميم المصالح والمؤسسات الاجنبية والغاء المعاهدات والقواعد العسكرية، واجتثاث الاقطاع المادي والسياسي، واقامة اوضاع اجتماعية جديدة لا عشائرية ولا طائفية، وتنظيم الشعب على أساس من الديموقراطية السياسية والاجتماعية.

كانت الجماهير، بما تملك من حدس مرهف وحس سليم اغنته التجارب المريرة وتبشير القيادات الوطنية الواعية، تدرك

حدود مطالبها وأبعادها، اما المثقفون فلا يمكنهم ادراك ذلك الا عن طريق النضال الحزبي المنظم والمستمر والمتفاني في اوساط الشعب، والا فان الاراء النظرية لهؤلاء المثقفين يمكن ان تؤدي الى تشكيلات سياسية تصبح بؤرا للانتهازيين وللطفولة اليسارية [1] والمزاودة، وقابلة للانهيار عن اول تجربة.

انني لا ازال اذكر ان فرع حزبنا في حلب قد اصدر في تلك الفترة بيانا - قبل انعقاد مؤتمر الفلاحين - يطالب فيه بتأميم العقارات وبيوت السكن دون ان يستشير قيادة الحزب في تلك الظروف التي كنا نسعى فيها لكسب الاصدقاء ولجم الاعداء في معركتنا الصعبة مع الاقطاعية، متجهين لاقامة جبهة وطنية مع الاحزاب السياسية على اساس ميثاق وطني.

لقد احدث ذلك البيان اثرا سئيا وضجة كبرى في مدينة حلب، واذكر ان احد اعضاء حزب الشعب سلمني نسخة منه وعلائم الهزء والاستنكار بادية على وجهه، فدهشت لصدور مثل هذا البيان واستدعيت على الفور بعض المسؤولين عن فرع حلب وابنت لهم ان ليس من مبادئنا الاشتراكية تأميم العقارات، وانما نحن نعمل على حل التناقضات الكبرى مع الاستعمار والصهيونية خارجيا، ومع الاقطاع والطائفية والعشائرية داخليا، وكل تخط لهذا هو خارج عن مبادئنا وفي مصلحة الخصوم والاعداء، وان على فرع حلب ان يعلن خطأه وخروجه عن مبادىء الحزب عندما اصدر هذا البيان.

(1) كانت التأميمات العشوائية للمؤسسات الصناعية التي اقدم عليها بعثيو انقلاب الثامن من آذار 1963، والتي استخرجت أسماؤها وعناوينها من دليل الهاتف المثال الصارخ على ذلك.

أواخر 1951: مؤتمر الفلاحين في مدينة حلب ردا على مؤتمر الاقطاعيين في مدينة المعرة.

قرر الحزب العربي الاشتراكي ان يكون مؤتمر الفلاحين المزمع عقده في مدينة حلب بالقرب من مدينة المعرة حيث عقد الاقطاعيون مؤتمرهم، وتحدد يوم الخامس عشر من أيلول عام 1951 موعدا لهذا المؤتمر.

كنت اشعر بالحرج والتوجس كلما اقترب هذا الموعد للاسباب التالية:

اولا: ان مدينة حلب هي بشكل عام القاعدة الانتخابية لحزب الشعب، وعقد مثل هذا المؤتمر فيها سيعتبره الحزب ضربة موجهة له قد تدفعه الى اليأس والى تقويض الوضع البرلماني عن طريق احراج الجيش مهما كلف الثمن.

ثانيا: ان الكشف عن مدى قوة حركة الفلاحين واتساع انتشارها قد يدفع بالقوى الاستعمارية الى الاسراع باقامة الحكم العسكري والقضاء على الوضع البرلماني الذي كان لصالح الحزب والحركة.

ثالثا: قد يعتبر الاقطاعيون عقد المؤتمر فرصة سانحة للاعتداء ونصب الكمائن المسلحة في طريق حسية او المعرة لاغتيال قادة الحزب.

وقد زارني قبل انعقاد المؤتمر بيومين عدد من قادة الحزب فأعربت لهم عن مخاوفي وأبنت لهم أسبابها، فكان رأيهم ان ما أبديته من مخاوف هو من قبيل الاحتمالات، وأنه لا يجوز ارجاء المؤتمر مهما كانت الاسباب، لأن للارجاء آثاره الخطيرة على الحزب وعلى حركة الفلاحين، وهكذا صرف النظر عن التأجيل وتقرر بصورة نهائية عقده.

مهرجان الفلاحين في حلب:

وصفت جريدة "الاشتراكية" مهرجان الفلاحين بحلب على النحو التالي في عددها الصادر بتاريخ 1951/9/21

ما شهدت البلاد حشدا شعبيا منذ سنة 1936 - يوم استقبال وفد المفاوضة السوري بعد عودته من باريز - كهذا الذي شهدته حلب اليوم.

بهذه الجملة علق احد ادباء حلب على مهرجان الحزب العربي الاشتراكي الذي عقد في الشهباء مساء يوم 15 ايلول حالي.

وقال آخر:

كنا نخشى اشد الخشية من وقوع حوادث تخل بالامن وما حسبنا ان فلاحنا السوري اصبح نظاميا الى هذا الحد، لقد شاهدنا حتى اليوم مهرجانات حزبية عديدة لم تخل واحدة منها تقريبا من حادث مؤسف، اتريدون الحق؟ لقد نجحتم حيث فشل غيركم في بلادنا بل في جميع البلاد العربية، عندما هرع الى مهرجانكم في حلب عشرات الالوف من الفلاحين الذين يغادرون قراهم لأول مرة ليشتركوا مع اخوانهم في اكبر مهرجان يعقده حزبهم. لقد كان حديث مهرجان الحزب العربي الاشتراكي على كل شفة ولسان في حلب.

□

في الساعة السادسة من صباح يوم السبت 15 ايلول كانت جميع الفروع الحزبية على استعداد تام للسفر الى معرة النعمان، ومعرة النعمان بالذات تلك البلدة الصامدة امام الاقطاع، كانت المكان الموعود لاجتماع الوفود قبيل السفر الى حلب.

ومن دمشق تحركنا بالسيارة.. كنا ستة رفاق، اثنان من اصحاب الصحف الاسبوعية والاربعة الاخرون من اعضاء الحزب العربي الاشتراكي.

لم نستطع انتظار موكب دمشق فاسرعنا قبله لنلحق بالوفود في جميع المدن، وكانت الساعة قد بلغت التاسعة عندما وصلنا الى القلمون، وفي قرية قارة انبئنا بأن موكب القلمون قد غادر المنطقة الى حماه، فضاعفنا السرعة، وراحت السيارة تنهب بنا الارض بسرعة 160 كيلو مترا في الساعة الى حمص.

اليوم يوم عيد، وحمص تعج عجيجا بأهلها المنتشرين في الشوارع، وفي الزحام الشديد بدت لنا سيارات اعضاء الحزب تتأهب المسير.

عشرون سيارة كبرة (باصات) انضمت اليها بعد قليل سيارات القلمون بدأت تهدر محركاتها صوب معرة النعمان، وتتعالى الهتافات ويصطف الناس على جانبي الطريق ليشاهدوا اخوانهم يتركون الاهل والاصحاب في موسم العيد بجماله وافراحه ليشتركوا في عيدهم الاكبر في حلب.

ونستبق الموكب الى حماة، كان اعضاء الحزب يستوقفوننا في كل قرية نمر بها ليسألوننا بلهفة:

متى يصل العميد؟

انهم يسألون عن اكرم الحوراني ويتهيأون لاستقباله حين مروره بقريتهم ثم لينضموا الى الموكب في طريقه الى الشهباء، وتركنا الرستن وواصلنا السير صوب حماة:

الوف الشباب كانوا بانتظار الموكب خارج البلد.. وصف طويل من السيارات امتد على الطريق العام، ولم ندر كيف سيتم لنا المسير بعد ان احاطت بنا الاجساد تمنع علينا السير ومرة اخرى نسأل: متى يصل العميد؟

وفي البلد: لم نسمع اصوات النواعير من شدة الازدحام وهمهمة الاصوات على الرغم من مرورنا بجوار الناعورتين الكبيرتين. لقد سألنا معتمد فرع حماة عما اذا كنا نحمل سلاحا ولما اجبناه بالنفي قال: اننا نجمع هنا السلاح من الجميع.. نحن نظاميون ولن نترك فرصة تمر الا ونبرهن عن حسن سلوكنا الحزبي، ثم اشار الى صور اخوانه المجاهدين وقال:

- هناك في ساحة القتال نحمل السلاح، أما هنا فلا حاجة لنا به لان اولئك الجبناء لن يستطيعوا مجابهتنا في وضح النهار، وكل مؤامراتهم انما تحاك في ليل قاتم وبين اربعة جدران.

وقال لنا الاستاذ علي عدي: اننا نحافظ على الامن ونؤازر رجاله، ولكنا حين يدعو الامر لن نتركهم يستمرون في عدوانهم، وفي كل مدينة مررنا بها وفي كل قرية ايضا كانت دوريات من رجال الامن تساعد الحزبيين على حفظ الامن في الطريق العام وفي الشوارع وفي المنعطفات، واذكر اننا لم نكد نحاول في خان شيحون اخذ الصور لجموع الفلاحين حتى اسرع احد الضباط يسألنا عن هوياتنا الشخصية وعن مهمتنا ولما عرف بأننا من الصحفيين ابتسم ابتسامة عريضة وقال: ان الامر يدعو الى الحذر الشديد.

من حماة حتى معرة النعمان يمر المرء على عدد كبير من القرى وفي منتصف الطريق تقع قرية كبيرة هي خان شيخون مركز الناحية، جميع هذه القرى كانت تموج بالخلائق وكغيرهم من الفلاحين سألونا بلهفة:

متى يصل العميد؟

ان خان شيخون بشبابها ونسائها واطفالها كانت تنتظر تحت قيظ الشمس المحرقة، وكان الوقت ظهرا، موكب الحزب الاتي من الجنوب، وخان شيخون من القرى الحزبية التي لا تنام على استفزاز.

الاقطاعيون وراء النوافذ في معرة النعمان

- هنا بيت القصيد. قالها احد الرفاق في السيارة عندما بدت المعرة من بعيد وصاح آخر:

- انظروا ... انظروا هذه الحشود، واشار الى نهاية الطريق.

خففنا السير وبدأنا نتأمل معرة النعمان عاصمة الاقطاع الذي انهارت دولته.

الى الامس القريب كانوا يسومون الفلاحين العذاب... واليوم، لا سيد ولا مسود فكلهم ابناء امة واحدة متساوون امامها كما هم متساوون امام امهم، والفلاح يدرك ذلك بحسه السليم وطيبة قلبه.

لقد حدثنا معتمد فرع المعرة عن الوضع في البلدة منذ الصباح فقال:

- لقد بعث الحراكيون الى القئمقام يرجونه ان يطلب إلينا السير بمجموعنا من طريق فرعي لا يمر بنا من الشارع العام، كما طلبوا اليه والى قائد اللواء في حلب ان يحرسهم رغم معرفتهم الاكيدة بأننا لن نعتدي عليهم اذا لم يتحرشوا بنا، ومع ذلك رضخنا لرغبة رجال الادارة وترون المعرة الان بجميع شبابها امامكم، ولما بدا العجب على ملامحنا من كثرة الجموع المحتشدة استطرد قائلا:

المعرة وكذلك قراها متمثلة في هذا الحشد، وضحك ضحكة عريضة فهمنا مغزاها عندما اشار الى الذين اختفوا وراء النوافذ.

وفي الوقت المحدد جاء من يعلن اقتراب الموكب فتهيأنا لاستقباله وفي اللحظة نفسها بدت طلائع الركب وهدرت الجموع ثم وقفت بنظام بديع، وحين وصل العميد تعالت الهتافات وتعانق القوم وبكى بعضهم من شدة الفرح وقذفت العقالات في الفضاء، وعندما صعدنا الى رابية عالية لنحاول ان نتبين آخر سيارة في الموكب لم نستطع ذلك بسبب امتداده وراء منعطفات الطريق واخبرنا راكب احدى السيارات الصغيرة التي وصلت في تلك اللحظة بأن الموكب يمتد الى مسافة عشرة كيلو مترات.

في ليلة المهرجان نفسها دار عملاء الاقطاعيين على المرائب ينثرون الاشاعات ومما قالوه: لا تؤجروا سياراتكم لانها ستتحطم على الطريق فمن لم تنطل عليه هذه الاكذوبة الكبيرة تركوه، ومن ركب رأسه دفعوا له الاموال مضاعفة لكي لا يؤجر سيارته لاعضاء الحزب، ومع ذلك ورغم مناوراتهم نجح المهرجان وتأمنت وسائل النقل ولم يحدث اي حادث يعكر صفو الامن خلال المهرجان وها هي تقارير الدرك والشرطة اوضح دليل على ذلك اما الاخبار التي روجوها عن وقوع بعض الحوادث فان تقارير رجال الامن تكذبها تكذيبا يجدر بمروجيها ان يخجلوا، ولكنهم بعد المهرجان تربصوا في ظلام الليل على الطريق العام كقطاع الطرق وهاجموا السيارات غدرا بعد رجوعها وقذفوها بالحجارة واطلقوا الرصاص على ركابها ثم ولوا الادبار..

□

في الساعة الثالثة تماما تحرك الموكب من معرة النعمان الى حلب، ومرة اخرى ضاعفنا السير، وفي طريق اللاذقية - ادلب، وجدنا حشدا يماثل حشد المعرة في انتظار الموكب وعلى السيارات قرأنا اسماء الفروع:

ادلب، اللاذقية، جبلة، وكثير من قرى العلويين، وهكذا اكتمل الموكب والتقى الجميع فالى حلب:

في تلك الامسية زحفت حلب الى الشوارع والميادين العامة لتشاهد موكب الحزب العربي الاشتراكي، وما كادت السيارات تدخل المدينة حتى علت الهتافات والاناشيد ومر الموكب من شوارعها الرئيسية وشاهد القوم هناك روعة التأخي وتلبية النداء، وامام المكان المخصص للمهرجان في حي الجميلية انتشر الناس على شرفات المنازل وفي منافذ الحي يستمتعون بمشاهدة العراضات، وكان اعضاء الحزب في حلب ومناطق الجزيرة والفرات

يؤلفـون "عراضـات" جميلـة وعلـى دقـات الطبـول يرقصـون رقصـة (الدبكـة) المعروفة.

اما في باحـة الحديقـة فكـان النظـام بـديعا وكـان عريـف الحفـل يصـف للحاضرين بوساطة المذياع دخول الموكب الى حلب. واسـتمر بالوصـف حتـى اقترب الجمع مـن بـاب الحديقـة الواسـعة. عندئـذ صـاح العريـف: العميـد اكـرم الحوراني يدخل الحديقة فحمل العميد على الاكتاف حتـى المقعـد المخصـص له.

ان الحديقة تستوعب خمسة الاف شخص ولكن عدد الموجودين فيهـا فاق هذا العدد بكثير... ومع ذلك بقي الوافـدون مـن حلـب ومـن حمـاة وادلـب واللاذقية وحمص خارج الحديقة لانها ضاقت بمن فيها.

اما منصـة الخطابـة فقـد زينـت بـالاعلام وبلافتـات بيضـاء كتـب عليهـا: "عـاش ابـو الاشـتراكية العربيـة اكـرم الحـوراني" "الشـعب مصـدر كـل قـوة" "الملكية وظيفة اجتماعية" وكتب ايضا "لا طائفية ولا مذهبية، ولا عنصـرية ولا طبقية في نظامنا الاشـتراكي".

وعندما هتف احد الشبان: يعيش اكرم بك الحـوراني، صـاح امـين سـر فرع حلب ايها الاشتراكيون: اننا ننادي بالمساواة فلا مراتب ولا القاب.

وكان يشير بذلك الـى المـادة السـادسـة عشـرة: مـن دسـتور الحـزب التي تلغي الالقاب والمراتب والصنعية ولا تعترف الا باسبقية المواهب، فهتـف الجميع:

عاش ابو رشيد، عاشـت المساواة الحقيقية.

□

افتتح المهرجان على الاثر بكلمـة رحـب فيهـا عريـف الحفـل بالحضـور، ونوه بمبادىء الحزب العربي الاشتراكي وبالتفاف الناس حول هذا الحزب الذي هو من الامة واليها، ثم كانت الكلمة الاولى للاسـتاذ يوسـف ليان، وقد قوطعت بالهتافات المتواصلة لعميد الحزب، ولمهرجان حلب، ثم اعلن عريف الحفـل ان الكلمة الثانية للشاعر الاسـتاذ عبد الباسط الصوفي مندوب الدعايـة فـي فـرع حمص فالقى قصيدة رائعة كان لها احسـن الوقع. وقد نشـرناها في مكـان اخـر من هذا العدد، ثم وقف الاسـتاذ محمد عطورة معتمد فرع حماة والقـى كلمـة.

ثم وقف العامل السيد (صاصيلا) بلباسه الازرق والقى كلمة عمالية نضالية باسم جماهير العمال توجه فيها الى العميد قائلا: يا عميد حزبي المفدى. اني واخواني مع الوف العمال الكادحين نتطلع اليك والى حزبك لتعملوا جميعا على رفع الضيم عنا وعلى تحطيم كل مستغل لمجهود العمال، وانقاذنا من الجوع والبطالة والاستعباد، وقد قوبل السيد صاصيلا بعواصف جامحة من التصفيق تحية للباس الازرق العمالي، ثم كانت الكلمة الرابعة للاستاذ درويش العلواني وفيها تحدث عن نشوء الملكيات الزراعية في سوريا وبين التصفيق الحاد وقف الشاعر نديم محمد والقى قصيدة رائعة استعيدت قراءة ابياتها اكثر من مرة.

وارتجل المحامي الاستاذ عبد الفتاح زلط امين سر فرع حلب كلمة حماسية ثم وقف المحامي الاستاذ ناظم الصقال معتمد فرع حلب والقى كلمة الفرع واخيرا وقف امين سر فرع حلب واعلن ان الكلمة لعميد الحزب العربي الاشتراكي، وما كاد يلفظ اسم اكرم الحوراني حتى دوت الاكف بالتصفيق وعلت الهتافات في الحديقة وفي الشوارع المحيطة بها. ولم يستطع المشرفون على المهرجان اسكات الجماهير الا بصعوبة عندئذ استطرد امين السر قائلا:

يا عميدي: الى من اقدمك الان.. الى الفلاحين وكل فلاح خط في قلبه اسمك الحبيب؟ ام الى العمال، وكل عامل لا يخلو شخصك من خاطره؟ ام الى الشباب الواعي الذي جعلك مثله الاعلى في النضال؟

يا عميدي: انني اقدمك الى اؤلئك القابعين وراء الجدران يحيكون الدسائس والمؤامرات اليهم اقدمك يا عميدي.

وعلت الهتافات مرة اخرى.. وفي هذه المرة ايضا لم تكن الجماهير تكف عن الهتاف الا بصعوبة ووقف العميد وقال:

الكلمة التي ألقيتها في مهرجان حلب

ايها العرب الاشتراكيون

يا رفاق الجهاد

سنوات عديدة مرت علينا في جهاد المستميت، نحارب فيها على جبهات عديدة: ضد الاجنبي والاقطاعي، ضد المستعمر والرأسمالي، وما من مرة خلوت فيها لنفسي الا وساورني شك مقلق بمقدرتنا على تحقيق ما نريد من خير لهذه الامة، ولكن ما من مرة وجدت نفسي بينكم الا وشعرت بقوة عجيبة تصغر بجانبها العقبات وتتضاءل امامها الصعوبات، ان هذه القوة هي قوة الشعب العربي الذي كافح الفناء فصرعه ونازل الموت فارداه.

اجل ايها الرفاق:

نحن ضعاف باحادنا واقوى من الحديد والنار بمجموعنا، وعندما يغلي في صدورنا دم اجدادنا نتمرد على الظلم والطغيان، ونتحسس برسالة امتنا حية في نفوسنا، هذه الرسالة التي جددت وستجدد العالم، واذا كنا لم ندرك حتى الان ما نصبو اليه، واذا كان العرب لم يحتلوا بعد الطليعة في العالم المتحضر، فليس لتقصير الشعب بالنضال، ولكن لتخاذل بعض قادته وتعاميهم عن المشاكل الاساسية التي يعانيها ولتآمر البعض الاخر مع الاجنبي على هذا الوطن، ولذا فمهمة حزبنا الاساسية تتركز في نقاط رئيسية ثلاث:

اولا: تفهم مشكلتنا تفهما واضحا.

ثانيا: افهام هذه المشكلة لاخواننا في الوطن العربي.

ثالثا: حشد جهود امتنا كي نزيح عنها نير الاستعمار الخارجي - استعمار الاجانب- ونير الاستعمار الداخلي - استعمار الاقطاعيين والاستغلاليين والرأسماليين.

ان ما يطلب منا ايها الاشتراكيون ان نكون في الطليعة متراصين متساندين كتلة واحدة صامدة تبقى في الصف الاول، حتى تتحقق مطالب هذه الامة كلها والان ما هي المشكلة التي نعانيها نحن العرب، سواءا كنا في سوريا ام في العراق، في مصر ام في الجزيرة؟

مشاكل الامم - ايها الاخوان - عديدة، ولكنها في ظرف تاريخي معين تتركز حول مشكلة رئيسية تحتل المكان الاول، وعلى حلها يتوقف حل بقية المسائل، ان مشكلتنا يلخصها اسم حزبنا فهو حزب عربي ونهجه في الاصلاح اشتراكي، والاشتراكية نظام اجتماعي، ولكنها تسعى في الدرجة الاولى لتنظيم حياة البلاد الاقتصادية.

لم يكن اختيارنا للشعار الاشتراكي مجرد مصادفة فنحن نعتقد بأن المشكلة الاولى التي يجب ان نعمل على حلها في هذا الظرف التاريخي هي المشكلة الاقتصادية، حتى يخلق لهذه الامة الجو المناسب الذي يسمح لها بأن تنمو نموا طبيعيا صحيحا.

ان دستور الحزب واضح جلي فهو يقوم على الايمان بعبقرية العرب ورسالتهم الانسانية، ولكن لن يتم لهذه الامة الكريمة امر تحقيق رسالتها ما لم ترفع عن اكتافها نير الاستعمارين الداخلي والخارجي اي ما لم تنظم وضعها الاقتصادي على اساس التعاون والعدالة.

ولذا فنحن نناضل الان تحت شعار الاشتراكية، ونستطيع ان نؤكد ان حزبنا هو الذي يمثلها اصدق تمثيل وامر تحقيقها مرهون بمتانة اعصابنا وصلابة عقيدتنا.

ايها العرب الاشتراكيون طوال مئات السنين حاول المستعمرون واذنابهم من الدخلاء ان يذلوا هذه الامة بل حاولوا افناءها اذ سلمو لعملائهم امر السيطرة على منابع الثروة فيها، فخلقوا نبالة مزيفة واقطاعية مستبدة. وأضافوا في القرن العشرين الى هذا وذاك رأسمالية غاشمة اصبحت بمثابة نقطة استناد لطغيانهم، فماذا كانت النتيجة؟

كانت النتيجة: ان تبؤات شرذمة من اللصوص وقطاع الطرق المراكز الرئيسية، فافسدت الضمائر ومزقت الصفوف واذلت النفوس.

كانت النتيجة: قيما معكوسة وفئات دينية وعنصرية تحارب بعضها بعضا ومستعمرا يهزأ بنا ويستأثر بمواردنا ويحتل مراكزنا عوضا عن ان تكون هناك امة كالبنيان المرصوص امة توجه طغيانها

الى صدور المستعمرين والمستغلين بدلا من ان تسددها الى صدور ابنائها المؤمنين.

اجل ايها الرفاق. لقد جرح الوجدان العربي وهذه دماء ابناء هذه الامة تسيل على مرأى الذي يطرب لاستنزافها، ولكن هل قضي على هذه الامة؟ ان في اعماق النفوس العربية قوة صمدت على مر الليالي وها هي الان تستيقظ لتحقيق العدالة التي طالما نشدتها، وما هذه الوجوه التي اراها امامي الان والتي تطفح حماسا وتضيء ايمانا الا تباشير هذه اليقظة المباركة.

ايها الرفاق:

ان مستثمري الشعب وجلاديه قد شرعوا بتنظيم صفوفهم وها هم يلجأون الى كل الوسائل - تارة القوة وتارة المراوغة وافساد الاخلاق - ليحافظوا على امتيازاتهم وهم يستندون على جهاز خارجي مترابط الحلقات يدعمهم ويدعمونه، وقد انشأ له نقطة ارتكاز في دولة اسرائيل العنصرية الرأسمالية، والخصم الاول لكل هؤلاء اللصوص هي حركتنا لانها عربية اشتراكية:

اولا: عربية تؤمن بوحدة العرب لا بهذه الدويلات التي انشأتها السلطات الاجنبية.

ثانيا: اشتراكية تقضي في الصميم على الاستغلال والرجعية والانحلال، وان مشكلة الوطن العربي - ايها الاخوان - واحدة سواء في سورية او العراق او الجزيرة وسواء في المدينة او الريف، نحن جسم حي اذا مس منه عضو شكت سائر الاعضاء، نقول ذلك للذين ينظرون الى الامور من افق ضيق انانى نظرة دنيئة هدامة.

ان من ادوائنا الاساسية الانعزالية التي بثها المستعمر بين صفوفنا، والتي تثير كل دويلة ضد الاخرى وكل بلد ضد الاخر وتخلق التفرقة بين ابناء المدينة والبر، اما نحن العرب الاشتراكيون فنؤمن بأن هذا الوطن وحدة لا تتجزأ ومشكلة قناة السويس في مصر هي مشكلة كل عربي، كما ان مشكلة المدينة هي مشكلة الريف، لا تقولوا بأن المدينة مرفهة على حساب البر، بل قولوا هناك اقطاعي يعيش من عرق الفلاح ورأسمالي يترف من بؤس العامل.

ان مشكلتنا وحدة لا تتجزأ ويجب ان تحل كلها ومن الاساس لا في هيئة الامم ولكن في الوطن العربي ذاته. وستحل اذا ما تضامنتم حتى النهاية وانتم متضامنون باذن الله.

لقد قيل عنا بانا نثير الاحقاد ونقوي الضغائن ونؤلب البر على المدينة لتهضم الحقوق المشروعة، ولكن كلكم تعلمون والدساسون يعلمون بان ما يقولون محض افتراء، فلسنا سلبيين ولا نعتمد كغيرنا على الحسد والاهواء، نحن دعاة وحدة لا دعاة تفرقة ولكن لا وحدة بلا عدالة. واذا كنا نثور فعلى القوانين الجائرة التي شرعت لدعم سيطرة الطغاة والظالمين، فبأي شيء طالبنا حتى الان بأقوالنا وأفعالنا؟ اليس بتطبيق احكام الدستور مع اننا لا نقر به بعض احكامه الرجعية، أفتوجد هناك شريعة تقر نظام السخرة والاتاوات التي يفرضها الاقطاعي على الفلاح؟ قولوا لي بربكم ما هو القانون الذي يجيز التنكيل بالفلاح والاستهتار بعرضه وحرمانه من قوته الضروري ومن حقوقه السياسة والانسانية؟ قولوا لي بربكم انحن في الغاب حتى نتبع شريعة الغاب ام في بلاد هي مهد الحضارات؟ واذا لم نكن في الغاب افتوجد شريعة غير شريعة الغاب تسمح بطرد العمال والبطش بهم والاستهتار بحقوقهم حتى يصبحوا متسولين؟ او ليس العامل انسانا؟

او ليس الفلاح انسانا؟ فليخرس المفترون، الا اننا نحن البناؤون وهم الهدامون وها اننا مستعدون للاحتكام امام جميع الشرائع السماء والارض.

ايها الرفاق الفلاحون: انتم الحجر الاول في بناء هذه الامة انظروا الى هذه السهول الفسيحة التي انشأت منها سواعد اجدادكم حقولا خصبة واهراء كانت تمون العالم، لقد عاثت بها يد الدخيل والاقطاعي فسادا فكادت تحولها الى ارض جدباء، وقسم كبير هو الان منها غير مستثمر والقسم الاخر يزرع على اسوأ الاساليب واقدمها ومن صالح الاجنبي ان يبقى القديم البالي على قدمه ولكن لن يكون له ذلك وقد بدأتم نهضتكم وستعيدون ارض اجدادكم الى سابق مجدها وازدهارها.

ايها الرفاق الفلاحون: لقد بدأتم معركتكم لان الامة قد اصطفتكم لتضعكم في الصف الاول فطوبى لكم، ان اعيننا تنظر اليكم وملؤها امل وايدينا تمتد اليكم فالى الامام وانتم الاعلون..

ايها الرفاق العمال: انتم حجر الزاوية في بناء هذا الوطن الذي علم العالم الفن والصناعة ثم هوى بعد عز. والان اذ يستفيق من غفوته يشعر بحاجته الى سواعدكم وقلوبكم المؤمنة.

وصف جريدة الحوادث الحلبية المستقلة للمهرجان في عددها الصادر في 1951/9/19 وذلك في الكلمة التي كتبها صاحب الجريدة الاستاذ حسين الشعباني:

لقد كان السبت رابع ايام عيد الاضحى المبارك يوما اغر لمعالي الاستاذ اكرم الحوراني في حلب، فقد اجتمع فيه نيف وعشرة آلاف مواطن مستضعف في الارض، من مختلف انحاء البلاد، لسماع هذا الزعيم الشاب المؤمن برسالته، واعلان ولائهم له وتأييدهم دعوته واستجابتهم لندائه، لم تجمعهم عصا من عصي الدرك كما كانت تجمعهم في المواكب الرسمية، ولا بهرتهم روعة السلطة والحكم فجاءوا يلوذون بها، ولا اغراهم بريق المال ولا بهجة المنافع فاجتمعوا يعبون ويغترفون.

فكم بينهم من صام يومه ليوفر اجرة سيارته.

وكم بينهم من حمل رغيفه تحت ابطه ودلف ماشيا الى الحاضرة ليكحل عينيه برؤية النور المؤتلق.

وكم بينهم من غادر قريته تحت جنح الظلام وهو يعرف انه سيعود اليها ليتلقى سياط صاحب ارضه.

وليس يضير للاشتراكية ان يكون ذلك اليوم لزعيمها لا لها، فان العقيدة في بلادنا ما تبرح صنو الشخص تعلو بعلوه وتسمو بسموه، ويؤمن بها قومه على قدر حسن سيرته فيهم ونقاء سريرته عندهم، كذلك كان نجاح جميع الرسالات الدينية والاجتماعية على مدى الدهور وكر العصور، فقد انتقل ايمان الناس بالقوانين عليها الى الايمان بها، ولو لم يكن القوامون اهلا للثقة لماضيهم وحاضرهم وموضعا للاعجاب بمزاياهم الخلقية وحياتهم الاجتماعية لما نهضت رسالة على قدم ولا اجتمعت شيعة على مبدأ.

لم يكن عسيرا على خصوم الحوراني من الذين ساءتهم دعوته واثارت في نفوسهم كوامن الحقد والضغينة عليه، ان يجمعوا الاف مؤلفة تفوق عدة مرات تلك الالاف التي اجتمعت له في يومه العظيم بحلب، فذلك ميسور لهم وهين عليهم، ما دام في نطاق قدرتهم ان يقودوا جماهير فلاحيهم واجرائهم الى اي ساحة من ساحات المدينة، وفي حدود امكانياتهم ان يلقنوها عبارات الهتافات ببقاء ملكياتهم الواسعة واستمرار سيطرتهم المسيطرة على الارض.

ولكنهم لا شك يعجزون عن استدراك الفارق الكبير بين الروعة التي تكون لموكب حي تجمعه الرغبة الملحة في الاجتماع والاستجابة النفسية الكاملة لدواعيه، وبين الكآبة التي ترين على موكب مصطنع تجمعه الحاجة الملحة الى رغيف الخبز، والخوف الاسود من فوات شحيح الرزق.

لقد كان يوما فاصلا في حياة البلاد ومستقبلها لا يعد له يوم من ايامها المعدودات الا يوم الجلاء، ولكن فخر يوم الجلاء كان موزعا على حفنة من رجال النضال الوطني وكان فخر يوم الحوراني وقفا على شخصه لا يشاركه به مشارك ولا ينازعه عليه منازع.

ولكن رجال النضال الوطني كانوا يحاربون عدوا دخيلا وهم في مأمن ومنجاة من طعنة تأتيهم من الخلف وكان جهاد الحوراني مخيفا شائكا يحارب فيه عدوا داخليا يتناوشه من خلفه ومن قدامه وعن يمينه وعن شماله ولا يعرف كيف يتقي طعناته ولا يدري متى تأتي الطعنة المميتة، فلا جرم ان يكون يومه اروع وافخم لان يوم الجلاء مقدمة ليوم الحوراني والاول لا لون له ولا طعم من غير الثاني.

على ان يوم الحوراني اذا كان يوما فاصلا بين مجتمع يسود فيه الفرد بانانيته ومصالحه واهوائه، وبين مجتمع مرجو يعمل فيه الفرد لمصلحة المجموع فانه على هذا الاعتبار يوم رمزي بل هو بداية مرحلة نضال الجماهير الشعبية ضد مجموعات من المصالح والنزعات الشخصية المؤتلفة وقد سميناه يوما لانه سجل امكانية اجتماع الفلاحين الضعفاء على صعيد

واحد ليؤلفوا القوة الجامحة التي تطيح بالاقوياء، وهو ما لم تستطعه ولم تدركه جماهير العمال في المدن على الرغم من انتظامها في نقابات واتحادات وعلى الرغم من اقرار قانون العمال لكامل حقوقها، ومن تقنين العمل في ايام وساعات ومن صرف حد اعلى وادنى للاجور والجعالات ومن تحديد لحدود التسريحات والتعويضات، ولعل العمال قد الهاهم اختلافهم على الغنيمة وطمعهم في استنزاف دم الضحية عن الغاية العليا والهدف الاسمى فانصرفوا عن احتلال مكانتهم، واداء قسطهم في حمل اعباء القومية بينما زاد شعور الفلاحين بالغبن من يقظتهم وتحفزهم الى العمل فلما وجدوا الزعيم وسمعوا الرسالة وثبوا الى ميدان النضال فرحين مستبشرين وبايعوا مؤمنين مخلصين.

ولعل اصحاب العمل كانوا اذكى واكثر ادراكا لواقع الحال فلم يقابلوا حتى العامل بالاستنكار والاستهجان وبادروا الى الاعتراف به والاذعان لنصوص القانون، وكان اصحاب الاراضي اكثر غباوة واشد عنادا ولعلهم قد خادعوا انفسهم بكثرتهم العددية في المجلس النيابي وغلبتهم في زعامات الاحزاب السياسية فقاموا ينكرون الدعوة الجديدة ويكابرون ويستكبرون ويتهددون ويتوعدون فجاء يوم الحوراني محطما اسطورتهم ونذيرا لهم بزوال نفوذهم وسيطرتهم.

فهل يتعظون؟ وهل يتنكبون عن خوض المعركة قبل ان تطأهم سنابك خيلها؟ الا ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب؟

□

لقد أثار مهرجان الفلاحين في حلب اهتمام الصحف الاجنبية فأشارت الى تفاصيله صحف المانشستر غارديان والتايمس اللندنية، والنيويورك تايمز، وخصصت لذلك اماكن بارزة من صفحاتها الرئيسية، كما اذاعت النبأ محطات الاذاعة وامهات الصحف العربية، وأشارت اليه وكالة رويتر بما يلي:

مهرجان حلب ينادي بالاصلاح الزراعي. دمشق 19 ايلول.

توافدت الاف من جماهير الفلاحين من مختلف انحاء سوريا للاشتراك في مؤتمر الحزب العربي الاشتراكي الذي نظمه ضد الاقطاعية، وقد افتتح المؤتمر امس باقبال هائل من

الجماهير المتظاهرة المطالبة بتحطيم الاقطاعية وتحديد الملكية، وكان العميد اكرم الحوراني على رأس المؤتمر الذي افتتحه داعيا الى تحديد الملكية عن طريق ايجاد دساتير تلاءم وروح الاشتراكية في البلاد العربية.

هذا وقد اتخذ المؤتمر مقررات بتحديد الملكية والمحافظة على حقوق الفلاحين.

□

بعد انتهاء مؤتمر الفلاحين اصدرت مفوضية الدعاية في الحزب العربي الاشتراكي البلاغ التالي عن اعتداءات الاقطاعيين:

1- قام بعض اغوات قلعة المضيق باطلاق الرصاص من رشاشاتهم في اليوم الاول من عيد الاضحى المبارك فاصابوا مدير الناحية ومخفر الدرك. وسقط من الاهالي جرحى عديدون. ولم يجرح من المعتدين سوى اثنين.

2- وقام في المعرة جماعة الحراكي باحراق سيارة لاحد الاشخاص ليلا وتلصصا، كما اعترضوا احدى السيارات المنفردة العائدة من مهرجان حلب ليلا على الطريق العام وانهالوا عليها بالحجارة والرصاص فجرح عدد من ركاب السيارة.

3- وهاجم مختار البرازي في قضاء مصياف قرية (السويدا) وقتل قسما كبيرا من ابقارها ومواشيها. وهذا هو الاعتداء الثالث المسلح على هذه القرية خلال هذه الشهور الاخيرة.

4- وهاجم رامي البرازي خلال عطلة العيد قرية (طلف) في محافظة حماة وقتل ايضا قسما كبيرا من ابقارها ومواشيها.

هذه الحوادث المجرمة المسلحة المتكررة هي كلها من عمل الاقطاعيين. ولم يرد عليها الحزب العربي الاشتراكي حتى الان ولا بما يجيزه حق الدفاع المشروع، منتظرا من الحكومة موقفا حاسما تجاه هؤلاء المعتدين الاثمين.

ان هذه الحوادث التي وقعت خارج مدينة حلب قبيل المهرجان وبعده لم تشوهه ولم تنقص من روعته، بل ان الحزب العربي الاشتراكي قد برهن

على مدى تقيده بالنظام ومحافظته على الامن بمهرجانه الذي لم تشـهد لـه مدينة حلب مثيلا ولم تعكره اية حادثة.

أواخـر 1951: طـرح معاهـدة الـدفاع عـن الشـرق الاوسط على الدول العربية - استقالة وزارة حسـن الحكيم - ازمة وزاريـة بسـبب اصـرار حـزب الشـعب على الحـاق قـوى الـدرك بـوزارة الداخليـة بـدلا مـن الجيش.

بتـاريخ 10 تشـرين الثـاني 1951 انفجـرت عقـدة التناقضـات العديدة المتشابكة في الوضـع السـوري، فاسـتقالت وزارة حسـن الحكيم ونشبت ازمة وزارية استمرت ثمانية عشر يوما الـف بعـدها الدكتور معروف الدواليبي وزارة اليوم الواحد، اذ اقدم الجيش علـى تغيير الوضع برمته، واستلم زمام الامـور فـي الـبلاد، وحـل مجلـس النواب.

فما هي اهم التناقضات التـي ادت لـذلك الانفجـار؟ وكيـف تطـورت تلـك التناقضـات المتشـابكة؟.. وكيـف انقلبـت المواقـف وحـدثت المفاجآت؟

وما هي الاسباب الخفية لتفاعل هذه الاحـداث التـي كانـت تسـير جميعها باتجاه قيـام ديكتاتوريـة عسـكرية هـذا مـا سـنتحدث عنـه بالتفصيل فيما يلي:

لقد شعر رشـدي الكيخيا وناظم القدسـي ومن حولهمـا مـن نواب حزب الشعب ان استمرار الوضع البرلماني الديموقراطي، مـع صـعوبة السـيطرة عليـه، يسـير بهـم نحـو نهايـة هـذه السـيطرة بصـفتهم حـزب الاكثريـة، فقـوات الـدرك وهـي السـلطة التـي يستطيعون بواسطتها تأمين النفوذ والمصالح الاقتصادية والانتخابية لم تعد في يدهم ولا سيما بعد ان اصبحت حركة الفلاحين تشكل تهديدا مباشرا لاصواتهم الانتخابية في الريف.

وبالاضافة الى ذلك فقد كانت الضغوط الخارجية على الوضـع في سورية قوية الى درجة لا يمكن لحزب الشعب - ضـمن الوضـع الحالي - ان يتحملها، او يسير بتحقيق اغراضها، فلم يكن اذن مـن حل الا ارغام الجيش على الحاق قـوات الـدرك بـوزارة الداخليـة، او

جعل الجيش يلجأ الى الانقلاب واستلام السلطة، وهذا ما يتمنى حدوثه ويدفع اليه كل من الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا والمحوران العربيان السعودية والعراق.

كان معروف الدواليبي مع الجبهة الاشتراكية الاسلامية يسير بخط الاحزاب والقوى الوطنية في مصر، وكان يطمح بمساندة ودعم الاحزاب الوطنية التقدمية في سورية ان يصل الى رئاسة الحكومة - بعد انتهاء مدة رئاسة المجلس - ذلك المطمح الذي كان ناظم القدسي وهاشم الاتاسي يحولان دون بلوغه.

وفي الوقت نفسه فانه كان لا بد لرشدي الكيخيا، الذي كانت استقالته من رئاسة المجلس مقدمة لفتح المعركة مع الجيش، من توحيد حزب الشعب وراءه اولا، ثم تأمين حلفاء أقوياء في الجبهة الاشتراكية الاسلامية والحزب الوطني، أي ان يفتح الازمة وهو قائد لهذه الاحزاب وللاحزاب التقدمية التي ستكون مقاومة لأي حكم عسكري، وكان مقدرا - خطأ - ان الشيشكلي اذا قام بانقلاب عسكري فانه سيتكرر معه ما حدث في الماضي تماما:

يعود حزب الشعب لمعارضته السلبية ويترك الحكم العسكري لتناقضاته وللتناقضات العربية والدولية حتى يسقط، فيعود الحزب للحكم قويا من جديد، وهل ستخسر قيادات هذا الحزب تحت ظل حكم الشيشكلي اكثر مما تخسره في ظل الحكم البرلماني الديموقراطي؟

ان زعاماتها السياسية ستقوى بمعارضتها للحكم العسكري، كما ان مصالحها الطبقية ستكون مصونة في ظل الحكم العسكري اكثر مما لو كانت على رأس الحكم في تلك الظروف.

ومن جهة ثانية فقد شكل بعض النواب الموالين لمشاريع الغرب وعلى رأسهم حسني البرازي وعبد الرحمن العظم كتلة برلمانية أطلقوا عليها اسم: "المستقلين" تحت شعار تنفيذ احكام الدستور نصا وروحا، وقد لعبت هذه الكتلة دورا هاما في دفع

الازمة مع الجيش الى نهايتها، ولوحظ اعطاؤها اعلاميا اهمية خاصة مصطنعة رغم قلة عدد أعضائها.

هذه هي الملامح الرئيسية للوضع العام الذي تم فيه تفجير الازمة وتقويض النظام البرلماني الديموقراطي.

لقد كانت خطة حزب الشعب بقيادة رشدي الكيخيا. قبل تفجير الازمة، وردا على مؤتمر الفلاحين في حلب، الظهور بمظهر الحزب التقدمي والمنفذ للميثاق الذي تم وضعه بمساعي رئيس مجلس النواب الدكتور معروف الدوالبي، فبادر هذا الحزب لتقديم مشروع قانونين لتحديد الملكية وتوزيع اراضي الدولة..

وعلى الرغم من ان المشروعين ليس لهما مفعول رجعي فان الاقطاعية قد ثارت ثورتها وقامت قيامتها فهي ترفض السماح بتحديد الملكية حتى بالنسبة للمستقبل، وهكذا لجأ النواب الاقطاعيون لاسلوب التغيب عن المجلس لتعطيل نصاب الجلسات، بينما شنت صحف الاحزاب المؤتلفة حملة عنيفة على هذين القانونين وفي جلسة 1951/9/6 قال الدواليبي رئيس المجلس:

أرى من واجبي قبل ان يبدأ المجلس بمناقشة تقارير اللجان الخاصة بالقوانين التابعة لاملاك الدولة وتحديد الملكية، ان الفت النظر الى ما جاء في بعض الصحف من كلمات نابية بعيدة عن الذوق والاخلاق والكرامة الوطنية، وكان الدواليبي يشير الى جريدة بردى وهي من صحف الحزب الوطني وحزب فيصل العسلي وكانت قد كتبت:

"استغرب الناس ان يتقدم السيد رشدي الكيخيا الى مجلس النواب بمشروع قانون تحديد الملكية، ولم يقف استغراب الناس عند تقديم مشروع القانون بل زاد يوم اتمت لجنة القوانين دراسة المشروع ورفعته الى المجلس وعاهد الشيخ معروف الدواليبي رئيس مجلس النواب زملاءه الذين سافروا في جملة الرهط البرلماني الى استانبول لتمثيل سوريا في المؤتمر البرلماني، بأنه سيؤخر عرض المشروع على المجلس حتى يعودوا من مهمتهم ليشتركوا في مناقشته، ولكن لم يكد هؤلاء النواب يسافرون حتى اسرع الشيخ معروف ودرج المشروع في جدول اعمال جلسة النواب السابقة وأرسل الى السيد

رشدي الكيخيا بلاغا حزبيا يدعو كل نواب حزب الشعب الى حضور جلسات المجلس للاشتراك في مناقشة المشروع، كأن هناك مؤامرة من حزب الشعب على سلق المشروع واقراره قبل عودة بعض النواب من استانبول، لذلك نلفت نظر رئيس الوزراء والنواب غير المتآمرين الى تأجيل المناقشة في المشروع حتى يعود اكثر النواب من مصايفهم ومن مهمتهم الرسمية في استانبول، ليكون عرض المشروع واقراره مشروعا في نظر المجلس على الاقل".

وقال الدكتور معروف الدواليبي ان هذه الاهانة توجه الى المجلس لا الى رئاسته، واكد انه لم يعد اعضاء الوفد البرلماني الى استانبول بتأجيل المناقشة حتى عودتهم، ولكن هذه الفرية ادت الى تعطيل مناقشة المشروع فترة اخرى، فبدأ المجلس بمناقشة تقرير لجنة القوانين العامة حول مشروع قانون املاك الدولة، ومع ذلك حاول بعض النواب تأجيل مناقشته، فاضطررت للتصدي لهذه المحاولات قائلا: "اريد ان الفت نظر الزملاء ونظر الصحافة الى ان اسرائيل التي قامت على حدودنا والتي ربضت في قلب البلاد العربية قد بنت نظامها الاجتماعي والاقتصادي على احدث نظريات القرن العشرين، واذا اردنا ان نحيا وجب علينا ان نغير افكارنا وان نتجه اتجاها اجتماعيا صحيحا يشعر بأن للامة مصيرا واحدا وان الفرد لا مصير مستقل له عن مصير الاخرين، وان مصلحة الامة ومصلحة المجموع فوق مصلحة الافراد والاسر والنواب".

لم ينزعج رشدي الكيخيا من حملة الاقطاعيين والصحف الرجعية لأنها حققت الغرض الذي يرمي اليه وهو اقامة الدليل على انه زعيم تقدمي متطور، ولكن غاظه كثيرا اعلاني بأن هذين القانونين هما تكريس قانوني وشرعي للملكيات القائمة اذ قلت في الجلسة ذاتها:

"ان اقتراح تحديد الملكية المطروح على المجلس هو قانون لا يمس الماضي لا من بعيد ولا من قريب، وانما هو قانون رجعي يبقي على جميع الملكيات السابقة في وضعها الحالي ويعطيها الصفة الشرعية.

أما مشروع قانون أملاك الدولة فانه لا يبحث في الماضي ايضا وانما ينظم اوضاع املاك الدولة بالنسبة للمستقبل".

وقد علقت على هذا الموضوع في جريدة الاشتراكية (51/7/9) بمقال عنوانه "تحت قبة البرلمان" ورد فيه ما يلي:

لا بد من القاء نظرة عجلى على مشروع قانون املاك الدولة ومشروع قانون تحديد الملكية المعروضين على المجلس النيابي حتى نفهم حقيقة ما يجري في المجلس النيابي حول هذين المشروعين:

مشروع قانون املاك الدولة: ان القرار 275 والقوانين العقارية الاخرى لم تعتبر الاراضي الخالية والموات التي لا صاحب لها من اراضي املاك الدولة اذا لم تكن محددة ومسجلة باسم الدولة، ولذلك سهل الاستيلاء عليها من قبل المغتصبين والمتنفذين والاجانب الدخلاء فتكونت اقطاعيات بملايين الدونمات في بعض انحاء البلاد.

وضعت المادة الاولى من هذا المشروع اراضي املاك الدولة عامة سواء المسجلة منها وغير المسجلة تحت اشراف الدولة مباشرة لتوزيعها وفق خطة تؤمن العدالة الاجتماعية وتقضي على شريعة الغاب.

واستهدفت المادة الثانية نشر الملكية الزراعية الصغيرة والمتوسطة، أما المادتان الثالثة والرابعة فتتعلقان بعقوبة صارمة بحق الذين يغتصبون اراضي املاك الدولة، وبموضوع احتياز بعض الافراد بمعاملات شكلية واهية غير صحيحة على مساحات شاسعة من اراضي املاك الدولة بطريق التفويض ببدل المثل، فأجاز اعادة النظر بهذه المعاملات والاقرار بالمساحات الزهيدة واعادة ما يزيد عنها للدولة لتوزعها على الفلاحين.

ومنحت المادة الخامسة للوزير المختص صلاحية اسقاط حق الارتفاق عن اراضي املاك الدولة دفعا لسوء الاستعمال، ليسهل على الدولة توزيعها على الفلاحين المحرومين.

ولم تعترف المادة السادسة من هذا المشروع الا على المساحة الواردة بسندات التمليك أما ما زاد منها فتعود ملكيته للدولة.

وحرمت المادة السابعة توزيع اراضي املاك الدولة على الاجانب كما جرى ذلك في السابق وحصرت هذا الحق بالمواطنين.

مشروع قانون تحديد الملكية:

اوجب هذا المشروع تحديد الملكية الزراعية بأربعة آلاف دونم بالأراضي البعل وخمسمائة دونم في الاراضي المروية.

اما المواد الاخرى من مشروع هذا القانون فلا تخرج عن تنظيم وضمانة تنفيذ احكام المادة الاولى منه.

يتضح من ذلك ان المشروع الاول الخاص باملاك الدولة ليس له مفعول ايجابي بالنسبة لملايين الدونمات التي سلبت في الماضي، وانما يهدف الى تنظيم توزيع اراضي املاك الدولة على المواطنين بالنسبة للمستقبل، وان جنون الاقطاعيين على هذا القانون لا نجد له تفسيرا الا لانهم يريدون الاستمرار بالاعتداء على اراضي املاك الدولة.

أما قانون تحديد الملكية فليس له اي مفعول رجعي ولا يغير من اوضاع الملكية في البلاد شيئا استنادا الى الدستور الذي جاء باسم التقدمية وتحديد الملكية ليعطي الملكيات التي اغتصبها الاقطاعيون من الناس والدولة بالدم والدموع والاحتلال والتزوير صفة شرعية، وأما سر جنون الاقطاعيين من هذا القانون الذي لا يطول ملكياتهم الواسعة فهو طمعهم بتوسيع ما اغتصبوه، فلهذه الاسباب اجازوا لانفسهم تعطيل جلسات المجلس النيابي اكثر من مرة، ولم يقفوا عند هذا الحد بل تعدوه الى اساليب التهديد والوعيد، اي الاساليب التي اتبعوها في اغتصاب ملايين الدونمات.

البدء بتفجير الازمة مع اديب الشيشكلي.

وفي جلسة المجلس التي تمت في 22 أيلول 1951 ألقى رشدي الكيخيا زعيم الاكثرية كلمة جاء فيها:

"نحن لم نمنح الحكومة (حكومة حسن الحكيم) الثقة الا بعد ان تلقينا وعدا قاطعا بأنها في مدة وجيزة ستمارس الصلاحيات التي نص عليها الدستور كاملة غير منقوصة اذ لا يجوز بحال من الاحوال ان تكون هناك حكومة في قلب حكومة تمارس صلاحياتها دون ان تكون مسؤولية عنها امام المجلس، والحكومة قطعت عهدا على نفسها بأن تستلم قوى الامن الداخلي بكاملها لكي تسيرها وفق

المصلحة العامة... لقد تريثنا طويلا وتسامحنا كثيرا مسايرة لفريق من النواب الذين رأوا ان تحل هذه القضايا دون اثارتها في المجلس. ولكن آن الاوان لان نضع النقاط على الحروف لاننا نرى الامور تسير من سيء الى أسوأ فاما ان نتمكن من ان نبرهن للملأ ان ما كنا ننتقد عليه غيرنا في الماضي يجب ان لا نرضاه نحن انفسنا الان واما ان نخرج جميعا من هذا المجلس".

ويعلق حسن الحكيم في مذكراته على هذا الموقف:

"ولا أعلم ان كان التاريخ يسجل بعد ذلك فعلة حزب الشعب التي حطمت العهد، ويحمله مسؤولية ما أقدم عليه الجيش من تغيير الوضع، وهنا أجد من الانصاف ان أنوه بأن الجيش لم يتدخل في عهدي بأي عمل من اعمال الحكومة. والوزراء الشعبيون لا يستطيعون انكار ذلك، بل بالعكس كان رئيس الاركان العقيد اديب الشيشكلي يقول لي: استدعني في اي وقت شئت، وقل لي ما هي ملاحظاتك على الجيش لاسارع الى تلافيها". (مذكرات حسن الحكيم - من 70 الجزء الثاني).

وفي الجلسة نفسها تلقفت الكرة جماعة نوري السعيد فأعلن حسني البرازي عن أمله:

"بتحسين الحالة الشاذة التي نعانيها منذ بدأنا عملنا كمجلس تأسيسي وجرحنا في كراماتنا فأهينت كرامة هذه الامة لاننا نحن نمثلها، وما يهيننا يهينها... والامة اصبحت تعلم اننا ندخل هذا المجلس عناترة جبابرة ولكننا في الحقيقة كالنعامة... حتى اصبحنا في حالة لا يتحملها العبيد. فقد خنا الدستور وحنثنا بيميننا على الاخلاص له... واصبحت الحكومات الاعيب بيد من تعرفونه ولو كانت تربطني به رابطة العمة" (أديب الشيشكلي ابن عمه حسني البرازي).

أما جلال السيد فقد ألقى كلمة شكر فيها الذين رحبوا بعودته عن استقالته من المجلس ثم قال:

"ان الاوضاع لم تزل في غير نصابها، وان هذا المجلس ما زال مشلولا معطل الصلاحيات الدستورية، فلا الحكومات تأتي برضاه ولا هي تذهب بغضبه، وانما هناك سلطات فوق هذه السلطات وهي تأتي بالحكومات وهي التي تذهب بها".

وسرعان ما هلل الحزب الوطني لمناورة رشدي الكيخيا وراحت صحافته تستغل هذه المناورة لصالح الهدف العام وهو رمي المسؤولية على الحزب العربي الاشتراكي والتحريض لضربه، فقد قال نجيب الريس في افتتاحية طويلة، بعد ان اثنى على "شجاعة" الكيخيا وأيد خطابه في مجلس النواب "لماذا هذه الغضبة يا سيدي الرئيس؟ الان سكارى الحكم من حزب الشعب قد صحوا من سكرتهم؟! ام لان الذمة والضمير والاخلاق لم تعد تطيق ان تتحمل اكثر مما تحملت من الصبر والتغاضي عن هذا الوضع الذي لم يفرض مثله على سوريا في جميع ادوارها السياسية؟! ام لان اكرم الحوراني غزا حزب الشعب في عقر داره وعقد مؤتمره الاشتراكي او الشيوعي في حلب التي كانت معقل حزب الشعب ومصدر قوته، والتي امدته مع اقضيتها بأكبر كمية من النواب حين غاب الحزب الوطني وقاطع الانتخابات في عهد المرحوم سامي الحناوي؟.. لا بأس ان تغضبوا ولو جاء غضبكم متأخرا، فان الرجوع الى الحق فضيلة. وسواء اكانت هذه الغضبة لوجه البلاد او لوجه حزب الشعب فان الناس سمعوا منكم لاول مرة ان قوى الامن ليست في يد الوزارة وان الدرك تابع لاكرم الحوراني اكثر مما هو تابع لرشاد برمدا وزير الداخلية وممثل حزب الشعب في الوزارة، والا فكيف يحمي رجال الدرك وضباطه الفلاحين الذين ساقهم اكرم الحوراني من قرى حماة والمعرة في نيف وثمانين سيارة بين كبيرة وصغيرة الى الشهباء هاتفين بسقوط الملاكين؟"

على ان الدكتور معروف الدواليبي، والذي كان لا يزال رئيسا للمجلس النيابي، صرح للصحف قائلا:

"ان ما اثير في الجلسة من مواضيع قد انتهى عند الحد المذكور. وان الوضع في البلاد طبيعي تماما... ولم يحدث على حد علمي الى الان ما يستوجب اثارة اي ازمة"... فعلقت "القبس" على ذلك بقولها: "لا ريب في ان قول رئيس المجلس هو وحده غير صحيح وأنه مخالف للحقيقة والواقع كل المخالفة، ولم يؤيده في هذا الزعم الباطل سوى السيد اكرم الحوراني الذي

قال للسيد صبحي العمري في لجنة الشؤون الخارجية ان الوضع الداخلي مستقر وسليم، اما ما قاله السيد رشدي الكيخيا فهو الصحيح، والا لما أيده الاستاذ صبري العسلي الامين العام للحزب الوطني.. على اننا نحب ان نذكر السيد رشدي الكيخيا بأن في حزب الشعب جناحين: جناحا ابيض وجناحا احمر... وان هؤلاء الحمر هم الى رفاقة اكرم الحوراني اقرب وأطوع منهم الى رئاسة الكيخيا، ولقد صدق ظننا فهذا الشيخ الدواليبي اول احمر يخرج على رئيسه ويشذ عن زملائه في الحزب وفي المجلس معا فيصرح بأن ما قاله هذا الرئيس هو غير صحيح البتة... فهل الوضع طبيعي وسليم يا شيخ معروف اذا كانت السياسة الخارجية تفرض فرضا على البلاد دون علم وزير الخارجية ودون علم حتى رئيس الحكومة ومجلس الوزراء؟

ان من حقنا ان نقول لرئيس حزب الشعب: حاذر ان يتغلب هؤلاء الحمر من أصحاب الميول اليسارية او الشيوعية في حزبك على البيض الديمقراطيين" - القبس: 30 ايلول 1951-.

وفي الجلسة التالية التي عقدها البرلمان بتاريخ 1 تشرين الاول لوح رشدي الكيخيا بعصا التهديد لمعروف الدواليبي فجرت انتخابات مكتب المجلس واقصي الدواليبي عن الرئاسة وحل محله الدكتور ناظم القدسي، وقد استغل جلال السيد وحسني البرازي مناسبة تهنئة القدسي برئاسة المجلس فعادا للنفخ بنار الازمة فقال البرازي: "ان الصبر قد نفذ ولا يمكن السكوت بعد الان وان المجلس كله مذل مهان".

لذلك لم ار بدا من الرد فقلت: **"انه لا يسعني ان اتقبل بعض العبارات التي تعتبر مهينة لي باعتباري عضوا في هذا المجلس. فأنا لست عبدا ولا يمكن ان أكون من العبيد، بل أنا حر واعتقد ان الزملاء اعضاء المجلس النيابي احرار لا عبيد، ونحن نجاهد ونناضل، والامة ايضا تجاهد وتناضل، للقضاء نهائيا على العبودية في هذه البلاد، نحن نناضل لتحرير الشعب فاذن نحن لا نقبل بشكل من الاشكال ان ينعت المجلس والمقامات العليا بالعبودية وأن ننعت بالفاظ تمس الكرامة وتمس الشهامة وتمس المروءة، وأعتقد ايضا انه اذا شعر اي نائب بأنه عبد في هذا المجلس فمن واجبه ان**

يغادره غير مأسوف عليه، واذا كان دخوله الى هذا المجلس يجعله عبدا فالحرية اثمن بكثير من الدخول الى المجالس النيابية، فما الدخول الى المجالس النيابية الا وسيلة لتحرير الشعوب. العبد هو من يحكم اهل وطنه في ظل الاجنبي. العبد هو من يصانع الاستعمار على امته وبلاده، العبد هو من يتآمر مع المستعمرين على وطنه، العبد هو من يستغل الظروف السيئة التي تمر بها البلاد في سبيل القضاء على حرية الشعب، ان التجارب المريرة التي عاناها شعبنا منذ الاحتلال الفرنسي جعلته يعرف كيف يعري السياسيين ويميز العبيد من الاحرار، والشعب السوري لا ينسى مواقف السياسيين في هذه البلاد. انه يتذكرها جيدا ويعرف الحر من العبد ويعرف الذي اساء الى وطنه من الذي جاهد وناضل في سبيل وطنه، وهو يذكر كل حادث وكل موقف، ولذلك لا مجال للتلبيس والالتباس، واذا كان هناك يا سيدي الرئيس خلل في عدم تطبيق الدستور، فقد عانينا هذا الامر منذ عام 1943 وانت تعلم كيف كنا ننادي ونعمل جاهدين لتطبيق الدستور نصا وروحا، فكنا اذا شعرنا بأي خلل في تطبيق الدستور نجاهد ونناضل مجتمعين لتحقيق هذه الغاية النبيلة، فلم نكن مهدمين، ولم نكن نظهر الشجاعة على حد قول ابي الطيب المتنبي:

واذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزالا

ان ساحات النضال معلومة، والذين خاضوا هذه الساحات معروفون، وقد قدم الشعب الاضاحي والدماء بينما كان الاخرون يضحكون ويهزأون ويسمرون ويمرون بهذه الدماء مرور اللئام لا مرور الكرام.

ولذلك فنحن مجتمعين ومتفقين نعمل جاهدين لتطبيق احكام الدستور نصا وروحا، لا مهدمين ولا مستغلين ولا مشنعين على بلادنا ولا معطين الوسائل للاجنبي لاستثمار اوضاعنا ونشر الدعايات الكاذبة وخلق الاضاليل والاباطيل وتفريق القوى الوطنية وان سبيل التهديم معروف وسبيل الاصلاح معروف ايضا".

بعد ان امن الكيخيا توحيد الصف مع الاحزاب المؤتلفة، بقي عليه ان يضرب ضربته الثانية التي تؤمن في آن واحد توحيد حزب الشعب والتحالف مع الجبهة الاشتراكية الاسلامية، وذلك بأن شكل معروف الدواليبي الوزارة بعد ازاحة حسن الحكيم عنها، وهذه المرة كانت الطعنة مفاجئة لحسن الحكيم جعلته يقول في مذكراته:

"لم يدر في خلدي قط انه يفاجئني حزب الشعب بهذا الموقف.. اذ ليس من المعقول ابدا ان يقترح حزب الشعب تكليفي بتأليف الوزارة ثم يسعى لزحزحتي عن الحكم، بل ليس من الوفاء ان يقدمني لانقاذ الموقف ثم يتآمر علي" (الجزء الثاني ص66-68)

كيف حدثت هذه الطعنة؟ وكيف تغيرت المواقع؟ وكيف توحدت صفوف حزب الشعب ضد الجيش، وكيف تم التقارب بعد العداء المستحكم بين حزب الشعب والاحزاب المؤتلفة؟.. وأين كان يقف حسن الحكيم الذي يرأس وزارة شعبية تؤيد اكثريتها اتجاه معروف الدواليبي بالسير بسياسة جبهوية وطنية والمحافظة على الديمقراطية البرلمانية، ومؤازرة نضال القوى الوطنية في مصر؟

كان مجيء حسن الحكيم لرئاسة الوزارة بمبادرة رئيس الجمهورية واصدقاء الانكليز في حزب الشعب، ثم في اقناع السعودية للشيشكلي بالموافقة على تشكيل الحكومة برئاسة حسن الحكيم والتفاهم معه والذي حدث ان حسن الحكيم الذي كان حزب الشعب يرجو من وزارته ان تكون وزارة ازمة مع الجيش قد أصبح هو والشيشكلي صديقين متفاهمين في سياستهما.

موقف حزب الشعب الذي فاجأ حسن الحكيم.

بتاريخ 8 تشرين الاول اعلن مصطفى النحاس باشا رئيس وزراء مصر قرار الغاء معاهدة 1936 مع بريطانيا، فلاقى هذا العمل التحرري تأييدا شعبيا واسعا في سوريا، ووافق المجلس النيابي،

في جلسة 9 تشرين الاول على ارسال برقية التأييد التالية التي وضعتها لجنة الشؤون الخارجية، وكنت عضوا فيها:

"ان مجلس النواب السوري يعلن تأييده المطلق للقرار التاريخي الذي اتخذته حكومة الشقيقة الكبرى مصر استجابة لارادة الشعب المصري بالغاء معاهدة 1936 التي تتنافى واهداف العرب في الاستقلال والوحدة والحرية، وان الشعب السوري الذي يؤمن بأن البلاد العربية وحدة لا تتجزأ ليعتبر قضية مصر قضيته، وأهداف مصر أهدافه، وانه ليعلن بلسان ممثليه انه صف واحد مستعد لكل تضحية مادية ومعنوية في تأييد الشعب المصري الشقيق والسير معه قدما الى تحقيق الاهداف القومية المشتركة، وانه ليضرع الى الله ان يوفق مصر والبلاد العربية لما تتطلع اليه من حياة حرة كريمة".

وقد تلى رئيس المجلس النيابي في جلسة 11 تشرين الاول نص البرقية الجوابية الواردة من وكيل مجلس الشيوخ ومن عبد السلام فهمي جمعة رئيس مجلس النواب المصري.

كما وردت البرقية التالية من مصطفى النحاس رئيس وزراء مصر:

"ابعث اليكم باصدق الشكر والتقدير والعرفان لموقفكم ومجلس النواب الموقر والشعب السوري المجيد بجانب مصر تؤيدون قضيتها وتباركون موقفها الحازم في وجه الاستعمار الغاشم والعدوان على حريتها ووحدتها مع شطرها الثاني، وان قضية العروبة لواحدة، وهي حقا جزء لا يتجزأ. ولن نعبأ بالتضحيات مهما غلت في سبيل الحرية التي اوقفنا انفسنا للذود عنها وسنمضي في طريقنا. وأرجو الله ان يوفقنا وأن يظلننا بنصر من عنده حتى نظفر بمكاننا اللائق بنا بين الامم".

كما وردت برقية مماثلة من محمد صلاح وزير الخارجية المصرية، وقد تليت هذه البرقيات علينا في جلسة 22 تشرين الاول 1951، فتحدث عدد من النواب معلنين تأييد الشعب السوري لهذه الخطوة التحررية في مصر ورفضهم لمشاريع الدفاع المشترك، وقد ألقيت كلمة ورد فيها:

"ليست علاقتنا بمصر فحسب علاقة قطر عربي اذا تحرر من الاستعمار يصبح قوة كبرى للبلاد العربية، بل لان مشروع الدفاع المشترك الذي عرض على

مصر لقاء الغاء معاهدة 1936 هو بالحقيقة استعمار والتزام ليس تجاه بريطانيا فحسب بل تجاه الدول الكبرى. وقد نجحت بريطانيا بتأليب الاستعمار الغربي على البلاد العربية دفعة واحدة، فموقف مصر اذن من هذا المشروع لا يخص مصر وحدها، لان مشروع الدفاع المشترك يشمل اسرائيل، وقد صرح وزير الخارجية الاميركية ان هذا المشروع سوف يعرض على جميع الحكومات العربية بما فيها اسرائيل. اي ان انكلترا وأمريكا والدول الاخرى السائرة في فلكها ستطلب من الدول العربية ان تتحالف مع اسرائيل. عدا ما سوف تطلبه منها من تقديم أبنائها ومواردها وقودا لحرب لا مصلحة لنا فيها وانما هي بالواقع تخدم مصلحة أعدائنا فلنتساءل من هم أعداؤنا؟

ان اعداءنا هو الذين يحتلون شرقي الاردن ومصر والعراق. ان اعداءنا هو الذين يستغلون مواردنا في الشرق العربي، هؤلاء هم أعداؤنا بالدرجة الاولى. وما على الشعب العربي الا ان يناضل ضد هؤلاء الاعداء الذين يؤيدون اسرائيل، والذين هم مسؤولون بالاساس عن اقامة اسرائيل، والذين لا يزالون يمدون اسرائيل بجميع انواع المعونات المادية والمعنوية والسياسية ليفسحوا امامها المجال لتحقيق مطامعها التوسعية في البلاد العربية، اذن فالمعركة هي معركة الشعب العربي جميعه. ان سوريا المتحررة من الاحتلال الاجنبي ترى في مشروع الدفاع المشترك ما يقضي باحتلال بلادنا اثناء الحرب، ولا ندري اذا وقعت الحرب فقد يدخل الجيش الاسرائيلي الى سوريا كما دخلت مفارزه في الحرب الماضية الى مصر وسوريا، ولذلك فان الخسارة الاولى والطامة الكبرى سوف تقع على رأس سوريا في الدرجة الاولى من جراء قبول مشروع الدفاع المشترك، ولذلك فنحن نطلب من الحكومة ان تقف الموقف الساهر الحازم وان تمد يد المعونة الى مصر لا بالاقوال والعواطف وانما بكل ما تطلبه منا مصر وبكل الامكانيات التي نستطيع ان نقدمها".

رئيس المجلس:

هل يرغب معالي وزير الخارجية بالكلام؟

وزير الخارجية فيضي الاتاسي:

"ان النواب المحترمين حين يطلبون منا بيانا وصراحة فانما يطلبون حقا، لذلك اذا شاء المجلس تقدمت اليه في يوم غد ببيان عن الموقف الراهن".

ولا شك ان فيضي الاتاسي قد أجل القاء بيانه للتشاور مع رئيس الجمهورية هاشم الاتاسي ورشدي الكيخيا رئيس الحزب..

وجاء في بيانه الذي القاه في اليوم التالي ما يلي:

"سادتي. صباح السبت في 13 من الشهر الجاري تقدم الى وزارة الخارجية كل من القائم بالاعمال الاميركي ووزير فرنسا المفوض ووزير المملكة المتحدة وأدلوا على التتابع، وبناء على تعليمات تلقوها من حكوماتهم بالكلام التالي:

ان الدفاع عن الشرق الاوسط امر حيوي بالقياس الى امن العالم الحر. وهذا الدفاع لا يتأتى الا بتعاون دوله مضافا اليها دول اخرى ليست جغرافيا منه، والا بتنسيق أسباب الدفاع بين هذا الشرق وهاتيك المنطقة التي تليه، لذلك بات من المناسب انشاء قيادة حليفة للشرق الاوسط تشترك فيها البلاد القادرة على المساهمة في الدفاع والراغبة في تلك المساهمة.

ان امريكا وفرنسا وبريطانيا وتركيا مستعدة للاشتراك في القيادة. وقد وجهت دعوات الى اتحاد جنوبي افريقيا ونيوزيلاندا واستراليا اللواتي كن اعربن عن اهتمامهن بالدفاع عن المنطقة. ونظرا لما للقاعدة المصرية من اهمية رئيسية في موضوع القيادة فقد دعيت مصر في تمام الساعة العاشرة من هذا الصباح للاشتراك فيها، كعضو مؤسس، ان الاتفاق على تفاصيل القيادة ودقائقها لم يتفق عليه بعد بين الاعضاء المؤسسين.

وقد أضاف الوزراء المفوضون الى ما تقدم من كلامهم أن مسعاهم مشترك، وأشاروا الى أنه بريء من شبهات التنافس فيما بينهم، وأبان كل واحد منهم أنهم جميعا على اتفاق مع زميلهم التركي، وأنه قد تأخر عنهم بسبب تأخر وصول التعليمات اليه من حكومته. ولكنه لا بد بالتالي من أن يتقدم فيقرن مسماه بمسعاهم.

وبعد ان القيت اليهم بسمعي افدتهم انني أتلقى مسعاهم على أن المقصود منه هو اعلامي فقط بما تقدمت به حكوماتهم من مقترحاتهم لحكومة مصر في الساعة العاشرة من ذلك الصباح، واردفت قائلا: اليس كذلك؟ قالوا: بلى. ومن ثم قلت لهم انني بدوري

سوف اطلع مجلس الوزراء على ما اطلعوني عليه وقبل رفع الجلسة وانهاء الحديث مع كل منهم، القيت عليهم السؤال التالي: هل لاسرائيل شأن ما في القيادة التي يتصورونها وفي مشروع الدفاع؟.. وقد جاءت الاجوبة متفقة على ما يلي:

ليس اشراك اسرائيل في القيادة موضوع بحث في الحال. واشراكها يتوقف على نتيجة البحث مع الدول الاخرى التي يعنيها الامر. بيد ان الدفاع اقليمي، وهذا معناه انه يجب ان يفسح لها المجال - في وقت ما - للدفاع عن نفسها، وعلى كل لن يكره العرب على ما لا يرغبون فيه. كما ان اي تعديل وتبديل في امر القيادة لا بد ان يسبقه اتفاق بين الدول الشريكة فيها. وهذا معناه ان العرب لن يكونوا من هذا الامر امام الامر الواقع مما يحاذرون.

وقد قمت بواجبي الدستوري فأطلعت مجلس الوزراء وفخامة الرئيس الاول والقيادة العسكرية ودولة رئيس مجلس النواب ورئيس لجنة الشؤون الخارجية واللجنة نفسها.. وهذا لا يمنع ان ارسل على تبعتي ومسؤوليتي كلمة في الموضوع.

ان كل انخراط في مجموعة دفاعية ينبغي ان تقرره مصلحة قومية واضحة وأكيدة، ولقد رحت ابحث بكثير من الجد والاخلاص عن دواعي المصلحة القومية التي تند بنا الى الاستجابة الى ما دعوا اليه مصر خاصة وصراحة وما دعوا اليه البلاد العربية من وراء مصر تسميعا وضمنا، اجل، بحثت عن ذلك، وعلى الرغم مما بذلته من جهد، فإن المصلحة القومية التي تبرر استجابتنا الى الدعوة ما زالت خافية على بصري وبصيرتي، مغيبة عن فكري وخاطري. وما زلت انتظر بصبر ذاهب من يرشدني الى تلك المصلحة او ما فيه ظل للمصلحة.

ان كل مجموعة دفاعية تفترض في مواجهتها خصما او عدوا، فمن هو ذلك العدو الذي ندعى الى اقامة مشروع دفاعي في وجهة؟ هو معروف اسميته ام لم أسمه.

ذلك العدو بماذا يهدنا وما الذي تقدم من اساءاته الينا؟ .. بحثت وبحثت، وغاية ما استطعت ان اسجل في جانب السلب من صفحاته انه صوت في عداد من صوتوا بجانب قرار تقسيم فلسطين.

والذين يدعوننا الى مواجهة ذلك العدو بمجموعة دفاعية ما الذي تقدم من احسانهم الينا؟ انهم اقاموا اسرائيل شجى في حلوقنا وحربة مسمومة في خاصرتنا. وهم بعد ان اقاموها ما انفكوا يرعونها بجميلهم ورعايتهم، ويمدونها بالمساعدات التي منها السافر ومنها الخفي، حتى اخذت تقوى علينا قوة من شأنها ان تقض مضاجعنا وتؤرق اجفاننا.

يقولون: ما بالكم لا تنامون على فرش الامن والاطمئنان؟ اليس في البيان الثلاثي ما يفرغ السكينة على قلوبكم؟

ونقول نحن: ومن يضمن ان لا يكون البيان الثلاثي، من حيث تقيدكم به وبركم بمضمونه، طرازا آخر مما سبق من بياناتكم ومقرراتكم؟ أما بقيت جميعها وكأنها ماهية افلاطونية لا ظل لها من الحقيقة والواقع؟ اين مقرراتكم الصادرة عن الهيئة العامة للامم المتحدة بشأن فلسطين؟ .. اما اكدتم سنة 1948 و1949 و1950 ان اللاجئين يجب ويجب ان يعودوا الى ديارهم ولكنهم ما يزالون تحت الخيام على ابواب فصل الشتاء، يأتدمون الى جانب الخبز بالذرور الذي يستحيل حليبا وأشباهه مما تخرجه صناعاتكم، بينما شذاذ الافاق ينعمون بما خلفه الفلسطينيون من أرض وبقاع وعقار... ما رأيكم فيما تبذلون لها من مساعدات حتى اصبح لها اسطول بحري وآخر بري، تجاري وغير تجاري، وحتى اصبحت تملك من سلاحكم أحدثه وأمضاه؟... ما رأيكم في سيل الهجرة الدافق على اسرائيل يا من نصبتم انفسكم للامن حراسا، الا تفطنون الى عوامل الانفجار التي تنطوي عليها هذه الهجرة الضخمة؟ وهل تظنون ان في فلسطين متسعا لهذه الخلائق؟ او لا تجري هذه الامور بين سمعكم وبصركم، فلا تبدون ولا تعيدون بل تؤيدون وتظاهرون؟ .. مخاوفكم مركزة حيال روسيا. ومخاوفنا مركزة حيال اسرائيل، وانكم تطلبون ان تجعلونا واسرائيل بجانبكم، فهل تفطنون الى ما في سياستكم من تناقض؟"

"اما مصر فسلام لها ولشعبها... واننا لن نضن في سبيلها بشيء مما نملك... وتعلمون ان سورية كانت وما تزال اشد حرصا على التضامن العربي، وان وفاءنا لهذا المبدأ يحملنا على تأييد مصر تأييدا مطلقا".

وانتهى بيان وزير الخارجية الى القول:

"ايها الزملاء الكرام: الموقف عند الحد الذي أبنته لكم فيما يتعلق بمقترحات دول الغرب، فاذا جد شيء اعلمناكم، أو رأينا عرضه عليكم واستشرناكم فأعضاء الحكومة لا يخرجون عن كونهم مواطنين ونوابا يعملون بإذنكم واجازتكم وتحت رقابتكم".

وبالرغم من تأييد البلاد والمجلس والحكومة بتاريخ 62/10/9 لمصر في موقفها من الغاء معاهدة 1936 ورفض مشروع الدفاع المشترك، وخطاب وزير الخارجية بتاريخ 62/10/21 فان حسني الحكيم قد اتخذ هذا الخطاب بعد ثلاثة اسابيع من القائه ذريعة لتقديم استقالته بتاريخ 62/11/10 ولم تكن استقالة حسب مقتضيات العرف والعادة، بل تهرب من مواجهة المجلس وألقى في الاذاعة خطابا ايد فيه الاحلاف الغربية ومشاريعها الدفاعية:

"ان من واجبي ان اجنب بلادي مواطن الخطر، وان اسلك فيها الطريق التي اعتقد انها اضمن لسلامتها ومستقبلها، فاين هي هذه الطريق يا ترى؟.. ان الحكومات المؤسسة للقيادة العليا الحليفة للشرق والاوسط ترى ان الدفاع عن هذا الشرق امر حيوي للامم الديمقراطية. ومن اجل ذلك دعت شقيقتنا الكبرى مصر الى الاشتراك في هذه القيادة كعضو مؤسس، وعلى قدم المساواة والمشاركة مع الاعضاء المؤسسين الاخرين وهم الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى وفرنسا وتركيا، وهذا التكليف لا يفسر في نظري الا انه ثقة من هذه الدول بمصر. وان دخول البلاد العربية في الحلف معناه انهاء المعاهدات الاجنبية مع مصر والعراق وشرق الاردن وانهاء الاحتلال الناشيء عنها واستبدال هذه المعاهدات بمشروع الدفاع المشترك.. وان من حقنا على مصر ان لا تنفرد برفض

مقترحات الدول الحليفة بشأن الدفاع المشترك[1].. هذا وبما ان الكونغرس وافق على برنامج المساعدة الاقتصادية والعسكرية المتبادلة للدول الحرة التي ترغب في التعاون مع الامم الديمقراطية فإني شخصيا ارى ذلك فرصة مناسبة لاستفادة البلاد العربية فرصة من شأنها ان تقوينا عسكريا واقتصاديا ونزيل بذلك مخاوفنا من اليهود الغادرين... وفي اعتقادي ان هذه الفرصة ستساعد في نفس الوقت على حل قضية فلسطين حلا عادلا منصفا ان سلكنا في مفاوضاتنا الطريق القويم..." (راجع محاضر جلسات المجلس النيابي 1951/11/10).

كان هذا الموضوع محور مباحثات الحكيم في اجتماعاته مع وزير اميركا المفوض في آب 1951، ووزير بريطانيا المفوض في 3 ايلول 1951، والقائم بالاعمال الاميركي في 21 تشرين الاول، ووزير بريطانيا المفوض في 26 تشرين الاول.. وقد نشر الحكيم في مذكراته ما دار في هذه الاجتماعات بالتفصيل، وكيف ان هؤلاء الدبلوماسيين الغربيين كانوا يمتدحون فيه شجاعته باعلانه الصريح لالتزامه بالسياسة الغربية، وانزعاجهم من موقف مصر. كما ذكر ان المستر بولوك، الوزير البريطاني المفوض اخبره بما يلي: **"لقد قال الجنرال روبرتسون منذ سنة تقريبا الى الدكتور ناظم القدسي والعقيد اديب الشيشكلي ان الكتلة الغربية لا تعتمد في امر الدفاع عن الشرق الاوسط الا على دولتين منه هما تركيا واسرائيل، وان هذا الرأي لا يزال قائما. وان انضمام سوريا الى الدول الحليفة من شأنه ان يقويها عسكريا وبذلك تزول مخاوفها من اسرائيل" (مذكرات حسن الحكيم ص 115 الجزء الثاني).**

جاهر حسن الحكيم بهذه الاراء متفقا مع أديب شيشكلي الذي وقف كالنعامة ظانا ان مسؤولية سياسة حسن الحكيم الغربية لا تقع على عاتقه، بدعوى ان الجيش لا يتدخل في السياسة ولا يتحمل مسؤولية ما تفعله حكومة منبثقة عن مجلس النواب، وهكذا اتخذ الشيشكلي من سياسة الحكيم الغربية وسيلة لدعم

(1) اعلن الحكيم عدة مرات انتقاده لموقف مصر التي رفضت الدفاع المشترك... كما ان تصريحاته المؤيدة لهذا المشروع الغربي كانت تذاع من راديو دمشق.

نفوذه وتقوية مركزه لدى الولايات المتحدة وحليفاتها على حساب الجهاز السياسي والبرلماني الديموقراطي.
لقد أيدت الاحزاب والقوى الوطنية موقف حزب الشعب من مشاريع الدفاع المشترك الذي عبر عنه فيضي الاتاسي في بيانه، فمحا حزب الشعب بذلك كل أثار الاتهامات التي وجهت اليه بممالأة بريطانيا والغرب فوحد صفوفه، ولم القوى الوطنية ضد مشاريع الدفاع المشترك التي جاهر بها حسن الحكيم، ويشير الحكيم في مذكراته الى انزعاج بريطانيا من حزب الشعب لموقفه هذا.

□

اندفع معروف الدواليبي كثيرا بعد موافقة رشدي الكيخيا على هذه السياسة التي ظن أنها ستجعل من طموحه الى رئاسة الوزارة امرا ممكنا، فانقلب موقفه من الحريص على التفاهم مع الجيش الى تأييد رشدي الكيخيا في الازمة التي اعقبت استقالة حسن الحكيم والتي استمرت ثمانية عشر يوما بسبب امتناع الشيشكلي عن اعادة ربط الدرك والشرطة بوزارة الداخلية، وقد لعبت بريطانيا دورا كبيرا في هذه الازمة بما كانت تملكه من خيوط في شتى الاحزاب والهيئات، ونشطت اجهزتها نشاطا كبيرا لخلخلة الوضع.

اتصل بي العقيد الشيشكلي هاتفيا خلال هذه الازمة، وعلى خلاف العادة كانت لهجته على غير المألوف في مخاطبتي:

- ماذا تفعل؟.. هل تنوي باسم الاشتراكية ان تقضي على استقلال البلاد؟ ان العمال في محطة اتش ثري اضربوا عن العمل. الا تعلم أن بريطانيا قادرة بفرقة من المظليين ان تطيح باستقلال البلاد؟

فأجبته بلهجة اكثر حدة:

- لا علم لي بما تقول. فأنا لم اعط الاوامر للعمال بالاضراب ولم اسمع هذا النبأ الا منك الان... وثانيا: اذا كان اضراب احدى محطات النفط يهدد الاستقلال فبئس هذا الاستقلال المصطنع الكاذب.

والسؤال الذي يطرح نفسه الان: هل كان حرصنا الشديد لتفادي الازمة مع الجيش نتيجة ثقتنا بنوايا العقيد الشيشكلي الطيبة، وقناعتنا بعدم احتمال انقضاضه على الاوضاع الديمقراطية البرلمانية في الوقت المناسب؟

لم تكن ثقتي بأديب الشيشكلي اكبر من ثقتي بقادة الاحزاب السياسية، فالقضية لم تكن اساسا قضية ثقة بنوايا الاخرين، ولكنني كنت حريصا جدا على استبعاد اي سبب واعطاء المبررات لقيام انقلاب عسكري بقيادة الشيشكلي.

كنت ارى ان عامل الوقت كان يسير لمصلحة الشعب المتطلع الى دعم الديموقراطية السياسية والاجتماعية التي كان الحزب العربي الاشتراكي يعبر عن تطلعاتها اصدق تعبير.

ان نمو هذا التطلع الشعبي الذي كانت حركة الفلاحين احدى مظاهره قد انعكس على الاحزاب التقليدية التي بدأ انكماشها وتراجعها، كما كان له أثره الواضح في الجيش الذي كانت اكثرية ضباطه من ابناء الشعب في المدن ومن ابناء الفلاحين في الريف.

واذا كان نمو التطلعات الشعبية نحو المزيد من الديموقراطية السياسية والاجتماعية يشد البساط من تحت اقدام الاحزاب التقليدية، فانه يقوم بالدور نفسه بالنسبة لمطامع العسكريين المغامرين ولا سيما بعد ان تجدد البحث بقضية توحيد الحزبين: العربي الاشتراكي والبعث العربي، وما يترتب على ذلك من آثار في أوساط الجيش، اذ لم يكن للبعث قاعدة شعبية، ولكن كان له سمعة طيبة في الجيش وبعض الضباط المؤيدين، وكان الاعتقاد السائد بأن اندماج الحزبين سيشكل تيارا تقدميا قويا في اوساط الجيش.

أواخر 1951: العقيد اديب الشيشكلي يستولي على السلطة بتاريخ 1951/12/2 بعد ازمة وزارية جرى خلالها تكليف زكي الخطيب ومعروف الدواليبي وسعيد حيدر وعبد الباقي نظام الدين ثم معروف الدواليبي.

بدأت استقالة وزارة حسن الحكيم فعليا منذ ان القى وزير الخارجية فيضي الاتاسي خطابه في البرلمان مساء 23 تشرين الاول 1951. ثم قدم الحكيم كتاب الاستقالة رسميا بتاريخ 10 تشرين الثاني ولكنه استمر في السلطة الى يوم 28 تشرين الثاني حيث امكن تأليف حكومة جديدة... وخلال هذه الفترة "شهد الرأي العام رئيسا للحكومة ووزيرا للخارجية يتصارعان بشكل يوحي بانفلات الاعصاب. وتحقق عند ذلك مصير الوزارة الذي انتهت اليه فعلا وقبل ان تواجه مجلس النواب.

واذا كانت الوزارات السابقة قد واجهت نهاياتها صامتة لا تبدي ولا تعيد عن العوامل التي حدث بها للتخلي عن مسؤولية الحكم، فان حسن الحكيم لم يذهب الى بيته صامتا بل استبق عقد البرلمان ببيان صريح، ثم اتبعه بسلسلة من التصريحات للصحف العربية والاجنبية يؤيد فيها مشاريع الغرب الدفاعية فكتبت بتاريخ 1951/11/7 في جريدة الاشتراكية تعليقا على احد تصريحاته تحت عنوان: "رئيس الوزراء ملكي اكثر من الملك" جاء فيه:

بعد الاطلاع على التصريح الذي ادلى به رئيس الوزراء الى احد مراسلي الصحف المصرية، لا اتردد في القول بأنه لا يجوز بحال لمن تولى هذا المقام ان يصدم شعبا في اعز مشاعره وامانيه.

لقد جاء في هذا التصريح الذي لم يكذبه دولته حتى الان ما يلي: "نحن لا نستطيع مساعدة مصر بغير الكلام! فاذا اردتم من هذه البضاعة فلدينا الشيء الكثير!".

يقول دولته هذا القول متجاهلا شعور الشعب الذي عبر في كل مدينة وقرية ودسكرة عن تضامنه مع الشقيقة مصر، واستنكاره لمشروع الدفاع الاستعماري.

فلنتجاهل مع دولة الرئيس شعور الشعب ومقتضيات اللياقة... ولكن هل يمكننا تجاهل الحقائق والواقع؟.

ان من المؤسف حقا ان يصدر عن دولته هذا التصريح في الوقت الذي يعترف فيه اشد اقطاب الاستعمار تعنتا بأن عدم اشتراك مصر، - وبحجة اولى الدول العربية- بالميثاق يجعل مهمة الجيوش الحليفة صعبة للغاية.

لقد كنت اقرأ ان فلانا "ملكي اكثر من الملك" ولكني لم اكن اتصور ذلك حتى قرأت التصريح المنسوب الى دولة رئيس حكومتنا الموقر.

لا يا سيدي الرئيس ان هذا الشعب يستطيع اكثر من الكلام..

وفي العدد العاشر ذاته من جريدة الاشتراكية كتبت الافتتاحية التالية:

بعد ان اعلنت سورية بمدنها ودساكرها وقراها تاييدها لمصر ورفضها لمشروع الدفاع العسكري الاستعماري الصهيوني، حاولت بعض الاوساط الاستعمارية، التي نشرنا شيئا عن جهازها في مصر، وله ما يماثله في سورية:

اولا: الضغط على بعض السياسيين لعدم اتخاذ موقف حازم تجاه مشروع الدفاع العسكري المشترك وتأجيل بحثه.

ثانيا: استعمال وسائل النشر والاذاعة والدعاية لتثبيط همة الشعب وتهديده بالاحتلال ومحاولة التفريق بين قضيته وقضية مصر.

ثالثا: التلويح بمغريات وفوائد مزعومة من مشروع الدفاع العسكري المشترك.

ان الشعب في سورية قد اعطى رايه النهائي في مشروع الدفاع العسكري المشترك الاستعماري الصهيوني، فمهما تأجل الموقف، فلن يغير ولن يبدل هذا التأخير من حكم الشعب عليه بل يزيده اصرارا على اصرار.

اما تهديد الشعب باحتلال البلاد فنقول بصراحة بأن قوى الاستعمار عاجزة عنه الا اذا طوحت بمنظمة الامم المتحدة وارادت ان تثيرها مباشرة حربا عالمية ثالثة. واذا كانوا عاجزين عن احتلال البلاد فهم اعجز عن احتلال

نفوس ابناء البلاد، وهي القوة الحقيقية التي يحسب لها الحلفاء الف حساب في حالة وقوع الحرب المقبلة.

ان كل عربي مخلص مؤمن بأن لا مصلحة لسورية والبلاد العربية في مشروع الدفاع العسكري المشترك الا تقتيل ابنائنا وتدمير بلادنا في سبيل الدفاع عن اوضاعهم الاستعمارية ومنافعهم الاستثمارية، وتهيئة السبيل لتحقيق مطامع اسرائيل التوسعية، وان الشعب بعد ما ابتلي به من الاساليب الاستعمارية اصبح يعلم منها السر واخفي، ولا يمكن ان يشغل بأية قضية مصطنعة عن قضاياه الحقيقية، فعند ما تصطدم ارادة الشعب باحتيال السياسيين وختلهم، يزول السياسيون وتبقى ارادة الشعب!

فلا الضغط ولا نشاط العملاء، ولا تربص المتآمرين الرجعيين ولا وسائل الدعاية والاذاعة وشبكات التجسس بامكانها ان تثني الشعب عن ارادته، كما ليس بامكانها ان تفصل قضية مصر عن قضية كل قطر عربي.

وليثق اخواننا في مصر ان الشعب في سورية ولبنان وفي ارجاء الشرق العربي يقف معهم في هذا النضال لا كقطر شقيق بل يقف معهم كشعب عربي واحد له قضية عربية واحدة، فلا الشيخ بشارة الخوري ولا الحكومات العربية يمكن ان تغير من جوهر هذا الامر شيئا بعد تلك المظاهرات الرائعة في سورية وتلك الدماء الزكية التي سالت في لبنان وبعد ذلك التأييد في العراق وشرقي الاردن وما على الحلفاء الغربيين بعد هذا الا ان يسلكوا غير هذا الطريق..

يوم خالد في تاريخ وحدة النضال العربي:

بينما كانت الازمة الوزارية في اوجها عقد ممثلو الاحزاب التالية (الجبهة الاشتراكية الاسلامية، البعث العربي، العربي الاشتراكي، القومي الاجتماعي) اجتماعا في مكتب حزب الشعب لدعم مصر. وقد رحبت بهذا الاجتماع وسعيت اليه واتفقنا جميعا على ان يكون يوم 14 تشرين الثاني يوم اضراب شامل ومظاهرات لتأييد مصر، كما اتفقنا على برنامج ذلك اليوم ونص البيان الذي سيوجه للشعب ونص البرقيات التي سترسل. وبذلك أمكن الاتفاق على توحيد الصف النضالي لا في سوريا وحدها بل في كافة الاقطار العربية التي تم الاتفاق مع قادة حركاتها على أن

يكون يوم 14 تشرين الثاني يوما لانطلاق التظاهرات الشعبية في جميع البلدان العربية بوقت واحد.

ازداد اصرار حكومة الوفديين في مصر على موقفها الوطني بالغاء المعاهدة، والجلاء، ورفض مشروع الدفاع المشترك، وانطلقت من اوساط الشعب المصري كتائب الفدائيين الذين كانوا بأعمالهم الباسلة في منطقة القناة يقدمون نماذج رائعة من البطولات، فكانت الاخبار اليومية تتناقل انباء عملياتهم الجريئة والخسائر التي ينزلونها بجنود القاعدة البريطانية مما عبأ الرأي العام العربي في جميع اقطاره بجو نضالي ايجابي مستبشر يشبه الى حد بعيد الجو الذي رافق تأميم قناة السويس فيما بعد عام 1956.

وقد ارعب هذا الاستبسال الشعبي المصري والتأييد العربي بريطانيا فأخذت قواتها الاستعمارية تقوم بعمليات انتقام وتنكيل وحشية بالمدنيين في مدن وقرى القناة، وتتعمد انزال الخسائر بعناصر رجال الشرطة المصريين الذين كانوا يساندون الفدائيين بتشجيع من حكومة القاهرة، كما اسرعت بريطانيا بتدعيم قواتها في القناة بأكثر من عشرة الاف جندي، وارسلت كل ذلك دفعة واحدة، وفي الوقت نفسه اخذت ترحل عائلات الجنود البريطانيين من مدن القناة الى خارج مصر. ثم استمرت بعد ذلك بارسال المزيد من القوات والعتاد لتدعيم قاعدتها العسكرية في القناة، وبالمقابل كانت عمليات الفدائيين المصريين تتصاعد باستمرار وتسجل من البطولات مما يزيد التهاب المشاعر النضالية في الاقطار العربية الاخرى.

حيال هذا الغليان النضالي التحرري الذي شمل المنطقة اضطرت الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا وتركيا لان تذيع في 10 تشرين الثاني بيانا ايضاحيا لمشروع الدفاع عن الشرق الاوسط وزعته على وزارات الخارجية العربية واسرائيل، مقترحة فيه قيادة غربية عليا ترتبط بها القوى الدفاعية الاقليمية التي لها وحدها الحق باستخدام قوات من خارج المنطقة، على ان لا تتدخل بشؤون البلاد، فكان هذا البيان محاولة لتلطيف وقع المعارضة

الشديدة التي قابلت بها البلدان العربية مشاريع الدفاع المشترك. ولكن هذا البيان زاد العرب اصرارا على رفض تلك المشاريع، فقد ادلى ناطق بلسان الوفد المصري في هيئة الامم المتحدة ان مصر لن تقبل البتة التوقيع على ميثاق دفاعي لا ينبثق عن هيئة الامم، وانها تفضل تعزيز ميثاق التضامن الجماعي المعقود بين الدول العربية ضمن نطاق الجامعة العربية.

□

في يوم 14 تشرين الثاني نفذت سوريا والبلاد العربية الاضراب الشامل.

ففي دمشق اجتمع في ساحة مسجد السلطان سليم جميع رؤساء الاحزاب [1] . وفي الساعة العاشرة صباحا بدأ انطلاق المتظاهرين حسب البرنامج المحدد "يتقدمهم في الصف الاول رشدي الكيخيا وأكرم الحوراني وناظم القدسي وزكي الخطيب ومعروف الدواليبي وأسعد سلهب ومصطفى السباعي وعلي بوظو وشاكر العاص ولطيف غنيمة وصلاح البيطار وعبد الوهاب حومد وعصام المحايري وعبد القادر الميداني واحسان حصني وعبد الله تامر وحامد الخوجا وهاني السباعي وجلال السيد وممثلو نقابات الاطباء والمحامين والصحافة والمحررين والطلاب ومواكب الشيوعيين والاشتراكيين العرب والاخوان المسلمين والبعثيين والقوميين السوريين واللاجئين الفلسطيين والاتحاد النسائي، وقد سارت هذه المظاهرة الضخمة، التي اشتركت فيها دمشق بأسرها، بانتظام بديع وطافت الشوارع والساحات المحددة لها، وعند وصولها الى ساحة البرلمان القى الدكتور معروف الدواليبي كلمة الاحزاب السياسية وتبعه حسين عزيز وزير مصر المفوض فألقى كلمة باسم مصر.

وفيما يلي نص البرقية التي تحمل تواقيع: رشدي الكيخيا رئيس حزب الشعب، اكرم الحوراني عميد الحزب العربي

(1) ما عدا الحزب الوطني والحزب الجمهوري والحزب التعاوني الاشتراكي، اذ لم يشارك قادة هذه الاحزاب في اتفاق الاحزاب المجلسية مع ان القواعد ساهمت في الاضراب والمظاهرات، كما ان قيادة الحزب الوطني ابلغت سفير مصر تأييدها.

الاشـتراكي، صـلاح البيطـار الامـين العـام لحـزب البعـث العربـي، مصـطفى السـباعي المراقـب العـام للاخـوان المسـلمين، عصـام المحـايري رئـيس الحـزب القـومي السـوري الاجتمـاعي، والتـي ارسـلت الـى كـل مـن السـكرتير العـام للامـم المتحـدة، وفـارس الخـوري رئـيس الوفـد السـوري فيهـا، ومحمـد صـلاح الـدين وزيـر الخارجيـة المصـرية، وعبـد الـرحمن عـزام الامـين العـام للجامعـة العربية:

"في هذا اليوم الذي تراق فيه دماء اخواننا المصريين في نضالهم ضد الاحتلال البريطاني وعدوانـه، وتهـب فيـه سـوريا العربيـة وجميـع انحـاء الـوطن العربـي معلنة تأييدها لمصر في الغائها المعاهدة المفروضة في ظل الاحتلال ورفضـها لمشـروع الـدفاع المشـترك، تعلـن احـزاب سـوريا وهيئاتهـا المشـتركة فـي المظاهرة الشعبية الكبرى ما يلي:

اولا: ان الغاء مصر لمعاهدة 1936، واتفاقيات السـودان التـي عقـدت فـي ظـل الاحتلال البريطاني، يتفق واحكام ميثاق هيئة الامم المتحدة الذي ينص على مبدأ المساواة في السيادة بين جميع الدول الاعضاء ويحظر كـل اعتـداء علـى استقلالها ووحدة اراضيها.

ثانيا: ان العدوان البريطاني على حياة الشعب المصري وحريته يعـرض السـلم والامن الدولي في الشرق الاوسط جميعه الى الخطر، وهذا مـا يفـرض علـى هيئة الامم ايقاف هذا العدوان الغاشم.

ثالثا: ان عدم احترام هيئة الامم لمبادئها التحررية يفقد العرب وجميع الشعوب كل امل في هذه المؤسسة ويحمل الهيئـة مسـؤولية انهيارهـا تحـت عوامـل الاطماع الاستعمارية ومصادرة حريات الشعوب والاعتداء على سيادتها".

□

كان يوم 14 تشرين الثـاني 1951 يومـا مشـهودا فـي تـاريخ وحدة النضال العربي، فهو اليوم الذي توحدت فيه لاول مرة مواقـف الجماهير العربية بالاضراب والمظاهرات في وقت واحد في القاهرة ودمشق وبغداد وعمان والخرطوم وبيروت بـل فـي كـل مدينـة مـن مدن هذه الاقطار العربية.

ففي جميع المدن السورية كان الاضراب عاما وشاملا، ولا سيما في حماة حيث اشتركت المدينة بكاملها في المظاهرة الصاخبة، وكانت المواكب تحمل اللافتات ضد الاستعمار وضد الدفاع المشترك وكانت الجموع تهتف بسقوط الاستعمار وانصاره ومشاريعه وسقوط تركيا المتآمرة على العرب والاسلام، **ولاول مرة في تاريخ سوريا يشترك في مظاهرة حماة فلاحون من ابناء القرى المجاورة** وقد ارسل المتظاهرون برقيات الاحتجاج والاستنكار لاعمال الانكليز العدوانية وبرقيات التأييد لمصر.. والامر ذاته تحقق في مدن الاقطار العربية الاخرى في ذلك اليوم المشهود ذاته.

ولا بد لي، في هذه المناسبة، ان اذكر ما كان يختلج في نفسي من مشاعر وافكار، منذ اجتماعنا في مكتب حزب الشعب في 10 تشرين الثاني، لتنظيم هذه المظاهرات وتوجيهها، الى ان تحققت تلك اللحظات الرائعة عندما سرت في مقدمة المتظاهرين، يدا بيد مع زعماء الاحزاب والهيئات الوطنية الاخرى.

اولا: ان وحدة النضال هي التي تنبثق عنها الوحدة الوطنية الحقيقية، وهي التي تشد جميع الهيئات والمنظمات والفئات وافراد الشعب وتربط فيما بينهم، علاوة على روابط القضية، بروابط المحبة والثقة والالفة.

ثانيا: كشفت هذه المظاهرات عن مدى مسؤولية قادة الاحزاب والهيئات السياسية في تمزيق وحدة الصف الوطني تجاه العدو الخارجي، وأبانت ان وحدة القوى الوطنية تشكل قوة لا تغلب واجماعا لا يقهر وتيارا لا تقف في وجهه الدسائس والمؤامرات.

ثالثا: وقد ذكرتني هذه المظاهرة بالمظاهرات التي كانت تندفع في سوريا ضد الانتداب الفرنسي وكنت اقول في نفسي، وانا سائر في المظاهرة:

يا حبذا لو استمر هذا التعاون المخلص ضد الاستعمار ومشاريعه، اذن لتفادت بلادنا كثيرا من المتاعب والمصاعب، ولكان النصر

المحتـوم بجانـب الشـعب، ولسـقطت جميـع مشـاريع الاسـتعمار ودسائسه، ولخرست ابواقه وانكشف عملاؤه..

رابعا: كان ينتـابني، ونحـن نسـير علـى رأس المظـاهرة، شـعوران متناقضان: شعور بالتمزق من جراء مـا رافـق الازمـة الوزاريـة التـي تتعرض لها البلاد، وشعور آخر مترع بالامل لعظمـة هـذه الجمـاهير المندفعـة التـي صـهرت عزماتهـا فـي وحـدة وطنيـة رائعـة ضـد الاستعمار ومشاريعه ومؤامراته المبيتة على البلاد العربية.

اذن فالازمة دائما ازمة القيادات، والعلة دوما هي في القمة الحاكمة لا في القاعـدة المحكومـة. ومـن وحـي هـذه المظـاهرات الرائعة وألمي من مناورات بعض السياسيين والاعيبهم ومؤامراتهم كتبت المقال التالي في جريدة الاشتراكية بتاريخ 1951/11/17.

في هذه الغمرة التي يهب بها الشعب السوري باجماعـه لتأييـد مصـر ورفض مشروع الدفاع العسكري المشترك في هذه الغمرة التي اصبحت فيها سوريا خطا من نار ردا علـى بيانـات رئـيس الـوزارة المسـتقيل السـيد حسـن الحكيم، في هذه الغمرة بالذات، يشاع بأن الوزارة سوف تتألف خليطا مشوها من اشخاص ضعاف هـزيلين ورجـال محتـرمين ومـن بعـض العمـلاء الـرجعيين فيحار المرء كيف يوفق بين موقف الشعب المكتسح وحكومة من هذا الطراز.

نحن لا نصدق ان يدخل الوزارة صنائع الاستعمار في هذا الظرف مهمـا اصبح اللعب مكشوفا، ولا بد ان تكون هـذه الشـائعات مدسوسـة مـن مطـابخ الدعاية الاجنبية، ومع ذلك فنحن لا يعقل ان تؤلف وزارة وهي بحق كما نعتتها احدى الزميلات (وزارة حـرب) مـن ضـعاف هـزيلين لتجابـه ادق موقـف يمـر بـه الشـعب العربـي بمختلـف اقطـاره واذا صـح ذلـك فسـيغلق علينـا الموقـف ولا يمكننا ان نفسره الا بسوء الظن.

اطاحت تصريحات السيد حسن حسن الحكيم المخالفة لارداة الشعب بالوزارة الماضـية، فيجـب معالجـة الموقـف الخـارجي ومراعاتـه بتـأليف الـوزارة الجديدة ومن البديهي ان يحتل الموقف الخارجي المركز الاول بالنسبة لجميع مشاكل البلاد الاخرى، اما معالجة الامور بغير هذا الاسلوب فلا يحل الازمة بل يزيدها تعقيدا على تعقيـد. بـل ربمـا يطـيح بسـيادة الـوطن واسـتقلاله فـوزارة

الحرب التي يمكنها ان تجابه الوضع الخارجي حسبما قرره الشعب يجب ان تتألف من رجال مخلصين اقوياء واضحي الاتجاه.

اما تطبيق الدستور الذي اصبح ستارا فهو دعوة حق اريد بها باطل، فلنتبع الحق، ولندع الباطل، ولنطبق احكام الدستور روحا ونصا، فلا نتآمر على قانون تحديد الملكية، وقانون توزيع املاك الدولة، وندعهما يغطان في سبات لجنة القوانين العامة العميق... ولنسن قانون لحماية الفلاح ولنعمم نظام الضرائب على اساس تصاعدي عادل، لنزيد في موارد الموازنة، ولنحقق العدالة.

هذه بعض احكام الدستور، المعطل باغلب مواده، اذا كنا بالدعوة الى تطبيقها مخلصين.

اما ان نجعل قضية الحاق الدرك بوزارة الداخلية، وهي ليست قضية دستورية مشكلتنا الاساسية الوحيدة لنتجاهل مشاكلنا الخارجية الخطيرة والداخلية الحيوية ولنسدل عليها الستار فنكون كالنعامة التي تدفن رأسها بالرمال لتتقي الاخطار، او نكون عابثين هدامين لا منشئين بنائين.

اننا لا نطمح بوزارة الافذاذ والعباقرة طالما ان المجالس النيابية لا تزال بالشرق منبثقة عن اوضاع اجتماعية واقتصادية وقانونية فاسدة، ولكننا نطمح ان تتألف من خيرة الاشخاص سواء من ناحية الكفاية والقدرة او الاخلاص، ولا يتم هذا ان لم تتجه النية مخلصة الى توضيح موقفنا الخارجي، والجد لا الهزل بتطبيق احكام الدستور عامة وبترجيح الاهم على المهم، لا سيما ما يتعلق بقلب نظامنا الفاسد وتحقيق العدالة واستبدال القوانين الرجعية بقوانين جديدة تقدمية من وحي الدستور وهديه، حتى نهيء للمستقبل مجالس نيابية خيرا من هذه المجالس، ورجالا خيرا من هؤلاء الرجال، واحزابا خيرا من هذا الاحزاب، وبالتالي حياة كريمة راقية لنهيء لشعبنا سبل الازدهار والبقاء.

الازمة الوزارية التي ادت الى حكم الشيشكلي.

كانت جميع الكتل المجلسية تصر على ان يتحمل جزب الشعب مسؤولياته فيشكل حكومة برئاسة الكيخيا او القدسي، ولكنهما كانا يتهربان من حمل المسؤولية وقدما لرئيس الجمهورية

لائحة بثمانية عشر اسما من اعضاء حزب الشعب ليختار من بينهم رئيسا للحكومة، فكلف الاتاسي زكي الخطيب الذي ما لبث ان قدم اعتذاره.

هذا بالوقت الذي كانت الصحف تعلق فيه على الازمة بقولها: "ان سوريا الان بدون حكومة، ومندوبوها في هيئة الامم حائرون لا يستطيعون البت برأي ما، لانهم اصبحوا بدون مرجع مسؤول، والدول الغربية ماضية في تنفيذ مشروع الدفاع المشترك، ونحن بعد لم نرفض المشروع ولم نقبله بعد صدور البيان الايضاحي الرباعي، واذا كان حزب الشعب يظن انه نجح حتى الان في التملص من حمل المسؤولية واتخاذ القرارات الخطيرة فهذا وهم حان ان نزيح غشاءه عن الاعين التي لا تريد ان ترى ان حزب الشعب هو المسؤول الاول والاخير في هذه الفترة من حياة البلاد، ومنذ انتخاب الجمعية التأسيسية، فهو صاحب الاغلبية البرلمانية التي تنبثق عن ارادتها الحكومات" - النصر- 18 تشرين الثاني 1951-.

وقد كتبت في جريدة الاشتراكية بتاريخ 51/11/10 تعليقا على الازمة الوزارية ما يلي:

استهلت بعض الصحف تعليقها على الموقف السياسي بأنه يتعذر فهمه على اولي الالباب، فاذا امعنا النظر في الاصابع التي تعمل وراء ستار لفهمنا الوضع على حقيقته ولعرفنا جميع الدواعي لتلك الازمة التي لا يجد لها الكثيرون تعليلا.

لقد كشفت الازمة الوزارية من تلقاء نفسها عن تلك الاصابع بشكل فاضح، اذ بدأت بمطالب تقدم بها احد الوزراء المفوضين الاجانب الى شخصية مسؤولة، وهي مطالب تتعلق بصميم أوضاعنا الداخلية - كاغلاق بعض الصحف مثلا - ولم تر تلك الشخصية المسؤولة بأسا من تلقي تلك المطالب كأوامر كانت تتلقاها في عهد الانتداب (حسن الحكيم) وتبع ذلك ضغط من الوزير المفوض نفسه لاملاء موقف معين من قضية مصر ومشروع الدفاع العسكري المشترك، فكان ذلك سببا لسلسلة من التصريحات التي سببت المظاهرات والاحتجاجات في جميع انحاء البلاد، واصبح كل مسؤول يدلي بتصريح يناقض فيه زميله الاخر على تبعته الشخصية بشكل لم يسبق له نظير في تاريخ الحكومات.

ان الازمات التي توالت على البلاد حتى الان ترجع أسبابها الى ان السياسيين لم يتحرروا ولم يؤمنوا بعد بالاستقلال، مع ان الشعب قد تحرر وآمن ايمانا عميقا باستقلاله وحريته لأنه هو الذي دفع الثمن بدمائه ودموعه.

ان هذا التناقض بين موقف السياسيين وموقف الشعب هو سر الازمات.

ان الاجنبي يسعى - بعد اصطناع الازمة الحاضرة وفرضها بكل ما أوتي من قوة - لاستغلال النزعات والاهواء الشخصية عند السياسيين لارباك الموقف وعدم الخروج بحل صحيح، كما يحاول صرف انظار الشعب عن مشاريعه الاستعمارية لقضايا جانبية بقصد هلهلة الوضع وتهيئة السبل امامه وأمام اجهزته وعملائه، ولكن الشعب سيحبط جميع هذه المحاولات والمؤامرات.

ان محاولة صرف الانظار عن مشروع الدفاع الاستعماري ستبوء بالفشل، فلا اثارة قضية الانتخابات في هذا الظرف الحرج، ولا قضية ربط الدرك بوزارة الداخلية، ولا تأزم الموقف الوزاري، ولا استدعاء بعض الوزراء المفوضين من الخارج ولا توجيه محطة الاذاعة السورية تصرف نظر الشعب عن قضاياه الحيوية.

لذلك فانني اوجه الى شعب سورية هذه الكلمة:

ايها الشعب ان الوضع الاجتماعي المتخلف هو علة بؤسك وشقائك وهو الذي رفع الى مصاف القيادة فئة سياسية بعضها مستغل وبعضها خائر منهزم لا يستبسل معك بالدفاع عن حقك بالحرية والحياة.

□

في هذه الفترة التي كانت تتفاعل فيها الازمة الوزارية السورية وصل الى دمشق ممثلو الجبهة الاشتراكية المعارضة في البرلمان اللبناني، وهم انور الخطيب وبيار ادة واميل البستاني، فاجتمعوا الى ممثلي الاحزاب والاتجاهات الاشتراكية في سورية وهم الدكتور معروف الدواليبي وصلاح البيطار وعصام المحايري واحسان الحصني الامين العام للحزب العربي الاشتراكي، وتم الاتفاق على وضع الخطط والاسس المشتركة بين البرلمانين السوري واللبناني، ودعوة ممثلين عن برلماني

العـراق والاردن، لتـدارس موضـوع تحديـد السياسـة الخارجيـة للحكومات العربيـة وتحديـد موقـف الشـعوب العربيـة مـن الكتلتـين الشـرقية والغربيـة ومـن الكتلـة الثالثـة (الحياديـة) وتقـرر ان يعقـد الاجتماع المقبل في شتورة في 23 تشرين الثاني 1951 لمواصلة هذه الابحاث... غير ان ذلك الاجتماع لن يعقد لانه في 23 تشـرين الثاني لن يكون هناك برلمان في سوريا.

□

كلف الرئيس الاتاسـي الـدكتور معـروف الـدواليبي بتشـكيل الحكومة. وقد كان هذا التكليف مفاجأة للجميع، لأن حزب الشـعب لم يقدم اسـم الـدواليبي لـرئيس الجمهوريـة ضـمن اللائحـة التـي ضـمت ثمانيـة عشـر عضـوا لينتقـي مـنهم مـن يشـاء لرئاسـة الحكومة، وكان تكليف الدواليبي بتاريخ 18 تشرين الثاني.

ثابر الدواليبي علـى محاولاتـه لاقنـاع الكيخيـا والشيشـكلي بحـل الازمة على غير طائل، وقام الشـيخ مصـطفى السـباعي بـالجهود نفسـها، وصرح: "لقد اجتمعت بالسيد الكيخيا والعقيد الشيشكلي وناظم القدسـي وبحثت معهم الموقف من جميع وجوهه فاذا بكـل منهم يمسك بشروطه لا يفرط بشـيء منها."

وقد قمت بالجهود ذاتها متخذا موقفا مختلفا فقد كنت اضغط علـى الشيشـكلي لقبـول شـروط حـزب الشـعب، كمـا كنـت فـي الوقت ذاته احاول ان اقنع حزب الشعب للتساهل في حل الازمـة، وقد اغضب هذا الموقـف اديـب الشيشـكلي فحـاول ان يتقـرب وان يتفق مع عبد الرحمن العظم وهذا ما دعاه لزيارته في منزله زيـارة استغرقت عدة ساعات لاسترضائه.

كان الدواليبي جادا في مساعيه لتأليف الوزارة وحـل الازمـة بعـد ان كلـف برئاسـة الحكومـة، وقـد كتبـت القـبس تعليقـا علـى تكليف الدكتور معروف الدواليبي بتشكيل الوزارة ما يلي:

"يتراءى للمشرفين عن كثب ان هنـاك قصـدا بايجـاد فوضـى فـي هـذه الـبلاد واستمرارها وتعقيد الامور بدلا من حلهـا، وهـذا هـو الـذي يجعلنـا نتخـبط فـي الظلام.. ويؤكد المطلعون ان تكليف الدواليبي لم يكن برأي حـزب الشـعب وان

الدواليبي نفسه كان قد شطب اسمه من قائمة الـ 18 الـذين رشـحهم حـزب الشعب لتشكيل الحكومة، فترشيحه كان شبه مفاجأة للشعبين، ولكنهم لـم يعترضوا بل ازدادوا تمسكا بشروطهم.

والمعروف ان الدواليبي يقول بمبدأ التساهل في الشروط ويسـتطيع ان يوفـق ما بين مختلف الجهات، خاصة وأنه يقترح حل مشكلة تعيين وزير دفـاع مـدني بترشيح الاستاذ اكرم الحوراني".. واستطردت تقول: "ولكن حـزب الشـعب قـد اعد عدته لعمل حاسم بعيد المرمى وهو الاستقالة مـن مجلـس النـواب، وان كتاب الاستقالة يحمله رشدي الكيخيا الان، ويتراوح عدد المـوقعين عليـه بـين 28 و30 نائبا من حزب الشـعب، وان المسـعى مبـذول للحصـول علـى تواقيـع الذين ما زالـوا متـرددين... ويقـول الشـعبيون بأنـه لا يوجـد نائـب فـيهم يرشـح نفسه لانتخابات نيابية جديدة اذا لم يكن زمام الدرك في قبضة وزيـر الداخليـة فعلا ومباشرة". (1951/11/20).

وقـد اسـتغل رشـدي الكيخيـا ارتفـاع اسـهمه فـي تلـك المظاهرة الشعبية الرائعة التـي اشـترك فيهـا لا لحـل الازمـة، بـل لتعقيدها اكثر وللتأثير على أعضاء حزب الشعب مـن النـواب الـذين لم يكونوا مقتنعـين بعـد بتوقيـع العريضـة، فأصـبحت مطـالبهم كمـا يلي:

الحاق الدرك بوزارة الداخلية.. وربط قوى البادية والعشـائر بهـا (مـع ان هذه القوى هي في الاساس كانت قطعات من الجيش) وعـدم محاكمة المدنيين امام المحاكم العسكرية، وان يكـون وزيـر الـدفاع مدنيا، بينمـا كـان بامكـان حـزب الشـعب عـدم القبـول بـوزير دفـاع عسكري منذ البدايـة، وقـد ذكـرت سـابقا ان نـاظم القدسـي كـان مرحبا بتعيين فوزي سلو وزيرا للدفاع، وهو أول وزير عسـكري فـي هـذه الـوزارة وقـد تولاهـا بعـد انقـلاب العقـداء، وكـان الشيشـكلي يعتقد بأن هذه المطالب اذا قبلت فهي مقدمة لطلـب تنحيتـه عـن رئاسة اركا الجيش.

ولا بد لنا من الوقوف هنا قليلا لمحاكمة ما كان يجري:

اذا افترضـنا حسـن النيـة بموقـف رشـدي الكيخيـا وانصـاره بحـزب الشـعب فانـه لا يمكننـا ان نفتـرض ان مـوقفهم كـان حكيمـا فقـد

ارعبت المظاهرات الشعبية المناصرة لنضال مصر اديب الشيشكلي اكثر مما ارعب مؤتمر الفلاحين بحلب رشدي الكيخيا، وكان تعنت حزب الشعب من الاسباب التي تدعو الشيشكلي للخوف والريبة، فقد رأى ان المظاهرات التي عمت سوريا على النحو الذي وصفناه هي كسب كبير وتأييد عظيم للاحزاب السياسية عامة ولحزب الشعب والجبهة الاشتراكية الاسلامية خاصة، وكان بامكان حزب الشعب ان يستغل هذا الموقف فيشكل حكومة قوية تؤثر على الشيشكلي وتقنعه بالمطالب التي ذكرناها.. اما الطريقة التي لجأوا اليها فقد كان لا يفهم منها الا التحدي والصدام، خصوصا بعد ان اتفق الكيخيا مع النواب المستقلين، فاصبح حسني البرازي وعبد الرحمن العظم ومنير العجلاني وسواهم هم المسيطرون على توجيه الازمة.

وبالرغم من اجتماعاتي المتوالية بقادة حزب الشعب واعضائه لتليين موقفهم فان مطالبهم كانت تتسع بشكل غير معقول.. وبالمقابل فان الشيشكلي كان يقول اثناء مناقشاتي معه: "ان نوايا حزب الشعب سيئة، واذا تساهلت معه فلن يقف عند هذه الحدود، وسوف يستمر في احراجه، ولا يمكنني ان اسلم رقبتي اليه."

اضطر الدواليبي لتقديم اعتذاره لرئيس الجمهورية بتاريخ 22 تشرين الثاني اثر قرار الهيئة البرلمانية لحزب الشعب التي اصرت على تنفيذ المطالب التي ذكرناها، وكان الدواليبي يسعى لحل الازمة باتباع خطة مرنة ولكن مساعيه اصطدمت بتمسك حزب الشعب وعدم تنازله عن اي من شروطه، بتحريض من كتلة المستقلين التي كانت تلهب حماسة اعضاء حزب الشعب باعتبار ان قضيتهم اصبحت قضية كرامة، كما كانت الكتلة الجمهورية الموالية للسعودية بأغلبية اعضائها حائلا دون الدواليبي ودون تشكيل الحكومة، وهكذا لم تكن سوى الجبهة الاشتراكية الاسلامية مؤيدة للدواليبي في مسعاه، مع عدد من النواب كانوا يرون المخاطر ماثلة والشبهات تحوم حول هذه الازمة واطالة امدها.

كانت الصحافة بوقا من ابـواق التحـريض، وكـان تعليقهـا بعـد اعتذار الدواليبي ان "الموقف يتطلب من حزب الشعب، مـا دام قـد استطاع ان يجتذب الى صفة تأييد معظم كتل المجلس، ان يتزعم الموقف ويضع في المعركة زعماءه الحقيقيين، فيعبـر عـن مواجهـة مباشرة يضع في كفتها ابرز قواه، أما استمراره في دفع الاشخاص الذين يقعون في الصف الثاني من قيادة الحزب فهذا معناه التهـرب من حمل المسؤولية وليس بعيدا عـن نفسـية المسـاومة وعقليـة الارخـاء والشـد، مـع ان الموقـف لا يحتمـل المنـاورات والقـرارات المرنة".

بعد اعتذار الدواليبي عمد حـزب الشـعب الـى اقنـاع رئـيس الجمهورية بتكلف سعيد حيدر بتشـكيل الـوزارة، وهـم عـارفون انـه اعجز من ان يضطلع بهذه المهمة حتى في الحالات الطبيعية، وقد اخذ اعضاء حزب الشعب يتندرون مـن تكليـف سـعيد حيـدر واصـبح الرجل لعبة بين ايديهم فكانوا يسألونه:

هل وقع التلكيف؟ فيجيبهم:

نعم وقع! فيضحكون.

ولم تأخذ كتل المجلس هذا التكليف مأخذ الجد، والظاهر ان ايصال الامور الى هذا المستوى كان مقدمـة لطـرح اسـم حسـني البرازي لتـأليف الحكومـة، ممـا يشـير الـى الايـدي الاجنبيـة التـي كانت تحرك الخيوط والدمى.

وقد صرح سـعيد حيـدر اثـر تكليفـه قـائلا: "حتـى اذا نجحـت التجربة الجديدة وتألفت حكومة في البلاد، فستكون هذه الحكومة حكومة مؤقتة تنتهي مهمتها بانتهاء اقـرار قـانون الانتخابـات واقـرار موازنة الدولة ومعالجة مشـروع الـدفاع عـن الشـرق الاوسـط، لان الانسجام بين الكتـل والاحـزاب لـن يسـتمر طـويلا، ولـذا كـان حـل المجلس النيابي اضمن واصـلح، **وان قضـية حـل المجلـس قـد اسـتعرضت فـي جملة الابحـاث التـي درسـت فـي اجتمـاع القصـر الجمهـوري"** واوضـح ان بعـض ممثلـي الاحـزاب عـادوا فتأكدوا منـه بصـفته رئيسـا للجنـة الدسـتور عمـا اذا كـان تصـريحه

صحيحا حول امكانية حل المجلس على يد حكومة لم تحز على الثقة فأكد لهم صحة التصريح وقال: ان هذا العمل غير مخالف للدستور.

وقد عدت للتعليق على الازمة الوزارية بالمقال التالي: (الاشتراكية 1951/1/24).

لمصلحة من هذه الازمة؟

لو سألت جميع المسؤولين السياسيين هذا السؤال لما امكنهم الا ان يعترفوا بهذه الحقيقة:

ان الازمة الوزارية الحاضرة في سورية هي لمصلحة الاجنبي المستعمر للبلاد العربية، ولما أمكنهم الا ان يعترفوا ايضا بأن هذه الازمة لا تسيء الى سورية فحسب، بل تسيء الى الشعب العربي في هذه المرحلة في تاريخ كفاحه.

ان الوفود العربية في باريس لا تعطي جوابها النهائي بشأن مشروع الدفاع العسكري الاستعماري المشتركة بحجة انتظار انتهاء الازمة السورية، وان نوري السعيد قد خلا له الجو ليقوم بمناوراته الانكليزية المضللة هناك، اننا نخدم اذن المشاريع الاستعمارية باطالة امد الازمة الحالية شئنا ام ابينا.

ومما يلفت النظر ان تبدأ الازمة الوزارية بتصريحات حسن الحكيم المعلومة، وفي اللحظة الاخيرة يستقيل وزير الداخلية السيد رشاد برمدا بسبب قضية ارتباط الدرك بوزارة الداخلية، فتتحول الازمة من نضال شعبي عربي ضد المشروع الاستعماري الذي يراد فرضه على البلاد العربية الى قضية مهما اريد المبالغة فيها لا تتعدى ان تكون بالنسبة لنضال العرب وتحررهم قضية ثانوية، والذي يلفت النظر ايضا تكليف السيد زكي الخطيب وطريقة معالجته للازمة الوزارية وكأنها كانت مقصودة لتأزيمها لا لحلها بعد تعديل قانون الجيش الاساسي من قبل لجنة القوانين العامة رغم ان حكومة السيد حسن الحكيم كانت مستقلية وبالرغم من عدم استدعاء ممثل عن وزارة الدفاع مما يخالف النظام الداخلي صراحة.

والاغرب من هذا وذاك ان يرشح الدكتور معروف الدواليبي لتأليف الوزارة بعد اعتذار الاول دون ان يكون مؤيدا من حزبه وهو حزب الاكثرية، اذ كيف يمكن ان

يفسر تكليفه الا انه محاولة لاطالة امد الازمة ولخروج الدواليبي منها على غير طائل؟

ان جميع هذه المقدمات لا توحي في اعماقها الا امرا واحدا هو تأليف حكومة يرأسها شخص هو ايضا كالسيد حسن الحكيم وبوزارة اضعف من الوزارة السابقة (اشارة الى سعيد حيدر) فترجع البلاد بذلك الى النقطة التي بدأت منها الازمة، وما عسى يريد الاجنبي؟ أفيريد غير رئيس وزارة وافق على مشاريعه الاستعمارية ودعا اليها وهو لا يزال ينتظر ما وعد به من تأليف الوزارة؟ (اشارة الى حسني البرازي).

انك ايها القارىء لا تعرف من هو الان، ومن خير البلاد الا يتوفق في مسعاه ومسعى من يحاول ان يجعله رئيسا للوزارة في هذا الظرف العصيب.

ان الازمة الوزارية هي بحقيقتها ازمة خارجية وهي لا تتعدى النضال بين رفض الشعب لمشروع الدفاع العسكري الاستعماري المشترك وبين تأييده، ومن المؤسف ان يستغل اصحاب النية الحسنة الذين التبس عليهم الامر، وكادت البلاد ان تكون ضحية هذا الالتباس.

اننا نقول بصراحة اذا كانت هناك ازمة قانونية اوسمها ما شئت فما على المسؤولين اصحاب النية الحسنة الا ان يتضافروا صفا واحدا لتأليف حكومة تواجه الوضع الخارجي على هدي ما اجمعت عليه البلاد، كما تتدارك وضع الموازنة، وبعد الفراغ من هذين الامرين الخطيرين يمكن لمن يعتقد ان هناك ازمة ان يحدد موقعه منها في ظرف غير هذا الظرف ولا سيما ان في تاريخ الامم شواهد على تآلف المسؤولين عند مداهمة الاخطار الخارجية.

□

اعتذر سعيد حيدر عن تشكيل الوزارة متعللا "بخشيته من الاخطار المحدقة خلال فترة الانتخابات التي قد تستغرق شهرين في حالة السير الطبيعي، فضلا عن القضايا المستعجلة الخارجية المطروحة على بساط البحث في الجمعية العمومية لهيئة الامم، بالاضافة الى المشروع الدفاعي وضرورة البت في امره وكل ذلك يحتاج الى استقرار ولا يحتمل تأجيلا ولا انتخابات جديدة". في هذا الوقت قام حسن الحكيم بزيارة الشيشكلي في داره، وقد

استغرقت الزيارة حوالي ساعة من الزمن (وكالة الانباء السورية - 1951/11/24).

بعد اعتذار سعيد حيدر كلف رئيس الجمهورية النائب من الكتلة الجمهورية عبد الباقي نظام الدين بتشكيل الحكومة. وهو غير قادر على تشكيلها في ذلك الظرف، وكان كل ذلك يجري في غيبة المجلس النيابي، اذ كان ناظم القدسي يؤجل الجلسات باستمرار بحجة عدم وجود حكومة، وهي حجة واهية . بينما القصد الحقيقي هو منع المجلس من معالجة الموضوع بشكل جدي مثمر.

بعد اعتذار عبد الباقي في نظام الدين، في 26 تشرين الثاني، طرح حسني البرازي نفسه لتشكيل الحكومة قائلا انه "ما دام الوضع قد وصل الى آخر شوطه، وقد اعيا المريض الاطباء، وكان آخر الادوية هو الكي، فانني اتساءل عن السبب الذي يحمل رئيس الجمهورية على عدم تكليفي بمعالجة الموقف وأنا الخبير بهذا العلاج". واستطرد قائلا انه "مستعد لرفع اسماء وزارته اذا كلف بتشكيلها قبل مغادرة القصر الجمهوري. لان اسماء اعضاء هذه الوزارة مهيأة وموضوعة في جيبه".

وهكذا امكن الهاء سوريا بالازمة الوزارية، وصرف انظارها عن تطورات الاوضاع العربية والدولية ولجمها عن مساهمتها النضالية في هذه الاحداث.

العودة لتكليف معروف الدواليبي: وفي 28 تشرين الثاني عاد رئيس الجمهورية ثانية فكلف الدكتور معروف الدواليبي بتأليف الوزارة، وقد تم الاتفاق على ما يظهر بين حزب الشعب الذي وحد صفوفه وبين رئيس الجمهورية والجبهة الاسلامية وكتلة المستقلين على أن تكون وزارة صدام مع الجيش، فتعمد الحكومة الى تقديم مشروع قانون إلى مجلس النواب بالحاق قوى الامن الداخلي (الدرك والشرطة وقوى البادية) بوزارة الداخلية، فتقر الاكثرية البرلمانية هذا المشروع ويصبح قانونا، واذا امتنع الشيشكلي عن تنفيذه يعتبر متمردا ويمكن ان تلجأ الحكومة الى

اقالته، واذا اعتقل الجيش اعضاء الحكومة فان رئيس الجمهورية والاكثرية البرلمانية يستقيلون ويصبح الشيشكلي مضطرا لاستلام الحكم... وهذا ما تم فعلا.

فقد ألف الدواليبي وزارته من أعضاء حزب الشعب والجبهة الاسلامية وكتلة المستقلين على النحو التالي:

معروف الدواليبي	للرئاسة والدفاع
منير العجلاني	للعدل
هاني السباعي	للمعارف
محمد المبارك	للزراعة
شاكر العاص	للخارجية
عبد الرحمن العظم	للمالية
علي بوظو	للاقتصاد
محمد الشواف	للصحة
جورج شاهين	للاشغال العامة

وقد صدرت مراسيم تشكيل الوزارة فور تكليف الدواليبي عند زيارته للقصر الجمهوري برفقة احمد قنبر وهاني السباعي وحسني البرازي وعبد الرحمن العظم وبعد مقابلتهم للرئيس واطلاعه على التفاهم الذي تم بين حزب الشعب والمستقلين والجبهة الاشتراكية الاسلامية واتفاقهم على ترشيح الدواليبي لتأليف وزارة تمارس الصلاحيات الدستورية الكاملة.

الجيش يستولي على الحكم

لم تعش وزارة الدكتور معروف الدواليبي الا يوما واحدا، ففي ليلة 11/29 اعتقل الجيش الدواليبي وبعض اعضاء حكومته وعددا من نواب حزب الشعب، وقد تلقيت النبأ من احسان الحصني الذي زارني عند الفجر وكان باديا من لون عينيه وشحوب وجهه السهر

والاعياء، فأخبرني بأنباء الاعتقالات، وقال لي انه سهر تلك الليلة مع العقيد اديب الشيشكلي فلمته اشد اللوم وقلت له:

سوف تستغل سهرتك هذه فنتهم بأننا متفاهمون معه فشعر احسان بخطئه، وقد نشرت الاشتراكية النبأ والبلاغات الصادرة تحت عنوان عريض هو: الجيش يستولي على الحكم.

رافق اعتقال الوزراء اذاعة البلاغ والبيان التاليين:

بلاغ رقم (1): تحيط رئاسة الاركان العامة الشعب السوري الكريم علما ان الجيش قد استلم زمام الامن في البلاد، وترجو ان يخلد الجميع الى الهدوء والسكينة وتسهيل مهمة الجيش ومتابعة اعمالهم دون قلق او اضطراب، كما تنذر من تسول له نفسه الاخلال بالامن بأشد الاجراءات.

دمشق في 29 تشرين الثاني 1951- رئيس الاركان العامة - العقيد اديب الشيشكلي

بيان رئاسة الاركان: ان الاركان العامة للجيش تحرص ان يطلع الشعب الكريم على تفاصيل الامور ليكون على بينة وليستطيع كل سوري مخلص من كم افواه المغرضين ومساندة الجيش في مسعاه لاقصاء العناصر الفاسدة صونا لاستقلال البلاد وحفظا لكرامتها وعزتها والعمل على بث الروح التقدمية في صفوفها.

لقد بدأ جماعة حزب الشعب منذ جلاء الاجنبي عن ديارنا بالتهديم وتهويل الامور وتضخيم سوء الاحوال.

وأشاروا في كل مناسبة الى ان البلاد تسير من سيء الى أسوأ نتيجة السياسة التي تبناها المسؤولون في تلك الفترة من تاريخ الوطن، فنجمت انقلابات ثلاثة على عاتقهم وحدهم تحمل مسؤولياتها.

لقد جبنوا اثر الانقلاب الاول فدفعوا الزعيم الى تلك الدكتاتورية، وتبنوا اللواء سامي الحناوي وتآمروا معه منذ فجر الانقلاب الثاني فدفعوا به الى تلك المؤامرة التي كادت تعصف باستقلال سوريا وتحطم جيشها وتخلق عرشا جديدا فيها، وكان اللواء سامي الحناوي يؤكد في احاديثه ان حزب الشعب متفق معه على اعلان الاتحاد الذي كاد يطيح باستقلالنا، وقد آثر رجال الجيش اثر حركتهم الثالثة وبعد اقصاء اللواء سامي الحناوي ان يتريثوا معهم

تجنبا للفضائح وعدم تعطيل الحياة النيابية والدستورية، وعندما وجدوا ان حلمهم لم يتحقق وان مشروعهم باء بالفشل تابعوا تهويلهم وثابروا على التهديم بوزارة دولة السيد خالد العظم لقتل ثقة الامة بنفسها، وليظهروا بمظهر المنقذين، ليحققوا ما يحلمون به وما يهدفون اليه. وان سفر زعمائهم واتصالاتهم الخارجية المشبوهة دليل واضح على ذلك.

ولم يكادوا يتسلمون زمام الحكم في عهد حكومة دولة الدكتور ناظم القدسي حتى سخروا الحكم لخدمة مآربهم الشخصية واهدافهم الحزبية فعمدوا الى اجراء تنقلات وتعيينات واعمال الت الى خرق الدستور الذي يتظاهرون بحمايته.

ولم يقفوا عند حدهم هذا بل ثابروا على تهديمهم فحرضوا الرأي العام ضد الجيش محاولين ايجاد هوة بين المواطن السوري والجندي السوري الذي آلى على نفسه الموت في خدمة بلاده، ولم يدعوا بابا الا طرقوه، ولم يجدوا ثغرة الا ونفذوا منها، لتوسيع تلك الهوة وزرع بذور الكراهية بين الامة وبين أبنائها رجال هذا الجيش، فاستغلوا كافة الازمات التي مرت في تلك الفترة وخاصة ازمة بحيرة الحولة في آذار الماضي وأظهروا البلاد بغير مظهرها الحقيقي محاولين ايجاد الوسيلة والطريقة التي تمكنهم من تحقيق اهدافهم الحزبية ومآربهم الشخصية التي يهدفون لها ويعملون من أجلها، ولكن الجيش السوري الذي دفعت له الامة بأعز ابنائها بعد ان علمتهم كيف يذودون عن حماها وغرست فيهم حب التفاني والموت في سبيلها اثبت للملأ كذب ما ادعوه وما حاولوا اظهاره، وبعد أن اعيتهم الحيل في الوصول الى اهدافهم لم يجدوا افضل من ان يخلقوا الازمة الوزارية المصطنعة في اشد الظروف واحرج المناسبات في هذا الوقت الذي يتطلب معالجة القضايا الخارجية المعلقة والتي تحتاج الى قرار حاسم حفظا لاستقلالنا، ولكنهم اهملوا كافة تلك القضايا وتناسوها وتعلقوا بتسلم قوى الامن لا لرد عدوان او دفع مكره عن البلاد، بل لخدمة مآربهم الحزبية واغراضهم الشخصية في انتخابات مقبلة، وغرضهم من كل ذلك اضعاف الجيش واظهاره بمظهر المستبد بالسلطات حتى تتاح لهم الفرصة لتحقيق ما حلموا به وما هدفوا اليه.

ايها الشعب السوري الكريم: ان الجيش يرفض ان يكون اداة طيعة لتحقيق الاغراض الاستعمارية والاهواء الحزبية والمطامع الشخصية لانه من ابناء الشعب يتحسس بشعورهم وعليه تقع مسؤولية الدفاع عن استقلال

البلاد وحفظ كيانها وسيادتها، وان الجيش السوري يرى ان حزب الشعب، وهو الفئة التي لا تمثلكم التثميل الصحيح، ان أهم اهدافها مؤامرة يقصد منها القضاء على استقلال سوريا وتحطيم جيشها وانشاء عرش جديد فيها.

ايها الشعب السوري الكريم: ان الجيش الذي وثقت به الامة واوكلت اليه حماية استقلالها، والذي نذر نفسه للموت دون حماها يعرض لك الواقع لتكون على بينة، ويترك الامر والحكم لك.

دمشـــــــق فـــــــي
1951/11/29

اجتماع مع الشيشكلي:

في ظهر ذلك اليوم استدعى العقيد الشيشكلي ممثلي الكتل والاحزاب البرلمانية لحضور اجتماع في الاركان العامة. قد حضرت ذلك الاجتماع ممثلا الحزب العربي الاشتراكي، كما حضرة مصطفى السباعي عن الجبهة الاشتراكية الاسلامية، وجلال السيد عن حزب البعث، وعصام المحايري عن الحزب القومي السوري، وعبد الباقي نظام الدين عن كتلة الجمهوريين، وميزر عبد المحسن عن كتلة العشائر، وقد تحدث الشيشكلي فاستعرض موقف حزب الشعب من الازمة، وانه اضطر لهذا التدبير حفظا للسلامة العامة. وكان يقاطعه بين حين وآخر فوزي سلو معلقا على تصرفات حزب الشعب معه وما قاساه منهم في الوزارات السابقة، وقد كان التحفظ والحذر مسيطرين على هذا الاجتماع. وبعد ان انتهى الشيشكلي من كلامه وعده الشيخ مصطفى السباعي بدرس الامر مع رئيس الجمهورية لعلنا نجد لهذه الازمة مخرجا.

بعد انصرافنا من الاركان العامة اجتمعنا في القصر، بعد ان انهى الشيشكلي زيارته لرئيس الجمهورية، مع لفيف من النواب اذكر منهم قاسم هنيدي وعبد الحميد دويدري واسبر اليازجي

وحنا صوايا وقدري المفتي وعصمت شاهين ومحمد العاشوري، (من حزب الشعب) وعصام المحايري، ومصطفى السباعي، وعبد الباقي نظام الدين وسعيد اسحاق (الكتلة الجمهورية) وسعيد حيدر ومحمد ابو رومية (كتلة المستقلين) وميزر عبد المحسن وعبد العزيز المسلط (كتلة العشائر). واقترح نواب حزب الشعب تشكيل وفد من سعيد اسحق ومصطفى السباعي وقاسم هنيدي للاجتماع بالدكتور الدواليبي في سجنه والبحث معه لعلهم يجدون حلا للازمة. فوافق رئيس الجمهورية على هذا الاقتراح.. ويظهر ان تلك المقابلة لم تسفر عن نتيجة.

وعندما سمح للدواليبي بالاجتماع برئيس الجمهورية وضع مصير وزارته رهن تصرف الرئيس بكتاب وجهه اليه، فاستدعى الرئيس الاتاسي حامد الخوجة وعهد اليه بتشكيل الوزارة فقبل المهمة، **وكان كتاب الدواليبي يعني انه في حال حل الازمة الوزارية بالاساليب الدستورية يصبح بامكان رئيس الجمهورية ان يعتبر هذا الكتاب تفويضا له بقبول استقالة الحكومة، اما اذا لم يتمكن الرئيس من حل الازمة بالاساليب الدستورية فتعتبر حكومة الدواليبي حكومة شرعية دستورية قائمة، كما تعتبر اية حكومة اخرى يقيمها الجيش غير شرعية ولا دستورية.**

كانت فرصة ذهبية لحامد الخجا لا يحلم بها فنشط بالاستشارات المعروفة وعرض علي الاشتراك بحكومته فاعتذرت وذكرته بالقرار الذي كان الحزب قد اتخذه من السابق بعدم اشتراكي شخصيا بأية حكومة. وقد أقام حامد الخجا في منزله حفلة غذاء ظهر ذلك اليوم للعقيد الشيشكلي بحضوري مع عدد من النواب منهم عصام محايري ونجدة النجار وعبد العزيز حسن بك وعبد الباقي نظام الدين وآخرون.

ولقد توصلت بعد اجتماعاتي مع الشيشكلي سواء في الاركان او في بيت حامد الخجة الى القناعات التالية:

اولا: ان الحـزب السـوري القـومي قـد لعـب دور المحـرض علـى الانقـلاب امـلا ان يصـبح حـزب الشيشـكلي الحـاكم (راجـع جريـدة الحزب: الجيل الجديد).

ثانيـا: اصـبح الامـل بعـودة الحيـاة الديموقراطيـة عـن طريـق اجـراء انتخابات نيابية املا ضعيفا جدا.

ولم تلبث الازمة ان بلغت نهايتها فاستقال هاشم الاتاسـي مـن رئاسـة الجمهوريـة واقـدم الشيشـكلي علـى حـل المجلـس النيابي، وهذا ما توضحه البلاغات التالية:

البلاغ رقم (2): نظرا لاصرار حزب الشعب نوابا واعضاء على اقامة الصعاب فـي طريق اي حل دسـتوري حـاول فخامـة رئـيس الجمهوريـة ايجـاده للخـروج مـن المأزق الذي خلقه هـذا الحـزب، فقـد اسـتقال فخامـة رئـيس الجمهوريـة مـن منصبه بعد ان بذل كل الجهود الحكيمـة لاقنـاع رؤسـاء حـزب الشـعب بضـرورة تجنيب البلاد اوضاع عدم الاسـتقرار التـي يخلقهـا تعنـتهم فـي رفـض الحلـول الدستورية التي وضعها بين ايديهم.

وكان آخر هذه الحلول، اثر استقالة الاستاذ الـدواليبي تكليـف فخامتـه لمعالي السيد حامد الخوجة بتأليف وزارة تتـولى حـل مجلـس النـواب للعـودة الى استفتاء الشعب باجراء انتخابات جديدة.

الا ان حزب الشعب الذي نصب من اعضائه في المجلـس التأسيسـي نوابا في المجلس النيابي الراهن اصـر علـى تمسـكه بكراسـي النيابـة ضـاربا بمصلحة البلاد العليا عرض الحائط.

ولهذا فان رئيس الاركان العامـة، رئـيس المجلـس العسـكري الاعلـى، يأسف لحرمان البلاد في هذا الظرف الدقيق من حكمة وحنكة فخامة الـرئيس هاشم الاتاسي ويسجل له بأسمى التقدير تنزهه في تسيير دفة الحكم في البلاد عن كل هوى او غرض.

دمشق في 1951/12/2

رئيس الاركان العامة، رئيس المجلس العسكري الاعلى

اديب الشيشكلي

امر عسكري رقم (1)

ان المجلس العسكري الاعلى

بناء على استقالة فخامة رئيس الجمهورية السورية وعدم وجود حكومة في البلاد تتولى شؤونها، يأمر بما يلي:

1- يتولى رئيس الاركان العامة (فوزي سلو) رئيس المجلس العسكري الاعلى مهام رئاسة الدولة، ويتمتع بكافة الصلاحيات الممنوحة للسلطة التنفيذية.

2- تصدر المراسيم اعتبارا من 2 كانون الاول 1951 عن رئيس الاركان العامة رئيس المجلس العسكري الاعلى.

3- ينشر هذا الامر العسكري ويبلغ من يلزم لتنفيذ احكامه.

دمشق في 1951/12/2

المرسوم رقم (1): وبهذه الصفة اصدر العقيد الشيشكلي مرسوما يقضي بأن "يحل مجلس النواب اعتبارا من الثاني من كانون الثاني 1951... نظرا لعجز مجلس النواب القائم عن تحمل مسؤوليات توجيه الحكم".

بلاغ العقيد الشيشكلي للشعب: في 12/2 وجه العقيد اديب الشيشكلي البلاغ التالي:

ايها الشعب السوري الكريم: انت مصدر السلطات العسكرية والمدنية. انت مصدر الدستور، من اجلك وضع الدستور، من اجل حماية ارادتك ومصالحك القومية من عبث الذين نشأوا على اعتبار وسائل الحكم والسلطة اداة استغلال للتمكن من المراكز ولتأمين منافع خصوصية هي غريبة عن مصالحك وحرب عليها.

ان الجيش الذي هو منك حريص على الدستور حرصك عليه، وان ما حدا به الى حزم امره والمبادرة الى حماية ارادتك ومصلحتك من الاستغلال هو فئة تتآمر على الدستور وتدعي باطلا العمل بموجبه. أما الفئة المتآمرة فاليك قصتها باختصار. ان نياتها ما فتئت منذ كانت في مراكز التأثير في مصيرك نيات مبيتة ما لبث ان كشفت للنور.

في آذار الماضي بينما كان جيشك في الحولة يتلقى بصدور دامية عدوان الصهيونيين وأعمالهم التوسعية ويحول دون ضياع الحولة، خلقت هذه الفئة المتآمرة على سلامة ارضك وجيشك ازمة وزارية مصطنعة دامت ثلاثة اسابيع وتركت فيها البلاد بدون حكومة تواجه اعصار الاخطار، هذه الازمة

المصطنعة في مؤخرة القوات المسلحة تعتبر في الامم الواعية خيانة عظمى.

وفي الوقت الذي تستعد امم العالم اجمع لتنمية مواردها المادية والمعنوية ولتقوية وسائل دفاعها لحماية اوطانها ومصالحها القومية، في هذا الوقت العصيب، في فترة استعداد امتنا لمواجهة الاخطار الخارجية والداخلية، تصطنع هذه الفئة المتآمرة مرة اخرى ازمة وزارية حادة وتأبى الا ان تلوث وسائل امنك الداخلي بالمفاسد والمآرب الخصوصية التي اعتمدها في الحكم لتشل بذلك جيشك، هادفة من وراء احداث هذا الشلل العمل على تشويه سمعة الجيش لديك للفصل بينك وبينه، وانت وهو وحدة لا تتجزأ. فتنطلق هي حرة من كل رادع ورقيب في تقويض الاستقلال والكيان الجمهوري وفي ربط مصيرك بمصير الارادات الخارجية.

هذه الفئة المتآمرة قد بدأت منذ اصبحت في مراكز النفوذ تعد العدة وترسم الخطط لتجرك الى التهلكة والاستسلام وتتعاون مع جهات غريبة عنك باتصالاتها المشبوهة في الخارج، لتربطك بعربة الاجنبي الذي دفع السوريون من دمائهم للخلاص منه.. هذه الفئة المتآمرة مسؤولة عن بقاء البلاد بدون موازنة منذ عام كامل، هادفة الى حبس المخصصات الضرورية لتقوية جيشك ووسائل دفاعه... هذه الفئة المتآمرة هي نفسها حالت دون تنفيذ ما ينص عليه الدستور، وكادت ان تجر البلاد الى تناحر طبقي يشتت قوى الامة ويعطل فعاليتها... هذه الفئة المتآمرة مسؤولة عما ينتظر سوريا في هذا الوقت الذي اتجهت فيه انظار العالم نحو الشرق الادنى، وبدأت مشاورات ومحادثات حول مستقبل اممه - وسوريا هي موضع القلب منه-. فماذا تراهم يفعلون"؟.. فعلاوة عن كل محاولاتهم لايجاد هوة بين الشعب وجيشه، تراهم ينادون مضللين ان السلطات ليست في يدهم متذرعين بربط الدرك بوزارة الداخلية ووزارة الدفاع بوزير مدني، رامين من وراء ذلك تحميل الجيش مسؤولية تقصيرهم وفوضاهم وتخليهم عن مصالح البلاد الكبرى بخصوصياتهم الجامحة... الخ.

أواخر 1951: الاوضاع العربية والدولية التي تزامنت مع انقلاب الشيشكلي:

رافق انقلاب الشيشكلي تطورات هامة، بالاوضاع الدولية والعربية على الشكل التالي:

اولا: اخفاق المساعي الاميركية لتوطين اللاجئين خارج فلسطين، عن طريق "لجنة التوفيق الدولية"- التي تحدثنا عنها في فصل سابق.

ففي 22 تشرين الثاني 1951 نشرت الصحف ان "الدوائر المطلعة في هيئة الامم علمت ان امريكا وتركيا - العضوان في لجنة التوفيق الدولية - تؤيدان حل هذه اللجنة ونقل اعمالها الى وكالة غوث اللاجئين، وقد سلمت اللجنة للوفود العربية والوفد الاسرائيلي مذكرة تتضمن اعترافها بالفشل في الوصول الى الصلح واقتراحا بتصفية اعمال اللجنة"... كما جاء من باريس في 24 تشرين الثاني 1951: "فرغت لجنة التوفيق الدولية من اعداد تقريرها الذي ضمنته اعلان فشلها بتسوية القضية الفلسطينية، وسترفعه الى المستر تريغفي لي الامين العام لهيئة الامم لعرضه على الجمعية العمومية".

والنتيجة التي خرجت بها لجنة التوفيق في تقريرها، بعد كل ما حققته لاسرائيل من مكاسب (دخولها هيئة الامم المتحدة) انها وضعت مسؤولية فشلها على قدم المساواة بين العرب واسرائيل، مع اقتراح بتعيين وسيط دولي جديد... مع ان اللجنة تشكلت بالاساس للاشراف على تنفيذ الفقرة (11) من قرار هيئة الامم القاضي بعودة اللاجئين الى بيوتهم وممتلكاتهم، والتعويض عليهم، الامر الذي رفضت اسرائيل تنفيذه... كما انها قدرت قيمة اموال ممتلكات الاجئين بـ (120) مليون جنيه، مع ان حكومة الانتداب كانت قد قدرتها بألف مليون جنيه عام 1948.

وقد كان تقديم تقرير لجنة التوفيق الى هيئة الامم مرفقا بتقرير آخر من وكالة الغوث يقضي بتوطين اللاجئين وتخصيص

(250) مليون دولار لهذا الغرض، بداعي ان توطينهم لا يؤثر على قرار العودة.

ولم يتوقف ضغط الولايات المتحدة المستمر للموافقة على توطين اللاجئين وانهاء القضية الفلسطينية. وكان هذا باستمرار محور الجهود الاميركية وعمل اجهزتها في سورية والمنطقة العربية.

ثانيا: اتساع ونمو حركة التحرر الشعبي في المنطقة ابتداء من تأميم النفط في ايران، الى الغاء المعاهدة البريطانية في مصر، الى التأييد الشعبي الهائل للحركتين معا ولقضية مراكش في كل البلاد العربية، الى انطلاق حركة الفدائيين المصريين في منطقة قناة السويس التي كانت بمثابة البدء بحرب تحرير شعبية... الى توحيد حركة النضال الشعبي العربي لاول مرة في التاريخ، في اضرابات ومظاهرات 14 تشرين الثاني التي تمت في وقت واحد في جميع العواصم العربية... الامر الذي افزع بريطانيا والولايات المتحدة وهدد نفوذها تهديدا مباشرا.

ثالثا: انزعاج فرنسا من التأييد السوري لنضال مراكش، مما جعلها توقف شحن الاسلحة الى سوريا انتقاما مما اضطر سوريا لايفاد العقيد شوكت شقير الى باريس لمعالجة هذه القضية ولكنه عاد خائبا.

رابعا: بدأ الاتحاد السوفياتي يظهر كقوة دولية في دعم قضايا التحرر العربي ففي 24 تشرين الثاني القى فيشنسكي وزير الخارجية السوفياتية خطابا في الامم المتحدة قال فيه: ان الاتحاد السوفياتي يؤيد بلاد الشرق الاوسط في أمانيها القومية السلمية متبعا نحو شعوبها سياسة سلمية يجابه بها سياسة الاستعمار الغربي العدوانية".

وفي اليوم ذاته استدعى غروميكو، نائب وزير الخارجية السوفياتية، سفراء امريكا وفرنسا وتركيا في موسكو وسلمهم مذكرات تتضمن احتجاجا شديد اللهجة على المضي في مشروع انشاء قيادة للدفاع المشترك عن الشرق الاوسط.

خامسا: قبيل وقوع انقلاب الشيشكلي بأيام قليلة وصل الى دمشق الشيخ يوسف ياسين، وكيل وزارة الخارجية السعودية، ثم ادلى بتصريح في اللاذقية "اوضح فيه موقف الحكومة السعودية من مشروع الدفاع المشترك وضرورة قبوله مبدئيا ريثما يدرس الدراسة الكافية من قبل الدول العربية، ومعربا عن اعتقاده بأن المصالح المتبادلة بين الحكومة السعودية واميركا تساعد على تذليل العقبات القائمة في سبيل تحقيق المشروع المذكور. وذلك بايجاد حلول عملية ملائمة للمشكلات الناشئة عن الخلاف بين بريطانيا وبعض الدول العربية وللنزاع القائم بشأن فلسطين (اي بين العرب واسرائيل)".

□

هذا هو الوضع العربي والدولي الذي تزامن مع انقلاب الشيشكلي، ومع ان الشيشكلي لم يكن عميلا للغرب فان الغرب عرف كيف يستغل انقلابه ونظام حكمه لمصلحته.

لقد كان الانقلاب العسكري في سورية اولا، ثم الانقلاب على مصدق في ايران ضربة مسددة للمد الشعبي الذي اخذ يشق طريقه في منطقة الشرق الاوسط.

وأن التصريح الذي ادلى به ماك غي مساعد وزير الخارجية الاميركية بتاريخ 1951/12/3 يلقي ضوءا على السياسة الاميركية ويمهد لفهم انعكاساتها فيما بعد على منطقة الشرق الاوسط.

سئل ماك غي من قبل ثلاثة من كبار المعلقين الاميركين:

س: ان الطريق الوحيد في رأي الدوائر الاميركية في طهران هو تأييد الشاه بحركة سياسية تؤدي الى حل الازمة، فلماذا لم يتم ذلك؟

جـ: اعتقد ان ذلك تبسيط للامور لا ينطبق على الواقع، ولقد أيدنا الشاه في كثير من خطوته التحررية.

س: يتهمنا البريطانيون بانتهاج سياسة ملتوية في الشرق الاوسط، فما رأيكم بذلك؟

جـ- لقد قبلنا تحمل المسؤوليات في الشرق الاوسط. وجئنا اليه بحكم الواقع وتطور الاحداث، فلنا فيه مصالح بترولية ودفاعية واستراتيجية واود ان اضيف أن مسألة ارسال قوات اميركية للشرق الاوسط لم ترد بعد. ولكن اذا ظهرت حاجة الى ذلك فسنبحث الموقف.

س: ما الذي يجعلنا نعتقد بأن القومية العربية تعمل بوحي من روسيا؟

جـ: ان هذا التعبير ليس صحيحا. لكن حركة القومية العربية تسبب متاعب للغرب.

ثم انتقل الحوار الى قضية الدفاع المشترك عن الشرق الاوسط. فسئل عن قضية تعاون الدول العربية مع الغرب في هذا المشروع فأجاب: سنمضي في المشروع اذا اضطررنا دون اشراك الدول العربية فيه.

س: ولكن كيف ندافع عن بلدان لا يريد أهلها ان ندافع عنها؟

جـ: ان منطقة الشرق الاوسط واسعة، وفي الحربين العالميتين ارسلت قوات بريطانية واسترالية وغيرها للدفاع عن المنطقة.

أوائل 1952: الشيشكلي والاحزاب - الشيشكلي يقول انه لن يسلم رقبته مرة ثانية لحزب الشعب - القوميون السوريون والشيوعيون يحملون على الاشتراكيين العرب- ظهور أعراض الديكتاتورية والاستعمار الجديد على اديب الشيشكلي - الاميركيون يعرضون المساعدات للقبول بتوطين اللاجئين ودفن القضية الفلسطينية.

كنت على علاقة طيبة مع عصام المحايري مسؤول الحزب السوري القومي في سورية ولكن جريدة الحزب (الجيل الجديد) كانت تهاجم حركة الفلاحين والحزب العربي الاشتراكي باستمرار، وكثيرا ما حذرت المحايري ولمته ولكن دون جدوى.

كان الحزب السوري القومي كالاحزاب الاخرى في سورية يتمتع بحرية كاملة، وكان على علاقة طيبة مع العقيد الشيشكلي الذي لم يكن غريبا عن الحزب وأفكاره وقياداته من قبل الحرب العالمية الثانية عن طريق اخيه صلاح، كما لم يكن الشيشكلي غريبا عن الجو القومي العربي مع رفاقه الضباط الشباب بعد الجلاء عام 1945 وفي حرب فلسطين عام 1948، وكان شأنه شأن الضباط الاخرين لم تتبلور في رأسه أية افكار سياسية او اجتماعية تبلورا واضحا يقينيا سوى مخاطر الحركة الصهيونية على سورية والامة العربية، وكان مرتبطا بحكم مصلحته باتجاه الكتلة التي كانت تدعمه في الجيش والتي اصبحت فيما بعد تنظيما خاصا له وكان اتجاهها قوميا عربيا.

□

رغم بوادر الاتفاق بين الشيشكلي والحزب السوري القومي وتأييد هذا الحزب للشيشكلي في حركته الاخيرة فقد عقدنا نحن الخمسة: عصام المحايري، جلال السيد، اكرم الحوراني، ميشيل عفلق، صلاح البيطار اجتماعا مع الشيشكلي في منزله في شارع بغداد (السبع بحرات) حيث دار معه نقاش

طويـل حـول وجـوب حـل الازمـة القائمـة وضـرورة اطـلاق سـراح المعتقلين من اعضاء حزب الشعب، وعـدم الاهتمـام كثيـرا بارتبـاط قوى الامن الداخلي بوزارة الداخلية، ولكن موقف الشيشكلي كان متعنتا وكـان يـردد انـه لا يمكـن ان يسـلم رقبتـه مـرة ثانيـة لحـزب الشعب، ولما لم نصل الى نتيجة اتفقنا على استئناف الحوار فـي اجتماعات اخرى، ولكن هذا الاجتماع كان اخـر اجتمـاع مـع العقيـد اديب الشيشكلي.

□

استغل الحزب السوري القومي علاقته بالشيشكلي فازداد جـرأة فـي مهاجمـة الحـزب العربـي الاشـتراكي وتحريضـه علـى الاحزاب السياسية الاخـرى والـذي يقـرأ مـا كانـت تنشـره "الجيـل الجديـد" آنـذاك ويقـرأ بيـان الشيشـكلي الـذي اثبتنـا نصـه فـي الصفحات السابقة يلمس بصمات الحزب المذكور على البيان الذي اصدره اديب الشيشكلي.

لعب الحزب السـوري القـومي عـن طريـق عصـام المحـايري وكذلك عن طريق فؤاد الغميان وغيره من اركان السفارة الاميركيـة في دمشق دورا هاما في انقلاب الشيشكلي وتوجيهه، ثم أصـبح الحزب بعد انهيـار نظـام الشيشـكلي عصـابة للاجـرام والاغتيـالات التي أدت الى مصرع الشهيد العقيـد عـدنان المـالكي عـام 1955، مما سترد وقائعه بالتفصيل في حينه.

كان غريبا ان يلتقي الحـزب الشـيوعي والحـزب السـوري القـومي بالهجوم على الحـزب العربـي الاشـتراكي، ولا سـيما بعـد انقـلاب الشيشكلي، ولكـن كانـت لكـل منهمـا اهدافـه واغراضـه الخاصـة، فالحزب السوري القومي بدأ يقدم نفسه وكأنه حزب الشيشـكلي الحـاكم، بينمـا ادرك الشـيوعيون ان المـد الكبيـر للحـزب العربـي الاشتراكي الـذي تجـاوزت جمـاهيره اريـاف سـورية الـى الاوسـاط العمالية والشعبية فـي المـدن سـيكون حـائلا دون انتشـار الحـزب الشيوعي، وكان مـن جملـة مـا كتبتـه صـحيفة الحـزب الشـيوعي "نضال الشعب" ما يلي:

"لنقل هنا ان اكرم الحوراني اتخذ هذا الاسلوب في التضليل قانونا لـه لا فـي سياسته الخارجية بـل فـي سياسـته الداخليـة ايضـا: فكمـا انـه يصـرف انظـار الشعب عن الاستعمار الانكلو - اميركي بالحملة على (الشرق والغرب معـا) - فكذلك في سياسته الداخلية يصرف انظار الفلاحين عن النضـال لاخـذ اراضـي الاقطاعيين بدعوتهم الى المطالبة بتوزيع اراضي املاك الدولة عليهم الخ...

(جريدة نضال الشعب - تشرين اول 1951 العدد 91)

فكتبت في صحيفة الاشتراكية بتاريخ 51/12/22 ردا على افتراءات صحيفة نضال الشعب ما يلي:

يعتقـد الشـيوعيون فـي جريـدتهم نضـال الشـعب ان الـدعوة لتحديـد الملكية وتوزيع املاك الدولة، وقانون حماية الفلاح، وفرض الضرائب التصـاعدية، وغير ذلك... تضليل وتمويه ... لانها تعرقل الثورة الشيوعية.

ان الاجهـزة الاسـتعمارية الغربيـة فـي الـبلاد العربيـة تقـاوم الـدعوات الاصلاحية التقدمية لان في القضاء عليها تثبيتا لمصالحها الاستعمارية، وهـي متفقـة فـي الاصـل، مـع اخـتلاف الـدوافع والاهـداف، مـع الطبقـة الرجعيـة، الاقطاعية الرأسمالية، التي ترى في الحركات الاصلاحية التقدمية خطرا على منافعهـا القريبـة... فالتقدميـة العربيـة المناضـلة اذن هـي هـدف لحمـلات الشيوعيين والاستعمار الغربي والطبقة الاقطاعية الرأسمالية في آن واحد!!

ولذلك اصبح من الطبيعي ان يتهم الشيوعيون التقـدميين العـرب بأنهـا مموهون، وانهم ابواق للاستعمار الغربـي. كمـا اصـبح مـن الطبيعـي ان يـتهم الاستعمار الغربي واجهزته وعملاؤه العرب التقدميين بـأنهم شـيوعيون وانهـم دعاة موسكو.

وطوبى لمن يكون هدفا للخصـمين المبطلـين لانـه يكـون دومـا حـاملا مشـعل الحق..

□

بدأت آثار انقلاب الشيشكلي تضغط بصـورة متصـاعدة علـى قواعد حزبي العربي الاشـتراكي والبعث العربي بضرورة توحيـدهما للوقـوف فـي وجـه الحكـم العسـكري، وقـد اسـتغرقت المفاوضـات التي انتهت الى دمج الحزبين شهورا سيأتي ذكر تفاصيلها.

ومنذ الانقلاب شرع الحزبان بتوحيد سياستهما فأصبحت صحيفتا البعث والاشتراكية وكأنهما تنطقان بلسان واحد، وقد تجنبنا استفزاز الشيشكلي وفتح معركة معه طالما انه ما يزال يسمح للحزبين بالتعبير عن وجهة نظرهما بشكل حر.

وقد لخصت جريدة البعث بتاريخ 1951/12/7 هذه السياسة بالنقاط التالية:

"كان رأي الحزب دوما ان اول اهداف الحكم الدستوري الصحيح هو تحرير الشعب من الاغلال التي يرزح تحتها بسن تشريعات لتحديد الملكية وتوزيع الاراضي وحماية الفلاح والعامل ورفع مستواها المعاشي، وسن قانون تقدمي للانتخابات البلدية والنيابية يمكن الناخب من ممارسة حقه السياسي بملء الحرية دون ضغط او خوف او اغراء، وان تصحيح مساويء الحكم السابق يعلن عن نفسه بصورة واضحة عندما تحقق الامور الاتية:

1- ان يتاح للشعب ابداء ارادته بملء الحرية في انتخابات مقبلة بعد تهيئة القوانين والضمانات التي تحرره من سلطان الخوف وسلطة المال والجاه.

2- ان تعود الحياة الدستورية بكاملها وحقيقتها بالسرعة الممكنة.

3- ان تقتصر مهمة الحكم الانتقالي الراهن على تحقيق هذه المهمة القومية الخطيرة دون تورط في اي ارتباط خارجي، وبصورة خاصة رفض مشروع الدفاع المشترك الاستعماري بكل قوة".

كما كانت جريدة الاشتراكية تعرب عن رأي الحزب في كل عدد من الاعداد مؤكدة هذا النهج. وفيما يلي بعض ما كتب في هذه الفترة:

هذا رأينا:

تدخل الجيش - اثر الازمة المصطنعة - التي دامت ثلاثة وعشرين يوما ووضع حدا لها، وقد شرحنا رأينا بمقدمات هذه الازمة في اعداد الاشتراكية السابقة.

ولا بد لنا الان ان نتساءل: هل المستقبل الصالح متعلق باجراء انتخابات في بلادنا؟

اننا نعتقد ان مجرد اجراء انتخابات ولو في كل شهر لا تغير شيئا من حقيقة اوضاعنا السيئة، بل ربما زادتها سوءا الى سوء، اما الاستقرار الذي يتغني به صغار الاحلام، فلا يمكن ان نصل اليه باجراء الانتخابات، كما لا يمكن ان نصل اليه بفرض السيطرة والقوة، الم تجر انتخابات عام 1943 و 1947 و1949 فهل بلغت البلاد شاطىء الاستقرار؟

الم يفرض حسني الزعيم ديكتاتورية العسكرية، فهل استقرت به الحال؟ ان طريق الاستقرار الصحيح هو تحرير الشعب من كابوس الاستثمار والاستغلال حتى يصطفي قادته وممثليه باختياره وارادته.

فيصبح عندئذ حكم الشعب بالشعب فتنسجم ارادة نوابه وممثليه مع ارادته ومطامحهم بالتقدم والارتقاء.

اما ان تأتي فئة اقطاعية او مستغلة الى المجلس والحكم بدلا من فئة اقطاعية او مستغلة اخرى مهما اختلفت اسماء هذه الفئات ومشتقاتها فلن تتقدم البلاد خطوة الى الامام. بل تتردى في حمأة التأخر والفوضى. ولن تخدعنا هذه الفئات المستغلة مهما اختلفت الاسماء التي تتستر وراءها، ومهما مضغت من المبادىء التقدمية.. لانها ما لبثت ان لفظتها لانها كانت مرا علقما في افواهها:

وقد يتزيا بالهدى غير اهله ويستصحب الانسان من لا يلائمه

ان تحرير الشعب الذي يؤدي الى الاستقرار المنشود يقتضي تحقيق سلسلة اصلاحات قبل اجراء الانتخاب:

فقانون حماية الفلاح يحرر ثلث سكان البلاد من خوف المتنفذين والاقطاعيين، فيتقدمون الى صناديق الاقتراع غير وجلين على مستقبلهم ولا خائفين من حر السياط في ظهورهم. عدا انه يحدد حقوق وواجبات فريقين من المواطنين الملاكين والفلاحين فلا مستعبدين ولا مستعبدين، كما ان قانون تحديد الملكية وقانون توزيع املاك الدولة يفعلان هذا المفعول. وكل هذه القوانين

يعود بالتالي بالخير العميم الاقتصادي والاجتماعي على البلاد، تلك القوانين التي تآمر عليها المجلس السابق رغم انها من احكام الدستور الذي تباكوا على تطبيقه روحا ونصا.

ولا يقل اصلاح قانون الانتخاب اهمية عن هذه القوانين التي تحرر المواطن من نير العشائرية والاقطاعية والنفعية.. وكذلك قانون البلديات والمخاتير واعادة النظر بالتقسيمات والتشكيلات الادارية، واصلاح القضاء وجهاز الدولة.

ليس تزوير ارادة الناخبين ان تلقى الاوراق المزورة في صناديق الاقتراع فحسب بل تزوير ارادتهم ايضا يكون بخضوعهم لنفوذ الاقطاعية والعشائرية وسياط الفئات الرجعية، والخوف من المستقبل ومن فوات المنافع الجزئية التي يرتبطون بها وتتجه باتجاهها الاجهزة الادارية بأغلب اشخاصها وقوانينها وتشكيلاتها وانظمتها.

هذه هي الدفعة الاولى من سلسلة الاصلاحات التي يمكن ان تحقق فورا وتجري الانتخابات على اساسها دون بطء او تآمر. فتعطي نتائجها السحرية العاجلة فتنعم البلاد بظل نظام برلماني امثل يعود فيه شعبنا العربي الى اصالته الخلقية التاريخية.

اما الاصلاحات الهامة الصحيحة الاخرى التي تعطي نتائجها الاجلة والتي هي مرتبطة كل الارتباط بالدفعة الاولى من هذه الاصلاحات. فيمكن ان تحقق دون ان تكون سببا في تأخير موعد الانتخاب.

اننا لا نستغرب تآمر الفئات المستغلة مع الجهات الاجنبية، فهذا تاريخها من عهد العثمانيين حتى جلاء الجيوش الاجنبية عن البلاد يبرهن على انها كانت بخدمة الاستعمار، وان كانت مفضوحة بعلاقاتها معه آنذاك متسترة متخفية بخدمتها له وخدمته لها بعد ان جلت جيوشه عنها. والتاريخ شاهد على ان قوى الرجعية والاستغلال والاقطاعية قد تآمرت في جميع الشعوب وفي جميع الادوار مع قوى الاستعمار الخارجية.

لا نشك مطلقا بأن وضعنا الخارجي مرتبط كل الارتباط باوضاعنا الداخلية والعكس صحيح. كما لا نشك بأن الحركة التي تقضي على العمالة والاستغلال تقاوم الاستعمار الخارجي وتقتلع جذوره واسبابه من الداخل. وان رفض الشعب لمشروع الدفاع العسكري المشترك الذي يحاول الحلفاء

الغربيون فرضه على البلاد العربية لدعم مصالحهم الاستعمارية على حساب حياته وبقائه ونهضته كان رفض الواعي المتشبث بحقه بالحياة الحرة الكريمة.

الاشتراكية
(1951/12/8)

بدأت اعراض الاستعمار الجديد تظهر على انقلاب الشيشكلي، فقد أصدر كما فعل حسني الزعيم من قبل قرارا يحظر فيه على الموظفين الانتماء الى الاحزاب السياسية، ولم يكن لهذا القانون تأثير يذكر على الحزب العربي الاشتراكي لان معظم كوادره وجميع قواعده من الجماهير الشعبية، ولكن تأثير هذا القانون كان كبيرا على حزب البعث لان معظم قياداته وقواعده من الموظفين، فخرجت المجابهة المبطنة لانقلاب الشيشكلي الى المجابهة الصريحة. وقد عالجت هذا الموضوع بمقال جاء فيه:

مما لا يمكن انكاره ان في جهاز الموظفين الحالي اناسا شرفاء اصحاب عقائد ومبادىء، وذلك اكبر ضمان لعدم تسخيرهم واستخدامهم السلطة، لان استخدام السلطة عقلية اقطاعية تتنافى مع كل مبدأ وعقيدة فهل يجوز ان يطرد هؤلاء؟ فهم اما ان يحنثوا بأيمانهم وهو ليس من الاخلاق في شيء، واما ان يستقيلوا من وظائفهم وهذه خسارة للجهاز الحكومي.

اننا نعيد ما قلناه عام 1944 في المجلس عند مناقشة المادة المتعلقة بهذا الموضوع في قانون الموظفين وهو ان نعتبر الموظف - مبدئيا - مواطنا متعلما له الحق ان يتمتع بجميع حقوقه السياسية التي يتمتع بها كل انسان في المجتمع، وبما انه يتحمل مسؤولية ويتمتع بسلطة اجتماعية فليس حرا باستخدامها، فاذا اساءا استعمالها لمصلحة شخص او فئة او حزب يعتبر خائنا لوظيفته وتطبق بحقه العقوبات المنصوص عليها.

ان هذه العقوبات لم تطبق في الماضي بحق المسيئن من الموظفين لان الجهاز السياسي المهيمن هو الذي كان يدفع هؤلاء لارتكاب التجاوزات فكيف يمكن اذن ان يناقشهم الحساب؟

اننا نعتبر ان التدبير الذي يحرم الموظفين حقوقهم السياسية بينما يتمتع بها الموظفون في اغلب دول العالم، لا يخدم من حيث النتيجة الا

الفئات المستثمرة، ولا يؤذي الا اصحاب المبادىء، وان تطبيق العقوبات بحق الموظفين المتحزبين والمتحيزين باستعمال وظائفهم كفيل بتنقية الجهاز الحكومي من جميع العناصر السيئة اذا كانت السلطات العليا في الدولة غير متحزبة ولا متحيزة لمصالح شخصية او عائلية او عشائرية او اقطاعية." (الاشتراكية 1952/1/12).

وقد هللت اجهزة الاعلام الرسمية وصحف الحزب الوطني لهذا المرسوم الذي اصدره رئيس الدولة الزعيم فوزي سلو.

□

وعلى الطريقة الاميركية بدأت الشخصيات ومراسلو الوكالات يزورون دمشق، وكانت في المقدمة السيدة روزفلت المعروفة بتأييدها للصهيونية فكتبت ما يلي تعليقا على زيارتها:

هذا رأينا:

هيأت مديرية الدعاية والانباء لرجال الصحافة فرصة الاجتماع بالسيدة اليانور روزفلت في حفلة الشاي التي اقامتها بنادي دمشق، فقالت مسز روزفلت انها ستساعد جهد امكانها، حين عودتها الى بلادها على تحريك العواطف نحو هؤلاء المشردين البؤساء، بعد ان زارت مخيماتهم بلبنان ووقفت على مبلغ شقائهم وتعاستهم.

لقد اوضحنا في عدد سلف من الاشتراكية ان مسؤولية قبول انهاء مشكلة اللاجئين لقاء 250 مليون دولار لا تقل عن مسؤولية عقد الهدنة الاولى التي كانت سببا كبيرا في ضياع فلسطين واوضحنا ايضا ان هذه الملايين التي ستدفع للدول العربية، - على مدى ثلاث سنوات - لا تزيد كثيرا عن المعونة التي يتناولها اللاجئون عن هذه المدة.

ان هذه الملايين بلا شك ثمن انهاء مشكلة فلسطين وطيها من ساحة السياسة الدولية. وبذلك تتخلص اميركا وبريطانيا من مسؤلية تهجير مليون عربي عن ديارهم، ويفسح المجال من جديد امام السياسة الانكلو-اميركية لتعمل على تنفيذ مشروعها الكامل بعقد حلف عسكري واقتصادي بين اسرائيل والدول العربية ان لم يكن مباشرة فبواسطة مشروع الدفاع العسكري المشترك عن الشرق الاوسط.

يبدو هذا طبيعيا ومعقولا لان المسؤلين العرب الذين تآمروا على فلسطين فأضاعوها هم انفسهم خرجوا بجنازتها نادبين، وهم انفسهم قبلوا بمشروع الاستيطان ليهيلوا على قبر فلسطين التراب. اما من يندد بهذه السياسة المجرمة فهو مجنون ومتطرف لا يحاكم الامور بالعقل والمنطق الرزين، وهكذا كان عملاء الاستعمار طوال تاريخه بالشرق دوما هم العقلاء! وكان منطق الشعب دوما منطق المجانين. الم يكن المطالبون بجلاء الفرنسيين عن هذه الديار مجانين وموضع تندر عملاء الفرنسيين؟ الم يكن منطق العين التي لا تقاوم مخرزا منطقهم؟ الم يكن احرار مصر والعراق العاملين للجلاء عرضة للسخرية والازدراء؟

اننا نتذكر جيدا ان مظاهرة كبيرة قامت منذ امد يسير في تل ابيب تهاجم مجلس اسرائيل، احتجاجا على التعويض الذي تقدمت به المانيا ثمنا وعوضا عن اضطهادها اليهود، واننا لنتذكر ايضا كيف قتل اليهود الكونت برنادوت! واللوردموين، وكيف استقبل العرب تريغفي لي بالورود والرياحين ذلك الشخص الذي كان يتمنى اثناء كارثة فلسطين لو يستشهد دفاعا عن اسرائيل.

والان يستقبل العرب مسز روزفلت التي ساهمت، بما اوتيت من قوة، في مناصرة اليهود! لتطمئن على اقرار المشروع الصهيوني بتوطين اللاجئين. انها حقا كالسياسيين العرب، وان لم تكن عربية فقد ساهمت بقتل فلسطين، وهي مثلهم ايضا، تتقدم الان، لتضع اكليلا من الزهر على هذا القبر، وهي مع ذلك تطمئننا بأن المئتين وخمسين مليون دولار ستزداد اذا لم تكف لهذا المشروع، والحقيقة ان هذه الدية ستتناقص اذا ما قبل بها العرب، ولا عجب بعد هذا ان يتقدم بعض المنكوبين، عفوا، الناكبين، معربدين محتجين للحكومة اللبنانية لان ايليانور روزفلت لم تمنحهم قليلا من وقتها الثمين، ليطلعوها على مدى بؤسهم وتعاستهم.

كان اليهود مضرب المثل بين الشعوب بمنطق الذل والمادية المسيطرة على افئدتهم، فمن هم اليهود يا ترى؟ اساسة العرب ام ساسة اليهود؟ امن يحتج على التعويض من المانيا، ام من يقبل ثمن فلسطين؟ من يقتل برنادوت ام من يستقبل تريغفي لي بالورود والرياحين؟

سيبقى الساسة العرب عقلاء وسيبقى الشعب العربي مجنونا لانه يندفع بمنطق العز والحياة.

مجانين الا ان سر جنونهم عزيز على اعتابه سجد العقل

وسيبقى العرب يتخبطون بالشراك التي تنصب لهم حتى يزول منطق الذل والمهانة عن مسرح السياسة العربية.

الاشتراكية: 1952/2/16

□

اشتد الضغط الاميركي على سورية لقبول مساعدات النقطة الرابعة وهو الاسلوب الاميركي المعروف في دعم الانقلابات العسكرية في العالم الثالث فقد ارسل الرئيس ترومان مبعوثه المستر لوك لعرض مساعدات النقطة الرابعة على بلدان الشرق الاوسط، بتاريخ 1952/1/14 قابل المبعوث رئيس الدولة السورية وبرفقته السفير الاميركي الذي صرح بعد هذه المقابلة:

"ان المستر لوك بسط لرئيس الدولة رغبة الولايات المتحدة في مساعدة "العالم الحر" فنيا وهذه المساعدة تكون عن طريق خبراء للقيام بدراسات فنية معينة وتدريب بعثات سورية". وكانت جريدة الاشتراكية قد نشرت خبرا عن الخلاف بين الحكومة الاميركية والسلطات اللبنانية حول هذا الموضوع فالسلطات الاميركية تريد ان تكون دراسة المشاريع المقررة من قبل خبرائها وان يكون تنفيذها من قبل المؤسسات الاميركية.

□

لم تكن بريطانية راضية عن تغلغل النفوذ الاميركي فقد نشرت وكالة الانباء العربية خبرا عن احتمال ان تبحث الامانة العامة للجامعة العربية تمويل المشاريع الرئيسية في البلاد العربية عن طريق قروض لهذه البلاد يعقدها الملك عبد العزيز آل سعود وامراء الخليج وبهذه الصورة تستغني البلاد العربية عن المساعدات الاميركية كما تشتد الاواصر بين البلاد العربية فعلقت على موضوع المساعدات في جريدة الاشتراكية بتاريخ 1952/3/8 بما يلي:

يستغرب كثيرا من يستعرض تطور اوضاعنا الانشائية والمالية منذ عام 1945، حيث كان احتياطينا يربو على الخمسة وسبعين مليون ليرة سورية، وكان من الممكن لو بدأنا ان ننهي انجاز جميع مشاريعنا الكبرى حتى الان، كتجفيف الغاب - مثلا - ومرفأ اللاذقية وغيرها من المشاريع التي تنمي انتاجنا القومي وبالتالي تدر على الموازنة مئات الملايين من الليرات.

وكأن ايادي خفية كانت تحول دون انجاز هذه المشاريع فبذرت الاموال سدى، وانفقت على مشاريع تعتبر من الكماليات، او كأن هذه الايدي الخفية التي كانت تتعدى نطاق الجهاز السياسي، كانت توجه سياسة بلادنا المالية والاقتصادية نحو العقم والارتباك، ومن ثم العجز حتى نقع يوما فريسة في احابيل السياسة الاستعمارية.

ما كنا نؤمن يوما من الايام بأن مستقبل بلادنا زراعي فحسب، بل كنا نعتبر بأن نهضتنا الزراعية تترافق بطبيعتها مع تصنيع البلاد، اذ لسنا من الغفلة بحيث لا نعلم بأن لا خلاص للشرق العربي من الاستعمار ما لم يصنع. كما اننا لسنا من الغفلة بحيث لا نعلم بأن الاستعمار يحول دوما دون تصنيع البلاد حتى تظل سوقا لبضائعه وبضائع اسرائيل.

لا فائدة من الندامة في ميادين الحياة العامة، ولا فائدة من التحسر والالم على الماضي الذي ذهب ولن يعود، ولم يخلف الا العبرة، ومن واجبنا ان نصلح على ضوء التجاريب الماضية خططنا واعمالنا، وان نسدد عن طريق التذكر والعبرة خطانا. ولما يزال في يدنا امكانيات عظيمة اذا استخدمناها، فأين نبدأ، واين ننتهي، وكيف نعمل؟

الف العراق الشقيق مجلسا لتنفيذ مشاريعه الانشائية في موازنة الخمس سنوات فعلينا ان نشكل مجلسا فنيا واحدا لجميع مشاريعنا الانشائية الكبرى، مجلسا من المؤتمنين قوميا بحيث لا تعصف بهم الارادات الخارجية، ولا تؤثر بهم التيارات السياسية. يبدأ هذا المجلس بتصنيف مشاريع البلاد الهامة على ضوء الملاحظات التالية: المشاريع المنتجة زراعيا، والضرورية صحيا، والتي يمكن استثمارها عاجلا لتوفر اليد العاملة في البلاد، ولمساعدة مناخها، وطبيعة تربتها على تنوع انتاجها.

ان تمركز جميع مشاريعنا في مجلس واحد مسؤول يوفر علينا كثيرا من المال والزمن. كما ان البدء الصحيح يزيد في انتاج البلاد، ويدر على

الخزينة اموالا بحيث يجعل الحكومة قادرة بالتعاقب على انهاء جميع مشاريع البلاد الانشائية الصغرى منها والكبرى. فلا تتكرر مآسي الماضي، حيث ان مشروعا قد تأخر البدء به لان مؤسسة اجنبية كانت تطمع باستثماره، ومشروعا آخر لم ينجز لان السياسية العليا في الماضي لم ترغب بانجازه.

ومن البلاهة، ان نعتمد على غير انفسنا وموارد نا لانعاش مستوى انتاجنا الصناعي والزراعي. ان في ذلك مضيعة للوقت الثمين، وتعرضا للوقوع في احابيل السياسة الاستعمارية المضللة التي لا تستهدف الا عرقلة تقدمنا الصناعي والزراعي، وازدهار بلادنا الاقتصادي والزراعي، حتى تبقى اسواقا مفتوحة لمنتجاتها، ومراكز استراتيجية لاستعمارها وعدوانها، وفريسة هينة لتهويدها والقضاء عليها.

ان المعونة من الخارج سراب خادع واذا صحت كانت نذرا يسيرا اما ثمنها فباهظ جدا.

اننا اذن سنعتمد على مواردنا في انشاء مشاريعنا. وسنثق بانفسنا لانهاض مستوى انتاجنا حتى نصل لدرجة الاستغناء. وان امكانية البلاد الزراعية والصناعية والمعدنية كفيلة بذلك اذا ما استثمرت استثمارا صحيحا مخلصا.

□

حاولت الولايات المتحدة ان تستغل انقلاب الشيشكلي - كما استغلت انقلاب حسني الزعيم - ولا سيما في موضوع توطين اللاجئين الفلسطينين بعد سلسلة من المؤتمرات والاتصالات العربية الاسرائيلية السرية في لجنة التوفيق الدولية، تلك الاتصالات التي كشفت عنها رسائل ساسون التي اثبتنا بعضها فيما سبق، فكتبت في جريدة الاشتراكية بتاريخ 1952/1/26 مقالا تعرضت فيه لمراحل محاولات الاستعمار تصفية القضية الفلسطينية وتوطين اللاجئين، وكان وقع هذا المقال كبيرا على الشيشكلي لانه القى قبل عدة ايام خطابا في نادي الضباط لمح فيه لامكانية قبول التوطين، وفيما يلي نصه:

هذا رأينا:

"وافقت الدول العربية على المشروع المعدل لتوطين اللاجئين في الوقت الذي يصفه اكثر مندوبيها بانه يخدم اهداف الصهيونية ثم يعلل بعضهم موقفه بانه اضطر الى الموافقة بناء على التعليمات الواردة اليه! وقد رحبت الصحف اليهودية والموالية لليهود بالمشروع المعدل واثنت على موقف العرب منه.."

ان الخطة التي تلاقت عندها السياسة الانكليزية والاميركية في الشرق هي اقامة وطن قومي صهيوني في فلسطين ومن ثم تهويد البلاد العربية ولا تزال اميركا وانكلترا متفقتين وجادتين على تنفيذ هذه الخطة.

تجهد السياسة الانكلو اميركية بعد كارثة فلسطين وتشريد مليون عربي بتنفيذ الفصل الثاني من هذه المأساة وهو توطين هؤلاء المشردين بالبلاد العربية واقامة صلح مع اسرائيل وتحالف عسكري معها لتساهم البلدان العربية بانعاشها اقتصاديا. وكل ذلك تمهيدا لتنفيذ احلام الصهيونية بانشاء مملكة اسرائيل على حساب البلدان العربية ولذلك تشكلت لجنة التوفيق بدافع من اميركا وبريطانيا وبموافقة الدول العربية مع الاسف الشديد، وبعد الاعيب بهلوانية تكشف القناع عن المآرب التي تشكلت لتحقيقها: وهي توطين اللاجئين وعقد حلف عسكري واتفاق اقتصادي مع اسرائيل لمدها بأسباب الحياة والقوة ومن ثم التوسع. ضاربة هذه اللجنة بقرارات هيئة الامم المتحدة بعودة اللاجئين وقرار التقسيم عرض الحائط.

ولما اخفق مشروع لجنة التوفيق لجأت السياسة الانكلو اميركية الى تجزئة القضية لتهوين المصيبة على العرب ولتضليلهم عن حقيقة ما ترمي اليه هذه السياسة، ولذلك تقدم بلاند فورد - بايعاز - بمشروع توطين اللاجئين لقاء معونة مالية تبلغ مائتين وخمسين مليون دولار. وقد تقدم بمشروعه هذا بعد التشاور مع الحكومات العربية طالبا منها الموافقة المسبقة عليه. فرفضت لجنة الشئون الخارجية بالمجلس النيابي السابق بالاجماع هذا المشروع. ومن الغريب جدا ان تتفق الان الوفود العربية مع الدول الاربع على مشروع توطين اللاجئين مع تغيير بعض الالفاظ من صيغة القرار التي لا تبدل شيئا من حقيقته سوى التمويه والتضليل وهو يرمي الى الخلاص من العبء المادي اذ ينفق كل عام اكثر من 25 مليون دولار على اللاجئين كما يرفع عن عاتق الانكليز والاميركان المسؤولية الادبية والسياسية والانسانية عن تشريد الفلسطينيين واخراجهم من ديارهم، واسدال الستار نهائيا على مشكلة

فلسطين وعلى حق العرب وحق اللاجئين بالعودة الى ديارهم ليتسنى بعد ذلك تنفيذ الخطوة الثانية من احلام اسرائيل التوسعية ولذلك فقد اعترف اعضاء الوفود العربية بهيئة الامم المتحدة بأن هذا المشروع جزء من برنامج استعماري يمهد الطريق امام اسرائيل الى الاقطار العربية الاخرى. وانهم لم يوافقوا عليه الا مرغمين وبناء على تعليمات وردت اليهم من حكوماتهم.

اننا نجزم سلفا بأن مشروع توطين اللاجئين سوف لا يكتب له النجاح ما دام اللاجئون قد رفضوه وما دام الشعب العربي قد رفضه ولن يقبل به . ولكنه يكشف على كل حال للملأ العربي كيف ان الحكومات التي انساقت مع السياسة الانكلو اميركية فاضاعت فلسطين تنساق الان من جديد، فتساهم بشق الطريق امام مطامح اسرائيل التوسعية. واننا لنحملها مسؤولية ما تقدم عليه الان كما حملناها مسؤولية قبولها للهدنة الاولى في حرب فلسطين.

ولا يمكن لعملاء الاستعمار واجهزته وصحفه مهما جهدت ان تجعلنا نعتقد بان هذا المشروع هو مشروع انعاش اقتصادي. لان كل عربي يعتبره مشروعا صهيونيا. واذا كان مشروع توطين اللاجئين جزءا من برنامج عام لانعاش الشرق الاوسط فان العرب ليرفضون باباء هذا الانعاش الذي لا يخفي في طياته الا حتفهم كما يعتبرونه نذيرا لنوايا السياسة الانكلو اميركية التي تلوح بمشاريع الانعاش كذبا ورياء ولا تقصد منها الا تحقيق مطامعها الاستعمارية ومطامح اسرائيل التوسعية.

واذا نحن استغربنا موقف مندوبي الحكومات العربية في هيئة الامم بالموافقة على هذا المشروع، فاننا لنستغرب اكثر بكثير موقف المندوب السوري منه، اذ سبق لسوريا ان رفضت اي مشروع يتعلق بتوطين اللاجئين مهما كانت صيغته، كما انها لم تمانع بالوقت نفسه بالمعونات التي كانت تقدم والتي سوف تقدم الى اللاجئين. وما على المندوب السوري اذا اراد ان ينقذ الموقف الا ان يعلن انسحابه عند التصويت على هذا القرار. وما على الشعب العربي الا ان يجعل هذا المشروع اذا صوت عليه حبرا على ورق...

□

اثرت مقالات جريدة الاشتراكية في الاوساط الفلسطينية تأثيرا كبيرا، فقد ارسل الى مفتي صفد الشيخ اسعد قدورة

الكتاب التالي: "وبعد اتقدم لمعاليكم بلساني ولسان اخواني اللاجئين الفلسطينين بالشكر الجزيل على العطف الكريم الذي اوليتمونا اياه، وعلى اهتمامكم الزائد بمعالجة قضيتهم قضية العروبة فيما تطالعنا به جريدتكم الغراء الزاهرة. واننا اذ نتقدم اليكم بالشكر الجزيل على تلك العاطفة النبيلة التي صدرت عن قلبكم المليء بالايمان والنبل والمتدفق به دماء الشرف والاباء العربية - نرجو ان يزيد عطفكم هذا عليهم واهتمامكم بهم الى ان تعيدوهم الى بلادهم الغالية فلسطين التي هي جزء من سورية".

العدد السادس والعشرون من الاشتراكية.

كما ارسل اللاجئون في بيروت وصيدا العديد من البرقيات هذه نماذج منها:

مشاريع بلانفورد لاسكان اللاجئين خارج فلسطين قضاء على عروبة فلسطين واجهاز على شعبها المشرد واللاجئون يثقون بكم وبالشعب السوري الشقيق ويلتمسون العمل على رفض هذه المشاريع والقضاء عليها: التواقيع محمود رسامين، شفيق جراح، زهدي عبد المطلب، فضة السعدي، موسى اللجمي، اسعد ماضي، محمود حمود، كامل القاضي، نقولا الدر.

باسم خمسة وعشرين الف لاجيء في منطقة صيدا نستحلفكم بشرف العلم السوري المفدى رفض مشاريع الاسكان لاننا نرفضها رفضا باتا ولنا كل الامل بانكم والشعب السوري النبيل سترفضونها في سورية وبذلك تتجنبون الاجهاز على عرب فلسطين والقضاء على عروبتها.

التواقيع

ديب رفاعي - حسين علي - محمد علي دلول - محمد سعيد هنوش - عبد الرؤوف بركات - عبد الله جبران - محمود ابراهيم - بولص ابو جعفر - خالد شناعة - روحي العباسي.

1952: الثورة الشعبية في مصر - حريق القاهرة واقالة وزارة النحاس باشا - مسؤول المخابرات المركزية كيم روزفلت في القاهرة - الشيشكلي يستغل حريق القاهرة لمزيد من التضييق على الحريات - العلاقة بين العربي الاشتراكي والبعث تزداد وثوقا - اهتمام عربي واسيوي بالعربي الاشتراكي - الديكتاتورية تنسب لنفسها مشروعات النظم البرلمانية الديموقراطية فتقابل جريدة الاشتراكية ذلك بمقال يمجد الشعب - آخر مقال لجريدة الاشتراكية.

أخذ قتال الشعب المصري ضد القوات البريطانية يتسع نطاقه ويزداد عنفه وينتشر بسرعة مذهلة على طريقة حرب التحرير الشعبية، ولا سيما خلال شهر كانون الثاني من عام 1952، فكانت أعمدة الصحف تخرج كل يوم بأنباء المعارك: الفدائيون يثأرون للشهداء - معركة خطيرة بين الانكليز والبوليس المصري - لواء المظليين ينهي اعمال التفتيش في الاسماعيلية - اشتباك الفدائيين مع القوات البريطانية الخ..

وقد ارتكب الاستعمار البريطاني كل فظائعه في منطقة قنال السويس وسورية ساكنة ترزح تحت وطأة الحكم العسكري وهكذا خدم انقلاب الشيشكلي الاستعمار الغربي خدمة كبرى.

وبتاريخ 52/1/27 أذيع نبأ احتراق القاهرة، وفي اليوم الثاني أذيع نبأ اقالة وزارة النحاس باشا من الحكم.

وحقيقة ما حدث في مصر ان الوعي الشعبي فيها قد تجاوز ما كانت تنشده حكومة النحاس باشا مما اثار قلق الطبقة الاقطاعية السياسية والعرش، ولم يكن باستطاعة النحاس باشا وقف تلك الموجة العارمة مما جعل الجنرال روبرتسون يقترح على حكومته احتلال القاهرة لتلافي حدوث ثورة شعبية عامة، فكان حريق القاهرة مبررا لتدخل الجيش المصري بناء على الحاح

كافري جيفرسون السفير الاميريكي، وهكذا أمسك الاستعمار عن طريق الملك بزمام الامر، وتنفس النحاس باشا والجناح اليميني في الوفد الصعداء فكان النحاس اول من هنأ خلفه علي ماهر باشا كما قدم ولاءه للملك، وكانت نتيجة هذه الاحداث انقطاع محور القاهرة طهران، او النحاس مصدق، اللذين كانا يهدفان الى وضع حد لاحتلال بريطانية العسكري والسياسي والاقتصادي لبلديهما، ثم استقالت ايضا حكومة علي ماهر باشا وحلت محلها حكومة الهلالي باشا فكتبت في جريدة الاشتراكية بتاريخ 1952/3/15 مقالا ورد فيه:

حاول الاستعمار الانكلو- اميركي فرض مشروع الدفاع العسكري المشترك على البلاد العربية لتثبيت قواعد احتلاله واستثماره. فرفض الشعب هذا المشروع. وهبت مصر تطالب بوحدتها واستقلالها. فاستجابت لها البلاد العربية على اعتبار قضية مصر قضية كل عربي، وان للعرب قضية واحدة هي الحرية والوحدة ولم تفصل الحدود السياسية وشائج الشعب العربي ووحدة مصيره فقام ابواق الاستعمار، حسب عادتهم، يرجفون بأن مصر ستساوم على حساب البلاد العربية، لتحقيق مصالحها الخاصة، وانها ستقبل مشروع الدفاع المشترك والصلح مع اسرائيل.

ولكن هذه الاراجيف قد سقطت، وتوارت من تلقاء نفسها، لانه ليس لمصر مصالح خاصة بنظر كل عربي. بل ان مصلحتها في مصلحة العرب ومع ذلك فقد كذب الشعب المصري وحكومة الوفد هذه الاراجيف. ولما اخفقت الحيل احرقت خلايا الاستعمار القاهرة، واقيلت حكومة الوفد، وفرضت الاحكام العرفية، وكانت الاشتراكية اول الصحف التي فضحت هذه المؤامرات الاستعمارية بمقالات عديدة، ولكنها اخذت على الوفد جبنه واستخذاءه واشارت الى المحاولات التي جرت بسورية لاغراء الصحف بالحملة على الوفد وجعل الشعب المصري مسؤلا عن حرائق القاهرة.

اما الان فقد ثاب الوفد الى رشده، بعد ان اضاع بعض الوقت فأعلن مقاومته لحكومة الهلالي، وتمسكه بالسيادة والوحدة، ورفضه مشروع العدوان المشترك، وهو ولا شك قرار الشعب المصري.

ان اجراء الانتخابات تحت ظل الاحكام العرفية لن يثني من عزيمة الشعب المصري لان الاستعمار لم يجن من تجارب الاحكام العرفية في البلاد العربية طيلة ربع قرن الا ازدياد بحران الحقد والاحتقار والكراهية، واذا اخفقت هذه التجارب في الماضي، فانها ستفضي في المستقبل الى نتائج ستندم عليها الدول الغربية ولات ساعة مندم.

ليس قرار الوفد بالتمسك بالاستقلال والوحدة، ورفض مشروع الدفاع العسكري المشترك، قرار مصر فحسب بل هو قرار الشعب العربي بنضاله سياسة الاستعمار والتهويد والفناء، ولا شك بأن كل عربي يردد في نفسه مع الشاعر المرحوم شوقي:

كلما ان بالعراق جريح لمس الشرق جنبه في عمانه

وعلينا كما عليكم حديد تتنزى الليوث في قضبانه.

كيم روزفلت يزور سورية والقاهرة والسعودية.

بتاريخ 52/1/31 اذيع ان كيم روزفلت سيزور سورية والقاهرة والسعودية، وقد صرح قبل سفره بأنه سيبحث مع المستر كافري سفير الولايات المتحدة في مصر القضايا الخاصة بهذا البلد وسيطلع السفير على وجهة نظر الخارجية الاميركية، ثم يسافر بعد ذلك الى السعودية وسورية، وقد تم في هذه الرحلة توجيه السفارات الاميركية وفق مخطط المخابرات المركزية وتهيئة الاجواء الملائمة في الدول العربية الثلاث لتنفيذ هذا المخطط، ويشير الى ذلك مايلز كوبلاند في كتابه لعبة الامم:

"ورحل كيرمت روزفلت في شهر شباط عام 1952 الى مصر كي يشرف على تنفيذ المخطط الاول عن كثب، وكانت بعثته اول من حاول تنظيم ثورة سلمية في مصر تحت قيادة فاروق نفسه يصفي فيها النظام القديم ويشرف على ابداله بنظام جديد مطوقا بذلك محاولات الثورة ضده والتي كانت وكالة المخابرات المركزية على صلة بها قبل اكثر من سنتين، وكان روزفلت مفوضا بأن ينتقل الى المخطط الثاني اذا واجهته صعاب في اخراج المخطط

الاول الى حيز الوجود، ولم يكن المخطط الثاني يعني سوى البحث عن زعيم من النوع الثاني وهو (مجنون بالسلطة) او زعيم من النوع الاول (الواجهة) او الاثنين معا اذا امكن ذلك... وكرمت روزفلت هو الذي نفذ فيما بعد عملية اجاكس في آب 1953 عندما قاد انصار الشاه في ايران في مظاهرات صاخبة ضد الدكتور مصدق وتخلص من حكمه وعاد الشاه من منفاه في روما الى عرشه في ايران".

حكم الشيشكلي يستغل حريق القاهرة للتضييق على الحريات، والعلاقة تزداد وثوقا بين الحزب العربي الاشتراكي وحزب البعث.

بعد حريق القاهرة وجه الزعيم فوزي سلو رئيس الدولة بيانا الى الطلاب حمل فيه حملة شعواء على الاحزاب السياسية ثم اصدر في اول شباط 1952 مرسوما تحت رقم 100 مستغلا احداث مصر وحريق القاهرة جاء في مادته الاولى:

"يحظر على اي طالب في معهد جامعي او في مدرسة رسمية او خاصة الانتماء الى اي حزب من الاحزاب، او القيام بأي نشاط سياسي او الاشتراك بالاضراب والتظاهر تحت طائلة عقوبات الطرد المؤبد والسجن من شهر الى ستة أشهر، بالاضافة الى الغرامة النقدية".

اما في مواد المرسوم الاخرى فقد اشرك المدراء والمعلمين بالمسؤولية تحت طائلة العزل من الوظيفة والمنع من مزاولة المهنة، كما يجعل رؤساء الاحزاب مسؤولين ايضا تحت طائلة السجن من ثلاثة اشهر الى السنة اذا سمحوا للطلاب بارتياد مقر اجتماعاتهم وبالغاء رخصة الحزب، كما شملت المسؤولية آباء الطلاب أيضا!

كانت العلاقة تزداد وثوقا بين الحزب العربي الاشتراكي وبين حزب البعث كلما ازداد تكشير الشيشكلي عن أنيابه، وقد امتنع القادة في الحزبين عن اداء القسم الذي فرضه الشيشكلي على الموظفين ففصلوا من وظائفهم في مختلف المحافظات بالرغم من اننا اصدرنا تعميما بحل الموظفين من يمينهم الحزبية.

وعندما تطور النضال ضد الفرنسيين في تونس الى ما يشبه الثورة الشعبية اوائل عام 1952 أرسلنا برقية واحدة موقعة باسم الحزبين الى محمد الامين باي تونس نؤكد فيها "تضامن الشعب العربي مع تونس الشقيقة ومساندتها لنيل استقلالها، وان الاعمال البربرية التي يرتكبها الفرنسيون في القطر الشقيق اهاجت نفوس العرب جميعا وعززت ايمانهم بقرب اجل الاستعمار" كما ابرقنا الى فوزي سلو نهيب بالحكومات العربية ان تقوم بعمل جماعي سريع يخلص تونس من محنتها ويساعدها الى استعادة حقوقها وسيادتها.

استمرار الحزب العربي الاشتراكي بنشاطه بعد الانقلاب.

استمر الحزب العربي الاشتراكي بنشاطه المعتاد متجاهلا نوايا الانقلاب، فقد نشرت جريدة الاشتراكية بتاريخ 1952/1/19 ما يلي:

باشرت اللجنة الجامعية لطلاب الحزب العربي الاشتراكي اولى محاضراتها لهذا العام، فدعت الى اجتماع في مكتب الحزب في الساعة السادسة من مساء الاربعاء الماضي، وقد غص المكتب بالطلاب الجامعيين والقى الطالب الشاعر عبد الباسط الصوفي محاضرة تحت عنوان "العدالة الاجتماعية" كان لها احسن الاثر.

بينما كان الوف الفلاحين في قرى الوعر في حمص يعقدون مهرجانا جماهيريا في قرية "عرفايا" القيت فيه القصائد الزجلية والخطب الحماسية والتمثيليات الهزلية التي تصور الاقطاعي عند دخوله القرية مع خدمه وزلمه (ووقافيه).

الصدى العربي الاسلامي والاسيوي لحركة الحزب العربي الاشتراكي.

في مصر:

تلقى الحزب العربي الاشتراكي من رئيس مؤتمر الاتحاد العربي في مصر (علي ماهر باشا) كتابا نشرته جريدة الاشتراكية بتاريخ 1952/3/15 وفيما يلي نصه:

بعد صادق التحية، حيث ان الظروف التي تجتازها البلاد العربية في هذه الايام تتطلب بذل الجهود والعمل على مؤازرة العرب بعضهم لبعض، رأى الاتحاد العربي ان يستشير مفكري العرب في عقد مؤتمر للشعب العربي تبحث فيه القضايا العربية الهامة وترسم فيه خطة سياسية عربية شعبية موحدة، ولذلك قام الاتحاد بالاتصالات اللازمة بالهيئات والاحزاب والشخصيات المعروفة في هذه البلاد وعرض عليها فكرة المؤتمر فوجد اجماعا على تحبيذها والاستعداد للاشتراك في هذا المشروع القومي العربي.

لهذا قرر توجيه الدعوة لعقد المؤتمر الاول للشعوب العربية بالقاهرة في عام 1952 متى تيسر ذلك ليبحث فيه:

1- درس الوسائل العملية التي تؤدي الى تقوية الروابط السياسية بين الشعوب العربية.
2- قضية مصر والسودان.
3- مقترحات الدفاع المشترك عن الشرق الاوسط.
4- المعاهدات غير المتكافئة.
5- قضية فلسطين واللاجئين.

فالرجاء من حضرتكم التفضل بتبليغ الاتحاد العربي بالقاهرة عما تختارون بحثه من الموضوعات المعروضة لتحويلها الى اللجنة الخاصة، والاتحاد العربي يرحب بكل اقتراح يتقدم به رجال العرب

لدرسه في اللجنة المختصة قبل انعقاد المؤتمر وفي حال الموافقة يدرج في جدول الاعمال..

وقد اجبت بالترحيب على كتاب علي ماهر وأبديت كل الاستعداد لحضور المؤتمر الشعبي ولكن الاحداث التي توالت على سورية ومصر قد حالت دون انعقاد هذا المؤتمر.

في الهند:

كنت قد ذكرت سابقا صدى حركتنا في الباكستان حتى ان محطة الاذاعة الرسمية قد اذاعت لي تصريحا بعد زيارة مندوبيها، حول ما نتمناه من علاقات أخوية بين الباكستان والهند، كما ان صحيفة الدون الباكستانية كانت تتابع حركة الفلاحين في سورية وقد ترجمنا بعض مقالاتها في جريدة الاشتراكية.

وبتاريخ 1952/1/9 تلقيت من الامين العام للحزب الاشتراكي الهندي م.س كوفالي كتابا ورد فيه انه يجري الاعداد في الهند لمؤتمر اشتراكي اسيوي يعقد في هذا العام، ويطلب في رسالته بعض المعلومات المفصلة عن الحزب العربي الاشتراكي، كما يدعونا للاشتراك بهذا المؤتمر وفي أواخر شهر كانون الثاني 1952 وصل الى دمشق الاستاذ كمال جنبلاط فزارني في مكتب الحزب وتحدث معي بالتفصيل عن اوضاع الحركة الاشتراكية في الهند والمؤتمر الاشتراكي الاسيوي المزمع عقده، واتفقنا على حضور المؤتمر، ثم انتقلنا الى الحديث عن الوضع السوري الجديد فلم اخف عليه ما ننتظره من اضطهاد الاحزاب واغلاق الصحف وخوض معركة منتظرة مع نظام الشيشكلي.

□

لقد كانت فترة 1951 واوائل عام 1952 فترة تجلت فيها الروابط القومية بين الشعوب العربية، فكانت قضية الجلاء البريطاني عن مصر ومقاومة المشاريع الاستعمارية هي المحور الاساسي للنضال العربي التحرري الذي كان قطباه الاساسيان شعبا سورية ومصر، كما بدأت الحركات

الاشتراكية العربية والاسيوية بالتعارف والتواصل، مما هيأ الاجواء فيما بعد لحركة عدم الانحياز ولاول مؤتمراتها في باندونغ.

النظم الديكتاتورية تنسب الى نفسها مشاريع ومنجزات النظم البرلمانية الديموقراطية.

حدثني جمال عبد الناصر بعد قيام الوحدة وهو يروي ذكرياته عن ثورة عام 1952 قائلا:

لم نلق عناء بعد الثورة في البحث عن برنامج لمشاريعنا الانشائية لاننا عمدنا الى المشاريع النائمة من عهد الملكية في ادراج الحكومة والمجالس التشريعية فأخرجناها ونفضنا عنها الغبار وشرعنا بتنفيذها فورا، وكان عبد الناصر يريد في حديثه ان يبرهن على عقم الحياة الديموقراطية وعجزها.

وفي كتابه سنوات الغليان يذكر محمد حسنين هيكل ما يلي:

وفي يوم من الايام عثر "جمال عبد الناصر" في ملفات مجلس الوزراء على وثيقة اثارت اهتمامه.

كانت الوثيقة خطابا بخط يد "اسماعيل صدقي" (باشا) الذي تولى رئاسة الوزارة في مصر اكثر من مرة في العهد الملكي.

كان الخطاب موجها من رئيس الوزارء "اسماعيل صدقي" (باشا) الى وزير الشؤون الاجتماعية في وزارته وهو "عبد الجليل ابو سمرة" (باشا) وكان نص الخطاب كما يلي:

"رياسة مجلس الوزراء

في 16 ابريل 1946

حضرة صاحب المعالي وزير الشؤون الاجتماعية:

ان البحث الذي تقوم به اللجنة العليا لمقاومة الفقر والمرض والجهل يستدعى اول ما يستدعى وضع التشريع الذي ينظم الاصلاح الزراعي، وهو الاصلاح الذي يشمل اثره ثلاثة ارباع سكان القطر واكثريتهم ممن يرزحون تحت احمال المرض والفقر والجهل، وقد قامت صفوة من الباحثين الاجتماعيين واستعرضوا في الزمن الاخير اوضاع الريف المصري من الناحية الاقتصادية، وهي المتصلة بمعظم متاعب الفلاحين، وانتهوا الى حصر العلاج في وسائل قليلة العدد، ولكنها قوية الاثر تتلخص فيما يأتي:

(1) نشر الملكية الصغيرة التي تحقق حدا ادنى لحياة اسرة ريفية عادية، والتي تسمح بتكوين طبقة ثابتة من صغار الملاك الزراعيين التي هي دعامة قوية من دعائم المجتمع.

(2) حماية الملكيات الصغيرة من التقسيم الذي ينزل بها عن الحد الادنى اللازم لتحقيق مستوى معيشة مقبول، ويحول دون استثمارها استثمارا اقتصاديا صالحا، وهو ما يدعو الى تحريم التجزئة المترتبة على البيع والارث.

(3) تقييد الملكيات الكبيرة، وله وسائله المعروفة من قصر الارض الزراعية على من يتعهدها، ووضع حد أعلى للملكية الواحدة، وفرض ضريبة تصاعدية على هذه الملكيات الخ.

(4) تنظيم الايجار والعمل الزراعي كي يوزع ربح الارض توزيعا عادلا بين المشتركين في تكوينه، وينال كل "قسطا من الرزق يسمح بحياة مقبولة، وهذا مما يدعو لوضع سعر للايجار على اساس سليم، وحد للمساحة. وتعيين للزمن بحيث يشعر المستأجر بما يشبه مزايا الملكية - اما حماية العمل الزراعي فهو متشعب الاطراف والنواحي، ويستدعى اول ما يستدعى الحيلولة دون اشباع مطامع اصحاب العمل بربط الاجور على اساس قانون العرض والطلب الذي كان السبب في الفاقة المنتشرة بين عمال الريف في القرى المكتظة بالسكان.

اود ان تعرض هذه المسائل وغيرها مما يتعلق بسكان الريف ومنهم سكان العزب - الذين لهم شأنهم الخاص من النواحي

الصحية والاجتماعية والاقتصادية بل والتعليمية - على اللجنة العليا. ولكن بعد ان تنال قسطها من بحث وزارة الشؤون الاجتماعية (وقد كانت بحسب ما علمت محل الدراسة من هذه الوزارة) حتى اذا ما اقرت اللجنة العليا المبادىء الاساسية للاصلاح قامت باقتراح التشريعات التي توفر له التنفيذ - وأكون سعيدا لو جاءني من معاليكم ما يطمئنني على ان الموضوع حائز لعنايتكم واهتمامكم.

(امضاء)

اسماعيل صدقي

ويقول هيكل:

والواقع أن "جمال عبد الناصر" اهتم بهذه الوثيقة، واطلع كثيرين من زملائه عليها، وهو يقول: "لقد كان انطباعي عن صدقي (باشا) انه من غلاة الرجعيين، ومن واجبي ان اراجع نفسي ولا اظلمه". (ص114- الجزء الاول - مركز دار الاهرام للترجمة والنشر)، وقد نشرت هذه الوثيقة بخط اسماعيل صدقي في الكتاب نفسه في الصفحة 752 تحت رقم (5).

□

لقد أخرج الشيشكلي بعض المشاريع الجاهزة من العهد البرلماني السابق ليبرهن على عجزه وتخلفه وصلاح وتقدمية النظام العسكري الجديد، وهكذا فان فوزي سلو اصدر عشرات المراسيم الاشتراعية بمواضيع ثانوية لا تمس مشاكل البلاد الحقيقة، سوى مشروع توزيع اراضي املاك الدولة على الفلاحين، ورغم قناعتي بأن الشيشكلي قد أصدره للدعاية لا للتنفيذ، فانني حاولت استغلال صدوره فكان تدشين مكتب الحزب في قضاء الحفة مناسبة حيث هرعت الوف الفلاحين من القرداحة واریاف اللاذقية وجبلة وبانياس وسواها من نواحي الجبل والساحل بتاريخ 1952/1/3 لافتتاح مكتب الحزب فأقام الفلاحون مهرجانا القيت فيه الخطب والقصائد والزجل الشعبي، فترك هذا المهرجان اعظم الاثر في نفوس ابناء المنطقة، كما اوعزت الى فروع الحزب الاخرى بارسال البرقيات والعرائض التي تطالب باصدار

مراسيم تحديد الملكية وحماية الفلاح وانصاف العامل فانهالت البرقيات على رئيس الدولة من دير الزور واللاذقية وجبلة والسلمية ومصياف وحماة والمعرة وشهبا من جبل العرب ومن باقي انحاء سورية، وكتبت حول هذا الموضوع ما يلي:

"يتضور ألوف الفلاحين في سوريا جوعا... ويحرمون ارضا... بينما مئات الوف الدونمات بل ملايينها، بل مشاريع انفقت عليها الدولة ملايين الليرات كمشروع الخابور مثلا ينعم بها اسر قليلة وافراد معدودون.

كان الاسبوعان الماضيان حافلين، فقد صدر بهما قانونا رسم الانتقال على التركات والوصايا، والضريبة العقارية، كما صدر قانون توزيع اراضي الدولة، وكان سارقو وناهبوا هذه الاراضي يدعون بأن توزيعها على الفلاحين يحتاج الى رؤوس الاموال، وانهم وحدهم المتمولون، ورغم ان الدولة هيأت امر اقراض المال بواسطة المصرف الزراعي فانه تم خلال العامين المنصرمين وبعد نضال مرير - توزيع اراضي الاملاك العامة في قضاء مصياف ومنطقة الغاب على الفلاحين دون ان تقرضهم الدولة مالا، فأحيت الحكومة بذلك الاراضي، واحيت معها اكثر من عشرة الاف نسمة كان يفتك بها المرض والفقر، بينما كانت هذه الاراضي في السابق نهبا مقسما لكبار الاقطاعيين والمتنفذين الذين قامت قيامتهم، وجردوا حملاتهم المسلحة للقضاء على "الفتنة.." وما كانت تلك الفتنة الا توزيع الاملاك العامة على اؤلئك البؤساء المواطنين... وما على المسؤولين الا ان يذهبوا لهناك ليروا بأم اعينهم نتائج هذا العمل الباهر الذي وصفه الاقطاعيون، ووصفته الدعاوات المأجورة بانه فتنة.

لا شك في ان اكثر من مئة الف فلاح في محافظة اللاذقية وحمص وحماة وغيرها من المحافظات مستعدون لاحياء الاراضي التي ستوزع عليهم فورا. ولا شك انه اذا اقرضهم المصرف الزراعي مالا فسيكون سببا من اسباب الاعمار والازدهار السريع. وسيؤثر توزيع الاراضي على توزيع كثافة السكان في بلادنا، الذي يبلغ حدا غير معقول في بعض المناطق كاللاذقية مثلا، بينما تنعدم معالم الحياة في مناطق اخرى كشمالي سوريا وشرقيها.

قال احد الخبراء ان ما احياه رأس المال من الاراضي في شمالي سوريا لا يعتبر احياء زراعيا، وانما هو عملية تجارية تهدف الربح العاجل،

فتنضب خيرات الارض دون ان تمدها باسباب الازدهار الزراعي الدائم، وهذا القول ان صح على ما احياه رأس المال من الاراضي الشاسعة، فهو يصح بالنسبة للوضع الاقتصادي بصورة عامة وهذه بقاع سوريا بل الشرق، فحيث تخيم الاقطاعية، يخيم البؤس والخراب، والفقر والمرض وضعف الانتاج. وحيث تتوزع الملكية على الفلاحين يكون الاعمار والازدهار ولكن ما لنا وللتدليل على ذلك فهذا امر اصبح مفروغا منه، ولكن ما هي حيلتنا بدعاوة المأجورين والسارقين والناهبين؟ هل تقنعهم الحجة والمنطق؟ وهل تجدي معهم المناقشات العلمية والوقائع الحية المشاهدة؟

نحن لا يهمنا ازدهار سوريا الزراعي والاقتصادي اكثر مما تهمنا اوضاع شعبنا الاجتماعية والسياسية والقومية. فاذا كان بالقضاء على الوضع الاقطاعي ثروة عظيمة من حيث ازدهار الانتاج الزراعي والنماء الاقتصادي، فهو ولا شك ثورة على مساوىء وضعنا الاخلاقي والاجتماعي والسياسي البالي ستظهر آثارها الايام كما ظهرت آثارها عند الشعوب الاخرى.

واذا كنا نشكر السلطة التي شرعت قانون توزيع اراضي املاك الدولة فاننا لننتظر منها التنفيذ بل وحسن التنفيذ ايضا. ونحن نشك بأن الجهاز الحكومي على وضعه الحالي سيجد في تنفيذ احكام هذا القانون. فقد صدر بالماضي قرار من وزارة الداخلية بتوزيع الاملاك العامة المسجلة باسم الدولة بعد التحديد والتحرير منذ اكثر من عشرين عاما على فقراء الفلاحين، وباتفاق الادارة والقضاء تقدم احد الاغنياء فصدر قرار بتوقيف التوزيع خلافا للقانون والاصول، ولا يزال المتنفذون والمتغلبون حتى الان يتملكون اراضي الدولة بواسطة الجهاز الحكومي.

ان الشعب بانتظار اصلاح الجهاز الحكومي كما هو بانتظار قانون تحديد الملكية وقانون حماية الفلاح التي هي بحقيقتها حلقات اصلاحية متماسكة لا يمكن فصلها لانها تتمم بعضها بعضا..

(الاشتراكية 1952/2/9)

الشعب... الشعب... الشعب

كانت ابواق الاستعمار الجديد تركز اثر كل انقلاب عسكري دعايتها على ان الشعب لا يزال متخلفا جاهلا عاجزا غير قادر على ممارسة الديموقراطية البرلمانية فلا بد له من زعامة قوية

تسوقه بالعصا في طريق صلاحة وسعادته، وكان بعض الضباط النكرات الذين التفوا حول الشيشكلي مشبعين بهذه الدعايات التي كان الاستعمار الجديد ولا يزال يروج ويعمل لها.

وبعد اجتماعات ومناقشات طويلة مع العديد من صغار الضباط، كتبت بتاريخ 1952/3/1 مقالا افتتاحيا في تمجيد دور الشعب، وكانت افتتاحيات الاشتراكية تكتب تحت عنوان ثابت هو: هذا رأينا، وقد اثار ذلك المقال اديب الشيشكلي وفوزي سلو لانني عرضت بهما تعريضا واضحا عندما قلت:

"ان من لا يؤمن بالشعب ايمان الموحدين فهو اما خائن يدري بخيانته او مغفل لا يدري بأنه خائن" وجاء في المقال: "انا من المؤمنين الموحدين بالشعب، وبأن لا قوة بعد الله الا قوة الشعب، فهو البحر الواسع لجميع القوى، فكل الينابيع المتفجرة والانهار السائرة والسحب الماطرة في اي بلد من البلدان منه واليه"

"ان المصلحين الحقيقين ينبثقون دوما من الشعب ويستشهدون في صفوفه، وان عمل هؤلاء المصلحين ان يشقوا الطريق امام القوى المنطلقة: قوة الشعب، وان يساعدوه على كسر القيود والاغلال ورمي اثقال الرجعى عن كاهله، وان يتطهروا معه وبه من رسوبات ماضي الانحطاط، وان يتحملوا معه بشجاعة ما يقتضيه قلب الاوضاع السيئة من تضحيات، كل ذلك بالتوجيه والتنظيم، لا باحتقاره واقصائه والقضاء على حريته بحجة عدم كفاءته او بمزاعم اخرى"

الذين يغيرون بجرة قلم هويات الامم ومعالم الاوطان، الحزب السوري القومي يدعم ديكتاتورية اديب الشيشكلي:

سعر الحزب السوري القومي في صحيفته حملته على الاحزاب العربية عامة وعلى الحزب العربي الاشتراكي بصورة خاصة، واخذ الحزب يتظاهر بأنه لسان الانقلاب الناطق وذراعه الضارب، وقد كانت خطب الشيشكلي وتصريحاته تزيد من غرور

الحزب السوري القومي واندفاعه مما كان له اسوأ الاثر لدى الرأي العام الشعبي والعسكري، فكتبت في جريدة الاشتراكية مقالا حول هذا الموضوع بتاريخ 1952/3/22 ورد فيه:

"ينشأ التقليد دوما من ضعف الشخصية وانعدام الثقة بالنفس ولذلك تقلد الامم المغلوبة الضعيفة الامم الغالبة القوية، فاذا نجحت الكمالية التركية، والنازية بالمانيا، والفاشية بايطاليا، فلم لا نحذو حذوهم، فنؤلف حزبا نازيا او فاشيا؟ وما علينا الا ان نترجم مناهجهم ان كنا قادرين على الترجمة، او نقلد مظاهرهم بالتحية والشارات، والحركات واللفتات، وتصنع القسمات، وتشكيل الفرق والحرس، فنبلغ بأمتنا ما بلغه هتلر وموسوليني واتاتورك وفرانكو".

"لا تنشأ الاحزاب الحقيقية بالايحاءات الاجنبية؛ ولا بتقليد الاتجاهات الخارجية؛ لانها مخلصة للعمل، مدفوعة بايمان داخلي لا قبل لها بكبحه. ولانها عالمة بادواء الامة، فاهمة مشاكلها، شاعرة باسرار عظمتها، فهي تدرك بحسها السليم التفاوت العظيم بين مشاكل وامراض ومواهب وامكانيات امة بظرف تاريخي، عن امة اخرى، فلا تأتي بالمعجزات، وتخلق القوميات لانها تؤمن، ولا يمكن الايمان بالبدع المزيفة، فليست قضيتها عملية خلط ومزج، ولا هي قضية اهواء طائفية او شعوبية مكبوتة تسعى لتجد لها مخرجا.

تنبع الرسالات عند الامم من قلوب المؤمنين، فتستحيل نهرا عظيما يغسل جميع اوضار المجتمع واوزاره، ويجتاح بطريقه جميع العثرات والحواجز الكأداء، ليروي الاراضي العطشى، فيجعل من الصحراء الميتة الهامدة جنانا ناضرة زاهرة، فكما يفجر الضغط الماء من الصخر يفجر الوجد الايمان من القلب، اذا كانت هنالك قلوب حية نابضة، والا تفجرت زقوما وغسلينا وان الشعب ليدرك بحسه السليم، وحدسه القويم الرسالة التي تنبع من القلوب الحية المؤمنة، وما ينز من القلوب الميتة المائعة، ولذلك فاننا ما زلنا نؤمن بأن الحرية كفيلة بكشف الدعوة الاصيلة من الدعوة الدخيلة، اما اذا حم الاستبداد والاضطهاد، فانه لا يقضي على العقائد الصحيحة بل يجلوها كما يجلو الصقل السيف واذا خبت فحتى حين لتعود اشد اشتعالا واكثر تألقا.

الصدام المكشوف مع الشيشكلي.

كنت اشعر بعد صدور كل عدد من الاشتراكية ان اجل الصحيفة قد اصبح وشيكا، فقد اصبحنا في سباق مع الزمن، اذ

اشتدت وطأة الدعاية الاميركية للمشاريع الدفاعية والصلح مع اسرائيل، فعمت الصحافة العربية والاجنبية وتناقلتها جريدة الحزب السوري القومي وبعض الصحف السورية الاخرى بتشجيع من السلطة، فكان لا بد من الوقوف بحزم امام هذه الدعايات المسمومة مهما كلف الامر، وقد بلغ ضيق الشيشكلي من الحزب وحركة الفلاحين وجريدة الاشتراكية حدا لم يعد بامكانه احتماله، فقرر اغلاق الجريدة ومكاتب الحزب، ومهد لهذه الخطوة باقامة استعراض عسكري ضخم في مدينة حماة بتاريخ 52/3/28 حيث القى كلمة تملق فيها جهاد المدينة وتضحياتها وتمثل بقول الشاعر:

مررت على الوادي فسقت عجاجه فكم من جدود في الغبار وكم نادي

فأبقيت لم أنفض عن الرأس تربه لأرفع تكريما على الرأس اجدادي

وقد خرجت الاسر الاقطاعية وحواشيها الى خارج المدينة لاستقبال "ابنها البار" فتجاهلت ما ينوي الشيشكلي الاقدام عليه، وتابعت في جريدة الاشتراكية الكتابة ضمن الخط السياسي والاجتماعي للحزب العربي الاشتراكي وفيما يلي الافتتاحية التي كتبت بتاريخ 1952/3/29 وموضوعها مشروع الدفاع المشترك:

"أصبحت الدعاية الاجنبية في البلاد العربية كالاوركسترا التي تعزف بآن واحد وبآلات مختلفة مقطوعة واحدة كريهة... فتسمع بمدن عديدة ومن بؤر مختلفة شائعة معينة... او تقرأ بصحف مصرية ولبنانية وسورية توجيها معينا... فيدعو عباس حليم الذي اتهم بمصر بسرقة اموال الجيش وغش الاسلحة اثناء حرب فلسطين، للصلح مع اسرائيل، فيلتقي بدعوته هذه مع بعض الصحف اللبنانية المشبوهة، وينشر له هذا الرأي في سوريا بدون شجب من بعض الجهات لتهيئة الرأي العام لقبوله.

ان هذه المصادر وهؤلاء الاشخاص اصبحوا مفوضوحين بخدمة جميع الطامعين والمستعمرين المتعاقبين، فقد كانوا عملاء فرنسا والمانيا وايطاليا فاصبحوا عملاء الاستعمار الانلكو-اميركي اليهودي.

انهم يبررون بمنطق سخيف قبولنا لمشروع الدفاع المشترك بأننا مهددون على زعمهم بالاستعمار الروسي، واننا لسنا احسن حالا من واستونيا!. اليست روسيا بعيدة عنا بينما نحن باحضان الاستعمار الانكلو-اميركي؟

"اما رفض توطين اللاجئين في سوريا على حد تعبيرهم فجنون... واي جنون؟ واما رفض توطينهم في لبنان فعقل محض.. وما علينا الا ان نضع التصاميم لتنفيذ المشروع واذا رفضه اللاجئون فلانهم لا يعرفون مصلحتهم!

انهم يدعون للصلح مع اسرائيل بحجة ان شؤوننا مختلة واوضاع حدودنا متحركة... سيما وقد اصبحت اسرائيل قوة لا تغلب، فما شأن سوريا ولبنان وقد دعت مصر لهذا الصلح على لسان نبيلها عباس حليم. اما موقف جميع الاحزاب المصرية برفض الدفاع المشترك والصلح مع اسرائيل فلا يؤبه له على زعمهم.

بهذا المنطق السخيف يدعون بلا خجل ولا حياء باحاديثهم وصحفهم للمشاريع الاستعمارية الانكلو اميركية اليهودية.

اننا لا نخشى ان يغرروا بالشعب فليس شعبنا من الغباء بالدرجة التي يتصورها اسيادهم، بل نحن مرتاحون لهذه الدعايات لانها تكشف للشعب حقيقة النوايا المبيتة لاخضاعه، ولن تغري شعبنا الوعود المعسولة بالمعونات المالية فقد اتعظ بما وعدت به ايران، مع الفارق العظيم بالثمن الذي سيتقاضونه منا لقاء هذه المعونات من تهويد بلادنا واستعمارنا ووضع اغلال الذل والعبودية باعناقنا لقاء اربعة وعشرين مليون دولار سنويا تخصص لتوطين اللاجئين ولمعونة جميع الشعوب العربية والافريقية، هذا اذا صدق الوعد، وهي مشروطة فوق ذلك على تنفيذ مشروع التوطين الذي رفضته سوريا ورفضه اللاجئون اذا لم تنفذ هيئة الامم قراراتها سيما القرار المؤرخ في 11 كانون اول عام 1948 الذي يقضي بعودتهم الى ديارهم.

اننا نؤمن بالحياد لاننا لا نشعر بخطر الاستعمار الروسي، واذا كانت خرافة الشيوعية في بلادنا هي الخطر وتجاهلنا وجود الاستعمار الانكلو

اميركي اليهودي فاننا نصبح اضحوكة الامم.. اننا ما زلنا نؤمن بأن قضية الدفاع المشترك وتوطين اللاجئين والصلح مع اسرائيل هي مشاريع واحدة تهدف لاستعمار وتهويد البلاد العربية وافناء الشعب العربي.

العدد الاخير من جريدة الاشتراكية

كان العدد الحادي والثلاثون الصادر بتاريخ 1952/4/5 العدد الاخير من جريدة الاشتراكية، وكانت العناوين البارزة من هذا العدد:

حل البرلمان المصري مؤامرة - واشنطن تريد مراقبة المفاوضات المقبلة بين بريطانيا ومصر - نضال الشعب العربي في تونس - تحديد ملكية اغنام وأبقار الفلاحين بدلا من تحديد الملكية الزراعية - مطامع اسرائيل في البلاد العربية - برقيات اللاجئين في لبنان وسورية بتأييد موقف الحزب العربي الاشتراكي من قضية فلسطين وتوطين اللاجئين - ايها المسؤولون، العمال عصب الانتاج - موضوع عن الاشتراكية للاستاذ انطون المقدسي - قصيدة للشاعر الكبير نديم محمد عنوانها الفلاح - قصيدة للشاعر احمد الصافي النجفي موضوعها الحرية، وكان موضوع الحرية الذي كنت اعرف سلفا ما ستتعرض له من اضطهاد بعد انقلاب الشيشكلي موضوع افتتاحية العدد الاخير وهذا نصها:

يتأمل قادة المعارك اثر كل معركة بما حل بهم من خذلان وما اصابوه من نجاح، وبمواطن القوة والضعف في تصميم المعركة وفي سيرها - كما يتأمل الزعماء اثر كل مرحلة بمقدار ما اصابه المجتمع في تطوره من تقدم، وما مني به من انتكاس وتأخر، فيصلحون السير على ضوء التجارب الماضية.

مرت بلادنا بمراحل يجدر بالمخلصين ان يتأملوا بها كثيرا. وموضوع الحرية من اجدر المواضيع بالعناية والتأمل، لان مفاهيم خاطئة خطيرة قد التبست في عقول بعض الناس الذين يزعمون بان الحرية كانت وبالا على المجتمع، مع انها كادت تكون معدومة في جميع الادوار الماضية التي تتسم بالفوضى... والحرية الصحيحة لا تنسجم مع الفوضى.

ويدلل هؤلاء بجرائم الصحف والاشخاص والجماعات... الى آخر ذلك في امثلة هي في حقيقتها ابعد ما تكون عن الحرية، بل هي جرائم تقضي

علـى الحريـة وتعاقـب بالقـانون وهـي موضـع الـداء والشـكوى وهـي بـراهين ساطعة على عكس ما يزعمون.

ويمكننا ان نجزم بأن الحرية والاحرار هم كانوا المضطهدين فـي جميـع الادوار الماضية، فالويـل كـل الويـل لمـن كـان يتفـوه بكلمـة مخلصـة او بانتقـاد صـحيح لتصـرفات الحـاكمين والمتسـلطين والويـل كـل الويـل لكـل مـن ينـادي بالاصلاحات التي تتنافى بطبيعتهـا وجـرائم هـؤلاء الحـاكمين. امـا الـذين كـانوا يحرقون البخور علـى الاقـدام لتـأمين منـافعهم وللتسـلط علـى ارواح وحريـات الاخرين، فهم كانوا المقـربين.. لان الحريـة بحقيقتهـا نـزوع الـى تحقيـق حيـاة اكمل وافضـل مـن الحيـاة التـي تواضـع عليهـا المتكـالبون لتحقيـق اغراضـهم، وارضاء شـهواتهم، واهوائهم على حساب حياة المجتمع.

والحقيقــة التــي لا يمكــن ان ينكرهــا انســان ان جميــع الاصــلاحات الجوهرية التي حققها الشعب كانت نتاج الحرية والاحرار في جميع الادوار.

ان الحرية ام الابداع والنزوع للكمال، ولنزعاتهـا الجامحـة ثمـن لا بـد ان يدفعه المجتمع، وهذا الثمن تافه ضئيل اذا قيس بما تقدمه للمجتمع من خيـر في مضمار التقدم والرقي، وشـعبنا الـذي رزح تحـت نيـر الاسـتعمار مـن اكثـر الشعوب حاجة لفيض من الحرية حتى يقوم بدوره في بناء المجتمع الانسـاني مهما غلا الثمن.

ومن المؤكد ان النظم الصحيحة هي التي توفر التضـحيات التـي تقـدم على مذبح الحرية، فنحن اذن لا نحتاج في مرحلة تطورنا الحاضر الا لكثير مـن الحرية والنظام حتى نبلغ اوج ما نصبو اليه من مكانـة سـامية احتلهـا الشـعب العربي في ماضيه العريق.

اما اذا قضي على الحرية فلا يكون النظـام الا مقبـرة للتقـدم والابـداع. ونكون بذلك كمن يقدم الشعب والبلاد فريسـة للاضـمحلال والاسـتعمار وهـذا اخطر على الامة من الفوضى.

101

1952: حـــل الاحـــزاب السياســـية الســـورية والشيشكلي ينشىء حركة التحرير العربـي كحـزب وحيـد حـاكم - دمـج حزبـي العربـي الاشـتراكي والبعـث العربـي - اكتشـاف تنظيمنـا فـي الجـيش ولجوئي مع ميشيل عفلق وصلاح البيطار الى لبنان - قيادة النضال ضد الشيشكلي من لبنان.

بتاريخ 1952/4/6 أصدر الزعيم فوزي سلو مرسوما تشـريعيا يقضي بحل الاحزاب السياسية في سورية، وقد نفذ المرسوم يوم صدوره اذ داهمت مجموعـة مـن رجـال الامـن والشـرطة والمكتـب الثاني مقر الحزب العربي الاشتراكي في دمشق عنـدما كنـا نعـد المقـالات لعـدد الاشـتراكية القـادم، وأبلغتنـي عزمهـا علـى خـتم مكتب الحـزب بالشـمع الاحمـر، فاعترضـت لان مكتـب الحـزب هـو مكتـب جريـدة الاشـتراكية، فقيـل لـي ان الاوامـر تقضـي بـاغلاق جريدة الاشتراكية ايضـا، وفـي الوقـت نفسـه اغلـق مكتـب البعـث وصحيفته، وقد نشرت الصحف في اليوم التـالي ان المرسـوم 197 قضى بحل جميع الاحزاب والجمعيات السياسية فأغلقـت مكاتبهـا وختمت ابوابها بالشمع الاحمر بانتظار اجراءات التصـفية التـي نـص عليها المرسوم الذي جاء في اسبابه الموجبة:

"ان البلاد عرفت بعد انتهاء العمل السلبي (فترة الانتداب) تكـتلات متعددة توسعت حـول اعتبـارات شخصـية (الحـزب الـوطني وحـزب الشعب) او طبقية (الحزب العربي الاشـتراكي) او اقليميـة (الحـزب السوري القومي) او نظريـات بديهيـة (البعـث العربـي) كمـا عرفـت فرقـا اسـتوحت قواعـدها مـن مـذاهب ونظريـات ومنظمـات اجنبيـة (الحزب الشيوعي) سارت بتوجهات مخالفة لمصالح الـبلاد ومثلهـا العليا، ولما كانت المصلحة الوطنية تقضي بجمع كلمـة المـواطنين وتوحيد صفوفهم... الخ"

بعـد صـدرو هـذا المرسـوم انهالـت البرقيـات مـن جميـع اقطاعيي البلاد ومن غيرهم من الانتهازيين والمنتفعين تؤيـد هـذه

"الخطوة المباركة" كما زار كمال جنبلاط دمشق بعد صدور هذا المرسوم وقابل الزعيم فوزي سلو وقالت الصحف ان الهدف من هذه الزيارة هو اعتذار كمال جنبلاط عن عدم استقبال الزعيم سلو في بيروت لانه كان غائبا، وهكذا فان كمال جنبلاط قد راعى مصلحته اكثر مما راعى مبادئه.

وبتاريخ 1952/4/9 قام الشيشكلي بزيارة السعودية بعد ان بدأ يمهد لما ينسجم مع المخطط الاميركي في سورية وذلك بخنق الحياة السياسية والقضاء على الوضع البرلماني الديموقراطي، مما يمهد لقبول مشاريع الدفاع الغربية وقبول دولة اسرائيل في المنطقة، الامر الذي كان يقاوم بضراوة من قبل الشعب في سورية ومصر.

□

كانت الاستعراضات العسكرية المتعددة التي اقامها اديب الشيشكلي وسيلة لاظهار هيمنته على الجيش، ومناسبة لتأييده من قبل الطبقة الاقطاعية والرأسمالية فبعد الاستعراض العسكري الذي اقامه في مدينة حماة، اقام استعراضين آخرين في مدينتي حلب واللاذقية في اوائل شهر ايار 1952.

ثم بدأ بتشكيل الحزب الوحيد الحاكم الذي اسماه حركة التحرير العربي معتمدا فيه بالدرجة الاولى على بقايا الحزب العربي القومي، وهو حزب نازي اسسه خلال الحرب العالمية الثانية السيد ظافر الرفاعي في مدينة حلب، وقد اعتقل كثير من اعضائه باعتبارهم عملاء للنازية بعد دخول الحلفاء الى سورية ولبنان، وبالاضافة الى الحزب القومي العربي فقد انضم لحركة التحرير - شأن كل الحركات التي تصطنعها الانقلابات العسكرية - المنتفعون والمخدوعون والعناصر الانتهازية من الاحزاب الاخرى ما عدا الحزب السوري القومي الذي ارتضى لنفسه ان يصبح جهازا مساعدا للمكتب الثاني (مخابرات الجيش).

وبعد ان بدأ الشيشكلي بتشكيل حركة التحرير العربي صرح لجريدة الاوريان اللبنانية قائلا:

"ان اصدقاءنا يتابعون تجربتنا ونحن نعترف لهم بالجميل ولن نصم آذاننا عن نصائحهم وآرائهم ونقدهم النزيه، كما قال:

على اثر افلاس الكتل البرلمانية تسلمنا الحكم ولم نحدد - هذه المرة - اي تاريخ للتجربة وذلك واضح من التصريحات العديدة التي اعلنت فيها اننا سنقيم حكما مدنيا عندما يكون ذلك ممكنا، وسنبقى في الحكم حتى اليوم الذي نرى فيه ان الانتخابات الشعبية تقدم تمثيلا ديموقراطيا صحيحا للشعب، اما الحزب الموحد او حركة التجمع القومي (يعني حركة التحرير) فقد اعلنت في خطابي في مدينة حلب اننا بواسطة هذه الحركة نريد خلق الوعي القومي عند الجماهير، وستحقق ذلك اجهزة الحزب الموحد الكبير الذي سيدعى اليه كافة اصحاب النية الحسنة".

□

بعد ان سمى الزعيم فوزي سلو نفسه بمرسوم رئيسا للوزراء الف حكومته على النحو التالي:

فوزي سلو رئيسا لمجلس الوزراء ووزيرا للدفاع، الدكتور سامي طيارة وزيرا للمعارف، الدكتور مرشد خاطر وزيرا للصحة والاسعاف العام، الدكتور ظافر الرفاعي وزيرا للخارجية، سعيد الزعيم وزيرا للمالية، منير دياب وزيرا للاقتصاد الوطني، منير غنام وزيرا للعدل، توفيق هارون وزيرا للاشغال العامة والمواصلات.

□

نشاطنا في الجيش

كنت اتجنب ما امكنني ذلك الاتصال بضباط الجيش بعد حركة العقداء منعا لاي استغلال او تشويش من قبل الرجعية التي اصبحت تشيع بسبب شعبيتي عند كثير من الضباط انني رجل الجيش وان الجيش وراء الحزب العربي الاشتراكي.
ولكنني كنت اسائل نفسي:

هل نترك الجيش للرجعية لتنفيذ مؤامراتها بعد ان اصبح الجيش اهم ساحة من ساحات الصراع بين القوى التقدمية والاستعمار؟

هل نعتبر الجيش قطاعا من قطاعات الشعب وهذا يقتضي تنظيما حزبيا عاليا لم نبلغ شأوه في تلك المرحلة؟

بقيت هذه التساؤلات دون اجابة، واصبح اقصى ما نطمح اليه من علاقتنا بالجيش احباط المؤامرات الاستعمارية على سورية بالتوعية السياسية وبث الروح الوطنية والتقدمية للمحافظة على استقلال البلاد.

لم تكن الانقلابات العسكرية طريقنا للحكم، ولم نفكر في ذلك مطلقا، بل كان الطريق الديموقراطي البرلماني هو الطريق الوحيد، وكان هذا ملموسا وظاهرا وواضحا بالرغم من كل الاراجيف التي اطلقتها ابواق الاستعمار والرجعية، ولو كان حزبنا او كنت انا طامحا بالوصول الى الحكم عن طريق الجيش لكان ذلك متيسرا لنا دون سوانا، اذ كان الجيش مجمعا على تأييدنا والثقة بنا ولم يكن لنا منافس في صفوفه، بل ان عزوفنا عن السير في هذا الطريق وايماننا بالطريق الديموقراطي هو الذي فسح المجال للمغامرين ان يثبوا الى السلطة من حسني الزعيم الى الحناوي الى اديب الشيشكلي الى انقلاب الثامن من آذار 1963.

وضعنا الحزبي عند انقلاب الشيشكلي.

لقد عاجلنا الشيشكلي بانقلابه قبل ان نستكمل بناءنا الحزبي بالرغم من اكتساح حركة الفلاحين والتفاف اوسع القواعد الجماهيرية حول الحزب، وكان البعث في بداية الطريق يضم عددا من الطلاب والموظفين وبعض المثقفين، ولكن كان كل من الحزبين غير قادر بمفرده على تقويض ديكتاتورية الشيشكلي، فلا بد اذن من العمل السريع:

اولا: لدمج الحزبين في حزب واحد.

ثانيا: تنظيم قوانا في الجيش

ثالثا: قلب تنظيماتنا الى تنظيمات سرية.

□

لم اكن في الحقيقة مطلعا على ما كان يعانيه حزب البعث من مشاكل داخلية تجعله يدور في الفراغ وخارج دائرة الصراع السياسي.

كان شللا متنافرة من قمة القيادة الى قيادات الفروع الى الخلايا الحزبية، وكانت الطائفية والعائلية تنخر في بنائه، الامر الذي اطلعت عليه بعد دمج الحزبين، وهذا شأن كل حزب لا ينبثق عن حركة شعبية.

ان انقلاب الشيشكلي والخلافات التي انهكت حزب البعث كانت عاملا قويا لمبادرة قواعده للعمل على دمج الحزبين، وكنت في البداية وجلا من هذه الخطوة بالرغم من قناعتي بضرورتها، فأجريت استشارات واسعة شملت جميع قيادات الحزب العربي الاشتراكي، فكان بعضها موافقا وبعضها الاخر معارضا، ولكن الاكثرية كانت في جانب توحيد الحزبين والذي تولى المفاوضة فيه من جانب العربي الاشتراكي الاستاذ انطون المقدسي والمحامي عبد الفتاح الزلط ومن جانب البعث الدكتور وهيب الغانم والاستاذ عبد البرعيون السود والدكتور فيصل الركبي، وكان من أشد المعارضين لهذه المفاوضات جلال السيد الذي بقي خارجها.

وكان الاساس الذي اقترحته لتوحيد الحزبين هو ما يلي:

اولا: ان يسمى الحزب الموحد: حزب البعث العربي الاشتراكي.

ثانيا: ان نعتبر دستور الحزب العربي الاشتراكي دستورا للحزب الموحد او ان نضع دستورا جديدا، لان دستور حزب البعث الذي وضعه مؤتمره الاول في 1947/4/6 قد اصبح متخلفا عن الدستور السوري من حيث مفاهيمه القومية والاجتماعية، فالمادة 34 من دستور حزب البعث تعتبر حق التملك حقا طبيعيا مصانا، بينما يعتبر الدستور السوري ان التملك وظيفة اجتماعية.

ثالثا: ان تكون قيادة الحزب ثلاثية، ينصرف فيها اهتمام ميشيل عفلق الى الشؤون الفكرية، وان اتولى مع الاستاذ صلاح البيطار المهمات السياسية والتنظيمية.

استغرقت المفاوضات وقتا طويلا، وضغوطا كبيرة من قاعدة حزب البعث على القيادة، وكان الاستاذ ميشيل يرفض في البدء القبول بهذه الاقتراحات الثلاثة، وقد قال لي الاستاذ مقدسي ان الاستاذ ميشيل يرفض باصرار اضافة كلمة اشتراكي الى اسم الحزب. والحقيقة ان الاستاذ ميشيل لم يكن عدوا للاشتراكية ولكن جوا من عدم الثقة وسوء الفهم كان مبعثا للصعوبات التي لاقتها المفاوضات وما استتبعها من مشاكل، فقد فهم الاستاذ ميشيل - وكان ما يزال يعاني آثار كتابه الى حسني الزعيم - ان اشتراط انصرافه الى العمل الفكري والايديولوجي يعني اقصاءه عن العمل السياسي وامانة الحزب، وهو الامر الذي ظل عقدته التي لعب بها خصوم الحزب فيما بعد.

والذي اعتقده ان قيادة الحزب (ميشيل وصلاح وجلال) لم تقبل بتوحيد الحزبين الا خوفا من انقسام البعث وانهياره، فقد كان عدد من اهم قياداته مع هذا الدمج (وهيب الغانم، عبد البر عيون السود، فيصل الركبي)، ولذلك فقد ارتضت قيادة البعث هذا الواقع موقتا على امل فك هذا الارتباط - الذي كان في نظري زواجا كاثوليكيا - عند اول فرصة سانحة، وهذا سر المشاكل التي عانى منها الحزب فيما بعد.

□

ان الاستاذين صلاح وميشيل لم يعرا اي اهتمام لتنفيذ شرط وضع دستور جديد للحزب وكانت اثارتي للموضوع ستزيد من الحساسيات القائمة ضمن القيادة، وبالاضافة الى ذلك فان وضع دستور جديد لم يكن ممكنا خلال سنوات النضال السري ضد ديكتاتورية اديب الشيشكلي، ثم بعد ذلك خلال الاحداث التي داهمت سورية من مؤامرات مختلفة على استقلالها ونظامها

الوطني الديموقراطي، مما تطلب منا مواجهة هذه الاحداث والتصدي لها بصورة مستمرة.

لقد عكس هذا الوضع آثاره السلبية على خط سير الحزب ومواقفه وتنظيمه، ويكفيني ان اشير هنا الى ان خلافاتنا التي استمرت فيما بعد حول المشاريع الوحدوية كان مردها الى الغموض الايديولوجي في دستور البعث، وكان ذلك احد الاسباب في تمزيق الحزب ولا سيما بعد الثامن من آذار الى اجنحة يسارية كردة فعل على رجعية ذلك الدستور ولو كتب للحزب ان يضع دستورا جديدا يتمشى مع حركته المتطورة لتفادى كثيرا من الانقسامات التي تعرض لها فيما بعد.

كنت مقدرا صعوبة العمل في قيادة واحدة مع الاستاذين صلاح وميشيل، ولكنني كنت مزمعا على تذليلها وكنت اقول ليس بيني وبينهما تنافس او مصالح شخصية متضاربة، بل كنت اعتقد ان من مصلحتهما الحرص على وحدة الحزب وعلى انسجام القيادة، وان مخاوفهما لا اساس لها، وان الممارسة ستبرهن على عكس ما يتوهمون..

كنت اذن مقدرا صعوبة العمل معهما ولكنني لم اكن مقدرا لها بالصورة التي ظهرت خلال مفاوضات الدمج كما ظهرت بشكل اكبر فيما بعد، واورد في هذا المجال الواقعة التالية:

كنت قد اتصلت اثناء المفاوضات مع حزب البعث بشبابنا في الجيش الذين لم يكونوا على علم بخلافنا مع الشيشكلي فانسانقوا في بداية الامر معه، وكان ذلك بواسطة عبد الغني قنوت وقبل اغلاق مكتب الحزب وقد تحدثت معه عن حقيقة موقفنا من انقلاب الشيشكلي ومخاطر هذا الانقلاب على القضية، ودعوته للاتصال برفاقه الذين كانوا منتسبين للحزب قبل دخولهم الكلية العسكرية امثال يوسف المير علي، مصطفى حمدون، سعيد الصباغ، كنعان حديد، منير موسى باشا، نعسان زكار، عبد الكريم زكار، شهير الدريعي، مظهر العمر وغيرهم من الضباط الصغار، وكنت اتولى بنفسي الاتصال سرا بأصدقائنا من

الضباط الكبار كالمقدم عدنان المالكي ونبيه الصباغ وبشير صادق ومحمود شطرة وغيرهم، وقد سببت هذه الاتصالات جوا معاديا للشيشكلي بين صغار ضباط الجيش الذين كان يعتمد عليهم فاضطر ان يدعوني بواسطة الدكتور سامي طيارة الذي كان حريصا على تفاهمنا مع الشيشكلي الى حفلة عشاء في نادي الضباط، فلبيت الدعوة لانني رأيتها فرصة ثمينة اشرح فيها وجهة نظري بمواجهة الشيشكلي امام هذا العدد من الضباط المدعوين.

عشية يوم الدعوة وكنت مجتمعا في منزل الاستاذ صلاح مع الاستاذيين ميشيل عفلق وعبد الفتاح الزلط نتذاكر بأسلوب توحيد الحزب، وكان فرع حلب موضوع البحث والمناقشة، وعندما حان موعد الدعوة اخبرت الحاضرين عنها وعقبت على ذلك بأنها مناسبة جيدة ستتيح لي شرح اسباب معارضتنا للانقلاب بحضور ضباط الجيش، فأشار الاستاذان ممتعضين برفض الدعوة، فامتثلت لرأيهما وقلت في نفسي:

هذا نموذج عما سألاقيه من اختلاف عقليتنا وأساليبنا في العمل، ولكن لا بد لنا من الصبر فهو سبيلنا لانشاء حزب قادر على الوقوف امام التحديات التي تواجهها البلاد. وفي اجتماع آخر في بيت الاستاذ صلاح حضر جلال السيد فاستغربت حضوره لانه لم يكن موافقا على دمج الحزبين، ولكنني لم اعترض على وجوده، وقد توجه الي خلال الاجتماع بهذا السؤال:

ما رأيك بمشروع الاتحاد مع العراق، وهل تقبل بذلك اذا تحرر العراق من المعاهدة البريطانية؟ قلت له:

انني اقبل بهذا الاتحاد ولو كان تحت النظام الملكي، ولكن المشروع الذي عرض كان يهدف الى اقامة عرش آخر في سورية للوصي على العرش العراقي الامير عبد الاله مما يتيح لبريطانيا ان تدخل سورية ضمن منطقة نفوذها، وقد تعرض جلال السيد لهذه المناقشة في كتابه عن حزب البعث بصورة غير دقيقة.

انتهت اخيرا المفاوضات على دمج الحزبين، بعد جلسات عديدة مع صلاح وميشيل، وتم الاتفاق على هذين البندين:
اولا: تضاف كلمة اشتراكي الى اسم الحزب الذي سيصبح: حزب البعث العربي الاشتراكي.
ثانيا: تضع هيئات الحزب المسؤولة دستورا جديدا توضح فيه الهوية الاشتراكية للحزب.

اما الشرط الثالث فقد صرف النظر عنه لأن المفاوضين ابلغوني ان الاستاذ ميشيل تعهد بأن يصرف اهتمامه تلقائيا الى الامور الفكرية ولا حاجة لهذا الشرط الذي يعتبره ماسا به شخصيا، فقلت لهم لم يدر بخلدي ان اسيء اليه، ولكنني اقترحت ذلك لانه اكثرنا كفاءة لتولي هذه المهمة.

وهكذا تم دمج الحزبين، ولكنني شعرت منذ الاجتماعات الاولى ان الاستاذين اصبحا بعيدين عني اكثر من السابق، وانهما يشكلان قيادة مستقلة، ولكنني كنت حريصا على حصر كل خلاف في حدود القيادة لافسح المجال للقواعد الحزبية للانصهار والاندماج.

□

كان الاستاذان حريصين جدا ان يهيمن مريدوهما على قيادة الفروع بينما كنت لا أرى فارقا بين عبد البرعيون السود والدكتورين وهيب الغانم وفيصل الركبي مثلا وبين قياديي الحزب العربي الاشتراكي، بل ان عددا من شباب البعث كانوا اقرب الي من بعض قيادات العربي الاشتراكي، وعلى كل حال فقد كنا قادمين على معركة قاسية ستفرز من نفسها العناصر القيادية المناضلة، وقد كان القياديون الذين تولوا المفاوضات هم اقوى واكثر عناصر حزب البعث كفاءة ولم اظن ان تقديري لهم سيكون سببا في سوء ظن الاستاذين بهم.

لم يكن سهلا قرارنا باللجوء الى العمل السري لان حركتي البعث والعربي الاشتراكي قد انطلقتا من الدعوة والتبشير في جو من الديموقراطية، فكان التنظيمان علنيين ومكشوفين، لذلك

وجدنا صعوبة كبرى في قلب الحزب الى تنظيم سري لان الكوادر الحزبية كانت معروفة ويمكن بسهولة شل تحركها والقضاء عليها.

لم يعبأ الشيشكلي بادىء الامر بقوانا الحزبية والشعبية لان كوادرها كانت معروفة من قبل اجهزة المخابرات، فكان سهلا عليه قمعها والقضاء عليها بالاعتقال والسجن، وعندئذ تصبح الجماهير قوة معطلة بلا قيادة، ومع ذلك فقد كان شروعنا في تنظيمنا السري للحزب الموحد، وان جاء متأخرا، من أهم الاسباب التي ادت الى انهيار ديكتاتورية الشيشكلي بمساعدة المبادرة الرائعة التي اطلقها الشعب في المدن السورية بالاشتراك مع رفاقنا في الجيش في حلب وحمص وحماة وفي جميع مراكز الجيش ومواقعه بالرغم من قلة عددهم وصغر رتبهم مما سيرد ذكره فيما بعد بالتفصيل.

وضع الشيشكلي في الجيش.

لم تؤلف حركة التحرير العربي تنظيما حقيقيا في الجيش، بل استخدم الشيشكلي انصاره من الضباط بالدعوة لهذه الهيئة فظلت ركائزه في الجيش مجموعات من الضباط تدين له بالولاء وتتألف من:

1- مجموعة من كبار الضباط واصحاب الرتب العالية تدين له بالولاء عن طريق السعودية وعلى رأسهم فوزي سلو، ولم يكن الشيشكلي يحترمهم او يثق بهم بل جعل منهم الواجهة العسكرية.

2- صغار الضباط الذين التفوا حوله بصفته مناهضا للمشاريع البريطانية، ومعظمهم من ابناء الريف والمدن الصغرى: من حوران، دير الزور، القلمون، حماة، وكان من ابرزهم امين النفوري، احمد عبد الكريم، طعمة العودة الله، احمد حنيدي، عبد الحميد السراج، زياد الحريري، مطيع الجابي، وكانوا شللا يؤلف بينها رفاقة الدورة في الكلية العسكرية والولاء الاقليمي، وكانت اهم هذه المجموعات التي اعتمد عليها الشيشكلي فأصبحت تتمتع بسلطة ونفوذ كبيرين هي

مجموعة حسين حدة والشقفة والزوبري وعبد الحق شحادة وعبد الله جسومة.

كانت السعودية تنثر الاموال بسخاء فازداد انصارها واتسع نفوذها سواء في الجيش او في الاوساط السياسية والشعبية، وكان يتولى الاشراف والتنفيذ الشيخ يوسف ياسين وابن اخيه عبد الفتاح ياسين (من مدينة اللاذقية) فالتف حول الشيشكلي سواء في الجيش او بين المدنيين عدد من العناصر الكفوءة وامسك خليفته المستتر ابراهيم الحسيني زمام الامن في المكتب الثاني وفي مديرية الشرطة والامن العام.

كما تولى ثلاثة مدربين اكفياء شؤون الاعلام وهم قدري القلعجي واحمد عسة ونزيه الحكيم، فاستلموا شؤون الدعاية والانباء والاذاعة، وكان هؤلاء الثلاثة مع عبد الفتاح ياسين الموظف في السفارة السعودية، مستشاريه في الشؤون الاعلامية والسياسية، وقد خرج الشيشكلي من الظل الى النور بعد الانقلاب المصري في 52/7/23 فاصدر الزعيم فوزي سلو بتاريخ 52/8/4 المرسوم الاشتراعي رقم 44 الذي يقضي بتعيين الشيشكلي نائبا له يؤازره في عمله، ويباشر صلاحياته في حال انقطاعه عن العمل لاي سبب كان، بالوقت الذي احتفظ فيه الشيشكلي بوظيفته الاساسية كرئيس لاركان الجيش.

ثورة 1952/7/23 في مصر:

كنت مزمعا على السفر الى يبرود بحجة قضاء فصل الصيف ولكن كانت غايتي الحقيقية هي الاتصال بالضابط حسين حدة لابصره بعواقب الاعتقال والتنكيل برفاقنا عدنان المالكي واخيه رياض الذي عذب عذابا وحشيا امرضه عدة شهور، وبينما كنت أتأهب للسفر زارني احد الرفاق وعلى وجهه علائم الدهشة والفرح واخبرني بنبأ الانقلاب في مصر فجلست استمع الى البلاغات المذاعة بصوت ضابط عرف فيما بعد انه انور السادات.

لم تكن البيانات التي استمعت اليها تنم عن هدف واضح محدد للانقلاب: "اجتازت مصر فترة عصيبة من تاريخها الاخير من

الرشوة والفساد وعدم استقرار الحكم، وقد كان لكل هذه العوامل تأثير كبير على الجيش، لقد تسبب المرتشون المغرضون في هزيمتنا بحرب فلسطين، واما بعد فترة هذه الحرب فقد تضافرت عوامل الفساد وتآمر الخونة على الجيش وتولى امره اما جاهل او فاسد حتى تصبح مصر بلا جيش يحميها الخ".

لم اتمكن من تقييم هذا الانقلاب وانما الذي ترك اثرا في نفسي صوت مذيع البيانات الخافت الهادىء البسيط فخيل الي انه نداء تاريخي آت من بعيد، من ثورة احمد عرابي باشا.

كانت البيانات الاولى على بساطتها وسذاجتها تلمس حقيقة جوهرية: هي فساد النظام الملكي الذي تسبب بهزيمة الجيش المصري في حرب فلسطين، فأملت ان يكون الانقلاب عربيا تقدميا، وقدرت ان بريطانيا لن تستطيع القضاء على هذا الانقلاب بالقوة لانها ستشعل بيدها حرب التحرير الشعبية التي اخمد جذوتها مؤامرة حريق القاهرة، ولم ار في تكليف علي ماهر باشا بتشكيل الوزارة - بعد اقالة حكومة الهلالي - امرا يدعو للريبة لانني اعتبرتها خطوة تمهيدية لا بد منها، ثم يأخذ الانقلاب طريقه الثوري الشعبي، ولكن تنازل الملك عن عرشه لابنه احمد فؤاد ثم خروجه من مصر بمظاهر احتفالية مع صناديق ذهبه وتحفه وبوداع رسمي جعل الشكوك تساورني بالانقلاب الجديد.

وقد ايدت بريطانيا الانقلاب الجديد على لسان وزير خارجيتها انطوني ايدن بعد ايام قليلة من الانقلاب اذ القى بتاريخ 1952/7/28 خطابا في مجلس العموم جاء فيه:

"ان مصلحة بريطانيا والامم الحرة ان تتمخض الازمة الحاضرة في مصر عن نظام مستقر صحيح في الادارة والحكم... لقد اوضحت للمسؤولين في مصر بواسطة القائم بالاعمال بالسفارة ان بريطانيا ليس لديها اسباب للتدخل في شؤون مصر الداخلية"

ثم جاء في مذكرات ايدن التي كتبها عام 1959:

"ان الملك فاروق شعر بعدم حاجته الى الاهتمام بنا، واعتقد ان بوسعه دوما ان يمنع بريطانيا من اتخاذ اجراء قوي في مصر عن

طريق التقرب من الولايات المتحدة واثارة مخاوف سفيرها في القاهرة من نشوب ثورة" " وكنت قد اوضحت اكثر من مرة لسفارتنا في القاهرة ان القوات البريطانية لن تتدخل للمحافظة على عرش فاروق (ص343 الجزء الاول - دار مكتبة الحياة) كما جاء في المذكرات:

"واصبح لزاما علي ان اقرر موقفنا من زعماء الثورة، ان صفات الزعامة لدى محمد نجيب اثارت لدي الشكوك منذ البداية، وقد اقلقني ان الاحظ انه منذ اجتماعاته الاولى مع سفيرنا لم يكن وحيدا قط، ولم يكن يبدو عليه انه يقود فريقه، وبدت هنالك مخاطر في اختياره، ولكن اللواء نجيب كان على كل حال رهانا افضل لنقامر عليه من الملك فاروق". (ص 346 الجزء الاول)

ولعل هذا الرهان البريطاني الذي يتحدث عنه انطوني ايدن، كان بسبب التنافس على النفوذ والخلاف المعروف الذي انتهى لمصلحة عبد الناصر.

□

بدأت السياسة الاميركية تسير بالانقلاب المصري الى وضع مماثل للانقلاب السوري مع مراعاة اختلاف اوضاع البلدين، وهكذا شرع الانقلاب المصري بعد ان استتبت له الامور باضطهاد الحريات الديموقراطية، وتفتيت الاحزاب السياسية وتشويه سمعتها للقضاء على الحياة الحزبية والسياسية في مصر وتوج اعماله باعدام عمال كفر الدوار لانهم اضربوا وتظاهروا بتاريخ 12-1952/8/13.

وقد صرح الشيشكلي بتاريخ 1952/8/17 واصفا الانقلاب في مصر:

"ان انتفاضة مصر هذه جديرة بالتقديس فهي اروع من الثورة الفرنسية واروع من اي انقلاب اخر في التاريخ".

ولكن الذي اثار انتباهي وانتباه الناس ما ورد في خطاب بن غوريون بتاريخ 1952/8/19 في الكنيست حيث قال:

"ان مصر دون سائر الدول العربية لا يوجد بينها وبين اسرائيل اي خلافات، ثم حمل على الملك فاروق، وحمله مسؤولية دخول القوات المصرية الى فلسطين، وتمنى النجاح للواء محمد نجيب قائد الحركة الاخيرة، كما قال: ان الحركات الاخيرة في الشرق الاوسط يمكن ان تسفر عن خير كبير".

وكان مما لفت الانظار زيارات اللواء محمد نجيب للطائفة اليهودية بمظاهر احتفالية بمناسبة وغير مناسبة، بالوقت الذي كان يشاع فيه نبأ اجتماع سفير مصر بأنقرة بالصهيوني الياهوساسون مرات متعددة مما كان موضع خوف ونقد في سورية والعالم العربي.

□

قضيت في يبرود اكثر من شهر لم اتمكن خلاله من تحقيق الغرض الذي جئت من اجله فقد كان الضابط حسين حدة مشغولا باختراق الجبل بواسطة المعدات الضخمة التي اعارتها له شركة (الاي بي سي) ليحول الطريق العام من النبك الى يبرود وهي لا تبعد عنها سوى كيلومترات قليلة حيث تتصل بساتين البلدتين ببعضهما، ولكن اهالي يبرود كانوا يحسدون اهالي النبك على ما ينفقه المسافرون المارون فيها!!

وهذه الحادثة تصور البؤس الذي كان يعانيه اهالي القلمون لفقر تربته وقلة أمطاره وشح مياهه بعد ان قضى الاتراك نهائيا على الغابات التي كانت تغطي جباله فاصبحت جرداء ومرتعا للماعز، ولا يجد سكان المنطقة الاشداء النشيطون امامهم سوى الهجرة الى بلدان امريكا او الى السعودية والخليج للعمل في البناء.

اصبحت يبرود المصيف الجميل الذي لم تطل اقامتي فيه مكانا مناسبا لعقد الاجتماعات مع رفاقنا بعيدا عن عيون السلطة، فكانوا يؤمونها من مختلف انحاء سورية بحجة الاصطياف.

الشيشكلي يبدأ نشاطه بافتتاح مكاتب حركة التحرير وتدشين خط بترول بانياس:

قام الشيشكلي بصحبة الزعيم فوزي سلو في اواخر شهر تشرين ثاني 1952 بزيارة اللاذقية فافتتح مكتب حركة التحرير بمهرجان شعبي احسن اعداده والقى خطابا هاجم فيه بعنف دعاة الحكم الديموقراطي ونعتهم بدعاة الهدم والتخريب، ومن هناك قصد بانياس حيث افتتح الزعيم سلو خط الانابيب بمفتاح ذهبي، وقد اعددت منشورا سريا بهذه المناسبة هاجمت فيه الشيشكلي واعتبرته صنيعة المصالح البترولية الانكلو اميركية، تولى طباعته وتوزيعه العمال الحزبيون بدمشق الذين كانوا يشكلون بقيادة ابي زياد الحلاق خلايا حزبية قوية.

وفي الثالث من كانون الاول احتفل الشيشكلي بالمناسبة التي سماها عيد التحرير وهو تاريخ استيلائه على السلطة، فأقام عرضا عسكريا ضخما ظهرت فيه لاول مرة في سماء دمشق طائرات المتيور التي تعاقدت عليها عندما كنت وزيرا للدفاع، وكانت موضع اعتزاز الشيشكلي في خطابه خلال هذا الاستعراض الذي لم تشهد البلاد نظيره من قبل، ولكن حادثا مفجعا قلب العرض الى مأتم، وكأن هذا الحادث كان رمزا للمآسي التي تنتظر البلاد من انصراف الجيش عن التدريب العسكري الى شؤون الحكم والسياسة، فقد حاولت احدى الدبابات الضخمة ان تستدير عند جسر فكتوريا ففرمت بعجلاتها اكثر من ثلاثين شخصا لم يتمكنوا من الابتعاد بسبب الازدحام، وقد ذهبت بنفسي الى مكان الحادث - بعد ان جمعت البلدية الاشلاء وغسلت المكان - فشممت روائح الدماء واللحم البشري فابتعدت فورا عن المكان.
. وقد اصبح هذا الرمز حقيقة فيما بعد، فقد صرح الضابط احمد المير بعد انقلاب الثامن من آذار عام 1963 وما اعقبه من مجازر بأن دباباته جائعة للحوم اعداء الثورة، ثم اصبح هذا الضابط الثوري البعثي اليساري قائدا للجبهة في حرب الخامس من حزيران عام 1967 ففر من المعركة دون قتال على ظهر حمار، فكوفىء على فراره بأن عينه صلاح جديد عضوا في القيادة القومية بعد ان كان عضوا في القيادة القطرية، وهذا من الامور التي يعرفها جميع الناس.

زيارة الشيشكلي للقاهرة:

زار الشيشكلي القاهرة في العاشر من كانون الاول، حيث استقبل بحفاوة بالغة من اللواء محمد نجيب فأقيمت له الحفلات التكريمية العديدة، وتولت محطتا اذاعة القاهرة ودمشق اذاعة الخطب المتبادلة، فكان الشيشكلي مجليا على رجال الانقلاب المصري الحديثي العهد بالخطابة والسياسة فأفادت هذه الزيارة الشيشكلي اعلاميا وسياسيا اكثر مما افادت قادة الانقلاب المصري.

عاد الشيشكلي الى دمشق بتاريخ 12/6 وقبل عودته بيوم واحد اخبرني الضابط سعيد الصباغ بعزمه على اغتيال العقيد الشيشكلي في مطار دمشق بعد ان اكتشفت اجهزة الشيشكلي تنظيمهم وانه متفق مع رفاقه على ذلك لانقاذهم من الاعتقال والتعذيب والمحكمات فأثنيته عن عزمه واقنعته بأن اغتياله لا يحل المشكلة لان ابراهيم الحسني مهيأ للحلول محله وهو ينتظر مثل هذه الفرصة فاياكم ان تقدموا على هذا العمل، وقد وافقني الاستاذ ميشيل على وجهة نظري بعد ان اطلعته على الامر.

اعتقل العقيد الشيشكلي بعد عودته بعض رفاقنا [1] الضباط ومنهم سعيد الصباغ وبدأت اجهز الامن تفرض علينا رقابة مشددة فاضطررنا للتغيب عن الانظار، دون ان تنقطع اجتماعاتنا الضرورية، وعندما كنت اخرج من منزلي المراقب لحضور مثل هذه الاجتماعات كنت اتدلى من احدى نوافذه على سلم الى طريق جانبي لا يخطر على بال.

□

(1) في لقاء له مع السفير الاميركي قال الشيشكلي للسفير بأن القوات الموالية له تمكنت من احباط انقلاب على نظامه، وان المتآمرين كانوا من صغار الضباط، وخلال هذه اللقاء لم يوجه الشيشكلي الاتهام الي مباشرة ولكن اتهمني بالتحريض السياسي وقال ان التحقيق مستمر وأن الأدلة تجمع ضدي (برقية من السفارة الاميركية في 52/12/21 - الارشيف الوطني للولايات المتحدة)

TELEGRAM NO. 437,21 DECEMBER 1952, 78.00/12-2152, NARG 59.

لم اتمكن بسبب ظروف اختفائي عن الانظار ثم لجوئي الى لبنان من معرفة الاسباب الحقيقية الكامنة وراء كشف تنظيم الضباط، وكنت دائما افكر، وحتى بعد سنوات عديدة من هذا الحادث بمن يكون الواشي، وكانت تساور الرفاق افكار وشكوك عديدة بأن يكون الدكتور عبد العزيز عثمان قد اخبر ابراهيم الحسيني عن التنظيم فقد كان على صلة به وبضابط المخابرات مطيع الجابي، فدس الحسيني احد عملائه على الضابط يوسف المير علي فسجل عليه بعض الاحاديث، وقد رفع الشيشكلي ابراهيم الحسيني بعد اكتشاف التنظيم الى رتبة عقيد.

□

عندما اصبح امر اعتقالنا امرا محققا تواريت عن الانظار في منزل في حي الاكراد تحيط به بساتين متصلة بغوطة دمشق، وذلك قبل ان يكتسح العمران تلك البساتين الجميلة، وكان صاحب الدار - والد رفيقنا ابو حازم محيي الدين البرازي- رجلا فقيرا عملاقا يتمتع بمناقب الجاهلية، تزوج عدة مرات وانجب العديد من الاولاد والبنات الذين تركهم وشأنهم وظل لاهيا بالصيد وتربية الحمام، وكان من العسير على قوى الامن حصار المنزل لانه كان متصلا من جهاته الثلاث بالبساتين وبأزقة حي الاكراد الضيقة، وقد فسر لي وضع هذا البيت كيف تمكن عدد قليل من الثوار في دمشق وحمص وحماة من اشغال اجهزة الامن الفرنسية والجيش اكثر من عامين خلال ثورة 1925 دون ان تتمكن من القضاء عليهم حتى اصبح نضالهم في حرب المدن لا يقل براعة عن حرب عصابات التوباماروس في الاوروغواي بل يزيد.

امضيت في هذا المنزل اسبوعا كنت اخرج منه ليلا لحضور بعض الاجتماعات الهامة وكان يتردد علي كل ليلة محيي الدين البرازي وعوض التركاوي وكان صلة الوصل بيني وبين الحزبيين.

اللجوء الى لبنان

واخيرا لم نر بدا من مغادرة سورية واللجوء الى لبنان لمتابعة المعركة ضد الديكتاتورية وقد تعهد الاستاذ صلاح ترتيب امر لجوئنا عن طريق الزبداني، وقبل الغروب انطلقت بنا سيارة صغيرة من بيت فؤاد الصواف فوصلنا الزبداني ليلا دون ان يعترض سبيلنا مخفر ميسلون وحللنا في منزل عم الاستاذ صلاح الخالي اثناء الشتاء، ثم انتقلنا الى بيت آخر يقع في اقصى المدينة على الطريق الذي ينطلق منه المهربون الى لبنان، ومن هنالك سرنا وراء الدليل في الجبال الوعرة المغطاة بالثلوج، ورغم المشاعر التي اثارها فراق البلد والعائلة، فقد استمتعت بتلك الليلة الباردة الصاحية، حيث كان القمر انيسنا، وكانت اشعته المتناثرة على الثلوج تبعث في النفس البهجة والنشاط وتشيع فيها جوا من الاحلام المسحورة.

لم ينغصني البرد القارس وانما الذي نغص نشوتي بهذه الطبيعة الرائعة حذائي الذي اصبح ضيقا بسبب البلل، فوددت لو انتزعه وامشي حافيا لولا الثلوج التي كنا نغوص فيها الى الركبتين في بعض الاحيان، وزاد في المي ان الدليل ضل الضريق فطالت المسيرة اكثر من ثمان ساعات اشرفنا بعدها على سهل البقاع فنزلنا في منحدر سحيق الى قرية (كفر زبيد) وطرقنا اول باب بلغناه من بيوت هذه القرية الفقيرة، فطال قرعنا وطال انتظارنا، ثم فتح لنا الباب صاحب البيت، وادخلنا الى الغرفة الوحيدة التي تطل على باحة صغيرة، فشاهدنا امرأة فقيرة تئن تحت اللحاف فرحبت بنا ترحيبا حارا وامرت زوجها ان يشعل النار ويقدم لنا الشاي، ثم اعتذرت بذكاء وحياء عن عدم استطاعتها تأمين منامنا، فقلنا لها اننا بحاجة فقط الى الدفء والى هذا اللطف اكثر من حاجتنا الى النوم اذ لم يبق من الليل الا اقله. قالت لنا بعد ايناس وهي تئن من وطأة الحمى:

وددت لو تعرفونا على اشخاصكم، فنحن في قرية لا يؤمها الا المهربون بينما لا يبدو على هيآتكم انكم مهربون، قال لها الاستاذ ميشيل مازحا، ومن تقدرين ان نكون؟
قالت:

يظهر عليكم انكم معلمون... ضحكنا جميعا لذكاء وصدق حدس هذه القروية التي كانت بذكائها وكرم اخلاقها نموذجا حيا لمناقب ريفنا العربي.

غادرنا القرية صباحا بسيارة باص الى زحلة، ثم سافرنا من هناك الى بيروت حيث نزلنا في احد الفنادق المتواضعة في ساحة البرج، واول ما فعلته في بيروت هو استبدال حذائي بحذاء اخر، وقبل ان نتصل باحد شاهدنا احد محرري جريدة الدستور لصاحبها خليل ابو جودة فتعرف علينا فأذاعت الجريدة نبأ وصولنا الى بيروت فرارا من نظام الشيشكلي فأحدث هذا الخبر ضجة كبرى في سورية ولبنان.

الوضع في لبنان عند لجوئنا اليه.

بعد سلسلة من الاضرابات والمظاهرات التي عمت معظم ارجاء لبنان خلال عام 1952 بقيادة (الجبهة الاشتراكية الديموقراطية) ضد فساد حكم الشيخ بشارة الخوري اضطر الشيخ بشارة لتقديم استقالته من رئاسة الجمهورية بتاريخ 1952/9/18 بعد ان امتنع الجيش اللبناني عن قمع المعارضة الشعبية، فعين الشيخ بشارة قبل الاستقالة قائد الجيش اللواء شهاب رئيسا للدولة ورئيسا لمجلس الوزراء، وبعد خمسة ايام اجتمع المجلس النيابي بتاريخ 9/23 وانتخب كميل شمعون بالاجماع، وهكذا تمكن لبنان ان يحقق انقلابه الابيض بطريق شعبي ديموقراطي.

كان شعب لبنان عند لجوئنا في مطلع عام 1952 لا يزال بنشوة انتصاره، فاستقبلنا بالعطف والترحاب والمؤازرة، حيث لا يخفى مدى تأثير احداث البلدين الشقيقين ببعضهما البعض.

الصحافة اللبنانية تناصرنا.

كانت الحكومتان السورية واللبنانية قد شرعتا قبل لجوئنا الى لبنان بمفاوضات الوحدة الاقتصادية بين البلدين، ولكن سرعان ما صرف النظر عنها لاختلاف وجهات النظر بالسياسة الاقتصادية التي ينتهجها البلدان، فالاقتصاد اللبناني يقوم على السياحة والاصطياف ويشرع ابوابه للاستيراد، بينما يقوم الاقتصاد السوري

على تشجيع الانتاج الوطني وحمايته وذلك يقتضي الحد من الاستيراد، ولذلك انتقل الوزيران المتفاوضان السيد جورج حكيم وزميله السوري منير دياب الى بحث تعديل اتفاقية شباط 1952.

ان اجماع الصحف اللبنانية على الترحيب بلجوئنا الى لبنان والدعوة الى حمايتنا ومؤازرتنا باعتبارنا قادة الديموقراطية في سورية قد اغضب الشيشكلي وحكومته بشكل كبير فاعلن بتاريخ 1953/1/5 وقف المفاوضات الاقتصادية، ومنع تصدير القمح والحبوب والسمن، واغلاق الحدود مع لبنان بسبب "الموقف الذي وقفته الصحف اللبنانية من العهد الحالي في سورية" فكانت تدابير الشيشكلي بالنسبة للرأي العام اللبناني كمن يصب الزيت على النار فاضطر غسان تويني الذي كان موقفه وديا من حكومة الشيشكلي ان يكتب في جريدة النهار:

"اننا لا نفهم قرارات الحكومة السورية، والعهد الجديد معروف موقفه من سورية، فقد توجهت الانتقدات القاسية لوزير الاقتصاد اللبناني لمبادرته بعرض الوحدة الاقتصادية على الجانب السوري، في حين كان هذا العرض يأتي من الجانب السوري ويقابله لبنان بالرفض.. يضاف الى ذلك كله ان الصحافة في لبنان اليوم هي غيرها في الشام، فقد جاهدت الصحافة اللبنانية من اجل حرياتها طويلا، ويحرص العهد الجديد في لبنان على الا تمس الحريات وعلى الا يحدها شيء".

وكتب المرحوم نسيب المتني في التلغراف:

"ان لبنان ليس عبدا لاي دكتاتورية، ولن يجثو على قدميه في سبيل قمحكم وسمنكم الذي لن تجدوا سوقا طبيعية له الا في هذا البلد الشقيق" "لقد قيدتم الصحافة السورية ومنعتم التظاهر والاضراب تأييدا لقضايا العرب واستقلال العرب، ولهذه الاعتبارات نرى من واجب الصحافة في لبنان ان تقوم بدور صحافة سورية المقيدة، لتدعو الى انهاء العهد الديكتاتوري الذي قيد الشعبين وفرق بينهما ولتناضل لاعادة الديموقراطية الى سورية".

"اننا بدافع الاخلاص نعارض كل انقلاب عسكري وندعو الى تصفية الانقلابات سعيا وراء الاستقرار".

وكتب خليل ابو جودة في الدستور:

ان على الذين يدينون بالحرية واجبا هو ان يدافعوا عنها حيث يقع عليها اعتداء ولو في الصين فكيف اذا كان الاعتداء واقعا على حرية اقرب الناس الينا، واننا لنشارك السادة الحوراني وعفلق والبيطار بأن الوضع الحالي في سورية لن يطول، وربما كانت نهايته قريبة جدا" وقال:

"ان هذه الحالة الشاذة التي تعانيها سورية ليست مقتصرة عليها وحدها وان كانت البادئة فيها في السنوات الاخيرة، فالوضع في مصر من ناحية السيطرة العسكرية مثله في دمشق".

كما كتب زهير عسيران مقالا في الهدف تحت عنوان "احموا اللاجئين من الخطف والقرصنة". وهكذا لم تبق صحيفة في لبنان لم تقف في جانب الدفاع عن الديموقراطية في سورية، فتوطدت اواصر المعرفة والصداقة مع معظم المحررين والصحافيين في لبنان، كما كانت المقالات التي كتبها المؤيدون في الصحف وسيلة للاتصال والمعرفة، فقد كتب الاستاذ كلوفيس مقصود في جريدة الدستور مقالا بعنوان:

"تحية صادقة الى رفاق اعزاء لنا في النضال: اكرم الحوراني، ميشيل عفلق، صلاح البيطار" وكان الاستاذ [1] مقصود رئيسا لمجلس العقيدة في الحزب التقدمي الاشتراكي فعمل مع رفيقه جبران مجدلاني على اعادة علائقنا التي اعتراها الفتور مع الاستاذ كمال جنبلاط الى سابق عهدها.

تأزم العلاقات بين البلدين

اضطرت الحكومة اللبنانية ان تذيع بيانا على الصحافيين ورد فيه:

(1) لقد اصبح الاستاذ كلوفيش مقصود مندوبا للجامعة العربية في هيئة الامم المتحدة مع قيام الوحدة بين سورية ومصر وقد تولى مهمة الدفاع عن القضايا العربية ولا سيما القضية الفلسطينية بكل مقدرة وكفاءة واخلاص ثم استقال من منصبه في اعقاب حرب الخليج 1991.

"لقد وقعت في الايام الاخيرة احداث داخلية في سورية كان من البديهي بل من المفروض في شرع الجوار والمودة ان يقف لبنان وخاصة صحافته موقفا رزينا من تلك الاحداث دون الاخذ بالشوائع المرتجلة والدعاوات المقصودة، ودون تسرع في تلقف الاخبار او المبالغة في روايتها مما يحدث بلبلة في الرأي العام" "ولذلك نلفت نظر الصحافة لعدم اثارة اي موضوع يسيء الى الوضع الداخلي في سورية ويعكر صفو العلاقات الاخوية التي تربط بين البلدين الشقيقين".

وفي الوقت نفسه اصدر الشيشكلي البلاغ الرسمي التالي:

ثبت لدى القيادة العامة للجيش السوري ان بعض رجال الاحزاب السياسية المتطرفين الذين عرفوا بالعمل على تفرقة الصفوف الوطنية والقيام باعمال الشغب والتخريب لم يرق لهم ان يكون الشعب والجيش يدا واحدة في تحقيق الاهداف القومية والاجتماعية التي اعتزمت سورية بلوغها بعد عبرة فلسطين البالغة، فأخذوا يبعثون نشاطهم في الهدم بين افراد الطلاب عن طريق تشويه المساعي القومية النبيلة التي تسهر الحكومة على تحقيقها بكل عزم وتجرد واصرار، وقد ثبت انهم اخذوا يشيعون بين الناس ابرام اتفاقات مزعومة من قبل الحكومة السورية بشأن النفط والدفاع المشترك واللاجئين في الوقت الذي تبذل فيه الحكومة كل جهودها وتحشد كل امكانياتها للحيلولة دون اشراك سورية في اي ميثاق يحول دون نهضة الجيل السوري الصاعد، ودون ضمان حقوق العرب في اية بقعة من ديارهم، حتى تمكنوا اخيرا ان يدفعوا بعض صغار الضباط ممن كانوا اعضاء في احزابهم قبل انتسابهم الى الجيش الى ممارسة النشاط السياسي في مراكزهم العسكرية، الامر الذي ادى بالقيادة الى توقيف هؤلاء الضباط واجراء التحقيق معهم لابقاء الجيش كما كان دائما يدا واحدة".

وهكذا نفى بيان الشيشكلي بشكل صريح تهمة محاولة الانقلاب من قبلنا ولكنه اتخذها مناسبة لتسريح الضباط التالية اسماؤهم:

الـزعيم انـور بنـود العقيـد عزيـز عبـد الكـريم، العقيـد محمـد صـفا، المقدم زيـاد الاتاســي، المقـدم عـدنان المـالكي، المقـدم محمـود شطرة، المقدم اكرم عكر، الرئيس فضل الله ابو منصور.

بالاضـافة الـى تسـريح المقـدم حسـن مهنـا، المقـدم فـاتح بـاقر، المقدم سعيد الكاتب، الرئيس عبـد الغنـي قنـوت، الـرئيس سـالم الاتاســي، الـرئيس خالـد عيســى، الملازمـون الاولـون مصـطفى الدواليبي (شـقيق معـروف وكـان معـتقلا) الضـابط طلعـة صـدقي، ابراهيم ادهم، مروان باقي، محمد قولي، عرفـان لوسـيان، شـهير الدريعي، برهان قصاب حسن، سعيد الصباغ، احمد دباس، يوسف المير علي روبير خوري.

في منزل الاستاذ رياض طه:

لم تطل اقامتنا في الفندق الا اياما قليلة اذ دعانا الاسـتاذ ريـاض طـه الـى منزلـه فـي محلـة الصـنائع، كمـا هيـأ لنـا فـي دار صحيفة الاحد اجتماعا مع المرحوم الاسـتاذ نسـيب المتنـي الـذي توطدت بيننا وبينـه اواصـر الصـداقة، وقـد صـدرت الاحـد الاسـبوعية بتاريخ 1953/1/18 وبرغم بيان الحكومة اللبنانيـة حاملـة فـي صـدر صفحتها الاولى صورنا نحن الثلاثة مـع الاسـتاذين نسـيب المتنـي وريـاض طـه وهـي طافحـة بأنبـاء نضـال الشـعب فـي سـورية ضـد الديكتاتورية.

حقيقة الوضع في سورية

تحت هذا العنوان كتبت في صحيفة الاحد وبدون توقيع ما يلي:

"عنـدما قـام العقيـد الشيشـكلي بانقلابـه اواخـر عـام 1952 اخـذت الهيـآت الشعبية تتأهب لمقاومته مستندة في مقاومتهـا الـى ان ذلـك الانقـلاب انمـا دفعت اليه البلاد لمصلحة الاجنبي والوقوف في وجه التضـامن العربـي للتحـرر من الاستعمار والشركات الاجنبية من جهة وفي سبيل التحرر مـن الاقطاعيـة والرأسمالية في الداخل من جهة اخرى، ولما كان هذا الاتجاه الشـعبي الـذي هو ضـد الاسـتعمار الخـارجي وضـد الاسـتغلال الـداخلي يشـكل خطـرا علـى مصالح الرجعية ومصالح الدول الاجنبية لذلك جاء انقلاب الشيشكلي لمصلحة تلك الدول.

لقد الف الشيشكلي بعد انقلابه حكومة من كبار الاقطاعيين والرأسماليين، وقام باعمال ارهابية ضد الفلاحين والمثقفين، واباح للتجار استغلال الاقتصاد السوري، وسلط اعوانه من رجال الجيش على الادارة والقضاء، والغى الاحزاب ليؤلف حزبا واحدا بزعامته وطلب من الموظفين ان يقسموا على عدم الانتماء الى الاحزاب السياسية ثم عاد وطلب اليهم ان يقسموا يمين الاخلاص لحزبه، وفي ذلك ما فيه من افساد لاخلاق الموظفين.

وكما الغيت الاحزاب الغيت الصحافة واستبدلت بنشرات شبه رسمية لا تستطيع ان تنشر غير ما يأتيها من المكتب الثاني، وبذلك حقق الشيشكلي الاغراض التي قام انقلابه لاجلها وهي:

1- منع سورية من تأييد القضايا التحررية للعالم العربي.

2- ابرام اتفاقية النفط الانكلوايرانية، ثم القيام بمظاهرة كبرى في بانياس لتدشين خطوطها البترولية دون ان تحفظ حقوق سورية.

3- قضى الشيشكلي على الحريات العامة والخاصة وحمى الاستغلال الاقطاعي والرأسمالي على حساب قوت الشعب وجلد الفلاحين والعمال وتجميد جميع المشاريع التقدمية، واما خطب الشيشكلي وحماسته لقضية فلسطين فهي للاستهلاك الداخلي، واما ما يدعيه من تقوية الجيش وتسليحه فان جميع الاسلحة التي وصلت الى سورية مؤخرا كان متعاقدا عليها من قبل (اشارة الى طائرات المتيور وصفقات الاسلحة الاخرى)

اما حكاية المؤامرة او الانقلاب فسبب اختراعها ان المظاهرات تتوالى في دمشق وحماة وحلب منذ اشهر معربة عن نقمة الشعب رغم اعتقال المئات وتعذيبهم.

ان الشيشكلي عندما احس بخطورة وضعه لجأ الى تسريح جميع الذين يشتبه بولائهم من الضباط ورجال الاحزاب ولستر هذه التدابير الكيفية الغريبة اشاع اخبار المؤامرة المزعومة والدليل على ذلك ان بين الضباط المعتقلين او المسرحين من الخدمة من لم يكونوا في دمشق، فمنهم من كان في صحبته في القاهرة ومنهم كان في باريس او اسطنبول وواشنطن وكثير ممن احيل على التقاعد هم في ريعان الشباب".

بدء الخلافات في لبنان

نشـــرت الاحـــد بتـــاريخ 1953/1/15 خبـــرا جـــاء فيـــه "ان الشيشكلي اوفد منـدوبا خاصا عنـه فـي اواخـر الشـهر الماضـي لمقابلة الاسـتاذ اكـرم الحـوراني وقـد عـرض رسـول العقيـد علـى الاستاذ الحـوراني الاشـتراك فـي الحكـم فـرفض، ثـم عـرض عليـه برنامجا يتلخص باجراء انتخابـات نيابيـة خـلال مـدة قريبـة علـى ان تشرف عليها حكومة تمثل جميع الاحزاب فرفض هذا العرض كذلك لانـه يعتقـد ان الانتخابـات لا يمكـن ان تكـون حـرة فـي ظـل حكـم عسـكري ديكتاتوري، وعلى اثر هذا الاجتماع احس الحوارني بقرب اعتقاله فتوارى عن الانظار مدة ثلاثة ايام في دمشق ثم جاء الـى لبنان برفقة الاسـتاذين عفلق والبيطار".

كنا ما نزال في بيت الاسـتاذ ريـاض عنـدما نشـر هـذا الخبـر الذي استغربته، وعندما سألت رياض طه عن الموضوع قال:

ان ذلك يفيدكم ولم ار ضرورة لعرضه عليكم قبل نشره.

امتقع وجه الاستاذ ميشـيل ثـم لـبس ثيابـه بسـرعة وغـادر المنزل ولم تجد توسلات رياض طه واعتذاره واسترضاؤه.

لقـد ظـن الاسـتاذ ميشـيل اننـي انـا الـذي اوعـزت بالنشـر، وسـر انزعاجه ان هذا الخبر يقلل من اهميته وشأنه.

كنت اشعر يوما بعد يوم بصعوبة العمل مع الاستاذين صـلاح وميشيل لاختلافي كليا عنهما بالاراء والطباع بعـد ان تمـت عمليـة دمج الحزبين تحت وطأة الظروف دون دراسة او اعداد، ولكن اصـبح من الخطأ ان نفصم وحدة الحزب ولـيس امامنـا الا الحكمـة والصـبر عســى ان يحــل الــزمن والحــوار ووحــدة التجربــة والنضــال هــذه المعضلة.

□

سكنت وميشيل عفلق في شقة واحدة فـي بنايـة العزريـة في حي الاشرفية، اما صلاح البيطـار فقـد سـكن مـع عائلتـه فـي شقة خاصة، وكانت المخـابرات السـورية قـد اشـاعت بعـد اغـلاق

الحدود انها تنوي اختطافنا فتوارينا عن الانظار، وبما انني اعرف الشيشكلي جيدا فانني كنت متيقنا انه لن يقدم على هذا العمل، فتمكنت من اقناع الاستاذين بذلك، وهكذا عدنا نتحرك وننشط من جديد فأصبحنا نجتمع مع اصدقائنا في مقهى (الباتسري سويس) وفي مقهى طانيوس او الأرلكان، وكانت لقاءاتنا مع معارفنا واصدقائنا مثمرة، لانها كانت ندوات فكرية وسياسية ووسيلة للتعرف اكثر فاكثر على الشباب والطلاب والمثقفين والصحافيين والسياسيين، وقد قمنا بزيارات عديدة وعقدنا اجتماعات مفيدة مع كمال جنبلاط وتعرفنا على اركان حزبه ، كما عقدنا اجتماعا سريا مع قادة الحزب الشيوعي سوريين ولبنانيين، ولكنه كان اجتماعا فاشلا لم يقترن بقيام جبهة وطنية نظرا لسوء الظن المتبادل بين الحزبين.

كما قمنا بزيارة الشيخ بيير الجميل بواسطة صديقنا المحامي فؤاد المشعلاني وذلك في صيدلية الجميل الواقعة في ساحة البرج، وعقدنا معه حوارا زاد اطلاعنا على وجهة نظر الاحزاب الانعزالية في لبنان.

وقد رغبنا ان نشكر لبنان الذي رحب بنا واكرمنا بشخص رئيسه كميل شمعون فكان لقاؤه لنا وديا واثناء حديثنا معه غمز من خلافي مع حزب الشعب الذي ادى - حسب رأيه - لقيام ديكتاتورية الشيشكلي فحاولت ان ادافع عن وجهة نظري ولكنه لف الموضوع ببراعة، فقد كان يعلم ولا شك سبب خلافي مع حزب الشعب والاحزاب الاخرى السائرة في ركاب نوري السعيد.

كان لجوءنا الى لبنان في عهد الشيشكلي مدرسة تعلمنا فيها الشيء الكثير، ورغم قصر المدة التي قضيناها فيه فقد شعرنا فعلا اننا في بلدنا وبين ابناء شعبنا ولم ينتصب لنا خصما فيه سوى الحزب السوري القومي الذي كان يقوم بمراقبتنا لحساب مخابرات اديب الشيشكلي.

مع فاضل الجمالي.

قدم الى بيروت بتاريخ 1953/4/19 فاضل الجمالي رئيس مجلس النواب العراقي لالقاء محاضرة ضمن سلسلة محاضرات عن العالم العربي نظمتها الندوة اللبنانية، وقد اخبرني الاستاذان ميشيل وصلاح ان الجمالي يود الاجتماع بنا، ولم اكن اعرفه من قبل فوافقت على ذلك لسببين: تخفيف حدة التوتر مع جماعة العراق من جهة والتعرف على رجالاته من جهة اخرى، وقد تناولنا الغذاء على مائدة "صهر حزب الشباب" السيد علي فارس الذي كان متزوجا من فتاة حموية اشتراكية وكان موظفا في السفارة العراقية وقد حمدت الله على ان الجمالي لم يتطرق الى موضوع الاتحاد بل كان الحديث قوميا بشكل عام.

اخبرني الاستاذان قبل ذلك انهما اجتمعا مع نبيه العظمة الذي كان لاجئا في بيروت وهو من انصار مشروع الاتحاد.. وكلها محاولات لتحسين العلاقات ولم اكن ارى بأسا بذلك في تلك الظروف العصيبة على الا تتعدى هذه الحدود.

المخابرات المركزية الاميركية: اخبرني الاستاذ رياض طه بأن دافيد ريتشردسن مراسل الصحيفة الاميركية تايم- لايف يرغب بأن يأخذ مني حديثا صحفيا فترددت، ولما شعر الاستاذ رياض بترددي قال: ان المجلة التي يراسلها واسعة الانتشار والحديث وسيلة نافعة للتعريف بوجهة نظركم الوطنية التقدمية فاجتمعت به في محل يسمى (كوستابيل) على البحر ومنذ اللحظة الاولى شعرت ان الرجل ليس صحافيا بل رجل مخابرات ولكن لم يعد بامكاني الانسحاب او الاعتذار فسألني عن الشيشكلي وعن علاقتي بابراهيم الحسيني، فكانت اجوبتي في منتهى الحذر والتحفظ وقد تبين لي ان هدفه هو ان يستشم فيما اذا كنا نعد انقلابا على الشيشكلي. كان مجمل حديثي معه هو ان خلافنا مع الشيشكلي ينحصر في موقفه من الديموقراطية ومن حركة الفلاحين.

النواة الاولى للحزب في لبنان.

انصرف الاستاذ ميشيل الى تشكيل النواة الحزبية في لبنان من الطلاب وكان عددهم محدودا.. علي فخرو من البحرين (اصبح وزيرا فيما بعد) وعلي خصاونة من الاردن (اصبح مدير مرفأ الاحمدي في الكويت) وسعدون حمادة (اصبح وزيرا في العراق) ثم رئيسا للوزارة بعد حرب الخليج وكان طالبا في الجامعة الاميركية في بيروت وغسان شرارة الذي كان طالبا في كلية المقاصد، وعبد الوهاب الشميطلي من طلاب الجامعة اللبنانية، والدكتور علي جابر من النبطية الذي اعرفه من دمشق وكان قد تخرج حديثا من كلية الطب ومحمد عطا الله المسؤول الحزبي في صيدا وحسان مولوي من طرابلس.

فيما بعد، عندما تشكل فرع الحزب في لبنان تعاقب على قيادته السادة الاتية اسماؤهم:

غالب ياغي - غسان شرارة - طلال شرارة - عبد المجيد الرافعي - عبد الوهاب شميطلي - علي جابر - جبران مجدلاني - محمد الشلبي - حسيب عبد الجواد - خالد البرد - خليل عطية - علي الصقلاوي - فؤاد ذيبان، وذلك حتى عام 1962 عندما عقد ميشيل عفلق ما يسمى بالمؤتمر القومي الخامس لفصل البعث عن العربي الاشتراكي، مما ادى الى انسحاب معظم هذه القيادات من الحزب، كما سيمر ذلك فيما بعد بالتفصيل.

وقد حاولت خلال وجودنا في لبنان ان يعمل شبابنا وطلابنا بالتعاون مع المنظمات العربية الاخرى، ولا سيما منظمة القوميين العرب التي كان يقودها آنذاك جورج حبش واحمد الخطيب ووديع حداد، ولكنها كانت منظمة فاشية متعصبة بشعاراتها وتنظيماتها.

قدنا المعركة من لبنان بكل ما توفر لدينا من وسائل وامكانات: فكنا نرسل الكتب التي تصدر في لبنان وتنسجم مع وجهة نظرنا باعداد كبيرة الى سورية، واذكر انني ارسلت اكثر من خمسين نسخة من كتاب "الديموقراطية ابدا" لمؤلفه خالد محمد خالد مع الصحف والمجلات والمقالات التي كنا ننشرها باسماء

مستعارة وفيما يلي نموذج عنها وهو المقال الذي نشرته في مطلع شهر اذار 1953 في جريدة الاحد:

هدف الدكتاتورية العسكرية في البلاد العربية

بقلم زعيم سوري معروف

وردتنا من دمشق المقالة التالية التي كتبها زعيم سياسي معروف:

يستعين الاستعمار الحديث بالدراسة العلمية لنفسية الشعوب ولما تعانيه من ازمات فكرية واجتماعية وسياسية ليوجهها ويقودها كما يقاد الطفل لتحقيق اغراضه ومراميه، وانه ليستغل عزلة الجيل العربي الجديد عن واقع الشعب والبلاد على مدى اعمق واوسع مما يستغل امراض المجتمع الاخرى، فينفذ منها بوسائل الدعاية المنظمة لاحداث البلبلة والفوضى بالاراء والاتجاهات ساترا بعمليات الالهاء ما يقوم به من مقاومة جدية للانتفاضات الشعبية الاصيلة والدعوة للحكم الديكتاتوري من مواضيع الساعة التي يروج لها الاجنبي، فلا بد اذا من مقارنة بسيطة بين نشاة الحكم الديكتاتوري بالبلاد الخاضعة للنفوذ الاستعماري وبين نشأته بالبلاد الحرة الاخرى.

فاذا كان الحكم الديكتاتوري الذي نشأ بالبلاد الحرة يحمل وجهة نظر.. فانها ولا شك ثمرة من ثمرات الديموقراطية والسيادة القومية التي تمتعت بها تلك البلاد زمنا طويلا، فالنازية والفاشية كوجهة نظر فكرية وفلسفية وسياسية ترعرعت بأحضان البحث والعمل الحر سواء في المانيا او ايطالية، ومع ذلك فان هذه النظم التي نشأت عند شعوب مستقلة وبظروف خاصة واستندت بوجودها على نظريات وابحاث قد جرت العالم للاحتراب وانزلت ببلادها الدمار والخراب.

اما الكمالية فقد بنت وجودها على المعارك المظفرة التي قادها اتاتورك لتحرير البلاد، فقضت على تركيه - رغم الدعاية الكاذبة - ان تكون بعد ثلاثين عاما من الاستقلال دون سورية ولبنان تقدما ورقيا اللذين لم يزل عنهما كابوس الانتداب الا منذ بضعة اعوام هذا برغم سيل المعونات المادية والمعنوية التي انهالت عليها بين الحربين من روسيا وفرنسا اولا ولا تزال تنهال عليها من بريطانية وأميركا.

ولم تدعم انكلترا وبعض الدول الرأسمالية في بعض الاحيان هذه النظم الديكتاتورية النازية والفاشية والكمالية ونظام فرانكو بقصد الاحتلال والاستعمار بل لمقاومة الشيوعية، وقد انبثقت جميعها بظل السيادة والاستقلال.

ان النظام الديكتاتوري يختلف وضعه بالبلاد الخاضعة للنفوذ عن البلاد المستقلة لانه يصبح فيها وسيلة يعتمد عليها الاجنبي للقضاء على الثورات التحريرية التقدمية، فهو لا ينبثق عن الشعب بظل السيادة بل يفرض عليه من الخارج.

عندما اشتدت الثورة الشعبية بمصر على الاحتلال البريطاني وقعت الانقلابات المعروفة وحلت البرلمانات واعلنت ديكتاتورية اسماعيل صدقي ومحمد محمود. الهى الانكليز المصريين عن مقاومتهم بنقاش طويل شمل السياسيين والمفكرين بالبحث عن ايهما افضل الحكم الديكتاتوري ام الحكم الديموقراطي.

واعتمد الفرنسيون سياسة الانقلابات - عندما كان يستفحل ويشتد النضال الشعبي ضد الانتداب. فحلوا المجلس التأسيسي عام 1928 ومجلس النواب عام 1932 وعام 1938 وحكموا البلاد بواسطة اعوانهم مباشرة.

وما زال النفوذ الاستعماري بعد جلاء الجيوش الاجنبية عن سوريا وبعد الغاء المعاهدة البريطانية المصرية عام 1951 يتبع سياسة الانقلابات لدعم نفوذه وتحقيق اغراضه ولمنع تحرر الشعب وتطوره.

ولذلك لا يزال السوريون يطلقون على زعماء الانقلابات العسكرية لقب المفوضين الساميين لانهم هم انفسهم استخدمهم الانتداب الفرنسي والاحتلال البريطاني ضد ثورات الشعب التحريرية، ولا يزال البعض يحمل اثار جراح تلك المعارك.

وبالرغم من الفارق الكبير بين الانقلابين السوري والمصري ومبرراتهما واختلاف اخلاق صاحبيهما واسلوبهما بالعمل فلقد حقق الانقلاب المصري عدا ذلك امنية الشعب الكبرى بالخلاص من الملكية الفاسدة التي خانت البلاد وتآمرت عليها خلال مائة عام ومع ذلك فان الشعب المصري يدرك جيدا الفارق الكبير ايضا بين انقلاب اللواء محمد نجيب الذي استهدف الغاء الدستور والحياة الديموقراطية وبين انقلاب البطل احمد عرابي عام 1882 الذي ارغم

الخديوي والباب العالي والدول الاجنبية على الاعتراف للشعب المصري بحكم نفسه بنفسه وباقامة حكم برلماني ديموقراطي بين بطل حاربه الانكليز حتى الموت لانه نهض بشعبه ولم يفرط بحقه وكاد يقضي على احلامهم الاستعمارية.

ان الدعاية الاجنبية تستغل المساوىء البرلمانية الاقطاعية بالبلاد العربية للقضاء على الحرية والديمقراطية لان النظام البرلماني رغم ما فيه من تمثيل شعبي فاسد وحرية شوهاء هو عاجز عن حماية الاوضاع الاقطاعية والمصالح الاجنبية، وان قليلا من الديموقراطية بظل النظم البرلمانية تجعل الشعب يشعر بمساوئها ويسعى للتخلص منها.

ان الاقطاعية هي المسؤولة عن جميع مخازي النظام البرلماني، وان قضية الشعوب الخاضعة للنفوذ الاجنبي هي قضية تحررها من الاستعباد الداخلي والخارجي بآن واحد... فسعي الشعب اذا للتحرر والانعتاق لا يتفق مع فرض الديكتاتورية وحرمانه من الحرية التي هي وحدها طريق الخلاص، ومخطىء من يغتر بالدعاية التي يروج لها الاجنبي بان الحكم العسكري يستهدف تصحيح الاوضاع الديموقراطية، فان ثلاثة انقلابات بسوريا لم تستهدف جميعها الا القضاء على معالم الديموقراطية وتمكين الاوضاع الاقطاعية والرأسمالية والرجعية...

ولذلك فان الحكم الديكتاتوري بالبلاد الخاضعة للنفوذ الاجنبي عامة والحكم العسكري المفروض بالبلاد العربية خاصة لا يستهدف الا حماية الاوضاع الفاسدة وتحقيق الاغراض الاستعمارية.

المعركة مع نظام الشيشكلي.

اقتصرت معركتنا مع نظام الشيشكلي قبل لجوئنا الى لبنان على الاضرابات الجزئية في جامعة دمشق، وعلى إضراب المعتقلين عن الطعام في سجن المزة بقيادة المقدم عدنان المالكي ورفاقه من الضباط وعندما حاول مدير السجن التدخل لانهاء الاضراب اشبعوه لكما وضربا.

وقد اشتدت المعركة بعد لجوئنا الى لبنان وشملت معظم قطاعات الشعب، وبلغ عدد المعتقلين المئات في دمشق فاضطرت اجهزة المخابرات لتوزيعهم على اقسام الشرطة في

الاحيـاء، امـا فـي المحافظـات فقـد ضـاقت باعـدادهم السـجون والثكنات العسكرية حيث تسومهم قيـادات المواقـع العـذاب، وكـان الشيشكلي قد ركز اهتمام اجهزتـه علـى مدينـة حمـاة معتبـرا ان مصير المعركة ستقرره هذه المدينة فهو يعرف رفاقنا فيها وقد خبـر صلابتهم في فلسطين، وقد تولى قيادة التنظيم السري في حماة رفيقنا الاسـتاذ عبـد الكـريم زهـور، ولانـه كـان سـابقا مبتعـدا عـن الحزب فلم تـتمكن اجهـزة الشيشـكلي مـن اكتشـاف دوره، بينمـا لاحقت جميع قيادات الحزب المعروفة في المحافظـة فتـوارى عـدد كبير منها، كمـا شـملت الاعتقـالات عـددا كبيـرا مـن ابنـاء المدينـة والريف، ولم توفر اجهزة المخابرات احدا من التعـذيب، وفـي مدينـة حمص تولى التنظيم السري رفيقنا الاستاذ عبد البر عيـون السـود ورفاقه، كما تـولاه فـي حلـب الاسـتاذان عبـد الفتـاح الـزلط واديـب النحوي ورفاقهما، وقد تولى مساعدة الحزب في نضـاله وفـي كـل المحافظات السورية عدد كبير من انصار العربـي الاشـتراكي وكـان نصيب بعضهم السجن والتعذيب.

اما دمشق فقد كان فيها عند دمـج الحـزبين قاعـدة شـعبية للحزب العربي الاشتراكي يمكنها من المساهمة جـديا بالمعركـة، ولكنني تجنبا لاية حساسية تركت للاستاذين صلاح وميشـيل امـر تنظيم فرع دمشق فلم يشركوا في قيـادة الفـرع احـدا مـن اعضـاء العربي الاشتراكي امثـال ريـاض المـالكي وبشـير الاحمـر وعـدنان السمان وغيرهم من قيادات الاحياء والغوطـة والقلمـون وقـد اختـار الاستاذان قبل لجوئنا الى لبنان عضـوين غيـر صـالحين لاي تنظـيم سواء اكان سريا ام علنيا وهما فؤاد الصواف وعـلاء الـدين الخـاني، وكـان الصـواف قـد خـاف مـن مسـؤولية توزيـع المنشـورات التـي ارسلناها اليـه مـن بيـروت فوضـع قسـما كبيـرا منهـا علـى سـطح منزلـه لاخفائهـا فـي حالـة المداهمـة، ولكـن الريـاح وزعـت هـذه المنشورات على الشوارع المحيطة بمنزلـه، فـالقي القـبض عليـه وبعد اعترافاته اطلق سراحه بناء على توسط بعض اقربائـه مـن آل الرباط الذين كانوا رأسماليين نافذين، وقـد عـاد الصـواف نافـذا فـي

فرع دمشق بعد سقوط الشيشكلي، اما اساتذة الجامعة البعثيين فقد تخلوا عن الحزب كزملائهم اساتذة العربي الاشتراكي.

البيانات والمنشورات والمفرقعات.

في لبنان كنا نكتب البيانات والمنشورات فكنت اتولى مع رفيقنا محيي الدين البرازي الاشراف على طباعتها في مطبعة تعود لاخوة اميل الحايك المحرر في جريدة الاحد الاسبوعية ثم ننقلها ونشرف على تهريبها الى سورية عن طريق مدينة طرابلس حيث كان ينتظرنا رفاقنا من المجاهدين لنقلها على ظهور الدواب وايصالها الى مدينة حماة حيث توزع من هناك على سائر المحافظات السورية.

ومن الطريف ان ارسال المنشورات الى مدينة حماة كان يتم احيانا بواسطة احد رفاقنا الذي يعمل سائقا عند احد المتنفذين من عائلة العظم، فقد كان رفيقنا السائق يغتنم فرصة مجيئه الى بيروت فيتسلم منا كميات كبيرة من المنشورات ليضعها تحت كرسي السيارة التي لم تكن تتعرض للتفتيش لان صاحبها كان من مؤيدي الشيشكلي.

لجأ رفاقنا بعد اشتداد المعركة مع الشيشكلي الى القاء المفرقعات على مكاتب حركة التحرير، ولا بد لي هنا من القول ان القصد من القاء المفرقعات كان لاشغال اجهزة المخابرات والاعلان عن مقاومة الديكتاتورية، مما يؤدي الى انهيار اعصاب الشيشكلي ورفع معنويات القوى الشعبية المناضلة، ولم يكن القصد منها احداث اي اذى بالاوراح او الممتلكات، لذلك لم ينجم عن القائها اي اذى او سوء بأحد.

لقد شملت المعركة ضد الديكتاتورية معظم ارجاء البلاد، كما شملت معظم قطاعات الشعب من طلاب الثانويات والجامعات الى ضباط الجيش الذين اعتقل عدد منهم الى ابناء الاحياء والفلاحين في القرى، فأصبحت البيانات والمنشورات توزع في معظم المدن السورية، واضحى عدد المعتقلين كبيرا جدا ولا سيما في مدينة حماة حيث اعتقل المئات، كما لجأ الى التواري

مثل ذلك، وجرى في قرية خان شيخون سحل بعض الفلاحين واعتقل كثير منهم.

هل نغتال الشيشكلي؟

بهذا السؤال توجه الي بعض رفاقنا في مدينة حماة، وكان الشيشكلي لا ينقطع عن زيارة المدينة بشكل مستمر ليكون على اتصال مع اقربائه وانصاره من الطبقة الاقطاعية التي آزرته اشد المؤازرة وتطوعت لخدمته، وليدير بنفسه معركته مع الحزب وليشرف على المنشآت التي بدأ يقيمها في قريته (الشويحة) شرقي مدينة حماة.

كان بيت الشيشكلي في حينا وقريبا من منزلنا فضمن شباب الحي امر اغتياله ولكنهم علقوا التنفيذ على مشورتي، فأرسلوا الي وكنت في بيروت رسولا ليستشيروني فيما اعدوه فزجرتهم بحزم وطلبت منهم الا يعودوا الى التفكير بهذا الموضوع مطلقا:

اولا: لقناعتي بأن ابراهيم الحسيني كان مهيأ ومعدا لخلافته وهو اشد خطرا من الشيشكلي.

ثانيا: ان اغتيال الشيشكلي سيجر مدينة حماة الى ثارات عشائرية تخرجنا عن سبيل دعوتنا السياسية والاجتماعية والوطنية.

ثالثا: لم يكن سهلا علي ان آمر باعدام الشيشكلي فليس لي صفة القاضي الذي يعدم المجرمين باسم الهيئة الاجتماعية بالوقت الذي لم يرتكب فيه الشيشكلي جرم الخيانة الذي يستحق عليه الموت قضائيا، وان كان قد انحرف واساء بحكمه الديكتاتوري الى البلاد.

1952: المؤتمر القومي الاول لحزب البعث العربي الاشتراكي - اول مقال اكتبه في النشرات الداخلية للحزب - وزير الخارجية الاميركية يزور المنطقة وبرقية قيادة الحزب بهذه المناسبة - زيارة الملك سعود لسورية والشيشكلي يهيىء له، استقبالات حافلة.

المؤتمر القومي الاول

في شهر شباط من عام 1953 زارنا نائبا الحزب في الاردن عبد الله الريماوي وعبد الله النعواس، فتعرفت عليهما لاول مرة وعقدنا معهما سلسلة اجتماعات في فندق رويال استعرضنا فيها الوضع في سورية كما عرضا من جانبهما الوضع في الاردن، وقد كنت معجبا بطيبة وصفاء عبد الله النعواس وعقل الريماوي الحزبي المنظم، وشعرت ان في الاردن فرعا للحزب تقوده صفوة من الشباب الواعي، وكان الريماوي والنعواس متحمسين لوحدة الحزب كما كان تعاملهما معنا تعامل القادة لا تعامل المريدين، وبناء على اقتراح فرع الاردن فقد تقرر اعتبار هذه الاجتماعات مؤتمرا قوميا اذ تمثلت فيه قيادات سورية ولبنان والاردن، وفي هذا المؤتمر الذي كان المؤتمر القومي الاول تقرر وضع خطة سياسية موحدة ومنسجمة لفروع الحزب في الاقطار العربية كافة وكان ذلك تمهيدا للمؤتمر القومي الثاني الذي انعقد في حزيران عام 1954 والذي انتخبت فيه اول قيادة قومية للحزب وأقر فيه اول نظام داخلي على اساس قومي.

النشرات الداخلية للحزب الموحد

في هذه الفترة اطلعني الاستاذان صلاح وميشيل على عددين من نشرة داخلية اصدراها دون علمي وطلبا الي ان اكتب مقالا للعدد الثالث الذي وزع بتاريخ 1953/5/3 على مختلف فروع الحزب وقد تجلت في هذا العدد وحدة التفكير السياسي والاجتماعي للحزب فقد كتب الاستاذ صلاح "عن بعض المبادىء

للحزب وانه حزب قومي عربي اشتراكي شعبي وان الشعب هو الغاية وهو الاداة"".

كما كتب الاستاذ ميشيل بعض الردود على اسئلة الحزبيين وعلى الاعتراضات التي يوجهها القوميون العرب الى حركة البعث العربي وهم يقصدون التناقض بين الاشتراكية والوحدة العربية التي يؤمن بها حزب البعث العربي الاشتراكي.

ويقول الاستاذ ميشيل في نهاية مقاله:

"ليس بين القومية والاشتراكية في البعث العربي الاشتراكي تأخير ولا تقديم بل الواحدة مرادفة للاخرى"

اما انا فقد اخترت الكتابة في موضوع مشروع الدفاع المشترك الذي عرض على الدول العربية، وفيما يلي نصه كما ورد في النشرة الداخلية.

سيبقى مشروع الدفاع العسكري المشترك - الذي اثارته دعاية الحلفاء الغربيين منذ اكثر من عامين قائما - ما دام الاستعمار واحتمال نشوب الحرب بين المعسكرين موجودا وقد اقترح هذا المشروع على مصر رسميا في ابان ثورتها الشعبية بتاريخ 13 تشرين اول عام 1951 - من قبل وزارء خارجية بريطانيا واميركا وفرنسا وتركيا كما اعلموا به في الوقت ذاته الحكومة السورية - قبيل الانقلاب الاخير فرفضته حكومة الوفد باسم مصر كما تظاهرت سوريا مؤيدة لموقف شقيقتها منه ومعلنة استنكارها له، ولم تتقدم بريطانيا به - بأمل تحقيقه - بل كرد بريطاني ماكر على مطالب مصر القومية بالوحدة والجلاء فكان طبيعيا الا ترتضي مصر استبدال الاحتلال البريطاني باحتلال رباعي وكان طبيعيا ايضا ان تستغرب سوريا اقدام الحلفاء على تقديم مشروع احتلال رباعي وهي ولبنان البلد العربي الوحيد الذي يتمتع حقوقيا بسيادته بعد جلاء الجيوش الاجنبية عن ارضه.

لا ينفك الحلفاء الغربيون برغم رفض المشروع السابق يبشرون بمشاريع جديدة، اما لجس نبض الرأي العام العربي او لتوطينه على قبولها وهي متنوعة ومختلفة - باختلاف السياستين الاميركية والانكليزية - على القيادة وعلى النفوذ وعلى الاغراض الاستعمارية وعلى الانسجام التام بين الاستعمار الاميركي والتوسع الصهيوني في الشرق العربي فتارة يدعون

لحلف البحر الابيض المتوسط الذي يضم شمالي افريقيا او الى اخر يضم البلاد العربية وطورا يربطون الدفاع المشترك بامر الصلح مع اسرائيل.

امام هذا الفيض من المشاريع والدعاية الواسعة يرجع كل حزبي - يحيا مأساة امته - ليحدد موقفه وموقف الشعب منها، ولا شك ان دستور الحزب المنبثق من المصلحة العربية والانسانية هو كالصوى يهدى الى السبيل السوي، فليست مواده تعاويذ تعلق بالصدر: او توضع بعد تلاوتها على الرف، بل هو المشعل الذي نحل على ضوئه مشاكلنا الداخلية والخارجية ونستبين به سبيل صعودنا العربي والانساني..

يفهم من المادة 22 من هذا الدستور بأن السياسة الخارجية تستوحى من المصلحة العربية المساهمة مع الامم الاخرى في ايجاد عالم منسجم حر آمن فهل من المصلحة العربية ان يسخر العرب للمستعمرين الغربيين؟ وهل ينسجم هذا التسخير مع المصلحة الانسانية بايجاد عالم منسجم آمن؟ وهل يقصد الغرب من الدفاع المشترك ان نتولى - نحن - امر الدفاع عن بلادنا ضد الغزو الشيوعي المزعوم؟ وبالاجابة على هذه الاسئلة يتحدد موقف الشعب العربي من هذه المسألة.

ان المساهمة الايجابية العربية لصد العدوان السوفياتي او اي عدوان اخر، تقتضي امتلاك الشعب لوسائل الدفاع المادية والمعنوية، فوحدة البلاد العربية واستغلال الشعب العربي لمرافقها ومواردها تهىء له القوى المادية، وحرية الشعب العربي وتحقيق اشتراكيته توفر له القوى المعنوية التي تجعله فعالا وقادرا على الدفاع عن بلاده وحريته ولكن افلا يستغل الحلفاء موارد البلاد العربية اوقح استغلال؟ أفلا يحطمون قوى الشعب العربي المادية والمعنوية بفرض التجزئة والقضاء على حريته ومناهضة تطوره؟

ان الغرب لا يقصد اذن من هذه المشاريع ان يكون للعرب وزن بالدفاع عن بلادهم وعن العالم الحر وان القصد الحقيقي هو احتلال البلاد العربية وتسخير مواردها وتقديم أبنائها وقودا لنيران حرب استعمارية، وان في خلق اسرائيل في قلب الوطن العربي وضغطهم المستمر لعقد الصلح معها لامدادها باسباب الحياة والازدهار والتوسع برهانا قاطعا على نوايا الغرب الخبيثة من قضية الدفاع العسكري المشترك.

لا بد لكل امة محاربة من قضية تدافع عنها، فهل نحن من العالم الحر كما يريدنا الحلفاء ان نتوهم حتى ندافع عن وحدة بلادنا وحرية شعبنا ونظامنا الذي بنيناه بانفسنا؟ هل لنا قضية نجتمع بها مع الحلفاء ضد الخطر السوفيتي في الحرب المقبلة ونحن بنضال مستمر وثورة دائمة ضد مطامع الغرب في حالة السلم والحرب؟ انهم مهما اجتهدوا بالدعاية ومهما استأجروا من سياسيين ورجال فكر لاصطناع قضية موهومة نفنى من اجلها فلا يمكن ان يقنعوا بها احدا، وعندما ندخل حقيقة في عالم حر ونخرج فعلا من العالم المستعبد اي حينما تزول اسرائيل والاستعمار الغربي تصبح عندئذ هذه المسألة مسألة دفاع حقيقي لا مبررات كاذبة للاحتلال والاستعمار. ولذلك فان الموقف الرسمي بانحياز الحكومات العربية للمعسكر الغربي - على فرض وقوعه - لا يبدل شيئا من جوهر القضية بنظر الشعب بل يزيد نار النضال ضد الاستعمار وضد الحكومات العربية المسخرة تأججا وضراما، وهذا ما يجعل تسخير العرب في الحرب القادمة امرا عسيرا، وعبثا يجهد الحلفاء الغربيون بشتى الوسائل لاشراك الشعب مع الحكومات في قبول هذا المشروع.

ليست المسألة اذا كما يعرضها الشيوعيون مسألة انحياز الى المعكسر الشرقي بوصفه منقذا ومحررا. ولا كما يعرضها الغربيون مسألة انضمام الى العالم الحر، بل هي قضية تتعلق بحرية العرب ومصالحهم وبقائهم كما انها قضية تتعلق بصميم مثلهم الانسانية العليا.

ان دعوة الحزب واستجابة الشعب لارغام الحكومات العربية على اعلان الحياد يمنعها من أن تعطي اية صفة كاذبة للدفاع المشترك، كما يمنعها بالوقت ذاته- من الاشتراك مع قوى الاستعمار بتسخير موارد البلاد وحياة ابنائها، فموقف الحكومات الرسمي اذا سيسجل بالحاضر - وعند وقوع الحرب في المستقبل - اخطر النتائج، فهو اما ان يجنبنا او يزجنا بكوارث جسام، ولذلك كان من اولى اهداف الحكم العسكري والديكتاتوري الذي اصطنعه الاستعمار بالبلاد العربية، فالغى بمصر والشام النظم البرلمانية، وشن حملته الوحشية الارهابية، هو منع الحكومات العربية من انتهاج خطة الحياد تحت تأثير اجماع الشعب في ظل النظم البرلمانية فاخرست تحت وطأة هذا الحكم جميع الالسن الحرة ، لتنطلق دعاية الحلفاء الغربيين وعملائهم بالتساؤل هل يمكننا ان نقف على الحياد؟ وهل يمكننا ان نرغم الحكومات على التزامه؟ فيجيب الشعب بعفوية منطق الحياة بانه لا موضع

للاختيار في النضال ضد الاستعمار وان تردد الحكومات في قبول الدفاع المشترك حتى الان، واتباع الحلفاء لجميع اساليب المكر والخداع لإيقاعنا بشركه ليدل دلالة واضحة على امكان تحقيق الحياد وعلى امكان ارغام الحكومات على التزامه. فكم مرة ارغمت فيها الحكومات الرجعية على الوقوف بجانب الشعب وكم مرة ارغم الشعب فيها المستعمرين على التسليم بمطالبه؟ فليس الحياد اذا خرافة يدعو لها المتطرفون بوطنيتهم والكارهون للاجانب على حد تعبيرهم، انه بايدينا ويمكننا ان نقرره بمشيئتنا في زمن السلم فنمنع على الحلفاء سرقة موازناتنا البائسة في سبيل تحقيق اغراضهم العسكرية وتسخير مواردنا، بينما يشقى الشعب بالفقر ويتمرغ بحمأة الجهل وبحران المرض.

ان الحياد اذا يحقق للشعب حريته وتطوره ويوفر له خبزه ورفاهيته في زمن السلم. اما في زمن الحرب فيمكن ان تخترق الجيوش المتحاربة حرمته ويمكن الا تضطر او لا تجرؤ امام الراي العام العالمي على ذلك، وفي مختلف الاحوال يكون الحياد الموقف القومي والانساني السليم.

سيجتمع وزارء خارجية الدول العربية في التاسع والعاشر من شهر مايس الحالي في القاهرة. وسيطوف المستر (دالس) وزير خارجية اميركا في العواصم العربية ابتداء من الخامس عشر من هذا الشهر داعيا للصلح مع اسرائيل لمدها باسباب الحياة والازدهار اقتصاديا ولفتح مصاريع البلاد العربية امام مطامعها التوسعية، ومن المحتمل الا يقدم الحلفاء الغربيون على ذلك خشية نشوب ثورة شعبية تنسف جميع ما اصطنعوه وفرضوه من اوضاع، كما انه من العسير جدا ان يقبل المسؤولون العرب بهذا الصلح الذي يكلفهم حكمهم وحياتهم، وربما ساوم المستر دالس باغداق الوعود السخية بتزويد البلاد العربية بالاسلحة والمعونات المادية كذبا بينما تزود اسرائيل حقيقة بالسلاح وبينما لا ينقطع عنها سيل المعونات منذ تكوينها واختراعها.

لا يمكننا ان نجزم بالاسلوب الذي سيصاغ به مشروع الدفاع المشترك عند بحثه مع المسؤولين العرب. ولكننا نجزم باستحالة ايجاد صيغة مقبولة له لتطاحن قوى الاستعمار الانكليزي والاميركي على القيادة والنفوذ والاغراض ولافتضاح امر هذا المشروع الصهيوني الاستعماري، ووعي الرأي العام العربي ويقظته.

ربما اضطرت اميركا للاكتفاء بدعم الحكم العسكري والديكتاتوري الذي اصطنعته لانه ينفذ فعليا بحكم طبيعته اغراضها واغراض اسرائيل الاستعمارية، ولانه يقضي على جيش البلاد بان يتحول الى قوى بوليسية ليحرس خطوط مواصلاتهم وانابيب بترولهم ويحمي شبكات تجسسهم وامتيازات شركاتهم، وليقمع انتفاضات الشعب ومقاومته التي ينعتها الاميركيون بالشيوعية او بالحركات الوطنية المتطرفة الهدامة، ولا يمكن ان تقتصر مهمة الحكم العسكري على تنفيذ السياسة الاستعمارية الاميريكية بل يخدم بالوقت ذاته سياسة اسرائيل التوسعية لارتباط السياستين ارتباطا وثيقا لا يمكن فصلهما ابدا.

يتوهم بعض الناس بتأثير الدعاية الاميركية والصهيونية في الاقطار الشقيقة بان للحكم العسكري فضيلة واحدة برغم اخطائه واخطاره هي تقوية الجيوش العربية امام خطر اسرائيل المحدق، ومما لامراء فيه بان قوة الجيوش تقاس بنظامها وتدريبها ومعنوياتها وجودة سلاحها وهذا يتوقف على مدى انتاج الشعب المادي ووضعه المعنوي، والحكم العسكري قد اخرج الجيش عن محوره وصرفه عن مهماته العسكرية والفنية وزجه بشؤون الحكم والسياسة، فقضى على مبدأ فصل السلطات واختصاصها ومسؤولياتها في الادارة والحكم كما قضى على النظام والانضباط والمعنويات في الجيش فاصبح شراذم لا هم لها الا التربص لتنقض وتستولي على الحكم المغري بمنافعه واسلابه فنشأت عن ذلك سلسلة تسريحات دائمة للضباط الاخصائيين والفنيين الذين هم ملاك الجيش وعموده الفقري، كما سبب تبديد الملايين - ليحفظ بقاءه - على اعوانه وانصاره وجواسيسه وسخر لهم الدولة بجميع اجهزتها وماليتها واقتصادها، فرزحت الموازنات تحت وطأة العجز، واثقل كاهل المكلفين وحرمت البلاد من جميع المشاريع الانشائية، فسددت بذلك انفذ طعنة لقوى الشعب المادية والمعنوية.

هذه هي اهداف السياسة الاميركية والصهيونية من الحكم العسكري: تحطيم الشعب والقضاء على الجيش، وهكذا تحمل محطة اذاعة اسرائيل - كعملية تغطية - على الحكم العسكري في سورية - لا لزواله بل لاضعافه ليكون اكثر مرونة وطواعية... ولتنفذ لنفسية الشعب المظلوم

المقهور... وهكذا تستغل اسرائيل الحكم العسكري بمختلف الاساليب، وهكذا تزعم امريكا بانها تريد تمديننا بالسوط والسيف لاننا لا نتمدن عن طريق الحرية والديموقراطية...

فيا ايها المناضلون: ان بامكان القوى الاستعمارية ان تفعل كثيرا الا ان ترغمنا على ان نقول نعم وعلى ان نحني رؤوسنا لنضع الاغلال في اعناقنا وما استعبد شعب رفض بشجاعة واباء ان يضع الغل في عنقه والقيد في يده.

ان تحرركم من الخوف وشعوركم بعظم المسؤولية واستعدادكم للتضحية يطلق من هذه الامة براكين من القوى الحبيسة رغم ما تراكم عليها من صخور الاضطهاد وهيل عليها من اتربة الذل والمهانة.

ان ينابيع البطولة في صميم النفس العربية ولن يفجرها الا هزيم رعود الطليعة، فكم من امة عريقة كامتنا قست عليها الاقدار فمرغت كرامتها وشرفها بالاقذار انتفضت فجأة بموقف معجز فاستيقظت فيها جميع امجاد تاريخها العريق، فعلى قدر استبسالكم في قيادة الجماهير الشعبية وتضحيتكم في تحطيم الاوضاع العسكرية والديكتاتورية والرجعية المسخرة لخدمة الاغراض الاستعمارية يقترب فجر ذلك الموعد المعجز، وانه لموعد حاسم بتاريخ العروبة.

استقبالات سعود وبرقية دلس

انشغلت سورية خلال شهر نيسان من عام 1953 بمظاهرات الولاء للمملكة العربية السعودية من خلال زيارة الامير سعود بتاريخ 53/4/12 فأقام له الشيشكلي استعراضا عسكريا ضخما في دمشق، ثم طاف معه في حمص وحماة وحلب واللاذقية حيث اعدت له مهرجانات شعبية، وقد استعدت الاسر الاقطاعية في حماة لاستقباله استعدادا كبيرا ومع ذلك فقد كان استقبالا فاترا.

وفي شهر ايار من العام نفسه اقترح الاستاذ كلوفيس مقصود بمناسبة زيارة دلس وزير خارجية الولايات المتحدة للمنطقة العربية ان نبرق له فاضحين ومستنكرين السياسة الاميركية في المنطقة، فوضعت صيغة البرقية التالية بعد ان

عرضتها على الاستاذين حيث اضاف اليها الاستاذ ميشيل بعض العبارات:

دمشق - وزير الخارجية الاميريكية

المستر دلس بواسطة السفارة الامريكية.

حضرة الوزير،

اننا نبرق اليكم ونحن نعتقد بأن السياسة الاميركية تسخر خلافا لمصلحة الاميركي ولما يؤمن به من قيم انسانية، تلك السياسة التي خلقت اسرائيل فشردت اهل فلسطين ولا تزال مؤيدة لاعتداءاتها الوحشية ومسخرة لمطامعها التوسعية، ودعمت الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي كما دعمت الاستغلال والاحتلال الانكليزي في شرق بلادنا وهي المسؤولة عن عرقلة وحدة وطننا وتأخير تطورنا الاجتماعي والديموقراطي بدعمها الحكومات الرجعية واصطناعها الانقلابات العسكرية، ولا سيما الحكم البوليسي الذي اقامه في سوريا مغتصب لا يمثل الا نفسه، فهل زيارتكم لاسرائيل المغتصبة واجتماعكم بحكام العرب الرجعيين والمفروضين تطلعون فعلا على ارادة الشعب وحده وتأثيرها في احداث المستقبل؟

ان للشعب العربي - رغم التجزئة المفروضة على وطنه - قضية واحدة هي خلاصة من الصهيونية وتحرره من الاستعمار، ووحدته وديموقراطيته، وهذه القضية لا تصطدم بالعداء والمعاكسة الا من قبل سياسة حلفائكم المحتلين والمغتصبين التي تدعمها سياستكم وتشاركها. لذلك يستنكر شعبنا كل محاولة لربطه بهذه السياسة المناقضة لمصلحته وبقائه. ويعتبر مشروع الدفاع المشترك مشروعا استعماريا جديدا مدبرا لمضاعفة واحكام ما تفرضونه عليه من استعباد.

ان شعبنا العربي الذي يكافح منذ عشرات السنين كفاحا بطوليا من اجل الحرية لهو من اشد الشعوب ايمانا بايجاد عالم حر يقوم على نضال الشعوب المظلومة وهو لا يرى هذا العالم في جبهة الاستعمار ولا في جبهة الديكتاتورية.

بيروت 15 ايار 1953 حـــزب البعـــث العربـــي الاشتراكي

صـــلاح الـــدين بيطـــار، اكـــرم الحوراني

ميشال عفلق

وقد نشرت هذه البرقية معظم الصحف في لبنان

103

1953: المخـــابرات الاســـرائيلية تحـــاول الاتصـــال بقيـادات البعـث العربـي الاشـتراكي فـي لبنـان - اشتداد التناقض الاستعماري بين الولايات المتحـدة وبريطانيـا، وتراجـع الولايـات المتحـدة عـن مشـروع الدفاع المشترك - ابعادي وصـلاح البيطـار وميشـيل عفلق مـن لبنـان الـى ايطاليـا ومحاولتهمـا اقنـاعي هنالك باللجوء الى العراق - العودة الى سورية بعـد قضاء ستة اشهر في روما.

في احد الايام من شـهر شباط 1953 زارتنا امـرأة قـدمت لنـا نفسـها على انها "مدام خوري".

كانت زوجتي موجـودة وكـذلك الاسـتاذ شـبلي العيسـمي، ولكنها طلبت مني ومن الاستاذ ميشيل عفلق ان تجتمع بنا على انفراد، قالت الزائرة:

اننـي موفـدة مـن قبـل الحكومـة الاسـرائيلية التـي ترغـب بالتفاهم معكم، وهـي مسـتعدة لارسـال موفـديها للاجتمـاع بكـم في بيروت، واذا كان ذلك متعذرا ففي ايطاليا او في اي مكان آخر.

اصـابتني الدهشـــة والارتبـاك والغضـب، ولكننـــي تمالكـت نفسـي، ودارت بيننا المحاورة التالية:

- من أنت؟

- انني درزية من لبنان وأرملة كامل الحسين.

- كيف يمكن لفتاة عربية بعد ما حدث في فلسطين ان تتعاون مـع الاسرائيليين؟

قالت متظاهرة بالحزن:

لقد اغتيل زوجي (قتله ضابط سوري في لبنـان خـلال حكـم حسـني الزعيم وسبب ذلك ازمة بين البلدين وقـد اشـرت لـه فـي

حينه) متهما بالعمالة لاسرائيل مع انه لـم يكـن يملـك ثمـن علبـة سكاير بعد حرب فلسطين.

- ما دام الامر كذلك فكيف تجيـزين لنفسـك اذن ان تكـوني عميلـة للمخابرات الاسرائيلية؟

- انا لست عميلة، وانما افعل ذلك لمصلحتكما ولمصـلحة سـورية، فأنتما قادة حزب ولستما اولادا صغارا حتى يمكـن للاسـرائيليين ان يستغلوكما بما هـو ضـار لمصـلحة بلـدكما، وبالامكـان ان ترفضـا او توافقا على ما فيه فائدة، دون الالتزام بأي شـيء يعتبر ضارا بالبلد.

سألناها:

- كيف تمكنت من الاستدلال على منزلنا؟

- ان الاستاذ كمال جنبلاط قد اوصلني بسيارته الى هنا.

- كيف تجرين اتصالاتك مع الاسرائيليين؟

- أذهب الى فلسطين ثم اعود الى لبنان.

- الا تخافين قوى الامن العام؟

- انها هي التي تسـهل امـر رواحـي ومجيئـي الـى فلسـطين، ثـم اردفت:

ان الحدود مفتوحة بين فلسطين ولبنان ويمكـن لاي انسـان ان يعبرها، وان الضباط الاسرائيليين يسـهرون احيانا فـي بيـروت ثـم يعودون الى فلسطين. (وهذا ما كانت الصحف اللبنانية تشـير اليـه وتنبه الى شـبكات المخابرات الاسرائيلية في لبنان).

كنت افكر خلال هذه المحاورة:

مـا الـذي يمكـن ان نعملـه تجـاه هـذه المفاجـأة؟ هـل نخبـر الامن العام اللبناني؟ ولكن الذي يظهر من اقوالها انها على اتصـال به.

هل نخبر المكتب الثاني السوري وهو يناصبنا العداء ويمكنه ان يستغل الحادثة للتشهير بنا؟

كنت حائرا لا ادري ما افعل، فأنهينا حديثنا معها برفض العرض الاسرائيلي قائلين:

اننا نشعر بالحزن لان تكون فتاة عربية جاسوسة لاسرائيل.
فردت:

إنني لا اعمل لمصلحة اسرائيل وانما غايتي انقاذ سورية من الديكتاتورية!!

بدأت افكر بعد ان غادرت المنزل:

ترى ما هو السبيل لالقاء القبض على هذه الجاسوسة الذكية الحسناء التي يمكنها ان تلعب دورا خطيرا في لبنان؟

لم ار سبيلا لحل هذه المشكلة سوى اخبار اديب الشيشكلي مهما ترتب على اخباره من نتائج.

كان ذلك ممكنا بواسطة احد شخصين: اما غالب طيفور او قدري القلعجي اللذين كانا يعملان للشيشكلي ويترددان على بيروت باستمرار، لا سيما ان الاول تجمعه بالشيشكلي اواصر القربى والثاني كان مسؤولا في الاعلام وكان يعد للشيشكلي خطبه ويهيء له المؤتمرات الصحافية والاتصالات ويتولى مهام الدعاية سواء في سورية او خارجها، وقد سبق له ان اتصل بي موفدا من الشيشكلي للمصالحة فرفضتها رغم ما رافقها من اغراءات بأن اكون رئيسا للدولة السورية مع حكم الجيش.

رأيت اخيرا ان اكلف قدري القلعجي دون ان اطلعه على التفاصيل فأكتفي بابلاغه بضرورة ارسال مصطفى حمدون، الضابط في الجيش السوري ليتولى نقل موضوع بغاية الاهمية والخطورة مع تأكيدي على انه موضوع وطني يخرج عن دائرة خلافنا مع النظام القائم في سورية، ولكنني لم اتلق من الشيشكلي اي جواب، وقدرت ان القلعجي لم يؤد الرسالة، او ان الشيشكلي قد حذر من ارسال مصطفى حمدون وخشيت بالوقت نفسه ان نكون قد لفتنا نظره الى الثقة بمصطفى حمدون.

قررنا بعد ذلك ان نسأل الاستاذ كمال جنبلاط عن صحة ادعاء المرأة بأنه اوصلها بنفسه الى منزلنا، فأخبرنا بأن ما قالته الفتاة صحيح، وانها تعمل بعلم المكتب الثاني اللبناني، وانه قدر انه يمكن الاستفادة من بعض معلوماتها.

انني لا اشك ابدا بنوايا الاستاذ كمال جنبلاط لانني اعرف الوضع الذي يعيشه رجال السياسة في لبنان الذين كانوا يتصلون بجميع السفراء الاجانب والعرب وبمختلف اجهزة المخابرات بدون حرج وعلانية.

لقد فكر الاستاذ جنبلاط انه لا يضيرنا ان نستفيد من بعض المعلومات التي يمكن ان تنقلها الينا هذه الجاسوسة، وغاب عن ذهنه ان الامور في سورية مختلفة عما هو في لبنان، وان الاتصال بالعملاء المزدوجين ليست مهمة القيادات الوطنية والسياسية بل هي من مهام اجهزة الامن والمخابرات.

بعد هذه الواقعة كنت اقول في نفسي:

عندما يكون للمخابرات الاسرائيلية الجرأة على الاتصال بنا فهذا يعني انها لم تترك سياسيا عربيا او قائدا او حاكما الا وحاولت ان تتصل به، وقد زادتني هذه الواقعة اقتناعا بخطر المخابرات الاسرائيلية وتغلغلها.

مرت بعد ذلك الشهور والاعوام واذا بأخبار هذه المرأة تبرز فجأة في الصحف اللبنانية وأظن ان ذلك كان عام 1958 بمناسبة قتل شاب فلسطيني من جماعة سمت نفسها "كل مواطن خفير" وقد اتهمت المرأة بتدبير مقتله.

كنت آنذاك نائبا لرئيس الجمهورية في الجمهورية العربية المتحدة، وأذكر انني نبهت محمود رياض الى خطورة هذه المرأة وذكرت له اننا اتصلت بنا عام 1953.

تطورات الوضع الدولي والعربي.

يجدر بي قبل ان اروي قصة القاء القبض علينا في لبنان يوم السبت الواقع في 20 حزيران عام 1953 واحتجازنا في اوتيل

بريستول اياما ثم تسفيرنا ظهر الثلاثاء يوم 23 حزيران الى ايطاليا، ان أمر مرورا سريعا بالاحداث اللبنانية والعربية والدولية خلال شهري مايس وحزيران من عام 1953 فقد كان لاخراجنا من لبنان بعض العلاقة بتلك الاحداث.

لقد هادنت بريطانيا الشيشكلي في بداية انقلابه، وكانت تهدف من ذلك تسهيل اسالة البترول العراقي الى ميناء بانياس، لذلك توقفت حكومة العراق - ظاهريا ولفترة قصيرة - عن نشاطها في سورية وتدل على ذلك الوثيقة رقم 49 تاريخ 1953/8/17 من وثائق حلف بغداد (ص2468 الجزء السادس من كتاب محكمة الشعب) حيث جاء فيها:

الى خارجية بغداد

ما يلي من فخامة وزير الخارجية:

"قابلت اليوم فخامة رئيس الجمهورية السورية، تحدثنا ساعة كاملة وسعيت لازالة جميع ما كان معلقا في ذهنه عن تشجيعنا للحركات المتمردة، اعتقد انه اقتنع بذلك، ما زال يشكو من وجود محمد صفا في العراق واشتغاله ضده، اجبت بعدم علمي بذلك، اثناء حديثه بين استعداده القوي للتعاون والتفاهم فأبديت من جهتي ان العراق له نفس الرغبة، تأييد المقابلة كان قويا عليه، وظهر انه اعتمد على تأكيداتي بأننا لا نضمر له شرا ولا عدوانا ولا نشترك في اي حركة ضده، واننا لا نريد الا الخير لسوريا وتقويتها واستكمال وسائل رفاهيتها وادارتها الديموقراطية، يسأل هل محمد صفا في العراق حقيقة وهل عبد المطلب الامين ذهب الى قبرص بالتواطؤ مع صفا؟

اني انكرت ذلك وأرجو ان تكون المعلومات التي تعدونها لنا مؤيدة لما قلته، الجو بيننا وبين سوريا لا يصعب بتاتا حيث لا يوجد سبب قوي للتفكير، يرجى عرض ذلك على فخامة رئيس الوزراء".

(تليت هذه الوثيقة خلال محاكمة توفيق السويدي الذي كان وزيرا للخارجية خلال عام 1953 في وزارة جميل المدفعي).

تولى الرئيس كميل شمعون بالنيابة عن العراق النشاط في الساحة السورية، وكان لجوؤنا الى لبنان ورقة بيده للضغط على الشيشكلي والمساومة معه على حساب الحد من نشاطنا السياسي في لبنان، وقد توصل بعد الاجتماع مع الشيشكلي الى تسوية الامور الاقتصادية المعلقة بين سورية ولبنان.

وفي تاريخ 53/5/30 اصدر الرئيس شمعون مرسوما بحل المجلس النيابي اللبناني ودعوة البلاد الى انتخابات ستجري في 53/7/19.

وفيما يتعلق بالاوضاع الدولية فقد اشتد التناقض الاستعماري بين الولايات المتحدة وبريطانيا، وكان النزاع على واحة البريمي البترولية احد مظاهره، وفي تلك الفترة القى الرئيس ايزنهاور خطابا قال فيه:

ان حكومته وضعت نصب عينيها رسم سياسة خارجية شاملة صريحة وليست مجرد سلسلة من ردود فعل على قرارات دولة اخرى (يقصد بذلك بريطانيا).

ثم وصل دلس وزير خارجية الولايات المتحدة الى القاهرة بتاريخ 11 مايس وعقد اجتماعا بينه وبين اللواء محمد نجيب، وعلى اثر الاجتماع صرح "اننا قد اتفقنا على وجوب جلاء القوات الاجنبية من القناة تدريجيا، لكن القناة ستكون قاعدة في حالة نشوب حرب عالمية ثالثة).

وبتاريخ 15 مايس وصل المستر دالس الى دمشق كما ذكرنا سابقا يرافقه المستر هارولد ستاسن مدير برنامج الامن المتبادل والمستر هنري بايرود وكيل وزارة الخارجية لشؤون الشرق الادنى والمستر دوغلاس ماك ارثر مساعد وزير الخارجية، وقد ادلى دلس اثر وصوله ببيان اثنى فيه على حسن استقبال السوريين له واطرى مزايا سورية وقال انه لا يحمل اي مشروع او اقتراح خلال زيارته للبلاد العربية، بل انه سيكتفي بجمع المعلومات والاستماع الى الاراء. وكان المستر دالس قد زار اسرائيل ثم عرج على عمان ومنها الى دمشق، ثم توجه في

اليوم الثاني الى لبنان، الذي استقبل فيه بهجوم على السياسة الاميركية وعلى دعمها لاسرائيل، وقد علقت الصحف بأنه في لبنان وحده باحثه المسؤولون بجميع القضايا العربية في حين ان المستر دالس استمع في مصر الى وجهة نظر المصريين في القضية المصرية فحسب.

تراجع الولايات المتحدة عن مشروع الدفاع المشترك:

على اثر رجوع دالس الى الولايات المتحدة ادلى للصحافيين ببيان عن نتائج رحلته للشرق الاوسط جاء فيه:

"يجب على الشعب الاميركي الا يتوقع تأليف منظمة الدفاع المشترك عن الشرق الاوسط" وتحدث عن البيان الثلاثي كضمانة كافية لازالة مخاوف العرب من اسرائيل، وفيما يتعلق باللاجئين الفلسطينين فقد قال بامكان اسكان بعضهم في الاراضي الفلسطينية وادماج الباقين في حياة الاقطار العربية الاخرى، ثم اكد هذه النقاط بتاريخ 53/6/3 بخطاب توجه فيه الى الشعب الاميركي قال فيه:

ان زيارتنا الاولى كانت لمصر وقد تعرفنا فيها جيدا الى اللواء محمد نجيب فهو بطل شعبي عظيم وهو وزملاؤه عازمون على قيام حكم يخدم مصالح الشعب باخلاص، وينشد اللواء نجيب وزملاؤه انهاء بقاء القوات البريطانية والسلطة البريطانية في قناة السويس، ثم قال:

ومن الاردن ذهبنا الى سورية وقد اعجبنا هنالك بحيوية الزعيم اديب الشيشكلي فهو متشوق جدا لاستثمار وانماء موارد بلاده الرئيسية، وذلك لرفع مستوى الشعب السوري، وهذا مما يتيح زيادة استيعاب عدد اضافي من اللاجئين في ارض مفتقرة الى السكان، ثم خلص الى القول:

ان منظمة الدفاع عن الشرق الاوسط هي امكانية قابلة للتحقيق في المستقبل اكثر منها في الوقت الحاضر، فقد تأثرت عدة دول عربية بخلافاتها مع اسرائيل او مع بريطانيا وفرنسا لدرجة انها لم تعد تعطي سوى القليل من الاهتمام لخطر

الشيوعية السوفيتية ، بينما تبدي المنطقة الشمالية من تلك البقعة (يقصد تركيا) اهتماما اكثر بالخطر الشيوعي.

خروج التناقض الاستعماري البريطاني الاميركي الى العلن.

في تلك الفترة اشتد التناقض بين الدولتين وتجلى ذلك بالخطاب الذي القاه المستر تشرشل في مجلس العموم البريطاني بعد انقطاع المفاوضات المصرية البريطانية، وجاء فيه:

"ان بريطانيا كانت قد توصلت الى اتفاق مع حكومة ترومن حول الشروط الضرورية لاتفاق بريطاني مصري حول قناة السويس غير ان القضية اصبحت فيما بعد موضع دراسة جديدة حين تسلم الرئيس ايزنهاور الحكم".

كما هاجم تشرشل في خطابه الدول العربية بعنف متملقا اسرائيل ثم اعلن تأييده للقضية الصهيونية.

وكان اللواء نجيب على اثر زيارة دالس لمصر قد اعلن دعوته لتحرير مصر من المستعمرين قائلا: ان وقت المعركة قد حان.

اما اديب الشيشكلي فقد اشار بتاريخ 53/5/21 الى خطاب تشرشل قائلا:

ان حزم مصر في تقديم مطالبها سبب لتشرشل ثورة من الهستريا السياسية لا سابق لها .. ثم قال:

ان اقوال تشرشل الاخيرة وسياسته ازاء العالم العربي يجب ان تدفعنا الى التعجيل بتنفيذ ميثاق الضمان الجماعي.

وهكذا فان التناقض الاستعماري بين بريطانيا والولايات المتحدة في المنطقة العربية قد بلغ ذروته في تلك الفترة، كما توضح دعم وتأييد الولايات المتحدة للنظم العسكرية الجديدة واعتبارها بديلا عن المشروع البريطاني للدفاع المشترك الذي اعلن دالس بعد زيارته للمنطقة العربية تراجع الولايات المتحدة عن تنفيذه.

في هذا الجو العربي والدولي والانتخابي في لبنان، اصدرت السلطة الديكتاتورية في سورية بيانا فيه الكثير من الافتراءات بأنها "وضعت يدها على الذين اثاروا حملة تشويش على العهد الحاضر في البلاد محاولين اثارة الشعب على حكامه بترويج الاشاعات المثيرة، اذ كان الناقمون قد وزعوا مناشير في المدن السورية تدعو الى مقاومة حركة التحرير العربي، وقاموا بعدة اعمال استفزازية منها القاء القنابل على عدد كبير من مراكز الحركة في حمص وحماة واللاذقية وعلى اثر احباط المؤامرة صدر بلاغ رسمي يؤكدها ويعلن انه عثر على المتآمرين الذين ينتمون الى حزب منحل (يعني حزب البعث العربي الاشتراكي) وعلى وثائق تثبت اتصالهم بجهات اجنبية تغذي حركتهم ويقال ان المناشير طبعت في احدى مطابع بغداد، وقد جيء بعد ظهر السبت الماضي بخمسة شبان من المتهمين الى الاماكن التي كانت مسرحا لاعمال هؤلاء فمثلوا الادوار التي قاموا بها وسيحالون الى المحكمة العسكرية ليحاكموا امامها (النهار 2/حزيران/1953).

ماذا في دمشق؟

بعد اذاعة البيان السابق تلقينا بعض التفاصيل عن القاء القبض على بعض افراد الخلايا السرية الحزبية في دمشق الذي تم بطريق الصدفة، فعندما استبد القلق بالشيشكلي من الاستمرار بتوزيع المنشورات والقاء بعض المفرقعات قامت المخابرات السورية بحملة اعتقالات واسعة النطاق كان في عدادها احد الطلاب غير الحزبيين ولكنه كان صديقا لسيف الدين الخالد احد افراد المنظمة السرية.. وقد عذب هذا الطالب عذابا اليما فقال للمحققين ان له صديقا في الجامعة يدعى سيف الدين الخالد يظهر انه من المحتمل ان يكون في عداد المشتركين بتوزيع المنشورات، فالقى رجال المخابرات فورا القبض عليه وعذبوه عذابا وحشيا صمد خلاله ثلاثة ايام حتى يفسح المجال امام رفاقه الاخرين للاختفاء، ثم اضطر اخيرا لتوقيف التعذيب للادلاء باعترافات غامضة كالاعتراف بانتسابه للحزب وانكاره توزيع المنشورات والقاء المفرقعات، ولما سئل عن رفاقه الحزبيين الآخرين ذكر لهم بعض الاسماء فألقى رجال المخابرات القبض

على رفاقه الذين لم يستفيدوا من الفرصة طيلة الايام الثلاثة للاختفاء والتواري منهم:

نبيل شويري، منصور الاطرش، واخوه ناصر الاطرش، نايف جربوع، نعمة الشيخ خالد، جواد العيان وغيرهم من الشباب، ثم شملت موجة الاعتقالات جميع فروع المحافظات الاخرى.

كان وقع هذا الحادث علينا كالصاعقة، ولكنني لم انتظر ان يقف الاستاذ ميشيل وصلاح موقف المستنكر لالقاء المفرقعات، فقد كانا موافقين على ذلك ومشتركين في تقريره وحاولا ان يحملاني وحدي مسؤولية هذا "الانحراف" قلت لهما:

انتما تعرفان ان ما أسماه البلاغ متفجرات لم يكن سوى مفرقعات هدفها احداث التوتر والتشويش على نظام الشيشكلي، وقد القيت في الاماكن الخالية ولم تحدث اي ضرر بالارواح او الممتلكات، لقد كنتما موافقين على ذلك وبمعرفتكما تم تنظيم الخلايا السرية وارسال المنشورات والمواد اللازمة للمفرقعات، وانني لا اعتبر اعتقال الشباب الحزبيين تقويضا لدعائم الحزب، بل اعتبره بداية لبناء حزب نضالي بالمعنى الحقيقي ويجب عليكما ان تنتظرا في معركتنا مع الشيشكلي اعتقال الالوف.

كان الاستاذ ميشيل يتكلم منفعلا شاحب الوجه، ثم اخرج من جيبه صورة قرار طلب مني توقيعه وهو يقضي بتعيين وليد طالب امينا عاما للحزب في سورية، سألته: ومن هو وليد طالب؟ قال: هو طالب مثالي في الجامعة السورية... قلت له: انني لا اعرفه، وربما كان شابا مثاليا كما تقول، ولكنني لا اوافق على تعيينه قائدا لمعركة ضارية ضد حكم ديكتاتوري واظن انه قرار غير قابل للتنفيذ من قبل الحزبيين في سورية.

كاد ينشب بيني وبين الاستاذ ميشيل خلاف يؤدي الى القطيعة، ولكنني اصررت على رفض توقيع القرار، فقال انه سيرسله الى سورية بدون توقيعي فقلت له:

انني أوكد لك سلفا بأن هذا القرار لن يلزم سواك، كما سألته هل استشرت هذا الطالب قبل تعيينه قائدا للحزب؟ قال:

اعتقد انه يقبل فقلت له انني اشك في قبوله في هذه الظروف الصعبة، فقد سبق لك ان اقترحت اسماء غيره لتولي القيادة فاعتذر اصحابها، وقد صح ما توقعته فلم يعترف الحزب على القيادة الجديدة، اما وليد طالب فقد انقطع عن الاتصال بالحزب.

لم تدم هذه العاصفة طويلا فقد عدنا الى وضع صيغ المنشورات واستمرينا على ارسالها الى سورية وكان رفاقنا هنالك يتولون طبعها وتوزيعها.

بعد ذلك تركت المنزل المشترك في بناية العزرية الواقعة في حي الاشرفية، واستأجرت منزلا متواضعا خارج برمانا في موقع رائع الجمال يدعى (جورة البلوط) وكان آنذاك مكانا نائيا منفردا بعيدا عن العمران اما الاستاذ ميشيل فقد استأجر منزلا في مصيف آخر.

كان منزلنا في جورة البلوط بمعزل عن العيون، فكنا نستقبل كل يوم بعض الشباب الملاحقين والفارين من وجه السلطات الديكتاتورية، وكان بعضهم يبقى عندنا وبعضهم الاخر يعود مزودا بالتعليمات، وهكذا اصبح بيتنا في جورة البلوط مركزا سريا للمقاومة ومتابعة النضال.

□

على اثر اكتشاف الخلايا الحزبية جرى اتصال تلفوني بين الشيشكلي وشمعون الذي توجه بعده الى بلودان بتاريخ 1953/6/1 وكان بصحبته رئيس الحكومة صائب سلام والزعيم سالم رئيس اركان القيادة والسيد فؤاد شمعون مدير الامن العام بالنيابة، وفي بلودان عقد اجتماع مشترك مع الشيشكلي صرح صائب سلام في ختامه بما يلي:

"لقد كان اجتماع بلودان موفقا كل التوفيق بحثنا فيه كل المسائل التي تهم البلدين الشقيقين ولا سيما المسائل الاقتصادية، وأعتقد ان نتائج هذه المباحثات ستظهر في اثناء المفاوضات التي تجري الان بين الحكومتين، وقد تقرر ان يتابع

البلـدان سياســة واحـدة تجـاه كـل الامـور المتعلقـة بالسياســة العربية".

وفـي الحقيقـة كـان موضـوع ابعادنـا مـن لبنـان هـو اهـم المواضيع التـي بحثـت فـي هـذا الاجتمـاع، وقـد قـدرت سـلفا اننـا سـنتعرض لتدابير ستتخذها الحكومة اللبنانية، وخيل الـي انهـا لـن تتعدى تشـديد الرقابـة علينـا او فـرض الاقامـة الاجباريـة، ولـم يـدر بخلدي قط امر اخراجنا من لبنان، ولكـن اسـبابا عديـدة لهـا علاقـة بالظروف الداخلية اللبنانية وبـالظروف العربيـة والدوليـة هـي التـي ادت الى ذلك:

1- كان كميل شمعون يهدف الـى استرضـاء الشيشـكلي ومنعـه من التدخل في الانتخابات اللبنانية لغير صالحة ومخططاته.

2- لم يكن كميل شمعون راضيا عـن اتصـالنا واتفاقنـا مـع الحـزب التقدمي الاشـتراكي والفئات اليسارية الاخرى في لبنان.

3- لم نتقيد بالتحذير الذي وجهتـه الينـا السـلطات اللبنانيـة فقـد ثابرنا على نشاطنا السياسي على كل المسـتويات اللبنانيـة والعربيـة، وقـد تحـدثت عـن اوجـه هـذا النشـاط الـذي كـان يستهدف الديكتاتوريات العسكرية في مصر وسورية كمـا كـان يســتهدف السياســة البريطانيــة والاميركيــة فقــد اشــتركنا بـالتحريض علـى المظـاهرات فـي المناسـبات الوطنيـة (زيـارة دالـس للبنــان مـثلا والابـراق اليـه) وكتابـه المقـالات وعقـد المـؤتمرات الحزبيـة وتوقيـع العـرائض فـي جميـع المناسـبات القومية كالمطالبة بأن ينص الدستور الجديـد فـي مصـر علـى اعتبارها جزءا من الامة العربية.

هـذا النشـاط كـان بـلا شـك موضـع ازعـاج لجميـع الاطـراف المعنية: الحكومة اللبنانيـة والـدول العربيـة والـدول الاجنبيـة وكـان مناخ لبنان قابلا للاستجابة لهـذا النشـاط اكثـر مـن اي بلـد عربـي آخر... وهكذا اتفقت مصلحة الجميع على اخراجنا من لبنـان ولكـن الى اين؟

هذا ما سيقرره شمعون بما يتفق مع سياسته العربية والدولية

كيف تم القاء القبض علي:

جهد الامن العام اللبناني بعد اجتماع بلودان لمعرفة مكان وجودي في لبنان دون جدوى، وفي يوم 1953/6/20 زارني شخص عرفني على نفسه بأنه صحافي يدعى وفيق العلايلي ثم ظهر لي ايضا بعد ذلك انه موظف في الامن العام اللبناني.

أبرز لي العلايلي بطاقة من الاستاذ رياض طه يقول فيها ان رئيس الحكومة صائب سلام يود ان اقابله لامر هام - ولم يكن يعرف مكان وجودي غير الاستاذ رياض طه - فلم ارتب بالامر كثيرا كما لم يعد لدي امكانية التهرب، فغادرت منزلي الذي كان غاصا بالشباب الهاربين من سورية على الاقدام، واذكر منهم محيي الدين البرازي، عبد اللطيف سالمة، جواد العيان، ومخلص الشيخ خالد وغيرهم.

ذهبت برفقة العلايلي الى بيروت حيث طلب مني العلايلي ان ندخل احدى الدوائر الرسمية لنتأكد من الموعد، وكانت تلك الدائرة دائرة الامن العام اللبناني، ولم اكن اعرفها من قبل، وهنالك ابلغني مدير الامن الامير فريد شهاب انني معتقل، كما وجدت هنالك الاستاذ ميشيل وما لبث الاستاذ صلاح ان لحق بنا، وقد حاولنا كثيرا الاتصال برئيس الجمهورية ولكن دون جدوى، ثم انزلنا المدير العام الى غرفة الموقوفين في الطابق الارضي حيث قدم الينا السيد كلوفيس مقصود وأنبأنا بأن الحكومة تنوي تسفيرنا الى الخارج، وان أمامنا ان نختار اما مصر او العراق وكان يحمل مساعدة مالية من حزب الاستاذ كمال جنبلاط الذي يبلغنا أسفه وألمه لما حدث، وانه سيبذل قصارى جهده لاطلاق سراحنا، وقد شعرت بأن ميشيل وصلاح كانا موافقين على لجوئنا الى العراق.

قلت لكلوفيس مقصود فورا:

انني افضل تسليمنا الى سورية على اللجوء الى مصر او العراق لان الشيشكلي سيستغل لجوءنا الى العراق استغلالا واسعا يقضي به على زخم مقاومة الحزب الباسلة، وسيظن الناس فعلا اننا على اتصال بنظام العراق كما ادعى في البيان

الذي اذاعه، اما اللجوء الى مصر فسيعرضنا الى مخاطر لا يجرؤ الشيشكلي على ارتكابها في سورية، ولذلك فانني ارفض رفضا باتا اللجوء الى مصر او العراق، وليس من حق الحكومة اللبنانية ان تفرض علينا المكان الذي سنلجأ اليه، واذا كان بامكانها ان تسلمنا للشيشكلي فليس بامكانها ان تفرض علينا مكان لجوئنا عند ذلك سألنا كلوفيس مقصود عن المكان الذي نرغب فيه فقلنا له يمكن ان يكون احدى الدول الاوروبية واننا نفضل سويسرا.

غاب كلوفيس مقصود مدة، ثم عاد ليخبرنا بأن الحكومة ستبذل مساعيها في هذا السبيل، وهكذا بقينا محتجزين في النظارة عدة ساعات، ثم نقلنا ليلا الى فندق بريستول الفخم، وفي اليوم الثاني سمح لنا بالذهاب الى بيوتنا مخفورين لتوديع عائلتنا واعداد حوائجنا للسفر الذي تأخر بسبب اعداد الجوازات من قبل الحكومة السورية.

كنت حزينا عندما زرت البيت ونظرت الى اطفالي الصغار: مجد وكانت لا تتجاوز السنة والنصف، وجهاد وكان ابن ستة اشهر كما كنت متألما لاجباري على التخلي عن قيادة المعركة من هذا المكان الملائم البعيد عن العيون والارصاد، وقد عرض علي بعض شباب برمانا من عائلة الاشقر امر تهريبي من ايدي السلطة، ولكنني رفضت ذلك لانه كان امرا متعذرا بدون معركة مع رجال الامن، كما كانت له نتائجه الضارة.

□

كان عزاؤنا في هذه المحنة، موقف الصحافة والشعب في لبنان من قضية إبعادنا، فقد شجبت معظم الصحف موقف الحكومة، كما شجبه الشعب اللبناني على لسان احزابه وقادته، ولا سيما السيد حميد فرنجية الذي استكبر اخراجنا بتصريح نشرته الصحف دون ان يكون لنا به معرفة سابقة او اتصال، مما يدل على الروابط الوثيقة بين شعبي لبنان وسورية، وعلى مدى تعلق شعب لبنان بالديموقراطية.

لقد كان دائما جبل لبنان، الضارب في غيوم السماء، معقلا من معاقل الحرية في المنطقة العربية، فكانت تقاليده التاريخية منسجمة مع واقعه الجغرافي.

وبقدر ما ساءنا موقف الحكومة بقدر ما كان لموقف الشعب اللبناني النبيل عميق الاثر في نفوسنا ولذلك توجهنا بالشكر الى الشعب اللبناني عندما غادرناه بالطائرة الى ايطاليا.

وقبل ان اغادر فندق بريستول اتصلت بوزير العدل والدعاية محيي الدين النصولي وذكرته بماضيه بوصفه مناضلا عربيا عندما كان قائدا للحركة الكشفية، واعلمته بأنه قد زال في نفسي نهائيا كل احترام له واسمعته قارس الكلام، فتحمل كلامي برحابة صدر وقدم لي الاعتذارات التي ما قبلتها منه يومذاك.

وتجاه موجة الاحتجاج والاستنكار التي عمت لبنان اضطر رئيس الحكومة صائب سلام لعقد مؤتمر صحافي، كما ادلى وزير الانباء محيي الدين النصولي بالتصريحات لتبرير ما ارتكبوه وقد نشرت وكالة الانباء العربية ملخصا لاقوالهم.

"غادر اليوم بيروت الى سويسرا السادة ميشيل عفلق واكرم الحوراني وصلاح البيطار وهم من الساسة البارزين سابقا في سورية وكانوا يقيمون منذ بعض الوقت كلاجئين سياسين، هذا ما اعلن عنه السيد محيي الدين النصولي وكانت السلطات اللبنانية امس قد امهلت السوريين الثلاثة بمغادرة لبنان، وان الحكومة لم تطلب منهم ذلك الا عندما تبين لها انهم يقومون بنشاط، وقال ان لدى الحكومة اللبنانية وثائق خطيرة تثبت ذلك، واعلن ان سياسة لبنان تقوم على توثيق العلاقات مع جميع البلاد العربية لا على تعكيرها، وقد قامت الحكومة بتسفيرهم اليوم على حسابها الخاص الى سويسرا" وقد اخطأ النصولي في ذكر المكان الذي سافرنا اليه وهو ايطاليا، كما اخطأ بقوله اننا سافرنا على حساب الحكومة اللبنانية، ولم يكن الرئيس صائب سلام مصيبا عندما قال ان لديه وثائق خطيرة استحصلت عليها حكومته عندما تحرت حقائبنا ومنازلنا لانه لم تجر مثل هذه التحريات اصلا.

□

ودعنا في بيروت عدد كبير من الاصدقاء والرفاق منهم الاساتذة كمال جنبلاط وانور الخطيب وكلوفيس مقصود وجبران مجدلاني، وقبل ان تقلع الطائرة لمح المفوض حسين نصر الله على وجوهنا آثار الحزن والكآبة فقال بأعلى صوته:

لا تأسوا، انكم ستعودون قريبا حكاما على الشام، لانني لم اعتقل احدا من السياسيين الا واصبح حاكما.

□

كانت المرة الاولى التي اسافر فيها الى بلد اوروبي وكنت مغتما كئيبا، ولم يخفف من كآبتي انها الفرصة الوحيدة لمشاهدة اوروبا والاطلاع على حضارتها، ولما هبطت بنا الطائرة في روما مساء قادنا الاستاذ ميشيل الى فندق كان قد نزل به سابقا وقال انه فندق مناسب من حيث الاجور والنظافة، وفي صبيحة اليوم التالي خطر في بالي ان أسأل عن الاجور فبدت لنا اجورا مرتفعة لا قبل لنا باحتمالها، فانتقلنا الى احد البنسيونات المناسبة الرخيصة وكان يقع بالقرب من مقهى الدونة الشهير في روما، وفي ذلك المقهى اتصل بنا بعض الطلاب السوريين الذين كنا نعرف بعضهم من قبل ولا سيما الفنان الراحل ادهم اسماعيل (شقيق الاديب صدقي اسماعيل) الذي يدرس الرسم في ايطاليا، وكان بحق فنانا عربيا اصيلا.

لم يكن ادهم ينقطع عن زيارتنا يوما واحدا، فانعقدت اواصر الصداقة بيني وبينه، وقد سهل لنا جميع امورنا في ايطاليا، التي كان مطلعا على شؤون الحياة فيها اطلاعا دقيقا، كما اصبح عنوانه صلة الوصل بيني وبين من يراسلني من لبنان او سورية، وقد تولى تثقيفي فنيا، فزرت بصحبته جميع متاحف روما، كما ذهبت معه في رحلات شعبية الى جزيرة البا، والى القصور التاريخية حول روما، وكان ادهم يقول لي:

أنت في حالة نفسية يائسة ولا سبيل لارجاع الثقة الى نفسك الا بزيارة الاندلس لانني رجعت بعد زيارتي للاثار العربية في

الاندلس اكثر ايمانا واشد يقينا بالعبقرية العربية... وهكذا اقتنعنا نحن الثلاثة بالسفر معا الى اسبانيا، ولكن السفارة الاسبانية رفضت اعطاءنا تأشيره دخول، كما حاولنا ان نسافر الى فرانسا وبلجيكا وانكلترا وسويسرا التي اعتادت ان تستقبل كل اللاجئين السياسيين، فرفضت سفارات هذه الدول زيارتنا لبلادها رغم المساعي التي قام بها بعض النواب الاشتراكيين في سويسرا وفي بلجيكا... وهكذا ضرب علينا الحصار في ايطاليا.

اتصالات مع الاحزاب الاشتراكية في ايطاليا.

قمنا بزيارة الحزب الاشتراكي الايطالي وكان بقيادة بترونيني فتحدثنا مطولا عن حركتنا وعن النضال الذي يخوضه حزبنا ضد الديكتاتورية.

كان لجوؤنا الى ايطاليا في اعقاب المعركة الانتخابية، ومما لفت نظري التدخل الاميركي في الانتخابات ضد الحزب الشيوعي بقيادة توليياتي، فقد كانت الجدران والاعلانات والاساليب كلها على الطريقة الاميركية، وقد حدثنا الطلاب السوريون عن مدى الجهود والاموال التي بذلتها الولايات المتحدة في هذه المعركة.

صادف لجوؤنا الى ايطاليا لجوء شاه ايران اليها، وكنا نشاهد كيف كان عملاء امريكا يجمعون الناس عند مدخل الفندق ليهتفوا للشاه، كما فوجئت ذات مرة في مقهى الدونه بالملك فاروق يطل بجثته الضخمة ووراءه سرب من الزعران والحسان، وعندما جلس كانت قهقهته الهستيرية العالية تلفت نظر جميع رواد المقهى، وكانت تصرفاته امام الناس تصرفات رجل مصاب بمس في عقله، وقد تبدى لي فاروق نموذجا للاقطاعيين في بلادنا سواء من حيث جسمه او تصرفاته.

□

شعرت منذ اليوم الاول انه لا بد لي من اتقان لغة اجنبية، فعدت الى اللغة الفرنسية احاول اتقانها لتكون وسيلة تفاهم مع الناس ووسيلة قراءة واطلاع، وهكذا بدأت بشراء القواميس والكتب اللغوية وصرت طالبا مجدا مكبا ليل نهار على دراسة اللغة وفقهها

واشـتقاقاتها كـأنني مقـدم علـى فحـص قريـب، وقـد كانـت هـذه الدراسـة تشغلني بعض الشـيء عن آلام الغربة عن الوطن والعائلة واستعيض بها عن حرماني مـن الكـلام مـع النـاس بعـد ان افترقنـا نحن الثلاثة، ولم نعد نلتقي الا قليلا وعند الحاجة او الاضطرار..

□

ذات يوم اخبرنا موظف من اصل ايطالي مولـود فـي دمشـق من ام سورية قريبة للاستاذ ميشيل عفلق بأننا مـدعوون لمقابلـة مدير الشرطة والامن العام، فذهبنا الى الدائرة حيث قابلنـا المـدير مقابلة سيئة وقال لنا:

انتم ارهابيون، وان الحكومة الايطالية مضطرة لفرض الاقامـة الاجبارية عليكم فأجبته بانفعال شديد:

هل تعرف من هم الذين تكلمهم؟ قـال: كـلا قلـت سـأعرفك بأنفسـنا: قدمت الاستاذ ميشيل عفلق بصفته احد قادة اكبر حـزب تقدمي في سوريا وانه كـان وزيـرا للمعـارف عـام 1949، وأنـه كـان قبل ذلك استاذا للتاريخ، ثم قدمت الاستاذ صلاح كواحـد مـن قـادة هذا الحزب وكأستاذ للرياضيات، ثـم قـدمت نفسـي بصـفتي نائبـا في عـدة مجـالس نيابيـة متعاقبـة، وبصـفتي وزيـرا سـابقا للـدفاع والزراعـة وقائـدا مـن قـادة الحـزب فـي سـورية، وهنـا تراجـع مـدير الشرطة عن لهجته الجافة الصارمة... ولكنني استطردت قائلا:

نحن لم نـأت الـى بلـدكم الا بموافقـة حكـومتكم، واذا كنـتم مصممين على فرض الاقامة الاجبارية فانني ارجو ان تسـمحوا لنـا بالخروج من ايطاليا غير آسفين، وانتهت المقابلـة عنـد هـذا الحـد، وبعد عدة ايام جاءنا قريب الاستاذ ميشيل واخبرنا بـأن مـديره بعـد التحقيقـات التـي اجراهـا، تبـين لـه ان اتهامـات الـوزير السـوري المفوض حيدر مردم كاذبة، وقد عرفنـا ان حيـدر مـردم اتهمنـا بأننـا ارهابيون واننا نعد خطـة لنسـف السـفارة السـورية، ونقـل الشـاب عن لسـان مديره اسفه الشديد، وانه يود مقابلتنا ليعتذر الينا، وهو يبلغنا تحياته، وأننا احرار طلقاء، وضيوف اعزاء في ايطاليا.

قرار يعده الاستاذ ميشيل بطرد بعض قيادات الحزب:

كنا مجتمعين في مقهى وراء سور روما القريب من مقهى الدونة والذي تحيط به حدائق فائقة الجمال، وبعد حديث قصير اخرج الاستاذ ميشيل من جيبه قرارا يطرد فيه من الحزب الاستاذ عبد البر عيون السود والدكتور وهيب الغانم والدكتور فيصل الركبي، وكان هؤلاء الثلاثة يشكلون مع رفاقهم الاخرين القيادات المناضلة في الحزب، وكانوا من اشد شباب البعث المتحمسين للدمج وهم الذين قاموا بالمفاوضات التي تم على اثرها دمج الحزبين، استغربت ذلك ودهشت له كثيرا وقلت:

خير انشاء الله... ما هي الاسباب الداعية لطردهم من الحزب؟ الانهم يشكلون قيادة المقاومة لديكتاتورية اديب الشيشكلي؟

قال الاستاذ ميشيل:

دلتني التجارب ولا تزال تدلني حتى الان بأنه لا يمكننا ان ننشىء حزبا في سورية بالمعنى الصحيح بوجود هؤلاء الثلاثة في الحزب، قلت له:

ان طردهم امر خطير جدا ولا يمكننا ان نلجأ اليه الا في حالة ارتكابهم جرائم بحق الوطن والحزب تثبت عليهم بالادلة القاطعة، فلا يخطرن ببالك انني سأوافقك على هذا الامر، ولا سيما ونحن نمر بأحلك الظروف، ثم احتدم النقاش بيني وبينه لدرجة انني اتهمته بالجنون وكدنا نتعارك بالايدي، فحال بيننا صلاح البيطار مع انه هو الذي كان يحرضه ويختبىء وراءه، وهكذا انفض الاجتماع وما عدنا نلتقي لاكثر من شهر.

وقد علمت بعد رجوعنا الى سورية ان الاستاذ ميشيل ارسل كتابا الى بعض من يثق باخلاصهم له يندم فيه على دمج الحزبين ويضع المسؤولية على عاتق هؤلاء الثلاثة، ويعتبر بأن الدمج قد حرف البعث العربي عن عقيدته، ولوث طهارته وأخرجه عن صفته التبشيرية، وقد تركت مثل هذه التصرفات آثارها السلبية على تنظيم الحزب وكانت سببا في تشرذمه فيما بعد.

قضيت اكثر من شهر لم ار خلاله احدا من العرب، ولم اتكلم مع احد وكان نظام حياتي رتيبا: في الصباح الباكر احمل كتبي واذهب الى مقهى الدونة وانتحي احدى زواياه اقرأ دون ان التفت الى احد.

ان خدم المقاهي يتضايقون عادة من مكوث الزبائن مدة طويلة، ولكني كنت اشتري رضاهم بما كنت اوزعه عليهم من طوابع البريد، وكان يخيل اليهم والى رواد المقهى انني ربما كنت عالما او مفكرا كبيرا مما جعلهم ينظرون الي بعطف واحترام.

كنت اذهب الى البيت في ساعة متأخرة من الليل ومع ذلك فقد كانت الهواجس تمنعني احيانا عن النوم فاضطر لمتابعة هذه الدراسة الصعبة، وكانت صاحبة البنسيون امرأة عجوزا شحيحة تتضايق كثيرا من سهري الذي يزيد في فاتورة الكهرباء، وقد صارحتني مرارا بلغتها الفرنسية المكسرة انها اجرت غرفها لطلاب كثيرين قبلي لم يلكفوها ما تتكلفه الان من مصروفات الكهرباء، واشعرتني أنها غير حريصة على بقائي في بنسيونها... وفي احد الايام رأيت فتاتين حسناوين برفقة شاب، وقد أقام الجميع في غرفتها واصبحت هي تنام في ممر المنزل، ولفت نظري انهم يتكلمون اللغة العربية..

سألتها عن الضيوف، فقالت:

انهم زوار من اسرائيل، فقررت فورا مغادرة المنزل في اليوم الثاني.

□

قبل يومين من هذه الحادثة زارني الاستاذان ميشيل وصلاح في مقهى الدونة فتصالحنا واقترح الاستاذ صلاح ان نخرج سوية الى اوستيا بالقرب من روما، وقد امضينا فيها يوما طيبا ولكنه لم يخل من المنغصات:

طلب الاستاذ ميشيل من صلاح ان يقرأ الرسالة التي بعثها لهما علاء الدين الخاني وفيها ينعت صلاح وميشيل بأنهما اكبر

مصلحين ظهرا في الشرق، وانهما اعظم من جمال الدين الافغاني وقد انتظرت الى آخر الرسالة وأنا اصغي الى هذه المبالغات في المديح والاطراء علني اسمع خبرا عن الحزب وعن الوضع في سورية، ولكنها انتهت دون ان يبعث الي بأي سلام او تحية، فقدرت اسباب تلاوة هذه الرسالة السخيفة.

□

كانت ضاحية اوستيا الواقعة على ساحل البحر جميلة، ولذلك فكرت بالاقامة فيها وعندما اخبرت صاحبة البنسيون بعزمي على مغادرة بنسيونها فوجئت ببكائها وتشبثها ببقائي وقد زاد تبدل موقفها المفاجىء ريبتي وشكوكي بعد مجيىء هؤلاء الضيوف من اسرائيل، وكان لهذه المرأة بعض الاهتمامات السياسية فقد سألتها مرة عن حكم موسوليني فدافعت عن نظامه وأظهرت حزنها العميق على مصرعه وحملت حملة شعواء على الشيوعيين والاشتراكيين.

تركت المنزل غير آسف وذهبت الى اوستيا، وبمساعدة المرحوم ادهم اسماعيل، تمكنت من استئجار غرفة في بنسيون جميل يطل على البحر، وكان صاحبه احد المحاربين القدماء في غاية من التهذيب والخلق الرفيع، وكانت اقامتي في اوستيا هنيئة سواء من حيث الراحة في السكن او التمتع بمظاهر الطبيعة.

□

زارني الاستاذان صلاح وميشيل في اوستيا فاجتمعنا في احد المقاهي حيث عرضا علي مغادرة ايطاليا والسفر الى العراق فقلت لهما:

ان مثل هذا العمل يدمر سمعة الحزب في سورية ويمنح اديب الشيشكلي سلاحا ماضيا ضدنا، كما ان اقامتنا في العراق تجعلنا شئنا ام ابينا من اتباع الوصي ونوري السعيد.

لم يكن لديهما حجة مقنعة وكل ما تذرعا به قولهما: ما الفارق بين لجوئنا الى لبنان ولجوئنا الى العراق؟ قلت لهما:

يجب ان ننظر الى النتائج السياسية التي تترتب على وجودنا في احد البلدين وليست القصة تفضيل لبنان على العراق او العراق على لبنان وقلت لهما مؤكدا:

ان اقامتنا في العراق ستجعلنا ندور في فلك سياسة عبد الاله ونوري السعيد، تلك الطغمة الرجعية شئنا ام ابينا، كما تجعل بيد الشيشكلي سلاحا ماضيا ضدنا وضد حزبنا، واخيرا انتهى هذا الجدل العقيم دون نتيجة فعادا الى روما ممتعضين..

□

كنت اقضي سحابة النهار في روما وأعود الى اوستيا مساء، وفي روما زارني سامي سركيس واديب اللجمي ومحسن شيشكلي، وكان الاول موظفا في الخارجية في بون والاخران طالبان في فرانسا، وقد قدم لي الدكتور سركيس شيكا بـ 300 دولار وأصر كثيرا على قبوله.. كنت أجهل تفاصيل اتصالات الطلاب البعثيين في اوروبا بصلاح وميشيل، فقد كانا يحرصان على احاطتها بالكتمان، وكنا نتلقى المساعدات المالية من الحزب في سورية، وكان ما يرسله الينا كافيا لاعاشتنا اذ ان الحياة في ايطاليا كانت رخيصة آنذاك رغم تدفق السواح الاميركيين بأعداد كبيرة مما كان سببا في انعاش ايطاليا الاقتصادي.

اقترح علي الشباب الزوار ان نقضي شهرا في فلورنسا نتعرف على آثارها الفنية ومعالمها التاريخية التي تحتوي معظم ما خلفه عصر النهضة، وقد امضينا في فلورنسا ما يقرب من الشهر زرنا فيها جميع آثارها ومتاحفها وتعرفنا على معالمها وعلى كنوز حضارتها العريقة واستمتعنا بجمالها ذي الطابع الخاص... وقد أنست بهؤلاء الشباب وزال من نفسي شعورها بالغربة والكآبة ولا سيما انني كنت بشوق الى ابن أختي محسن شيشكلي الذي كان كارها ومتبرئا من كل ما كان يفعله اديب الشيشكلي..

العودة الى سوريا.

شعرت ان اقامتنا في ايطاليا اصبحت عقيمة لا جدوى منها وانه اصبح من واجبنا ان نواجه الديكتاتورية وجها لوجه مهما كانت

النتائج... اصبح السجن في نظري أكثر راحة من بقائنا في المنفى وخشيت ان يرفض الاستاذان عودتنا الى سورية فلم ار من يساعدني في هذه المهمة سوى رفيقنا الفنان ادهم اسماعيل، وفي الغرفة المتواضعة التي كان يسكنها هذا الفنان الكبير والتي تعرفت فيها على اروع آثاره ومنها (الفارس العربي) الذي كان الفنان يجسم فيها كل ما يأمله للشعب العربي من بعث ونهضة، وكل ما عند الانسان العربي من اصالة وعنفوان، ولقد حزنت بعد الخامس من حزيران 1967 عندما قيل لي ان هذه اللوحة قد احترقت مع غيرها من لوحات كبار الفنانين السوريين عندما احترق احد اجنحة متحف دمشق وكان الحريق قد امتد الى المتحف من مخازن مساعدات اللاجئين التي احترقت في حادث مشبوه.

في ذلك المرسم استعرضت مع الراحل ادهم اسماعيل قراري بالعودة الى سورية، فكان من رأيه عدم انفرادي وحدي بالسفر، فطلبت منه شراء ثلاث تذاكر بالدولارات التي تبرع بها الصديق سامي سركيس وقلت له سأكاشفهما بالموضوع بحضورك.

وقد تولى المرحوم ادهم تهيئة اجتماع مشترك قبل يوم واحد من موعد السفر فقلت لادهم بدون مقدمات: اعط الاستاذين تذاكر السفر، وأخبرتهما بعزمي على السفر غدا الى دمشق.

ظل الاستاذ صلاح صامتا كالعادة، اما ميشيل فقد انفجر غاضبا فقلت له:

انني اقدم لكما هاتين التذكرتين وانتما احرار بالسفر الى دمشق او البقاء في روما او الذهاب الى بغداد اذا شئتما، وكنت اعرف سلفا انهما يعرفان معنى ذهابي وحدي الى دمشق والنتائج التي تترتب على ذلك، فاضطرا للتسليم بالامر الواقع.

غادرنا روما في اليوم التالي وكان ذلك في تشرين الثاني عام 1953، فجلسنا في الطائرة صامتين الى ان حطت بنا في دمشق، وفي المطار بغت المسؤولون وارتبكوا، والتفتت الينا انظار

الناس، وقد تماهل المسؤولون بحجة تفتيش الامتعة حتى يتلقوا التعليمات، ثم سمح لنا بالخروج من المطار، فسري عن الاستاذين ولكنهما لم يكونا مطمئنين تماما، وعندما توجهت بنا السيارة الى دمشق قال الاستاذ صلاح انه لا ينوي الذهاب الى بيته في هذه الساعة المتأخرة من الليل لئلا يزعج اهله، اما انا فقد توجهت الى بيتي بعد ان دامت اقامتنا في روما ما يقرب من خمسة اشهر.

1953-1954: انتخاب الشيشكلي رئيسا للجمهورية مع مقاطعة شعبية واسعة - انعقاد المؤتمر الوطني لاحزاب المعارضة في حمص - اعتقالي في اليوم الاول لوصولي الى دمشق من منفاي في روما - كنت مع رفاقي اول من دشن سجن الشيخ حسن - الثورة في جبل العرب - الاضرابات الطلابية تشمل المدن السورية واعتقالي من جديد مع قادة الاحزاب السورية - كيف تمت الاطاحة بأديب الشيشكلي (تقرير من قيادة فرع البعث العربي الاشتراكي في حلب) - شوكت شقير رئيس الاركان يفرج عن قادة الاحزاب السورية - الضابط عبد الحق شحادة يحاول اعادة الشيشكلي الى الحكم - اجتماع قادة الاحزاب في حمص وعودة الحياة الديموقراطية البرلمانية.

كان اخراجنا من لبنان مترافقا مع تطورات عربية هامة فقد اعلنت القاهرة بتاريخ 15 - 6-53 الغاء النظام الملكي وخلع الملك احمد فؤاد الثاني ونهاية عهد اسرة محمد علي واعلان الجمهورية وتولي محمد نجيب رئاسة الجمهورية مع احتفاظه بسلطاته في ظل الدستور المؤقت، بالوقت الذي كان فيه كميل شمعون يخوض معركة انتخابية محتدمة لاقامة عهده الجديد بما يراه منسجما مع سياسته العربية والدولية..

ماذا جرى في سوريا بعد تسفيرنا الى ايطاليا

اعلن الشيشكلي نائب رئيس مجلس الوزراء يوم اخراجنا من لبنان مشروع دستور جديد يتبنى النظام الرئاسي، وحدد السابع من تموز موعدا للاستفتاء عليه ولانتخاب رئيس الجمهورية على الشكل الذي جرى في عهد حسني الزعيم - فطرح على الشعب الاسئلة التالية:

س1: هل توافق على مشروع الدستور المطروح على الاستفتاء والمنشور في اليوم الحادي والعشرين من حزيران 1953؟

س2: من تختار رئيسا للجمهورية من بين المرشحين؟؟

هذا في الوقت الذي كان فيه الشيشكلي المرشح الوحيد لرئاسة الجمهورية. ظن الشيشكلي بعد اخراجنا من لبنان وانتخابه رئيسا للجمهورية انه قضى على المعارضة الجدية، فأطلق سراح جميع رفاقنا بموجب مرسوم العفو الذي اصدره بتاريخ 53/7/22، ولم يكن قبل ذلك قد اطلق سراح احد منهم سوى منصور الاطرش وأخيه ناصر بعد عشرة أيام من اعتقالهما ارضاء لوالدهما سلطان الاطرش، ولهذا قضى شباب الحزب اكثر من ستة اشهر قيد الاعتقال اذكر منهم: المحامي خليل الكلاس، المحامي محمد عطورة، المحامي سعد الدين الخاني الاستاذين علي عدي واحسان الحصني، علاء الدين الحريري، هاني مراد آغا، عوض التركاوي وعدد كبير من شباب الحزب ومن الجدير بالذكر ان الشيشكلي اجتمع بهم بعد اطلاق سراحهم فقبلهم بادي التأثر وقال لهم:

انني خبرتكم كأصدقاء ورفاق، وخبرتكم كخصوم، وانني اشهد بأنكم من أشرف الشباب الذين انجبتهم هذه البلاد.

لم يكن اديب الشيشكلي يخشى بعد خروجنا من لبنان معارضة حزبي الشعب والوطني، بل كان يراها مفيدة لأنها تظهره رجلا ديموقراطيا تقدميا، لذلك افسح لهم حرية المعارضة بعد اعلان الدستور، فتقدموا اليه بمذكرة بتاريخ 1953/6/20 سمح لهم بنشرها في جريدة السوري الجديد التي يصدرها في حمص فيضي الاتاسي والتي تنطق بلسان هاشم الاتاسي وحزب الشعب، وقد تمكن قادة هذين الحزبين من التحالف مع حزب البعث الاشتراكي، اذ لم نتمكن ونحن في روما حيث تصلنا الاخبار متأخرة ان نشترك مع القيادة بتقرير سياسة الحزب ورسم استراتيجيته، وهكذا اشترك حزب البعث في المؤتمر الوطني الذي انعقد في حمص بتاريخ 53/7/4 وقد افتتح المؤتمر الرئيس هاشم

الاتاسي مرحبا بالمؤتمرين الوافدين من دمشق وحماة وحلب واللاذقية قائلا:

"ان هذه الاوضاع اذهلت الشعب اول وهلة وأسلمته الى الهواجس والمخاوف وقد اراد المسؤول عنها ان يلبسها ثوب المشروعية، وان يحمل البلاد على ان تبرىء ذمته من جميع اعماله وتصرفاته، وتقر له دستورا يجمع بين يديه من السلطات ما لم يشهد العالم المتمدن أن اجتمع مثلها لحاكم، وحيال هذا الواقع كان طبيعيا ان تتنادوا للاجتماع والتشاور، ولا بأس بظروف الدهر اذا كانت تلقي الدروس والعبر وتكسب التجاريب وتجمع القلوب وتؤلف بين الجهود في سبيل اسعاد الوطن".

ثم تلي بعد ذلك كتاب قائد الثورة السورية سلطان الاطرش الذي حمله وفد جبل العرب وجاء فيه:

"لقد جاءت المذكرة الصادرة في 20-6-53 والتي نسميها بحق مذكرة البلاد معبرة عما تكنه طوايا كل فرد من افراد الشعب، وكنا نود ان تجد هذه المذكرة نتيجة مباشرة سريعة عند متولي السلطة الحالية فيراعوا الحالة المؤسفة التي آلت اليها حال البلاد وليقفوا عند هذا الحد من الاعمال غير الدستورية والتصرفات غير المشروعة" وجاء في الكتاب:

"اننا ننتدب اخا الجهاد ابا احمد يوسف العيسمي وأبا يوسف حسين مرشد وفضل الله جربوع لينوبوا عنا بابداء وجهة نظرنا، واننا نبارك هذا المؤتمر راجين ان يوفق الاخوان في تحقيق اماني البلاد واعادة الحريات والحياة الدستورية الصحيحة".

وقد اقترح الرئيس هاشم الاتاسي بعد المداولة تأليف لجنة لدرس مشروع بيان يصدر باسم المؤتمر الوطني، فتألفت من السادة احسان الجابري - رشدي الكيخيا - بدوي الجبل - حسني البرازي - جلال السيد - محمد المبارك - منير العجلاني - شاكر العاص - نديم الموصلي - فيضي الاتاسي.

وفيما يلي بعض ما ورد في هذا البيان:

"في ظل الاوضاع التي اتخذت من سجن المزة ومن ضروب الاضطهاد وفنون الجور والاعتساف آلة ووسيلة لاستمرار بقائها، أعلن المسؤول عن تلك الاوضاع عزيمته على وضع دستور جديد للبلاد يمنح لفرد واحد من السلطات ما لم يتوافر مثلها لملك مطلق من ملوك القرون الوسطى" "ومنذ ان قدم بيان رجالات الوطن الى ذلك المسؤول كان الامل معقودا ان يلقى لديه الاذن التي تسمع والقلب الذي يعي والفكر الذي يقدر كما جاء في صدر ذلك البيان وختامه، ولكن سرعان ما خاب الامل، فقد بقي سادرا في تحقيق ما سماه دستورا واستفتاء واننا حيال اصراره وامعانه لا نرى بدا من ان نتقدم الى الشعب الكريم بهذا البيان:

"ان الاوضاع التي عانيتها وخبرتها يريد صاحبها ان يجعلها مشروعة بما يعرض عليك من دستور واستفتاء فهل ترضى بذلك؟ واما تلويح المسؤول عن اباحة الحريات بمناسبة اعلان دستوره فكلام مجرد لا يركن اليه ما دامت جميع السلطات على الاطلاق من استثنائية وغير استثنائية مجتمعة كلها في قبضته ليتصرف بها كيف شاء"

"انه لا سبيل الى اطمئنان المواطنين الى حرياتهم الا بأن يتخلى ذلك المسؤول عما بيده من أسباب السلطة والحكم، تلك السلطات التي لا حد لها والتي اجتماعها بيده مع ترشيحه نفسه يشكل اخلالا كليا بسلامة التصويت التي تحتاط لها جميع الدساتير وقوانين الانتخاب، وليس أدل عليها من سابقة الجنرال ايزنهاور واستقالته من منصبه العسكري قبل الانتخاب بستة اشهر..

"ايها الشعب ليس هذا النداء نداء رجل بعينه او جماعة او حزب، لا جماعة ولا حزبية اليوم امام البلاء العام والخطب الشامل، وانما هو نداء امة صهرتها تباريح الالم والف بين ابنائها خوف المصير.

ايها الشعب: ان دساتير الامم هي ثمرة جهادها ونضالها وسجل حرياتها وكراماتها وعنوان ذخائرها ومفاخرها، والدساتير الحرة يكون ميلادها في جو حر طليق واما تلك التي تدبر في ظلام الدواوين وفي جو خانق من الحكم البوليسي والارهاب فلن تكون الا سجل الرق وسفر العبودية لامة كريمة عرفت قيمة الحرية وعرفت الدنيا عنها تمسكها بها"

وقد وقع هذا البيان المؤتمرون وكلهم من أقطاب الحزب الوطني والشعب والمستقلين المعروفين بتأييدهم لمشروع الاتحاد مع العراق ومن اعضاء المجلس السابق الذي حله الشيشكلي، ووقعه باسم حزب البعث: خليل كلاس ومحمد عطورة من حماة ومن حمص منير عامودي وفوزي الصفوة وجلال السيد عن دير الزور وعبد الفتاح الزلط عن حلب، وعبد الرحمن المارديني ومدحت البيطار عن دمشق.

□

وفي تاريخ 19 - 7- 53 الف الشيشكلي الوزارة على النحو التالي:

خليل مردم وزيرا للخارجية

فتح الله اسيون وزيرا للاشغال العامة والمواصلات.

نوري ايبش وزيرا للداخلية

عبد الرحمن هنيدي وزيرا للزراعة

نظمي القباني وزيرا للصحة والاسعاف العام

اللواء رفعت خانكان وزيرا للدفاع الوطني

جورج شاهين وزيرا للعدلية

عوني الجابري وزيرا للاقتصاد الوطني

اسعد محاسن وزيرا للعدل

انور ابراهيم باشا وزيرا للمعارف

ثم اتبعها بسلسلة من المراسيم التي شكلت الاجهزة المعروفة في الانظمة الرئاسية، ثم اصدر بتاريخ 20-7-53 مرسوما بمنح عفو عام عن جميع الجرائم الواقعة على امن الدولة الداخلي والتي ارتكبت منذ تاريخ 29-11-51 حتى نهاية 10-7-1953، ثم اصدر في 30-7-53 قانون الانتخابات النيابية الجديد وقد منح هذا

القانون المرأة حق ترشيح نفسها للنيابة، وحدد تاريخ 9-10-53 موعدا لاجراء الانتخابات النيابية.

□

اخذت المعارضة لنظام الشيشكلي يتسع نطاقها ويشتد ازرها في البلاد، فتألفت جبهة وطنية عريضة جمعت معظم الذين ترددوا سابقا من الحزبين الوطني والشعب والمستقلين في الاشتراك بالمؤتمر الوطني وتوقيع البيان الاول ولا سيما ان الشيشكلي لم يتخذ اي اجراء زجري، وأصبح الاجتماع الاول في حمص منطلقا لتأسيس الجبهة الوطنية واعلان ميثاقها بتاريخ 17 ايلول 1953 اي قبل اجراء الانتخابات النيابية العامة في سورية وقد وقعه معظم سياسيي البلاد كما وقعه عن البعث معظم قيادات الحزب آنذاك:

احسان حصني - أديب النحوي - جلال السيد - خليل الكلاس - رياض المالكي - شاكر الفحام - عبد الرحمن مارديني - سعد الدين الخاني - عبد الحليم قدور - علي عدي - عبد البرعيون السود - عبد الفتاح زلط - فوزي الصفوة - مدحت البيطار - محمد سعيد ابو كف - محمد عطورة - محمد السيد - ناظم الصقال - الدكتور وهيب الغانم...

وقد توج هاشم الاتاسي الميثاق بالكلمة التالية:

"انني اطلعت على الميثاق الذي وقعه رجال الوطنية واصحاب الرأي في البلاد وتعاهدوا على العمل لاقامة حكم الديموقراطية والشورى في ظل الحريات العامة" ثم اعلن تأييده المطلق لقيام الجبهة الوطنية، كما اعلن سلطان باشا الاطرش تأييده للجبهة والميثاق، اما بنود الميثاق الوطني فهي:

1- شجب الحكم الفردي وعدم الاعتراف به واعتبار ما يصدر عنه غير ملزم للبلاد.
2- اقامة اوضاع ديموقراطية دستورية جمهورية نيابية في البلاد تنبثق عن انتخابات صحيحة حرة.

3- اطلاق الحريات العامة وضمانها بحيث يشعر كل فرد من ابناء البلاد انه في حمى القانون.

4- حماية الاستقلال والسيادة القومية من المؤامرات الداخلية والخارجية.

ب- الجيش ملك الامة وواجبها تقويته واعداده للقيام بمهمته المقدسة المنحصرة بالدفاع عن حدود البلد وسلامته... وجاء في ختام البيان:

وفي سبيل الشروع في تحقيق مبادىء هذا الميثاق يعلن موقعوه انهم يقاطعون انتخابات يوم 9-10-53 وانه رغبة منهم في تنظيم العمل القومي وتوجيه الشعب التوجيه الصحيح المستمر فقد ألفوا لجنة مركزية للعمل على تحقيق بنود هذا الميثاق وهم يرجون ان يكتب للشعب بفضل اتحاده ونضاله المشروع الخلاص من محنته والظفر بحقه وحريته وكرامته".

كان رد الشيشكلي على تأليف الجبهة الوطنية اصدار مرسوم تشريعي اسماه قانون تأليف الاحزاب والجمعيات ليجعل من الاحزاب الثلاثة الموقعة على الميثاق احزابا غير شرعية لانها غير مرخصة قانونا، وهذا ما جرى فعلا اذ انها لم تتقدم بطلب الترخيص القانوني فأصبحت حركة التحرير العربي والحزب السوري القومي الحزبين المرخصين قانونا.

جرى الاستفتاء على الدستور وانتخاب الشيشكلي في جو من الرفض والمقاطعة شمل معظم المدن السورية وكانت نسبة المقترعين ضئيلة ولكن حسب العادة في الاستفتاءات التي تجريها الانظمة العسكرية الديكتاتورية فقد اعلن فوزي سلو ان نسبة الاصوات التي حازها الشيشكلي بلغت اكثر من 90%، ولذلك قرر مجلس الوزراء:

1- ان الشعب السوري قد أقر مشروع الدستور واصبح نافذا فور اعلان هذا القرار.

2- ان الشعب السوري قد انتخب فخامة الزعيم اديب الشيشكلي لرئاسة الجمهورية.

الانكليز يمهدون لاستغلال سقوط نظام الشيشكلي

اذاعت بغداد ان الدكتور فاضل الجمالي قد الف حكومته التي تضم عددا كبيرا من الشباب المثقف، وقدمته اجهزة الاعلام كمصلح كبير وكخصم للشيوعية، ووعد الجمالي انه سيلغي الاحكام العسكرية، وسيسمح بتأليف الاحزاب السياسية، وسيعمل على تأمين الحريات الديموقراطية. وكان هدف السياسة البريطانية، بواسطة هذه الوزارة اقامة انسجام بينها وبين الوضع الجديد في سورية حتى تستطيع استغلاله عندما ينهار نظام الشيشكلي لتعود الى مشاريعها الاستعمارية السابقة، ففي تاريخ 1954/1/9 عقد فاضل الجمالي مؤتمرا صحافيا قال فيه:

"ان دعوة العراق للاتحاد تحمل في طياتها هدما للكثير من الاراء والنظريات القائمة التي تقف حجر عثرة في سبيل الاتحاد، وان الغاية منها هي التفاهم على اسلوب تدريجي يبدأ بين دولتين فأكثر ثم تنضم اليهما بقية الدول العربية، وان هذا الاتحاد هو لخير الشعوب لا لمصالح خاصة عائلية او لزعامات معينة".

اسرائيل تستغل الاوضاع في سورية

كنا نقرأ في الصحف المصرية التي كانت تصل بانتظام الى روما، كما كنا نقرأ في بعض الصحف السورية التي كان رفاقنا يرسلونها الينا انباء تحويل نهر الاردن، فقد صرح الجنرال (بينيكة) كبير المراقبين الدوليين بتاريخ 19-9-53 ان سورية قدمت مذكرة احتجاج على محاولات اسرائيل لتحويل نهر الاردن، وانه اذا فشل في حل المسألة بين الفريقين محليا فسيرفع تقريرا الى الامم المتحدة، وذكر ان سورية احتجت على وجود قوات يهودية داخل المنطقة المجردة اكثر من العدد المصرح به، كما هدد شاريت وزير خارجية اسرائيل:

"ان اية محاولة لشن حرب جديدة على اسرائيل، ستحلنا تماما من الاتفاق مع المملكة الاردنية وتضع النهاية لذلك القسم من

الاردن الواقع غربي نهر الاردن، وبدون ذلك القسم يصبح الاردن كدولة مستقلة في وضع لا يمكنه من الدفاع عن نفسه وبذلك تصفى المملكة الاردنية بأسرها" وأظهر شاريت استعداده لعقد مؤتمر اقليمي مع سورية والاردن ولبنان لبحث استغلال الانهر المشتركة وقال: "ما دام العرب يرفضون ذلك فمن حق اسرائيل ان تواصل العمل في النهر الذي يجري في اراضيها دون اي اعتبار لحاجات الدول الاخرى".

وعندما توالت المناوشات وتصريحات الناطق العسكري بشأن عدوان اسرائيل على مياه الاردن اصدر كبير المراقبين الجنرال بينكة قرارا بتاريخ 23 ايلول 1953 اعترف فيه بوجاهة الاعتراضات السورية وطالب الاسرائيليين بوقف العمل في المنطقة المجردة الوسطى وقفا تاما.

كانت ادارة الرئيس ايزنهاور تشعر بأهمية هذا الموضوع وانعكاس آثاره على الوضع العربي بما لا يتفق مع مخططها في دعم النظم العسكرية في المنطقة العربية ولذلك ابلغت الولايات المتحدة اسرائيل انها لا توافق على تحويل مجرى الاردن بالقوة فبدأت اسرائيل بتنفيذ مشروعها خارج الارض الحرام اي في داخل الاراضي الواقعة تحت سيطرتها ثم تولت الولايات المتحدة بنفسها حل هذه القضية بالطرق السياسية لمصلحة اسرائيل، فأرسلت في اواخر تشرين الثاني 1953 المبعوث الاميركي جونستون يحمل للدول العربية المعنية المشروع المعروف باسمه والذي ستمر تفاصيله فيما بعد...

□

في غضون ذلك اجرى الشيشكلي الانتخابات النيابية في موعدها وقد سمى بمرسوم صدر بتاريخ 13-10-53 النواب الفائزين وكان عددهم 82 نائبا، وقد ذكرت الرسائل التي وردتنا الى روما ان هذه الانتخابات جرت في جو من المقاطعة الشعبية ولم يشترك فيها من الاحزاب السياسية سوى الحزب الشيوعي

والحزب السوري القومي فسقط مرشحو هذين الحزبين بشكل مزر.

وبتاريخ 1953/10/24 عقد مجلس الشيشكلي اول اجتماعاته، حيث افتتحه بخطاب كما تقتضي الانظمة الرئاسية، ثم انتخب الدكتور مأمون الكزبري رئيسا للمجلس، ومما هو جدير بالذكر ان كثيرا من نواب هذا المجلس قد نجحوا بالتزكية كما جرى في حماة وكان من بينهم ابن اختي غالب الشيشكلي، وكان ذلك مقدمة للفتنة التي راح ضحيتها اخي واصل وابن اختي غالب خلال الاسبوع الذي اغتيل فيه العقيد عدنان المالكي عام 1955.

□

منذ اليوم الاول لعودتنا الى سورية اي منذ صباح يوم الخميس 53/11/19 بدأ اعضاء الحزب يفدون للسلام علينا، وقد شاع خبر وصولنا في جميع انحاء سورية بسرعة خاطفة... وفي اليوم التالي زارني وفد من حلب وبعض الاقضية الشمالية وعلى رأسهم قيادات الفروع في حلب وادلب واصبح المنزل غاصا بالوافدين.

كان ابراهيم الحسيني مدير الشرطة والامن العام يقطن مقابل منزلي فشوهد وهو يغادر منزله وعلامات الانزعاج بادية على وجهه، وبعد قليل قدمت قوات كبيرة تقدر بأكثر من مائة شرطي طوقت المنزل من كل جهاته ومنعت الدخول اليه، ثم حاول بعض ضباط الشرطة اقتحام المنزل بالقوة واعتقال الزوار فطردتهم وأغلقت الباب في وجوهم، وهنا ايقن الحاضرون بأن النية متجهة لالقاء القبض عليهم جميعا، فبدأوا بانشاء الاغاني الحماسية ورددوا عدة مرات النشيد الذي طالما رددته الجماهير السورية خلال الاستعمار الفرنسي وهو:

يا ظلام السجن خيم اننا نهوى الظلاما
ليس بعد الليل الا فجر مجد يتسامى

وقد دامت هذه الحال عدة ساعات تكاثرت فيها جموع الشعب حول منزلي تستمع الى الاناشيد وتشاهد الحصار المضروب.

واخيرا قرر المجتمعون ان يخرقوا الحصار، فصممت على الخروج معهم وقد تعمدت ذلك لاحرك الجو الساكن في دمشق، ولما خرجنا الى الشارع وشاهدني ضباط الشرطة فوجئوا فلم يحركوا ساكنا، والظاهر انه لم يكن لديهم امر باعتقالي، فمضينا في سيرنا حتى آخر شارع "ابي ذر الغفاري" حيث كنت اقطن، ويبدو ان الشرطة قد تلقت الامر بقمع المظاهرة والقاء القبض علينا جميعا فابتدأت المعركة بعد ان عززت الشرطة قواها بما ورد اليها من نجدات، واشتبكنا معها بالايدي والحجارة، فأسندت ظهري الى الحائط واخذت اضرب بقدمي كل شرطي يحاول الاقتراب مني فأصبت في هذه المعركة كما اصيب معظم رفاقنا بجروح وكدمات واخيرا، تمكن رجال الشرطة بعد ان تكاثر عددهم من القاء القبض على اكثر من عشرين شخصا من رفاقنا فاقتادونا جميعا الى سجن الشيخ حسن في حي الميدان.

كان سجن الشيخ حسن مخفرا استعمله الفرنسيون كسجن منذ ثورة 1925 وقد جدد الشيشكلي بناءه وجعله اكثر السجون سوء.

واذكر ان احد رفاقنا الجرحى قد طبع كفه الدامية على جدار الغرفة التي حجزنا فيها وهو يقول:

ها نحن اول من يدشن بالدماء هذا السجن..

اجتمع الينا بعد قليل ابراهيم الحسيني وبرفقته مساعده الضابط ادهم عدي لينقل الينا تحيات رئيس الجمهورية واعتذاره عما حدث فانفجرت في وجهه قائلا:

انني ارفض هذا الاعتذار لان عدوانكم علينا ومحاولة اقتحام منزلي والقاء القبض على ضيوفي لم يكن له ما يبرره.. وأضفت الى ذلك قارص الاتهام للنظام القائم فتحمل ابراهيم الحسيني

شتائمي دون ان يرد عليها وقال انه سيفرج عن رفاقنا فورا وأمر مرافقه ادهم عدي ان يوصلني الى منزلي وودعني وانصرف..

□

كانت اسرة ادهم عدي من دعامات الحركة الشعبية في مدينة حماة، وقد تمكن الشيشكلي بما منحه من صلاحيات وسلطان ان يجعله احد انصاره ومرافقيه الذين يعتمد عليهم، وقد رأيتها فرصة لتفجير كل ما بنفسي من نقمة على الشيشكلي فظل ادهم يستمع الى كئيبا حزينا ولم يحاول ان يدافع عن رئيسه بكلمة واحدة..

اثرت هذه المظاهرة الصغيرة والاصطدام مع الشرطة تأثيرا كبيرا في البلاد فشدت العزائم واستنهضت الهمم واعادت الثقة للنفوس واشاعت جوا نضاليا في الاوساط الشعبية والحزبية، وكانت شعبية الحزب وثقة الرأي العام به تزداد كما بدأت وحدة الحزب تترسخ وبدأ الرفاق ينصهرون بنار النضال التي اذابت كثيرا من التناقضات الشخصية والفكرية في الحزب.

الثورة في جبل العرب

لم نعقد اي اجتماع مباشر مع اركان الجبهة الوطنية لاختلافنا في الرأي حول هذه الجبهة، ولكن هذا لم يمنع اركان الجبهة من الاتصال بنا، وقد عقدت قيادة الحزب اجتماعا في منزلي حضره منصور الاطرش الذي افادنا ما خلاصته:

ان اركان الجبهة قرروا انطلاق الثورة المسلحة من جبل الدروز على ان تعم البلاد جميعها، وسيشترك رؤساء العشائر مع الجبل باشعال الثورة، وان العراق ابدى استعداده لدعم هذه الثورة بالمال والسلاح الرجال.

كان رأيي ان مثل هذه المحاولة هي انحراف خطير عن اهداف الحزب، لان نتائج هذه الثورة اذا قدر لها النجاح هي تسليم البلاد للطبقة الاقطاعية والعشائرية وتمكين الرجعية في العراق وسورية من تنفيذ مخططها، ويكون الحزب هو الضحية ويكون

الشعب هو الخاسر الوحيد والمهزوم في هذه المعركة، ولذلك لا يجوز بشكل من الاشكال ان نوافق على هذه الثورة المشبوهة مهما كانت المبررات ... وقد تبدى لي من جو النقاش ان الاستاذين كانا موافقين عليها.

لم تكن معارضتي وحدها كافية لاحباط ما يبيت للبلاد، فعمدت الى اجتماع منفرد مع منصور الاطرش وحدثته باخلاص وانا اعلم انه سينقل الحديث الى والده:

انني بحكم اتصالي الطويل بالجيش وضباطه ومعرفتي بأوضاعه، اقول لك ان مثل هذه الثورة ستعرض جبل العرب لكارثة وطنية وستأخذ شكلا طائفيا، ورويت له ما كنت اسمعه من بعض الضباط قبل وبعد انقلاب الشيشكلي وكيف ان الاجهزة المشبوهة تحاول ان تحقن الجيش بالطائفية البغيضة، وان ثورة الجبل ستكون الفرصة السانحة للاجهزة العميلة للانقضاض عليه مما يترك آثارا ضارة بالوحدة الوطنية التي جاهد الشعب في سبيلها ومهرها بالتضحيات والدماء، ثم تابعت قائلا:

ان الجبل سيبقى وحيدا في المعركة، وان الطبقة الاقطاعية ورؤساء العشائر عاجزون، وسوف لا يفون بتعهداتهم، ولا يهمهم كثيرا توريط جبل العرب ودفعه ليتحمل وحده اعباء الكارثة، وقد لمحت على وجه منصور علائم الاهتمام والخوف والثقة واستبشرت خيرا بأن يكون كلامي مؤثرا ومحبطا لما ينوي الاعداء من شر للقضية الوطنية... ثم ظهر لي بعد قليل ان هنالك تصميما لدفع البلاد على كل المستويات الى هذه الكارثة، فرأيت من المفيد ان انشر تصريحا انبه فيه الى خطورة مشروع الاتحاد مع العراق لأبريء فيه ساحة الحزب سلفا من عواقب هذه الفتنة... ودون ان استشير صلاح وميشيل لانهما سيرفضان ذلك رفضا قاطعا اتصلت بصاحب جريدة التربية في حلب (عبد السلام الكاملي) فأظهر استعداده لنشر التصريح الذي حملت فيه على الرجعية العربية وعلى مشاريع الاتحاد المشبوهة، فكان وقعه كالقنبلة على رؤوس اركان الجبهة، ولكنه كان بردا وسلاما على

قلوب الجماهير التي تركت دعايات الشيشكلي واشتراك الحزب في الجبهة بعض الشكوك في نفوسها.

كان وقع تصريحي مؤلما للاستاذين صلاح وميشيل فقاما بحملة عنيفة ضده واعتبراه خروجا على الانضباط الحزبي لانه لم يعرض عليهما قبل نشره، والقيا ظلالا من الشكوك حول اهدافه.

كان الحزب غائبا عما يجري في الخفاء ولم يكن باستطاعتي في تلك الظروف شرح الاسباب الحقيقية لهذا التصريح امام قيادات الحزب التي كانت على درجة عالية من الوعي والادراك فلم تؤخذ بأقوالهما رغم كل ما أثاراه من تحريض، فقد اعتبره الحزب مفيدا وموضحا لوجهة نظره وموقفه ولو اغضب اركان الجبهة.

وكان الحزب مقتنعا بأن عبء المعركة يقع على عاتقه وحده، وان الجبهة الوطنية لم تشاركه في نضاله، ولم تقدم في المعركة اي تضحيات، وان الضرورات السياسية هي التي ألجأته للاشتراك في الجبهة.

في تلك الفترة حاول صبري العسلي ان يعقد معنا اجتماعا باسم الجبهة ولكن هذا الاجتماع لم يتم بالنظر لموقفي المعارض، وكنت اقول:

ان ساحة النضال ضد الديكتاتورية مفتوحة امام الجميع، وان النزول الى هذه الساحة هو الذي يجمعنا مع الاخرين، وكنت اردد دائما:

انني لا ارى معاداة تلك الاحزاب الرجعية في ذلك الظرف العصيب ولكنني لست مجبرا على السير في ركابها.

□

في هذه الفترة اجريت اجتماعات عديدة مع الضباط الصغار، احدها كان في منزل محمد بشير رمضان (ابو حسن زعيم حزب يصطفلو، ذلك الشخص الشعبي الظريف الذي كان يتظاهر بعدم الاهتمام

بالشؤون السياسية) مع الضابطين كنعان حديد وعدنان حمدون، وكانا في القطعات العسكرية التي تعمل في جبل العرب، وحذرتهما مما قد يحدث في هذه المنطقة، وقلت لهما من المحتمل كثيرا ان الشيشكلي يتربص بها وانه ينتظر اقل تحرك ليبرر بطشه وتنكيله، وطلبت منهما ان يكونا مع اخوانهما على استعداد للوقوف في وجهه.

وكان الضابط مصطفى حمدون قد زارني قبل ذلك علانية في منزلي عدة مرات رغم نصحي له بأن مثل هذه الزيارات ستجر عليه نقمة الشيشكلي، ولم يعد بعد هذه الزيارات العلنية اي مبرر لاجتماعي به بشكل سري، بل رأيت من المفيد بعدها ان يكون اجتماعي به طبيعيا فتناولنا طعام العشاء في مطعم البرج الفضي فكان ذلك العشاء سببا في نقمة الشيشكلي عليه، اذ انه استدعي في صباح اليوم التالي من قبل عبد الحميد السراج رئيس الشعبة الاولى، وكان مصطفى معاونا له حيث سأله ان يختار لنفسه المكان الذي سينقل اليه فأجابه مصطفى مازحا:

المكان الذي يريده "معلمك" وكانت النتيجة ان نقل الى حلب آمرا لسرية مشاة في الفوج الرابع، وكان نقل حمدون الى حلب احد الاسباب التي ادت الى الاطاحة بأديب الشيشكلي.

ولا بد لي هنا من القول ان مصطفى حمدون عندما عين معاونا للسراج كان غرض هذا الاخير ان يحتويه ويستجره بالحاح من اديب ومتابعة منه، ولكن هذه المحاولة فشلت وكان مصطفى يتوقع ردود فعل من اديب الشيشكلي ضده حتى قبل سهرتنا معا.

لم تقتصر احاديثي على هؤلاء الضباط الصغار، بل كنت باستمرار أنبه القيادات السياسية والقواعد الحزبية الى ما يمكن ان يبيت لجبل العرب وضرورة احباطه، وكنت استنهض بصورة خاصة همم الشباب في حماة ليقفوا مع جبل العرب تجاه كل عدوان يقع عليه مثل ذلك الموقف الوفي الذي وقفته حماة اثر

اشـتعال الثـورة فـي جبـل العـرب عـام 1925 ممـا كـان سـببا فـي انتشار الثورة الى انحاء سورية الاخرى.

الاضرابات الطلابية تشمل المدن السورية

انفجرت الاضرابات الطلابية مجددا لسبب لا يخطر على بال، كما تحدث الانفجارات الكبرى في سورية عادة بعد ان تكون النقمة قد تراكمت واصبح حادث بسيط كافيا لاندلاعها.

فقد قام معهد حلب العلمي (الكليـة الاميركيـة) بتـاريخ 53/12/10 بتمثيل رواية، وخـلال الحفلـة صـدرت بعـض الهتافـات التـي تحيـي الولايات المتحدة، فحدث اشتباك ادى الـى جـرح احـد المـدعويين، وفـي اليـوم الثـاني اضـربت جميـع المـدارس فـي حلـب وانتقـل الاضراب الى الجامعة السورية والى جميع المـدارس فـي سـورية، واستمر هذا الاضراب اياما تخللها اشتباكات عنيفـة ولا سـيما فـي الجامعة السورية، وقاد الحـزب هـذا الاضـراب الطلابـي العـام، ممـا اضـطر وزيـر المعـارف لتوجيـه تهديـد الـى الطـلاب يشـير فيـه الـى التدابير الشديدة التي سـيتخذها بحـق المحرضـين، ويقصـد بـذلك حزب البعث العربي الاشتراكي.

كما توجـه ابـراهيم الحسـيني مـدير الشـرطة والامـن العـام ببيان مماثل دعـا فيـه الطـلاب "الـى الابتعـاد عـن عناصـر الشـغب والفوضى التي تسربت الى صـفوف الطـلاب واحتمـت بـين جـدران المعاهـد المقدسـة لتحقيـق اهـدافها الفوضـوية والانتهازيـة، واقتحمت المستشفيات ودور المعلمات ومدارس الطالبات".

الشيشكلي يفاوض.

زارني الضابط المتقاعد حسن مهنا وقال انه موفـد مـن قبـل الشيشكلي للاتفاق معنا فعقدت القيـادة معـه اجتماعـا فـي احـد مقاهي حي المهاجرين.

قال الضابط حسن مهنا دون مقدمات طويلة:

ان الشيشـكلي مسـتعد لحـل المجلـس والغـاء الدسـتور واعـادة الحيـاة الديموقراطيـة الشـرعية علـى ان يبقـى رئيسـا

للجمهورية، فانتظرت رد الاستاذين فأجاباه بدون تردد: انه لا سبيل للاتفاق مع الشيشكلي وانه يجب ان يغادر البلاد.

كان خلافنا مع الشيشكلي قد أصبح منحصرا في امرين اثنين: الديموقراطية وقضية الفلاحين، ولم يكن الخلاف على منصب رئاسة الجمهورية، ولو قبل الاستاذان بعرض الشيشكلي لوافقتهما، ولكنني خشيت ان انفرد بالموافقة فتنفصم وحدة الحزب في الوقت الذي لا توجد فيه اية ضمانة لعدم نكث الشيشكلي، وقد يكون عرضه تكتيكا لتمزيق وحدة الحزب والقضاء عليه، وعندها لا ينفع الندم، وكان الانفراد مغامرة لا يمكنني ان اتحمل مسؤوليتها، وقد كان الامر يختلف كثيرا فيما لو قبل الاستاذان بهذا العرض لان نكث الشيشكلي بعهوده ينقلب عندئذ عليه ولا يضيرنا على الاطلاق، وهكذا اخفقت تلك المحاولة التي كانت منعطفا في تاريخ سورية لو قدر لها النجاح.

□

في هذه الفترة اصبحت غائبا تماما عما يفعله اركان الجبهة في الخفاء، وفي صبيحة يوم السابع والعشرين من كانون الثاني 1954 داهمت منزلي ثلة مسلحة من الشرطة العسكرية تحمل امرا باعتقالي فادخلتهم الى غرفة الضيوف ريثما البس ثيابي واعد حوائجي، وخلال ذلك خطرت لي فكرة الهرب وكان ذلك متيسرا من باب غير معروف يؤدي الى بيت الجيران ومنه الى شارع آخر ولكن ترددي لم يطل اذ قلت في نفسي:

ان هذا الاعتقال لن يقتصر علي وحدي ورأيت انه من الاجدى ان اشارك رفاقي السجن، وان هذا الاعتقال سيكون فاضحا جديدا للحكم ولارهابه، وسيساهم في اثارة الرأي العام، ودهشت لرعونة الشيشكلي وغبائه في تصرفه هذا.

اوصلتني السيارة الى مخفر الشيخ حسن وبعد التفتيش الدقيق اخذوا كل ما في جيوبي وادخلوني الى زنزانة ليس لها اي نافذة، وهي في حقيقتها بيت خلاء تجري فيها المياه الملوثة بشكل دائم، وعند دخولي الى هذه الزنزانة اعتقدت بأن

الشيشكلي ينوي تصفيتنا جسديا فعزمت على ان اقضي الوقت بالنوم كما تقضي شتاءها الحيوانات ذوات الدم البارد، وهكذا تقوقعت على نفسي فوق المصطبة الضيقة ووضعت معطفي فوق رأسي وحاولت ممارسة رياضة النوم وتوقيف الحياة، وقد قضيت اليوم الاول بطوله ساكنا متجمدا بجسمي وفكري وحسي، ولا اذكر انه قدم لي طعام، ولو قدم لعافته نفسي، ولم اكن اخشى على نفسي عدم الاحتمال، ولكنني كنت اخشى على جسمي من العطب لان البرد ورطوبة المكان كانا فوق الاحتمال.

كنت بين فترة واخرى اسمع وقع اقدام وفتح ابواب واغلاقها، وأنا اجهل ما يحدث في العالم الخارجي ولكنني قدرت ان هنالك اعتقالات كثيرة، وعندما حل الليل فتح باب الزنزانة وطلب إلي الخروج الى سيارة وجدت فيها فيضي الاتاسي ورشدي الكيخيا وعدنان الاتاسي وعددا من المعتقلين فجلسنا صامتين ودون ان نعرف الى اين تنطلق بنا السيارة، حتى توقفت امام المستشفى العسكري في المزة، فأدخلونا اليه حيث وزعونا على جناح الامراض السارية وكان نصيبي غرفة بثلاثة اسرة تقاسمتها مع ميشيل عفلق وفيضي الاتاسي.

ولما لجأت الى السرير وكشفت اللحاف ظهرت لي آثار دماء المرضى والمصدورين فنمت نوما قلقا رغم تعبي الشديد.

في اليوم التالي تبدلت المعاملة، فغيروا الفراش وأتوا بآخر نظيف وسمحوا لنا بالسير في الممر، ثم بالتنفس في حديقة الجناح الصغيرة.

كان معنا في هذا الجناح من اركان الجبهة الوطنية:

فيضي الاتاسي، عدنان الاتاسي، صبري العسلي، رشدي الكيخيا، احمد قنبر، ميخائيل ليان، ظافر القاسمي، شاكر العاص، كما كان فيه صلاح البيطار وميشيل عفلق، وفي اليوم الثاني انضم الينا احسان الجابري ثم نقل الى جناح آخر من المستشفى، وبعد ايام جيئ بحسن الاطرش الذي كان مضطربا وقال لي سرا:

يجب علينا ان نهرب، فسألته عن الوسيلة، فقال لي يمكن تدبير الامر، فقلت له: انني غير مستعد للهرب، وقد استرعى انتباهي شدة قلقه واضطرابه وهو المعروف بشجاعته.

حياتنا في سجن المزة.

سمح لنا خلال سجننا بالكتب والدخان من الخارج، وقد تمكن المعتقلون الاخرون - عن طريق رشوة الحرس - من الحصول على كل ما يريدونه من خارج السجن، وكانت تسليتهم لعب الورق، وهكذا انتقل نادي الشرق بمآكله وشرابه وقماره الى هذا السجن، ولم يخل لعب الورق من بعض المشادات المضحكة بين عدنان الاتاسي واللاعبين الاخرين، وكان رشدي الكيخيا يتسلى بالورق لاكتشاف الطالع.

اما نحن الثلاثة فكنا نقضي معظم وقتنا بالقراءة، ومنذ اليوم الاول الى يوم خروجنا من الاعتقال، كان صلاح وميشيل يعتبران نفسيهما منفصلين عني، وكانت الاحاديث السرية تجري بينهم وبين المعتقلين الاخرين، كما كان المعتقلون وهم اطراف الجبهة يعتبرونني شخصا غريبا عنهم.

وقد قال لي صبري العسلي بعد سنين:

ان صلاح وميشيل كانا يصرحان لهم بأن تعاونهما معي انما هو تعاون عابر، وان البعث هو حزب مستقل عن العربي الاشتراكي.

وفعلا فقد كنت اشعر بالغربة بين هؤلاء جميعا فلم احضر احاديثهم السرية، وكنت اجهل جهلا تاما ما يجري خارج السجن، بينما كانوا على اتصال منظم ومراسلات مستمرة مع الخارج.

تطور الاحداث العربية والدولية خلال اعتقالنا:

تحويل نهر الاردن

قدمت الحكومة السورية شكرها للاتحاد السوفيتي على تأييدها لشكواها في مجلس الامن ضد اسرائيل حول تحويل مجرى نهر الاردن، وقد اعلن الوزير المفوض السوفيتي في دمشق:

"ان روسيا قد اتخذت هذا الموقف ليس انتصارا للعدالة والحق فحسب، بل تمشيا مع سياستها لتعزيز التعاون الودي مع البلاد العربية تنفيذا لما ورد في خطاب السيد مالنكوف رئيس الوزراء السوفيتي الذي القاه في المجلس السوفيتي الاعلى في تموز 1953، والذي جاء فيه ان نشاط الحكومة السوفيتية سيتجه الى تعزيز التعاون الودي مع الدول العربية".

ولم تكن المرة الاولى التي يؤيد فيها الاتحاد السوفيتي القضايا العربية التحررية في هيئة الامم المتحدة، ولكنها كانت المرة الاولى التي يؤيد فيها الحق العربي تجاه مطامع اسرائيل التوسعية.

وقد كان لتأكيد دعم الاتحاد السوفيتي للعرب في صراعهم مع اسرائيل الاثر الهام في قيام الصداقة العربية مع الاتحاد السوفيتي على اساس راسخ.

وفي تاريخ 1954/1/30 القى السيد اريك جونستون كلمة خلال المؤتمر السنوي لجمعية اصدقاء الشرق الاوسط، شرح فيها تفاصيل مشروعه لاستغلال المياه بصورة مشتركة بين اسرائيل وسورية والاردن ولبنان وجاء في هذه الكلمة:

"ان الاردن نهر دولي، وان الجو السياسي في الشرق الاوسط يجعل تطوير الانهار على اساس دولي امرا ملحا، اما الجهود الفردية للسيطرة على النهر فمن السهل ان تؤدي الى النزاع العلني، وما لم يرسم مشروع للانماء مقبول لدى كل من الاردن وسورية ولبنان واسرائيل فان الموقف يتطور على الفور الى حالة يستولي فيها على الماء من يستطيع أخذه وقال ايضا:

"انه ازال كل عنصر سياسي من المشروع، فافترض قاعدة لمشروع موحد تمكن من تفادي عقد اتفاقات بين الدول المعنية، وتنص هذه القاعدة على ان تقبل كل دولة من الدول الاربع بالمشروع على انفراد بواسطة بيانات قبول تقدمها الى الامم المتحدة أو لاي هيئة حيادية اخرى، وانه اقترح ان تشرف على شبكة مياه الاردن سلطة كمجلس، او كمندوب سام، او اي واسطة اخرى تضمن توزيع المياه" وقال:

"ان جوهر الموضوع يتضمن خزن مياه الري بأسفل الوادي في بحيرة طبريا، كما يتضمن اقامة خزانين للمياه ولتوليد الكهرباء، احدهما على نهر

الحاصباني في لبنان والاخر على نهر اليرموك في الاردن، وتوفر هذه الشبكة في العام 426 مليون متر مكعب من المياه لاسرائيل وحوالي 829 مليون متر مكعب للاردن وحوالي 50 مليون لسورية، ويمكن توليد حوالي 38 الف كيلو واط من الكهرباء من محطة اخرى تقام بالقرب من تل حي باسرائيل" ثم قال:

"أما ان تكون اسرائيل قانعة بال 426 مليون متر مكعب من مياه نهر الاردن المخصصة لها بموجب دراسة ادارة وادي تنيسي او الاردن بال 829 مليون م3 او سوريا بال 50 مليون م3 فأمور سنقف عليها في المستقبل، وهل ستجد هذه الدول من الممكن قبول فكرة الخزن المركزية لمياه الوادي في بحيرة طبريا تحت تصرف نوع من انواع الاشراف الدولي فأمر لا يزال يشكل علامة استفهام كبيرة، وهل يوافق لبنان على انشاء خزان على الحاصباني او الاردن وعل تحويل مياه اليرموك فمسألتان لا تزالان بحاجة الى تقرير، ولكن هذه المسائل كلها عرضت على الاقل وهي مبسوطة للدرس وان لم يكن احد من الحكومات المعنية قد قال نعم حتى الان كما ان احدا لم يقل لا".

وفيما يتعلق بالقضايا البترولية فقد استفحل الخلاف في هذه الفترة بين سورية وشركة نفط العراق حول انشاء مصفاة بترول لحساب سورية، حيث ان الاتفاقية مع الشركة كانت توجب عليها انشاء مصفاة في حمص لحساب سورية، الامر الذي لم تنفذه الشركة ولم تتقيد به وفي هذه الفترة ايضا قدم وزير سورية المفوض لدى حكومة المانيا الغربية باسم سورية والحكومات العربية احتجاجا الى وزراء خارجية الولايات المتحدة وفرنسا وانكلترا والاتحاد السوفيتي حول التعويضات التي خصصتها المانيا لاسرائيل، وجاء في احتجاجه ان هذه التعويضات تهدد السلام في الشرق كما تهدد السلامة العربية.

الاحلاف ومشاريع الاتحاد

كان نوري السعيد وفاضل الجمالي يلعبان لعبة مزدوجة، فمن جهة كانا يعملان للاتحاد بين سورية والعراق، ومن جهة كانا يعملان لتهيئة العراق للانضمام مع ايران لحلف باكستان - تركيا، وبعد ان اعلن ارتياحه لقيام هذا الحلف ولانضمام العراق اليه اضطر الى القول بعد ان واجه معارضة عنيفة من البرلمان العراقي - ان

العراق لم يفكر بهذا الموضوع الان واذا وجدت فكرة او مصلحة في المستقبل للانضمام اليه فان الحكومة ستتقدم بذلك الى المجلس.. وقد وصفت صحافية فرنسية حلف باكستان انقرة وصفا طريفا، اذ شبهته بحبل مد بين أبعد عاصمتين في الشرق، بين انقرة وكراتشي لاغراء ما بينهما من البلاد الاخرى للامساك به، وبذلك يتم انشاء حلف دفاعي اقليمي جديد يكون امتدادا لميثاق الاطلسي نحو الشرق ليسد الثغرة في حلف الدفاع الغربي الذي طالما دعت لندن وواشنطن لسدها عن طريق مشاريع سمي بعضها بمنظمة الدفاع عن الشرق الاوسط وسمي غيرها قيادة الشرق الاوسط الخ..."

كان الرد السوري عنيفا على مشروع الجمالي الاتحادي، كما كان موقف مصر وسوريا موحدا تجاهه وتجاه سياسة الاحلاف، وقد شجب مجلس الشيشكلي في الجلسة التي عقدها بتاريخ 10 شباط مشروع الجمالي، كما حمل على النظام في العراق والقت الحكومة بيانا في هذه الجلسة جاء فيه:

"اما ما يتعلق بما سمي بمشروع الاتحاد الذي قدمته الحكومة العراقية الى جامعة الدول العربية في اجتماعها الاخير فلا يخرج بحد ذاته عن تمنيات مجردة، لذلك قوبل المشروع من قبل ممثلي جميع الدول العربية بكثير من الفتور والتساؤل مما حمل الوفد العراقي نفسه على عدم الاصرار على طرحه للبحث والمناقشة"

كما جاء في البيان ايضا:

"ان الحكومة السورية كانت ولا تزال شديدة الحرص على تأييد كل مشروع عملي يهدف الى تحقيق الوحدة في وطن عربي موحد طليق من ربقة المعاهدات المجحفة".

ثم حمل البيان على الحكم في العراق للاسباب الاتية:

1- لجوء بعض المجرمين العاديين الى العراق فلم تعتبرهم الحكومة العراقية لاجئين فحسب، وانما سمحت لهم ببذل نشاط هدام ضار بالمصالح العربية بصورة عامة والسورية بصورة خاصة.

2- امعان صحف الحكومة العراقية بالدعاية ضد سورية، ومهاجمة حكومتها وعدم تورعها عن تناول شخص رئيس الجمهورية.

3- تجاوز الملحق العسكري غازي الداغستاني صلاحياته وقيامه بتصرفات لا يمكن ان تفيد الا اعداء البلدين الشقيقين، وقد اضطرت السلطات السورية ان توجه اليه انذارا بمغادرة الاراضي السورية وقد انذرت حكومة بغداد الملحق العسكري السوري كتدبير مقابل".

تطور الاوضاع الداخلية بعد الاعتقال

أذاعت الصحف نبأ اعتقالنا بشكل هامشي جانبي كالاتي:

"اعتقلت السلطات المحلية بتاريخ 27/ ك1954/2 بعض اعضاء الاحزاب بسبب نشاطهم الحزبي غير المشروع، وبوصفهم ينتمون الى احزاب منحلة غير مرخصة قانونا، ولانهم قاموا باثارة الشغب وتحريض الطلاب على تعطيل الحياة الدراسية وسيحالون الى المحاكمة".

وفي تاريخ 29 كانون ثاني اذاع الشيشكلي بيانا مطولا جاء في ختامه: استغل اولئك الهدامون عودة الحياة الدستورية والحريات التي كفلها الدستور لمحاربة الوضع الدستوري القائم في البلاد، وتمادوا باستغلال المبادىء الديموقراطية التي اتخذها العهد الجديد شرعة له، فأخذوا يمارسون النشاط السياسي باسم احزاب منحلة، ويعقدون اجتماعات غير مرخص بها، ويصدرون النشرات السرية وعليها تواقيعهم الصريحة، داعين بها الشعب الى الفتنة مستغلين وطنية الطلاب لتعطيل الحياة الدراسية مما اضطرنا الى اتخاذ اجراءات سريعة لصيانة سلامة البلاد، فأعلنت الادارة العرفية في بعض المناطق واستلم الجيش زمام الامن فيها واعتقل عدد من المسؤولين عن هذه الاعمال التخريبية وسيحالون الى القضاء.

وفي تاريخ 30/ك1954/2 اذاعت مديرية الدعاية والانباء البيان التالي:

عمدت بعض وكالات الانباء والاذاعات الاجنبية المغرضة الى نشر انباء مختلقة عن حوادث دامية وقعت في محافظة السويداء بين رجال الجيش والأهلين، وحقيقة الامر هو انه بتاريخ 27-1-1954 قام بعض سكان احدى القرى التابعة للسويداء بمظاهرة احتجاجا على توقيف احد ابناء القرية اطلق اثناءها احد المتظاهرين طلقات نارية، مما حدا برجال مخفر الدرك في "القرية" الى

التدخل لتوقيف مطلق النار، فتصدى لهم جمع من المتظاهرين وحالوا دون توقيفه، وعلى اثر ذلك ذهبت قوة من السويداء وساعدت الدرك على توقيف المسؤولين بعد ان فرقت المتظاهرين وعندما تم لها هذا الامر عادت الى السويداء ...

ان الحالة في محافظة السويداء هادئة ورجال الامن يقومون بأعمالهم كالمعتاد وقد وضع القضاء العسكري يده على القضية واصدر مذكرات توقيف بحق المتهمين كما انه اخلى سبيل بعض من اوقفوا، اما ما اشيع عن قصف القرى بالقنابل فلا صحة له بتاتا".

وفي اليوم ذاته عين الزعيم شوكت شقير رئيس الاركان العامة نائبا للحاكم العسكري في محافظة دمشق وحماة، والزعيم عمر خان تمر نائبا للحاكم العسكري في محافظة حلب، والعقيد فؤاد الاسود نائبا للحاكم العسكري في محافظة جبل الدروز، وبتاريخ 8 شباط عام 1954 عقد برلمان الشيشكلي جلسة طالب فيها النواب بمحاكمة المعتقلين واتهموا حكومة العراق بانها وراء الاحداث الاخيرة في سورية، واعلنوا ان المشاريع الاتحادية مؤامرة انكليزية البست ثوب العروبة، وشكروا اللواء محمد نجيب على تأييد سورية في موقفها الصامد، كما اصدروا قرارا جاء فيه:

1- تأييد جميع الاجراءات الحكيمة التي اتخذتها الحكومة للقضاء على الفتنة في مهدها والقضاء على المحاولة التي قام بها المتآمرون للنيل من سلامة الدولة وأمنها...

2- تطبيق العقوبات بحق كل من يثبت التحقيق ادانته في اعمال التآمر على امن الدولة وسلامتها... وفي نهاية القرار ورد ما يلي:

"ويأمل المجلس ان تأتي نتيجة التحقيق مطابقة لما اعربت عنه السلطة التنفيذية من تمنيات بألا يدان المعتقلون باكثر من ممارسة نشاط حزبي غير مرخص والحض على الاضراب"

وفي تاريخ 12/شباط/ 1954 صرح الشيشكلي لمدير وكالة الصحافة المصرية:

"ان اوساطا اجنبية اتصلت ببعض زعماء الدروز وبعض السياسيين المعتقلين حاليا مما سبب المعارك الاخيرة في جبل الدروز بين الاهالي والقوات السورية، هذه المعارك التي ذهب ضحيتها بضع مئات من الاهلين و30-40 جنديا سوريا" "وقد جلبت الاسلحة التي صودرت في الجبل من الخارج لاحداث فتنة، وان غاية الاستعماريين والصهيونيين من احداث هذه الفتن ليست بحاجة الى بيان".

وفي تاريخ 14/شباط/1954 اعلن هزاع المجالي وزير الداخلية الاردنية ان اربعة من السوريين قد لجؤوا الى الاردن فاحتجزوا فيها وفرضت عليهم الاقامة الاجبارية...

وفي تاريخ 22- 2- 54 اذاعت وكالة الانباء العربية ان السلطات الاردنية القت القبض على سلطان الاطرش من زعماء جبل الدروز وعلى خمسة وثلاثين من اعوانه، وذلك لدى محاولتهم دخول الاراضي الاردنية، كما اعلنت ان عبد الرحمن الهنيدي وزير الداخلية السوري قد زار الاردن واجتمع برئيس الوزارة واركان الحكومة ثم عاد الى دمشق مكذبا الانباء التي اذيعت عن طلبه تسليم احد من اللاجئين الذين اجتازوا الحدود الاردنية، حيث احتجزتهم السلطات المسؤولة ونقلتهم الى مكان بعيد في الداخل حيث سيكونون غير قادرين على مزاولة اي نشاط سياسي..

لماذا اعتقلنا الشيشكلي.

ان كل ما ذكرته حتى الان كان مسلسلا للاحداث المذاعة رسميا والتي جرت خلال اعتقالنا، اما الحقيقة فهي كما يلي:

اضطر الشيشكلي الى اغلاق الجامعة السورية واعتقال بعض الطلاب والشباب الحزبيين بعد ان استفحلت اضرابات الطلاب ومظاهراتهم ولا سيما في الجامعة السورية، فأصدرنا بعد هذه الاعتقالات بيانا تم توزيعه في كل المحافظات السورية قبل اعتقالنا بأيام، وقد تولى منصور الاطرش مسؤولية توزيع هذه المنشورات في جبل العرب، فأودع منصور هذه المنشورات في حقيبة وسلمها الى صاحب السيارة المسافرة الى السويداء -

ولامـر لا ازال اجهلـه حتـى الان [1] - لـم تنتظـر السـيارة منصـور فسافرت حقيبته من دونه الى السويداء، ومـن الطبيعـي ان ترصـد عيون الشيشكلي في ذلك الوقت كل سيارة تنطلق مـن دمشـق الى الجبل، ولما تبـع منصـور السـيارة التـي تحمـل حقيبتـه القـي القبض عليه لان حقيبته وصلت قبله الـى مركـز المخـابرات، فأعيـد معتقلا الى دمشق، وعندما شاع خبر اعتقاله في السويداء قامت المظاهرات احتجاجا، واطلقت بعض العيارات النارية.

وكان الشيشـكلي قـد ارسـل فـي ذلـك اليـوم تعزيـزات مـن الجيش الى السويداء، كما ارسل قـوى الهجانـة مـن عـرب اللجـاه الذين كانوا دوما بمناوشات مع جبـل الـدروز، وكانـت بـين الطـرفين دماء وثـارات، فسـمح قائـد الجـيش فـي السـويداء لقـوى الهجانـة بدخولها، ولولا موقف الضباط الحمويين بصورة خاصة ورفاقهم الذين وقفوا بجرأة امام الاعمال الهمجية، لذهب عدد اكبـر مـن الضـحايا، وهذا ما شاهده ولمسه الشعب في السويداء الذي قدر موقفهم، والذي يظهر ان الشيشكلي قد خانته اعصابه فـأمر بهـذه الاعمـال التي لا داعي لها، وكانت المصالحة قد تمت بين الطرشـان وآل ابـو عسـلي، فخيل اليه ان الجبل قد اصـبح معسـكرا مقـاتلا بعـد هـذه المصالحة، ولكن الواقع كان خـلاف ذلـك، ولـم يكتـف الشيشـكلي باحتلال السويداء من قبـل جيشـه بقيـادة راسـم القدسـي وفـؤاد الاسود، بل ارسـل قوة الى (القريـة) لالقـاء القـبض علـى سـلطان باشـا الاطرش مما اضطره مع بعض انصاره الذين لم يتجاوز عددهم

(1) علق الامير حسن الاطرش لباتريك سيل مؤلف كتاب الصراع على سورية. على هذه الحادثة بقوله:
"في منتصف عام 1953 بعث رئيس الحزب الوطني صبري العسلي الى بكلمة يقول فيها بـأننا يجب ان نوحد قوانا كي ننقذ البلاد من الديكتاتورية، وجاء لقاؤنا ليشهد بداية الحركة ضد الشيشكلي، فبدأنا بتعبئة قوانا في الجبهة، بينما كان السياسيون بدورهم يعقدون سلسلة من الاجتماعات السرية لتنظيم معارضة فعالة، اما قمة هذه الاتصالات فتمثلت في توقيع ميثاق حمص، ولكن حدث آنذاك خطأ فادح في التوقيت اذ قام البعث بتوزيع منشورات معادية للشيشكلي في الجبل وذلك قبل ان تصبح تحضيراتنا جاهزة - ربما في محاولة من البعث للوصول الى قيادة حركة المعارضة - وقد جلب عملهم هذا بتنبيه السلطات كارثة علينا، اذ قام الشيشكلي بعمل سريع لاستباق الثورة فألقى القبض على الوفد الدرزي الذي كان يومئذ في دمشق وانا واحد منهم وارسل بقوات كبيرة الى الجبل، ومن ثم حوصر سلطان في بيته بالقرية." (باتريك سيل - الصراع على سورية - دار الانوار - بيروت - ص181)

سبعة عشر مسلحا الى المقاومة وفك الحصار ثم اللجوء الى الاردن.

ومنذ اليوم الثاني لمظاهرة السويداء اي بتاريخ 54/1/27 قام الشيشكلي باعتقالنا والاعتقالات الاخرى التي شملت جميع اركان الجبهة ومنهم حسن الاطرش، ويبدو ان الشيشكلي كان على اطلاع بتفاصيل الخطة التي كان يبيتها اركان الجبهة، فاتبع القول الشعبي المعروف (تغد باعدائك قبل ان يتعشوا بك).

ذاعت اخبار الجبل بسرعة البرق الى سائر محافظات سورية، ولم تتجاوب فعليا وعلى نطاق شعبي واسع، كما توقعت، سوى مدينة حماة التي اضربت وقامت فيها مظاهرات مسلحة كان من نتيجتها اصطدامات دامية بين المتظاهرين وقوى الامن سقط على اثرها عدد من القتلى والجرحى.

لقد كان موقف حماة في عام 1954 كموقفها الوفي ذاته عندما نشبت الثورة في جبل العرب عام 1925 مع فارق كبير هو ان ثورتها الاولى كانت على الفرنسيين المستعمرين اما ثورتها الثانية فقد كانت بوجه احد ابنائها وهو رئيس الجمهورية اديب الشيشكلي.

وهكذا صح ما توقعته وما نبهت اليه منصور الاطرش بان بعض اركان الجبهة سيورطون الجبل وسيتخلون عنه اذ انهالت البرقيات على اديب الشيشكلي من رؤساء العشائر وجميع الفئات الاقطاعية والانتهازية بما فيها جبل الدروز (صحف النصف الاول من شهر شباط 1954) ولكن الشيشكلي لم يستطع بعد حوادث الجبل والاعتقالات الواسعة التي رافقتها ان يسيطر طويلا على الامور في سورية مما ادى الى الانقلاب الذي اطاح به بتاريخ 1954/2/25.

احداث الانقلاب على اديب الشيشكلي 1954/2/25

(من تقرير عن الانقلاب اعدته قيادة حزب البعث العربي الاشتراكي في حلب)

التحق مصطفى حمدون بمقره في حلب في الثاني من شهر كانون الثاني 1954، وكان شبه غريب عن القطاع العسكري فيها، ما خلا وجود اخيه عبد الغني في الشرطة العسكرية. كان آمر منطقة حلب الزعيم عمر خان تمر، وكان معاونه وآمر الموقع هو العقيد فيصل الاتاسي.

تعرف مصطفى خلال الشهر الاول، على بعض ضباط الموقع، وكان منهم النقيب مصطفى كمال المالكي (آمر سرية في الفوج الرابع) والنقيب احمد زاهدة (آمر سرية الاسناد في الفوج ذاته) والملازم الثاني محمد عمران (آمر فصيل) والملازم الثاني عبد الغفار الطير (آمر فصيل) والملازم الثاني خالد عيد (آمر فصيل).

كان مصطفى حمدون منذ وصوله الى حلب، موضع رقابة شديدة، وكان يشعر بذلك، ويتخذ كل مظاهر الانضباط لابعاد كل شك حول سلوكه.

وعلى اثر الاعتقالات عمت سورية موجة من المتفجرات، القيت على اخطر الاماكن في حلب واهمها: حركة التحرير: بيت المحافظ، مقر الشرطة العسكرية، قيادة الموقع.. بشكل نجم عنه ذعر في صفوف السلطة ليس له حد.

كانت احكام الطوارىء معلنة... والجيش في حالة استنفار دائم.

تمكن مصطفى حمدون ان يتصل بدير الزور حيث كان فيه النقيبان مظهر العمر ومنير موسى باشا، وكان آمر المنطقة الشرقية امين ابو عساف ، ومعاونه سليمان نصر. وقد اكد مظهر ومنير ان بامكانهما السيطرة على الموقع، ويكفى اشعارهما بساعة الصفر، كما اكدا بأن امين ابو عساف لا حاجة لمفاتحته، لانه عندما تصبح الحركة حقيقة قائمة فانه يمشي معها ولا يعارضها، وكان التخوف من سليمان نصر، رغم انه كان مغضوبا عليه من اديب الشيشكلي.

وبالمقابل عمل عبد الفتاح زلط على الاتصال باللاذقية (الدكتور وهيب الغانم) وكان آمر المنطقة الغربية فيها عبد الجواد رسلان، كما كان في الموقع جمال صوفي وحنا حداد وكانوا مع الحركة منذ مفاتحتهم لاول مرة.. وكان رأيهم انه في حالة اعتقال عبد الجواد رسلان ينتهي كل شيء في اللاذقية. لكنهم بينوا للكتور وهيب ان سلاح البحرية الذي يقع تحت امرتهم ليس لديه جنود، وقد يتمرد رجال الشرطة، لذلك فهم قد يحتاجون الى مجموعة من الشباب يسلحونها ليلة الحادث ويطلقونها في ساعة الصفر لاحتلال مقر قيادة الشرطة والامن...

كان عبد البر عيون السود ناشطا في مدينة حمص وكان رأيه ان القوى السياسية، وعلى رأسها هاشم الاتاسي، تعمل دون ريب لاحداث انقلاب على اديب الشيشكلي، وان لهذه القوى اتصالات مع معروف الدواليبي في لبنان ومع حكام العراق.. وانهم يخشون التعامل معنا او مفاتحتنا... وكانت معلومات عبد البر تستقى في معظمها من راتب الاتاسي، الذي كان له في هذه الفترة نشاط ملحوظ، يساهم فيه كل من نادر الاتاسي وزياد الاتاسي اللذين كانت معظم اقامتهما في حلب. لكن عبد البر نصح بان يخبر الجانب العسكري في حمص، اذ في تقديره ان معظم الضباط، وبخاصة الشباب منهم سوف يكونون مع الحركة. كما تجدر معرفة موقف آمر المنطقة الوسطى محمود شوكة.

على اثر هذه المعلومات، ابدى مصطفى استعداده، للذهاب الى حمص خفية والاتصال بمحمود شوكة. وبعد استئناسه برأي فيصل الاتاسي، ذهب بسيارة عبد القادر علوش وبرفقة اخيه ادهم الذي استدعاه خصيصا لهذا الغرض. وعند مرورهم بحماة كاد ان يفتضح امره... لان حماة كان ممنوعا فيها التجول بسبب مقتل شرطي آنذاك وكانت المظاهرات قد اندلعت فيها استنكارا لما يجري في جبل العرب واعترضت الشرطة العسكرية سبيل السيارة وطلبت الهويات علما بان مصطفى يفترض ان يكون مستنفرا في سريته، لكن صادف ان احد رجال الشرطة عرفهم

وحياهم وطلب السماح لهم بالمرور، بقوله هؤلاء اخواننا، ما في حدا غريب.

استطاع مصطفى ان يصل الى بيت محمود شوكة بعد منتصف الليل ويوقظه من نومه. وقد فوجىء هذا الاخير بالزيارة، وادرك مغزاها فورا. لذلك لم يسمح لمصطفى بالجلوس، وطلب منه ان يدلي بما عنده واقفا.. وبالفعل قال له مصطفى ان القضية منتهية ومتوقفه على موافقتك.. فاجاب انا لا استطيع ان اتخذ قرارا الا بعد التشاور مع بكري قوطرش (قائد موقع حماة) فاذا وافق فانا معكم، واذا لم يوافق فان عهدي لكم ان اكتم سركم ولا علاقة لي بالمسألة.

اجاب محمود شوكة بعد يومين، بانه غير موافق. وكتم السر فعلا.

اصبحت حلب واللاذقية ودير الزور مضمونة... وتحدد يوم الخميس 18 كانون الثاني موعدا للحركة. وتم الاتفاق بين المحافظات الثلاثة على كلمة السر.

□

ارسلت كلمة السر الى دير الزور بالهاتف.. وارسلت الى اللاذقية مع رسول خاص في الساعة الخامسة من مساء 54/1/17..

ولكن فيصل الاتاسي اخبر مصطفى حمدون بأنه غير مستعد باي شكل من الاشكال للدخول في هذه المغامرة وطلب توقيفها فورا تحت طائلة تنصله من اية مسؤولية... كان موقفه مخيفا.. وقد عللله صراحة بقوله، انه تلقى كتابا من هاشم بك يوصيه ان لا يورط نفسه في هذه الحركة.

حاول مصطفى تجديد الضغط على فيصل الاتاسي دون نتيجة... وفي يوم 54/2/23 عقد اجتماع في بيت مصطفى حضره جميع الضباط السابق ذكرهم، وكانوا كلهم على اتم اقتناع بان حالتهم اصبحت خطرة، وانه لا شيء ينقذهم سوى الاقدام.. لكن

مع ذلك ظهر تردد على البعض، اذ اصروا على وجوب اقناع فيصل واشراكه.

كان من المفاجىء، ان الزعيم خان تمر داهم بيت مصطفى، فوجد الجميع متحلقين حول طاولة وبأيديهم ورق اللعب.. انتهرهم كيف تركوا مواقعهم وهم في حالة استنفار.. ولكنه لم يجد ما يريب، فانبهم واوصاهم بالالتحاق بمواقعهم وعاد.

في صباح 54/2/24 وصلت معلومات موثوقة الى حلب، تؤكد ان اديب الشيشكلي قد وضع قائمة بتسريح 40 ضابطا على رأسهم فيصل الاتاسي ومصطفى حمدون وفورا حمل مصطفى هذه "البشرى" الى فيصل، بعد ان اطلعه على مداهمة الزعيم لبيته، وقال له، اما ان تجري الحركة اليوم، او نطرد غدا بمجموعنا من الجيش، وربما نعتقل ونحاكم.

اطرق فيصل مليا.. وكان نبأ التسريح قد بلغه ايضا.. وقال لمصطفى افعل ما تريد انني لم اعد قادرا على التفكير.

اتصل مصطفى فورا بعبد الفتاح زلط، واطلعه بانه تقرر ان تجري الحركة فجر اليوم القادم، اي فجر 54/2/25، وان على عبد الفتاح ان يجلب بيان الانقلاب (كان معدا قبل عشرة ايام)، وان يأتي الى بيت مصطفى في الساعة العاشرة ليلا، لكي يبقى حتى ساعة الصفر.

□

في الساعة الثالثة من فجر يوم 1954/2/25 تحرك مصطفى حمدون بمساعدة الضابط الملازم خالد عيد على رأس سرية المشاة، واحتلا قيادة الموقع وذهبا فورا الى بيت الزعيم عمر خان تمر لاعتقاله.

وفي الوقت ذاته احتل محمد عمران بناية الهاتف الالي واذاعة حلب. كما احتل محمد الاطرش الشرطة المدنية، وتولى النقيب احمد زاهدة بمساعدة عبد الغني حمدون احتلال الشرطة العسكرية.

وتم بسهولة اعتقال محافظ حلب كمال نور الله، ورئيس البلدية ورئيس حركة التحرير في حلب سعيد البصمة جي..

وعدنان شيخ فضلي آمر الشرطة العسكرية. كما وضع قيد الاقامة الاجبارية في منازلهم الضباط فرحان الجرمقاني (آمر مركز التدريب) ومعاونه هشام الميداني، وتوفيق الاسود ضابط الشعبة الثانية.

ويجدر بالذكر ان الزعيم عمر، كان قد امتنع في بداية الامر عن فتح باب منزله.. وحاول الاتصال هاتفيا بمركز التدريب لتحريك القطعات، لكن الجرمقاني والميداني جبنا.. فاضطر الزعيم للاستسلام.. وعندما نزل الزعيم الى الساحة المقابلة لمنزله، كان قد وصل الى المكان العقيد فيصل الاتاسي ومحمد عمران.. فحاول الزعيم عمر ان يثبط من عزائمهم، وهددهم بان اديب شيشكلي سفاح، وسوف تتحرك قواته بعد حين قريب ويسحقهم جميعا، ونصحهم بان يتركوه على رأس عمله ليكون وسيطا بينهم وبين الشيشكلي ويعمل على تسوية المشكلة بطريقة ودية.. وقد استطاع عمر ان يؤثر في بعض العسكريين الصغار، لا سيما وان العقيد الاتاسي كان يتملق، وينابيه، نحن بامرك سيدي.. نحن طوع امرك.. فاضطر مصطفى للتدخل بعنف، وخاطب الزعيم بلهجة حاسمة، قائلا له.. سيدي نحن عندما اقدمنا على هذه الحركة كنا وضعنا دمنا في اكفنا، وان جميع الشرفاء من ضباط وعساكر الجيش في جميع انحاء سورية معنا، واني ادعوك للاقلاع عن هذه النصائح والانصياع للاوامر. وتبعا للموقف الحاسم الذي فرضه مصطفى، رضخ الزعيم عمر وتساءل: الى اين تريدون ارسالي؟

فاجابه مصطفى الى دير الزور.. فقال انا لا اريد ارسالي الى دير الزور، وارجو ارسالي الى اللاذقية، فاجابه مصطفى بالايجاب (مسايرة) واقتادوه الى قيادة الموقع، حيث كان عبد الفتاح زلط جالسا على منضدته، ينقح بيان الانقلاب. ومن قيادة الموقع استؤجرت سيارة عامة، اقتاد فيها محمد عمران الزعيم خان تمر الى دير الزور.

كان العقيد فيصل الاتاسي، قد غاب عن مسرح العمليات بعد اعتقال الزعيم عمر خان تمر، وظل مختفيا لا يعرف احد مكانه حتى الساعة السابعة صباحا.

وفي الساعة السابعة حضر الى قيادة الموقع وهو بحالة هلع شديد، ونزل من سيارته مشهرا مسدسه كالمجنون وهو يرتجف، ودخل وهو يقول بصوت عال، علينا قبل كل شيء ان نستدعي كبار السياسيين للاسترشاد بآرائهم... وقال:

اطلبوا ناظم القدسي، والدكتور الكيالي، وليون زمريا، وعبد الوهاب حومد..... وحاول هو ان يتصل بهؤلاء، فلم يلبه منهم غير ليون زمريا، الذي حضر فورا.. وبعد تشاور بينهما، رفضا اذاعة البيان المعد، واقترحا ان يعد ليون زمريا بيانا مختصرا هادئا مسالما، يعلن فيه عن الحركة، ويتضمن عهدا برجوع الجيش الى ثكناته وتسليم الشعب مقدرات الامور.

وفي نفس الوقت، وجهت الدعوة لموظفي الاذاعة، لفتح الاذاعة.

عندما وصل موظفو الاذاعة حاول بعضهم ومنهم عادل خياطة، الايهام بان الاذاعة لا يمكن تسييرها الا من دمشق.. لكن احدهم همس في اذن عبد الفتاح بان الاذاعة يمكن تشغيلها من حلب، اذا تمت السيطرة على محطة البث في سراقب... لان اقل تخريب في سراقب يعطل الاذاعة.

وفورا تم ارسال فصيل مدفعية مضادة للغارات الى سراقب، وهدد الموظفون بانه اذا لم تشتغل الاذاعة خلال دقائق، فان مصيرهم سيكون خطيرا.. وبالفعل امكن تشغيل الاذاعة فورا... وذهب اليها مصطفى حمدون ليذيع البيان الذي وضعه ليون زمريا فكان اول بيان اذاعته محطة حلب الاضافية صباح الخميس الباكر بتاريخ 54/2/25 وقد تلي باسم قيادة المنطقة الشمالية وهذا نصه:

ليس هذا ببيان او نداء وانما هو عهد من ضباط وجنود الجيش السوري للشعب السوري الكريم:

لقد آلينا على انفسنا ان نعود بالجيش الى ثكناته بعد ان اخرجته الاغراض عن تقاليده النبيلة، ولقد آلينا ان نغسل ما لحق بالجيش من عار وان نعيد اليه مزاياه الرفيعة ومناقبه، ويعود بعدها الى الثكنات ولن يكون لنا اي تدخل بالسياسة، وهذا نداء الى رفاقنا في السلاح ان يحذوا حذونا لنتمكن من ان نعيد الامور الى نصابها، والى ان يتحقق الهدف فان قيادة المنطقة الشمالية تعلن انفصالها عن حكومة الشيشكلي وتناشده ان يغادر البلاد حقنا للدماء.

□

كان الساعة قد قاربت الثامنة والنصف صباحا، وكانت اذاعة دمشق مستمرة في اذاعة برامجها الصباحية كالمعتاد.. بينما لم يظهر بعد اثر اذاعة حلب الا في اوساط محدودة جدا.

ذهب عبد الفتاح قرابة الساعة التاسعة صباحا الى ثانوية المأمون (التجهيز الاولي) حيث عمل على تجميع الطلاب في الساحة بقرع الطبل، وخطب في الطلاب معلنا نبأ الانقلاب على الطاغية اديب الشيشكلي.

خلال هذا الموقف، عاد عبد الفتاح الى الاذاعة مباشرة، واخطر مصطفى بانه ينوى السيطرة على الاذاعة والبرامج واذاعة البيان السياسي الذي اعده، سواء قبل بذلك فيصل الاتاسي ام لم يقبل، وقد وافق مصطفى على ذلك، واذيع البيان، وتكررت اذاعته مع مجموعة كبيرة من التعليقات السياسية والحماسية التي شارك فيها رفاق واصدقاء كثيرون.

كان البيان الذي اذاعه عبد الفتاح زلط بيانا عنيفا وقد جاء في ختامه:

"اننا نعلن باسم كافه ابناء الشعب مدنيين وعسكريين، في حمص وحماة وحلب ودير الزور واللاذقية والجزيرة، ان الشيشكلي معتد غاصب وانه لا يتمتع بأي مشروعية، وانه يجب ان يتخلى فورا عن السلطة ليحول دون وقوع كارثة

قومية في البلاد، واننا ندعو كافة رفاق السلاح من ضباط وجنود ان يقفوا صفا واحدا لاعلاء ارادة الشعب".

"ان حركتنا تستهدف تحقيق رغبة الشعب الجماعية في انهاء عهد الشيشكلي الاسود ودعوة الشعب لممارسة سيادته ممارسة حرة مطلقة واقامة نظام الحكم الجمهوري الشعبي وعودة الجيش الى مهمته المقدسة في الحفاظ على الوطن والسهر على الحدود.

ولا بد من الملاحظة ان بيان الانقلاب والبيان السياسي، وجميع البيانات اللاحقة، كانت تذاع باسم قادة المناطق الشمالية والغربية والشرقية. وقد تم الاتصال هاتفيا مع اللاذقية ودير الزور، حيث اكدت الجهتان، ان الامور مستتبة، وان التأييد شامل.

التهبت المدينة خلال ساعات، وفي الساعة الثانية عشر ظهرا، اتجهت مظاهرة ضخمة تزيد على عشرة الاف نسمة الى مقر حركة التحرير في حي العزيزية واضرمت النار فيه، فشب حريق هائل، التهم كل ما في المقر من وثائق ومستندات.. **وكاد الموضوع يتطور في اتجاه التنكيل بعناصر الحركة لولا التحاق مصطفى حمدون وعبد الفتاح زلط بالمظاهرة ووقوفهما دون ذلك، كما حطم الشعب اللوحة التي كتب عليها: ساحة اديب الشيشكلي وعلق مكانها لوحة كتب عليها: ساحة الحرية.**

□

في الساعة الواحدة ظهرا من يوم الانقلاب، وردت برقية من قيادة موقع دير الزور (سليمان نصر)، تفيد بانه تلقى معلومات رسمية من العراق، تعلن عن استعداده لتقديم اي دعم عسكري يطلبه قادة حركة حلب. كما تشير بانه توجد قوات سورية مسلحة في لبنان والاردن بقيادة العقيدين محمد صفا ومحمد معروف، وانها سوف تلتحق بالحركة فورا عبر الحدود اللبنانية والاردنية.

عندما وصلت البرقية آنفة الذكر، طرب لها فيصل الاتاسي، وجاء يبشر بمضمونها فقوبلت فورا برفض قاطع.. ودون اي تشاور

مـع العقيـد فيصـل، وبالاتفـاق بـين عبـد الفتـاح ومصـطفى وصـغار الضباط، اذيع البيان التالي:

"بيـان هـام جـدا، الـى الجمـاهير، وجميـع قـوات الجـيش والامـن والشرطة: وردت الى قيادة موقع حلب، انبـاء تشـير الـى اسـتعداد نظام الحكم العراقي السعيدي العميل، لمؤازرة الثورة في سورية، كما اشـارت الانبـاء الـى ان قـوات مـن المرتزقـة المسـلحة بقيـادة العميلين محمد صفا ومحمد معروف تسـتعد للـدخول عبـر الحـدود اللبنانية والاردنية لمناصرة الثورة.

ان قيادة الثورة فـي حلـب، تعلـن للـرأي العـام العربـي فـي سورية وفي سائر ارجاء الـوطن العربـي، ان حركتهـا حركـة وطنيـة تقدمية خالصة، وهي ترفض وتشـجب وتقمـع اي تـدخل خـارجي، وبخاصة من النظام السعيدي العميـل فـي العـراق. وعلـى النظـام العميل ان يعلم بانه في حالة اقدامه على اي تحـرك تحـت شـعار مناصرة الثورة، فان الثورة سـتحول قواتها نحوه لسحق تدخله.

كمـا ان قيـادة الثـورة تعلـن بـان جميـع المـواطنين والقـوات المسلحة مخولة بالقضاء على اي تسـلل مـن الحـدود اللبنانيـة او الاردنية، وكل من يعثر على احد المجـرمين محمـد صـفا او محمـد معروف مكلف بالقبض عليه حيا او ميتا..

وقد اعيدا اذاعة هذا البيان عدة مرات.

□

مضى اليوم الاول من الانقلاب - الا اقله - دون اية ردود فعل داخلية او عربية او دولية.. بشكل جعل الموقف مخيفـا. ولاول مـرة وردت فـي السـاعة الخامسـة مسـاء برقيـة مـن النقيـب "امـين الحافظ" آمر سرية ازرع، يعلـن فيهـا تأييـده وانضـمامه مـع قطعاتـه لحركة حلب. وقد احيت هذه البرقية بعض الامل.

وفي مساء اليوم الاول، اتصل رئيس الاركان العامـة "شـوكة شـقير" وطلب من الثوار في حلب توقيف الاذاعـة فـورا، لكـي تتـاح فرصـة لتسـوية الموقـف.. وقـال ان اديـب الشيشـكلي، مسـتعد

للتخلي عن السلطة ومغادرة البلاد. الا انهم لم يثقوا بهذه الاقوال في بداية الامر، وحسبوا انها تنطوي على خدعة ومكيدة، لكسب الوقت.. لانهم كانوا يجهلون الاحداث التي تمت في دمشق.

وقد عرف فيما بعد ان "احمد عسه" المدير العام للاذاعة، حمل من الصباح الباكر الى اديب الشيشكلي الذي كان نائما، تسجيلات عن بيانات حلب، وانه حين سمعها، قال كنت اعرف ان الخطر سيأتي من جماعة الحوراني. ويقول احمد عسة ان الشيشكلي لم يصبر على سماع كامل البيان الذي اذاعه عبد الفتاح، بل ارتجف وسقط من يده فنجان القهوة الذي كان يحتسيه.

وعلى الفور اتصل اديب الشيشكلي بفؤاد الاسود في جبل الدروز وطلب منه اعداد قواته للتوجه فورا الى حلب، كما اوعز الى سلاح الطيران لقصف اذاعة سراقب، ومقر قيادة الموقع في حلب.

والذي حصل، ان الصدفة شاءت ان يسمع عدنان حمدون (وهو بين قطعات جبل الدروز) بيان حلب الذي اذاعه مصطفى.. فاخبر بذلك كنعان حديد، وراحا يتعقبان اذاعة حلب بصعوبة فائقة لانها لم تكن مسموعة، فاقدما باسلحتهما الفردية على اعتقال فؤاد الاسود، والسيطرة على القطعات.. وحين اتصل اديب الشيشكلي بفؤاد الاسود.. اجابه هذا بانه في وضع لا يستطيع معه الكلام.. فطلب منه اديب الشيشكلي ان يوافيه الى دمشق حالا.. وبالفعل رأى عدنان وكنعان ان يسمحا له بالذهاب الى دمشق، ليفهم اديب الشيشكلي، بان الوضع العسكري في جبل الدروز ميئوس منه.. وهذا ما حصل، فقرر اديب الشيشكلي مغادرة البلاد.. وبالفعل جمع كل موجودات قصره وارسلها في عدة "لوريات" الى حماة وادلب (مدينة زوجته) وهرب هو الى لبنان.. وقد اخبر شوكة شقير ثوار حلب بذلك فطلبوا منه ان يذيع الخبر من محطة اذاعة دمشق ففعل.

وكان الشيشكلي قد عقد مساء يوم 54/2/25 اجتماعا في منزله (قصر الضيافة حاليا) مع الوزراء ورئيس المجلس النيابي

مأمون الكزبري وعدد من النواب بينهم هاني الريس ومنير غنام وحامد الخوجة وغيرهم بحضور رئيس الاركان شوكت شقير أعلن فيه للمجتمعين تصميمه على الاستقالة ومغادرة البلاد وسلم الزعيم شوكت نص الاستقالة ليذيعها على الشعب، وبعد التاسعة ليلا غادر الشيشكلي داره متوجها الى بيروت مع بعض مرافقيه، وبعد منتصف الليل من اليوم ذاته اطلق الزعيم شوكت شقير سراح المعتقلين السياسيين في سجن المزة.

نص استقالة اديب الشيشكلي:

"حقنا لدماء الشعب الذي احبه، والجيش الذي افتديه، والوطن العربي الذي اردت ان اخدمه بتجرد واخلاص اقدم استقالتي من رئاسة الجمهورية السورية الى الشعب السوري العزيز الذي انتخبني ومنحني ثقته الغالية، راجيا ان يكون بذلك خدمة لبلادي وان يحقق وحدتها ومنعتها، ويأخذ بيدها الى قمة المجد والرفعة.

□

عندما علم ضباط اديب الشيشكلي، بهرب قائدهم.. لحق به عبد الحق شحادة (آمر الشرطة العسكرية) الى الحدود لاعادته جبرا، لكنه تمكن من العبور قبل ان يلحق به عبد الحق، هنا اعلن عبد الحق شحادة وحسين حدة، وبقية الشيشكليين (طعمة العودة الله احمد عبد الكريم، احمد حنيدي...) تمردهم، وعملوا على احتلال دمشق، والاستيلاء على محطة الاذاعة وراحوا يشنون منها هجوما مقذعا على حركة حلب واعلنوا، ان النظام باق، وان مأمون الكزبري قد اصبح رئيسا للجمهورية بحكم الدستور.

وفي صباح اليوم الثاني 54/2/26، اعطى المتمردون اوامرهم لسلاح المظلات لتدمير اذاعة سراقب. وبالفعل طار سرب من الطائرات يحمل مجموعة من المظليين على رأسهم بهاء الدين النقار وتوجهوا نحو حلب، ولكن هذه الطائرات هبطت في مطار النيرب وجاء من فيها وعلى رأسهم بهاء النقار الى مقر الموقع في حلب يعلنون تأييدهم للثورة.

ولدى اذاعة هذا النبأ، ارتفعت المعنويات بشكل هائل.. واصبح الظفر مؤكدا. ولكن محطة اذاعة دمشق اذاعت بعد ظهر 54/2/26 البيان التالي:

"ان رئاسة الاركان العامة ترجو مخلصة ان يوفق فخامة رئيس الجمهورية بالنيابة (مأمون الكزبري) في تحقيق الاغراض النبيلة الرامية الى توحيد الصفوف واجماع الكلمة، وهي تقاوم كل فكرة انقلابية في الحكم وكل تعديل يأتي عن الطرق غير المشروعة، وهي تعلن تأييدها التام للدكتور مأمون الكزبري في مهمته هذه".

ويلاحظ هنا ان التناقض كان تاما بين موقفي الزعيم شوكت شقير في اخراجه السريع لرجالات الاحزاب فور استقالة الشيشكلي وبين اذاعة هذا البيان باسم رئاسة الاركان، فما الذي ادى الى هذا التناقض؟

ان صحيفة النصر الدمشقية قد نشرت بتاريخ 54/3/3 تحقيقا مطولا عما جرى يوم 54/2/26 وفيما تلاه من الايام نثبته هنا كوثيقة تاريخية لصورة من صور نضال شعبنا في سبيل حقه بالحرية والديموقراطية:

ماذا جرى في دمشق

"في الصباح الباكر من يوم الجمعة جاء مأمون الكزبري الى دار المجلس النيابي، وكانت ملامحه وهيئته واصفراره تشير بوضوح الى ما يساوره من خوف وقلق على نفسه، ومن حديثه الى رئيس المكتب الاداري كان يظهر انه نفض يده من العهد وسيقدم استقالته ويعتزل في داره، ولكن عددا من النواب منهم منير غنام واسعد الرفاعي وعبد الكريم الدندشي وعلي حيدر وغيرهم - رغم انهم كانوا متخاذلين يتمكلهم شعور الخوف والفزع - راحوا ينفخون في نفس الكزبري روح المقاومة قائلين له: لا نعترف بسواك رئيسا للجمهورية.. وهنا تسرب الى الكزبري شيء من الامل بأن يصبح رئيسا للجمهورية، وعندما بلغت الساعة التاسعة دخل المجلس الرئيس عبد الحق شحادة مستصحبا معه خمسة من صغار الضباط وقال:

اعرفكم على هؤلاء الابطال، انهم من ضباط المدرعات وهذا السلاح كله معكم، وهنالك قوات كبرى من الجيش تؤيدكم في السير بالحلول على ضوء الدستور القائم وان الكزبري هو الرئيس الذي يعترفون عليه جميعا.

وهنا تملكت الحماسة النائب منير غنام فصاح باعلى صوته:

نحن هنا بارادة الشعب ولن نخرج الا برؤوس الحراب...

بعد لحظة رن الهاتف، وكان المتحدث رئيس الاركان شوكت شقير وفهم من الحديث بينه وبين الكزبري انه يحاول اقناعه باعلان استقالة الشيشكلي واستقالة النواب جميعا ليتمكن من معالجة الموقف مع ممثلي الاحزاب ورجال السياسة الذين خرجوا من المعتقل، فرد عليه الكزبري بأن النواب قرروا ان يطبقوا الدستور القائم وطال النقاش التلفوني.

بعد قليل وصل شقير الى المجلس واختلى مع الكزبري والرئيس شحادة مدة ثلاث ارباع الساعة، وكان باب الغرفة محروسا من قبل ضابطين اثنين من الخمسة الذين اصطحبهم عبد الحق شحادة، وخلال ذلك تشاور الحارسان فيما اذا كان مناسبا دخول الغرفة واعتقال رئيس الاركان الذي كان يحاول جهده ان يقنع الكزبري بالاستقالة، بل ان احدهما اتصل بسلاح الآليات في القابون وطلب ارسال مصفحتين ولكن طلبه رد من القابون.

ولما انفض الاجتماع توجه رئيس الاركان والكزبري الى دار وزارة الخارجية حيث اجتمعا في الساعة العاشرة بالوزراء، فكان رأي هؤلاء انه يجب السير بالحلول على ضوء الدستور القائم، ثم عاد الكزبري الى دار المجلس النيابي حيث اجتمع ما يقرب من 45 نائبا، ودخل مكتب الرئاسة مباشرة حيث جاءه الرئيس شحادة وطلب منه ان يستدعي حالا وزير روسيا المفوض ليبلغه بأن سفيري بريطانيا وامريكا يبديان نشاطا كبيرا وان "ابي حنيك" يحشد قواته على الحدود. وراقت الفكرة للكزبري فطلب من رئيس مكتب المجلس الاتصال بوزير روسيا، وجرى نقاش بينهما حول خطورة هذه الفكرة، وانتهى بترك الامر الى ما بعد الجلسة التي دعا اليها الكزبري ليعلن استقالة الشيشكلي وتوليه رئاسة الجمهورية بالنيابة.

وفي الساعة الحادية عشرة اجتمع المجلس برئاسة الكزبري فتلا استقالة الشيشكلي ثم تنحى عن كرسي رئاسة المجلس لنائب الرئيس الاول سعيد اسحق، ووقف يتلو بيانا باستلامه رئاسة الجمهورية ريثما يدعى

الشعب الى انتخاب رئيس جمهورية جديد في غضون شهرين، ثم قال انه سيتصل بزعماء الاحزاب لايجاد حلول ترضي الجميع.

وعندما بلغت انباء هذه الجلسة مسامع رجال الاحزاب الذين خرجوا من المعتقل ادركوا ان الموقف غير نظيف، وان هنالك نوايا وحركات مريبة، فتنادوا لمغادرة دمشق سريعا الى حمص مقر قيادة الضباط الاحرار، ولو لم يفعلوا لكان الوضع قد تبلبل وربما اصيب بنكسة خطيرة، وذلك انه جرى التحري عنهم لاعادتهم الى المعتقل تمهيدا لعودة الشيشكلي، ثم جرت محاولات لاقناع الكزبري بالرجوع عن خطته ومنها محاولات فارس الخوري فمال الكزبري الى الاقتناع، وجرت محاولات للاتصال بزعماء الاحزاب ولكنهم كانوا قد غادروا دمشق الى حمص.

وفي الساعة الخامسة من مساء الجمعة عندما بلغت حمص اخبار المناورات التي يقوم بها الكزبري وشحادة، اتصل العقيد محمود شوكت بنائب رئيس المجلس سعيد اسحق ووجه اليه انذارا بالتخلي فورا عن رئاسة الجمهورية بالنيابة، والى النواب بالاستقالة حالا ومغادرة دمشق والعودة الى مناطقهم.

بعد هذا الانذار عاد الكزبري الى المجلس واخذ يتداول مع النواب في موضوعه، ثم جاء رئيس الاركان فاشترك في المداولة مرتئيا ان تعلن استقالة الكزبري والنواب حالا، وهنا جاء الرئيس شحادة مع بعض صغار الضباط ودعا رئيس الاركان والكزبري وسعيد اسحق للانتقال الى القابون ليريهم ان سلاح المدرعات لا يرضى عن الوضع الراهن بديلا..

ماذا تم في القابون

عندما اتى رئيس الاركان الى القابون بدأ عبد الحق شحادة والضباط الذين معه بالضغط عليه لتأييد الوضع الراهن فحملوه على اعلان استقالته من رئاسة الاركان بعد ان وضعوا باسمه بيانا بتأييد الوضع الراهن، وهو البيان الذي اذيع من محطة دمشق، ثم حاول شحادة واعوانه تسليم رئاسة الاركان الى الضابط رسمي القدسي (احد المسؤولين عن قصف جبل الدروز قبيل الانقلاب على الشيشكلي ومتهم بقصف دمشق خلال احداث 1945) وفي مساء يوم الجمعة حاول بعض المواطنين اقناع الكزبري بالعدول عن موقفه فلان ووضع كتاب الاستقالة واتفق على ارسال كتاب الاستقالة الى احدى

المطابع، واصداره بشكل منشور، ودامت هذه الجلسة سبع ساعات ولكن الكزبري ما لبث في نهايتها ان بدل رأيه واعلن انه يرفض الاستقالة وغادر مكان الاجتماع في الساعة الخامسة من صباح السبت..

مظاهرات دمشق وهيجانها صباح السبت

عم الاضراب الشامل مدينة دمشق صباح السبت وقامت مظاهرات الطلاب والاهلين تنادي بسقوط الشيشكلي والكزبري والنواب، وكان الكزبري قد بكر في الحضور الى الندوة النيابية فوافاهم الرئيس شحادة وطلب اليهم عقد جلسة فورا لتصديق مشروع قانون عفو عن الجرائم التي ارتكبها، وهو مشروع كان الشيشكلي قد قدمه ارضاء له (بعد قتله لابن سليمان المرشد مجيب المرشد) ولاقرار مشروع القانون الذي قدمه الشيشكلي سابقا، ويقضي باخضاع الضباط للمادة 85 من قانون الموظفين الاساسي لكي يحق لمجلس الوزراء تسريح الضباط بدون ابداء الاسباب.

وفيما كان النواب يتناقشون حول ذلك، كانت المظاهرات قد بلغت الندوة النيابية فحطمت الزجاج ومكبرات الصوت، وانهالت على النواب لكما بالايدي والارجل، وطلب المتظاهرون من سعيد اسحق اعلان استقالته واستقالة المجلس من شرفة المجلس الخارجية ففعل ذلك.

يخرجون طردا من المجلس

وقد اخرج النواب طردا من المجلس بعد ان نال بعضهم الضرب المبرح، وعرف منهم مكرم الجندلي، دهام الهادي، محمود ابو عسلي، عبد الحسيب عدي، منير غنام، حكمت الفنري (وكان هذا قد اعتصم وراء مائدة البوفيه منتحلا صفة كرسون) اما منير غنام الذي اعلن انه لن يخرج الا على اسنة الرماح فقد كان حظه من الضرب كبيرا جدا حتى كادت تزهق روحه وبذلك انتهت مهزلة مجلس النواب وحركة التحرير.

بعد ذلك قصد الزعيم شوكت شقير الى حمص حيث اجتمع بالضباط الاحرار ثم اجتمع الى الرئيس الاتاسي وزعماء الاحزاب واتفقوا على استعادة البلاد حياتها الدستورية الديموقراطية على اساس دستور 1950".

"وبالاضافة الى المظاهرات التي اقتحمت المجلس فقد توجهت مظاهرات اخرى ضخمة حاصرت دار الاذاعة وحاولت اقتحامها، فخرجت

الـدبابات مـن القـابون واتجهـت اليهـا كمـا اخـذت القـوات التـي كانـت تقـوم بحراستها باطلاق النار على المتظاهرين، بينما خرجت بعض المصفحات من دار الاركان تجوب الشوارع وتطلق النار على المتظاهرين، وفي المساء صدر بلاغ من الاركان العامة بمنع التجول في دمشق من الساعة الثامنة مساء وحتى الخامسة صباحا.

وفي يوم الاحد الواقع في 28-2-54 انتهى العصيان في دمشق، بعد ان ايقن الضباط المتمردون بعدم جدوى المقاومة فتقرر بالاتفاق مع الزعيم شوكة شقير تعيين الضابطين حدة وشحادة ملحقين عسكريين في لندن وباريس، ثم سافر الزعيم شوكت شقير الى حمص فأعلن تأييده للحركة ولعودة الحياة الدستورية واذاع بنفسه عند عودته الى دمشق البلاغ التالي:

لما كانت الاسباب التي حالت دون استمرار الحكم الشرعي وقيام فخامة رئيس الجمهورية السيد هاشم الاتاسي بسلطاته الدستورية قد زالت، لذلك فان رئاسة الاركان العامة للجيش السوري تعلن ان الاوضاع الشرعية قد عادت الى مجراها الطبيعي منذ الان، وان الجيش هو جيش الامة وحامي ديار البلاد ينسحب الى ثكناته للقيام بواجباته المعنية في الدستور، ويضع نفسه رهن خدمة سلطة فخامة رئيس الجمهورية" (انتهى وصف جريدة النصر للاحداث)

□

عمت المظاهرات الشعبية العارمة المدن التي اعلن فيها الجيش عصيانه على الشيشكلي، وكانت مدينة حماة محتلة من قبل الجيش منذ حوادث جبل الدروز، ولما انضمت المنطقة الوسطى الى الحركة انسحب الجيش من المدينة بعد ان افرج عن المعتقلين، وكان عددهم كبيرا جدا، فانطلقت العراضات الشعبية بأهازيجها المعروفة بالرغم من الفيضان الذي كان لا يزال يفصل احياء المدينة عن بعضها.

ولم يقع في المدن السورية الاخرى التي انضمت الى الانقلاب ما يعكر الامن، اما في حماة فقد جن جنون ابن عم اديب الشيشكلي المدعو فايز السالم الشيشكلي عندما سمع بنبأ الانقلاب، فلم يتمالك اعصابه وخرج من منزله مشهرا سلاحه،

فاجتاز الفيضان منطلقا الى حي بيت الحوراني وكان قريبا من منزله، وفي طريقه اخذ يطلق الرصاص على المتظاهرين فسقط عدد من القتلى والجرحى الا ان المتظاهرين اردوه قتيلا.

كيف تم اطلاق سراحنا من سجن المزة

شعرنا عند ظهيرة يوم الخميس 25 شباط 1954 من وجوه الحرس وتصرفاتهم وارتباكهم بأن احداثا خطيرة تجري خارج المعتقل، وكان رئيس الحرس من قرية قارة فلاحا تشده الي العاطفة كما كان يجمعه بالمعتقلين الاخرين ما يقدمونه اليه من رشاوى لتأمين ما يحتاجون اليه من خارج السجن، قلت له:

احس اليوم بأن امورا هامة تجري خارج المعتقل.... فقال: ان انقلابا وقع في مصر على محمد نجيب فنحي عن رئاسة الجمهورية، وان البكباشي جمال عبد الناصر اصبح رئيسا للوزارة، قلت له مازحا:

عسى ان يلحق محمد اديب بزميله محمد نجيب، فضحك وانصرف...

كان المعتقلون يهمسون بأن ثورة قد نشبت في جبل العرب.. ولكن الامور بقيت غامضة، وفي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل دخل علينا بشكل مفاجىء وبعد ان آوينا الى اسرتنا الزعيم شوكت شقير ومعه الضابطان مصطفى رام حمداني وبرهان ادهم من ضباط المخابرات فتحلقنا حوله في احدى الغرف فقال:

ان اديب الشيشكلي قدم استقالته من رئاسة الجمهورية، وقد اذيعت هذه الاستقالة في الساعة الحادية عشرة وانه قد غادر البلاد الى لبنان.. وعندما سألناه عن اسباب الاستقالة كرر ما لا يخرج عن صيغة الاستقالة.

لم يشأ الزعيم شوكت شقير ان يعطي تفاصيل اكثر، وكل ما قاله ان رئيس الجمهورية قد استقال وغادر البلاد وان عليكم ان تتحملوا مسؤولياتكم، ومن الان يمكنكم ان تخرجوا من المعتقل لتتدبروا الامور، وقد كانت عواطف الضابط مصطفى رام حمداني ورفيقه

برهان ادهم ودية نحوي لانني اعرفهم من السابق، ولكن لم يكن الاجتماع يسمح بأن اعرف منهم مزيدا من المعلومات.

لم يشأ المجتمعون ان يخرجوا واكتفوا بالقول:

لا داعي لخروجنا في هذه الساعة المتأخرة من الليل ولا بأس ان نبقى الى صباح الغد.

قلت للزعيم شوكت شقير:

أما انا فأفضل الخروج الان، وعندما سألني المعتقلون عن السبب قلت:

هل نحن مجانين؟

ان بقاءنا في السجن يعرضنا للخطر، ومن الحكمة ان نخرج فورا، ولثقتهم بمعرفتي بأوضاع الجيش وعقليته تسابقوا لجمع امتعتهم، واتفقنا ان نجتمع في بيت صبري العسلي لنقرر ما عسانا ان نفعل قبل ان تسبقنا الاحداث والتطورات.

اتجهنا في تلك الساعة المتأخرة من الليل الى مكان الاجتماع في بيت العسلي حيث دار النقاش حول الخلاف السابق بين حزب الشعب والحزب الوطني الذي لم يكن ليعترف بدستور عام 1950، وبعد نقاش طويل استقر الرأي ان ننطلق من اعتبار حكم الشيشكلي ملغيا باعتبار انه حكم غير شرعي فتعود الاوضاع التي انبثقت من دستور 1950 الى سابق عهدها، اي ان يعود المجلس النيابي السابق كما يعود هاشم الاتاسي الى رئاسة الجمهورية، وبعدها نتفق على تشكيل حكومة تجري الانتخابات العامة لمجلس نيابي جديد، وعند نهاية الاجتماع الذي استمر حتى الصباح انصرفنا الى بيوتنا، ولم استفق من النوم الا ضحى يوم الجمعة على اخبار عصيان القطعات المدرعة بقيادة حسين حدة وعبد الحق شحادة ورفاقهما وهي القطعات التي تسيطر على دمشق، وقد اتصل بي سرا بعض الرقباء دون معرفة سابقة وقالوا انهم من القلمون ومن الذين يعتمد عليهم حسين حدة واظهروا استعدادهم لاغتياله فقلت لهم:

ان ضباطكم وطنيون شرفاء ولكنهم ضالون، وانني لا ازال اثق بوطنيتهم، ولا بد ان يعودوا الى الصواب بالحسنى،

واستطردت: بامكانكم ان تخبروا حسين حدة بأنني مستعد للاجتماع به هو ورفاقه، ولكنهم اعتذروا خوفا من ان يشتبه بهم لانهم اتو من منزلي سرا.

السفر الى مدينة حمص

لم يخبرني صلاح وميشيل باعتزامهما السفر الى حمص مع اركان الجبهة بسبب خطورة الوضع بعد العصيان، وانما اخبرني بذلك احد الرفاق، وبدون ان افكر طويلا بالامر توجهت الى حمص، وكان سفري من الاخطاء التي ارتكبتها، فلو بقيت في دمشق واتصلت بالضباط المتمردين لكان باستطاعتي ان اقنعهم فأجنب البلاد ثلاثة ايام من الفوضى والرعب واجعل الحزب في موقف اقوى من الاحزاب الاخرى.

□

كان وضعنا نحن الثلاثة في السجن وضعا لا يحمد عليه حزب ولا رفاق، وكانت صحف الشيشكلي واجهزة اعلامه محقة بعدم اعترافها بدمج الحزبين، بل ان بعض الصحف الى ما بعد الانقلاب كانت تصر على ذكر اسم العربي الاشتراكي منفصلا عن البعث.

وفي حمص عندما اجتمع ثلاثتنا في فندق رغدان، كان وضع الاستاذين النفسي بغاية الخطورة والدقة فقد كانا عازمين على توكيد زعامتهما للحزب بالوقت الذي كانا يشعران فيه بالعجز، فكانت مواقفهما سلبية تجاه كل ما ابديه من رأي سواء كان صحيحا او خاطئا، ومنذ اللحظة الاولى بدأ ميشيل اجتماعاته بشباب الحزب الصغار يوجههم ويصدر اليهم التعليمات، وقد كان يعتبر فرع حمص من تلاميذه وانصاره فكان هذا الجو يلح عليه لاثبات الذات.

□

أما الوضع في البلاد فقد كان يمر في خطرين:

احتمال عودة الشيشكلي بعد عصيان القطعات المدرعة في دمشق، وخطر آخر من انصار مشروع الاتحاد مع عراق نوري السعيد.

فقد اجتاز الحدود منذ اللحظة الاولى لوصولنا الى حمص الضباط السوريون اللاجئون الى العراق، وبدأوا يفدون وفي نيتهم الاستيلاء على الثورة، وقد التقيت بالضابط عصام مريود الذي اخبرني بأن هنالك قوات منتشرة على الحدود السورية العراقية بقيادة ضباط سوريين، وهي على استعداد لاجتياز الحدود ودخول البلاد فقلت له:

لا حاجة لهذه القوات، وان اجتيازها الحدود يقلب جو البلاد فورا لصالح عودة الشيشكلي ويقضي على الثورة، وانه من الخير اذا ارادوا نجاح الثورة الا يتدخلوا مطلقا في الموضوع، وهذا ما كنت اردده ايضا على مسمع الضباط الوافدين والسياسيين، وكانوا لا يجهلون طبعا ان الرأي العام في الجيش السوري سواء بين انصار الشيشكلي او بين خصومه كان ضد المشاريع الاتحادية المشبوهة.

كانت حمص مركزا لشركة الاي بي سي الانكليزية، وكان جهاز الاستخبارات البريطاني ناشطا فيها الى ابعد حد، وعن طريق خطوط الشركة ومراكزها في البادية كان يتسرب هؤلاء الضابط.

زيارة قيادة الموقع في حمص

منذ وصولي لحمص زرت قيادة الموقع الذي كان يتولاه محمود شوكت الحاكم العسكري للمنطقة قبل استقالة الشيشكلي الذي تردد في البداية في اعلان تأييده للحركة التي انطلقت من مدينة حلب ولكنه اضطر لتأييدها بعد ان وجد نفسه تجاه الامر الواقع سواء بالنسبة لموقف قطعات الجيش في حمص وحماة او سواء بالنسبة للموقف الشعبي في البلدين، وقد بدأ الضباط المسرحون في الجيش او الفارون من قطعاتهم يلتحقون بحمص التي اصبحت مركزا للثورة، كما بدأت اسراب الطائرات في دمشق تلتحق بثورة حلب، وقد اجتمعت في قيادة الموقع بالعقيد عدنان المالكي الذي التحق فورا بالثورة، وكان الشيشكلي قد اطلق سراحه من السجن بعد احالته على التقاعد، وقد ابدى لي

عدنان انزعاجه الشديد من توافد الضباط اللاجئين في العراق الى حمص وقال انه يجب القاء القبض عليهم جميعا.

كانت هنالك خشية من ان تهاجم حمص القطعات المدرعة التي اعلنت عصيانها في دمشق، فمركزت القيادة العسكرية قواتها داخل المدينة وخارجها واتخذت جميع الاحتياطات لا سيما على طريق دمشق حمص لمجابهة مثل هذا الاحتمال.

هاتف من دمشق

عندما كنت مجتمعا في بيت هاشم الاتاسي مساء في ذلك الجو المشحون بالمخاطر، اخبرت بأن "ابا النور طيارة" يفتش عني بالحاح ليبلغني ان الضابط حسين حدة يطلبني على الهاتف في مكتبه، وقد قدرت ان حسين حدة سيطلب منا ان نستلم قيادة البلاد وعندما تشاورت بالموضوع مع بعض الرفاق كان الرأي الا نفعل نظرا لخطورة المغامرة، وعلى الرغم من ان حسين حدة لا يمكن ان يعرضني للاذى، وعلى الرغم من ثقتي بأنني قادر على اقناعه فيما لو اجتمعت معه بحل يكون لصالح الثورة والقوى الشعبية في البلاد، فانني تقديرا مني لما قد يساور الاستاذين صلاح وميشيل من شكوك واوهام، قررت الاعتذار وان اقترح عليه بالمقابل ان نجتمع في حمص لحل المشكلة... وبالفعل فان حسين طلب مني القدوم الى دمشق واستلام القيادة، وقال لي: "ان الجيش مستعد لذلك بدلا من العملاء والجواسس" ولما اعتذرت له عن السفر الى دمشق وطلبت منه القدوم الى حمص، اعتذر هو ايضا.. وهكذا ضاعت الفرصة الثانية التي كان باستطاعتها ان تضعنا بمركز الاقوى تجاه الاحزاب الاخرى.

ولا يفوتني ان اذكر هنا ان رئيس الاركان شوكت شقير ارسل الى حمص رفيقنا العقيد نبيه الصباغ الذي حمله ثقته بنا وعواطفه الطيبة تجاهنا فأكدت له اننا نحمل نحوه نفس الثقة والمحبة، مما شجع الزعيم شوكت على الوقوف في وجه الضباط العصاة في دمشق ثم المجيء الى حمص واعلان عودة الاوضاع الشرعية الى البلاد.

الاجتماعات في بيت هاشم الاتاسي

جاء الضابط فيصل الاتاسي من حلب ليكون وسيلة ضغط سياسي لصالح هاشم الاتاسي وحزب الشعب، يسانده محمود شوكت قائد المنطقة الوسطى الذي كان صديقا حميما لعلي بوظو احد اركان حزب الشعب، وهكذا كانت القيادة العسكرية في حمص تبدو بواجهاتها العسكرية لمصلحة الاتاسيين وحزب الشعب، والحقيقة انه لم يكن لهذين الضابطين ذلك الشأن بالنسبة للرأي العام في الجيش، بل كان الامر على عكس ذلك، ولا سيما بالنسبة للضباط الصغار لان القوى الثورية الحقيقية في الشعب والجيش كانت لمصلحة حزب البعث العربي الاشتراكي، لذلك كان من غريب المفارقات ذلك الانتصار السياسي الذي سجلته الاحزاب الرجعية في حمص، كما بدا غريبا ان تبدأ الاعتقالات - بعد تشكيل الحكومة - في صفوف اللاجئين الذين وفدوا من العراق، وكانوا طبعا من انصار الاحزاب التي استلمت الحكم.

لقد اراد الاتاسيون وحزب الشعب منذ البداية ان يستغلوا الموقف لصالحهم فأوعزوا للضابطين فيصل اتاسي ومحمود شوكت ان يفدوا الينا عندما كنا مجتمعين في بيت هاشم الاتاسي، وقد اتى معهم عدنان المالكي ليعلنوا ثقتهم بالرئيس الاتاسي والاحزاب السياسية وليؤكدوا عدم تدخلهم بالشؤون السياسية وليظهروا استعدادهم لكل ما يطلب منهم.

كان المرحوم عدنان المالكي اكبر ضباط الثورة رتبة ولكنه كان مسرحا من الجيش وقد ذهب الى حمص بثيابه والتحق بقيادة الموقع هو ورفاقه المسرحون الاخرون.

□

لقد عزمت خلال هذه الاجتماعات الا اترك اي مجال للاختلاف مع الاستاذ ميشيل عفلق الذي حمل لواء الاصرار على تكليف رشدي الكيخيا بتأليف الحكومة في الوقت الذي كان الكيخيا يصر على الاعتذار، وكان هذا الاعتذار مفهوما وواضحا فقد

كـان الحزبـان متفقـين علـى رئاسـة الجمهوريـة لحـزب الشـعب ورئاسة الوزارة للحزب الوطني.

تولى الاستاذ ميشيل النقاش مع اساطين الرجعية ودهاتها وكان موقفنا يدعو للرثاء: كنا نصر ان يؤلف الحكومة رشدي الكيخيا وهو يصر على الاعتذار، ولا شك ان اساطين الحزب الوطني وحزب الشعب كـانوا يضـحكون فـي قـرارة نفوسـهم مـن موقفنـا السـاذج واصرارنا الذي استغرق وقتا طويلا كله ثنـاء وتمجيـد علـى رشـدي الكيخيا وعلى ثقة البلاد به لعله يقبل تشكيل الحكومة العتيدة.

واخيرا حسم الموقف حسني البرازي اذ قال لمشيل عفلق:

ما هو موقفكم اذا لم يؤلف الحكومة رشـدي الكيخيـا الـذي يـرفض تأليفها؟

قال له الاستاذ ميشيل:

اننا لا نشترك في الحكم.

وهنا قال البرازي والسرور طافح على وجهه:

انحلت القضـية، ان رشـدي الكيخيـا مصـر علـى اعتـذاره ولا يمكننـا اجبـاره، والاخـوان البعثيـون يعتـذرون عـن الاشـتراك فـي الحكم، فلم يبـق امـام الـرئيس الاتاسـي الا ان يكلـف مـن يختـاره لتشكيل الحكومة من حزبي الشعب والوطني والمستقلين.

بعد هذه النتيجة التي توصل اليها الاستاذ ميشيل الحقها بالتعهـد بتأييد حزبنا للحكومة المقبلة.

كانت غاية ميشيل عفلق ان يبرهن للمجتمعين ان الكلمة الاخيرة له في الحزب، وهكذا لم يعد بامكاننا ان نتراجع عما تعهد بـه امـام المجتمعين.

لم اكن اطمح في الحقيقة بالنسبة لظروف الحزب والظـروف الموضـوعية التـي تمـر بهـا الـبلاد بـأكثر مـن حكـم قـومي نكـون مشـتركين فيـه، فقـد كنـا مقبلـين علـى معركـة انتخابيـة يمكـن للحكومـة ان تلعـب دورا فـي تقريـر نتائجهـا بمـا يتعلـق بمشـاريع

الاحلاف العسكرية البريطانية، ومشاريع الاتحاد التي يعمل لها الوصي على العرش ونوري السعيد، اما الاستاذ ميشيل فقد كان ضد خوض معركة الانتخابات القادمة، لقد كان مقتنعا بفشله فيما لو رشح نفسه عن دمشق، وكان يعز عليه ان يرى القيادات الاخرى تفوز في المعركة مما يعتبره اضعافا لمركزه في الحزب.

كان الاستاذ ميشيل يسبغ على اهوائه ونزعاته ثوبا مبدئيا، فالاشتراك في الحكم ومجلس النواب هو انتهازية وحب للسلطة، والحكم هو عمل مناقض لمبادىء الحزب التبشيرية وطهارته الثورية، ولكنه لم يكن كذلك عندما رشح نفسه عن دمشق مرتين وفشل، ولم يكن كذلك عندما اشترك في الوزارة التي الفها هاشم الاتاسي اثر انقلاب الحناوي عام 1949.

كنت اعتقد ان تجنب الحزب خوض المعركة الانتخابية هو اقصاء له عن ساحة النضال مما يفسح للرجعية المجال الرحب لتنفيذ اغراضها، وقد شاركني في هذا الرأي الاستاذ صلاح الذي كان له حظ بالنجاح في دمشق مما ستمر تفاصيله فيما بعد.

□

كان يبدو من جو الاجتماعات في بيت هاشم الاتاسي ان رجال الحزبين: الشعب والوطني كانوا متفقين مسبقا على كل شيء.

وفي مساء السبت 53/2/27 اخبرنا هاشم الاتاسي، بعد ان تناولنا العشاء على مائدته، انه كلف صبري العسلي (من الحزب الوطني) بتشكيل الحكومة، فحاولنا كثيرا ان نثنيه عن عزمه ولكن دون جدوى.

خرجنا بعد ذلك الى غرفة اخرى، وكان فيها فيضي الاتاسي وناظم القدسي وعفيف الصلح واحسان الجابري وبعد قليل دخل صبري العسلي بعد ان اختلى فترة بالرئيس الاتاسي، قلت للعسلي:

اننا نرفض ان تشترطوا علينا الرئاسات فقال هذا ما يراه الحزب الوطني.

قلت له: ليس بيننا وبينك خصومة شخصية، وانما نريد حكومة نطمئن معها الى تنفيذ جملة مطالب شعبية لا بد منها وهي:

1- تأليف حكومة ديموقراطية دستورية تكون قادرة على تصفية العهد الماضي بمساوئه وارتكاباته.

2- تعديل قانون الانتخابات بما يضمن حرية الناخب ونزاهة الانتخابات.

3- سحب ترخيص الاحزاب الاقليمية التي لا تدعو للقومية العربية والتي تحمل طابع التشكيلات العسكرية:

قال صبري العسلي: كل ما تشترطه على عيني وراسي.

وبعد خروجنا من منزل هاشم الاتاسي صرحت لمراسل صحيفة (الجريدة) اللبنانية عندما سألني عن سبب اعتزام حزبنا عدم الاشتراك بالحكم:

لقد بذل حزبنا جهوده مع الهيئات السياسية الاخرى للعمل على تشكيل حكومة قومية تتوفر فيها الضمانات الكافية للقيام باعباء الحكم في مثل هذه المرحلة الخطيرة التي تمر بها البلاد وتوحي للشعب الاطمئنان بقدرتها على تحقيق اهدافه التي ناضل من اجلها، ولكن حزبنا لما رأى - رغم مساعيه الجادة - ان الاتجاه الشعبي لم يراع في تأليف الحكومة لذلك يعلن بأنه لا يؤيد هذه الحكومة ولا اية وزارة اخرى لا يرى فيها الضمان الكافي لتحقيق رغبات الشعب.

تدفق شعبي وقيادة عاجزة

كان الجو الشعبي منذ انطلاق الثورة من حلب ملتهبا، وكان لصالح حزبنا في جميع ارجاء البلاد، وما زلت اذكر اليوم الثاني لوصولنا الى حمص، فقد انطلقت الجماهير الغفيرة بمظاهراتها التي كانت تمر امام فندق رغدان وهي تحيي الحزب ونحن وقوف في شرفه الفندق مثل "الخشب المسندة" نحييها بتكلف وبطء،

بينما كانت مناسبة فذة يتحدث فيها قادة الحزب مما سيكون له ابلغ الاثر ليس في حمص وحدها وانما بالنسبة لجماهير الشعب في سورية.

لم يكن باستطاعتي ان اقف خطيبا في هذه الجماهير دون موافقه سابقة، فذلك سيعتبر انتهازية وحبا للظهور، وكان الاستاذ ميشيل مشبعا اتباعه بهذه الافكار لانه لم يكن خطيبا جماهيريا، والحقيقة ان هذه الموهبة كانت تنقصنا جميعا ولكنني كنت اكثر منهما مرانا على الحديث مع الجماهير.

كانت الاوامر والتعليمات قد صدرت مسبقا بعدم اطلاق اي هتاف او تحية لقادة الحزب والاقتصار على ترديد الشعارات، ولكن الجماهير لم تتقيد بهذه الاوامر، ولو قدر لنا في تلك الايام ان نعرف كيف ننطلق مع الجماهير بوعي وتصميم لكانت زعامة الاتاسيين والاسر الاخرى قد تزعزعت ولاختلفت نتائج الانتخابات في مدينة حمص التي لم ينجح فيها احد من مرشحي الحزب ذلك العام.

ملاحظات تحليلية ختامية

1- لم تكن الحركة التي انطلقت من حلب انقلابا عسكريا قائما على حساب القوى العسكرية وانما كان اعتمادها الاول على امكانات التحرك الشعبي في سورية، فقد كان الشعب معبأ ضد الحكم الديكتاتوري، وهو ينتظر فقط انطلاق الشرارة من الجيش.

2- كانت القوى العسكرية في حمص والمنطقة الشمالية ضئيلة، بالمقارنة بالقوى المتمركزة في جنوب سورية.

والاسئلة التي ترد:

هل كان باستطاعة الشيشكلي فيما لو اصر على العناد ان يقاوم؟

هل كان الشيشكلي مخلصا في استقالته؟

لقد كان باستطاعة الشيشكلي ان يقاتل بالاستناد الى قوى رئيسية في الجيش كانت متمركزة في دمشق والسويداء ولكنها كانت مغامرة غير مأمونة العواقب.

أ- لأن معظم قطاعات الشعب كانت معبأة ضده.

ب- كان باستطاعة القوات العسكرية التي التحقت بالثورة ان تسلح الشعب وتستند الى مقاومته مما يجعل الشيشكلي عاجزا عن قمعها.

جـ- كان معظم الضباط المؤيدين للشيشكلي سينفضون من حوله عن اول اصطدام.

اذن كان موقف الشيشكلي موقف العاقل الحكيم عندما فضل الاستقالة والانسحاب فسجل موقفا وطنيا واخلاقيا.

3- كان الرجعيون يعدون انفسهم لحركة انقلابية ضد اديب الشيشكلي بمؤازرة النظام السعيدي في العراق ولكنهم فشلوا في تحقيق هذا الهدف.

1954 : رئيس الجمهورية هاشم الأتاسي في دمشق - الجلسة الأولى التاريخية لمجلس النواب بعد انهيار عهد الشيشكلي - حزب البعث العربي الاشتراكي يفتتح مكتبه في دمشق ويصدر جريدة البعث- مصطفى حمدون قائد الانقلاب ضد الشيشكلي ينفذ أمر إرساله إلى كلية الأركان في القاهرة - محور مصر والسعودية يسعى لعودة القوتلي والنفوذ البريطاني في العراق يتابع محاولاته للتسرب الى سورية باسم الاتحاد.

استقبلت دمشق عصارى يوم الأحد 54/3/1 رئيس الجمهورية هاشم الآتاسي استقبالا شعبيا، فتوجه إلى القصر الجمهوري فور وصوله وكان كل شيء معدا من قبل، فأصدر مساء ذلك اليوم ثلاثة مراسيم الأول يقضي بقبول استقالة معروف الدواليبي التي قدمت له قبيل قيام الشيشكلي بانقلابه بتاريخ 1-12-51، والثاني يتضمن تسمية صبري العسلي رئيسا لمجلس الوزراء، والثالث يعلن أسماء الوزراء كما يلي :

معروف الدواليبي للدفاع	عفيف الصلح للدولة
فيضي الأتاسي للخارجية	محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل) وزيرا للصحة.
حسن الأطرش للزراعة	فاخر كيالي للاقتصاد
عبد الرحمن العظم للمالية	رشاد جبري للأشغال.
علي بوظو للداخلية	

ثم توجه الأتاسي ببيان الى المواطنين هو تكرار لبيانات الجبهة السابقة، وقد جاء فيه ان الشعب والجيش قد التقيا على صعيد واحد في حظيرة الحياة الدستورية، وان الشعب السوري يأبى أن يساس بحكم الفرد وأن يسلس قياده للديكتاتورية.

اضطررت للعودة من حمص إلى دمشق دون أن أعـرج علـى حمـاه ومنـذ اليـوم الأول لوصـولي علمـت أن الضـباط الـذين كـانوا لاجئين في العراق قد وضعوا تحت المراقبة.

المواقف العربية والدولية تجاه الأحداث السورية.

أذاعت وزارة الخارجية السعودية بيانا جاء فيه أن أديب الشيشكلي وصل الى الرياض، وقد قبله الملك السعودية طبقا للتقاليد العربية، وان الملك يقف موقف الصديق الشقيق تجاه سورية، وانه لا ينظر الى منافع الافراد بل يرى مصلحة البلاد العامة. ويظهر من هذا البيان أن السعودية قد يئست من عودة الشيشكلي للحكم.

أما في مصر فقد أعيد اللواء نجيب إلى رئاسة الجمهورية، وأصبح عبد الناصر رئيسا لمجلس الوزراء، وقد قامت اثر عودته في 1-3-54 مظاهرات ابتهاج فألقى عبد الناصر القبض على 118 شخصا منهم أحمد حسين زعيم الحزب الاشتراكي المصري، ومن غريب المفارقات أن تكون عودة نجيب الى رئاسة الجمهورية في اليوم ذاته الذي عاد فيه الأتاسي الى الرئاسة.

وعلى الرغم من قلق النظام المصري واضطرابه وانشغاله بالاضطرابات والمظاهرات الشعبية فقد كانت الحكومة المصرية برئاسة جمال عبد الناصر منزعجة من انهيار عهد الشيشكلي، فشنت إذاعتها وصحفها حملة شعواء على عودة الأوضاع الدستورية في سورية، متهمة النظام الجديد في سورية بالعمالة لتحقيق المشاريع البريطانية، ولطالما سألني عبد الناصر بعد قيام الوحدة عن الأسباب التي أدت إلى انهيار نظام الشيشكلي، وكان يحاول أن يفهم التفاصيل والدقائق، وقد كنت أشعر من حديثه أنه كان ينظر إلى أديب الشيشكلي نظرة إعجاب واحترام وتقدير.

كانت مصر في هذه الفترة تدعم عودة القوتلي اللاجئ في القاهرة الى سورية والذي نشط بإصدار البيانات، وقد ترافقت بياناته مع نشاط اجهزة الاعلام المصرية والسعودية والاميركية التي كانت تذيع الانباء عن قرب عودته الى سورية، كما نشطت جماعته بإرسال البرقيات التي تستحثه على العودة السريعة الى دمشق.

ومـن الجانـب الثـاني كـان العـراق يـراهن علـى الحكومـة وأتباعها من الضباط المسرحين ومن العاملين في الجيش.

كانـت سـورية إذن هـدفا للتـدخل المصـري السـعودي مـن جهة، وتآمر نوري السعيد وجماعته فـي العـراق مـن جهـة أخـرى، وعادت سورية مسرحا للصراع العربـي والـدولي مـن جديـد، ففـي تاريخ 54/3/11 أكد مصدر فرنسي رسمي في لنـدن أن مشـاورات بـالطرق الدبلوماسـية تـدور الآن بـين حكومـات فرنسـا وبريطانيـا والولايات المتحـدة حـول مشـروع سـورية الكبـرى وعللـت الصـحف ذلـك بـأن الفرنسـيين يشـعرون بـالقلق بشـأن الأنبـاء القائلـة بـأن المشـروع المـذكور سـيعود إلـى الوجـود بعـد الإطاحـة بأديـب الشيشكلي.

وفيما يتعلـق بالولايـات المتحـدة فـإن الشيشـكلي كـان قـد عين ابراهيم الحسيني ملحقا عسكريا فـي واشـنطن قبـل انهيـار عهده لشعوره بأن المخابرات المركزية تعمل على جعل الحسيني وريثا له، ولشد ما كانت دهشتي عظيمة عنـدما فاجـأني ابـراهيم الحسـيني بعـد أربعـة أيـام مـن سـقوط الشيشـكلي بـالقرب مـن منزلي، فقبلني بحماسة مصطنعة اقشعر لها بدني، ولكنني قلت في نفسي:

حسنا فعل فـي تـأخره قلـيلا عـن العـودة إلـى دمشـق فلـو وصلها قبل يـومين لأمكنـه أن يقنـع الضـابطين حسـين حـدة وعبـد الحق شحاده وضباط أديب الشيشكلي بالاستمرار فـي تمـردهم، ولكن لحسن الحـظ جـاء متـأخرا ، فأسـقط فـي يـده، وأرغـم علـى العودة إلى واشنطن في اليوم الثاني من وصوله إلـى دمشـق ثـم صدر مرسوم بتسريحه.

كـان موقـف القـوى الوطنيـة التقدميـة فـي الحـزب والجـيش بغاية الحرج والدقة، فقد كانت هدفا لجميع القوى العربية والدوليـة المتصارعة والأحـزاب الرجعيـة السـائرة معهـا والتـي وضـعت يـدها على الحكم والسلطة اثر انهيار نظام الشيشكلي.

كـان فـي مقدمـة الأمـور بعـد قـدومنا الـى دمشـق، زيـارة سـلطان باشـا وجبـل العـرب، وكـان قصـدنا مواسـاة الجبـل بعـد الحوادث الأليمة وقطع الطريـق علـى الاحـزاب الرجعيـة لاسـتغلال شعبية سلطان باشا الأطرش كستار لتنفيذ مآربها، وفي تـاريخ 8-3-54 ذهبت والاسـتاذ ميشـيل عفلـق مـع عـدد كبيـر مـن شـباب الحزب الى "القرية" لتحية سلطان باشا الذي قدم من الأردن فـي اليوم ذاته، وكان الجبل في عيد، وقد أمت (القريـة) وفـود مـن كـل أنحائـه لتحيـة سـلطان باشـا وقـد نشـرت الصـحف فـي صـفحاتها الأولى أنباء عودته مع صورة مشتركة لنا معه في منزله مما جعـل حزبـي الشـعب والـوطني والحكومـة يسـرعون بإرسـال منـدوبيهم للترحيب به.

وعلى الرغم من كل ما كان يحـاك للـبلاد مـن مـؤامرات فـإن الشعب كان لا يزال يعـيش فـي جـو ثـوري رائـع فأعلنـت الحكومـة احتفاءهـا بهـدم معتقـل الشـيخ حسـن، ومـن المؤسـف أن هـذا المكان البغيض قد عاد بعد انقلاب الثامن من آذار 1963 ليصبح من جديد سجنا للأحرار ومكانا لتعذيبهم.

المفاوضات من جديد للاشتراك في الحكم.

كـان لاسـتئثار الحـزبين الـوطني والشـعبي بـالحكم علـى الشـكل الـذي جـرى صـدى غيـر مسـتحب فـي أوسـاط الجـيش والشـعب والحـزب. لـم يكـن جـلال السـيد مشـتركا فـي مباحثـات حمـص والسـبب أنـه لـم يكـن معـتقلا معنـا فـي المستشـفى العسكري، بل كان معتقلا مع مئات المعتقلين في سجون دمشق الأخـرى، وقـد حـال الضـباط المتمـردون فـي دمشـق دون اطـلاق سراحهم.

كان جلال السـيد يطمـح أن يـنجح نائبـا عـن ديـر الـزور فـي الانتخابات المقبلـة وأن يلعـب دورا شـبيها بالـدور الـذي لعبـه عـام 1949 ولن يتسـنى لـه ذلـك إلا عـن طريـق اشـتراكه فـي الحكـم، وكان الباب مفتوحا أمامه باعتباره من نواب المجلس السابق الذي

تقرر دعوته ريثما تجرى الانتخابات للمجلس الجديد. وهكذا بدأ يتحدث عن الخديعة التي وقعت بها القيادة في مفاوضات حمص ليظهر نفسه بمظهر القائد القدير على مقارعة أساطين الرجعية وعدم الوقوع في أحابيلها.

بدأ الاستاذ ميشيل يتراجع عن موقفه السابق من قضية الاشتراك في الحكم، ولا سيما بعد زيارة كمال جنبلاط لدمشق بتاريخ 10-3-54 حيث اجتمع إلينا وأكد على ضرورة اشتراك الحزب بالحكومة، فقابل لهذا الغرض الدكتور معروف الدواليبي ورشدي الكيخيا ورئيس الوزراء صبري العسلي، ثم أدلى الاستاذ ميشيل عفلق بتصرح لجريدة النصر بتاريخ 12 آذار جاء فيه: "إن مبادئ الحزب وبياناته قد أوجبت عليه أن يتحمل العبء الأوفر من النضال ضد الديكتاتورية" وقال "ركز الحزب اهتمامه قبل تشكيل الوزارة على ضرورة الاتفاق على منهاجها للفترة الانتقالية واعتبر دخول الحزب في الحكم أو عدمه أمرا ثانويا".

ثم قال :

"فوجئ الحزب باتفاق مسبق بين الحزبين المشتركين بالحكم على اقتسام السلطات الرئيسية في الدولة، وكان هذا دليلا قويا على أن السياسيين الآخرين مصممون على معالجة الوضع الجديد بالعقلية القديمة".

عاد الاستاذ جنبلاط ثانية لدمشق بتاريخ 14-3-54 على رأس وفد من شباب الحزب في لبنان فاستقبل استقبالا حزبيا حافلا في بيت الاستاذ ميشيل وقد تابع الاستاذ جنبلاط وساطته مع الكيخيا والعسلي وأركان الجبهة دون جدوى.

كان الاستنكار لاستئثار الحزبين بالحكم يتعاظم في جميع الأوساط، مما جعل احسان الجابري وهو أحد أركان الحزب الوطني يدعو للمفاوضة "انني مطمئن الى ان المفاوضات القائمة مع رجال البعث العربي الاشتراكي لاشراكهم في الحكم ستنتهي إلى ما يتفق مع الصالح العام لأن قناعة الجميع هي مواجهة الأحداث الداخلية صفا واحدا" كما دعا سلطان الأطرش في كلمة الشكر

التي وجهها للشعب الى التضامن ووحدة الكلمة في سبيل انقاذ سفينة الوطن بإقامة حكم نيابي ديمقراطي صحيح مستمد من إرادة الشعب وحاجاته.

كان الحزبان مصممين على المضي في تنفذ سياستهما، وقد اعتبرا تشكيل الحكومة على الشكل الذي تم نصرا كاملا، ولا سيما قد تسنى لهما تعيين عبد الرحمن العظم وزيرا للمالية، وقد كان طيلة عهد الشيشكلي ممالئا له، وكان تعيينه وزيرا موجها ضدنا بالذات ليكون وسيلة ضغط وتلاعب في الانتخابات النيابية في حماه.

أمام الضغط الشعبي العام تراجع الحزبان الحاكمان قليلا علهما يصلان بالتحايل الى النتيجة ذاتها التي توصلا اليها في مؤتمر حمص ولكن الامر اختلف ... عرضوا على حزب البعث في بادئ الامر ثلاث وزارات احداها وزارة الداخلية لضمان حرية الانتخاب ونزاهتها ولما قبلنا تراجعوا، ثم تم الاتفاق على تأليف لجنة من الاحزاب الثلاثة تتولى مراقبة أعمال وزارة الداخلية ولما قبلنا تراجعوا ثانية وطلبوا ان نكتفي بثلاث وزارات، ولما قبلنا تراجعوا ايضا وقالوا أن الحزب الوطني قرر عدم تنازل وزرائه عن أي من الحقائب الوزارية، وعرضوا على الحزب أن يشترك بثلاث وزارات للدولة الأمر الذي يعرفون اننا نرفضه رفضا قاطعا، وهكذا انكشفت نوايا الحزبين وخداعهما، وكان غرورهما بالغا أوجه، وقد اعتبرا ظفرهما في مؤتمر حمص فرصة يجب ألا تفلت من أيديهما ثانية، سيما وقد كانا مزمعين - كما سيتبين فيما بعد- أن يحدثا انقلابا عاجلا في الجيش.

□

جابهت حكومة العسلي المجلس النيابي السابق الذي دعي للانعقاد في 15-3-54 وهي واثقة من فوزها بثقة المجلس، وقد افتتح ناظم القدسي الجلسة بخطاب بليغ مع أنه كان قابعا في منزله طيلة عهد الشيشكلي ولم يساهم لا من قريب ولا من بعيد بالنضال ضد الديكتاتورية، ولما انقشعت الغمة

صار يصول ويجول في ميدان الخطب والمواعظ، وقد أحاط الحزبان هذه الجلسة بمظاهر زائفة لتوحي بأن الأحزاب الرجعية هي التي قوضت عهد الديكتاتورية.

ثم وقف صبري العسلي وألقى بيان الحكومة الوزاري واستعرض فيه الماضي منذ عام 1928 ليؤكد أن الرعيل الأول هو الذي حقق الجلاء، ثم ندد بتزوير الاستفتاء في عهد الشيشكلي، واشار الى وضع الميثاق الوطني وما أعقبه من اعتقالات تعسفية، ثم ثورة الجيش على الشيشكلي ثم اعلان عودته الى ثكناته، وأعلن عن تصميم الحكومة على اجراء انتخابات عامة يضمن فيها الحياد والنزاهة والحرية، ثم برر تراجع الحزب الوطني عن موقفه بعدم الاعتراف بدستور عام 1950 قائلا "وقد رأينا حرصا على وحدة الصف الوطني في ظل دستور مجمع عليه، ونزولا على حكم الضرورة التي اظهرها الاختبار منذ دخل دستور عام 1950 في حيز التنفيذ أن نعمد الى تعديله على وجه يكفل توازن سلطات الدولة، ويتناول أحكاما أخرى اظهر الاختبار وجوب تعديلها" وقال ان الحكومة ستتقدم باقتراح تعديل بعض مواده، وقد فهم من هذا القول ان القوتلي مع الدول العربية التي تسانده سيعمل للوصل الى رئاسة الجمهورية عن طريق دستور عام 1950 الذي كان سابقا لا يعترف بشرعيته.

ثم تقدمت الحكومة بمشروع إلحاق الدرك بوزارة الداخلية بصفة مستعجلة ذلك المشروع الذي كان السبب الظاهر للأزمة التي نشبت بين الشيشكلي والأحزاب في العهد الدستوري السابق، ولا يخفى ان الغرض من الاستعجال في إقرار هذا المشروع كان اطلاق يد الحكومة في الانتخابات القادمة.

انعقدت بتاريخ 54/3/7 جلسة الثقة ومناقشة البيان الوزاري وفيما يلي وقائع هذه الجلسة التاريخية :

كان الازدحام شديدا على حضور هذه الجلسة، وكانت عيون من في الشرفات مسمرة على نواب حزب البعث وآذانهم مرهفة لسماع أقوالهم.

افتتح المناقشة جلال السيد فاشار الى أن حزب البعث هو الذي قتل الأفعى ويقصد أنه هو الذي قضى على ديكتاتورية أديب الشيشكلي ثم قال:

"إن ميثاق الجبهة قد نقض منذ أول يوم اجتمع فيه السياسيون في حمص حيث كان الاتفاق تاما على أن تتولى الحكم الأحزاب السياسية الثلاثة يضاف إليها المستقلون على أن يكون التساوي شاملا، ولكن الحزب الوطني تجاوز حده واشترط استلام الرئاسة للاشتراك بالحكم" كما قال :

"لا يسعني ألا أن اعترف بأن حزبنا رفض في أول الأمر الاشتراك بالحكم ثم قبل الاشتراك ودافعه الى الرفض أن تبقى المعارضة سليمة... غير ان الحزب لمس قلقا يساور الناس، وان الراي العام ليس مطمئنا الى حكومة ليس فيها الحزب، وقد ذهبت به الظنون مذاهب شتى، وقيل أنه لو لم يكن في الأمر اشياء لا تمت للمصلحة العامة لما رفض البعث العربي الاشتراكي الاشتراك في الحكم، ولما قبلنا عرضت علينا عروض ثلاثة كلما قبلنا عرضا منها استنكف العارضون مما يثبت ان هنالك نية لاقصائنا عن العهد الجديد".

لم تكن كلمة جلال السيد معبرة تماما عن راي الحزب فكان من الضروري أن يعرض رأى الحزب بصورة اكثر وضوحا ودقة فألقيت الكلمة التالية :

من الخير في هذه الظروف العصيبة أن نترك اللغة السياسية جانبا وأن نبحث بلغة العقل والقلب، وانني يشهد الله كنت مؤمنا بكل ما قلته وبكل ما كان يجول في نفسي، سواء في عهد الطاغية الشيشكلي، أو بعد أن أرغمنا على اللجوء الى لبنان ثم إلى إيطاليا ثم في غياهب السجون والمعتقلات. ويعلم اخواننا الذين كانوا معنا في سجن المزة أننا تذاكرنا معهم طويلا بأسباب الأحداث التي تعرضت لها بلادنا، وكانت هذه الابحاث موضوعية، وقد توصلنا الى الاتفاق على كثير من النقاط، فاسمحوا لي ايها الزملاء أن القي نظرة على الماضي لنفحص أسباب الأحداث والكوارث التي حلت بالوطن والتي خرج منها رافع الرأس ناصع الجبين متقدما بخطى واثقة إلى الأمام على الرغم من كل المتاعب والصعاب.

لنعد بالذاكرة الى عام 1943 وهو بداية قيام حكم برلماني ديمقراطي وطني ولنبحث هل كان هذا الحكم ديمقراطيا بالمعنى الصحيح؟ ليرجع كل منا الى ضميره فإنه يخرج بلا شك بالجواب التالي :

لم يقم في الماضي حكم ديموقراطي صحيح وان تناقضا عظيما كان ماثلا بين احكام الدستور والقانون وبين التطبيق والتنفيذ، فهل استغلال الشعب مثلا من قبل فئة استغلالا مهينا في ظروف الحرب ونشوء رأسماليات ضخمة في هذه البلاد يعتبر منسجما مع حكم القانون والدستور؟

هل تزوير الانتخابات وتعديل الدستور كان منسجما مع أحكامه؟ هل الاثراء غير المشروع وسوء استعمال السلطة وكل ما مر في تلك العهود من ارتكابات ومساوئ أثارت الشعب كان متمشيا مع أحكام الدستور والقانون؟

نشوء برلمان الشارع.

لهذه الاسباب نشأ الى جانب البرلمان الذي يمثل فئة من الشعب ولا يمثل الشعب جميعه، أقول نشأ بشكل طبيعي برلمان آخر هو برلمان الشعب والشارع، إن برلمان الشعب الذي هو الشارع كان منسجما بأفكاره واتجاهاته مع فئة في البرلمان الرسمي لأنها كانت معبره عن إرادته، مفصحة عن رغباته واتجاهاته وتطلعاته، ومن منا ينكر انه عندما قام الانقلاب الاول (حسني الزعيم) وأطاح بالحكم البرلماني قد صفقت البلاد وهللت من أقصاها الى أقصاها؟

وإذا أردنا ان نواجه الحقائق ولو كانت جارحه وجها لوجه لاعترفنا بكل ذلك، ولاعترفنا ايضا ان أحكام الدستور وأحكام القانون كانت معطلة نصا وروحا .

لقد مسخوا الديموقراطية فلم تنفذ الفئة الحاكمة من النصوص الا ما كان فيه مصلحة القوي ضد مصلحة الضعيف.

أنا لا افهم حكما ديموقراطيا يساق به ألوف المواطنين إلى صناديق الاقتراع مسلوبي الإرادة تحت سياط الضرب والحرمان والتنكيل والتعذيب، أنا لا افهم مثل هذا الحكم الديموقراطي وانما افهمه عندما يتحرر المواطنون من الخوف والفاقه والعوز وعندما تتحطم تلك القيود والاغلال.

انبثق دستور عام 1928 عن ثورة وطنية شعبية فنص العديد من مواده على صيانة حقوق المواطن والانسان، وقد كان بمجمله بالنسبة للظروف التي وضع فيها دستورا شعبيا تقدميا، ولكن كان الحكم في واد وكان هذا الدستور في واد آخر، وأظن أن رئيس الوزراء قد أقر معي في سجن المزة. بأنه لم يطبق من هذا الدستور أبسط مواده وهو تساوي المواطنين امام القانون تطبيقا حقيقيا صحيحا، وهل يزعم أحد من زملائنا أن مبدأ المساواة قد نفذ في هذه البلاد؟ إن هذا هو علة العلل وهو الذي اطاح بالحكم الماضي وهو الذي جعل الشعب يصفق لذلك تصفيقا شاملا.

استغلال الحكم.

إن الفئة المستغلة لا يهمها سواء أكان الحكم برلمانيا ديموقراطيا أم كان ديكتاتوريا، لأن الحكم في نظرها هو وسيلة استغلال دائمة والمهم هو :

استغلال الحكم، وقد استغلته في مختلف العهود، عندما كان برلمانيا ديموقراطيا أعرج واستغلته ايضا عندما اصبح ديكتاتوريا، ولم تتغير الوجوه والاشخاص الا قليلا.

إذن لا **بد لنا من القضاء على التناقض بين حكم الدستور والقانون وبين التطبيق والتنفيذ وهذا ما دعانا إلى قبول الاشتراك في الحكم.**

إن تزوير الانتخابات لا يقتضي دوما استعمال القوة المسلحة بل هنالك أساليب أخرى عديدة من الاحتيال قد خبرها كل منكم، ألم يسمع أحدكم أو يختبر بنفسه كيف أن الاموات قد انتخبوا في هذه البلاد، الم نلمس كيف أفسدت اساليب الاحتيال إرادة الناخبين وكيف أن الدسائس الاجنبية كانت تلعب دورها المريع على مسرح البلاد، كل منا يعلم ذلك ويعلم ان تزوير الانتخابات لا يكون باستعمال القوة المسلحة فحسب لأن الشعب يكون عندئذ مدركا للعبة ومبصرا للأمور بصورة جلية ولكن استغلال المال والاحتيال أشد وقعا من استعمال القوة.

لذلك، نحن نعتبر نزاهة الانتخابات وحيادها نجاحا وفوزا كبيرا ولو لم يسجل حزبنا فيها نجاحا.

ليس المهم في نظرنا أن يرسل الحزب نوابا الى المجلس النيابي ولكن المهم أن تستقيم الأمور بحكم برلماني ديموقراطي صحيح، وبرغبة صادقة رأينا أن نلبي طلب اشتراكنا في الحكومة ولكننا عند البحث الجدي اصطدمنا بالعقلية القديمة الماضية المستبدة التي لا هم لها الا توزيع المغانم والمناصب وقد اشترطت علينا الشروط وكأن لكل فئة حق معلوم يجب أن تناله بقطع النظر عما يحيط بالأمة من متاعب وآلام وعما يخبئه المستقبل من مخاطر جسام.

تمسك الحزب الوطني برئاسة الوزارة .

قيل لنا ان رئاسة الوزارة يجب أن تكون للحزب الوطني لأنه أقصي مدى طويلة عن الحكم ولأن حزب الشعب قد تولى بعض المناصب ويجب أن يكون هنالك تكافؤ بين الحزبين، كل ذلك كان يدور في مباحثات حمص، ولما قدم الرئيس الى العاصمة عرض علينا أن نشترك بالوزارة على قدم المساواة مع الحزبين الآخرين، وبما أن نزاهة الانتخابات وحيادها أمر جوهري في نظرنا

ونقطة انطلاق مبدئية بالنسبة لنا، فقد قبلت الرئاسة أن نتولى وزارة الداخلية ايضا ولما قبلنا بهذا العرض رفضه الحزبان الحاكمان.

واستمرت المفاوضات ثم حلت المشكلة بأن تكون هنالك لجنة وزارية للاشراف على الانتخابات وأن يشترك الحزب على قدم المساواة مع الأحزاب الاخرى والمستقلين ولما قبلنا أيضا تراجعوا عن هذا العرض.

كنا نريد أن نشترك بالحكم لنساهم بإقامة حكم ديمقراطي ليتطور الشعب في ظله تطورا طبيعيا صحيحا، لأن بلادنا محاطة بالاعداء من كل جانب وبدسائس العملاء في الداخل، والآن يحق لنا أن نتساءل:

هل تشكلت هذه الوزارة بطريق شرعي ؟

من المعلوم أنه عقب كل انتفاضة شعبية تشترك بها الهيئات والأحزاب لها الحق وعليها المسؤولية أن تضطلع بأعباء الحكم، فهل الوزارة الحاضرة تجمع كل عناصر النضال التي قاومت حكم الطغيان؟

إن بلادا أخرى قد مرت بهذه التجارب وقد كانت الحكومات بعد الانتفاضات الشعبية تستمد شرعيتها من عناصر النضال والمقاومة.

حرية الانتخابات غير مضمونة.

نحن نعلم بأن الدسائس الخارجية سوف لا تجد لها مجالا فسيحا اكثر من فترة اجراء الانتخابات النيابية، وإننا لا نرى ضمانة في الحكومة الحاضرة التي تألفت بالاسلوب الذي شرحناه آنفا ..

اننا نعتقد سلفا بأن حرية الانتخابات وحيادها غير مضمونين وأن البلاد بمجموعها ستكون مسرحا للدسائس الاجنبية، وسوف ينجم عن ذلك أخطار جسيمة جدا في المستقبل، وختاما فإنني اشهد الله والناس على براءتنا من كل مسؤولية وأن حزبنا أراد أن يساهم بتحمل مسؤولياته وتبعاته ولكن حال بينه وبين ذلك اتفاق الحزبين اللذين تتابعا على الحكم في فترات متعاقبة من تاريخ البلاد."

تبعني في الكلام النائب الاشتراكي احسان الحصنى ففند ما جاء في بيان الوزارة وتبجحها بأن الرعيل الأول حقق الجلاء وأقام في البلاد حكما للشعب وبالشعب، فأكد انحراف حكمهم وتطرق إلى فضائح وزارة الاعاشة وتزوير الانتخابات عام 1947 مما أدى للانقلابات المتوالية وقال : ان رئيس

الوزارة صبري العسلي اشترك باللجنة التي كانت ستضع دستور حسني الزعيم وأكد أن الوعد بتحقيق حياد الانتخابات لن يتحقق وأعلن حجب الثقة وقال : آمل ان تقوم حكومة بدلا عن هذه الحكومة تجمع كافة عناصر النضال.

خطاب العسلي : قال العسلي كنت أريد أن اكتفي بالبيان الوزاري لولا أن الاخوان اعضاء حزب البعث الاشتراكي ذكروا وقائع لا بد لي أن أصحح بعضها.. ومن يرجع الى الخطاب يجد أن العسلي لم يصحح شيئا، بل أقر كل ما جرى بالتفصيل، فذكر اجتماعنا في منزله ليلة خروجنا من المعتقل، ثم تعرض الى مباحثاتنا في حمص، وأكد على ما قاله الاستاذ ميشيل عفلق "نحن مع رغبتنا الاكيدة أن تمر البلاد في فترتها الانتقالية بسلام فإننا نعتذر عن الاشتراك في الحكم لأن اوضاعنا وحالتنا الخاصة تقتضينا ألا نكون في هذه الوزارة على أن هذا الأمر لما يبت به بعد لأن مؤتمر الحزب في طريق انعقاده ولكنني أرجح أن القرار سيكون سلبا بعدم الاشتراك واننا نبارك وزارة قومية من الحزبين".

ثم تعرض للحوار الذي جرى بيني وبينه وقد ذكرته آنفا ثم قال :

هذا واقع الحال في حمص، وفي اليوم الأول من تأليف الوزارة فوجئنا بالتصريحات عن التعديل الوزاري تنشر في الصحف، ونحن نقبل ذلك آملين من إخواننا اعضاء البعث الذين اشتركوا بالميثاق والمذكرة السابقة، فلا اقل من أن يكونوا وزراء مسؤولين، ثم اعترف بأن الحزب الوطني رفض التنازل عن أي من حقائبه الوزارية كما رفض استلام حزب البعث لوزارة الداخلية وانه قرر اشراك البعث بثلاث وزراء دولة فقط، ثم قال :

"أنا صبري العسلي لست خجلا ولا خائفا من الماضي، أنا طلبت استبدال الدرجة الواحدة بالدرجتين في الانتخابات، وأنا دافعت عن ذلك في هذه القاعة بالذات وكنت مؤمنا بأنه لا يجب تسليم مقدرات البلاد إلى شعب أكثريته غير متعلمة لأن هذا أمر مرتبط بالنظام العام والسلامةالعامة وأنا واضع المرسوم 50 القائل بتحديد الصحف وكنت أقول بصراحة أن الديمقراطية التي تصل الى حد الميوعة ليست مذهبي ولا أريدها، وأنا وضعت الاقامة الاجبارية، وها أنا أقول بعد انقلابات خمسة أنني سأضمن حرية الانتخابات وهذه الحكومة متضامنة متكافلة في ضمان هذه الحرية". بعد هذا الخطاب جرى

التصويت التصويت على الثقة فنالتها الحكومة بأكثرية 84 صوتا ومخالفة نواب البعث العربي الاشتراكي.

اصدار جريدة البعث .

استأجرنا مكتبا للحزب في شارع الصالحية في النصف الثاني من شهر آذار، بعد أن كان الحزب قد قرر نتيجة اجتماعات مستمرة ضرورة خوض المعركة الانتخابية، وكان من الطبيعي بعد افتتاح مكتب الحزب وفي جو معارضة الحكومة وخوض المعركة الانتخابية أن نستعد لإصدار جريدة تنطق باسم الحزب.

كان افتراضي أن يكون اسم الجريدة "الاشتراكية" ولكن الاستاذين عارضا هذه التسمية لأنهما خشيا أن تكون دلالة على انصهار حزب البعث بالحزب العربي الاشتراكي وهذا ما كانا يرفضانه رفضا قاطعا.

كنت راغبا بهذه التسمية للتأكيد على الاتجاه الاشتراكي، وهذا ما كان يعتبره الاستاذ ميشيل انحرافا عن اتجاه الحزب وانسياقا مع الماركسية والشيوعية، وهكذا تقرر أن تصدر الجريدة باسم البعث، وأن تصدر الى جانبها مجلة اسبوعية باسم الاشتراكية، وقد أعلن منذ العدد الأول في جريدة البعث عن قرب اصدارها ولكنها لم تصدر لوجود اتجاهين في الحزب: الاتجاه الذي يقوده ميشيل عفلق، والاتجاه الآخر الذي كنت أقوده مع معظم قيادات البعث العربي وقيادات العربي الاشتراكي سابقا.

عندما صدرت جريدة البعث أصبحت بطبيعة الحال - بسبب كسل الاستاذ ميشيل ومزاجه- مهيمنا على اتجاه الجريدة فكتبت كثيرا من الافتتاحيات والتعليقات بدون توقيع، وقد اعتبرت **موقف الحزب المعارض للحكومة التي تمثل الحزبين الحاكمين نجاحا كبيرا لأنه كان سببا في اسقاط الجبهة مع الحزبين الحاكمين مما فرز اتجاه حزب البعث العربي الاشتراكي الوطني التقدمي عن اتجاه الحزبين، فأصبحت جريدة البعث تعبر عن حركة الفلاحين والعمال وسواد الشعب تعبيرا ثوريا صارما، وكان التأكيد على هذا الاتجاه في**

جريدة الحزب وفي المعركة الانتخابية عاملا كبيرا في انصهار الحزبين المندمجين في اتجاه واحد، وهكذا غصت مكاتب الحزب وفروعه في جميع انحاء البلاد بالعمال والفلاحين، فلم تعد تجدي معارضة الاستاذ ميشيل ومريديه من بعض المثقفين وأبناء الاسر لهذا الاتجاه.

ومنذ العدد الأول من جريدة البعث وضعت لافتتاحيته هذا العنوان : "ما يأتي من فوق الشعب يذهب به الشعب". كما وضع العنوان التالي لإحدى الجلسات البرلمانية: الحوارني يطالب بحماية العمال من أرباب العمل والافراج عن السجناء الذين ناضلوا ضد الديكتاتورية.

□

بعد استئجار مقر للحزب في دمشق، أوعز الاستاذ ميشيل الى علاء الدين الخاني الذي عينه رئيسا للفرع، أن يدعو إلى حفل تعارف يقيمه الحزب بمناسبة افتتاح مقره وبدء نشاطه العلني.

لقد فوجئت عند حضوري الحفل بمشاهدة الاستاذ ميشيل جالسا على مقعد مميز وبجانبه كرسيان عاديان مخصصان لي وللاستاذ صلاح، ولم أر بين المدعوين إلا الأفندية والمثقفين، إذ لم يدع أحد من العمال والفلاحين وأبناء الشعب الذين تحملوا أيضا عبء النضال ضد ديكتاتورية الشيشكلي، ولكني سكت على مضض، ثم علمت فيما بعد أن مريدي الاستاذ ميشيل من بعض الطلاب هم الذين أشرفوا على تنظيم الدعوة وكان على رأسهم نور الدين الأتاسي ونبيل شويري وابراهيم ماخوس.

ألقى عريف الحفلة علاء الدين الخاني كلمة جاء في نهايتها :

"إن حركة البعث العربي تطلب الى الأعضاء أن يقدم كل منهم حسب اختصاصه وهوايته أتم ما يستطيعه من امكانات". بعد ذلك ألقيت كلمة كانت مختصرة، ولكنها حملت بصورة مبطنة

على العقلية التي أقامت الحفل على الشكل الذي وصفته وجاء في بعض مقاطعها :

اعتقد أن المشكلة التي تهم شبابنا الواعي هي مشكلة إقامة حكم ديموقراطي، قد يبدو أمام أعيننا للوهلة الأولى دستور وقوانين هي ديموقراطية في نصوصها وحرفيتها، وبالرغم من ذلك فإنه لم يمر على بلادنا عهد من العهود اتسم بالديمقراطية الحقه بالرغم من هذا الدستور وتلك القوانين.

كان دستور عام 1928 ثمرة ثورة شعبية لاهبة واستمد أكثر أحكامه من مبادئ الثورة الفرنسية ولكنه ظل حبرا على ورق. ثم استطردت شارحا هذه النقطة بالذات فقلت :

إن الديموقراطية لا يمكن أن تتحقق إلا عندما يصبح الشعب سيد نفسه، ولذلك فإن الحزب يتوجه إلى العمال والفلاحين، إذ لا يجوز لفئة أو طبقة لا تعرف إلا مصالحها أن تعبث بمصلحة أغلبية أهل البلاد" ثم قلت:

"إن من شعارات الحزب الأساسية في هذه المرحلة سن تشريع لحماية الفلاحين وعندما نقول ذلك لا نقصد مصلحة مادية لهم فحسب وانما نقصد تحرير هذه الفئة التي حرمت من حقوق المواطنة والانسان" ثم تساءلت :

كيف يمكن اقامة أوضاع ديموقراطية ومئات الألوف من الفلاحين يسامون العذاب تنفيذا لإرادة الاقطاعيين؟ (البعث 9-4-54 العدد 532)

ثم أعقبني الاستاذ ميشيل عفلق محاولا أن يصحح ما قاله تلميذه علاء الدين الخاني :

"اغتنم هذه المناسبة لأستفيد من اللفظة التي قيلت في هذه الحفلة : ليقدم كل منكم هوايته أو ميله وسواء قصد ذلك بالذات أم لم يقصد فإنني أقول :

"إن حزبنا حزب انقلابي جدي لا يقوم على هواية ولا يقبل في صفوفه الهواة: فالعمل في حزب انقلابي ليس هواية ولا ميلا وإنما هو وظيفة هي

أخطر من كل وظيفة" "وهي كما عرفها الحزب منذ نشوئه رسالة" ثم عرض بجماهيرية الحزب العربي الاشتراكي فقال :

"ليس التنظيم جمعا فحسب وانما هو خلق وإبداع، وليكن في بادئ الأمر مختصرا عدديا، ليس في هذا ضير ولكن ليكن جديا" ثم قال :

"هذا ما يهيب بنا دوما إلى أن نتحدى الكيفية قبل الكمية وإلى أن نتطلع دوما إلى الافراد قبل المجموع، لأن الافراد هم الذين يستطيعون بالاتصال الحر العميق، بربط مصيرهم بمصير أمتهم، أن يدركوا حقيقة الطريق المرسوم لهم من القدر، وهم الذين يستطيعون أن يغيروا مجرى الحزب إذا وجدوه منحرفا أو متهاونا، وقد لا يكون الحزب دوما في الطريق الصحيح السليم، فالحزب يضم بشرا يخطئون، ولكن الخطر كل الخطر هو ألا يظهر في هذا المجموع بين حين وآخر اولئك الأفراد الذين يقارنون بين ما استهدفوه في البدء وصمموا عليه وما آل إليه الحزب فيصلحون ويغيرون ويرجعون الحزب الى السراط المستقيم. (البعث 9-4-54 العدد 532)

لقد قصد الاستاذ ميشيل من كلامه هذا أن ينفي الصراع الطبقي كمنطلق ثوري للحزب، وان يبعد الجماهير الواسعة عن المشاركة في الحياة السياسية، وبما أنه يعتبر نفسه مؤسسا فردا للحزب، فقد أعطى نفسه حق الوصاية على مسيرة الحزب والشعب، فانحرف بذلك عن الديموقراطية وجنح نحو الفردية، وكان هذا التفكير سببا في النكبات التي مني بها الحزب فيما بعد.

لقد شوهت هذه الافكار التي ظل ميشيل عفلق يتشبث بها ويدافع عنها مسيرة الحزب وأفكاره وعقيدته، إذ ظلت بذورها تنمو في بعض كادرات الحزب في غفلة عن جماهيره الشعبية، فظهرت آثارها في تشرذم الحزب وفي قبول فئة منه استلام الحكم عن طريق الانقلابات العسكرية.

□

فيما بعد عاتبت نبيل شويري مازحا على ما ارتكبه مع رفاقه من قلة الذوق التي يستهجنها الطبع العربي بتمييز الاستاذ ميشيل بهذا العرش عن رفاقه وإخوانه، فخجل نبيل وقال بعفوية :

انني خرجت من هذا الحفل مغضوبا علي منك ومن الاستاذ ميشيل الذي لن يغفر لي خطيئتي لأنني هتفت له بصفته فيلسوفا للحزب، ولقد عاتبني عتابا مرا واعتبر هذا الهتاف إهانة له وقال لي : أنا لست فيلسوف الحزب وإنما أنا زعيم الحزب.

محاولة تصفية حزب البعث عن طريق الجيش .

تولى الدواليبي بصفته وزيرا للدفاع منذ الأيام الأولى لتشكيل الحكومة تنفيذ المخطط الذي يرمي إلى تصفية الحزب واتجاهه الشعبي عن طريق الجيش، وقد تجلى هذا المخطط بما يلي:

1- إعادة المسرحين من الضباط الموالين للنظام العراقي الى الجيش، فلقي الدواليبي معارضة شديدة من الجيش عندما حاول ذلك.

2- إقصاء مصطفى حمدون قائد الانقلاب الفعلي ضد أديب الشيشكلي وإرساله إلى مصر في دورة تدريبية.

3- التقرب من ضباط الشيشكلي وكسبهم الى جانبه.

وقد طلب حسين حدة بواسطة يوسف مزاحم أن يزورني في منزلي حيث اخبرني أن معروف الدواليبي وعده بالدفاع عنه وعن رفاقه ضباط الشيشكلي، وانه سيحول دون تسريحهم، وقال لي انه يعرف دوافع الدواليبي ولكنه تظاهر بأنه ورفاقه سيكونون من أعوانه وأنصاره في الجيش، فأجبته :

نحن لا نحمل حقدا ولا غلا تجاهكم، ولن نطلب من ضباط الجيش الوطنيين إلا الوقوف بحزم أمام المؤامرات الخارجية وصيانة استقلال البلاد.

كانت خطة الدواليبي تأليب كل القوى السياسية رغم تناقض انتماءاتها عربيا ودوليا ضد مؤيدي البعث العربي الاشتراكي

في الجيش، فتمكن بمساعدة شوكت شقير الموالي للسعودية ومصر أن يقدم بجرأة على محاولة إقصاء مصطفى حمدون إلى مصر، ولهذا اجتمع بي المرحوم العقيد عدنان المالكي والعقيد نبيه الصباغ في منزل العقيد بشور.

كان المالكي ثائرا مهتاجا، وكان من رايه أن يمتنع مصطفى حمدون عن تنفيذ أمر إبعاده ولو أدى ذلك إلى انقلاب عسكري على حكومة العسلي، وقد تحدثت الى هؤلاء الضباط باعتبارهم يمثلون رأي كل رفاقهم الضباط التقدميين في الجيش، وقد استغرق نقاشنا وقت طويلا وكان مجمل ما قلته لهم :

إن الحزب غير مستعد لاستلام الحكم عن طريق انقلاب عسكري، ومن جهة ثانية فإن انصياع مصطفى حمدون لأمر نقله إلى مصر سيكون تكذيبا فعليا لكل ما تشيعه الأجهزة المعادية من أن الحزب هو المسؤول عن فقدان الانضباط العسكري. كما قلت لهم :

إن وعيكم ووحدة صفوفكم كفيلان بإحباط جميع محاولات حكومة العسلي، وهي عاجزة على الصعيد الشعبي عجزا كاملا عن ضرب الحزب وجماهيره الواسعة، فهي ضعيفة في الجيش وضعيفة شعبيا، والرأي العام معكم وانني لا أرى أي مبرر لإحراجنا وإخراجنا.

كان المالكي مرهف الاحساس، صريحا جريئا يتقد وطنية وحماسة، ولكنه كان حييا خجولا أمام من يحبه ويثق به، ولا شك أن محبته لي شخصيا كانت من أكبر الأسباب التي جعلته يقبل مشورتي، لقد كان عدنان أكثر الضباط التقدميين قدرة وكفاءة، وكان زعيمهم الفعلي بعد الانقلاب على الشيشكلي، ولم تكن له أي مطامع شخصية أو سياسية أو حزبية، كانت مقاصده وأهدافه صيانة استقلال البلاد وإحباط المؤامرات الخارجية، كان عسكريا مثاليا حريصا على الانضباط العسكري، طاهرا لا يحمل حقدا ولا ضغينة، محبوبا وموثوقا من المدنيين والعسكريين، وكان دعامة لا تقهر في الجيش لالتفاف القوى الوطنية حوله، وبصفته من أبناء

دمشق فقد كان زعيما لأبنائها من الضباط الصغار، فاستطاع أن يطبعهم بطابعه وأن يسيرهم باتجاهه الوطني النظيف فكانت هذه الصفات والمواهب سببا في اغتياله مما سنتحدث عنه بالتفصيل فيما بعد.

أما مصطفى حمدون فقد سافر الى مصر، وكان اقناعه بالسفر شاقا وعسيرا لأن أمر نقله كان ظلما فادحا لا يحتمل، وقد اجتمعت به مرارا حتى أقنعته بتنفيذ الأمر والالتحاق بدورة الأركان.

هذا في الوقت الذي كانت تنطلق فيه الشائعات متهمة حزب البعث العربي الاشتراكي أنه ينشط في أوساط الجيش ويعد انقلابا على الحكم القائم، وكنت أنا شخصيا هدف هذه الاتهامات والشائعات، ومن طريف ما رواه لي عبدالوهاب حومد فيما بعد أن الوزراء كانوا ينامون معظم لياليهم خارج منازلهم متوهمين أن انقلابا يوشك أن يحدث، وكان عزت الصقال محاميا كبيرا من حلب، فشاء حزب الشعب أن يستفيد من سمعته، فاختاره وزيرا للعدل في حكومة العسلي فلم تتحمل أعصابه شائعات الانقلاب فقال لرفاقه الوزراء :

لقد أصبحت حياتنا جحيما لا يطاق، إن لدي اقتراحا يخلصنا مما نحن فيه هو أن نمنح مدينة حماه استقلالا ذاتيا كإمارة موناكو أو اللوكسامبورغ.

محور مصر والسعودية يسعى لعودة القوتلي إلى رئاسة الجمهورية.

بتاريخ 54/3/27 أشارت صحيفة الأهرام الى اجتماع عقده الملك سعود في منزل شكري القوتلي وحضره الرئيس محمد نجيب وقطبا حزبي الشعب والوطني: رشدي الكيخيا وميخائيل ليان ، وأشارت الأهرام إلى "أن البحوث التي دارت في هذا الاجتماع كانت حول القضية السورية وتطوراتها الأخيرة" ثم علقت بما يلي :

"على أن عودة المياه لمجاريها بين الأحزاب المختلفة، في حلب بالذات، ستؤدي إلى نتائج ايجابية، ولا سيما بعد هذا

التقارب الكبير بين حزب الشعب والسيد القوتلي" ولم أر سبيلا للوقوف في وجه مخططات الحزبين الرجعيين الحاكمين إلا بطرحها علنا على الشعب فوجهت إلي جريدة البعث بتاريخ 54/4/2 بعض الأسئلة التي أجبت عليها بما يلي :

س : بعد أن تجددت المفاوضات بين المقامات العليا وقادة البعث العربي الاشتراكي لحملهم على قبول الاشتراك في الحكم، تروج بعض الصحف أن هذه المفاوضات قد فشلت نتيجة لموقفكم فما هي حقيقة تلك المفاوضات وهذه المزاعم؟

ج : دعينا قبل عيد الجلاء، يوم 54/4/11، من قبل رئيس الجمهورية وبحضور رئيس الوزراء، وعرض علينا من جديد الاشتراك بوزارة ائتلافية وفي حال تعذر ذلك قبول تشكيل وزارة حيادية، وبعد البحث والمذاكرة تم الاتفاق مبدئيا على تشكيل وزارة ائتلافية يكون الحزب فيها على قدم المساواة مع الحزبين الآخرين على أن تشكل لجنة وزارية تشرف على الشؤون الداخلية والانتخابات، وعلى الرغم من اشتراط استبعاد الحزب عن الوزارات التالية : الداخلية والدفاع والخارجية والمعارف فقد قبل الحزب بهذا الشرط الذي لا تبرره أي حجة ولا منطق، مع العلم أن الحزب منذ بدء -المفاوضات الأولى- قد أبدى رغبة في عدم تسلم وزارة الدفاع، وقد استمهلت الجهات العليا يومين اثنين للبت بما اتفق عليه مبدئيا، فمضى اليومان ويومان آخران حتى استدعى فخامة رئيس الجمهورية ممثلي الحزب وطلب اليهم حرصا على مصلحة البلاد أن يلتزم الحزب موقف الصمت والتريث تجاه الشائعات المغرضة حتى يبت بهذا الأمر بعد عيد الجلاء مباشرة، وهكذا التزم الحزب موقف السكوت عن جميع الشائعات المغرضة التي ظلت تروج طيلة هذه المدة. من ذلك يظهر أن الحزب لم يطلب من أحد اشراكه بالحكم، كما أنه لم يشترط وزارة أو وزارات معينة، وان الاتفاق قد تم مبدئيا، ولكن النكول كان من الجهات الأخرى.

س : ما هو السبب في موقف الحزب المتساهل من قضية تشكيل الوزارة ؟

ج : لقد قبل الحزب توسط السيد كمال جنبلاط رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي المكلف من قبل رئيسي الحزب الوطني والشعب بتشكيل

وزارة ائتلافية ، يشترك الحزب فيها على قدم المساواة مع الحزبين الآخرين، وتأليف لجنة وزارية للإشراف على قضايا الانتخابات والشؤون الداخلية، ولما قبل الحزب الاقتراح المعروض عليه، عاد الحزبان فنكصا، فكان من الطبيعي أن يرفض الحزب بعد هذا النكوص أية مفاوضة، لأن القضية اصبحت لعبة سياسية مفضوحة، ولكن الحزب تقديرا منه للمسؤوليات العظمى المترتبة عليه في هذه الفترة الانتقالية التي تقضي وضع حجر الأساس في مستقبل الحياة الديمقراطية في هذه البلاد، عاد فقبل دعوة رئيس البلاد مرة أخرى.

هذا ما فعله الحزب في سبيل استقرار الاوضاع، والذي يدعو الى العجب هو موقف الحكومة الممثلة للحزبين المذكورين من الاثارات الطائفية في السلمية واللاذقية وحوران وغيرها من أنحاء البلاد، ومن الدعوة الصريحة على منابر بعض المساجد الى اتهام المؤمنين بالالحاد، تلك الدعوة التي تجعل الحكومة مسؤولة، لا سيما إذا علمنا أن إذاعة الدولة الرسمية قد نقلت بعض هذه الخطب المثيرة التي تدعو لقتل كل من لا يمشي في ركاب الحكومة، وتتهمه بالمروق، حتى أنه قامت في بعض المدن مظاهرات تؤيد العهد الديكتاتوري الماضي، وتحمل صورة صاحب ذلك العهد الأسود وعلى رأسها أشخاص يلوذون ببعض المسؤولين.

إن الفوضى والاضراب المصطنع المشبوه الذي عم أرجاء البلاد، وموقف الحكومة المشبوه منه، كان من الاسباب الرئيسية التي جعلت الحزب يقبل فكرة الائتلاف بالشكل الذي اقترحها عليه المسؤولون، لاعتقاده بأن للأجنبي ضلعا بإثارة النعرات الطائفية والبلبلة والفوضى في جميع أرجاء البلاد.

س : ما الذي قصدته بعض صحف سورية وبعض المصادر من ان الحزب قد ضغط وراء ستار؟

ج : ان هذه الشائعات هي من مطابخ الدعاية الاجنبية والفئات الرجعية، ولا أعتقد أن القصد من ذلك إلا الإيهام بأن الحزب قد استخدم الجيش وسيلة للضغط، والحقيقة ان الحزب لا يجيز لنفسه ولا لغيره أن يكون الجيش وسيلة للضغط، عدا عن ان التجارب الماضية قد اعطت درسا قاسيا بضرورة ابتعاد الجيش عن السياسة، ومن المستحيل أن يكون الجيش خاضعا لنفوذ أية هيئة سياسية، وهو الذي يضم بين صفوفه

نخبة من شباب البلاد الذين يقدرون واجباتهم ومسؤولياتهم تقديرا صحيحا.

ولا بد بهذه المناسبة من أن نكاشف الرأي العام بحقيقة ما يجري من الأمور، فقد علمنا عند اجتماعنا برئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ان رئيس الاركان العامة قد أدلى برأيه في أمن البلاد الداخلي والخارجي بمناسبة المفاوضات الجارية بين الأحزاب، **والحشد اليهودي على طول الحدود**، لمعالجة الموقف معالجة قومية تضمن وحدة الصف وتعاون الجميع للاضطلاع بالمسؤوليات الكبرى، ومجابهة المشكلات العويصة في هذه الفترة الانتقالية الخطيرة، وأن كل ما أشيع عن تدخل الجيش بالسياسة لا يعدو ما ذكر .. هذا ما علمناه عند اجتماعنا بالرئيس الأول ورئيس الوزراء .

إن هذا ليس بدعا ففي أعرق البلاد ديموقراطية يطلب إلى الجيش أن يبدي رأيه في شؤون البلاد العليا باعتباره مسؤولا عن أمنها وسلامتها داخليا وخارجيا. ونحن إذ نكون صريحين في هذا الموضوع فلاننا لا نرى بأسا من هذه الصراحة ولأنها تضع حدا للشائعات المغرضة التي يراد بها نشر البلبلة والفوضى والاضطراب.

يتضح مما سبق ان الحزب لم يكن متعنتا في أي موقف من مواقفه، بل إنه ذهب في التسامح الى حد يؤذي كرامته.. إن اللعبة التي قامت بها الفئات الرجعية هي إثارة القلاقل من جهة وتصوير الحزب بصورة المسؤول عنها من جهة أخرى، مع أنه كان هو نفسه الهدف من هذه الفوضى والقلاقل المشبوهة التي أثيرت وتثار.

وسيستمر الحزب رغم كل ذلك في نهجه الصميم محملا المسؤولين تبعة كل ما جرى وما سيجري في المستقبل مستميتا في إحباط الدسائس التي اصبحت البلاد مسرحا لها، وهو في تقديره العميق لخطورة ما يحيق بالبلاد خارجيا في هذا الظرف العصيب، يرجو أن يرجع كل مواطن إلى ضميره محاسبا نفسه عما ارتكب ويرتكب.

□

لم يتمكن اجتماع القاهرة من التغلب على التناقضات العربية والدولية، كما لم يستطع أن يتغلب على مصالح الحزبين

الشخصية والسياسية، مما أدى - بالاضافة الى المعارضة الواعية، ذات المنهج الشعبي التقدمي الديموقراطي الواضح لحزب البعث- إلى استقالة حكومة العسلي وتأليف حكومة حيادية أشرفت على الانتخابات النيابية.

وكان النجاح الوحيد الذي حققه اجتماع القاهرة هو عودة القوتلي -فيما بعد- الى رئاسة الجمهورية بتأييد من الاطراف المتناقضة : العراق ومصر والسعودية في الوقت الذي عجزت فيه هذه القوى عن احداث انقلاب عسكري ضد الحزب، بالرغم من اغتيال العقيد عدنان المالكي، وقد كشفت وثائق حلف بغداد تآمر الحزبين الحاكمين في هذه الحقبة وهي تؤكد بما احتوته من معلومات صحة رؤيتنا للأمور وسلامة مواقفنا منها، وفيما يلي بعض هذه الوثائق، وهي رسائل متبادلة بين فاضل الجمالي ورئيس الوزراء أرشد العمري (ابو عصام)

3 مايس 1954

سري للغاية

فخامة الأخ ابا عصام :

تحيات واشواق قلبية .

وبعد، فانني افكر في مهامكم الشاقة دائما واسأله تعالى أن يوفقكم لخير البلاد. أبرقت عن امكان اجتماعي بوفد من سوريا. جاءني امس مساء بصورة مكتومة السادة صبري العسلي رئيس الوزراء وعبد الرحمن العظم وزير المالية وحسني البرازي وعدنان الاتاسي واجتمعنا الى منتصف الليل. استعرضنا فيه الأوضاع الحاضرة في سوريا والاتحاد بين سوريا بالعراق وما يلابسه من مشاكل ويقف في الطريق من عقبات وطرق التغلب عليها.

1- ان الاوضاع الحاضرة في سوريا قلقة بسبب عدم ضبط الجيش وانتسابه الى خمسة احزاب على الاقل ومع أن هذا الوضع لا يعطي السعوديين مجالا للعمل الفوري الا انه خطر على كل حال. السؤال المهم هو هل العراق مستعد ان يبعث بقوة اذا قام قسم من الجيش بالعصيان وذلك بعد ان يطلب رسميا وبصورة سرية من الآن تدخل العراق فيما اذا حدث انقلاب في الجيش.

لا شك أن الاحتمال هذا (لن) يكون بعيدا فيما اذا كتلت الحكومة السورية موالين من الجيش واغراء البعض منهم بالدراهم ان الكل مجمعون على أن دخول الجيش العراقي سواء لقمع حركة عصيان أو لمجابهة تحرش اسرائيلي هو اكبر ضمان للاتحاد.

2- ان استعراض عملية الاتحاد بصورة عامة تتطلب التفاهم مع الدولتين الغربيتين الكبيرتين امريكا وانكلترا وقد وعدت ان اقوم بذلك اما فرنسا فلا يؤمل ان توافق ولا السعوديين ولا اسرائيل ثم موافقة الحكومة العراقية والراي العام العراقي. أما الرأي العام السوري فسهل موافقته فمع أن رجال السياسة اكثرهم من دعاة الاتحاد الا انهم يخشون التظاهر بذلك. فاذا رأوا حكومة سورية تندفع بالأمر فلا بد من سيرهم جميعا معها دون اكثرية على الاقل.

3- لقد تم الاتفاق على ان يعد عدنان الاتاسي مشروع اتحاد ويقدمه لنا بعد اسبوعين واني أرى أن يقوم السادة عبدالله بكر ويوسف الكيلاني

يساعدهم عبد المجيد عباس او عبد الكريم الازرى باعداد مشروع مقابل.

4- ان العنصرين المتحمسين كثيرا للاتحاد هما السادة صبري العسلي وحسني البرازي وقد تم الاتفاق على تشكيل لجنة سرية من الشخصيات البارزة الممثلة لتعقيب الامر

5- ان كل من السيدين صبري العسلي والبرازي ينتظران وضع العراق المبالغ اللازمة تحت تصرفهم للامور التالية :

أ- السيطرة على الجيش.

ب- التمهيد لانتخابات المجلس الجديد.

ج- السيطرة على الرأي العام.

كنت قد ابرقت طالبا خمسة آلاف دينار مبدئيا للسيد حسني البرازي هذا مجمل للوضع وهناك تفاصيل كثيرة لا مجال لذكرها واني أرى ان الامر يتطلب زمانا وجهودا مستمرة ولكنه في نظري يستحق كل اهتمام لانه الحجر الاساسي في اعادة اعتبار العالم العربي وانقاذ كرامة العرب.

يصلكم الملحق العسكري العقيد صالح مهدي ارجو ان تزودوني معه بما لديكم من آراء وهو يشرح لكم الوضع جيدا.

التوقيع

اخوكم فاضل الجمالي

ص 1127 الجزء الثالث - كتاب محكمة الشعب.

من الخارجية الرقم 61

الى سفارة بيروت التاريخ 1954/6/7

ما يلي : من فخامة رئيس الوزراء الى فخامة الجمالي

يرجى تنويرنا عن نتيجة المداولات التي نوهتم عنها ببرقيتكم المرقمة 97 بكتاب يرسل بالبريد السياسي واخبارنا عن صحتكم وموعد عودتكم.

اوتيل الجبل الاخضر - برمانه

في 1954/6/9

فخامة الاخ الاعز ابا عصام المحترم

اشواق واحترامات

وبعد : فقد اجتمع عندي ليلة أمس الاثنين 1954/6/8 السيد صبري العسلي رئيس وزراء سوريا ومعه السيد ميخائيل اليان بحضور احمد مختار بابان باشا ودام الاجتماع الى الواحدة ليلا وها انا الخص لفخامتكم الظروف على الوجه التالي :

1- الجيش السوري هو مصدرعدم الاستقرار وضعف الحكومة الزائد يجعله سيد الموقف.

2- الجيش السوري فيه عناصر تخشى الاتحاد وتفهم منه أن العراق سيجرد الضباط من سلطاتهم.

3- الوزارة السورية الحالية ضعيفة وغير متجانسة ويؤمل تقويتها قبل الانتخابات اذا لم يحدث ما لم يكن في الحسبان.

4- السعوديون يدبرون خطة لاحداث الانقلاب والمجيء بشكري القوتلي الى سوريا.

5- صبري العسلي ينتقد سياسة الحكومة العراقية في الماضي باعتمادها على حزب الشعب ثم انه انتقد اعتماد العراق على الشيخ معروف الدواليبي وعلى غيره من الشخصيات ومن رأيه ان العراق اذا كان جادا فيجب أن يعتمد هو ومعه ميخائيل اليان وان في ايمانه بالاتحاد واخلاصه له خير ضمان ومع ذلك فهو لا يضمن النجاح فورا ولكنه سيكرس حياته وجهوده لتحقيق اهدافه القومية وانه وان كانت العلاقات بينه وبين القوتلي طيبة الا انه لا يتفق معه على السياسة السعودية وموضع الاتحاد وسيبقى يناضل في سبيل الاتحاد.

معالجة الموقف .

استعرضنا امكان ارسال جيش عراقي فلم نجد امكانا لذلك فلا توجد اتفاقية بين سوريا والعراق لمجيء الجيش العراقي لحفظ النظام الداخلي ولا توجد اكثرية وزارية تجرأ على القيام بهذه الاتفاقية حتى ولو كانت سرية كما ان الاتاسي رئيس الجمهورية بدوره يتخوف من توقيع طلب بذلك ولا توجد امكانية في الوقت الحاضر لتبادل الجيشين العراقي والسوري لغرض التدريب والمناورات لان الجيش السوري لا يطمئن لذلك ولا يمكن استغلال العدوان

الاسرائيلي على سوريا لان ذلك قد يؤدي الى صراع دولي يكون الغلبة فيه لاسرائيل ولذلك فارسال جيش عراقي لحماية سوريا من اسرائيل يجب أن ينتظر اعتداء اسرائيليا خطيرا ومع كل هذا فالجماعة يتركون الامر لنا ان وجدنا طريقا لارسال الجيش فذلك افضل الوسائط واسرعها لانجاز الاتحاد. اذا لا يمكن ارسال جيش عراقي فيجب العمل على كسب الجيش السوري وتكتيله الى جانب الحكومة ولهذا يتوقع السيد صبري العسلي مساعدات مالية ثم لا بد من القيام بحملة انتخابية اتحادية لكسب الموقف بالاصول البرلماني. يرى السيد صبري العسلي ضرورة الاعتماد عليه وحده وعدم القيام ببعثرة الدراهم والجهود هنا وهناك اننا نؤيد الاعتماد على صبري العسلي وجعله مركز الثقل للحركة ولا يمنع هذا الاتصال بالاخرين على شرط ان يتم التناسق في العمل ويطلع صبري على ما نقوم به من جهود.

قبل انهاء الجلسة قلت لصبري اريد ان يكون واضحا ماذا نقصد بالاتحاد؟ فقال الاتحاد في الشؤون العسكرية والسياسية والاقتصادية قلت ولكن المهم لدينا رئاسة الاتحاد فنحن لا يسعنا دخول الاتحاد ليس ملك العراق رئيسه واذ ذاك يصبح القلق الذي يساور سوريا بسبب نظامها الجمهوري يؤثر على مصير العراق ايضا وفي هذا ضرر بليغ ما فوقه ضرر على المصلحة العربية ووافق على أن يكون ملك العراق رئيسا للاتحاد.

انهى معالي السيد بابان الجلسة بقوله نحن يهمنا تقوية الحكومة القائمة في سوريا ودعم العسلي بكل طريقة ممكنة ولذلك فعلى العسلي ان يتقدم بطلباته واقتراحاته ونحن دوما مستعدين لانجاز ما نستطيع انجازه. (كتاب محكمة الشعب - الجزء الثالث ص 1169).

وقد أدلى السيد فاضل الجمالي خلال محاكمته بالأقوال التالية بما يتعلق باجتماعاته في لبنان مع الساسة السوريين ومع رئيس الأركان شوكت شقير الذي أراد أن ينبه الجمالي الى عدم التدخل في الشؤون السورية ..

أقوال الجمالي :

بعد تشكيل وزارة ارشد العمري ظهرت قرحة في معدتي سببها القلق والارهاق ايام الفيضان فاضطررت الى مغادرة العراق ودخولي المستشفى في بيروت ثم الاستشفاء في الجبل. في اثناء استشفائي زارني السادة

صبري العسلي رئيس وزراء سوريا وعبد الرحمن العظم وزير المالية في سوريا والسيد عدنان الاتاسي من حزب الشعب والسيد ميخائيل اليان من الحزب الوطني والسيد حسني البرازي مستقل واظن هناك شخص آخر أو اثنين واستمعت الى آرائهم بالرغم من مرضي وسوء حالتي الصحية. ورفعت تقريرا بذلك ارسلته بصيغة كتاب شخصي وسري الى رئيس الوزراء السيد ارشد العمري. ثم زارني بعد ذلك السيد العسلي وتباحثنا ثانية. ورفعت كتابا ثانيا الى رئيس الوزراء ووصفت القول. وجدنا بأن الموضوع يتطلب مبالغ لتصرف للدعاية واستعداد الجيش العراقي للتدخل اذا لزم الامر وهذا لم يكن ممكنا بدون اسس شرعية، وهي ليست متوفرة، وضمان عدم هجوم اسرائيل التي كانت تلك السنة قد قامت بعدة اعتداءات فاجعة على الاقطار العربية المجاورة منها حادثة قبيه ونحالين وذلك عن طريق التفاهم مع كل من الولايات المتحدة الامريكية وانكلترا هذا ولم تقم وزارة ارشد العمري باي عمل ولم تنفذ شيئا من الرسائل التي ارسلتها ووضعت مكاتيبي على الرف لا سيما وانا مريض وقد سافرت الى امريكا للفحوص الطبية".

"لم تكن هذه الاتصالات سوى اتصالات شخصية الغاية منها الاستطلاع والتعرف وربما كان اهم اتصال أثر في هو اتصالي برئيس اركان الجيش السوري الاسبق الذي رغب ان يتعرف على شخصية عراقية غير مسؤولة فرحبت بالاجتماع به. اجتمعت به في دمشق فوصف لي الوضع في سوريا اليوم قال انه اشبه ما يكون بوضع الدولة العثمانية في اواخر أيامها، وكانت تدعى بالرجل المريض، الكل يتدخلون بشؤونها مصر والسعودية والعراق والانكليز والامريكان والفرنسيون والسوفيت والاتراك والطليان وغيرهم وحتى اسرائيل لها عملاء وجواسيس. وقال انه يرجو ان تصبح العلاقات بين سوريا والعراق تعاونية وودية بعد انتخاب رئيس الجمهورية في ذلك الصيف. وفي الحقيقة اني تأثرت وتخوفت على سوريا من هذا الوصف ومنذ ذلك الحين اصبحت منكمشا ومتخوفا على الوضع في سوريا ولم أعمل شيئا ولم اكلف باي عمل في سبيل الاتحاد الى يومنا هذ". (محكمة الشعب- الجزء الثالث، ص 1098).

ومن جهة ثانية كانت الاتصالات جارية بين الحكومة العراقية وبين السوريين القوميين وبين عملاء لها في جبل العرب كما تدل الوثائق التالية :

اطلع سعادة رئيس اركان الجيش على كتابكم المرقم م ع ل /ا/68 والمؤرخ 1954/5/14 يجري تهيئة المواد المطلوبة بكتابكم. امر سعادة رئيس اركان الجيش بارسال احد الضباط بصورة متنكرة للاتصال بالاطرش وللتعرف على منطقة الجبل ولتقرير الطريق الذي سيسلكه عند عودته لايصال المهمات مع العلم ان هذا الضابط سبق له أن توغل في اراضي الاردن بصورة متنكرة واستطلع بعض السبل في منطقة جاوه التي تؤدى الى الجبل. نفضل ان يسافر الى سوريا كمدني حيث يتصل بكم في المفوضية لتأمين مقابلته للاطرش واستطلاعه للمنطقة بالطريقة التي ستنسبونها نرجو ان تبرقوا الينا بتأييدكم لهذه الفكرة وعدمه وأية مقترحات لديكم بهذا الخصوص.

(التوقيع مدير الاستخبارات العسكرية)

تليت هذه الوثيقة المؤرخة في 1954/5/22 والموجهة إلى الملحق العسكري بدمشق في محاكمة رفيق عارف رئيس أركان الجيش العراقي (ص435 كتاب محكمة الشعب - الجزء الثاني)

من الملحق - بيروت التاريخ 1954/4/28

الى الاستخبارات العسكرية الرقم 57

ما يلي من فخامة الجمالي الى فخامة رئيس الوزراء.

اجتمعت بالقوميين السوريين وعلمنا منهم بأن سوريا مقدمة على احداث قد تكون خطيرة في الاسابيع القليلة القادمة انهم مستعدون للسير بتوجيهات العراق اقترح استقدام المقدم غسان جديد ليحضر الى بغداد لمواجهة فخامتكم بصحبة العقيد صالح مهدي.

التوقيع - الجمالي

محكمة الشعب - الجزء الثالث، ص 1124

استقالة حكومة صبري العسلي والتناقضات العربية والدولية والداخلية التي أدت إلى اسقاطها والخطة التي اتبعها حزب البعث العربي الاشتراكي - الاقطاعيون يحولون انتصاف الليل في مدينة حماه موعدا لاطلاق الرصاص وسقوط الجرحى - تشكيل وزارة سعيد الغزي الحيادية للاشراف على انتخابات مجلس 1954- عودة الرئيس السابق شكري القوتلي الى سورية من منفاه في مصر- حزب البعث يخوض بقوة انتخابات 1954 - خطاب للدكتور جمال الأتاسي في اجتماع انتخابي يستعرض فيه تاريخ نشوء البعث العربي الاشتراكي ولماذا تم الدمج بين الحزبين- نتائج انتخابات 1954 تشير بوضوح إلى الجو التقدمي التحرري الذي بدأ يعم سورية- مؤسسات فوقية وتيار شعبي جارف- فارس الخوري يشكل أول وزارة بعد الانتخابات، والقدسي رئيسا للمجلس.

استقالة حكومة العسلي بعد ثلاثة أشهر من تأليفها .

إن السؤال الذي يمكن أن يطرح حول هذه الاستقالة :

ما هي الأسباب التي فجرت التناقضات العربية والدولية والداخلية وأدت إلى انفراط ائتلاف الحزبين الحاكمين وسقوط وزارة صبري العسلي في النصف الأول من حزيران؟

الأسباب العربية والدولية ...

بتاريخ 54/5/17 أقامت أسرة الصحافة الدمشقية حفل افطار في نادي الشرق على شرف الصحافي الاستاذ محمود أبو الفتح حضرها رئيس الوزارة صبري العسلي ورشدي الكيخيا وخالد العظم وحسن الحكيم ورشاد جبري وعفيف الصلح وفاخر الكيالي، وقد خطب بعض اصحاب الصحف مرحبين بصاحب جريدة

المصـري ومتحـدثين عـن حريـة الصـحافة وأهميتهـا فـي الحيـاة الديمقراطية، وعـن مـدى تقـدير الصـحافة السـورية لهـذه الحريـات وشعورها بالنكبة التي حلت بجريدة المصري، فرد ابو الفـتح علـى الخطباء بكلمة عدد فيها الأسـباب الحقيقيـة الكامنـة وراء الخـلاف بين المصري وبين رجال مجلس الثورة.

وفـي تـاريخ 54/5/22 أعلـن نـاطق باسـم وزارة الخارجيـة المصرية أنها طلبت رسميا من الحكومة اللبنانية تسليمها الاستاذ محمـد ابـو الفـتح رغـم أنـه لا يوجـد اتفـاق لتسـليم المطلـوبين السياسيين أو العاديين بين البلـدين - وأضـاف النـاطق ان حكومتـه قد طلبت من دول عربية أخـرى (يشـير الـى سـورية) أن تمنـع أبـا الفتح من القيام بأعمال معادية للحكومة المصـرية، كمـا أذيـع فـي الوقـت نفسـه أن رئـيس الجمهوريـة محمـد نجيـب ورئـيس الـوزراء البكباشي جمال عبد الناصر استقبلا شكري القوتلي في القـاهرة واحيط الاستقبال بكثير من وسائل لفـت النظـر والاعـلام المسـبق وقد علقت بعض الصحف على اجتماع شكري القـوتلي مـع جمـال عبد الناصر بقولها:

من المعروف أن الـرئيس السـوري السـابق لا يشـتغل بالسياسـة المصـرية، كمـا كـان معروفـا منـذ اللقـاء الثلاثـي المشـهور فـي الاسكندرية (بين سعود والقوتلي ورشدي الكيخيا وميخائيل ليـان) ان السـيد شـكري القـوتلي قـد اعتـزم وقـف نشـاطه فـي ميـدان السياسة السورية مدة لن تنتهي قبـل اجـراء الانتخابـات النيابيـة، وتساءلت هذه الصحف: أيريد مجلس الثورة بهذه المقابلة أن يلـوح بأن فخامة القوتلي يمكن أن يرجع عن عزمـه وأن يعـود قريبـا إلـى دمشق؟

□

في الفترة نفسها زار سفير الولايات المتحدة المستر كافري الرئيس السابق شكري القوتلي، وقد أحيطت هذه المقابلة بتكتم شديد. وقالت مجلة روز اليوسف:

أرسل المستر كافري تقريرا هاما الى حكومته في الاسبوع الماضي، وكان ذلك بعد اجتماعه بإحدى الشخصيات الكبيرة، (شكري القوتلي) وان المستر كافري سيزور سورية خلال عطلة العيد.

كما أن جمال عبد الناصر قابل سفير سورية في مصر قبل ثلاثة أيام من مقابلته لشكري القوتلي ودامت المقابلة وقتا طويلا وقد نشرت مجلة أخبار اليوم الأسبوعية ما دار من حديث خطير مأخوذ من نص محضر رسمي سمح لها بنشره:

استقبل رئيس الوزارة المصرية البكباشي جمال عبد الناصر سفير سورية نجيب الأرمنازي وحدثه بما يلي :

"ينبغي أن اعترف بصراحة أن معرفتي برجالات العرب وساستهم ما زالت في دورها البدائي ولم تتح لها الظروف ان تتوطد بعد، وأنا أسلم بأن هذه ليست مزية، ولكن انتم تعرفون الظروف، وأنا اعرف ان بين كثيرين من ساسة العرب حزازات قديمة وبين بعضهم منافسات ومؤامرات، ولكني أوكد لك ان هذا كله لا يهمني وبالتالي ليس من أهدافي أن أدخل في هذه العملية القديمة، وقد حاولت أن أدعو أحد السياسيين السوريين لأتحدث معه ولأشرح له حقائق دعوتنا، وقد وجهت بالفعل الدعوة للدكتور معروف الدواليبي وزير الدفاع السوري ويظهر أنها أثارت اشكالا سياسيا في سورية، وهو اشكال لم أهدف إليه ولم أقصد إثارته طبعا، ولم تكن لي بالاستاذ الدواليبي معرفة سابقة، وكل الذي اعلمه انني تدخلت من أجله لدى الشيشكلي وكنت قد فهمت أنه أسيئت معاملته في السجن ورجوت الشيشكلي أن يفرج عنه، ولما تغيرت الأوضاع وأصبح الدواليبي وزيرا للدفاع، خطر في بالي وبيننا صلة على البعد- هي الظروف التي رويتها لك- أن أدعوه كمسؤول وأن اتحدث إليه بصراحة ولقد كان الذي يهمني أن يعرفه المسؤولون في سورية أمران :

الأمر الأول : أنه لا يهمني أن تتحد سورية مع العراق أو الأردن أو مع تركيا ما دامت هذه هي إرادة الشعب السوري، ثم اني لا أريد أن تصبح أمنية الاتحاد بين العرب سلاحا في ايدي أعداء القومية العربية يشهرونه كلما شاؤوا أن يمزقوا أوصال العالم العربي، وأنتم تعرفون أن هنالك من لا ينظر بعين الارتياح الى مثل هذا الاتحاد في الوقت الحاضر على الأقل، ومعنى اتمامه الآن أن

تحدث فرقة في صفوف العرب، وعلى الذين يتكلمون في الاتحاد الآن أن يجدوا حلا لهذا الوضع، حلا يحفظ الوحدة القائمة للعرب بدلا من السعي وراء مغامرة محفوفة بالمخاطر قد تطيح بما في ايدينا الآن.

الأمر الثاني : ان هنالك من يقول لكم اني أريد أن يعود الجيش السوري الى التدخل بالسياسة وأنا أؤكد ذلك وأطلب منك أن تنقل هذا التأكيد الى دمشق :

إن ذلك أمر لم يخطر ببالي ولا أظن أنه يخطر ببال عاقل. بقيت مسألة هامة أريد أن أحدثك عنها:

إن هنالك حملة صحافية عنيفة ضد مصر في صحف سورية ولقد رجوت الصحف المصرية ألا ترد على هذه الحملة، وليكن جمال عبد الناصر رجلا ثقيل الدم على قلب صحف سورية، ولكن هذا لا يؤثر في لأن الذي يهمني هو مصر كمصر وسورية كسورية، ولقد قال لي بعضهم :

ادفع لصحيفة كذا أو صحيفة كذا، وأنا لم أتعود أن أدفع مالا للصحف ولن أمارس هذه العادة بحال من الأحوال. بقيت مسألة أخيرة :

لقد علمت ان رئيس وزراء سورية وبعض وزرائها حضروا مأدبة اقيمت لمحمود أبو الفتح وأنا أحب أن يعرفوا وجهة نظري في هذه المسألة : انني اعطيهم العذر في هذا ولا ألومهم ولا اعتب عليهم وانما أقدر ظروفهم.

مؤامرات حكومة العراق في الجيش.

كان العقيد عدنان مالكي قد اطلعني منذ البداية ان أخبارا وردت الى الشعبة الثانية في الجيش مفادها أن العقيد محمد صفا قد دخل سورية سرا من العراق وأنه يتصل مع بعض عناصر الجيش المعروفة بعدائها للاتجاه التقدمي. وكان يرى أنه لا بد من الوقوف بحزم في وجه الدكتور الدواليبي الذي اتهمه بالوقوف وراء ذلك فكنت أنصحه بضبط النفس، وكنت اطمئنه بأن معارضة الحزب ستكون مجدية وكفيلة بالخلاص من حكومة صبري العسلي.

ولم يذع الجيش مؤامرة صفا ورفاقه بتهمة تحريض الجيش على العصيان رسميا إلا مع اعلان تأليف حكومة الغزي في

1954/6/9 بعد استقالة صبري العسلي وفيما يلي خلاصة ما أذيع عنها بإيجاز :

تبلغت رئاسة الأركان منذ شهرين ان العقيد المتقاعد محمد صفا قد وصل سرا إلى سورية وأنه يقوم بالاتصالات مع بعض العسكريين وبعض السياسيين وقد وضع العقيد المتقاعد صفا تحت المراقبة منذ ذاك التاريخ فتبين أنه قد اتصل ببعض أقطاب الحكومة السابقة، وانه كان ينتقل سرا من منطقة إلى منطقة ومن منزل إلى منزل في دمشق، وقد ازداد نشاطه مؤخرا ووسع حلقة اتصاله فاستدعي الضباط الثلاثة الذين اتصل بهم محمد صفا وضبطت إفادتهم ثم أحيلوا الى النيابة العامة العسكرية، وفي ليلة الجمعة 54/6/17 أبلغت الشعبة الثانية أن العقيد صفا يقيم في دمشق وفي بيت يقع في شارع خالد بن الوليد وأنه اتخذ الاحتياطات اللازمة لئلا يفتح الباب إلا لمن يعرف كلمة السر، وعندما عرفت الشعبة الثانية كلمة السر ذهب رئيسها مصطفى رام حمداني وآمر الشرطة العسكرية اكرم الديري الى البيت فإذا بهما وجها لوجه أمام العقيد المتقاعد الذي يطلبه المحقق العسكري، وقد حاول الهرب ولكنه لم يتمكن من ذلك، وقد رافق الضابطين اللذين أوصلاه الى المحكمة العسكرية وسلماه الى المستنطق العسكري، وقد اعتقل المقدم المتقاعد (جروس) الذي كان يقوم بالاتصالات التي يجريها العقيد صفا وأحيل أيضا الى النيابة العامة العسكرية، وقالت رئاسة الأركان العامة :

إن العقيد صفا كان قد أجرى اتصالات مع بعض العرفاء والجنود وأن المستنطق العسكري لا يزال يوالي التحقيقات في هذه القضية، وأن الانباء التي نشرتها الصحف اللبنانية كانت مشوشة ومبالغا فيها.

من ذلك يتبين السبب الذي حدا بجمال عبد الناصر أن يطلب الاجتماع بوزير الدفاع معروف الدواليبي ليظهر له قلقه، كما يتبين أيضا سبب حديثه مع السفير السوري في مصر نجيب الأرمنازي.

كـان الـدكتور الـدواليبي بحكـم علاقتـه الوثيقـة بسياسـة الاخوان المسلمين في مصر وسـورية مـن الجنـاح المنـاهض فـي حزب الشعب للمشـاريع الاتحاديـة مـع نظـام نـوري السـعيد، وقـد يفاجأ القارئ: كيف ان الدواليبي أصبح في عهد الشيشكلي على اتصال بالحكم الرجعي في العراق؟

الواقـع أنـه منـذ أن اسـتفحل الخـلاف بـين الاخـوان ورجـال الانقلاب فـي مصـر، فكـر الاخـوان ان يسـتمدوا الـدعم والعـون مـن العـراق، وانـنـي لا زلـت أذكـر الاجتمـاع الـذي ضـمنا نحـن الثلاثـة ميشيل وصـلاح وأنـا فـي مطعـم الغلاييـنـي مـع الشـيخ مصـطفى السـباعي اثـر لجوئـه الـى البنـان بعـد أن ضـيقت عليـه مخـابرات الشيشكلي في سورية، وقد تحدثنا في تلك الجلسة عن ضـرورة قيام جبهة وطنية فتساءل السباعي:

ترى أمن الممكن للعراق أن يدعمنا في معركتنا ضد الديكتاتورية؟

ولما لم يـر حماسـة مـن قبلنـا تـرك الموضـوع مفتوحـا لبحثـه فـي المستقبل، وقد اعترف الدواليبي فيما بعد بعلاقته مع الحكـم فـي العـراق عنـدما كـان لاجئـا سياسـيا فـي لبنـان أثنـاء اعتقالنـا فـي سجن المزة، وبرر هذه العلاقة بأنها كانت احدى الوسائل لاسـقاط ديكتاتورية الشيشكلي.

أما الزعيم شوكت شـقير رئيس الأركان فقد ظل علـى ولائـه لمصر والسعودية. لذلك بادر الى الاعلان عـن مـؤامرة العقيـد صـفا إثر توتر العلاقات بين سورية ومصر واسـتقالة صبري العسـلي.

لقد أدت التناقضات العربيـة - الدوليـة والـى جانبهـا العوامـل الداخلية إلى استقالة وزارة صبري العسـلي وتأليف حكومة حيادية للاشـراف على الانتخابـات أمـا العوامـل الداخليـة فأولهـا اسـتحكام الخلاف بين حزب الشـعب والحـزب الـوطني بعـد المعركـة الداميـة بين أنصارهما من آل بري وآل حمادة في حلب.

كما إن الحـزبين لـم يكونـا مقـدرين تمـام التقـدير قـوة حـزب البعث العربي الاشـتراكي الجماهيرية ولم يكونا قـانعين بـأن انهيـار حكم الشيشكلي لم يكـن نتيجـة انقـلاب عسـكري سـاهموا فيـه

بالقسط الأكبر كما زعموا، بل كان في حقيقته ثورة شعبية تركت آثارها البعيدة في صفوف الفلاحين والعمال وأبناء الشعب. ولم تستيقظ الرجعية في سورية على هذه الحقيقة إلا تدريجيا وبعد فوات الأوان.

□

وهنا لا بد لنا أن نستعرض الوضع الدولي والعربي قبل وبعد تشكيل حكومة الغزي وانعكاساته على الوضع في سورية، بعد أن قرأنا في وثائق حلف بغداد اخبار الاموال التي بدأت تتدفق على البلاد، ولم تقصر السعودية في هذا المجال وانما أنفقت أضعاف أضعافه.

كانت المفاوضات البريطانية المصرية - بضغط من الولايات المتحدة - تقترب من نهايتها وهذا ما يقتضي بطبيعة الحال عدم استفزاز بريطانيا من قبل امريكا ومصر، وقد انتهت هذه المفاوضات بتاريخ 1954/7/27 بتوقيع رئيس الوزراء جمال عبد الناصر ومستر هيد وزير الحربية البريطاني. بالنيابة عن حكومتيهما على اتفاق مدته سبع سنوات ينص على جلاء القوات البريطانية عن قاعدة قناة السويس وأراضي الجمهورية المصرية جلاء تاما خلال عشرين شهرا من تاريخ توقيع الاتفاقية ومن أهم بنودها:

1- ان تسمح الحكومة المصرية لبريطانيا باستخدام قاعدة القنال في حال وقوع هجوم مسلح على دول الجامعة أو تركية.

2- أن تتولى صيانة القاعدة شركات مدنية بريطانية.

3- احترام مصر لاتفاقية القسطنطينية الموقعة عام (1888) والمتعلقة بالملاحة الدولية في قناة السويس.

وفي تاريخ 54/7/29 أجاب وزير الارشاد القومي الصاغ صلاح سالم عن احتمال انضمام مصر الى منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط فقال :

إذا ما أجرينا مباحثات بهذا الصدد فسيكون ذلك بالاشتراك مع الدول العربية الأخرى.

لاقت الاتفاقية الجديدة المصرية البريطانية معارضة شديدة من حزب البعث الذي نشرت جريدته تصريحا للهضيبي جاء فيه :

انني لم أجد أي مصلحة لمصر بعقد هذه الاتفاقية بل هي تحوي كل اضرار بمصالح مصر والدول العربية، أما ما نصت عليه من جلاء الجنود البريطانيين عن منطقة القناة خلال عشرين شهرا من وقت ابرامها فهذا أمر كان متفقا على أن يتم في آب (1956) بموجب معاهدة 1936 التي الغتها مصر، ثم خلص الى القول :

"إنه لا يجوز إبرامها دون عرضها على مجلس يمثل إرادة الشعب".

كان التقارب في هذه الفترة واضحا بين بريطانيا والولايات المتحدة وبين العراق ومصر وقد تبدى ذلك بزيارة الصاغ صلاح سالم بغداد ومباحثاته مع نوري السعيد وتصريحاته التي فندتها جريدة البعث بتاريخ 54/8/23 عن الحياد وفلسطين والعالم العربي، وقد كان الرأي السائد في سورية أن العراق ومصر متفقتان على موقفهما تجاه الغرب ولكنهما مختلفتان على الزعامة العربية وصيغتها، وقد شجع هذا التقارب المصري العراقي بريطانيا على إعادة نوري السعيد الى الحكم، وجاء في جريدة المانشستر غارديان في تلك الفترة :

انه من المحتمل أن تتمكن بريطانيا من الحصول على معاهدة مع نوري السعيد تكون افضل مما قد يمكنها الحصول عليه من أي رئيس وزارة عراقي... ثم اشارت الى الآمال التي تعلقها الولايات المتحدة على تعاون حكومة العراق في نظام دفاعي عن الشرق الأوسط. وكشفت عن تمنيات بريطانيا بصدد الانتخابات النيابية المقبلة في العراق وقالت: "إن المجلس النيابي الجديد سيضمن للعراق حكومة مستقرة تساعد على تحقيق الاستقرار في الشرق الأوسط".

قاطعت الاحزاب الوطنية في العراق الانتخابات التي تزمع اجراءها حكومة نوري السعيد وكان حزب البعث يدعم المعارضة

الوطنية في العراق، وتولت جريدة البعث الدعاية للأحزاب الوطنية المعارضة في العراق وإبرازها.

□

فجرت محادثات سرسنك بين الصاغ صلاح سالم ونوري السعيد التناقضات العربية والدولية من جديد لأن موضوع سورية كان أهم ما دار في هذه المحادثات، فكانت سورية دوما سبب الخلاف الحقيقي بين المعسكرات الدولية والمحاور العربية، لأنها كانت وما تزال مفتاح المنطقة العربية، كما ردد عبد الناصر هذا القول أمامي عدة مرات، لذلك كان من الطبيعي أن تستنكر على لسان رئيس وزارتها سعيد الغزي هذه المباحثات :

"إننا نستغرب ما ينشر حول المباحثات من أنها تتناول مصير سورية وعلاقاتها العربية والدولية، ونستبعد أن تقدم أي حكومة من الحكومات العربية على معالجة أي شأن من شؤون سورية دون معرفتها، إن مثل هذه الشؤون تعود إلى السوريين انفسهم وفي سورية وحدها يقرر الشعب السوري اتجاهه".

كانت المملكة العربية السعودية بعيدة عن هذه المباحثات فاحتجت عليها بلسان رسمييها وأجهزة إعلامها، ونشرت الصحف آنذاك ان الملك سعود أوعز الى ممثل المملكة في القاهرة ابلاغ الحكومة المصرية احتجاجها و "ان الملك كان صريحا جدا عندما أعلم الحكومة المصرية برأيه عن المحادثات التي جرت بين الحكومة العراقية والصاغ صلاح سالم" (وكالة الانباء العربية 1954/8/28).

وقد تلقت الحكومة السورية بعد تصريح الغزي مباشرة تأكيدات من مصر بأن نظام سورية وكيانها لم يكونا موضع مساومات واتفاقات في مؤتمر سرسنك وأن الصاغ لم يسلم بطلب تحقيق اتحاد سوري عراقي وانما عبر عن سياسة حكومته بصورة عامة عندما قال :

إن مصر لا تعارض أي اتفاق ثنائي بين أي بلدين عربيين فيما إذا رغب الشعبان فيه، ثم اضافت هذه التأكيدات ان الصاغ

صلاح سالم حصر همه في مباحثات سرسنك لجعل العراق لا ينفرد عن المجموعة العربية في اتخاذ أي خطوة للانضمام الى الحلف الباكستاني التركي، ثم اضطر الصاغ صلاح سالم (بعد اجتماعه مطولا مع رئيس الوزارة البكباشي عبد الناصر) لأن يؤكد بنفسه في مؤتمر صحفي "أن الابحاث في مؤتمر سرسنك لم تتناول تحقيق اتحادات ثنائية بين بعض البلدان العربية وانما تناولت توحيد السياسة الخارجية للبلدان العربية وتقوية العلاقات الاقتصادية والعسكرية بينها ثم أعلن في مؤتمره الصحفي أيضا بأن الاسرائيليين وغيرهم من اعداء الشعوب العربية يسعون الآن جاهدين لبث الريب والشكوك بين البلدان العربية ليحطموا الجهود التي تبذل لجمع كلمة العرب".

حدثني فاخر الكيالي فيما بعد، وكانت قد ربطته صداقة بصلاح سالم خلال الوحدة بين سورية ومصر ان جمال عبد الناصر قال له: إن صلاح سالم قد تعدى في محادثات سرسنك ما فوض به من قبل مجلس الثورة. أما صلاح سالم فقد قال له عندما سمح له بزيارته خلال الاقامة الاجبارية عليه في منزله: انه تقيد تماما بما قرره مجلس قيادة الثورة، وان جمال عبد الناصر قد تراجع عن موقفه بعد إجراء المباحثات، ومن يعرف جمال عبد الناصر يتأكد ان الصاغ صلاح سالم كان صادقا في قوله وأن تفويضه كان تكتيكا من جمال عبد الناصر على حساب سورية وارضاء للانكليز بعد عقد الاتفاقية البريطانية المصرية، كما كان تراجع عبد الناصر عن بعض ما تم في مؤتمر سرسنك مناسبة مواتية لاخراج الصاغ صلاح سالم من مجلس قيادة الثورة.

لم ينفذ من مباحثات سرسنك الا الاتفاق على قبول المساعدات الاميركية، ففي تاريخ 54/9/1 بدأت المباحثات الرسمية المصرية والاميركية حول المساعدات العسكرية والاقتصادية التي ستتلقاها مصر من الولايات المتحدة، وكان العراق قد أجرى في السابق مثل هذه المفاوضات وتم الاتفاق على تلقي بعض شحنات الاسلحة وهي شحنات ليس لها قيمة

دفاعية أو هجومية وانما يمكن استعمالها لحفظ الأمن وكأدوات قمع ضد الشعب :

"ينتظر أن تصل في شهر ايلول القادم أول شحنة من الاسلحة الاميركية وفق برنامج المساعدة العسكرية للعراق، وان فريقا من الخبراء الاميركيين سيأتون بهذه الشحنة للاشراف عليها" (بغداد 54/8/15 وكالة الانباء العربية).

إن المذكرة التي أذاعها مجلس قيادة الثورة المصري في شهر أيلول 1954 ووزعت على الصحف باعتبارها توضيحا لتصريح البكباشي جمال عبد الناصر حول رفض مصر الدخول بالاحلاف تستطيع أن تلقي ضوءا ساطعا على حقيقة السياسة المصرية آنذاك، وهذا بعض ما ورد فيها :

"إن رفض مصر الدخول بالاحلاف الدفاعية لا يعني ان مصر هي معادية للغرب لأن الرأي العام المصري سيفسر كل دخول في الوقت الحاضر في ميثاق دفاعي بعد مضي 72 سنة على الاحتلال البريطاني وكأنه انصياع للضغط الغربي". "إنه سيكون بإمكان المصريين - بعد فترة من الاستقلال تقوم خلالها الثقة المتبادلة بين مصر والدول الغربية- التطلع الى كل اتحاد وثيق بين هذا البلد (مصر) والدول الغربية بلا ريب. وتمضي المذكرة الى القول "بأن التعاون المبني على الثقة والصداقة بدون أن يكون اي اتفاق خطي بهذا الخصوص هو أفضل من وضع معاهدة يتطلع إلها المصري المتوسط بعين الشك" "انه يبدو انه ليس هنالك من شك بأن مصر مرتبطة بالغرب من كافة النواحي من حيث ثقافتها وتجارتها وحياتها الاقتصادية ومصر تعادي الشيوعية علنا وتعتبر ان الخطر الوحيد الذي يمكن أن يهدد الشرق الأوسط هو الغزو السوفييتي" "إن مصر تود من برامجها الدفاعية تقوية العالم العربي من أجل الدفاع عن نفسه سواء كان الهجوم من اسرائيل - الذي يمكن ان يحصل أو لا يحصل- أو من السوفييت" "إن الولايات المتحدة وبريطانيا لن تكتسحا العالم العربي وأن بريطانيا لم تكن تتخلى عن قناة السويس لو كان في نيتها اكتساح العالم العربي". وبعد أن عادت مذكرة مجلس الثورة المصري إلى التأكيد على ضرورة ترك المصريين لكي يعملوا -كما يطيب لهم- وذلك بغية تبديد الفكرة القائلة بأن الغرب يسلط ضغطه لحمل العالم العربي على عقد ميثاق دفاعي معه، خلصت الى النتيجة التالية :

"دعوا العرب يتحولوا بطبيعتهم الى الغرب للتزود بالأسلحة والعون، وكذلك فإنهم سيبنون بأنفسهم جهاز الدفاع ضد الغزو الشيوعي- وهو الغزو الوحيد الذي يمكن أن يهدد الشرق الأوسط- والشعب مع الوقت سيقتنع بأن الغرب لن يقوم بمحاولة اكتساح العالم العربي وبهذا تكون الصداقة قد توثقت بين العالمين العربي والغربي بدون أي ميثاق خطي..."

□

بعد هذه التصريحات والبيانات الرسمية التي كانت سورية خلالها على عتبة الانتخابات العامة، سافر بتاريخ 54/9/19 رئيس الوزارة سعيد الغزي وبصحبته رئيس الأركان شوكت شقير الى القاهرة، وقد أذيع رسميا أن جمال عبد الناصر وبحضور صلاح سالم اعتذر عن عدم ابلاغ الحكومة السورية نتائج مباحثات سرسنك لأن مصر كانت تعتزم ابلاغ هذه النتائج الى الحكومة السورية التي ستنبثق عن المجلس النيابي الجديد ولأن الاستاذ الغزي كان يؤكد أن حكومته انتقالية مهمتها الاشراف على الانتخابات النيابية، ثم شرح ان محادثات سرسنك لم تتعرض للكيان السوري، وان الصاغ صلاح سالم عندما أثيرت قضية الاتحاد السوري العراقي قال: إن مصر تعتبر هذه القضية بمثابة قضية داخلية تخص الشعبين السوري والعراقي، كما أشار عبد الناصر الى أن مباحثات سرسنك كان هدفها اجماع الدول العربية على قبول المساعدات العسكرية والاقتصادية من الولايات المتحدة وأردف :

إن الحكومة المصرية دخلت في مباحثات أولية مع الحكومة الاميركية لتزويد دول ميثاق الضمان الجماعي بالاسلحة - دون ارتباط بمشاريع دفاعية غربية - لأن ذلك يقوي الدول العربية عسكريا ويحميها من الاتحاد السوفيتي وبالتالي يصون الثروة البترولية التي يستثمرها الغرب ويصون المنطقة العربية الهامة استراتيجيا، ثم استطرد جمال عبد الناصر قائلا :

وعلى الرغم من ان الولايات المتحدة لم تخط خطوة ايجابية بعد لقبول هذه المطالب عمليا ولكنها تعيرها الاهتمام القوي ويمكن أن تؤدي في النهاية إلى نتائج ايجابية... وقد رد رئيس

الوزارة السورية على هذه الايضاحات بقوله : إن الشعب في سورية حريص على كيانه وسيادته، وان البرامج التي يتقدم بحسبها المرشحون للانتخابات النيابية العامة من جهة والاتجاه الذي يسيطر على الرأي العام السوري يشعران ان سورية حريصة على كل ما يزيد في تقوية الكيان العربي العام، وحريصة على حل القضايا العربية القومية المعلقة، وحريصة على الا تنزلق في أي مشاريع عسكرية تنحاز فيها إلى اي من المعسكرين. ولاحظ سعيد الغزي والزعيم شوكت شقير بأن سورية طالبت دائما برفع الحظر الذي تفرضه الولايات المتحدة على بيع الاسلحة لسورية في حين أنها تسهل لاسرائيل الحصول على السلاح.

كان اجتماع عبد الناصر مع رئيس وزراء سورية ورئيس أركانها في حقيقته محاولة لتشجيع - سورية على قبول المساعدات الاميركية، ولكن جواب الغزي على هذا الموضوع كان واضحا لا لبس فيه، ثم كشف عبد الناصر الجانب الآخر من المحادثات عندما القى كلمة في أحد الوفود المصرية التي كانت تزوره لتقدم التهنئة بالاتفاقية المصرية البريطانية قائلا :

لقد قلت لرجال سورية ان الاخوان المسلمين يتبعون سياسة استغلال البسطاء باسم الدين، وسياسة اخرى خفية بين القوات المسلحة وقوات البوليس في مصر لتكوين جهاز سري والقيام بعمليات إرهاب وقلت لهم : إنهم سيفعلون الأمر ذاته في سورية وبهذا تتحكم في سورية قوى خفية لن تسمح بقيام حياة ديمقراطية صحيحة، وقلت لهم ايضا: ان الاخوان يستبيحون دماء الناس وانهم متعصبون. وهكذا يظهر بأن الحملة الشديدة التي كان يقوم بها الاخوان المسلمون في سورية على الحكم في مصر كانت جزءا هاما من المباحثات التي جرت بين عبد الناصر وسعيد الغزي وشوكت شقير.

كانت جريدة البعث قد نشرت قبل ذلك وفي أواخر شهر آب تصريحا لمسؤول اميركي كبير. نقلا عن جريدة الاهرام - يقول فيه :

"إن حكومة مصر بعد حسم مشكلة قناة السويس ستتولى زعامة الشؤون الدفاعية والاقتصادية في منطقة الشرق الأوسط وانه واثق من ان مصر ستنجح عند الضرورة في جمع الدول العربية حول نظام دفاعي، أما من الناحية الاقتصادية فإن الدوائر الاميركية ترى أن مصر هي عامل معتدل للنفوذ في هذه المنظمة، وهي تعتمد على وساطتها الحميدة لاقناع الدول العربية الأخرى بالتعاون في مشروع استغلال نهر الاردن اقتصاديا، والدوائر الاميركية صريحة في قولها ان الدول العربية تعاونت تعاونا ملحوظا مع مستر اريك جونستون المبعوث الخاص للرئيس ايزنهاور في الجهود التي بذلها لمشروع تعاوني لاستثمار مياه نهر الاردن، وهي تعترف بفضل مصر في الموقف التقدمي الذي وقفته الدول العربية من هذا المشروع، وسيعود جونستون إلى مصر وفلسطين في تشرين القادم بأمل الحصول على موافقة شامله على هذا المشروع".

من ذلك كله يبدو بوضوح كيف أن المصلحة العربية في تلك الظروف كانت هي الضحية بين المعسكرين العربيين - في اختلافهما واتفاقهما- بدافع من الاقليمية الضيقة ومن التكالب على الحكم والنفوذ والسيطرة على الشعب العربي، تدفعهما الى ذلك القوى الخارجية الطامعة بثروات المنطقة البترولية وبمواقعها استراتيجية، وكانت قضية فلسطين ورأس الحركة التحررية في سورية اعظم ما يقدمه هؤلاء الحكام على مذبح مطامعهم ... لذلك كان من الطبيعي أن يلقى التأييد الشعبي مرشحو حزب البعث العربي الاشتراكي في انتخابات عام 1954 الذين اعلنوا بجلاء ايمانهم بالحياد بين المعسكرين الدوليين المتصارعين، ورفض المساعدات الاجنبية العسكرية والاقتصادية، ومعارضتهم للاتفاقية البريطانية المصرية ولسياسة الاحلاف ولمشاريع الاتحاد المشبوهة، ومناهضتهم لمشروع جونستون، وتمسكهم بالديمقراطية السياسية والاجتماعية، وايمانهم بالقضاء على الاستغلال الداخلي والخارجي واتخاذهم الشعب وسيلة وغاية للظفر في معركة التحرير.

ولكن هذه المواقف والمبادئ والافكار كانت تجعل البعث عدوا لقوى الاستعمار البريطاني والاميركي معا ولسياسة المعسكرين العربيين على السواء. ولا سيما في تلك الظروف التي كانت سورية فيها مركز اشعاع نضالي قومي بالنسبة للمنطقة العربية كلها، ولهذا الغرض استخدم المعسكران الدوليان والمعسكران العربيان كل يمكلون من اسلحة ومن قوى داخلية في سبيل اسقاط حكومة الغزي الحيادية بعد أن اكتشفوا انها أشد خطرا عليهم في المعركة الانتخابية من وزارة حزبية بعثية، تلك الحكومة التي بلغت جرأتها في التزام الحياد حدا سمحت فيه للحزب الشيوعي السوري أن يمارس نشاطه ويقدم مرشحيه للمعركة الانتخابية...

خطة البعث لاسقاط حكومة العسلي .

كانت خطة الحزب في معارضته للحكومة وفي تهيئة الجو الانتخابي غاية في البراعة والدقة، وقد رافقها نشاط حزبي ثوري لا نظير له، ولا شك أن خطة الحزب البارعة التي نفذت بنشاط لا مثيل له كانت السبب الأساسي في إخفاق الحكومة وانهيارها، كانت هذه الخطة تتلخص فيما يلي :

1- فضح أخطاء وانحرافات حكومة الحزبين الحاكمين وكل ما ترتكبه في سبيل تسجيل المكاسب الانتخابية على حساب الديمقراطية السياسية والديمقراطية الاجتماعية بالتواطؤ مع الطبقة الاقطاعية ومع مخلفات العهد الديكتاتوري وباستغلال رجال الدين لمناهضة الحزب وتشويه سمعته في أوساط الشعب والجيش.

2- الوقوف موقفا ايجابيا بناء لتحقيق الديمقراطية السياسية بتعديل قانون الانتخاب ولتحقيق الديمقراطية الاجتماعية بتعديل قانون العمال والمطالبة بوضع قانون لحماية الفلاحين وتوزيع أراضي أملاك الدولة وتحديد الملكية الزراعية.

3- الدعوة إلى التعاون مع الاحزاب العربية الاشتراكية انطلاقا من الحزب التقدمي الاشتراكي في لبنان الى الأحزاب العربية التقدمية في العراق وإقامة جبهة وطنية تقدمية.

وكنتيجة للتناقض بين قيادة الحزب آنذاك لم تخل هذه الخطة من ثغرات وإشكالات.

لقد كان الخطر المباشر آنذاك على الاتجاه التقدمي في سورية هو تآمر الحزبين الحاكمين مع حكومة نوري السعيد في العراق، ولكن الاستاذ ميشيل لم يكن يرى ذلك، ولا شك أن التحريض المستمر من جلال السيد وابناء الأسر من الحزبيين كان عاملا نفسيا وفكريا ضاغطا على عفلق، ولا سيما انه كان غير راض عن خوض المعركة الانتخابية وترشيح صلاح البيطار للنيابة بالوقت الذي كان لا أمل له بترشيح نفسه لأن سقوطه كان محتما.

وعلى عادته في الرحيل خلال أزماته النفسية فإنه سافر الى مصيف برمانا ليبتعد عن جو المعركة الانتخابية، وقد أخذ سفره طابع الحرد والانزواء والاحتجاج على خط سير الحزب، وقد كنت قلقا جدا من سفره الى برمانا التي كانت مركزا لاتصالات فاضل الجمالي بالسوريين، كما كنت أعرف بعضا من الاشخاص المحيطين به هنالك، وهم من المتلبسين والمدسوسين.

ولم تكن إقامة الاستاذ ميشيل في برمانا طويلة، وكان خلالها على اتصال بمريديه في سورية الذين كانوا يقفون من معركة الحزب موقفا سلبيا، ويتهمون الحزب همسا بأنه يسير في ركاب مصر والسعودية، كما يتهمونه بتآمره مع الجيش لتسجيل مكاسب انتخابية، وهي التهم التي كان يطلقها خصوم الحزب ونتيجة لهذا الموقف لم يخل عدد من أعداد البعث من حملة على الحكم في مصر وعلى سبيل الأمثلة ما ورد في افتتاحية 54/5/17 تحت عنوان (تناقض الحكم العسكري في مصر) وبتاريخ 54/6/1 تحت عنوان : (هل يعيد عبد الناصر محور القاهرة الرياض؟).

والحقيقة انني والاستاذ ميشيل كنا متفقين في تقييمنا للوضع في مصر والسعودية ولكنني لم أكن أرى من المصلحة آنذاك أن نحارب على جبهات عديدة في آن واحد، ومن جهة أخرى

كان يؤلمني جدا أن يؤخذ بعض الحزبيين بالدعايات التي كانت تخرج من مطابخ الرجعية والاستعمار. لقد كان ميشيل عفلق عاجزا عن تغيير خطة الحزب، ولكنه أضعف موقفه إلى حد ما في تلك المعركة الضارية، وسيكون لموقفه نتائج خطيرة سيرد الحديث عنها بالتفصيل، فقد كان موقف الحزب من عبد الناصر ورجال الانقلاب في مصر سببا من الأسباب التي جعلت رجال الثورة في مصر يتشبثون بشكري القوتلي ويعملون على عودته الى سورية، وقد ظل عبد الناصر يعتقد حتى بعد قيام الوحدة بأن ميشيل عفلق وصلاح البيطار كانا يعملان سرا للمشاريع الاتحادية العراقية.

مؤتمر حزبي البعث العربي الاشتراكي والتقدمي الاشتراكي .

لقد ساهم الاستاذ كمال جنبلاط في عهد الشيشكلي وبعد سقوطه، في دعم الحزب وتأييد موقفه، واستتبع زيارة جنبلاط للحزب في دمشق بعد سقوط الشيشكلي أول مؤتمر عقد بين الحزبين في شتوره وصدر على أثره البيان التالي :

اجتمع الحزب التقدمي الاشتراكي وحزب البعث العربي الاشتراكي بتاريخ 54/4/26 وقررا تحقيق مبدأ التعاون بينهما في معالجة القضايا التي تواجههما البلاد العربية، والحزبان اللذان يشعران في هذه المناسبة التاريخية الخطيرة التي تمر بها البلاد والعربية بأنهما يلبيان رغبة الجماهير العربية النازعه للاشتراكية والمناهضة للاستعمار يتوجهان بدعوة حارة إلى جميع الحركات الاشتراكية العربية في سبيل تأليف جبهة توحد النضال الشعبي تحقيقا لأهدافه في الحياة والحرية والعدالة.

وقد نشرت الرأي العام السورية بتاريخ 54/5/3 بعد عقد المؤتمر ما يلي :

صرح اكرم الحوراني اثر عودته وأقطاب حزب البعث العربي الاشتراكي من شتوره أمس "أن الحركة الاشتراكية في البلاد العربية ستدخل عما قريب طورا جديدا يساعد حركة النضال الشعبي على التقدم ويتيح بالتالي

للمناضلين العرب في مختلف ديارهم أن يتقدموا اكثر من أهدافهم لتحقيق الديمقراطية الاجتماعية".

"إن ابحاث مؤتمر شتوره تهدف إلى وضع خطوط للتعاون والتنسيق بين الأحزاب الاشتراكية العربية وتشمل أعمال التنسيق هذه دراسة الأمور الداخلية والخارجية في البلاد العربية ليعطي النضال الشعبي العربي أفضل ثماره، ومن المنتظر أن تتلو هذه المرحلة مرحلة جديدة يشترك بها ممثلو الحركات الاشتراكية في بقية الأقطار".

تعددت اجتماعاتنا بالحزب التقدمي الاشتراكي في شتورا وقد نشرت جريدة البعث بتاريخ 54/5/9 البيان التالي :

"عقد حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب التقدمي الاشتراكي اجتماعا في شتوره مساء 54/5/8 مواصلة لأبحاثهما من أجل توحيد نضالهما ووضع ميثاق لأهدافهما الشعبية المشتركة وقد رأي الحزبان أن يدعما ويؤكدا موقفهما الأتي :

1- التمسك بموقف الحياد حيال الصراع بين المعسكرين بما ينطوي عليه من رفض لجميع الأحلاف والمساعدات والارتباطات السياسية مع الاستعمار.

2- رفض الصلح مع اسرائيل ومقاومته.

ولا شك أن الابحاث التي جرت وتم الاتفاق عليها بين الحزبين كانت هامة جدا وخطوة رائدة في العمل بالنسبة للأحزاب الاشتراكية العربية..."

□

كان أول الاخطاء التي ارتكبتها حكومة صبري العسلي تقدمها بمشروع لتعديل قانون المطبوعات يجيز لها حق التعطيل الإداري ويفسح المجال أمام مجلس الوزراء لاستعمال اسلوب لا ضوابط له في الترخيص لإصدار الصحف يجعل الصحافة أداة تسخرها الحكومة لمصالحها الحزبية والسياسية والانتخابية، وقد كان الحزبان يعتبران أن الحرية التي تتمتع بها الصحافة الآن خطرة ولا يجوز الابقاء عليها، وان جميع النصوص القانونية التي يمكن تطبيقها للحد من حرية الصحافة هي غير كافية لحماية الحكومة،

ولذلك لا بد من منح الحكومة حق التعطيل الإداري، وقد وقفت من هذا التعديل موقفا صارما معارضا وقلت في إحدى الجلسات :

"إن إقرار مبدأ التعطيل الإداري أمر يخالف الدستور بل يخالف الحقوق الطبيعية للمواطنين، وان البلاد قد ناضلت كثيرا منذ عهد الانتداب وفي زمن الاستقلال وأراقت الكثير من الدماء حتى ظفرت بحرية الصحافة، وهي إحدى الحريات الأساسية، ومن الرجعية السوداء التي لا تغتفر إعادة هذا السلاح الى يد السلطة".

وقد خاض حزب البعث العربي الاشتراكي مع الحكومة حول هذا التعديل معركة شعبية وبرلمانية، وعندما اجتمعت لجنة الداخلية لدراسة مشروع قانون المطبوعات في أوائل شهر ايار 1954 أبرزت لهم النص القاطع الذي لا يقبل الجدل، وهو نص موجود في المحاضر الرسمية لجلسات مناقشة مشروع دستور 1950 في الجمعية التأسيسية ويفيد هذا النص بأن أحد النواب سأل مقرر لجنة الدستور عبد الوهاب حومد أثناء مناقشة المادة الدستورية الخاصة بحرية الصحافة عما إذا كان هذا النص يبيح استصدار قوانين تسمح للحكومة بالتعطيل الإداري، فأجاب مقرر اللجنة : كلا، وعلى هذا الأساس أقرت الجمعية التأسيسية هذه المادة، ولما قرأ اعضاء الداخلية هذه الوثيقة اعتبرت اللجنة أن التعطيل الإداري مخالف للدستور، ولذلك فقد قررت التمهل في دراسة مشروع التعديل وعدم التسرع في تقديمه الى المجلس.

كان هذا المشروع سببا في تأليب صحافة البلاد ضد الحكومة، فأصبحت في معظمها معادية لها، أما على مستوى الشعب، فقد قامت جماهير كبيرة من الطلاب بزيارة المجلس والاحتجاج لدى رئيسه ناظم القدسي على مشروع الحكومة، كما شرعت فروع الحزب بإرسال برقيات الاحتجاج للمجلس النيابي، فأرسلت منها المئات ولا سيما من مدينة حماه معلنة احتجاجها على هذه المخالفة الدستورية، فاضطر ناظم القدسي- لتخليص حزبه من هذه الورطة- التي وقع فيها أن يصرح:

إن المجلس النيابي سيناقش التعديلات المقترحة على قانون المطبوعات مناقشة ينتهي منها إلى اقراره بصورة تنسجم مع الدستور ، واعترف :

"بأن تعطيل الصحافة من حق القضاء ولهذا فهو يعتقد بأن المجلس سيأخذ بوجهة النظر هذه، لأن الدستور هو الأساس الذي ترتكز عليه القوانين".

سارع رئيس الحكومة صبري العسلي الى ابلاغ أحمد قنبر ممثل لجنة الشؤون الداخلية أن الحكومة ستسحب رسميا اقتراحها بإعادة التعطيل الاداري، وقد أدرك صبري العسلي أن تصريح القدسي يعني تلبيس حزبه مسؤولية التعطيل الإداري وتلبيسه هو بالذات مسؤولية هذا الأمر لأنه الوزير المختص بشؤون الصحافة، ومع ذلك كان القانون الجديد الذي أقر بعد التعديل مخالفا في كل مواده لروح الدستور، وكان هذا التعديل قائما على زعم أن الصحف قد أيدت الديكتاتورية ولذلك فإنه عليها، وعلى الصحف التي ستصدر من جديد أن تتقدم للحكومة بطلبات ترخيص جديدة، وترك أمر الترخيص كيفيا لرئيس مجلس الوزراء، كما منحت الحكومة نفسها حق التعطيل الاحتياطي قبل اصدار الحكم القضائي. وقد كانت للحكومة مصلحة كبيرة في إقرار القانون على هذا الشكل قبل الانتخابات النيابية .. وفي الجلسة التي عقدت بتاريخ 54/4/11 أقر معظم مواد القانون بعد معركة حامية بيننا وبين نواب الاكثرية المجلسية، ولم يعارض القانون إلا النواب البعثيون الثلاثة، وقد كان لموقف الحزب صداه الايجابي العميق في الصحافة والرأي العام في البلاد.

تصفية مخلفات الديكتاتورية .

كان اهم المطالب الشعبية اثر انهيار الديكتاتورية، تصفية مخلفاتها تصفية حازمة، ولكن الحكومة نكثت بعهودها التي قطعتها بتحقيق هذا المطلب الهام، ووقفت من هذا الموضوع موقف المراوغ المفضوح، وبدأت تحاول استغلال بقايا من تعاونوا مع الديكتاتورية في المعركة الانتخابية القادمة، فلم تطلق سراح

العديد من مناضلي الحزب الذين اعتقلتهم الديكتاتورية، ولا سيما معتقلي مظاهرات حماه الدامية أثناء حملة الشيشكلي على جبل العرب، وفي جلسة 1954/4/10 تكلمت قائلا:

"إن عددا كبيرا من المناضلين الأحرار الذين قاوموا عهد الطغيان ما زالوا في غياهب السجون يلقون جزاء مقاومتهم للعهد الديكتاتوري البائد، واستغربت أن تقف الحكومة هذا الموقف الغامض من مناضلين شرفاء، بينما وعدت في بيانها الوزاري باستصدار قانون للعفو عنهم، وطلبت من الحكومة أن تعلن موقفها من "الجرائم" السياسية التي ارتكبت ضد عهد الشيشكلي وسألت عما إذا كانت ستصدر عضوا عاما عن هذه الجرائم". فأجاب رئيس الوزارة :

إن الحكومة ستصدر عفوا خاصا عن الدعاوى التي بت بها القضاء، وهي ستنتظر أن يبت القضاء بالقضايا الأخرى لتصدر عنها عفوا خاصا، وقد استغرق هذا الاسلوب الذي لجأت إليه الحكومة سنوات بقي فيها المناضلون قيد السجون.

ثم طالبت في جلسة 1954/5/5 بانزال العقاب بحق الذين تعاونوا مع الشيشكلي فجلدوا الطلاب ونكلوا بصورة وحشية بالمناضلين، بحيث لم تقتصر مهمتهم على تنفيذ الأوامر القانونية، وانما تصرفوا بصورة فيها الكثير من الضغينة والحقد، ولكن الحكومة رافعت بشخص وزير العدل عن عدم شرعية محاكمة أعوان الشيشكلي من وزراء ونواب وموظفين، وقصرت المسؤولية على أديب الشيشكلي وفوزي سلو، وقد وقف العديد من اعضاء المجلس النيابي في جانبنا ضد دفاع الحكومة عن أعوان الشيشكلي مما اضطر حزب الشعب لتغطية موقفه، أن يتقدم أحمد قنبر ورزق الله انطاكي باقتراح قانون اسموه :(استرداد الاموال من مغتصبي السلطة) وجعلوا منه مناسبة لإلقاء المواعظ عن الانقلابات العسكرية وأضرارها وتظاهروا وكأن اقتراحهم سيحمي البلاد من الانقلابات العسكرية. وعلى الرغم من اقرار القانون الذي اقترحوه بتاريخ 1954/5/1 فقد ظل حبرا على ورق لأنه كان غير قابل للتنفيذ من قبل المحاكم.

هـذا بينمـا كـان اعضـاء حركـة التحريـر التـي انشـأها الشيشكلي يعقدون الاجتماعات ويتنادون لعقد المؤتمرات (النصر 29 نيسان و 3 أيار 1954) والذي كان يجري فعلا أن الحكومة كانت تسعى لتكتيل جميع القوى الرجعية لتقف ضد الحزب في المعركة الانتخابية القادمة.

الحكومة تستغل الاقطاع والرأسمالية والرجعية الدينية ضد الحزب في المعركة الانتخابية .

اسـتمر الاقطـاعيون بـدعم مـن الحكومـة فـي حملـتهم الوحشـية علـى الفلاحـين: (البعـث 54/4/9 آل الكيلانـي يهجـرون الفلاحين بواسـطة الـدرك مـن قريـة عقـرب ويمنعـونهم مـن رعـي حيوانـاتهم) (البعـث 54/4/16 آل مـرهج يرغمـون الفلاحـين علـى توقيع صكوك المزارعة بالارهاب) (البعث 54/4/26 انقـذوا الفلاحـين من ديكتاتورية الاقطاع : 2000 نسمة تمنع من الفلاحـة فـي قريـة بارين).

كـان موقفنـا الطبيعـي هـو الـدفاع عـن الديموقراطيـة الاجتماعية وكان المجلس النيابي وجريـدة البعـث ومكاتـب الحـزب ميـدانا للـدفاع عـن طبقـة العمـال والفلاحـين. وكانـت تـرد الـى المجلس النيابي مئات البرقيات من شكاوى العمال والفلاحين في كل يوم، فعلقت في المجلس بتاريخ 54/4/6 علـى هـذه البرقيـات التي تحال الى لجنة العرائض لتدفن هناك قائلا :

"لقـد سـمعنا العديـد مـن الشـكاوى الـواردة مـن عمـال حلـب وحمـص وبقية المحافظات يشكون فيها من عـدم التقيـد بقـانون العمـل، منهـا شـكوى عمال النسيج الآلي في حلب التي يقولون فيها : إن قانون العمـل أوجـد لهـم حقوقا ولكن أرباب العمل يحتالون على القانون الذي قسـم العقـود إلـى عقـود محدودة الأجل وأخـرى غيـر محـدودة، وفـي الأولـى لـم يعـين القـانون تعويضـا للعمال، فلجأ أرباب العمل الى استخدام العمـال بعقـود محـدودة ليتهربـوا مـن دفع تعويضات للعمـال عنـد التسـرح، وهـم يأخـذون مـنهم عنـد تسـريحهم مـا يشبه براءة الذمة، ثم استطردت :

انني اقول بصراحة : إن وزارة الاقتصاد تتآمر مع أرباب العمل على العمال وتهدر حقوقهم، ولقد بحثت فيما مضى مع بعض الوزراء الذين كانوا معي في سجن المزة في ماضي الشركات الوطنية التي استغلت الاقتصاد القومي وتدخلت في قضايا البلاد السياسية واستنزفت دماء الشعب وأفسدت الضمائر والاخلاق واستغلت مختلف العهود.. وانه لا يجوز للحكومة ان تقف مكتوفة الايدي بينما تهدر حقوق عشرات الألوف من العمال".

وقد رد وزير الاقتصاد فاخر الكيالي قائلا : نحن نعلم أن مصالح العمال وأرباب العمل متناسقة .. فأجبته: أما القول بأن مصلحة العمال وأرباب العمل متناسقة فقد سمعناه في العهود الماضية وفي عهد الديكتاتورية، إن هذا القول يحمل التناقض فالانسجام لا يتم إلا بايصال العمال إلى حقوقهم.

وكانت الاضرابات العمالية قد أخذت تتسع وبدأت الوفود تراجع الحكومة تطالب بتعديل قانون العمل، وبدأ العمال والنقابيون الحزبيون يجتمعون إلى إخوانهم لتوحيد مطالبهم وصفوفهم تجاه التعديلات المقترحة من قبل نواب الحزب في المجلس النيابي على قانون العمل (البعث 15 - نيسان كلمة رئيس اتحاد نقابات العمال في حفلة افتتاح المستوصف العمالي في حمص) (البعث 16 نيسان عريضة وقعها عشرة آلاف عامل) (البعث 26 نيسان: عمال النسيج الآلي في دمشق يؤيدون نواب البعث الاشتراكي بتعديل قانون العمل).

توحيد النضال العمالي والطلابي في حلب .

قام الطلاب في حلب بتاريخ 54/4/10 يطالبون بإلغاء القرارات التي أصدرها الشيشكلي فيما يتعلق بالتعليم والطلاب وبعدم عودة الأشخاص الذين سببوا الكوارث للوطن، فوقف عمال حلب الى جانبهم وآزروهم في مظاهراتهم، وفي الثالث عشر من هذا الشهر قام العمال بمظاهرات واسعة النطاق يؤيدون نواب حزب البعث العربي الاشتراكي في مشروع تعديل قانون العمل الذي تقدموا به الى المجلس النيابي، وعلى الرغم من الطابع النظامي والسلمي لهذه المظاهرات فإن رجال الأمن أطلقوا النار على المتظاهرين فاستمر الاضراب العمالي، وفي الخامس عشر

منه طالب العمال أرباب العمل بأجورهم ففاجأتهم قوات الدرك وطوقتهم فلجأ بعضهم إلى دار المعلمين الابتدائية ونشبت هنالك معركة بين قوات الأمن من جهة والطلاب والعمال من جهة أخرى. وفي تاريخ 30 نيسان أقام الحزب في مكتبة بدمشق مهرجانا عماليا كبيرا ألقيت فيه خطابا نشرته جريدة البعث بعنوان: (الحوراني يقول: الشعب بعماله وفلاحيه هو الغاية والوسيلة) وقد جاء فيه :

أيها الأخوان : ليست قضية العمال والفلاحين وأبناء الشعب والمضطهدين في بلادنا قضية عدل اجتماعي واقتصادي فحسب بل هي قضية مصير بالنسبة لبقاء الشعب العربي بعد أن ثبتت اسرائيل اقدامها في الديار المقدسة.

نحن إن لم نقم مجتمعنا على أسس العدل والمساواة والحرية كشأن المجتمعات القوية الراقية المتقدمة بحيث لا يبقى جائع ولا عار ولا عاطل عن العمل، نحن إن لم نرفع سورية شعبنا إلى مستوى المجتمعات المتقدمة فنحن اذن مهددون بالفناء من قبل الغزو الاسرائيلي المرابط على حدودنا والرابض في قلب البلاد العربية. نحن ان لم نقض على الاستغلال والاستثمار فنظفر على الاستعمار فلن يكتب لنا البقاء تحت ضوء الشمس. انني انبه رفاقي الى خطورة هذه الفترة الانتقالية وإلى تلك المعركة الشعبية الهامة، معركة الانتخابات القادمة التي نعتبرها بمثابة حجر الأساس بالنسبة للحياة الديمقراطية الصحيحة في بلادنا.

إنها معركة الديمقراطية السياسية والاجتماعية ، إنها معركة الشعب من أجل تحقيق أهدافه الاشتراكية. إن الفئة الحاكمة زورت في الماضي مرارا إرادة الشعب، بالاكراه تارة والرشوة والاحتيال تارة أخرى، وان كل البوادر والدلائل تشير اليوم إلى امكانية تكرار تلك المآسي، ولكن ليعلم هؤلاء بأن الشعب قد حطم في الماضي تلك المجالس والحكومات الرجعية، فإذا تكررت تلك المآسي فستكتب نهايتها في هذه البلاد".

□

وأخيرا أسفرت القوى الرجعية - بقيادة الحزبين الحاكمين - عن وجهها ودخلت علنا إلى مسرح المعركة فنشرت جريدة

القبس بتاريخ 54/5/20 الخبر التالي تحت هذه العناوين: تأليف كتلة من التجار وأصحاب الرساميل لمقاومة التطرف. اجتماعات بين كبار التجار واصحاب الرساميل لإخراج الكتلة الى حيز الوجود) :

"إن كبار التجار وأصحاب رؤوس الأموال في دمشق قد عقدوا في الأيام الماضية عدة اجتماعات كان أحدها في دار تاجر معروف، وقد استعرض المجتمعون وهم صفوة مختارة من تجار العاصمة وأثريائها الموقف السياسي ونشاط بعض الاحزاب الاشتراكية المتطرفة للعمل ضمن أسس ومبادئ للوقوف في وجه طغيان حزب اشتراكي معين يعمل على إثارة البلبلة في صفوف الشعب لغايات شخصية معينة، وقد تقرر ايضا رصد مبلغ كبير من المال في سبيل تنفيذ مبادئ هذه اللجنة ودعمها بالمال، والعمل على تأليف قائمة انتخابية يخوض أفرادها المعركة الانتخابية القادمة، ويقال أنه في حالة عدم خوض أفراد هذه الهيئة المعركة الانتخابية فإن النية متجهة الى مساعدة ودعم بعض الشخصيات السياسية المعروفة بمناوءتها للتطرف الاشتراكي".
وهكذا تحالفت جميع القوى الرجعية ضد الحزب وكان مركز ثقلها مدينة حماه التي زرتها بعد غيبة طويلة دامت ما يقرب من ثلاث سنوات قضيتها متواريا ومنفيا وسجينا وقد وصف صحيفة البعث 54/5/20 هذه الزيارة كما يلي :

"أخذت وفود الأحياء في حماه وتقدر بالألوف تفد الى مكتب الحزب وكانت في طريقها تنشد الأناشيد الوطنية الشعبية وتعلن تأييدها المطلق لمبادئ الاشتراكية التي ستنقذ العامل والفلاح من براثن الرأسمالية والاقطاعية، وأمت حماة وفود كبيرة من الأقضية والنواحي ولا سيما من المعرة وخان شيخون، وكانت وفود الأحياء تتقاطر على مكتب الحزب من كل جانب حتى غص مكتب الحزب والشارع الذي أمامه بوفود المرحبين من أبناء الشعب ، وكأن الاقطاعيين وأجراءهم قد غصوا من هذا الوفاء والاخلاص الذي يبادله الشعب لابنه البار فأرسلوا في اليوم الثاني زلمهم المدججين بالاسلحة الأوتوماتيكية فوقفوا بعيدين عن الجمهور وأطلقوا النار ثم ولوا هاربين.

هذا ما وقع في حماه وما كنا لترغب في الإشارة إليه لولا ذلك التصريح العجيب، تصريح أحد المسؤولين في وزارة الداخلية الذي ينبئ بأن

الحكومة نفسها هي التي اشتركت في دفع المعتدين من وراء ستار وجاءت بعد ذلك تزور الوقائع وتنفي التهم عن المجرمين". وقد تكررت زياراتي للمدينة فكانت فرصة استغلتها الحكومة لإثارة الفتن ولا سيما وأن وزير المالية عبد الرحمن العظم هو عضو فيها وهو راس قائمة الاقطاعيين في حماه، وقد كتبت جريدة الرأي العام لمراسلها بتاريخ 54/6/14 ما يلي :

اصبح انتصاف الليل في حماه موعدا لأصوات الرصاص وسقوط الجرحى من النائمين في أسرتهم أو المارين في الطرقات، وأصبحت مهمة الشرطة وصولها بعد انتهاء الحادث لتسجيل اسماء الضحايا وأن الفاعل لم يعثر عليه، ولكي يتصور المواطن ليالي حماه بعد منتصف الليل أروي له بعض الوقائع التي حثدت ليلة الجمعة الماضية، القيت قنبلة متفجرة على ثلاثة شباب أمام سينما الشرق. ووصل رجال الشرطة بعد ذلك ليسجلوا الحادث، وحوالي الساعة الثانية بعد منتصف الليل مرت سيارتان مسلحتان بالرشاشات وأطلقت نيرانها في حي المحالبة (حي مجاور لحي بيت الحوراني) على نوافذ البيوت فاستقرت رصاصة في سرير السيد نعسان حريري - وتحطمت نوافذ كثيرة وفرت السيارتان. ثم حضر رجال الشرطة ليسجلوا الحادث بعد وقوعه بساعة.

في الساعة الثالثة خرج جماعة مسلحون من بيت هشام البرازي (من جماعة أديب الشيشكلي وقريب له) وهم يطلقون الرصاص فصادف مرور دورية من الشرطة اصطدمت معهم واضطرت لاطلاق العيارات النارية، فأصيب السيد شريف السمان (اشتراكي) وألقي القبض عليه كما ألقي القبض على رفيقه محمد الخياط أما السيد علي بن عيسى البرازي الذي اعتقل بتهمة اطلاق النار فقد اطلق سراحه فور وصوله، ثم قام بعض المسلحين بعد ذلك بنسف المنشآت والمحركات التي تخص أحمد قياسة واخوانه في قرية دير شميل وقد اعتقلت الشرطة السيد فارس مراد آغا بتهمة توزيع منشورات للبعث العربي الاشتراكي يتهم فيها المسؤولين بالتغاضي عن الاعمال الاجرامية في حماه وما يزال السيد فارس مراد آغا معتقلا".

لم ترهب هذه المحاولات الاجرامية المدعومة من حكومة صبري العسلي حزب البعث العربي الاشتراكي فاستمر يصدر

البيانات ويقيم الحفلات والمهرجانات وكان يلقى في كل مكان التفافا جماهيريا واسعا.

رجال الدين من أسلحة المعركة.

قرر الاخوان المسلمون عدم خوض المعركة الانتخابية وقد تجنبوا منذ قيام ديكتاتورية الشيشكلي أي نشاط سياسي، وعلى الرغم من تجنبنا أي احتكاك مع رجال الدين والجمعيات الدينية فإن سلاح الدين قد استخدم ضدنا في هذه المعركة، فتولت جماعة العلماء المرتبطة بالسعودية مناهضة الحزب وإثارة المعارك الطائفية في انحاء البلاد، وهكذا اصبحت الجوامع منبرا للتشهير بالحزب ولاتهمامه بالكفر والالحاد، وقد كشفت قضية عارف الطرقجي تواطؤ الحكومة مع رجال الدين والعلماء.

كان الطرقجي استاذا للطب الشرعي في الجامعة السورية ونائبا عن العلماء ورجال الدين في البرلمان وتجمعه صلات وثيقة بالشيخ حسن حبنكة والشيخ أحمد كفتارو، وقد أدانته لجنة تحقيق من أساتذة كلية الطب بإعطاء تقارير كاذبة وتقاضي الأجور عن فحوص لم تجر، أو عن أعمال اجريت في الجامعة ولم يرد لها ذكر في السجلات، وأعمال أخرى بشعة ارتكبها مستثمرا مركزه العلمي، وقد حاولت الحكومة استرضاء العلماء ورجال الدين الذين تبنوا قضية الطرقجي ولفلفة القضية مضحية بالقيم الدينية والاخلاقية والعلمية في سبيل الأصوات الانتخابية، ولكن اساتذة كلية الطب لاحقوا القضية التي أحدثت ضجة كبرى في البلاد وظلوا يراجعون رئاسة الجمهورية والمجلس النيابي دون جدوى حتى كادت هذه القضية تعرض الائتلاف الوزاري للانهيار.

الانهيار النهائي لائتلاف الحزبين الحاكمين واستقالة حكومة العسلي .

كانت معارضة الحزب القوية والمنظمة اكبر عامل من عوامل اسقاط حكومة العسلي، ثم كانت معركة حلب الدامية بين انصار الحزبين الحاكمين التي اطاحت نهائيا بالائتلاف وأدت إلى استقالة الوزارة .

انفجرت هذه المعركة الدامية بتاريخ 54/6/8 وقد وصفت الصحف تلك المعركة التي كان حي باب النيرب مسرحا لها بأنها معركة حربية بسبب العدد الكبير الذي اشترك فيها من الأهلين، وقد قدر بحوالي الفي شخص حسب تقديرات رجال الشرطة، وابتدأت المعركة بالأيدي وانتهت بالمدى والمسدسات والبنادق والرشاشات.

كان قائد جبهة الحزب الوطني المدعو "ابو سعيد البري" من قبضايات باب النيرب، ومن الشخصيات الانتخابية، وكان مجرما معروفا بأنه يعيش من فرض الاتاوات، وقد قضى سنوات في السجن لارتكابه قائمة طويلة من الجرائم تتراوح بين السرقة والقتل والتهريب، وكان أبرزها وأبشعها، أنه أحب إحدى السيدات فانتزعها ليلا من فراش الزوجية، وعندما اتجه الحزبان الحاكمان نحو الائتلاف في الانتخابات أصدرت الحكومة مرسوما بالعفو عنه باقتراح من وزير العدلية (المستقل) عزت الصقال، أما قائد الجبهة الثانية في المعركة فهو كنج حمادة أحد القبضايات المعروفين في باب النيرب، وقد عرف آل حمادة أيام الانتداب بالتعاون مع السلطات الفرنسية وبعد الجلاء انتسبوا إلى حزب الشعب، فأصبحت هذه العائلة من مفاتيح حزب الشعب الانتخابية.

كان بين عائلة حمادة وعائلة بري عداوة قديمة ترجع الى عهد الانتداب والى عهود الانتخابات الماضية ولم يستطع ائتلاف الحزبين الحاكمين أن يقضي على أسبابها فسقط نتيجة للمعركة عدد كبير من القتلى والجرحى ووضعت هذه المعركة كما قدمنا حدا نهائيا لائتلاف الحزبين، وبتاريخ 54/6/9 خرج الألوف من ابناء حي باب النيرب في حلب يهتفون ضد الحزبين الحاكمين، وتوجهوا بمظاهرتهم إلى دار الحكومة لتسليم مفاتيح دورهم للمحافظ أعرابا عن سخطهم على الحزبين اللذين يتفقان بالرأي ويثيران الخلاف في القاعدة، وقد أعلنوا عن رغبتهم في الهجرة إذا استمرت هذه الحال.

□

لم يذع رئيس الجمهورية أي بلاغ رسمي عن استقالة حكومة العسلي ولكنه باشر استشاراته فورا مع رئيس المجلس النيابي ناظم القدسي وعدد من المستقلين منهم حسني البرازي وعبد الرحمن العظم وسعيد حيدر وغيرهم من المعروفين بانتماءاتهم الى الحكم الرجعي في العراق، ولم يصدر رئيس الجمهورية بلاغا باستقالة الحكومة الا في تاريخ 54/6/11، وقد كان يرغب أن يكلف رشدي الكيخيا بتأليف الحكومة ليجري انتخابات على غرار عام 1949، لذلك اجتمع مع جلال السيد بصفته من حزب البعث العربي الاشتراكي والشيخ مصطفى السباعي وكانت حصيلة هذه الاجتمعات تكليف الكيخيا بتأليف وزارة قومية يتمثل فيها كل حزب من الاحزاب الثلاثة بوزير أما بقية الوزراء فينتقيهم الكيخيا مع الرئيس الأتاسي، ولكن هذه اللعبة لم تجز علينا لذلك رفضنا تشكيل الوزارة على هذا الشكل المقترح، ولم يكن باستطاعة الكيخيا أن يؤلفها دون موافقة حزب البعث كما أن تلك الوزارة كان مكتوبا لها الاخفاق للاسباب التالية :

1- لم يكن الحزب الوطني مستعدا للتنازل عن رئاسة الوزارة الى حزب الشعب فقد كان يعتبرها حقا من حقوقه.

2- رفض مصر والسعودية أي وزارة يشترك فيها حزب البعث. فكان المخرج الوحيد من هذا الوضع هو الوزارة الحيادية وهو حل مقبول في نظرنا على أن تكون الوزارة حيادية في ظاهرها وفي حقيقتها.

وبتاريخ 6/16 قابل رئيس الجمهورية وفدا يضم اقطاب المال والأعمال فقدموا إليه مذكرة يطلبون فيها وزارة حيادية تتولى اجراء الانتخابات ويرفضون الوزارة القومية والهدف من ذلك هو ابعاد الحزب، وقد حملت هذه المذكرة "على بعض الأحزاب (ويقصدون حزب البعث العربي الاشتراكي بالطبع) لأنها بعيدة كل البعد عن مصالح البلد ولا تمثل في واقعها إلا رأي الأفراد الذين ينتمون إليها" وأن "البلد السوري يعطي من دمه للفقراء ويبذل من حبات قلبه للمعوزين ويتمشى على سنة التضامن في سرائه وفي ضرائه" "ولو كان الشعب يعرف أن الأوضاع التي يكتنف الشك شرعيتها

ستبعده بعد مؤتمر حمص عن النتائج التي يريدها لرفض عودة المجلس الى الانعقاد وهو كما يعرف الجميع مجلس انقضت مدته وتصرم زمنه وكان حين انتخابه مثالا للكثير من الأقاويل والشكوك" وقد وقع هذه العريضة أربعون شخصا من رجال المال والتجار والعلماء، وتكلم باسم الوفد الشيخ حسن حبنكة وهاني الجلاد وعبد القادر الميداني ومن الاسماء البارزة الموقعة على المذكرة الشيخ أحمد الدقر، بدر الدين دياب، مسلم السيوفي، عادل الخجة، منير آغا المهايني، نظير العابد، بدر الدين الشلاح، بشير رمضان وغيرهم.

إن هذه المذكرة بالاضافة إلى الاسباب التي ذكرناها قضت نهائيا على فكرة الوزارة الائتلافية، ولتسهيل المفاوضات اقترح على كل حزب أن يرسل ممثلين اثنين عنه فانتقى حزب الشعب رشدي الكيخيا وشاكر العاص، وانتقى الحزب الوطني صبري العسلي وميخائيل ليان وانتقاني حزب البعث مع الاستاذ ميشيل عفلق، وهكذا اقصي جلال السيد عن هذه المفاوضات، وبعد أسبوع من المناقشات والمناورات بين مفوضي الاحزاب الثلاثة أمكن الاتفاق على تأليف حكومة حيادية برئاسة سعيد الغزي لاجراء الانتخابات المرتقبة، وقد كان التفاهم تاما بيني وبين الاستاذ ميشيل واتفقنا أن نتقدم بالاسماء الآتية: جورج خوري أحد كبار موظفي ديوان المحاسبات ومشهود له بالاستقامة وهو قريب من الاستاذ ميشيل عفلق، ونبيه الغزي وهو قاض كبير معروف بعدائه للكتلة الوطنية كما هو معروف بالاستقامة والصراحة، ورشيد حميدان من اعضاء المحكمة العليا المشهود لهم بالنزاهة والاخلاق ونهاد القاسم من كبار موظفي وزارة العدل على الرغم من معرفتنا بعلاقاته الوثيقة مع قادة الاخوان المسلمين الذين قرروا عدم خوض المعركة وهو بالاصل غير مستعد للمجازفة بسمعته من أجل هذه العلاقة، وقد كنا متفقين أن نصر على تسليم وزارة الداخلية للقاضي اسماعيل قولي المعروف باستقامته وصلابته وهو الذي لم يرهب الشيشكلي وضباط الجيش وخالف الحكم الصادر ببراءة ابراهيم الحسيني في

قضية مقتل العقيد محمد ناصر، وأسعد الكوراني وهو وزير سابق ومحامي كبير في حلب وليبرالي تقدمي غير معاد للحزب في حلب.

لقد كان حياد الحكومة هو كل ما نطمح إليه فعلا في الانتخابات القادمة .

كان جميع هؤلاء الاشخاص الذين اخترناهم على صلات طيبة مع حزبي الشعب والوطني ولم يكن بوسعهما رفض هؤلاء الاشخاص أو الطعن بكفاءاتهم ونزاهتهم فهم معروفون ومشهورون بسمعتهم العطرة، ولم نجادل كثيرا عندما رفضوا ترشيح رشيد حميدان للوزارة بداعي أنه لم يستقل من المحكمة العليا في عهد الشيشكلي، مع أن الرجل استشارني بأمر الاستقالة بعد انقلاب الشيشكلي، فلم ار فائدة من هذه الاستقالة، كما طعنوا عليه قرابته مع رفيقنا علي عدي أحد قادة البعث العربي الاشتراكي كما ادعوا ان جورج خوري منتسب الى حزب البعث، وقد وافقنا على اقتراح الحزب الوطني والشعب بترشيح عزت الصقال لأنه رجل غير سياسي وغير ملتزم بأحد الحزبين، وهكذا جاء تشكيل الحكومة من هؤلاء الاشخاص ظفرا كبيرا للحياد والنزاهة في الانتخابات القادمة، ولم يفطن لكارثة تشكيل حكومة حياد حقيقي على الطبقة الرجعية إلا عبد الرحمن العظم وحسني البرازي، فبذلا نشاطا مسعورا لعرقلة تأليفها ولكنهما فشلا لأنه لم يكن لديهما أي مبرر، ولم تجرؤ أي جهة من الجهات أن ترفض تاليف حكومة حيادية.. وهكذا أصدر رئيس الجمهورية مرسوم تأليف الحكومة بتاريخ 54/6/19 على النحو التالي :

سعيد الغزي : لرئاسة الوزراء ووزارة الدفاع

عزت الصقال : للخارجية والمالية

اسعد الكوراني : للعدل والاقتصاد الوطني

نهاد القاسم : للمعارف والزراعة

اسماعيل قولي : للداخلية

نبيه الغزي : للاشغال العامة والمواصلات والصحة.

كان من الشروط التي اشترطها مفوضوا الأحزاب عدم ترشيح رئيس الحكومة الحيادية نفسه للانتخابات القادمة وقد اقنعنا مفوضي الحزبين بالتساهل بهذا الشرط وعدم حرمان المجلس من كفاءة سعيد الغزي الذي أصر على ترشيح نفسه للانتخابات، وبعد تأليف الحكومة بخمس ساعات ألقى رئيسها في جلسة المجلس النيابي المنعقدة بتاريخ 1954/6/19 بيانا مقتضبا جاء فيه :

"إن الغاية الأساسية التي تألفت من أجلها هذه الحكومة هي إجراء الانتخابات بأقصى سرعة ممكنة وفي منتهى حدود الحياد المطلق والنزاهة الشاملة وتطبيق الاحكام القانونية على الجميع بالمساواة، والحكومة ترجو من المجلس أن يبذل جهده في التعجيل لإنجاز مشروع القانون المقدم إليه بشأن تعديل قانون الانتخاب الحالي وترجو الحكومة أن يقبل المجلس مبدا اختصار المدد والآجال المحددة لقانون الانتخاب حتى يمكن الانتهاء من الانتخابات في أقرب وقت". وقد فازت الحكومة بدون مناقشة بيانها الوزاري من المجلس النيابي بثقة شبه اجماعية.

لجنة الثلاثة والثلاثين نائبا.

تألفت هذه اللجنة في المجلس النيابي للنظر بتعديل قانون الانتخابات وقانون الاحزاب، وقد عقدت آخر اجتماع لها في 54/6/13 وأقرت مشروع الحكومة السابقة المتضمن وجوب إعادة العمل بقانون الانتخاب ذي الرقم 17 تاريخ 49/9/10، واستنادا إلى ذلك فقد نظرت باقتراحات النواب المقدمة لتعديل بعض مواد القانون المذكور وكان في مقدمتها **الاقتراحات التي تقدم بها نواب حزب البعث لجعل قانون الانتخاب قائما على أساس التمثيل النسبي والقوائم الحزبية والغرفة السرية**.

كان النواب شديدي الخوف من اقرار التمثيل النسبي لذلك رفضوه، ولم يفطنوا ان الغرفة السرية التي أقروها كانت أكثر خطرا عليهم من اقرار التمثيل النسبي، وقد ظهرت نتائج ذلك في الانتخابات. عقد المجلس أول جلساته بعد تأليف وزارة الغزي

بتاريخ 54/6/21 وشرع بمناقشة قانون الانتخابات وقد تولى الاستاذ احسان حصني الدفاع عن مشروع الحزب فقال : إن المشروع المقدم من الحزب يمتاز بما يلي :

1- يفتح السبيل أمام كل الاتجاهات وكل الافكار ولا سيما أمام الحركات التقدمية ويساعد على تطور المجتمع.

2- يؤمن السرية الكاملة للانتخابات.

3- يجعل الناخبين يتعلقون بالمناهج والمبادئ اكثر من تعلقهم بالاشخاص.

حق ترشيح المرأة للمجالس النيابية .

لم تأخذ لجنة الـ (33) نائبا التي اتخذت من قانون عام 1949 الانتخابي أساسا لإعادة النظر بحق المرأة في ترشيح نفسها للانتخابات - ذلك الحق الذي نالته في عهد الشيشكلي - فتجمع عدد كبير من سيدات وآنسات دمشق في معهد دوحة الأدب، وكان عددهن يربو على الثلاثمائة، وخرجن بتظاهرة الى المجلس النيابي حيث قابلن رئيس لجنة الداخلية زكي الخطيب الذين رجاهن رجاء ساذجا عجيبا وهو أن يتنازلوا عن حقهن هذه المرة مع الوعد القاطع في نيل حقهن المرة القادمة، وفي الجلسة التي عقدت بتاريخ 54/6/27 استغل منير العجلاني وزير المعارف السابق جو الانتخابات على حساب مناهج التعليم وأنظمة الامتحانات، فتقدم بمشروع قانون يجعل مادة الديانة الاسلامية الزامية في فحوص الشهادات العامة ولم تكن كذلك من قبل (واستثنى الطلاب المسيحيين) وكان العجلاني قد سمح سابقا- مرضاة للفرنسيين- بعودة فتح مدارس الفرير اليسوعية التي أغلقت إثر ثورة عام 1945.

تعديل قانون العمل .

كان للعمال مشاكل مستعصية مع أرباب العمل، وقد تراكمت هذه المشاكل في عهد الإرهاب الديكتاتوري، فكان من الطبيعي أن تنفجر بعد سقوط الشيشكلي، ففي تاريخ 54/6/19

أضرب عمال شركة المغازل والمناسج وعمال الشركة الخماسية وعمال شركة الباصات والبناءون والنحاتون، ثم شمل الاضراب جميع المصانع والمعامل في المدن السورية.

كان الاقتراح الذي تقدم به نواب الحزب يحوي النقاط التالية :

1- عدم التفريق بين المستخدمين والفعلة في تعويض التسريح وتعويض مدة الانذار.
2- لا يجوز لرب العمل أن يطلب من العامل القيام بعمل يختلف عن العمل المتفق عليه.
3- ضمان أجرة العطلة الاسبوعية لجميع العمال.
4- تحديد مدة العمل القصوى في جميع الحرف.
5- اعطاء العامل تعويضه عند استقالته لا عند تسريحه فحسب وذلك في احوال معينة.
6- اعتبار هوية العامل النقابية الاصل في براءته وحسن سلوكه.

كان أرباب العمل قد اتفقوا فيما بينهم أن يقاوموا هذا الاقتراح في المجلس النيابي وهذا ما أدى فعلا لعرقلة بحثه وإقراره ولاندلاع الاضراب الشامل في البلاد، وقد تقدمت في جلسة 54/6/29 بطلب استعجال النظر باقتراح التعديل فأيدني وزير الداخلية والاقتصاد اسماعيل قولي، كما اعلن رئيس الحكومة استعداده لدراسة الموضوع في الحال مما أغاظ حسني البرازي ففسر طلبي بأنه دعاية انتخابية فرددت عليه بحزم قائلا :

إن عملنا هذا ليس للدعاية بل هو خارج في صميم قلوبنا ومنسجم مع مبادئنا ومواقفنا منذ القدم، والدعاية تكون مشروعة إذا كانت مخلصة ولمصلحة الشعب، أما الأمر المهين وغير المشروع فهو التمرغ على أقدام المحتكرين والمستثمرين الذين ألفوا لجانا لجمع الاموال وإفساد الضمائر في الانتخابات القادمة، إن الأمر المهين هو الاتصالات المشبوهة في لبنان (أقصد برمانا حيث كان فاضل الجمالي) وقد علقت جريدة الرأي العام الصادرة بتاريخ 54/6/2 قائلة :

"فصعق دولة العائد صباح أمس من لبنان".

ولكي يصرف رئيس المجلس ناظم القدسي النظر عن اقرار اقتراح التعديل أجل جلسات المجلس شهرا كاملا إلى 54/7/26، وكان القصد من تأجيل المجلس هذه الفترة الطويلة من عمره القصير فسح المجال لاسقاط حكومة الغزي وقد اتجه التحقيق في حادث الانفجار الذي وقع في دار السيد نوري خطاب أحد أرباب معامل النسيج الآلي في دمشق نحو بعض العناصر السياسية التي حاولت تشويه اضراب العمال لتقنع أرباب العمل بالتشدد علها تسقط الحكومة الحيادية لتأليف وزارة اخرى تطبخ الانتخابات القادمة، ولكن حكومة الغزي الحيادية أمكنها أن تتغلب على جميع الصعوبات التي اثيرت في وجهها بحزم غير منتظر فأنهت إضراب العمال بتسوية بعض قضاياهم مع أرباب العمل، كما أنهت اضراب القضاة بعد أن وعدتهم بأن تتقدم بمشروع للمجلس يقضي بزيادة رواتبهم وبمنحهم التعويضات، كما انهت قضية الطرقجي التي سببت اضراب اساتذة وطلاب الجامعة في الماضي فأصدرت بتاريخ 54/6/30 قرارا بتسريحه من الخدمة.

بعد أن انجز المجلس النيابي قانون الانتخاب، شرعت الحكومة فورا بالاعداد لإجراء الانتخابات بإصدار التعليمات والبلاغات، كما شرعت بإعداد الإدارة وقوى الأمن لتحقيق حياد الانتخابات ونزاهتها، وهكذا دخلت البلاد فورا في صميم المعركة الانتخابية وأصبح الحزب ملزما بتسمية مرشحيه عن المدن والاقضية السورية.

مرشحو دمشق من حزب البعث .

كان الاتفاق أن يرشح المحامي رياض المالكي نفسه عن غوطة دمشق، وان يضم الاستاذ صلاح الى قائمته عن دمشق الدكتور مدحت البيطار، وعلى هذا الأساس سارت الأمور فركز الاستاذ رياض نشاطه في الغوطة حيث لقي إقبالا وترحيبا بالغا نظرا لما كان للحزب العربي الاشتراكي من قواعد قوية في غوطة دمشق، ولما أصبح نجاح المالكي مضمونا بدأت أسمع همسا من

بؤرة الطلاب التي كان يتزعمها نور الدين الأتاسي والتي كانت تسبغ على نفسها الصفة العقائدية، ثم أصبح الهمس احتجاجا لتدخل المقدم عدنان المالكي لمصلحة أخيه مما يتنافى مع عقيدة الحزب. كان هذا الادعاء أوهاما كاذبة موحى بها من مطابخ الدعاية المشبوهة التي كان يسوؤها كثيرا أن ينجح رياض المالكي، ولا أدري ما هو السبب الذي جعل الاستاذ صلاح يتراجع عن موقفه الأول ويطلب من رياض أن يرشح نفسه معه عن دمشق، وقد أخبرني الاستاذ صلاح بأنه تم الاتفاق على ترشيح الدكتور مدحت البيطار عن الغوطة بدلا عن رياض، وقد اعترضت في البدء وقلت للاستاذ صلاح ان رياض قد قطع شوطا بعيدا في الاعداد لخوض الانتخابات في الغوطة وأصبح نجاحه مضمونا، فما الداعي لهذا التغيير والتبديل؟ وقد عرفت من أفراد الحزب ان ترشيح اثنين من آل البيطار عن دمشق بالرغم من عدم وجود قرابة بينهما كان يخسر الاستاذ صلاح أصواتا انتخابية في الماضي .

لم اقتنع كثيرا بصحة هذا التبرير وانما اعتقدت ان الاستاذ صلاح كان يرمي من وراء هذا التبديل أن يساعده رياض المالكي في معركته عن دمشق، فإما أن ينجحا سوية أو يفشلا سوية، لأن الاستاذ صلاح كان يعتبر نجاح رياض المالكي الذي أصبح مؤكدا عن الغوطة سيكون كارثة فيما لو فشل هو في انتخابات دمشق.

لم يبد رياض المالكي أي اعتراض على هذا التبديل الذي لم يكن في مصلحته، أما مدحة البيطار فقد اضطر أن يبدأ معركته الانتخابية من جديد في الغوطة التي لم يسبق له فيها أي نشاط أو معرفة سابقة، فكان فشله مؤكدا ولكنه لم ير بدا من الانصياع لمشيئة الاستاذ صلاح، ولحسن الحظ لم يكن ترشيح القاضي بشير الأحمر عن دوما موضع اعتراض أو خلاف.

محافظة حماه : تركت لي قيادة الحزب الحرية في حماه لترتيب القائمة التي أراها منسجمة مع مصلحة الحزب، لأن هوية المعركة في حماه كانت واضحة محددة، وهي معركة بين أبناء الشعب

وعماله وفلاحيه من جهة والاقطاعية من جهة أخرى، ولذلك لم نر لزوما لإعلان اسماء الاشخاص منذ بدء المعركة الانتخابية.

محافظة حمص : قررنا أن نرشح عن حمص الاساتذة : احسان الحصني، شاكر الفحام ، عبد البر عيون السود، وقد وجدنا صعوبة كبرى بإقناع عبد البر بهؤلاء المرشحين، لأن الخلاف الشخصي كان مستحكما بينه وبين شاكر الفحام، ولم يكن عبد البر يبدي أي حجة أو عذر مقبول لرفضه القاطع النزول مع شاكر الفحام بقائمة واحدة، وكان مزاجه يستبد به، ولما أصر عبد البر أن يرشح نفسه فقط عن حمص دون رفاقه الآخرين، وهذا موقف لا يمكن للحزب أن يقره أو يسلم به، تألفت قائمة حمص على الشكل التالي : الاستاذان احسان الحصني وفوزي عيون السود والدكتور كمال مشارقة، وقد كانت خلافات قيادة فرع حمص من أكبر الاسباب في عدم نجاح أي من المرشحين، رغم ان الجو كان مواتيا جدا لنجاح الحزب بمرشح واحد أو أكثر مما يحدث انقلابا ثوريا في معقل العائلية والاقطاعية الأمر الذي لم نتمكن من تحقيقه إلا بعد مضي عامين في انتخابات فرعية بمرشح غير حزبي.

حلب : لم يكن في حلب من المؤهلين لترشيح انفسهم من القيادات إلا المحامون عبد الفتاح زلط وجوزيف ليان وأديب النحوي ومحمد السيد الذي كان بتحريض من جلال السيد يحاول أن يقوم بمحاولة انشقاقية في فرع الحزب بحلب بمساعدة الاستاذ ميشيل باعتباره بعثيا قديما، ولكن ميشيل لم يغفر له موقفه المتخاذل في معركة الحزب ضد الديكتاتورية.

كما قررنا ترشيح المحامي عبد الحليم قدور عن القلمون ترشيحا حزبيا وبدون أي مشقة أو خلاف، وتقرر ترشيح الدكتور أديب الأصفري عن ادلب والدكتور وهيب الغانم عن قضاء اللاذقية، والمحامي محمد الحسن عن بانياس والمحامي عبد الهادي عباس عن مصياف، وترك لي تسمية مرشحي الحزب عن قضاء المعرة وأرجئ البت بترشيح البعثيين الاشتراكيين عن دير الزور بسبب الخلاف المزمن بين جلال السيد وهيئة الفرع، ثم تمكنا

أخيرا أن نتفق على ترشيح جلال السيد والدكتور رشاد الجاسم وعبد العزيز الحرويل.

وهكذا تم في مطلع شهر أيلول عام 1954 استكمال جميع الوثائق والحصول على الوصولات النهائية بترشيح ثلاثين عضوا من الحزب في مختلف أنحاء سورية وفيما يلي اسماؤهم :

دمشق : صلاح البيطار، رياض المالكي، عبد الرحمن المارديني، الغوطتان: الدكتور مدحت البيطار. حماه : اكرم الحوراني، خليل الكلاس، فيصل الركبي، عبد الكريم زهور، سعيد الخاني. المعرة: منيب اليوسفي، خان شيخون : عبد الله النجم، مصياف : عبد الهادي عباس، السلمية : سامي الجندي، حمص : فوزي عيون السود، كمال مشارقة، احسان حصنى، حلب : عبد الفتاح الزلط، أديب نحوي، محمد السيد، يوسف ليان، صلخد : منصور الأطرش، القلمون : عبد الحيم قدور - قضاء اللاذقية: وهيب الغانم، قضاء بانياس: محمد الحسن، البوكمال: دحام الدندل، تلكلخ : محمد الدروبي، سامي الخوري، دير الزور: جلال السيد، رشاد الجاسم، عبد العزيز الحرويل. جبلة : محمد الخير.

لقد شعرنا بمناسبة هذه الانتخابات بفقرنا المريع في كوادر الحزب وقيادته، فقد كانت قطاعات حزبية كبيرة من الشعب سائبة في انحاء البلاد بدون تنظيم ولا قيادات، وكانت قيادات الحزب أضعف بكثير من المد الجماهيري العارم ولو توفرت القيادات الحزبية في تلك المعركة لتضاعف عدد الناجحين عن الحزب في جميع المناطق السورية.

□

هكذا كانت أوضاع الحزب الداخلية بينما كانت الرجعية بجميع فئاتها: الدينية والاقطاعية والرأسمالية والعشائرية والعائلية تدعمها الرجعية العربية والاستعمار جبهة متراصة في وجه الحزب، وقد حاولت هذه القوى أن تجعل معركتها مع الحزب معركة دموية، ولا أدل على ذلك من الحرب الدينية المقدسة التي اعلنها الشيخ

النبهاني ورجال الدين في حلب على الحزب بالاتفاق مع الحزب الوطني وحزب الشعب، عندما دعوا مدينة حلب للاضراب والخروج بمظاهرة تحمل المصاحف وهي تهتف بسقوط حزب البعث الاشتراكي وقياداته وتتهمه بالكفر والالحاد.

خرجت هذه المظاهرة من الجامع الكبير، بعد أن استخدمت منذ اليوم السابق مكبرات الصوت في المآذن، وكان الخطباء في المساجد يحملون على الاشتراكية التي تتنافى - حسب زعمهم - مع تعاليم الاسلام، وكان أغلب الخطباء من موظفي الاوقاف مثل الشيخ أبو الخير زين العابدين المدرس في الكلية الشرعية والشيخ محمد الفرفوطي والشيخ محمد المعدل وكلاهما من أئمة المساجد الحكوميين، وقد أجمعت الصحف على ان السفير الاميركي قد كان في حلب قبل ثلاثة ايام من المظاهرة، كما جاء في الصحف انه لما مرت المظاهرة أمام فندق بارون ووقف الشيخ ظاهر خير الله مرشح حزب الشعب لإدارة الكلية الشرعية يخطب بالناس، كان أحد موظفي السفارة الأميركية يلتقط للمظاهرة فلما سينمائيا.

وعندما توجهت المظاهرة إلى سراي الحكومة تقدمت الى المحافظ بطلبها عدم السماح لأقطاب حزب البعث بزيارة حلب لافتتاح مكتب الحزب، ووزعت منشورات خلال ذلك باسم جمعية العلماء في حلب تحمل على الحزب، وقد تمكنت المظاهرة من إغلاق مخازن المدينة اغلاقا جزئيا لفترة بسيطة.

□

كان من ابلغ الأدلة على ضلوع الاحزاب الرجعية بهذه الفتنة ان جريدة (النذير) الناطقة الرسمية لحزب الشعب وصفت المظاهرات التي قام بها المشايخ بقولها : انهم هاجموا النزعات اليسارية والالحادية وأعمال الفوضى التي يبثها بعض أعضاء الحزب العربي الاشتراكي، وأن الخطب قد القيت ضد الحزب العربي الاشتراكي وضد الالحاد والملحدين وضد الفوضى والفوضويين... (ومن الملاحظ أن صحيفة النذير لم تستعمل كلمة البعث وانما

قالت: الحزب العربي الاشتراكي، وهي نغمة درجت عليها الصحف الرجعية لبذر الخلاف والتمزق في صفوف الحزب)، وقد رددنا على حملة النذير في جريدة التربية الحلبية بما يلي :

"إن الشعب يحمل رشدي الكيخيا بالذات وحزبه من ورائه مسؤولية ما ينجم عن هذه الفتنة، وأن الشعب يعتقد أنها تستهدف مباشرة وصراحة ضياع الاستقلال لأن الاصابع الاجنبية قد لعبت دور التوجيه في هذه الفتن ورسم خطوطها" بعد هذه المظاهرة لاحظت ترددا من القيادات الحزبية في الذهاب إلى مدينة حلب لافتتاح مكتب الحزب، فكان موقفي حازما ولم أر بدا من الذهاب على عجل ، وعلى متن الطائرة، وهكذا وصلت والاستاذ صلاح الى حلب في الوقت المحدد.

كان سورية كلها تتجه بأنظارها إلى مدنية حلب، وقد كتبت جريدة الرأي العام بتاريخ 54/7/9 "انها ظلت طوال النهار والليل تتلقى الهواتف المتلاحقة. كان الكثيرون يسألونها: ماذا جرى في حلب؟ هل سالت الدماء؟ كم بلغت الضحايا من البعثيين الاشتراكيين ومن جماعة العلماء؟ هل صحيح ان المدينة مضربة والاحكام العرفية معلنة؟

كان الجواب على هذه الاسئلة كلها جملة واحدة: لم تضرب حلب ولم يقع فيها أي اصطدام ولم يظهر فيها أحد من جماعة العلماء ولم تطلق رصاصة واحدة، وقد أقام البعثيون الاشتراكيون مهرجانهم في الوقت المحدد في حديقة الازبكية وخرج المجتمعون يرددون الهتافات ضد الرجعية وضد استغلال الدين وينادون بشعارات الوحدة والحرية والاشتراكية دون أن يقع أي حادث".

أقيم المهرجان في الساعة السادسة من مساء يوم الخميس 54/7/8 وقد شارك فيه أكثر من عشرة آلاف من ابناء مدينة حلب ومن جبل سمعان وادلب وحارم والمعرة وغيرها من فلاحي القرى والأقضية التابعة لمحافظة حلب، وقد تكلم في المهرجان مرشحو حلب الثلاثة والدكتور وهيب الغانم مرشح قضاء اللاذقية والاستاذ عبد الكريم زهور مرشح البعث في حماه

والاستاذ صلاح البيطار، وكانت كلمات الخطباء تدور كلها حول نضال الأمة العربية وكفاح حزب البعث لتخليص المواطنين من آثام الاقطاعية والرأسمالية والنضال لتحقيق الوحدة والحرية والاشتراكية، أما كلمة الاستاذ صلاح فقد كانت بيانا انتخابيا ركز فيه على اصدار قانون جديد للعمال وإصدار قانون لحماية الفلاحين وتوزيع أملاك الدولة على المعدمين منهم، وعلى ضرورة تصنيع البلاد ومقاومة استثمار رؤوس الأموال الاجنبية وتحديد أرباح الرأسمال الوطني.

كان عدد الخطباء كبيرا وقد أسهب الاستاذ البيطار في خطابه ولذلك لم يكن بودي - كما جرى الاتفاق مع عريف الاحتفال عبد الفتاح زلط - أن اتكلم، ولكن ما إن اعلن انتهاء الاجتماع حتى امتنع الجمهور عن الانصراف، وبحماسة وإلحاح لا نظير لهما اضطررت للكلام وقد تعمدت أن تقتصر كلمتي حول الاتهامات بالكفر والالحاد التي كان يحارب بها رجال الدين حزب البعث العربي الاشتراكي بدافع من الاستعمار والرجعية وهذه خلاصتها :
أيها الرفاق :

في العام الماضي عندما كنا مبعدين عن سورية في ايطاليا قرأت بأسى في صحف تلك الأيام أن سلطان مراكش محمد الخامس الذي ضحى بعرشه في سبيل تحرير الشعب العربي في المغرب، والذي قاوم الاستعمار الفرنسي ليحقق لبلاده العزة والسيادة، قد اتهمه - بايعاز من المستعمرين - بعض من لا دين لهم ولا وطنية ويسمون أنفسهم بالعلماء ورجال الدين، فأصدروا فتوى بتكفير ذلك الرجل أذكر الآن أيضا ذلك البطل العربي الآخر أحمد عرابي الذي حارب الاحتلال البريطاني لمصر، فتمكن الانكليز من ايجاد بعض الأفاكين المستترين وراء الدين فأصدروا الفتاوى بتفكيره عندما نفوه الى جزيرة سيلان.

هذه الذكريات ايقظها في نفسي ما قرأته بالأمس في نشرة وكالة الانباء العربية وهي وكالة تتأثر بالتوجيهات البريطانية عن أنباء المظاهرة التي قام بها المشايخ امس في حلب بتحريض

من الجهات الاجنبية والعناصر السياسية المشبوهة التي تعمل كالخفافيش في الظلام، ثم قلت :

إن اتهام حزب البعث، وقد اصبح يضم عشرات الالوف من المواطنين بالكفر والالحاد، انما هو مخالفة صريحة لآداب الاسلام الذي أمر أن تكون الدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة لا بالتحريض على القتل وإثارة الفتنة واستشهدت بالحديث الشريف "من كفر مؤمنا فقد كفر" كما استشهدت بموقف الامام العظيم علي بن ابي طالب يوم أفتى بقتل خالد بن الوليد لأنه أباح قتل أحد المرتدين الذي أعلن شهادته قبل قتله، كما استشهدت بالعديد من الآيات القرآنية التي تبين أن رسالة الاسلام رسالة محبة وتسامح وسلام وانها انتشرت في الأرض لأنها حملت رسالة العدل والحرية والمساواة.

وقد أطلق رفيقنا الشاعر المناضل الاستاذ سليمان العيسى صيحته المؤثرة في ذلك الاحتفال بقصيدته (موكب النور) وهذه بعض غررها :

يا موكب النور، غاظ الليل مطلعنا وأتلعت رأسها من قبرها الرمم

الناعقون وراء الركب، هل لهم أن يفسحوا الدرب للأحياء هل لهم؟

نحن الذين كسرنا القيد عن فمهم حتى تحرك من بعد الهمود فم

الناسجون بدمع الشعب بردهم والناحتون بعري الكوخ قصرهم

والناصبون حدود الله مصيدة ويهمس الفقر في يأس: أما تخموا؟

ولو تنبه مسلوب لسارقه من الأيامى ومن ايتامنا رجموا

□

لم يقف استغلال الرجعية للدين عند المظاهرة الفاشلة لرجال الدين في حلب، بل انها استغلت بمساعدة الاخوان المسلمين- جولة الاستاذ الهضيبي مرشد الاخوان المسلمين في أنحاء سورية للقيام بدعاية واسعة لمصلحة الاقطاعيين، فخرجت من حماه لاستقباله بموكب ضم اكثر من 150 سيارة توجهت الى مدينة المعرة التي دخلها الهضيبي دخول الفاتحين، وقد استاء ابناء الشعب والفلاحون لاستغلال آل الحراكي لهذه الزيارة، وعندما قصد الهضيبي والمحتفون به المسجد لأداء صلاة العصر رجاه الناس أن يصرف النظر عن إلقاء الخطب، مما أثار الفتنة في المسجد ولكن تدخل رجال الأمن أنهى الفتنة بسلام.

كان هذا الحادث سببا للاصطدام المسلح الذي وقع في اليوم التالي بين ابناء الشعب والفلاحين من جهة وبين زلم آل الحراكي، مما أدى إلى مصرع النقيب الحراكي، فأصدر الشيخ مكي الكتاني بيانا باسم نائب رئيس العلماء في دمشق هاجم فيه حزب البعث الاشتراكي واتهمه بالكفر والإلحاد وروى حادث المعرة على غير حقيقته، كذبا وافتراء، فكتبت -باسم الحزب- ردا طويلا على بيانه تعرضت لما جاء فيه من افتراء وكذب وتضليل وأبنت فيه خروجه عن الآداب والقيم الاسلامية، وهذه مقاطع منه :

"كيف تجيز لنفسك باسم نائب رئيس رابطة العلماء أن تقذف الحزب ورجاله بهذه التهم الطائشة الآثمة دون أن تتثبت أو تتبين؟ ما هو قصدك من إشاعة التهم بحق الحزب؟ أنت تعرف أنها تلفق في دوائر الاستخبارات الاجنبية وفي معامل الشركات الرأسمالية الكبرى، وعلى موائد الخمر والميسر وفي مكاتب دعاية بعض الاحزاب المأجورة". ثم قلت بصدد حادث المعرة :

"هل تعرف المعرة أيها الاستاذ وتعلم شيئا عن أحوالها الاجتماعية والمعاشية وعن تسخير فلاحيها من قبل ملوك تلك البلدة الاقطاعيين؟ إذا لعرفت ان العداء المستحكم فيها سببه الظلم الاجتماعي والاستبداد السياسي. ولئن كان هناك من يدافعون عن الدين فثق أنهم ليسوا اولئك المستثمرين بل هم المحرومون والمضطهدون من أبناء الشعب والفلاحين،

ومنذ أربعة عشر قرنا لم يعتمد الرسول على تجار قريش وأغنيائها وسفهائها، بل اعتمد على الذين تخلوا عن أموالهم وجاهم وجاهدوا بأنفسهم، اعتمد على الفقراء والمحرومين والمتألمين.. ثم جاء في ختامه:

"إن حزبنا حزب سياسي وأن له دستورا مكتوبا ومنهاجا واضحا فهل قرأت دستوره ومنهاجه وهل وجدت فيهما الا ما يسمو بالنفس ويدعو الى مكارم الاخلاق وينظم الصفوف ضد الطغيان والاستعباد والاستعمار؟ ولم لم تفعل ذلك وأخذت بالاشاعات المغرضة التي يروجها الاستعمار وعملاؤه في الداخل؟ "

"إن الاسلام دين جهاد وبلادنا العربية تئن اليوم تحت نير المستعمرين - وأنت الذي تزج نفسك بالسياسة - نسألك:

هل عالجت قضايا البلاد الكبرى وأصدرت ولو بيانا واحدا تحمل فيه على المستعمرين وتطلب فيه الى الناس أن يجاهدوا في سبيل التحرير؟؟" "إنك من اسرة مراكشية ومن المفروض أن تتالم كثيرا لما يجري في بلادك... فلم لم تصدر بيانا ولم تهب لقيادة حملة الجهاد في سبيل ذلك القطر العربي المسلم؟ واكثر من ذلك :

عندما كنا في العام الماضي منفيين مطاردين من قبل الشيشكلي الذي سكتت عن سلوكه وسياسته وعن اضطهاده وتعذيبه لأبناء الشعب، أتت انباء تقول: ان الجلاوى باشا- عميل فرانسا المشهور- والشيخ عبد الحميد الكتاني قد كفرا سلطان مراكش الشرعي بعد أن خلعه الفرنسيون، واننـي أسألك لم لم تصدر بيانا تكفر فيه الذين يتعاونون مع الاستعمار الفرنسي؟ كيف تسكت عن جرائم الاستعمار في الوقت الذي تصدر فيه البيان تلو البيان ضد حزبنا؟؟ "

كان لتصدينا الجرئ لجماعة العلماء في حلب وفي دمشق أثر شعبي عميق اسقط من يد الرجعية والاستعمار سلاح الدين ضد حزب البعث العربي الاشتراكي برغم الخطب التي القيت على منابر الجوامع في سورية من أقصاها إلى اقصاها ولعدة شهور وكان احتفال حلب تحديا جريئا للرجعية الدينية كما كان مطمئنا ومقنعا للجماهير الشعبية التي لم تنس ذاكرتها بعد سير معظم رجال الدين في ركاب الاستعمار الفرنسي ...

□

في انتخابات عام 1954 حدد جميع رجال السياسة والمال والاقتصاد والدين مواقفهم من المعركة الانتخابية على الاساس الذي صرح به مجد الدين الجابري :

إن العالم منقسم الى معسكرين : غربي وشرقي، كما أن البلاد العربية منقسمة إلى معسكرين هاشمي وسعودي وقال : إن الانتخابات القادمة في سورية ستقرر الاتجاه السياسي لبلادنا بين المعسكرين العالميين والمعسكرين العربيين ثم قال: انه سيدخل المعركة الانتخابية وسيتزعم قائمة المستقلين إذا لم يدخل مع أحد الحزبين.

لقد أعرب مجد الدين الجابري عن حقيقة مواقف الذين تصدوا لانتخابات عام 1954 كل حسب انتماءاته الحزبية والطبقية وحسبب اتصالاته بأحد المعسكرات العربية أو الدولية. كان حزب البعث العربي الاشتراكي هو الفئة السياسية الوحيدة التي وقفت موقفا وطنيا حازما تجاه جميع المخططات الدولية والعربية وبالتالي تجاه الأحزاب السياسية والفئات الاقطاعية والرأسمالية في سورية.

لم يكن موقف الحزب واضحا في ما يرفضه فحسب بل كان واضحا فيما يريد ويعمل على تحقيقه في تلك المرحلة والطريق الذي سيسلكه للوصول إلى غاياته وأهدافه. وقد وجهت إلى جريدة الطليعة الدمشقية بتاريخ (25 آذار عام 1954) خمسة أسئلة أجبت عليها كما يلي :

س1 : ما هي في رأيكم الطريقة الواجب اتباعها لاقامة حكم ديمقراطي صحيح؟؟

ج : إن الحرية روح النظام الديمقراطي. ولا يعتبر اي نظام - نظاما ديمقراطيا، ولو كان فيه برلمان منتخب ورئيس جمهورية ما لم يتمتع المواطنون فيه بالحريات العامة والخاصة.

إن مئات الألوف من المواطنين الفلاحين في بلادنا يساقون إلى مراكز الاقتراع مسلوبي الأرادة، لأنهم مهددون بالطرد من الأرض والموت من الجوع- حيث لا تسلم أموالهم ولا أعراضهم في حالة مخالفة إرادة السيد الاقطاعي. فهل يعتبر الحكم البرلماني القائم في بلادنا حكما ديمقراطيا؟؟ هذا في الريف أما في المدن حيث السواد من أبناء الشعب تغرقهم ظلمات الجهالة ويعضهم الجوع والمرض بأنيابه، فإنهم يفقدون حريتهم وإرادتهم أمام الضغط والأغراء فتصبح ضمائرهم عرضة للبيع والشراء.

إن الحرية لا تستلب دوما بالقوة وإنما يفقدها الانسان مضطرا عندما لا يكون متمتعا بحد أدنى من الحياة المادية التي تحفظ له كرامته وانسانيته.

إننا لا نزال حتى الآن - وفي هذه المرحلة - نخوض معركة حكم الدستور والقانون الذي يجعل المواطنين سواسية أحرارا. فمن الطبيعي إذا أن يبقى حكم الدستور والقانون في مبادئه الهامة حبرا على ورق طالما أن القائمين على تنفيذ هذه الأحكام ليس من مصلحتهم تنفيذها. فكيف يمكن للحاكمين المستغلين ان يزيدوا أموالهم وثراءهم وسعة ما يملكون من أراض إذا كان تنفيذ الدستور والقانون يقف حائلا دون تحقيق أغراضهم.. إن بلادنا قد اجتازت مرحلة تدوين النصوص الدستورية والقانونية.. ولكن تدوين الدساتير والقوانين غير التنفيذ في ظل الأوضاع الأقطاعية الراهنة.

وفي اعتقادي أن الحكم في بلادنا لا يصبح حكما ديمقراطيا بالمعنى الصحيح، ما لم يقم الشعب المضطهد بنفسه على تطبيق أحكام الدستور والقانون لأن في تطبيقها ما يقيم أوده ويرفع من مستواه ويحفظ له كرامته وحريته وحياته. ولذلك فقد ابتدأنا عملنا ونضالنا بتكتيل قوى الشعب من العمال والفلاحين في المدن والأرياف لتحريرهم من ربقة الاقطاعية والرأسمالية والسلطة المستبدة، وهم أكثرية الشعب العظمى، لتحقيق المبدأ الديمقراطي والدستوري الذي ينادي بحكم الشعب بالشعب وللشعب، ومن هنا بدأ الصراع المستميت بين القوى الشعبية وبين الفئات المستغلة الرجعية وسلطة القمع التي هي في خدمة هذه الفئات، ولولا دعم القوى الاستعمارية لاستلم الشعب مقداراته **بطريق تطوري** برغم الأوضاع البرلمانية المزيفة في بلادنا. ونظرا لما يحيط ببلادنا من أعداء **أثرنا طريق تطوير الشعب الشاقة وتحريره حتى تستقيم الأوضاع البرلمانية الديمقراطية**.

إن الاستقلال وسيلة لا غاية لتطور الشعب وتقدمه وارتقاءه كما أن الحرية أيضا وسيلة لا غاية لكل تقدم وارتقاء على المستويين القومي والانساني. فما لم يصبح الحكم بيد الشعب ولمصلحته فلا استقلال ولا حرية بالمعنى الصحيح ولا تقدم ولا ارتقاء.

س2: بعد ان ثبت فشل الحلول التي تضعها الرجعية لمشكلاتنا، فما هي الحلول التي تحقق أهدافنا القومية؟

ج2 : إن جميع الحلول التي تضعها القوى الرجعية لحل مشاكلنا إنما هي حلول يقصد منها الهاء الشعب وتخديره لا تحقيق مطالبه وغاياته السامية. ولا سبيل لحل مشاكلنا الوطنية والقومية بغير منهجنا الاشتراكي.

س3 : ما رأيكم في المؤآمرات الاجنبية الاستعمارية التي استهدفت سورية منذ الجلاء حتى الآن؟

ج3 : يحتاج بحث المؤآمرات الاجنبية منذ الجلاء حتى الآن لشرح طويل لا يتسع له المجال، ويمكننا أن نؤكد بأن تناقض المطامع الاستعمارية قد ساعد إلى حد على إحباطها كما أن وعي الشعب واستبساله كان له الأثر الأول. واعتقد بأن الوعي الشعبي يزداد في بلادنا بصورة مدهشة وأن هذا الوعي كفيل باحباط كل مؤامرة تبيت في الخفاء. وستظل بلادنا - إلى أجل طويل - مسرحا للمؤآمرات لانها محاطة بالأعداء ومحط انظار الدول الكبرى نظرا لأهمية موقعها ومواردها وتأثيرها على المنطقة العربية.

س4 : هل ستدخلون الانتخابات القادمة ؟

ج4 : إن أمر مقاطعتنا للانتخابات أو خوض المعركة الانتخابية القادمة مسألة لم يبت بها الحزب بعد، وسيقرر ذلك في المستقبل القريب على أساس الدراسة الدقيقة للموقف.

س5 : ما رأيكم بعزم الجيش على ترك السياسة والانصراف الى ثكناته وأداء واجباته؟

ج5 : إنه لا يمكننا أن نعتمد على غير الشعب في تحقيق الحكم الديمقراطي الصحيح والاصلاح المنشود فالشعب وسيلتنا والشعب غايتنا ونحن لا نجيز أن يستخدم الجيش لتزوير الانتخابات، ولا أن يكون وسيلة لقمع الحريات والحركات الشعبية كما جرى في

ماضيات الأيام. إننا لنربأ بجيشنا الباسل الذي هو في حقيقته من قوى الشعب الصميمية أن يكون مطية للمغامرين أو سلاحا بيد الرجعيين المستغلين. وقد برهن جيشنا في مختلف الظروف التي مرت على البلاد انه مرفوع الرأس ناصع الجبين.

كان وضوح موقف الحزب سببا هاما ولا شك في الاقبال الجماهيري الذي لقيه مرشحوه في المعركة الانتخابية.

كان هذا الموقف الجلي الواضح ثورة على اللعبة الرجعية والاستعمارية في المنطقة العربية وقد عبر الاستاذ صلاح عن ذلك بصراحة تامة لم تكن معهودة من قبل في أجوبته لجريدة (الجريدة اللبنانية) التي كانت تقصد إحراج موقفه تجاه الاستاذ عفلق المتردد المنزوي في مصيف برمانا عن المعركة الانتخابية، مما اضطر الحزب أن يصدر قبل ذلك بأيام قليلة بتاريخ 54/8/15 تكذيبا للأخبار التي نشرتها الصحف في دمشق من أن ميشيل عفلق قد فصل من حزب البعث العربي الاشتراكي.

وبالنظر لما تلقيه أجوبة الاستاذ صلاح من نور على تطور فكر الحزب أرى من المفيد أن أعرض ملخصا لها :

س1 : ما هي الاسباب الموجبة لتأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي وما هي دواعي اندماج البعث العربي والعربي الاشتراكي.

ج : كان تأسيس حزب البعث العربي بعد عام 1943 ضرورة قومية، فالاستعمار الفرنسي كان مسيطرا على البلاد، وكان الشعب قد فقد أمله بزعمائه الذين كشف استيلاؤهم على الحكم في فترتين اثنتين إبان الانتداب عن ارتباطهم الوثيق بالطبقة الاقطاعية وسعيهم المتواصل لتأمين مصالحهم، أما اندماج الحزبين : البعث العربي والعربي الاشتراكي فأمر طبيعي لأنهما كانا يسيران في اتجاه واحد ضمن مبادئ متشابهة قائمة على أهداف العرب في جميع أقطارهم وهي الحرية والاشتراكية والوحدة العربية، ومما سهل اندماجهما وعجل فيه خوضهما معركة النضال ضد الديكتاتورية العسكرية التي حاول الشيشكلي أن يفرضها على البلاد.

س : ما هي نظرة الحزب للمشاريع الاتحادية المتداولة في هذه الأيام.

ج : المشاريع الاتحادية مشاريع موهومة يقصد منها الدعاية كما يقصد منها خلق الانقسام والتفرقة بين صفوف الشعب العربي في جميع أقطاره، إن حزبنا الذي جعل الوحدة هدفا أساسيا له قد سلك لها سبيلها الطبيعي عن طريق وحدة نضال الشعب العربي لتحقيق هذه الوحدة.

س : ما هي نظرة الحزب لقضايا العرب من الوجهة الدولية ؟ هل هي التعاون مع الكتلة الغربية أم حياد وكتلة ثالثة أم تلاق مع الكتلة الشيوعية؟ .

ج : إن الكتلة الغربية تمثل الاستعمار في الوطن العربي فدولها الثلاث الكبرى هي المسؤولة عن نكبات العرب وعن تجزئة بلادهم الى أقطار ودويلات وعن دق اسفين الصهيونية في ظهورهم، فكل انحياز لهذه الكتلة أو اتفاق أو محالفة تجري مع دولها معناه دعم الاستعمار الجاثم فوق صدر الأمة، أما موقفنا من النزاع القائم بين الكتلتين العالميتين المتصارعتين فيجب أن يكون الحياد والاستقلال.

س : الحزب متهم بإثارة النزاع الطبقي في سورية فما هي وجهة نظر الحزب؟

ج : الصراع الطبقي في سورية قديم قدم النظام الاقطاعي السائد فيها حتى اليوم، وان ما أثار هذا الصراع هو وعي الشعب العربي المتزايد، وإن ما يعطي هذا الصراع طابع الحدة والتوتر هو تشبث الطبقة الاقطاعية والرأسمالية بمصالحها وجشعها وتماديها بالاستهتار بمصالح الشعب والوطن وان الدور الذي يقوم به البعث العربي الاشتراكي في هذا الصراع فهو تكتيل قوى الشعب وتنظيمها وتوجيهها الاتجاه السليم الذي يحقق للشعب اهدافه.

□

كان هذا موقف الحزب، أما مواقف القوى والاحزاب الرجعية، وغيرها من الفئات السياسية، فإن ما كشفته وثائق حلف بغداد هو كاف للدلالة على تلك المواقف، وفيما يلي احدى الوثائق وهي تتعلق بهذه الفترة من عام 1954 :

برمانة في 1954/8/18

أخي العزيز ابا وداد (عبدالله بكر وهو وزير خارجية سابق)

تحيات وأشواق

وبعد ارجو ان تكونوا في صحة وهناء. أما انا فاتمتع بعطلة جميلة في لبنان وسأبقى حتى أوائل الشهر القادم.

أخي كنت وقد وعدت صاحب السمو الملكي ان اكتب عما يبدو لي وانا في عطلتي فأرجو ان تقبلوا لي يد صاحب الجلالة ويد سموه الملكي وتطلعوه على النقاط التالية التي خاطبت بها نوري باشا في كتاب أرسلته إليه، فقد كتبت له عن سورية ما يلي :

درست الوضع من هنا في سوريا واطلعت على ما هناك من تبلبل في السياسة والافكار وبالرغم من مجئ القوتلي فان الجماعة الاتحاديين من الحزب الوطني لا يزالون عند كلامهم وعند موقفهم وهم اليوم أقوى من ذي قبل ولم يذعنوا لشكري القوتلي في هذا الصدد وكذلك فان مساعداتهم في المصاريف الانتخابية على اسس معقولة تصبح ضرورية وحيوية لاستمرار السياسة العراقية التي بدأت بها منذ ايام حسني الزعيم. ان الحزب يجاهر بالاتحاد مع العراق وحزب الشعب وأن كان اعضاؤه اقل اندفاعا ومجاهرة بالدعوى الا انه اتحاديون بالمبدا ومن رأيي أن العراق لن يسرف فيما لو خصص لسوريا في هذه المرحلة نحو 100 الف دينار وسواء أجاءت هذه المبالغ بنتائج آنية أم لم تجد فانها نتائجها البعيدة ومؤكدة.

أبدى هذا الاقتراح وأؤكد لفخامتكم باني لست مندفعا وراء العواطف بل انه نتيجة تفكير وقناعة مبنية على حقائق الوضع العربي العام.

هذا ما كتبته لنوري باشا وارجو ان ينال هذا الاقتراح تأييد سيدنا المعظم وتأييد صاحب السمو المعظم فأرجو ان تقوم بما تستطيع في هذا الصدد خدمة للاهداف القومية التي نؤمن بها فان التذكير يفيد دائما.

ثم تتحدث الوثيقة عن الانتخابات العراقية وعن العلاقات بين نوري السعيد وصالح جبر وتعود بعدها للحديث عن سورية :

انني ساتغذى اليوم مع المستر مولز السفير الاميركي في دمشق في فندق (مسابكي) في شتوره لاحدثه في شؤون سوريا وموقف امريكا منه كما سأتعشى الليلة في زحلة حيث سيحضر صبري العسلي وميخائيل اليان. ارجو ان ترفع عظيم احترامي واجلالي لسيدي صاحب الجلالة وسيدنا صاحب السمو الملكي المعظم وارجو أن تكون والاهل بخير وهناء واسلم لاخيك.

فاضل الجمالي

مكامن القوة في حكومة الغزي .

ان السؤال الذي يطرح نفسه الآن هـو : كيـف تـورط الحزبـان بالموافقة على تأليف حكومة الغزي الحيادية مع ان حياد الحكومـة يعني بالحقيقة انهزام القوى السياسـية والاجتماعيـة والاقتصـادية المرتبطة بالقوى الدولية والعربية امام القوى الجماهيرية، هل كـان ذلك جهلا وغباء، أم كانت هنالـك تقـديرات خاطئـة لحقيقـة الوضـع في الجيش والبلاد؟

أشرت سابقا، وكما ظهر في وثائق حلف بغداد انه كان بـين الحزبين الرجعيين تناقضـات محليـة وشخصـية وسياسـية وطبقيـة تجعل أمر ائتلافها في المعركة الانتخابية صعبا، بل ومستحيلا فـي تلك الظروف الداخلية والعربية والدولية.

كـان هـدف الحـزبين فـي الحقيقـة تشـكيل حكومـة ضـعيفة يتقاسمان النفوذ فيها فيمكن لكل منهما اسـتغلالها فـي المعركـة الانتخابية، ويغطي استغلالها كونها حكومـة حياديـة اسـما لا فعـلا ولكن الحزبين كانا واهمين في تمكنهمـا مـن اسـتغلالها للأسـباب الآتية :

1- إن سعيد الغزي لم تكن له اي ارتباطات عربيـة أو دوليـة، كمـا كان وزير الداخلية اسماعيل قولي نظيفا مـن هـذه الارتباطـات وكان كلاهما وطنيا ليبراليا، امـا الـوزراء الآخـرون فعلـى الـرغم من صداقة معظمهم للحزبين الرجعيين فلم يكـن لأحـد مـنهم مصلحة او ارتباط محدد في المعركة الانتخابية، ولم يكن يخطر في بال اساطين الحزبين ان تصبح هذه الحكومـة قويـة تصـمد أمام جميع المؤامرات التي واجهتهـا منـذ تشـكيلها لأنهـم لـم يقدروا أن القوى التقدمية في الجيش ستدعم هـذه الحكومـة لإجراء انتخابات نزيهة في البلاد.

كـان طمـوح القـوى التقدميـة فـي الجـيش بقيـادة عـدنان المالكي، وهي القوى السائدة والمهيمنة، أن تدعم حكومة الغزي

الحيادية لتجري انتخابات نزيهة يفوز فيها التقدميون لحماية البلاد والجيش من المؤامرات الأجنبية، ولم يكن لهذه القوى في الجيش أي مطامع شخصية ولا أي ارتباطات عربية أو دولية، ولذلك حظيت حكومة الغزي بتشجيع ودعم الجيش.

2- كان رئيس أركان الجيش شوكت شقير، مرتبطا بسياسة المحور المصري السعودي وخصما للمشاريع الاتحادية، ولكنه بحكم كونه شخصا ضعيفا في الجيش لم يخطر بباله أن يطمح للسلطة والحكم في سورية وكل ما كان يرجوه بقاؤه في منصبه في رئاسة اركان الجيش.

الاقطاعية ومعركة حماه.

منذ الأيام الأولى لسقوط الديكتاتورية بدأ الاقطاعيون في حماه بمساعدة الحكومة استغلال حركة التحرير في معركتهم ضد الحزب، وكان يتزعم هذه الحركة رئيف الملقي وابن اختي غالب شيشكلي الذي كان نائبا بالتزكية في مجلس النواب خلال عهد أديب الشيشكلي، كان ذلك محاولة خبيثة لشق الصف الشعبي بإثارة الفتن العائلية وإخراج معركتنا مع الاقطاع عن محورها العقائدي، ولكنني استطعت أن أعالج هذه الفتنة.

كان ابن اختي محسن شيشكلي قد عاد من فرانسا بعد أن انهى دراسة الدكتوراة في الحقوق، فعرضت عليه عندما زارني ترشيح نفسه في قائمتنا على الرغم من المعارضة الشديدة التي كنت انتظرها من فرع الحزب في حماه فاعتذر محسن، وبعد أيام رأيت أخاه غالب في دمشق فسلم علي مستحييا في قرارة نفسه مما كان يرتكبه في حماه، وهكذا انسحب غالب من المعركة وانزوى، ولكن الاقطاعيين ثابروا بمساعدة رئيف الملقي وبشكل أعنف على قلب المعركة الى صراع دموي، فأصدرنا بتاريخ 54/7/9 بيانا جاء فيه :

"إن الاقطاعيين يستهترون بدم الشعب بعد أن شعروا بإفلاسهم وانصراف جماهير العمال والفلاحين عنهم والتفافهم حول الاشتراكيين الذين وجدوا فيهم الطليعة الصادقة المؤمنة المناضلة، بدأوا يوجهون المعركة

السياسية الاجتماعية وجهة اجرامية" "وقد تحلى الحزب رغم جميع الاستفزازات والاعتداءات بالتسامح وهدوء الاعصاء لأنه من الشعب ويضن بدماء الشعب أن تراق إلا ضد العدو الغاصب اسرائيل" "إن للحزب قضية واضحة يدعو إليها بالحجة والموعظة الحسنة وايقاظ الوعي الشعبي" إن الحزب يدعو للعدالة الاجتماعية حيث ينعدم الاستغلال والى الحرية لأن المواطن الحر هو القادر أن يدافع عن الوطن" "إن الحزب يدعو إلى تكتيل القوى الشعبية وتنظيمها لتصبح قادرة على مقاومة الاستعمار وعملائه واحباط مؤامراتهم" ثم جاء في ختام البيان :

"إن الحزب يدعو الى نشر لواء المحبة والسلام بين الناس ولكنه لا يستطيع أن يتحمل الاستفزاز والاعتداء والاجرام إلى ما لا نهاية، والحزب الذي قاتل في فلسطين وناضل ضد الديكتاتورية والطغيان وصمد أمام جميع ألوان العذاب والاضطهاد لقادر على رد العدوان وإننا نحمل السلطة والمعتدين وزر ما وقع من اعتداءات حتى الآن" (البعث 54/7/13)

لم تجد دعوة الحزب الى السلام والمحبة وادخار قوى الشعب للمعركة مع اسرائيل أي صدى لدى الفئات الاقطاعية المجرمة التي خلقت اعتداءاتها الدموية في منطقة حماه جوا أشبه بجو الحرب الأهلية، وإن بعض العناوين التي نشرتها جريدتا البعث والرأي العام في النصف الأول من شهر آب تعطينا صورة واضحة عن مسلسل الاجرام الاقطاعي في منطقة حماه خلال هذه الفترة :

(قوات الأمن تلقي القبض على أحد اقطاعيي حماه بتهمة إلقاء قنبلة على مكتب حزب البعث العربي الاشتراكي) (الاقطاعيون يطلقون الرصاص على الفلاحين العزل في قرى الطار) (النائب العام يخلي سبيل المعتدي نورس البارودي ويبقي الفلاحين المعتدى عليهم قيد الاعتقال) (الرصاص يلعلع في حماه وسقوط جريح اشتراكي).

كان اقتحام زلم الاقطاعيين لمكتب الحزب في قرية مورك (شمال حماه) من أشد الحوادث التي أدت إلى الغليان الشديد، مما جعل الجو في منطقة حماه قابلا للانفجار في كل لحظة،

وفيما يلي تفصيل للحادث كما نشرته جريدة النصر (المستقلة) بتاريخ 7-8-54 :

"هاجم المدعو نجيب الفارس محاضرا من حزب البعث العربي الاشتراكي أمام جماعة من البعثيين ثم انهال ضربا عليه، وقد تدخل الحاضرون لتلطيف الجو واخرج المهاجم من مكتب الحزب، ولكنه ما لبث أن عاد مع جماعة من أنصاره فدخلوا المكتب وكسروا مصباح النور واشتبكوا في قتال دام مع الاشتراكيين، وقد اصيب مختار القرية (كان مع المهاجمين) بكسور في جمجمته فارق الحياة على اثرها وهو في طريقه إلى المستشفى فاعتقل رجال الدرك سبعين اشتراكيا بعثيا قيد التحقيق، كما هاجم خصوم الحزب مكتب الحزب في القرية ذاتها فحطموا أثاثه وأشعلوا النار في حانوتين مجاورين، وقد تولى التحقيق معاون النيابة العامة، هذا وقد لوحظ نشاط سيارات آل البرازي والعظم ومرهج بين مورك وسلطات القضاء وفي حماه وظلت انحاء المحافظة في غليان شديد تنذر باصطدام دام لا تحمد عقباه ما لم تهتم الحكومة ورجال الأمن بالحادث وبوضع المنطقة الناري"

كان الشباب من أبناء شيوخ قرية مورك ومنهم ابن المختار القتيل منتسبين إلى الحزب فتمكنا بواسطة هؤلاء الشباب الطيبين أن نسوي الخلافات العائلية التي اعقبت القتل.

وفي تاريخ 54/8/14 نشرت جريدة البعث بعناوين كبيرة: (آل العظم يرتكبون الجرائم ويجعلون من العيد في حماه عيدا للقنابل والرصاص) وقد سقط في أيام العيد هذه ثلاثة من الاطفال الأبرياء وعدد كبير من الجرحى، وفي التاريخ نفسه نشرت جريدة النصر ما يلي :

"حماه لمراسل النصر هاتفيا : القى مساء أمس مجهولون قنبلة حربية على شعبة حزب البعث العربي الاشتراكي في حي المحالبة فلم تنفجر ولو انفجرت لقتلت عشرات الاشخاص، وقد بدأ على الأثر إطلاق النار من طرفي الطريق من البنادق والمدافع الرشاشة لمنع الموجودين في شعبة الحزب من ملاحقة قاذفي القنبلة وقد حسبت المدينة لكثرة اطلاق الرصاص ساحة معركة رهيبة. وقد لاذ المعتدون بالفرار حينما قدم رجال الشرطة والامن للتحقيق بعد فوات الأوان... وقد حدث في الوقت نفسه أن خرج جماعة من حي سوق الشجرة من عدة بيوت وبآن واحد وأخذوا يطلقون الرصاص من

الاسلحة المختلفة إرهابا للناس وإشاعة للتوتر ثم لاذوا بالفرار بعد أن وصل رجال الشرطة وخفت قوى الجيش للسيطرة على الموقف"

(ثم تشير الصحيفة نقلا عن إذاعة لندن ان الجيش قد استلم الأمن وأنه قد اعلنت الاحكام العرفية في حماه) وتتابع الجريدة قولها :

(هذا وقد كان حزب البعث العربي الاشتراكي قد وزع بيانا على ابناء حماه ناداهم بروح الأخوة والانسانية أن يتجنبوا الاصابع الاستعمارية وأموالها في المعركة الانتخابية الراهنة وأن يبتعدوا عن العنف ما أمكن بانتظار بيان انتخابي شامل، فإن أيدوا على اساسه الحزب نصروا امتهم وبلادهم وإن خذلوه فلن يحمل الحزب لهم سوى المحبة وسيضاعف جهوده للنضال المستمر لخدمة الأمة"

عندما استلم الجيش زمام الأمن في منطقة حماه وسارت دورياته في الشوارع ورابطت مفارزه على مفارق الطرق، اضطر الاقطاعيون الى الهدوء نسبيا ولكن اجرامهم واعتداءاتهم زادت من التفاف الشعب حول الحزب ومن ايمانه بصحة سلوكه وعقيدته وفي تاريخ 54/8/16 نشرت جريدة الرأي العام ما يلي :

"اجتمع وزير الداخلية بالاستاذين أكرم الحوراني ورياض المالكي، وقد صرح بعد انتهاء الاجتماع بأنه سيبذل جهده لإعادة الهدوء الى حماه لأن الدماء التي تسفك والرصاص الذي يطلق يجب ادخاره للعدو". في ذلك الاجتماع رجانا وزير الداخلية أن نتحمل وأن نقابل الاعتداءات برحابة صدر، ثم دعا رئيس الوزراء إلى اجتماع يحضره ممثلون عن الاحزاب فحضرت أنا والاستاذ صلاح البيطار وممثلون آخرون عن الحزب، وكان القصد من الاجتماع اصدار بيان من قبل جميع الاحزاب يدعو للهدوء والتمسك بالنظام وشجب العدوان والإجرام، وقد اعترضت على طلب سعيد الغزي قائلا :

ليس من العدل أن نوقع هذا البيان الى جانب الاحزاب المعتدية علينا، ولكننا أخيرا، وبعد نقاش وعتاب طويل وقعنا بيانا مشتركا لم تكن له أي فائدة تذكر"

الرأسماليون يستفزون العمال .

استغل الراسماليون مطالب العمال العادلة التي انفجرت بعد كبت وحرمان فاستفزوا العمال بالتسريحات الانتقامية التعسفية الواسعة حتى تستمر الاضرابات والمظاهرات فتشمل جميع مرافق البلاد كوسيلة لاسقاط الحكومة، وكان النواب الاقطاعيون والراسماليون قد اتفقوا على تعطيل مشروع الحكومة الذي تقدمت به الى المجلس لحل مشاكل العمال وخصصت له جلسة 54/7/62.

بدأت هذه الجلسة بإثارة مشكلة عمال مرفأ اللاذقية حيث كان المدعو (ابو هاني)[1] يعتبر ربا للمرفأ وعنصرا سياسيا تستغله الاحزاب الرجعية وكان آنئذ مؤيدا لقائمة أسعد هارون (الحزب الوطني) ضد قائمة حزب الشعب، فلما أضرب العمال مطالبين بزيادة اجورهم وبتحديد ساعات عملهم لأنهم يعملون خمس عشرة ساعة أرسل رجاله فأطلقوا النار عليهم فسقط منهم عدد من الجرحى، وقد علقت على هذا الوضع الشاذ قائلا :

"إن وضع أبي هاني وضع عجيب لم تعالجه أي حكومة من الحكومات التي تعاقبت وها هي إضرابات عمال المرفأ ومشكلتهم معه قد بلغت حدا محزنا، كما أدى تعنت ارباب العمل في موقفهم من مطالب العمال العادلة الى جوع العمال بعد هذه الاضرابات المستمرة ... وتجاه هذا الوضع استغرب أن يكون جدول اعمال المجلس خاليا من اقتراحنا بتعديل قانون العمل الذي تقدمنا به منذ بضعة شهور على الرغم من ان المجلس والحكومة أقرا استعجال النظر فيه" "إن الوف الاسر العمالية في جميع انحاء سورية هي بحالة بؤس وجوع وقد قرر عمال سورية الاضراب يوم السبت القادم إذا لم تحل مشاكلهم، وبما أن مشروع الحكومة لا يتعارض مع مشروعنا باقتراح تعديل قانون العمل فيجب أن يدرس المجلس المشروعين في هذه الجلسة.

وقد شرح وزير الاقتصاد الاستاذ أسعد الكوراني المشكلة بين العمال وأرباب العمل بكثير من النزاهة والموضوعية، ثم أقرت اللجنة القضائية مشروع الحكومة ولكن لجنة الاقتصاد الوطني التي كان رئيسها عبد الرحمن العظم واعضاؤها من الرأسماليين

(1) صور الأديب حنا مينه شخصية (أبو هاني) في روايته نهاية رجل شجاع التي أخرجت في مسلسل تلفزيوني.

وأنصارهم "اختفوا" من الجلسة في لمح البصر، مما اضطر رئيس الحكومة سعيد الغزي أن يهدد بقوله :

إن الحكومة لن تستطيع تحمل نتائج هذا التأجيل مما حدا بالمجلس أن يصادق على المشروع مع بعض التعديلات عليه لمصلحة الرأسماليين الذين استمروا على تأزيم اضرابات العمال وتظاهراتهم كلما حاولت الحكومة تهدئة الأوضاع وحل المشاكل المستجدة للعمال. هذا في الوقت الذي حرض فيه حزب الشعب انصاره من كبار القضاة كالسيد عبد الرؤوف سلطان وعبد القادر الأسود على إضراب القضاة احتجاجا على ضآلة رواتبهم، وقد تمكنت الحكومة بعد لأي من التغلب على هذه المشكلة بزيادة رواتب القضاة زيادة معقولة وكادت هذه القضية تحدث أزمة وزارية لأن نهاد القاسم وزير العدلية كان مصرا على عدم تلبية مطالب القضاة وتمييزهم برواتبهم عن سائر موظفي الدولة ...

زعماء العشائر .

كان من جملة التعديلات التي ادخلت على قانون انتخابات عام 1949 أن اصبحت مقاعد نواب العشائر ستة بدلا من تسعة مقاعد على أن يسرى مفعول هذا التعديل مرة واحدة في الانتخابات القادمة التي ستلغى بعدها المقاعد الاستثنائية للعشائر ويصبحون خاضعين لأحكام القانون العام للانتخابات ويلغى التمثيل العشائري في البلاد.

كان هذا التعديل نتيجة جهود كبيرة شاقة بذلناها اثناء تعديل قانون الانتخابات وتوصلنا إلى حل جذري لهذه المشكلة... فتنادى زعماء العشائر بتحريض من الرجعية داخل سورية وخارجها على مختلف ارتباطاتهم العربية إلى عقد مؤتمر عشائري عام في دمشق بتاريخ 1954/7/12 بحجة أن هذا التعديل لقانون الانتخابات جاء مجحفا بحقوقهم وان بعض اعضاء المجلس النيابي ويقصدون نواب حزب البعث العربي الاشتراكي وبعض النواب التقدمين، قد استغلوا الخلافات التقليدية بينهم لإلغاء المركز الاستثنائي الخاص لأمراء العشائر وشيوخها، وبنتيجة هذا المؤتمر انتخبوا من بينهم لجنة مؤلفة من الشيخ نايف الشعلان والشيخ نوري ابن مهيد

والشيخ ميزر عبد المحسن والشيخ تامر الملحم والشيخ هايل سرور لمراجعة السلطات لإجراء تعديل المادة المنظمة لحقوقهم الانتخابية، وقد هددوا بمقاطعة الانتخابات إذا لم تعدلهم حقوقهم المغتصبة المسلوبة - على حد قولهم - ويظهر من أسماء شيوخ العشائر في هذه اللجنة أن السعودية كانت لها اليد الطولى في تحريضهم.

حزب الشعب يعلن مقاطعته للانتخابات .

اعلن حزب الشعب بشكل مفاجئ ومشبوه مقاطعته للانتخابات مع أن تشكيل الحكومة الحيادية كان بموافقته ورضاه، ولم يعلل حزب الشعب أسباب المقاطعة ودون اصدار قرار حزبي، وانما أعلن هذه المقاطعة بواسطة مخبري الصحف بالصيغة التالية :

"إن المكتب التنفيذي لحزب الشعب والهيئة النيابية ومكتب فرع دمشق قد قرروا الامتناع نهائيا عن الاشتراك في الانتخابات القادمة وقد فوض المكتب التنفيذي إعلان هذا القرار في بيان ترك له حق اختيار الوقت الملائم لاذاعته".

وقد اصدر المكتب التنفيذي باسم حزب الشعب بيانه الموعود الطويل وتحدث فيه عن تاريخ حزب الشعب وأعماله المجيدة، وبرر في نهايته بأسطر معدودة مقاطعة الانتخابات بزعمه "عدم التزام بعض الضباط ذوي الميول الحزبية بعدم تدخل الجيش بالسياسة" دون أن يرد في هذا البيان أي واقعة تؤيد هذا البيان الخطير، وقد اصدرت الحكومة اثر هذا البيان مباشرة بلاغا تعلن فيه تأجيل موعد الانتخابات المقررة بتاريخ 54/8/20 خمسة وثلاثين يوما الى 54/9/24 بحجة أن طائفة من الاجراءات التي تتوقف عليها سلامة الانتخابات من الناحية القانونية لم تتمكن من انجازها في مواعيدها المقررة. لم يقتنع أحد بصحة هذا التبرير لتأجيل الانتخابات، وقد عرف الناس بأن رئيس الجمهورية كان متواطئا مع حزب الشعب وقد هدد الحكومة بالاستقالة إن لم تصدر هذا المرسوم بتأجيل الانتخابات.. وقد صرح صبري العسلي

بأن حزب الشعب كان قد فاوض الحزب الوطني ليشترك معه في مقاطعة الانتخابات ولكنه رفض أن يختبئ حزب الشعب وراءه، وكانت غاية حزب الشعب من هذه اللعبة :

1- اسقاط حكومة الغزي .

2- تهديد الجيش لايقاف التحقيقات التي استمرت واتسعت في مؤامرة العقيد محمد صفا.

لم ير حزب الشعب وسيلة اعلامية ناجحة لتغطية موقفه في مؤامرة الضابط صفا سوى اتهام الجيش بالحزبية والتدخل في السياسة.

كان الحزب الوطني مسرورا من مقاطعة حزب الشعب للانتخابات حيث أصبح الميدان الانتخابي ميدانه الذي لا ينازع فيه، ولا سيما بعد أن اعتمده الحكم الرجعي في العراق عوضا عن حزب الشعب الذي فشل بمساعيه، ووعده بالمساعدات المالية لنيل الاكثرية البرلمانية كما ظهر ذلك من وثائق حلف بغداد، ولكن سرور الحزب الوطني لم يطل لأن رئيس الجمهورية كان على اتفاق مع حزب الشعب بألا تجري الانتخابات دون اشتراكه فيها وهذا ما حدث بالفعل، وقد سألتني بعض الصحف عن تفسيري لقرار المقاطعة الذي اصدره حزب الشعب فأجبتهم :

"دعونا نسأل الآن حزب الشعب : من يتدخل؟ ولمصلحة من تجري هذه المداخلات؟ وانني اتساءل بدوري عما إذا كان ما جرى أمس الأول في بغداد من حل المجلس النيابي الجديد في العراق بعد مجيء نوري السعيد الى الحكم له علاقة بما جرى وما يجري الآن في سورية".

كانت عودة القوتلي الى سورية من مصر مترافقة مع حملة اعلامية عن قرب عودة حزب الشعب عن مقاطعته للانتخابات النيابية ، ومما لفت نظر المواطنين زيارة السفيرين البريطاني والاميركي للقوتلي ورده الزيارة لهما وخلوته الطويلة بهما وبرقية فيصل آل السعود إليه بمناسبة العيد عبر فيها عن "تمنياته بتحقيق الآمال في العيد القادم" لقد اجمعت التوجيهات

البريطانية والاميركية والدول العربية رغم تناقضاتها على لم شعث الرجعيين في سورية على اختلاف ارتباطاتهم للالتفاف حول القوتلي وقد استحصل المكتب الثاني في الجيش السوري على بعض الوثائق التي تؤيد أن بريطانيا والولايات المتحدة كانتا وراء عودة القوتلي ودعمه وتأييده وتكتيل القوى الرجعية تحت لوائه للوقوف في وجه المد الثوري لحزب البعث العربي الاشتراكي.

وقد أحسست قبل مجيء القوتلي بالنوايا المبيتة ضد الحزب ولم أر سبيلا إلا شق صفوف الطبقة الرجعية لنضمن على الأقل نجاح الاستاذ صلاح البيطار في مدينة دمشق التي كان لها وزنها الضخم ورصيدها الكبير في توجيه دفة السياسة السورية، وهكذا كنت في دمشق طيلة تلك الفترة أدير دفة المعركة وقليلا ما زرت حماه حيث كان قادة الحزب يديرون في معظم الأحيان تلك المعركة التي أرادت الاقطاعية أن تجعلها معركة رصاص ودماء وقتلى وأن تحولها إلى ما يشبه الحرب الأهلية.

بيع وشراء .

في تلك الفترة أخبرني السيد جميل الشماط نائب الزبداني أن بهيج الخطيب يود مقابلتني ليبحث معي بعض الامور المتعلقة بانتخابات دمشق نظرا لعلاقاته الوثيقة ببعض العلماء ورجال الدين وصداقاته مع زعماء حي الاكراد والميدان وقد دهشت لهذا الطلب لأنه لم تكن لي بالسيد الخطيب سابق معرفة، وقد ذكرت سابقا تفاصيل محاولة اغتياله بسبب عمالته للفرنسيين وقبوله ترؤس مجلس المديرين قبيل الحرب العالمية الثانية بعد أن قضى الفرنسيون على الحياة النيابية في سورية، ومع ذلك فقد رأيت أنه من المفيد أن اجتمع به لمعرفة خفايا الأمور التي تحيط بالبلاد فاجتمعنا في بيت جميل الشماط القريب من مجلس النواب.

بدأ بهيج الخطيب باستعراض صلاته الوثيقة ببعض رجال الدين وزعماء حي الأكراد والميدان وأظهر استعداده لمساعدتنا في انتخابات دمشق، وقال عنا بأننا الفئة الوحيدة الصامدة في

وجه بريطانيا ومشاريعها في المنطقة ثم استطرد قائلا : إن السعودية مستعدة لدعمكم في المعركة الانتخابية بما لها من نفوذ في سورية وهي لا تهدف إلا إلى المحافظة على استقلال سورية ونظامها الجمهوري تجاه المؤامرات الهاشمية البريطانية.

كانت حملة رجال الدين على حزب البعث العربي الاشتراكي في بدايتها فرأيت أنه من المفيد استغلال التناقضات العربية لأخفف الحملة على مرشحي الحزب من السعودية واجهزتها في العاصمة السورية، ودون أن افاتح أحدا من قادة الحزب بهذا الموضوع نظرا لخطورته وافقت أن أقابل مسؤولا من قبل الملك السعودي في لبنان قال بهيج الخطيب أنه مستعد للبحث معي في هذا الموضوع.

ذهبت بصحبة جميل الشماط إلى عاليه حيث كان المسؤول السعودي يقطن دارة جميلة اظنها "فيلا اسمهان" وهنالك تعرفت على الرجل السعودي الذي أظن انه السيد الكحيمي، ولا أذكر أن كان سفيرا للملكة آنذاك في لبنان أم سواه.

كان الرجل جالسا كالصنم لا ينطق إلا بكلمات الترحيب ، فبادرت بالتحدث عن المشاريع البريطانية في سورية وان هنالك مصلحة مشتركة تجمعنا وهي مقاومتها وإحباطها ثم استطردت قائلا :

ان المملكة تعلن دائما انه لا مصلحة لها في سورية إلا المحافظة على استقلالها ونظامها الجمهوري، وقد اخبرني السيد بهيج الخطيب ان لكم قوى شعبية في بعض أحياء دمشق، ونحن لا نطالب منها إلا ان تكف عن مناهضتنا في المعركة الانتخابية.

كان هذا الحديث بحضور جميل الشماط فأبدى المسؤول رغبته بأن يحدثني على انفراد في غرفة ثانية وعندما انتقلنا أخرج - وبدون اي مقدمات - ظرفا كبيرا قلت له :

ما هذا ؟ قال :

- إنه لمساعدتكم في المعركة الانتخابية، قلت له :

- ما قصدت أن نتناول منكم معونة مالية وانما قصدت ألا يكون موقف جماعتكم معاديا للحزب في المعركة الانتخابية القادمة، فلم يجب، ثم تركنا الغرفة الى الصالون، وهنالك أديرت القهوة فودعته دون كلام وخرجت كمن يستفيق من كابوس، وحدثت الشماط بما جرى. ولقد اشتدت حملات رجال الدين على الحزب - بعد هذه المقابلة - ولعل رفضي لقبول المساعدة المالية كان عاملا في اشتدادها. تأكد لي بعد هذه الحادثة ان التكتكة لا تفيد في هذه المواضيع الجذرية، فعمدت إلى اسلوب آخر هو استغلال التناقضات الداخلية، وقد وقع اختياري على خالد العظم الذي أعرف جيدا بأنه الشخص الذي يمكن أن يصبح رأس الحربة في تمزيق القوى الرجعية وإثارة تناقضاتها وذلك لسببين :

1- إنه رجل ليبرالي مثقف يطمح إلى السلطة ورئاسة الجمهورية ولا يرى مانعا أن يكون وصوله للرئاسة عن طريق القوى التقدمية.

2- إنه غير مهدد ولا يخشى بأسه، وعيبه كرجل دولة استبداد أهوائه فيه. ومزاجه الشخصي ونزعاته الخاصة التي هي من آثار منشئه الطبقي وتربيته العائلية.

التحالف مع خالد العظم.

زارني الدكتور سامي كبارة الخصم العنيد للقوتلي والذي كان يحظى بدعم شعبي قوي في أحياء دمشق وعرض علي إقامة جبهة انتخابية مع خالد العظم في دمشق فوجدتها الفرصة السانحة لإحداث الانشقاق في صفوف القوى الرجعية، وكان خالد العظم قد أقام -بمساعدة سامي كبارة - تعاونا مع أسعد هارون في اللاذقية وسامي طيارة ومكرم الأتاسي في حمص وعبد الباقي نظام الدين في القامشلي، فعقدنا اجتمعات عديدة في بيت خالد العظم حضرها الاستاذ صلاح البيطار واشترك فيها الزعيم شوكت شقير الذي كان يشجعنا على إقامة مثل هذه الجبهة، وكان شوكت شقير يتظاهر في هذه الاجتماعات بعدم

ارتباطه بشكري القوتلي ويقول أن الجيش لن يسمح له بالعودة إلى دمشق قبل الانتخابات ولشد ما كانت دهشتنا كبيرة عندما كان في استقباله في مطار المزه عند عودته الى دمشق، كما ذهب في اليوم التالي مع نائب رئيس الاركان العامة توفيق نظام الدين وبعض الضباط الآخرين لزيارة القوتلي في منزله والترحيب به.

استمرت الاجتماعات بيننا وبين سامي كبارة وخالد العظم بعد مجيء القوتلي وزادت علاقاتنا وثوقا، ولما عاتب خالد العظم شوكت شقير على زيارة القوتلي، قال:

إن في الجيش اتجاهين : اتجاه ضد عودته وآخر يرى أن للقوتلي الحق بالعودة، وأنه تفاديا من انقسام الجيش فقد ارتأى زيارته والترحيب به كمواطن عادي على ألا يسمح له بالنشاط السياسي... وعلى الرغم من معرفتي بأن الاكثرية العظمى في الجيش كانت ضد عودته وكانت تحمله مسؤولية جميع ما حل بالبلاد من كوارث ونكبات فإنني لم أكن مقدرا أن شوكت شقير كان يلعب لعبة مزدوجة، وذهب بي الظن الى أن الجيش أراد من سماحه للقوتلي بالعودة أن يبرهن على حياده وعدم تدخله بالسياسة، وحاولت تشجيعا لخالد العظم - أن اقنعه بحسن نية شوكت شقير، وفي الوقت نفسه كنت قانعا بأن رئيس الأركان - على فرض سوء نيته - عاجز عن تبديل اتجاه الجيش وقناعاته بشكري القوتلي.

أخفقت عودة شكري القوتلي في التوصل إلى أهدافها المرسومة، لأن الوعي الشعبي كان قد تخطى وتجاوز زعامته، وكان كل ما أمكنه اعلانه الاعتماد على الشباب المثقف، وهي المقولة ذاتها التي نادى بها فاضل الجمالي وأضرابه في العراق، وهي مقولة لا لون لها ولا طعم وليس لها محتوى أمام ما تعانيه البلاد من مشاكل، وكانت المقولة الثانية التي نادى بها القوتلي هي وحدة الصف دون تحديد للأسس والأهداف وقد فهم الناس من وحدة الصف هذه أنها دعوة للانضواء تحت لواء زعامته، وكانوا يبتسمون لهذه الأقوال التي لم تخرج عن العموميات ولم تطرح أي

حل للمشاكل التي تعاني منها البلاد فقد كان الهدف الذي جاء من أجله خارجا على كل هذه الأمور والقضايا، وفي تاريخ 54/8/19 أدليت بتصريح اعتبره الناس كالقذيفة انهارت أمامها دعوة القوتلي الفارغة :

"إن هذه الدعوة لتوحيد الصفوف تتكرر حتى الآن مجردة خالية من كل فكرة أو ميثاق أو هدف، ولا نعلم حتى الآن قيام جبهة وطنية في أي بلد من بلدان العالم إلا على أساس مبادئ صريحة وأهداف واضحة محددة، إذ لا يعقل أن تتوحد الصفوف الوطنية حول شخص مهما كانت منزلته، وانما تتوحد الصفوف حول مصالح البلاد العليا التي هي فوق الاشخاص والأحزاب، ومصلحة البلاد تقتضي ولا سيما في هذا الظرف بالذات تحديد المواقف داخليا وعربيا وخارجيا حتى يتألف الشعب حول تلك الأسس والشعارات التي ترتبط بحياته ومصيره، إذ لا يمكن أن يجتمع اصحاب الاتجاهات المختلفة إلا حول افكار ومبادئ يؤمنون بها جميعا كمكافحة الاستعمار ومقاومة الأحلاف العسكرية والصلح مع اسرائيل وتحقيق العدالة الاجتماعية."

أدليت بهذا التصريح بعد انتهاء اجتماعات فروع الحزب التي بدأت بعد ظهر الأربعاء وانتهت يوم الجمعة 54/8/19 وقد تقرر فيها :

1- معارضة الحزب لكل تأجيل جديد للانتخابات والاصرار على اجرائها في موعدها المحدد.
2- مقاومة الحزب لكل تدخل هدفه تزوير الانتخابات أو التأثير على حيادها ونزاهتها.
3- ان الحزب يرى أن وحدة الصف في مرحلتنا الحاضرة لا يمكن أن تتحقق على أسس من المفاهيم البالية أو الأماني العامة بل هي ممكنة وواجبة لضمان حرية الانتخابات وبناء أساس متين لحكم ديمقراطي شعبي سليم، وهو يدعو جميع الفئات السياسية إلى توحيد الصفوف لتحقيق هذا الهدف.

□

حـاول القـوتلي أن يكـرر عـام 1954 مـا فعلـه عـام 1943، فباسم الدعوة الى وحدة الصف دون برنامج ولا أهداف أراد أن يضم لنفسه بواسـطة تزعمـه للطبقـة الرجعيـة الأكثريـة السـاحقة فـي المجلـس النيـابي، ولكنـه ادعـى هـذه المـرة أن أمـر تحديـد هـذه الاهداف يجب أن يكون تحت قبة البرلمان.. وهكذا بدأ يحاول فـرض قوائم موحدة من الطبقة الرجعية فـي جميـع أنحـاء سـورية ليـؤمن الأكثريـة المجلسـية لانتخابـات رئاسـة الجمهوريـة المقبلـة بتـاريخ 1955/9/15، فأقام الاحتفالات وعقد الاجتماعات العديدة في منزله لهذا الغرض وقد التفت حوله جميع الاحـزاب والفئـات الرجعيـة مـن اقطاعية ورأسـمالية ودينيـة واقليميـة، ولكنـه لـم يـتمكن أن يؤلـف منها قوائم موحدة نظرا لقناعة زعمـاء الرجعيـة والاقطـاع والاحـزاب ان مثل هذه القوائم ستكون كارثة عليهم فـي الانتخابـات القادمـة لأن الوعي الشعبي قـد خطـا خطـوات واسـعة مـا بـين عـام 1943 وعـام 1954، وكـان القـوتلي قاصـرا عـن إدراك هـذا التطـور الـذي انقلبت فيه المفاهيم والآراء والافكار خلال هذه الحقبة الطويلة من الـزمن، ولا أدل علـى ذلـك مـن أن القـوتلي أقـام احتفـالا بتـاريخ 54/8/28 وكان من خطبائه منير العجلاني وأديب نصور الذي حـاول أن يفلسـف دعوة القوتلي، فعلقت جريدة الحضارة المستقلة على خطاب نصور الذي نعتته بفيلسوف الرجعية:

"الذين يرون في تعليم ابناء الفلاحين خطـرا علـى المجتمـع لأن كل كتاب يحملونـه سـيتحول بنظـرهم الـى قنبلـة، هـؤلاء غيـر مخلصـين لـبلادهم، والـذين يطيـرون مـن لنـدن قبيـل الانتخابـات النيابية بأسبوعين فقط ثم ينجحون في الانتخابات دون أن يعـرفهم الناخبون، هؤلاء ايضا أين مكانهم في ميزان القيم؟" وكانـت جريـدة الحضارة تشير إلى محاضرة أديـب نضـور التـي القاهـا سـابقا فـي النادي العربي والى فوزه بالنيابة عام 1947.

□

مؤسسات قومية وتيار شعبي دافق، لجنة توحيد الصف.

ألف القوتلي بعد كثير من الاحتفالات والاجتماعات لجنة من صبري العسلي ممثلا للحزب الوطني، علي بوظو ممثلا لحزب الشعب، سيف الدين المأمون ممثلا للحزب التعاوني الاشتراكي، عصام المحايري عن القومي الاجتماعي، شفيق سليمان عن عصبة العمل القومي، صبحي الخطيب عن اتحاد نقابات العمال، حسن الحكيم عن المستقلين، حسن حبنكة عن رابطة العلماء، كما اختير منير العجلاني أمينا للسر، وقد اصدرت اللجنة بيانا جاء فيه :

"تلبية لدعو فخامة السيد شكري القوتلي اجتمع في الساعة الخامسة من يوم الجمعة 54/9/3 السادة ممثلو الأحزاب: الوطني والشعب والتعاوني الاشتراكي والقومي الاجتماعي وعصبة العمل القومي ورؤساء نقابات المحامين والاطباء والمهندسين، وطب الاسنان وغرف التجارة والصناعة والزراعة واتحاد نقابات العمال والمستقلون واصحاب الدولة والمعالي: حسن الحكيم، حسني البرازي، محمد العايش، منير العجلاني، الامير حسن الاطرش، عبد الرحمن العظم، نوري الايبش، عبد الباقي نظام الدين، محمد المبارك، صبحي العمري، أديب نصور، انطون شلهوب، فؤاد القضماني، عبد القادر الميداني، مظهر القوتلي، احسان الشريف، عادل العجلاني غالب ميرزو، فضل الله جربوع، نصوح بابيل، وممثل العلماء الشيخ حسن حبنكة والشيخ أحمد الدقر" "إن الحاضرين قدموا الشكر في نهاية الاجتماع الى فخامة الرئيس شكري القوتلي على كريم دعوته لأنه أتاح للمجتمعين بسورية فرصة التفاهم والتداول لوضع الاسس السليمة للتعاون العام في الانتخابات وفي وحدة الصف" **وكانت الاجتماعات تمثل الانفصال الرهيب بين المؤسسات الفوقية في مجتمع اقطاعي رأسمالي وبين تيار الشعب الدافق، وكان من نتيجتها أن اخفق أساطين الرجعية والاقطاع بسورية في الوصول إلى أي اتفاق** مما اضطر القوتلي الى اصدار بيان مقتضب بعد فشله جاء في نهايته : "لم يبق لي بعد هذا إلا أن أتوجه إلى كل ناخب أن يستلهم ضميره

ويهتـدي بهـدى وطنيتـه واخلاصـه ويـؤدي واجبـه المقـدس طائعـا مختارا" "وأسأل الله جلت قدرته أن يهـدينا جميعـا سـواء السـبيل" وهكذا انتهت محاولة القوتلي بالدعاء وبمغادرة البلاد الـى لبنـان... مـع ذلـك فـإن مجيـئ القـوتلي قـد تـرك بعـض الآثـار علـى توجيـه المعركة الانتخابية:

1- حاول القوتلي أن يضرب خالد العظـم ضـربة قاصـمة لأنـه خـرج عن طاعتـه فشـق الطبقـة وأصـبح منافسـا لـه، وهكـذا جـرت محاولـة لالقـاء المتفجـرات علـى بيـت خالـد العظـم ولكنهـا انفجرت بالشخص الـذي يحملهـا فـاعترف قبـل وفاتـه بـأن أبـا عبدو العشـي (من جماعة القوتلي الخلص) قد أرسله للقيام بهذه المحاولة.

2- اصـدر شـوكت شـقير -بالاتفـاق مـع القـوتلي - بيانـا باسـم الجيش جاء فيه : "يحرص رئيس الاركان العامة كل الحـرص أن يحافظ الجـيش أثنـاء الفتـرة الانتخابيـة علـى الحيـاد التـام فـلا يمالئ حزبا على حـزب ولا جماعـة علـى جماعـة ولا مرشـحا ضـد مرشـح، وقـد قطـع رئـيس الاركـان علـى نفسـه وباسـم الجيش عهدا بذلك" وكان المقصود من اصدار هذا البيان تثبيت التهمة التي كان الرجعيـون يطلقونهـا كـذبا ولا يقصـد منهـا إلا الاساءة لحزب البعث العربي الاشـتراكي...

3- تسوية قضية العقيد محمد صفا، فقد أعلن مسـؤول عسـكري بتاريخ 54/9/17 "أن قرار الاتهام أصبح جـاهزا ولكنـه "لا ينتظـر اعلان موعد المحاكمة قبل انتهاء الانتخابات "

4- هيـأ القـوتلي لحـزب الشـعب أن يتراجـع عـن قـراره بمقاطعـة الانتخابات، وإن كان قد اخفق بإقامة التآلف بين الحـزبين نظـرا لتنافسهما على العلاقة مع الحكم الرجعـي فـي العـراق فقـد كتبـت جريـدة النـذير الحلبيـة (الناطقـة رسـميا باسـم حـزب الشعب) كلمة جـاء فيهـا : "وهنـاك كلمـة لا بـد مـن توجيههـا بهـذه المناسبة الى ملوك العرب جميعا والى حكومـاتهم بـدون اسـتثناء وهـي ان رغباتهم وأهدافهم إذا كانت تستند إلـى عقائـد وطنيـة أو قوميـة فإننـا

نؤكد لهم ان هذه العقائد لا تحتاج الى من ينفق عليها أو من يعين السماسرة من أجلها، بل على العكس فإن هذه الوسائل تدنسها وتفقدها من قيمتها".

وقد مر في وثائق حلف بغداد كيف أن الحزب الوطني كان ينصح على الجمالي أن يعتمد عليه فقط في المعركة الانتخابية والا يبعثر الأموال بعد اخفاق حزب الشعب في تحقيق مشروع الاتحاد.

لم تستطع المحاولات السابقة أن تغير كثيرا من نتائج المعركة الانتخابية بسبب تمسك حكومة الغزي بحيادها ولا أدل على ذلك من "أن السفير الاميركي استوضح من حكومة الغزي عما إذا كانت هنالك تدابير خاصة يمكن اتخاذها ضد مرشحي الحزب الشيوعي فكان جواب حكومة الغزي ان قانون الانتخابات قد كفل تكافؤ الفرص أمام جميع المواطنين" (الرأي العام 54/9/7).

معركة الانتخابات في حماه وتأليف القوائم .

أتاح لي تأجيل الانتخابات أن انصرف جديا الى معالجة المعركة الانتخابية على مستوى سورية وحماه في آن واحد، ولكنني اضطررت الى الانصراف كليا لإدارة المعركة الانتخابية في حماه بعد تاريخ 54/8/25 الذي صدر فيه المرسوم القاضي بتحديد المقاعد النيابية بـ (142) مقعدا وبتحديد مدة الترشيح للنيابة ابتداء من أول ايلول وانتهاء في الخامس منه.

كنت قد ذكرت سابقا أنه قد ترك لي أمر اختيار المرشحين في منطقة حماه ومصياف والسلمية وخان شيخون والمعرة حيث يتمركز الاقطاع والعشائرية. كان الاختيار سهلا في هذه المناطق لأن القاعدة الشعبية كانت مسيطرة سيطرة تامة مما يضمن نجاح أي مرشح يؤيده الحزب ولذلك لم أجد صعوبة في تأليف القوائم التي تم اعلانها بتاريخ 54/9/5 بعد اجتماع عقدناه في منزل الدكتور جمال الأتاسي الذي كان يعمل في مستشفى الدكتور فيصل الركبي وقررنا أن تتألف القائمة من الاسماء التي ذكرتها سابقا ومما هو جدير بالذكر أننا اجبرنا الدكتور فيصل على ترشيح

نفسه في القائمة وكان يعتذر بأنه لا يستطيع أن يمارس نشاطه النيابي والطبي في آن واحد... كما رشحنا باسم الحزب عبد الهادي عباس عن مصياف وسمحنا له أن يتعاون مع جهاد الهواش ابن عزيز الهواش أحد زعماء المنطقة ضد القائمة الاقطاعية العشائرية لأن عائلة الهواش عرفت بنضالها ضد العلويين الاستعمار الفرنسي وتمسكها بوحدة سورية عندما فرقها الفرنسيون أثر الاحتلال، وعن سلمية رشحنا الدكتور سامي الجندي ضد قائمة "الأمار" وفي المعرة وخان شيخون رشحنا منيب اليوسفي وعبدالله النجم ضد قائمة عائلة الحراكي.

قائمة الاقطاع في حماه .

كان عدد المرشحين في حماه كبيرا نسبيا حيث رشحت كل عائلة شخصا منها وهم عبدالرحمن العظم، حسني البرازي، حلمي البارودي، خضر الشيشكلي، رئيف اللمقي، عبد الحسيب عدي، فريد مرهج، أديب نصور، فخري الكيلاني، ومرشحون آخرون من عائلة البرازي والكيلاني وكان ذلك يضعف موقف الاقطاعية والرجعية في حماه ويجعل من الصعب على عبد الرحمن العظم أن يشكل منهم قائمة موحدة.

كان رئيف الملقي أسرع المرشحين للشعور بحراجة الموقف وكان يشكل مع عبد الحسيب عدي وفريد مرهج فريقا واحدا وسرعان ما اصطنع الخلاف مع عبد الرحمن العظم، وادعى أنه لا يقبل أن يجتمع بقائمة واحدة مع حسني البرازي عميل الاستعمار، وطلب من عبد الرحمن أن يخرج حسني البرازي من قائمته وهو يعرف أنه لا يمكن أن يقبل ذلك، كما اشترط فريد مرهج أن ينسحب أديب نصور من المعركة لمصلحته، وكلما اقترب موعد الاقتراع كان ايمان اولئك المرشحين يزداد بالفشل المحتوم، ولم ير رئيف الملقي وسيلة لانقاذ نفسه إلا أن يتبع على عادته اسلوبا عاطفيا يستدر به الاشفاق، فأخذ يذكر الناس بماضيه في الحركة الوطنية الشعبية في حماه، هذا الماضي الذي أساء إليه في انتخابات عام 1947 عندما تآمر مع الاقطاعيين وحاول أن يطعن الحركة الشعبية في الصميم، وهكذا أخرج رئيف الملقي

مسرحيته: أوعز الى بعض جماعته أن يوافوه صبيحة يوم 54/9/10 الى مكتبه ويطلبوا منه في شبه تظاهرة تحديد موقفه من الاقطاعية ومن المشاريع الاستعمارية الغربية، فخرج من مكتبه وخطب فيهم يعاهدهم على مقاومة الاقطاع والاستعمار، وأنه سيبرهن في سلوكه السياسي وموقفه الانتخابي على أنه مخلص فيما يقول، فأجابه المتظاهرون بأنهم يريدون منه أن يعلن ذلك على الناس، فخرج على رأسهم في مظاهرة الى السوق الرئيسي في المدينة وهم يهتفون بسقوط الاقطاعية والمشاريع الاستعمارية، فظن الناس في السوق ان التفاهم قد تم بين الصديقين القديمين الحوراني والملقي فاشتركوا معهم وهكذا تعاظمت المظاهرة، وعندما وصلت الى حي المرابط خطب الملقي بالمتظاهرين وحدد موقفه فقال : إن الاقطاع هو عدونا الداخلي الأول والمشاريع الغربية الاستعمارية هي عدونا الخارجي الأول، ثم ذكر للناس ان خلافه مع عبد الرحمن العظم هو إصرار العظم على ضم حسني البرازي إلى قائمته لأن البرازي يعلن في جريدته (الناس) وتحت توقيعه انه من دعاة مشاريع الغرب ومن دعاة المشاريع الاتحادية الزائفة التي لا تخدم المصلحة العربية.

لم يفهم الناس من مسرحية رئيف الملقي إلا أنه بعد إفلاسه الشعبي ترامى في أحضان الحزب يطلب العون والمساعدة، وبالفعل فقد أعلن بتاريخ 54/9/12 انه سيدخل الانتخابات مستقلا مع عبد الحسيب عدي وفريد مرهج وأذاع الثلاثة بيانا اعلنوا فيه رفض المشاريع الاستعمارية ولكنهم لم يتعرضوا لخطر الاقطاعية، أما عبد الرحمن العظم فقد ألف مع حسني البرازي وخضر الشيشكلي تحالفا انتخابيا آخر، وأعلن الحزب الوطني أن مرشحه الوحيد هو حلمي البارودي، وهكذا تمزق الرجعيون والاقطاعيون وأصبح كل منهم يطلب النجاة لنفسه في هذا الطوفان الشعبي.

كان مكتب الحزب يغص بألوف الناس طوال الليل والنهار ولا يكاد يفرغ إلا خلال زيارتنا لأحياء المدينة أو قرى المنطقة، وانني

لن أنسى ما كنا نلقاه في صفوف الفلاحين من حماسة واندفاع... ما أزال أذكر ليلة عدنا من اجتماع جماهيري في قرية الصقيلبية، كنا نريد أن نعود الى حماه حيث ينتظرنا اجتماع آخر في أحد أحيائها، ولكن اين السبيل الى ذلك؟ **كان أهالي القرى متجمهرين على امتداد الطريق إلى حماه التي تبلغ خمسة وثلاثين كيلومترا، جاءوا جميعا.. شبابا تتعالى أهازيجهم حماسة وحبا وإيمانا، وشيوخا ينير محياهم أمل وليد جديد رغم عمرهم الطويل اليائس وفي عيون الأطفال كنت أرى شعبا يصارع الزمن**... لقد جاءوا من قراهم البعيدة واحتشدوا على طول الطريق وأبوا إلا أن نزورهم رغم اننا قد عينا مواعيد زيارتهم، ومضى الليل ونحن نضرب بين قرى المنطقة الغربية الشمالية من حماه، وعندما عدنا الى المدينة صباحا، كانت ثيابنا ممزقة، واعياؤنا شديدا، ولكننا اضطررنا إلى الاستمرار في تنفيذ برامجنا دن توقف. كان ما شاهدناه في الريف من حماسة واندفاع واجماع قد جعلني أوقن أنه لا قوى يمكن أن تقف في وجه هذا الطوفان الشعبي الجارف، ولم يقترب موعد الاقتراع العام حتى كنا قد انجزنا زيارتنا لمعظم أحياء المدينة وجميع قرى المحافظة.

كان الفلاحون تلقائيا ينظمون نشاطهم وكان كثير منهم يساهم في المجهود الانتخابي بالاتصال والتبشير ، ولا يقصر نشاطه على محافظة حماه وانما يتعداها الى حمص وحلب واللاذقية، وكنت اعجب أشد العجب عندما كان بعضهم يأتي إلي ليطرح أمامي بعض الملاحظات عن الوضع الانتخابي في تلك المناطق التي زارها متطوعا وتكبد نفقات السفر والتجوال فيها على حسابه الخاص.

أموال البترول في المعركة .

أخبرني المئات من أبناء القرى والمدينة بما عرضه عليهم الاقطاعيون من أموال كانوا بأمس الحاجة إليها، وكانوا يرفضون هذا الاغراء لأنه يخل بالشرف والدين والوطنية، ولم يكن اخبارهم لي من قبيل المباهاة بل للتنبيه الى اسماء الوسطاء والسماسرة

لنتمكن من مكافحة ذلك الوباء إذا أمكن، ولم تكن حماه وحدها تتحدث عن الأموال التي كانت تنفق بل ان صحافةسورية كانت تتحدث وكانت تحدد في بعض الاحيان مصادرها وارقام الحوالات.. وتحضرني حادثة طريفة جرت مع أحد الفلاحين في قرية من قرى حماه عندما جاءني قائلا :

ان "البكوات" أجبروني ان اقسم بالطلاق ثلاثا على انتخاب مرشحيهم ولم أكن أطمع بما عرضوا علي من مال، ولكني خشيت لما سيحل بي من عقاب إذا رفضت، والآن ماذا تريد مني أن افعل وأنا والله مؤمن بدعوتكم حتى الاستشهاد؟

قلت له : إن اليمين التي اقسمتها غير جائزة لأنها يمين إكراه.. فأجابني: سأنتخب قائمتكم واضيف إليها اسم رئيف الملقي في المكان الذي تركتموه فارغا فتصبح القائمة كاملة، ثم اكتب اسماء مرشحي الاقطاع فتعتبر لاغية لزيادتها عن العدد المطلوب، فتركته يفعل ما يريد ..

كان كثير من الفلاحين يلجأ إلى أمثال هذه الحيل، **ولا شك ان الغرفة السرية كانت مخرجا للمستضعفين** وكان من نتيجتها نجاحنا الكاسح وسقوط الاقطاعيين المريع لأن الفلاحين كانوا يخبئون قائمتنا تحت عمائمهم وكوفياتهم وعندما يصلون الى مركز الاقتراع في سيارات الاقطاعيين، وهم حاملون قوائمهم بأيديهم، كانوا يدخلون الى الغرفة السرية فيمزقونها ويرمون في الصناديق قوائم الحزب.. أما بعضهم الآخر فكان يضع قائمة الحزب الخضراء المطبوعة على عقاله وفوق جبهته تحديا للاقطاعيين، وكنت ألاحظ أن الفلاحين من البدو كانوا اكثر جرأة وشجاعة وهذا ما تجلى في قرى عرب السماطية في (طار العلا). على أن الفلاحين عموما كانوا مستعدين لمجابهة كل عدوان يقوم به الاقطاعيون، وقد رجموا سيارة عبد الرحمن العظم بالحجارة في بعض القرى المملوكه وهذا أول حادث من نوعه يجري بعد مئات السنين من الذل والاستعباد..

القائمة الانتخابية والتراث .

اخترت لقائمتنا اللون الأخضر .. كان هـذا اللـون يمثـل طموحنا لأن نرى أرضنا خضراء زاهية تمـنح خيرهـا وبركتهـا للفلاح الذي عاش عليها سنين طوالا من التخلف والحرمـان والمهانة، وطبعنا على هذا اللون الزاهي أسماء مرشـحي الحـزب، وأحطنـا القائمـة بإطـار شـبيه بـالأطر التـي تحـيط بصفحات "الكتاب الكريم" رمزا إلى أن دعوتنا ليست نقيضـا للتراث وانما هي منبثقة عنه.

أما الاقطاعيون فقد اختـاروا لقـائمتهم لونـا قريبـا مـن الأحمر. ترى هل كـان هـذا الاختيـار رمـزا الـى الـدماء التـي أريقت، أو التي ستراق فيما بعد ومنها دم عـدنان المـالكي وأخي واصل؟

كان المقترعون من ابناء الشعب ولا سيما الفلاحون ينظرون الى القائمة الخضراء بتقديس شبيه بالتقديس الذي يحمله شعبنا للحرف :

أذكر عندما كنا صغارا كيف كان آباؤنا وأهلونا يشيرون إلى ما نرتكبه من إثم إذا دسنا على ورقة مكتوبة لأن بها الحروف التي تتكون منها اسماء الله الحسنى، **ولا أستغرب هـذا التمجيـد للحرف في منطقة من العالم ابتدعت الحرف ومجدته وكان وسيلتها للاتصال بالله...**

موقفنا من التراث .

كان موضوع أحاديثنا وخطبنا يتناول نضال الحزب ومشاريع الاستعمار واندماج الحزبين، أما أنا فكنت بصورة عامة ألح على الربط الوثيق بين حزبنا وتراث امتنا بالمعنى الشامل لكلمة تراث.

كان هم اعدائنا ايهام الناس واقناعهم بأن حزبنا وأفكارنا واتجاهنا يناقض التراث، هذا السلاح الذي لم يزل مستخدما حتى الآن من قبل اعداء الأمة العربية، لذلك حرصت في معظم كلماتي وأحاديثي في الاجتماعات والمهرجانات على تأكيد علاقة حزبنا بالصفحات اللامعة من تراثنا وقيمنا الحضارية والاخلاقية والقومية

والانسانية التي لا تزال منسجمة مع تطور الفكر والعلم في هذا العصر..

ألقيت في المهرجان الذي أقمناه في حي الباشورة كلمة ختامية جاء فيها :

رأيت لوحة معلقة في جدار منازلكم وقد كتب عليها "الله محبه" فأعجبت بهذا القول وقلت لرفيقي :

"إنها تذكرني بما قاله الفيلسوف المتصوف محيي الدين بن عربي :

وقد كنت قبل اليوم انكر صاحبي إذا لم يكن ديني الى دينه داني

فأصبح قلبي قابلا كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان

أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب ديني وايماني

استغرب رفيقي وقال : كيف يكون هذا شعورك وأول مبدأ من مبادئ حزبكم أنه حزب انقلابي ثوري؟ قلت له :

كان هذا شعوري لأن حزبنا حزب انقلابي ، تأمل مجتمعنا في المدينة والريف كيف تتسلط الأسر الكبيرة على الصغيرة وكيف يظلم القوي الضعيف، إنه مجتمع منقسم بين ظالم ومظلوم وحاكم ومحكوم ومستغل ومستغل، إن علائق هذا المجتمع ظالمة فاسدة نضبت منها ينابيع المحبة وأصبح الانسان كالوحش الضاري، ألا تسمع أن أخا قد قتل أخاه طمعا بإرثه وإن الاسرة الواحدة ممزقة وأفرادها كالوحوش يغصب بعضهم حقوق بعض؟ (إشارة الى حوادث معينة حصلت في احدى الأسر الاقطاعية) هذا هو المجتمع الاقطاعي الذي تنضب منه ينابيع المحبة وهو نقيض المجتمع الاشتراكي الذي يسوده العدل والتعاون... نحن لم نفتح العالم في الماضي حربا وانما فتحنا القلوب برسالة الخير والحرية المساواة والعدالة والمحبة، ونحن الآن عندما نناضل

لتحرير الفلاحين وتمليكهم الأرض وإنصاف العاملين من استغلال الرأسماليين وعندما نريد تنظيم علاقات المجتمع الاقتصادية والاجتماعية تنظيما عادلا إنما نقوم بدورنا الحضاري من جديد .. ألستم معي بالنظرة الى مجتمع الاستغلال الذي يصبح فيه المال إلها يحكم اصحابه وضحاياه مثل الشيطان الذي يصبح إلاها يعبد اتقاء لشره؟ لقد صدق لينين عندما قال : ان الرأسمال لا دين له ولا وطن .. "

كنا عند افتتاح كل حفل ننتقي من الآيات ما ينسجم مع دعوتنا.. فقد تلا قارئ في حفل اقمناه في حي الحاضر الآية الكريمة :

"والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وبطونهم وظهورهم، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون" وقد القيت في ذلك الحفل كلمة جاء فيها :

"نحن نعمل في سبيل قضية عادلة، قضية تخص جميع ابناء الشعب، والسبيل إلى دعوتنا بالحكمة والموعظة الحسنة كما بينت الآية : أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وإذا ما لقينا عنتا وعذابا فهذا شأن المؤمنين المخلصين في التاريخ الذين تحملوا ألوان العذاب .. وان لنا بالرسول محمد اسوة حسنة" "ليس سبيل المؤمن الضغط والعنف والإكراه وإنما سبيله الارشاد والاقناع" "لا يتسع قلب المؤمن لغير المحبة فليس فيه مكان للبغض والكراهية".

النفير العام .

كان آخر اجتماع انتخابي اجتماعا عاما للمدينة والريف في الساحة العامة التي تقع أمام مكتب الحزب، ومنذ الصباح الباكر بدأت الوفود تتدفق على المدينة من جميع انحاء الريف وهي تهتف وتهزج عند دخولها المدينة، وكان الأهلون يستقبلونها بالهتاف والأهازيج. وفي موعد الاجتماع الذي عقد ليلا قدر الناس المجتمعين بأكثر من خمسين ألف مواطن، وقد القى مرشحو

الحزب خطبا قصيرة وتوليت شرح برنامج الحزب للمرحلة القادمة وفي نهاية الخطاب أعلنت مسبقا انتهاء المعركة الانتخابية وفوز قائمة الحزب بعد هذا الاستفتاء الجماهيري الذي لم تشهد سورية له نظيرا، ثم بدأ الفلاحون يعودون إلى قراهم وهم يهزجون وكانت أهازيجهم تملأ أجواء المدينة الساهرة حتى الصباح.

مقتطفات من الكلمة التي ألقيتها في الاجتماع الانتخابي الأخير :

"مشاكل الامم عديدة ولكنها في ظرف تاريخي معين تتركز حول مشكلة رئيسية تحتل المكان الأول وعلى حلها يتوقف حل بقية المسائل.

إن مشكلتنا يلخصها اسم حزبنا فهو حزب عربي ومنهجه في الاصلاح الاشتراكية، والاشتراكية نظام اجتماعي شامل ولكنها تسعى في الدرجة الأولى لتنظيم حياة البلاد الاقتصادية".

"لم يكن اختيارنا للاشتراكية مجرد صدفة فنحن نعتقد أن المشكلة الأولى التي يجب أن نعمل على حلها في هذا الظرف التاريخي هي المشكلة الاقتصادية حتى يخلق لهذه الأمه الجو المناسب الذي يسمح لها أن تنمو نموا طبيعيا" "إن دستور الحزب واضح جلي فهو يقوم على الايمان بعبقرية العرب ورسالتهم الانسانية ولكن لن يتم لهذه الامة الكريمة أمر تحقيق رسالتها ما لم ترفع عن اكتافها نير الاستعمارين الداخلي والخارجي، أي ما لم تنظم وضعها الاقتصادي على اساس التعاون والعدالة".

"ايها الفلاحون أنتم الحجر الأول في بناء هذه الأمة، انظروا الى هذه السهول الفسيحة التي انشأت فيها سواعد أجدادكم حقولا خصبة وكانت أهراء تمون العالم، لقد عاثت بها يد الدخيل الاقطاعي فسادا فكادت تحولها الى أرض جدباء.. أيها الفلاحون : لقد بدأتم معركتكم لأن الأمة اصطفتكم لتضعكم في الصف الأول فطوبى لكم ان اعيننا تنظر إليكم وملؤها أمل وأيدينا تمتد إليكم فإلى الامام وأنتم الأعلون".

"أيها العمال انتم حجر الزاوية في بناء هذا الوطن الذي علم العالم الفن والصناعة ثم هوى بعد عز، والآن إذ يستفيق من غفوته يشعر بحاجته الى سواعدكم الجبارة وقلوبكم المؤمنة لقد بدأت الآلة تنتشر في أرجاء هذا الوطن ولكنكم مسخرون في استعمالها ومستثمرون من قبل رأس المال

الأممي والمحلي، ولن يستقيم الأمر ما لم تزيلوا استغلال الانسان للانسان في ظل نظام اشتراكي عادل".

اجتماع انتخابي يتحدث فيه الدكتور جمال الاتاسي عن اندماج الحزبين.

كان اندماج الحزبين احد الموضوعات الرئيسية للأحاديث في الندوات والخطب في الجماهير، وانني اثبت هنا بعض المقاطع من حديث للدكتور الأتاسي موضوعه لماذا يخوض حزب البعث العربي الاشتراكي هذه المعركة الانتخابية :

"لقد نشأ الحزب نشأته الطبيعية في الوسط النضالي الأول لبلد محتل- وسط الطلاب والمعلمين- فكان انقلابيا في فكرته وتكوينه. ولم يقم هذا الحزب في تشكيله على الاعتبارات والمسببات العارضة التي قامت عليها بقية الأحزاب والفئات السياسية القائمة في البلاد، ولم يوجد لما وجدت له، فالبعث العربي لم يأت نتيجة لإرادة أفراد أو فئات تجمعت حول مصلحة خاصة أو حول قضية عارضة أو محدودة، بل جاء استجابة لحاجات طبيعية في المجتمع العربي وتلبية لضرورة تاريخية في حياة أمتنا العربية".

ولدت الفكرة والحزب معا، فالفكرة الانقلابية التي ترمي لتبديل أساسي في المجتمع، في الفكر والمفاهيم والقيم، في الروابط الاجتماعية والاقتصادية، انما تتطلب مباشرة جهازها العملي وصفها النضالي، ولد الحزب في ظروف الحرب العالمية الأخيرة ومنذ بدئها، وفي وقت طرحت فيه علينا كل مشاكل الانسانية وكل مشاكلنا القومية والاجتماعية بشكل أزمة تتطلب حلا ومخرجا، وكان موضوع أول حديث أذكره للاستاذ ميشيل عفلق في دعوته "للبعث العربي" -واجب العمل القومي ومسؤولية الجيل الجديد- وظلت الدعوة سرية وفي نطاق محدود، وعرفت في نشراتها بمسميات عدة كالاحياء العربي ونصرة العراق، وكان في أواخر عام 1943 أن عرفت دمشق حزبا ناشئا تسمى بحزب البعث العربي فسمعت صوتا جديدا ونداءات جديدة

لم تكن قد ألفتها من قبل وكان البعث أول حزب ألف بين القومية العربية وبين الاشتراكية والحرية في مفهوم عربي شعبي انقلابي واضح".

"ولقد عرفت دمشق أيضا في ذلك الوقت، ومنذ عودة الحياة النيابية لبلادنا إبان الحرب، عرفت صوتا فتيا ما ألفت سماع لهجته في مثل هذا المجال من قبل، لم يكن للبعث العربي من ممثل في ذلك البرلمان ولم نلتق إلا بأكرم الحوراني نائب حماه ليمثل الاتجاه الشعبي الصاعد في تلك الندوة، أو لم يكن اكرم الحوراني منذ ذلك اليوم في تاريخ نضال حزب البعث العربي؟ في نضاله ضد الاستعمار، في نضاله ضد الفئات الحاكمة الرجعية وضد كل عابث بكرامة الشعب وحرياته.

لقد التقينا معه وهو نائب على ان البرلمان ما زال بعيدا عن أن يمثل الوجه الحقيقي للشعب وعلى أن الاتجاه الشعبي الصحيح ما زال بعيدا عن أن يتمثل في حكم أو برلمان وعلى أن العودة للجمهور، العودة لبرلمان الشارع هي طريق العمل السياسي الشعبي السليم.

ورأينا انفسنا ونحن طلاب في الجامعة السورية نلتقي وفي أول مظاهرة جرت ضد الفئة الحاكمة وبرلمانها مع فتية من حماه كانوا يتسمون بالشباب وكنا نناديهم برفاق اكرم الحوراني، وما كانت تلك المظاهرة إلا تاييدا للاتجاه الشعبي الجرئ الذي مثله يومها في المجلس نائب الشباب، وإلا احتجاجا على الاسلوب الوقح الذي دفعت إليه يومها الفئة الحاكمة بعض النواب لاسكات صوت الحوراني الناطق بالحق وأستطيع الآن أن أقول : أنه منذ ذلك اليوم، منذ مطلع عام 1945 قد تشكل حزب البعث العربي الاشتراكي، ومنذ ذلك اليوم ونحن نلتقي في كل مناسبة وفي كل معركة من معارك النضال الشعبي للتحرر من الاجنبي المحتل، في معارك الدستور والحريات الدستورية، في معارك فلسطين وفي النضال ضد الاستبداد والديكتاتورية ... ظللنا سنوات نتعاون ونتبادل العمل المشترك وافترقنا من حول نظرات وتفصيلات حتى إذا ما قامت أزمات الانقلابات العسكرية وظن

الناس بعد انشاء الحزب العربي الاشتراكي وبعد قاعدته الشعبية النضالية وامتدادها في مدن سورية وقراها، ان الحركة الاشتراكية العربية أصبحت موزعة في سورية بين حزبين ومنهاجين وبين طريقتين في العمل والنضال، وجدنا أنفسنا وأمام أول أزمة شعبية، أمام أزمة الحرية إبان طغيان الشيشكلي وزمرته على البلاد نلتقي من جديد، وكان القدر التاريخي لأمتنا لا يريدنا إلا حزبا واحدا وإلا عملا واحدا ومنهاجا واحدا وقاعدة شعبية واحدة هو هذا الحزب - حزب البعث العربي الاشتراكي-

إن اندماج الحزبين هو أروع ما حدث في تلك المرحلة من النضال الشعبي، فلا أحداث الشيشكلي وانقلاباته ولا دستوره وجمهوريته وبرلمانه ولا مؤتمرات الأحزاب وتكتلاتها ومواثيقها، إنه هو العمل الانشائي الوحيد الذي تم في تلك المرحلة. ومر هذا الحادث الكبير بصمت وفي جو من العمل النضالي الصارم وصمد الحزب لوحده في الميدان يعاني الاضطهاد والسجن والتشريد والتعذيب وكل ذلك دون أن يتراجع أو يتململ، لقد قام هذا العمل على أن ليس هناك إلا اشتراكية عربية واحدة وهي مصير العرب في هذه المرحلة من تاريخهم، وعلى أن الفكرة الاشتراكية الصحيحة لا يمكن أن تنبت وأن تترعرع الا في جو شعبي صحيح في صف نضالي موحد".

"وإنني إذ أذكر هنا، ومن بين العوامل التي مهدت لحزب البعث ووجهت لفكرته، فلا بد أن أذكر وفاء لماضي حزب البعث العربي، الاستاذ زكي الأرسوزي ورفاقه وطلابه من عرب لواء الاسكندرون، أول من جعل فكرة البعث العربي دستورا لحياتهم ونضالهم وهجرتهم، وكان الأرسوزي أول من خرج بالفكرة العربية، من مفهوم عصبة العمل القومي (الحزب الذي تبناه الأرسوزي كجهاز للعمل الشعبي في ايام النضال العربي المفجع في اللواء) هذا المفهوم الذي كان يقوم على أسس عاطفية وعقائدية غامضة، لينتقل به إلى مفهوم شعبي نضالي يتجاوز حدود المدينة والقطر، والى فكرة تقدمية واعية تستقطب من حولها ابناء الجيل الجديد، وكان طلاب الأرسوزي ورفاقه أول القوى النضالية

التي انصبت في حزب البعث العربي عندما نادى به الاستاذان عفلق والبيطار ورفاقهما في دمشق."

1- فمن فكر اساتذتنا ومعلمينا ومن نضالهم في صفوف الطلبة ..

2- ومن فكرة نضال العربي المهاجر من اللواء.

3- ومن الميراث الشعبي الوطني النضالي ضد الاستعمار والاستبداد، من آمال العرب الكادحين في كل مكان : تكونت وحدة الحزب. (من منشورات حزب البعث العربي الاشتراكي فرع حماه مكتب الثقافة والدعاية).

هاتف مفاجئ من دمشق .

هتف الاستاذ صلاح البيطار الى مكتب الحزب في حماه يدعوني للحضور فورا إلى دمشق لأمر هام وعلى جانب كبير من الخطورة، فخيل إلي أن مؤامرة انقلابية أعدتها الفئات الرجعية في الجيش لتعطيل الانتخابات، فتركت فورا المكتب الذي يغص بألوف الناس وركبت سيارة أحد الرفاق متجها إلى دمشق، بعد أن حدثت رفاقي عن المكالمة الهاتفية، وقلت لهم : لست أدري ماذا يخبئ لنا القدر وإنني إذا دعت الحاجة سأبعث لكم رسولا يخبركم عما يجب أن تتخذوه من تدابير. وصلت صباحا إلى دمشق وتوجهت فورا الى مكتب الحزب حيث وجدت الاستاذ صلاح البيطار والاستاذ ميشيل عفلق الذي كان في حضوره من مصيفه في برمانا ما يدل على خطورة الوضع.. قال الاستاذ صلاح :

إن الاحزاب الرجعية تتآمر لاسقاطي وانجاح الاستاذ رياض المالكي في الانتخابات وإن ذلك سيؤثر على وحدة الحزب وسلامته، لذلك أرى أن ينسحب رياض من المعركة.

فوجئت باقتراح الاستاذ صلاح وقلت له : ما هي الدلائل على ذلك؟

وعندما لم يكن لديه أي دليل سوى ما يهمس به الناس قلت له:

إنك ستقع في الفخ الذي ينصبه لك اعداؤك، وانني أراهن أنك ستنال عددا من الاصوات أكبر من العدد الذي سيناله رياض وموعد الاقتراع قريب وإياك أن ترتكب هذا الخطأ الجسيم إن استمرار رياض في المعركة هو لصالحك، كان الاستاذ ميشيل يصغي إلي فقط على الرغم من الاتفاق السابق بينهما. وبعد جدل ونقاش اقتنع الاستاذ صلاح بالاستمرار دون أن ينسحب رياض المالكي.

□

بعد الظفر الشعبي المنقطع النظير الذي لاقيناه خلال عملنا في المعركة الانتخابية أخبرني الدكتور فيصل الركبي بأن الملازم محمد عمران ينتظرني في منزله ليحدثني بأمر خطير، فاستغربت مجيئ عمران المفاجئ وتركه لقطعته العسكرية في دمشق، قال محمد عمران :

إن الدولة ستزور الانتخابات لمصلحة الاقطاعيين، وانه بات من الضروري أن نقطع عليهم الطريق بانقلاب سريع قبل الاقتراع، وأن الجيش على استعداد تام .. قلت له :

أنت واهم فيما تقول لأن السلطة عاجزة عن هذا العمل أمام الطوفان الشعبي وإننا لسنا مضطرين لرمي انفسنا في هذا المأزق لأن طريقنا الى السلطة هو الطريق الشعبي الديمقراطي كما تعلم، ومن جهة أخرى فإن الحزب غير مهيأ لاستلام السلطة، وإنني اعتبر ان مثل هذا الانقلاب هو اجهاض لثورة الحزب الشعبية الديمقراطية، وإياكم أن تقعوا فيما ينصبه لكم الاعداء من فخاخ، ليس هدف الحزب الحكم وانما وسيلته، وعن طريق النضال الشعبي تتكون القيادات الثورية القادرة على تنفيذ برنامجه التقدمي.

كان محمد عمران شابا مندفعا عنيدا، وكان يحب الجدل والمماحكة، فاستمر جدالنا عدة ساعات رغم ضيق الوقت .. قلت له في نهاية الحديث :

نحن لا نريد منكم أن تقوموا بانقلابات .. نحن نريد منكم احباط كل مؤامرة انقلابية .. هذا ما هو مطلوب من القوى التقدمية في الجيش، والشعب كفيل بدحر القوى الرجعية والرأسمالية بالوسائل الديموقراطية .. وضربت له مثلا :

لقد تربيت انت ورفاقك من ضباط الجيش في مدرسة الشعب الوطنية وأنتم أطفال صغار ، وإن الشعب قد جاهد حتى ظفر باستقلاله على الرغم من أن الجيش قد كان بيد الاعداء .. والآن فإن الشعب يخوض معركة الاقطاع والرأسمالية ولا بد من أن يظفر عليهما.

إن انقلاب الشيشكلي لا يزال قريب العهد وعسى أن يكون الضباط التقدميون قد تلقوا منه ومن الانقلابات التي سبقته درسا نافعا، لقد كنت انتظر منك يا أخ عمران أن تدين كل انقلاب عسكري وتشتبه به مهما كانت نوايا أصحابه حسنه .. إن جهنم مرصوفه بذوي النوايا الحسنة. رجع عمران الى قطعته يائسا ولكن موقفي الصارم الحاسم أثر في نفسه وقناعته بلا شك ولكن الى حين..

لم يكن محمد عمران ولا سواه قادرا أن يقوم بانقلاب دون رأي الحزب لأن الراي العام في الجيش من صغار الجنود الى العرفاء والمساعدين وصغار الضباط كان مرتبطا بولائه للحزب وملتزما به دون تنظيم حزبي ، وإنما هو ولاء والتزام نابع من الحركة الجماهيرية الشعبية وقد كان الجيش ابنا وتلميذا لهذه الحركة.

مع اقتراب موعد الاقتراع كان تهافت الناس يزداد على دوائر الاحوال المدنية للحصول على الهويات، وقد كانت الجماهير متحمسة للمعركة اكثر من الحزب. وكان الاجتماع الانتخابي الأخير قد دل على نتيجة الاقتراع بصورة جلية مما حمل الاقطاعيين على بذل آخر محاولاتهم الارهابية، كان تأثيرهم ونفوذهم على زلمهم قد بدأ يضعف فاضطروا أن يتولوا الارهاب والاجرام بأنفسهم، وهكذا جاء جماعة من آل العظم ومن بينهم غازي العظم ومصطفى

العظم وفوزي العظم وهيثم العظم ومحمد العظم- الى سراي الحكومة مع عدد من زلمهم للحصول على الهويات وبدون مبرر خرجوا من السراي وبدأوا يرجمون الناس بالحجارة ثم عمدوا الى اطلاق الرصاص. كانت الرشاشات منصوبة على اسطحة بيوت العظم القريبة من سراي الحكومة ومنها بيت ناصح العظم فبادرت باطلاق الرصاص، وكان من نتيجة هذا الاعتداء عدد كبير من الجرحى.

لم تجد هذه الاعتداءات وهذا الارهاب في صرف الناخبين عن الحصول على الهويات، وقد جرى الاقتراع بتاريخ 54/9/24 بسلام في جميع مراكز المدينة والريف ولم يقع أي حادث يستحق الذكر وقد سجلت حماه أعلى نسبة في إقبال الناخبين على الاقتراع في سورية.

نتائج فرز الأصوات.

كنا نعلن إلى المدينة من مكبرات الصوت المنصوبة على شرفات مكتب الحزب ما يردنا تباعا من نتائج فرز صناديق الاقتراع، **وكان المذيع يعلن للشعب بين حين وآخر أن هذه النتائج الرائعة يجب ألا تبعث في نفوسنا التيه والغرور بل يجب أن تكون امتحانا لتواضعنا وهدوئنا .. يجب ألا يسكرنا هذا الظفر الكبير لأنه بداية لدربنا الطويلة، يجب أن يتسع صدرنا لمحبة الخصوم، إن هذا الظفر الكبير ليس ظفرا شخصيا قائما على العصبيات العائلية والعشائرية والطبقية والاهواء الشخصية، إنه ظفر اجتماعي يجب أن تتجلى فيه قيمنا الاخلاقية والانسانية والقومية، وكان المذيع يستشهد بالأحاديث والآيات الكريمة التي توصي بالتواضع والمحبة وضبط النفس والسلام والأخوة .**

إن تجاربنا مع الشعب كانت تؤكد لنا دوما شدة تأثير القيم الاخلاقية والوطنية والدينية في مواقفه الوطنية ومعاركه النضالية ولذلك كنا نحاول أن تكون قدوة في المحافظة

على هذه القيم التي هي روح حضارة شعبنا وتراثه والتي يصح فيها قول الشاعر أحمد شوقي :

وانما الامم الاخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ظلت حماه ساهرة تستمع إلى ما يذيعه عليها مكتب الحزب من نصائح ونتائج المعركة التي كانت مذهلة حقا وقد نجحت قائمتنا بأكملها وفازت بكل مقاعد حماه ونالت الأصوات التالية :

22056 أكرم الحوراني

18228 عبد الكريم زهور

17748 خليل كلاس

17594 سعيد الخاني

17287 فيصل الركبي

بينما سقطت القائمة الاقطاعية بأكملها وحاز زعيماها على الأصوات التالية :

10400 عبد الرحمن العظم

8000 حسني البرازي

اما رئيف الملقي الذي تركنا له مكانا فارغا في قائمتنا فقد حاز (19701) صوتا ويعلم الناس أنه لو لم يترك الحزب له هذه المكان لما تمكن من النجاح وقد حاز معظم اصوات الاقطاعيين كما صوت له معظم الشعبيين.. لقد رمزنا من ترك مكان فارغ في قائمتنا أن نضرب للشعب مثالا في المحافظة على القيم الوطنية والاخلاقية، فتغاضيا عن اخطائه وانحرافاته كرمى لماضيه في الحركة الوطنية الشعبية، **وقد أردنا من جهة أخرى أن نسبغ على المعركة طابعا حرا ديموقراطيا فلم نشأ أن نلزم المواطنين بالمرشحين الحزبيين فقط على الرغم من استعدادهم الكلي للتقيد التام برأي الحزب.**

ذهل المرشحون الاقطاعيون والطبقة التي يمثلونها - ليس من نتائج المعركة الانتخابية وقد كانوا ينتظرونها - بل من موقف الحزب وإرشاداته ونصائحه للمواطنين بعد هذا الفوز الساحق ولم يملكوا أنفسهم من الاشادة بأخلاقية الحزب وسمو موقفه.. فكان نجيب البرازي يقول : ما كنت انتظر من الاشتراكيين هذا الموقف النبيل، كما أصدر خضر شيشكلي بيانا أشاد فيه بالروح الرياضية التي سادت المعركة الانتخابية. نجحت قوائم الحزب أيضا في جميع المناطق التي كانت تابعة لفرع حماه : في مصياف وخان شيخون ومعرة النعمان ولم يفشل من المرشحين إلا الدكتور سامي الجندي في السلمية، وقد هز نجاحنا الساحق سورية من اقصاها إلى اقصاها وخرجت الصحف بالمانشيتات التالية :

أكرم الحوراني يحقق اكبر ظفر في انتخابات سورية ..

فازت قوائم اكرم الحوراني كاملة في حماه ومصياف والمعرة وخان شيخون

وقد عكس هذا النجاح المذهل فيما بعد آثاره البعيدة على السياسة السورية والحركة العربية الاشتراكية.

الانتخابات التكميلية

كانت حصيلة الجولة الأولى من الانتخابات النيابية فوز أربعة عشر نائبا بعثيا في مختلف المناطق السورية على الرغم من الفشل الذي أصاب الحزب في دمشق وحمص ودير الزور وحلب، وهو فشل تقع مسؤوليته اجمالا على عاتق قيادة الفروع، ولم يكن من سبيل لانقاذ للموقف الا في دمشق، فمن حسن الحظ أن الاصوات التي نالها البيطار والمالكي كانت تسمح بدخولهما معركة الانتخابات التكميلية، وبما أن الوقت كان قصيرا ولا يتعدى اسبوعا واحدا فقد غادرت حماه فورا الى دمشق بتاريخ 54/9/28 قبل أن اتمكن من استقبال وفود المهنئين التي أتت من جميع أنحاء سورية.

كان علي قبل كل شيء أن أبعث الاطمئنان في مدينة دمشق المحافظة تسهيلا لنجاح مرشحي الحزب في المعركة

التكميلية نظرا لحملة التخويف التي تولت وسائل الاعـلام إذاعتهـا عـن نتائج فوز الحزب الكاسـح فأدليت للصحافيين بالتصريح التالي :

س : ما رأيكم في نتائج الانتخابات وما أسفرت عنه الجولة الأولى ؟

ج : ان الظاهرة المهمة لهذه الانتخابات انها جرت في جـو اكثـر حيـادا ونزاهـة من جميع الانتخابات التي جرت في الشرق العربـي حتـى الآن، ولـذلك كانـت أصح تعبيرا من جميع الانتخابات الماضية عن إرادة الشعب بالتحرر والانطـلاق، وليسـت كما يتصور البعض انهـا كانـت معبـرة فقـط عـن النقمـة التـي يضـمرها الشعب للغرب نتيجة لكارثة فلسطين، بـل انهـا أتـت معبـرة أيضـا عـن تصـميم الشعب على الحياة الحـرة وتكسـير القيـود والاغـلال الاقتصـادية والاجتماعيـة والسـياسـية، ومع ذلك لا يمكننا أن نقول أن هذه الانتخابات هي تعبير تام عـن إرادة الشعب لأن جهاز الحكومة المكون من تراكم ما صنعه الاستعمار والحكـم الرجعـي لا يسـمح بـذلك ولا يمكـن أن تكـون الانتخابـات تعبيـرا تامـا عـن إرادة الشعب ما لم يصبح الجهاز الحكومي بخدمة الشعب لا بخدمـة فئـة أو طبقـة. ونحـن إذا اعتبرنـا هـذه الانتخابـات هـي الأولـى مـن نوعهـا فـذلك فـي حـدود الظروف والامكانات التي بين أيدي الحكومة، والدليل على ذلك عجـز الحكومـة عـن انـزال العقوبـة بالمرشـحين الـذين اشـتروا الضـمائر بـالأموال الاجنبيـة أو الشخصية حتى اصبحت البلاد بطولهـا وعرضـها مسـرحا لهـذه المأسـاة التـي نأمل أن تضع الحكومات لها حدا فـي الانتخابـات المقبلـة انهـا ليسـت بظـاهرة جديدة كثرة عدد المستقلين في هذا المجلس، فالمستقلون كانوا دومـا كثـرة في المجالس الماضية ويلتف معظمهم حول الاحزاب الحاكمـة ولـم تكـن علـل المجالس السـابقة بكثرة عددهم، بل بالتفاف المسـتغلين مـنهم حـول الحـزب الحاكم لتأمين المصالح الشخصية والطبقية والعائلية علـى حسـاب المصـلحة العامة. **وسوف لا تحقق هذه المجالس جميع مـا يصـبوا إليـه الشـعب مـن تقـدم وارتقـاء ولكنـه علـى كـل حـال خيـر مـن جميـع المجـالس الماضية وهذا أمر طبيعي طالما أن عجلة الزمن تسير الى الأمام.**

س : ما هو عدد نواب البعث العربي الاشتراكي في المجلس القادم ؟

ج : يبلغ عددهم حتى الآن أربعة عشر نائبا ويوجد عدد من الاصدقاء والانصـار والمستقلين.

س : هل سيشترك نواب البعث العربي الاشتراكي في الوزارة الجديدة في حال تأليف وزارة ائتلافية؟

ج : ان السير الطبيعي للحزب ألا يتحمل مسؤولية الحكم قبل أن يحوز بالطريق الديمقراطي اكثرية برلمانية، وهذا لا يمنع الحزب أن يستمر بعمله الجاهد لتحقيق شعاراته التي كان يعمل على تحقيقها في المجالس الماضية سيما وقد اصبح جو هذا المجلس قابلا لتنفيذها. إن ما يشيعه خصوم الحزب يقصد منه إثارة القلق والخوف في بعض الاوساط الطيبة المحافظة وهي دعايات كاذبة لا تستحق أن يؤبه لها لأن شعاراتنا في المرحلة السياسية القادمة هي :

1- إقامة حكم ديموقراطي صحيح وذلك بتنفيذ أحكام الدستور والقوانين لتحقيق الحرية والعدالة والمساواة وتنفيذ المشاريع الانشائية ووضع التشاريع التي اصبحت البلاد بأمس الحاجة إليها.

2- صيانة استقلال البلاد وسيادتها ومحاربة المشاريع الاستعمارية.

□

كان علي بحث موضوع إدارة المعركة التكميلية في دمشق حيث كان جو الحزب في غاية من البلبلة والاضطراب، وهي نتيجة طبيعية لكل فشل، وكان من الهين أن اضبط الموقف لولا أن الاستاذين صلاح البيطار وميشيل عفلق كانا مصرين على انسحاب رياض المالكي من المعركة، وقد حاولت كثيرا أن اقنعهما بأن استمرار رياض المالكي هو لمصلحة البيطار وان ضرر انسحابه لا يقتصر على المعركة التكميلية وإنما له انعكاساته الخطيرة على القضية والحزب، وقد حاولت جهدي اقناعهما مستندا إلى أن تقديري السابق كان صحيحا إذ أن البيطار قد نال من الاصوات أكثر مما ناله رياض المالكي، ولكن عبثا كانت محاولاتي لاقناعهما، وانني لا أزال حائرا في تعليل اصرارهما على انسحاب رياض المالكي - هل هو سوء تقدير منهما؟ أم انهما كانا يفكران بأن الاكتساح الشعبي في المنطقة الوسطى قد يعكس أثره على دمشق ويكون سببا في نجاح رياض المالكي وصلاح البيطار معا مما يهدد انفراده بزعامة الحزب في دمشق، أو أنهما رأيا في

احتمال نجاح رياض المالكي (العربي الاشتراكي سابقا) وكأنه طغيان جناح العربي الاشتراكي على جناح البعث العربي بينما لم يكن هذا التفكير واردا إطلاقا في قواعد الحزب الشعبية، لأن عملية دمج الحزبين قد تمت عضويا في جو نضالي لاهب غير مصطنع.

كنت مقدرا خطورة الاقدام على هذا القرار تمام التقدير لذلك عقدنا اجتماعات عدة كنت أحاول فيها اقناعهما دون جدوى، وقد **تأكد لي أنه لا بد من الاختيار: بين الاصرار على ترشيح رياض المالكي مع انفصام وحدة الحزب وبين الموافقة على اتخاذ القرار بانسحابه من المعركة، وكان صعبا جدا على أن أرتكب هذا الاثم بالوقت الذي كان فيه رياض المالكي ملتزما ومنضبطا بما يقرره الحزب عندما طلب منه الاستاذ ميشيل أن ينسحب من المعركة فكان جوابه أنه يلتزم بما يصدر من قرارات .** ومن يدري لعل انضباط رياض شجعهما على الاصرار على انسحابه من المعركة، ومع ذلك فقد ظللت أرفض الموافقة على هذا القرار، فقال الاستاذ ميشيل :

إن القرارات تصدر بالأكثرية وانه مع الاستاذ صلاح يشكلان الاكثرية لاصدار القرار بانسحاب رياض وأنه من الخير للحزب أن يصدر بالاجماع، وهكذا بلغ الاستاذ ميشيل رياض المالكي قرار الحزب بضرورة انسحابه.

فكرت فورا بالاجتماع بعدنان المالكي، فرأيته - كما قدرت - غاضبا مهتاجا لانه اعتبر القضية ماسة به وبأخيه شخصيا، فالحزب هو الذي طلب من رياض أن يرشح نفسه عن الغوطة، ثم طلب منه ترشيح نفسه عن دمشق، والآن يطلب منه الانسحاب من المعركة، كان عدنان يقول :

إن رياض ما كان يتعرض في الحزب لهذه الجرجرة وهذا الامتهان لو لم يكن أخا له وأنه لا يقبل ذلك لرياض، لا بصفته أخا له ولا بصفته مناضلا حزبيا قضى معظم فترة الديكتاتورية يتحمل

السجن والتعذيب وكنت أحاول تهدئته عبثا ثم اضطررت بعد جدل وحوار طويل أن اكشف له موقفي فقلت له :

انني كنت أمام خيارين إما وحدة الحزب او انسحاب رياض ففضلت الانسحاب باعتباره أهون الشرين، وطلبت منه أن يعتبر نفسه في موقفي ويختار، ولكن هيهات كان عدنان لا يمكنه ان يقنع بضرورة الخيار بين أمرين خطيرين فرضتهما الوساوس والانانية الشخصية، وكان اكثر ما يؤلم عدنان قناعته بأن البعثيين لم يصوتوا جميعا لرياض المالكي بينما كان رياض ملتزما وكان يوصي بالتصويت لصلاح قبل أن يصوتوا له، ومن جهة أخرى فإن عدنان كان على علم بما كان يشيعه بعض الحزبيين من التدخل لمصلحة أخيه!! وقصارى القول فإن **هذا الموقف قد سحب آثاره الخطيرة على الحزب والقضية، وكانت هذه الخطيئة التي ارتكبها الاستاذان سببا في كثير من المآسي والمشاكل التي تحمل الحزب والبلاد نتائجها المحزنة دون داع ولا مبرر على الرغم من فوز رياض الساحق بالنيابة عن دمشق في الانتخابات الفرعية التي جرت بعد ذلك بعامين، وإذا كانت موافقتي على قرار انسحاب رياض من المعركة مبنية على القاعدة القائلة (يحتمل الضرر الأخف في سبيل دفع الضرر الأشد) فإن فشل صلاح البيطار في المعركة كان يعرضنا للضررين معا،** إذا لا بد من العمل لإنجاح البيطار بما اوتينا من قوة، هكذا بدت لي الأمور في تلك الظروف الدقيقة التي كانت تمر بها البلاد.

□

كان أول همومي أن أقضي على جو الارهاب الذي فرضه الحزبان الفاشستيان السوري القومي، وحزب فيصل العسلي على المعركة، لذلك استقدمنا من فرع حماه مئات الشباب الحزبيين للوقوف في وجه إرهاب هذين الحزبين على الناخبين، وقد عرف هؤلاء الشباب في دمشق بسيماهم وثيابهم (الجلابية والعقال أحيانا) وبخيزراناتهم الطويلة فقاموا أثناء الاقتراع بمهمتهم

خير قيام فبعثوا الطمأنينة ومنعوا الضغط والاعتداء على الناخبين حول مراكز الاقتراع.

توليت بنفسي وعلى مسؤوليتي إدارة المعركة الانتخابية كليا، واصبحت منفردا بتصدير جميع الأوامر الصغيرة والكبيرة في هذه المعركة، وقد حاولت جهدي إلهاب عواطف الشباب الحزبي وتبصيره بأهمية نجاح صلاح البيطار والنتائج الخطيرة التي تترتب على فشله، وقد كان جميع الشباب مدركين لهذه الحقيقة، فانصرفوا للعمل ليلا نهارا وكانوا ينفذون الأوامر والتعليمات بكل دقة والتزام إلا نور الدين أتاسي وبعض رفاقه الذين كانوا مقاطعين، وكانوا إمعانا بالكيد يجلسون في باحة مكتب الحزب بينما كان رفاقهم كالنحل فعالية ونشاطا.

لم يكن الناخبون في دمشق يلتزمون بتوجيهات المرشحين، ولذلك لم يؤثر تعاوننا مع خالد العظم في الجولة الأولى في مساعدة صلاح البيطار، ومع ذلك فقد رأيت من المفيد خوض المعركة التكميلية بالتعاون مع خالد العظم مرة أخرى، وقد تمكنا أن نشكل قائمة مؤتلفة تضم الدكتور سامي كبارة (مستقل) الدكتور جورج شلهوب (من جماعة خالد العظم). كانت هذه القائمة مؤتلفة اسما لا فعلا إذ لم يتقيد بها أحد من المرشحين اثناء الاقتراع. وقد كان من المفروض أن يتعاون حزب البعث العربي الاشتراكي مع الحزب الشيوعي في هذه المعركة ولكن كلا من الحزبين لم يكن مستعدا لهذا التعاون".

48 ساعة في مكتب الحزب .

على الرغم من الاعياء الذي اصابني حتى المرض فإنني اضطررت أن ألازم مكتب الحزب ليلا نهارا وبشكل مستمر خلال 48 ساعة عندما اقترب موعد الاقتراع الذي حدد موعده بتاريخ 54/10/4 وقد لزم الاستاذ صلاح منزله منتظرا نتائج المعركة، وفي ساعة متأخرة من ليل الخامس من تشرين الأول أبلغت الاستاذ هاتفيا نجاحه، وطلبت إليه الحضور إلى مكتب الحزب وقد نال الاستاذ صلاح (10865) صوتا بزيادة قليلة عن منافسيه الآخرين

ظافر القاسمي وعصام المحايري وكان الفضل في هذه الزيادة لصالح المرأة التي اقترعت لصالح التقدميين من المرشحين للنيابة عموما في جميع المدن السورية.

□

كانت ليلة مشهودة في مكتب الحزب عندما اعلنا نجاح الاستاذ البيطار فقد أعاد نجاحه الثقة لنفوس الحزبيين في فرع دمشق بإمكانياتهم الكبيرة فبلغ حماسهم حدا لا يوصف، وعندما دخل الاستاذ صلاح مكتب الحزب ألقى كلمة في الجماهير المحتشدة.. وقد اعتذرت كثيرا لهذه الجماهير أن تعفيني من الكلام ولكن دون جدوى فألقيت كلمة مقتضبة جاء فيها :

انكم خضتم أيها الرفاق وحدكم معركة ضد كل القوى الرجعية الداخلية، ووقفتم وحدكم تصارعون هذه القوى ولا سيما الرجعية الدينية التي ظلت خلال أربعة شهور تستغل منابر المساجد في حملة عليكم واتهامكم، لقد استغلوا بيوت الله لغير ما عمرت من أجله ومع ذلك ظللتم صامدين ومؤمنين بالشعب وبانتصار قضيته العادلة" "لم تنتصروا على القوى الرجعية الداخلية فقط بل انتصرتم على قوى الاستعمار وأجهزته التي انفقت الأموال وأفسدت الضمائر، ان نصركم اليوم ليس نصرا لشخص صلاح البيطار وانما هو نصر لدعوة وقضية وأخلاق، إنكم تنتصرون على الشعوبية وفي انتصاركم تباشير فجر جديد سوف تجني منه الأمة العربية والقضية العربية أطيب الثمرات" ثم القى الاستاذ ميشيل الذي جاء الى مكتب الحزب بعد غيبة كلمة قال فيها :

"إن التاريخ ايمان وعقيدة وفي طريقنا محشودة جميع آلام العرب وآمالهم" ثم خرجت الجماهير الحزبية بمظاهرات تطوف في شوارع دمشق وأحيائها وتملأ الجو بأهازيجها وهتافاتها.

نتائج الانتخابات النيابية .

أصبح المجلس الجديد بنتيجة الانتخابات العامة مكونا كما يلي :

(59) مستقلا و (28) من حزب الشعب و (16) من حزب البعث العربي الاشتراكي و (6) من المؤيدين له و (13) من الحزب الوطني و (6) مؤيدين له و (2) من التعاوني الاشتراكي و (2) من الحزب السوري القومي و (9) نواب عن العشائر ونائب واحد عن الحزب الشيوعي. كانت الاحزاب ثابتة في عدد اعضائها بينما كان المستقلون ونواب العشائر متبدلي المواقف، وقد شكل خالد العظم وعبد الباقي نظام الدين ورئيف الملقي من بعض النواب المستقلين ونواب العشائر ما سموه بالكتلة الديموقراطية.

كان لتعاظم حركة الفلاحين والعمال في سورية اثره الكبير في تراجع الاقطاع وأفول نجمه ونجاح ستة عشر نائبا عن حزب البعث، ولكن ذلك سحب آثاره ايضا على الانتخابات بالنسبة للفئات والأحزاب التقدمية والاخرى، وقد كان ذلك بارزا في انتخاب خالد بكداش رئيس الحزب الشيوعي نائبا عن دمشق، ولأن ذلك كان أول نجاح لنائب شيوعي في المجالس العربية وجب علينا أن نعلل هذه الظاهرة بدقة، تلك الظاهرة التي اختلف الناس في تعليلها فخدعتهم الظواهر عن معرفة الوقائع الحقيقية، يعود نجاح خالد بكداش لأسباب عدة.

1- عرف خالد بكداش في الماضي مناضلا وطنيا عام 1936 عندما كان الوفد السوري في باريس يفاوض حكومة ليون بلوم لعقد المعاهدة السورية، وقد اشتركت الكتلة الوطنية والجبهة الشعبية الفرنسية في ابراز دوره في هذه المفاوضات، هذا بالاضافة إلى ما يتمتع به من المزايا القيادية الذاتية، ولو قدر له عدم الانتماء للحزب الشيوعي لكان من المحتمل أن يفوز بالنيابة عن دمشق قبل انتخابات عام 1954.

2- ينتمي خالد بكداش لحي الاكراد المعروف بعصبيته وشدة تماسكه مما مكنه أن يتبادل الأصوات الانتخابية، وأن يعقد التحالفات مع خالد العظم ومع المرشحين الآخرين في حي الميدان والأحياء الشعبية الأخرى.

3- يضاف الى العاملين السابقين عامل هام هو نضال البعث العربي الاشتراكي في مقاومته العنيدة للغرب ومشاريعه وأحلافه، وفي تبشيره بالاشتراكية ومعارضته الباسلة للديكتاتورية، وقد ساعدت هذه الشعارات التي اطلقها البعث وناضل من أجلها على نجاح خالد بكداش في معركته الانتخابية.

والظاهرة الثانية هي نجاح خالد العظم عن دمشق بأصوات لم يكن يحلم بها وقد علل خالد العظم هذه الظاهرة تعليلا ناقصا حيث عزا نجاحه الى عاملين اثنين:

1- تأييد الفعاليات الاقتصادية له لأنه بطل الانفصال الجمركي عن لبنان مما حقق للطبقة التجارية والصناعية مزيدا من الارباح.

2- البيان الانتخابي الذي رشح نفسه على اساسه والذي اعتبر متطورا جدا بالنسبة لعقلية الطبقة الرجعية في ذلك الوقت، والحقيقة أن عاملا آخرا كان سببا في هذا النجاح وهو انفصال خالد العظم عن الطبقة الرجعية التي كان يقودها شكري القوتلي، وقد تجلى ذلك بعداء القوتلي وجماعته له في الانتخابات مما رفعه الى موضع ثقة الجماهير باعتباره خارجا على الطبقة ومعاديا لسياسة الاحلاف والمشاريع المشبوهة.

والذي يدعو الى التساؤل : كيف ان حركة البعث العربي الاشتراكي قد عكست آثارها على نجاح خالد العظم وخالد بكداش في الوقت الذي كان فيه مرشح الحزب وأحد قادته ومؤسسيه يدخل الانتخابات التكميلية ثم يفوز بالنيابة عن دمشق بأصوات أقل من المرشحين الآخرين؟ ولا بد لتفسير ذلك من الرجوع إلى الوراء قليلا :

ظل حزب البعث حتى عام 1954 غريبا عن دمشق الا في أوساط الطلاب والمثقفين وقد كان قادة حزب البعث بعجزهم عن تعليل هذه الظاهرة ومعالجتها يعتبرون دمشق مدينة رجعية مع ان تعليل هذه الظاهرة ومعالجتها كان أمرا ميسورا.. فبعد أن زالت

الثقة بالكتلة الوطنية كحركة سياسية تحررية، انتقلت القيادة الى الطبقة التجارية والصناعية بتحالفها مع العلماء والمؤسسات الدينية، وعلى الرغم من أن دمشق العاصمة هي اكبر المدن السورية وأكثرها حضارة وعراقة ورقيا وتمثلا للفكرة العربية وتطلعا للوحدة واشدها تطورا اجتماعيا واقتصاديا مما يفسح المجال أمام الحزب ليلف حوله الفئات والقوى الشعبية وينتزعها من المؤسسات البورجوازية التجارية والصناعية والمؤسسات الدينية الرجعية فإنه ظل معزولا عنها لعجز قيادته الذاتية وعدم قابليتها لقيادة الجماهير الشعبية.

إن انتخابات عام 1954 أخرجت حزب البعث من قوقعته مما كان مقدمة لفوز رياض المالكي فوزا ساحقا بعد سنتين بالنيابة عن دمشق في انتخابات فرعية أمام الشيخ مصطفى السباعي المرشح القوي ورئيس الاخوان المسلحين ومرشح الرجعية السورية والعربية على السواء، وهنا يبرز دور القيادات في معارك الشعوب ضد الرجعية والاستعمار.

هذا في دمشق أما في حلب فعلى الرغم من نجاح حزب الشعب وعدم نجاح مرشحي حزب البعث العربي الاشتراكي للأسباب التي ذكرناها سابقا فإن الاصوات التي نالها زعيم حلب رشدي الكيخيا كانت أقل مما ناله رفاقه الآخرون الذين هم من منشأ شعبي مع أن رشدي الكيخيا هو الذي أبرزهم وكان عاملا في وجودهم السياسي ونجاحهم عن حلب في الماضي، مما أثر في نفسيته كثيرا وأضعف زعامته على حزب الشعب فتخلى عن دوره القيادي لزميله ناظم القدسي.. وقد كان هذا التحول الذي ظهر في انتخابات سورية عام 1954 مدار تعليقات وحذر وخوف في دوائر الاستعمار والرجعية العربية مما عرض سورية لمؤامرات متلاحقة صمدت لها واحبطتها جميعا وانتهت بقيام الوحدة مع مصر عام 1958.

رئاسة المجلس النيابي .

كان النواب لا يزالون متأثرين بجو الانتخابات النيابية عندما توافدوا الى دمشق لحضور جلسات البرلمان الجديد، وقد استعرضت مع خالد العظم وأسعد هارون وعبد الباقي نظام الدين اسماء النواب الموالين لنا فبلغ عددهم 80 نائبا ولذلك اقترحت عليهم ترشيح سعيد الغزي لرئاسة المجلس النيابي لتأتي رئاسة المجلس منسجمة مع النتائج التي اسفرت عنها الانتخابات. وقد كان الغزي شخصا مضمونا ومقبولا من الأكثرية المجلسية بعد أن برهن على نزاهته وتجرده ومحافظته على عهوده في إجراء انتخابات حيادية حرة نزيهة ولا أدل على ذلك من سقوط الغزي نفسه ثم نجاحه في المعركة التكميلية، ولكن حزب الشعب كان يعرف مقاتل خالد العظم جيدا لذلك أرسلوا له علي بوظو يعرض عليه تعاونهم معه وايصاله إلى رئاسة الحكومة لقاء تأييد مرشحهم ناظم القدسي لرئاسة المجلس، وقد قبل خالد العظم بهذه المساومة من وراء ظهري لأنه يعرف انني لا أثق بوعود حزب الشعب ولا تجوز علي مقالبهم.

وقبل انعقاد أول جلسة للمجلس الجديد بتاريخ 54/10/14، وبينما كنت ورفاقي نواب حزب البعث نقنع النواب بانتخاب سعيد الغزي لرئاسة المجلس لاحظت غياب سعيد الغزي وأنه لم يقم بأي نشاط ولشد ما كانت دهشتي عظيمة عندما لاحظت، ان خالد العظم وجماعته (الكتلة الديمقراطية) يدعون لناظم القدسي مما لم أجد معه سبيلا إلا تبديد الاصوات فأوعزت للحزبيين بوضع أوراقهم بيضاء في صناديق الاقتراع كما تركت للموالين حرية الاختيار.

وقد علمت بعد الجلسة أن خالد العظم قد اصطحب معه صلاح البيطار فعقد في احدى قاعات المجلس النيابي مع مندوبي حزب الشعب وهم ناظم القدسي وفيضي الاتاسي وعدنان الأتاسي اجتماعا كان الوسيط فيه أسعد هارون فتم الاتفاق بين الجانبين أن يؤلف خالد العظم الوزارة لقاء تأييد ناظم القدسي لرئاسة المجلس، وغير دقيق ما ورد في مذكرات خالد العظم عندما يقول :

"إن القدسي لم يبد معارضته لهذا الاتفاق إلا أن زميليه لم يبديا موافقة صريحة فأدخل موقفهم هذا الشك في نفوسنا، ولكن ضيق الوقت لم يسمح لنا باستجلاء واقع الأمر وانفض الاجتماع لنشترك في انتخابات رئيس المجلس. فقلت للقدسي : انني واخواني سننتخبك على كل حال فآمل أن يكون التعاون بينكم وبيننا صحيحا ومفيدا فشكرني ووعدني بذلك، ولما دخلت قاعة المجلس لاحظت أن الانتخاب قد بوشر به ولحظت أن الحوراني واخوانه ينتخبون سعيد الغزي وان غيرهم من اخواني يفعلون ذلك فقلت لهم بأن لا يجوز أن ننقض ما اتفقنا عليه مع القدسي وأسرعت الى تدارك الأمر مع الاخوان الذين لم يكونوا قد القوا بطاقات تصويتهم، فأعلن فوز القدسي برئاسة المجلس بـ (78) صوتا ولا ريب في أن هذا النجاح لم يكن ليحرزه لو لم أتدخل مع رفاقي لمصلحته" (ص 301 الجزء الثاني) نال سعيد الغزي 34 صوتا ووجدت (18) ورقة بيضاء لحزب البعث و (10) أصوات متفرقة وهكذا كان ضعف خالد تجاه الحكم وتردده وانسياق صلاح البيطار مع خالد العظم سببا في فوز الشعبيين بالرئاسة الثانية الأمر الذي يخالف نتائج المعركة الانتخابية العامة. فأصبح الشعبيون مسيطرين على الرئاسة الأولى والثانية، وقد أثر هذا الخطأ على السياسة العامة في البلاد فيما بعد تأثيرا بالغا.

إن نجاح الشعبيين في رئاسة المجلس أعاد للأحزاب الرجعية اعتبارها وأظهرها بمظهر القوي الذي لا يزال مهيمنا على شؤون البلاد، وهي خطيئة كبرة ارتكبها خالد العظم بحق نفسه وحق البلاد.

رئيس الجمهورية يشترك بالمناورات الشعبية .

شرع رئيس الجمهورية بعد أن قدمت وزارة الغزي استقالتها وبعد أن فاز حزب الشعب برئاسة المجلس بإجراء استشارات لتشكيل حكومة جديدة فعقدنا بتاريخ 54/10/17 اجتماعا مشتركا للهيئة البرلمانية الحزبية مع قيادة الحزب وبعد استعراض ما دار في اجتماع الاحزاب والكتل النيابية أصدرنا قرارا بعدم الاشتراك في الحكم، وأعلنت ذلك في التصريح التالي :

قرر حزب البعث الاعتذار عن الاشـتراك فـي الـوزارة الجديـدة وقدكلف الدكتور وهيـب الغـانم بتبليـغ الأحـزاب والكتـل المجلسـية قرار الحزب، وأضفت قائلا :

ان حـزب البعـث مـا زال عنـد رأيـه الأول الـذي ابـداه لـرئيس الجمهورية عندما استشاره في الموقف السياسي وخلاصته : انه من المستحسن تأليف حكومة من المستقلين تشترك بها عناصر نظيفة ذات كفاءة من داخـل المجلـس وخارجـه، وان الحـزب علـى استعداد لتأييد كل حكومة تقدم برنامجـا يتفـق مـع مصـلحة الـبلاد على أن تتولى الأيدي النظيفـة تنفيـذه" وقـد اسـتمرت اجتماعاتنـا مع ممثلي الأحزاب والكتل المجلسية وكنا نصر علـى تكليـف أحـد شخصين : خالد العظم أو سعيد الغزي بتشكيل الحكومة، فتظاهر حزب الشعب بالموافقة على تكليـف خالـد العظـم -تنفيـذا لوعـوده لـه- فأصـدر رئـيس الجمهوريـة بلاغـا بتكليفـه وعندئـذ بـدأ حـزب الشعب يدير خالد العظم في الحلقـة المفرغـة ممـا اضـطره أخيـرا للاعتذار فقد اشترط لتعاونه مع العظم أن يشترك حزب البعث فـي الحكومة وهم يعلمون أن الحزب قرر عدم الاشتراك، وكـان الاسـتاذ ميشيل بصورة خاصة مصرا علـى هـذا الموقـف، فأقنعـت الاسـتاذ صـلاح البيطـار -لكشــف خـداع حـزب الشــعب- أن نبلغـه قبولنـا الاشتراك في الحكومة بداعي أننا لا نريد أن نكون حجر عثـرة فـي طريق تشكيلها إذا ضمنا وضـع برنـامج تقـدمي، فاسـتمهلنا حـزب الشعب لاجتماع مكتبه التنفيذي ثم ابلغنا رفضه الاشتراك فـي أي حكومة يؤلفها خالد العظم وهكذا كشـفنا خداعهم وألاعيهم بالوقت الذي كانت فيه أجهزة الاعـلام خـلال الأزمـة تحملنـا مسـؤوليتها .. ولذلك أصدرنا البيان التالي :

إن حزب البعث العربي الاشـتراكي الذي يـؤمن بـأن الشـعب هو المرجع الأول والأخير في حياتنا القوميـة والسياسـية وبـأن أول وأخطر واجب يترتـب علـى الاحـزاب السياسـية هـو تنـوير الشـعب وإنماء وعيه وتأهيله لحمل مسؤوليات قضـيته القوميـة عـن معرفـة ووضوح يرى من واجبه أن يعرض علـى الـرأي العـام مراحـل الأزمـة الوزارية الحاضرة والموقف الواضح الذي وقفه حزبنا منها، وإننا نثـق

بأن وعي الشعب وإخلاصه كفيلان بتبديد ما روجه ذوي الاغراض من شائعات مختلفة وتشويش مقصود وكفيلان أيضا بالوقوف في وجه ما قد يدبر له ضد حريته وأمانيه القومية.

عندما استدعى رئيس الجمهورية ممثلي الكتلة البرلمانية للحزب (اكرم الحوراني وصلاح البيطار) واستشارهم في كيفية تشكيل الحكومة الجديدة كان جوابهم ان الحزب ما زال أقلية في المجلس النيابي، وأن مهمته الحقيقية في هذه المرحلة تمثيل المعارضة الواعية البناءة ومراقبة الحكومة وتحذيرها من الاضرار بمصلحة الشعب وتجاهل حاجاته المشروعة الملحة، وأن الحزب بالرغم من ذلك كله لن يتأخر في هذا الظرف الدقيق عن منح ثقته في المجلس لكل حكومة مؤثوقة في اشخاصها تقدمية في منهاجها، تتعهد بتنفيذ صادق لبعض الاصلاحات الضرورية في مدة محدودة من الزمن.

وقد كان هذا جوابنا أيضا للسيد خالد العظم عندما آل إليه، أمر تشكيل الوزارة إلا أن الحزب الوطني رفض التعاون مع السيد العظم بأي شكل من الاشكال وحزب الشعب علق اشتراكه في الحكومة على اشتراك جميع الاحزاب والكتل مع علمه برفض الحزب الوطني الاشتراك في حكومة يؤلفها خالد العظم، ولا بد من أن نسجل ان صحف الاحزاب ظلت طوال الأزمة الوزارية تعزو السبب في تأخر تشكيل الحكومة الى امتناع حزبنا عن الاشتراك فيها.

وأخيرا أظهر لنا السيد خالد العظم صعوبة الأزمة وتعقدها وأن حزب الشعب وعده بالاشتراك في الحكومة فيما لو وافق حزبنا على الاشتراك فيها، وبما أننا قد فوتحنا من قبل حزب الشعب قبل تكليف خالد العظم برغبة هذا الحزب في الائتلاف مع حزبنا في الحكم فقد عدنا الى الاتصال ظهر أمس بأمين حزب الشعب وأخبرناه باستعدادنا للاشتراك معه حرصا على حل الأزمة فاستمهل حتى يجتمع مكتبهم التنفيذي ثم حمل إلينا مساء جواب حزبهم بالرفض... إننا نضع أمام الرأي العام هذه الحقائق ليحكم عليها .. (الرأي العام 22-10-54).

وهكذا استمرت الأزمة الوزارية المصطنعة حتى تم تكليف فارس الخوري بتأليف الحكومة في تاريخ 25-10-54، وعندها أصدر الحزب بيانا جاء فيه ما يلي :

1- إن تكليف الاستاذ فارس الخوري بتأليف أول وزارة تنبثق عن الدور التشريعي الجديد وهو المعروف بصلاته الوثيقة مع الفئات السياسية الرجعية المحترفة يعتبر بمثابة قلب مقصود للاتجاه الذي عبر عنه المواطنون في الانتخابات الأخيرة.

2- ان اختيار رجل من خارج المجلس لتأليف أول حكومة جاءت بعد نسف العهود غير الدستورية المشروعة، وبعد عودة الحياة النيابية الصحيحة سابقة خطيرة تضعف أسس النظام النيابي الديمقراطي الذي اجمع الشعب على التمسك به.

3- لقد كان جديرا بالاستاذ فارس الخوري قبل أن يقبل مبدئيا مهمة تأليف الوزارة الجديدة أن يذكر أن الازمة الوزارية لم تتعقد لأسباب شخصية، وانما كانت البرامج الانشائية والخطوات الديموقراطية والسياسة الخارجية التي يجب أن تنتهجها بلادنا هي العوامل الاصلية التي يعيرها حزب البعث العربي الاشتراكي الاهتمام الأول في حين كانت بعض الاحزاب والكتل البرلمانية تعتبر الأزمة منبثقة عن رغبتها في ايصال مرشح معين الى منصب رئاسة الجمهورية السورية عن طريق المناورات (المقصود شكري القوتلي) ولهذا فإن اقدام فارس الخوري على تحمل أعباء الحكم يعتبر تحديا لمجلس النواب ولإرادة الشعب الذي لا يقبل أن تساعد مناورات السياسيين المحترفين على تحوير الاتجاه الواضح لقضيته ولطم الخطوة التقدمية التي ربحها في الانتخابات النيابية الأخيرة.

4- إن بيان حزب الشعب الذي أذيع قبيل تكليف الاستاذ فارس الخوري واعلن فيه الشعبيون انهم يقبلون بكل من يكلفه رئيس الجمهورية بتأليف الوزارة الجديدة بلا قيد ولا شرط، انما هو مؤامرة مفضوحة لم يعمد إليها الشعبيون إلا بعد أن بقوا عدة ايام يرفضون كل حل انشائي للازمة تمهيدا لهذا الاختيار الأخير.

وأخيرا ألف فارس الخـوري حكومتـه بتـاريخ 29-10-54 علـى النحو التالي

فارس الخوري	رئيسا لمجلس الوزراء
فيضي الاتاسـي	للخارجية
منير العجلاني	للمعارف
مجد الدين الجابري	للاشغال العامة والمواصلات
أحمد قنبر	للداخلية
رشـاد جبري	للدفاع الوطني
علي بوظو	للعدل
محمد سليمان الأحمد	للصحة والاسعاف العام
فاخر الكيالي	للاقتصاد الوطني
رزق الله انطاكي	للمالية
عبد الصمد الفتح	للزراعة

وقد القى فارس الخوري بتاريخ 1-11-54 بيانه الوزاري بما لا يخـرج بمضمونه عن البيانات الوزارية المعهودة وقد قررت الهيئة البرلمانية لحزب البعث العربي أن يتكلم أكثر اعضائها وان تبذل نشـاطا كبيـرا لحجب الثقة من الوزارة، كما هيأنا لمظاهرة تحيط بالمجلس خـلال جلسة مناقشة البيان الوزاري الذي حدد موعده يوم 3-11-54.

كنت في هذه الجلسة أول المتكلمين وقد ألقيت كلمه فيما يلي بعض مقاطع منها :

عند البحث عن حجب الثقة أو منحها للحكومة يحسن بنـا أن نرجـع الـى نتـائج الانتخابـات التـي انبثـق عنهـا هـذا المجلس وهي نتائج توضح بلا شـك أن الشـعب اتجـه فـي الحقل الداخلي إلى حكم ديموقراطي صحيح مسـتند إلـى احكـام الدسـتور والقـانون لاجـراء الاصـلاحات التـي تجعـل الديموقراطية حقيقـة واقعـة، وفـي الحقـل الخـارجي الـى

رفض الاتفاقات والمحالفات والارتباطات وكل المشاريع الاستعمارية رفضا باتا، رفضا قاطعا، مدفوعا بألمه من كارثة فلسطين وبايمانه ان كل ارتباط بالمشاريع الغربية انما هو تثبيت لقدم الاستعمار الغربي في الوطن العربي وزج بأبناء الشعب العربي في اتون حرب لا تبقي ولا تذر لمصلحة اولئك المسؤولين عن كارثة فلسطين وعن استعمار الوطن العربي واستغلال خيراته.

وإنه في الوقت الذي جرت فيه انتخابات سورية وتألفت حكومتها، حل مجلس النواب العراقي دون أن يجتمع جلسة واحدة وأجريت انتخابات في العراق في ظل الاحكام العرفية وخرج نوابها بالتزكية، واجريت انتخابات في الأردن اصطنعت مجلسا بالرصاص والدبابات والدماء على حساب حرية الشعب، وقام نوري السعيد - جلاد الشعب في العراق- برحلة الى بريطانيا وتركيا كتبت بعدها الصحف التركية الشبيهة بالرسمية انها "تستهدف ارجاع الأوضاع الى طبيعتها بعد الانتخابات التي نجح فيها نواب يساريون، وبدأت الدول الغربية كما أعلن الأمين المساعد للجامعة العربية بالاتفاق على مشروع دفاعي تقدمه للجامعة، وبدأ وكيل وزارة الخارجية البريطانية رحلة الى البلاد العربية تستهدف إزالة التوتر بين العرب واسرائيل -اي السعي لاقامة صلح معها- وكذلك تحقيق مشروع دفاعي عن الشرق الأوسط.

في مثل هذا الجو، وتحقيقا لإرادة الشعب كما دلت عليها الانتخابات عملنا على تأليف حكومة من اكثر أحزاب المجلس وكتله يكون فيها الضمان لتحقيق اهداف الشعب : ضمانة اشخاص وضمانه منهاج.

اتصلنا بحزب الشعب فاشترط لقبول الائتلاف بضعة شروط كان منها الخلاص من امتياز البنك السوري نهائيا وجعل اصدار الأوراق في يد الدولة، وقد حمل إلينا هذه الشروط السيد رشاد برمدا فقلنا له اننا نرحب بذلك لاننا نرحب بكل ما يحرر البلاد اقتصاديا وماليا ومما يدعو إلى الدهشة أن يخلوا البيان الوزاري الآن من هذا الطلب كأن حزب الشعب قد تنازل عنه، وأن يكون

رئيس الحكومة الحالية عضوا في مجلس إدارة البنك السوري ولا أدري هل تقدم دولته بالاستقالة من هذا المنصب تنفيذا لأحكام الدستور أم أنه لا يزال فيه مع ما في ذلك من مخالفة دستورية.

أما الشرط الثاني لحزب الشعب فكان أن يدخل حزبنا الحكومة وقد قبلنا بمطلبهم تسهيلا للأزمة فما كان منهم إلا أن تراجعوا متعللين بأنهم حزب وسط وليسوا مستعدين للميل ذات اليمين (الحزب الوطني) ولا ذات اليسار (البعث العربي الاشتراكي) وبعد 17 يوما من الأزمة مال حزب الشعب ذات اليمين فتألفت الحكومة الحاضرة فما كان اغنى حزب الشعب عن هذه الازمة..

إن البيان الوزاري الذي تقدمت به هذه الوزارة أتى صورة صحيحة عن تأليفها إذ تتجلى فيه المواربة والمغالطة ويتجلى التناقض والغموض والاستهتار بالنواب والأمة".

كما ورد في الخطاب أيضا دراسة تفصيلية لبعض نواحي البيان :

1- **ان اول شرط الاستقرار هو أن تكون المجالس النيابية والحكومات صادقة التعبير عن إرادة الشعب فلا يكون كل في واد، وتأييد المجالس السابقة للحكومات لم يمنع الانقلابات لأنها لم تكن صادقة التعبير عن هذه الإرادة..**

2- ان تشكيل حكومة من حزب الشعب والحزب الوطني لا يمثل الاتجاه الشعبي الصحيح لأن الشعب جعل الحزب الوطني - الذي كان يشكل اكثرية ساحقه- حزبا ضئيل العدد كما انقص عدد نواب حزب الشعب.

3- لو صح أن الدستور برنامج للجميع ، لأصبحنا جميعا حزبا واحدا ولا أدري إذا كانت الحكومة تستهدف هذا المعنى وتقصد القضاء على الاحزاب السياسية فتجعل من المجلس حزبا واحدا برنامجه الدستور.

4- هل تعنى وحدة الصف العربي التي تريدها الحكومة أن ترضى عن حكومة أبي الهدى وحكومة نوري السعيد؟ وهل تنسجم مع اليمين التي اقسمنا عليها بالعمل لتحقيق وحدة الاقطار العربية هذه الوحدة

التي لا تتحقق إلا بزوال الحكومات الرجعية العربية التي اصبحت أداة للاستعمار؟

5- الحديث عن تنظيم علاقاتنا الخارجية على أساس مصلحة الأمة العربية عامة وسورية خاصة موارية محضه، ان كل الحكومات الرجعية العربية تبرر ارتباطاتها بالغرب بهذه العبارات الغامضة نفسها لأنها يمكن أن تبرر أي تحالف ..

- ان الحديث عن السياسة الدفاعية وصيانة الحريات العامة وتعديل قانون العمل لا نستطيع ان تصدق شيئا منه لأن الحكومة المالية هي امتداد للحكومة السابقة وهذه نعرف موقفها من تلك الشؤون .

- عندما كنت اشرح لدولة استاذنا فارس الخوري وضع المجلس وصعوبة نوال حكومته الثقة قال لي: (إن الحكم يجمع النواب ، فأجبته: إن الشعب قد تطور والمجلس تطور وأن الحكم غير الشعبي لم يعد "يجمع" واني لأرجو أن يثبت المجلس لأول مرة أن الحكم لم يعد يجمع فتكون تلك السابقة الأولى في تاريخ المجالس العربية: أن يكون اسقاط الحكومات في يد المجالس وألا تتألف وتزول وكأن المجلس لا وجود له. تلك هي الطريق لكي يقوم في بلادنا حكم ديموقراطي صحيح".

عندما بدأ نائب البعث عبد الكريم وزهور بالكلام كان المتظاهرون قد وصلوا إلى المجلس النيابي وهم يهتفون بسقوط الاحلاف والاستعمار والحكومة فقاومهم رجال الشرطة بقسوة، فهمس خالد العظم بأذن رئيف الملقي أن الشرطة تطلق الرصاص على الطلاب المتظاهرين خارج المجلس، فصرخ الملقي كالمجنون في وجه وزير الداخلية قائلا له:

انت مجرم .. أنت سفاح - أنت تأمر الشرطة باطلاق الرصاص على الطلاب خارج قاعة المجلس وتريد أن نمنحك الثقة؟ ثم حصل هرج ومرج وخرج وزير الداخلية الى الشارع ليستجلي حقيقة الأمر ثم عاد ليقول : ان الدرك لم يطلقوا الرصاص وانما فرقوا المتظاهرين بأعقاب البنادق وأخذ يكيل للملقي أبشع الألفاظ ... وبعد أن كان جو المجلس مشحونا ضد الحكومة، عادت فاستردت انفاسها وأمسكت بزمام المبادرة، وبعد أن تكلم أحمد قنبر تبعه فارس الخوري الذي استدر عطف المجلس بعد أن تعهد له قائلا :

"أما من جهة الارتباط بتعهدات أو الدخول في التزامات مع دول أجنبية غربية كانت أم شرقية، فإنني اصرح من على هذا المنبر بأنني عدو لها ولن أوافق عليها ما دمت في هذه الوزارة، وإذا قدم لي شيء من هذه العروض التي لم تصل إلينا بعد أو لوح لنا بها ولو بالاشارة فإننا نرفضها رفضا باتا."

ولكن تصريح الخوري لم يعجب اعضاء الحكومة وقد تبدى ذلك على وجوههم حيث تلقوه بالاستغرب والدهشة والاستنكار. ولكن الخوري عاد فأكد تعهده بشكل قاطع فكان لذلك أثره في نوال حكومته الثقة بـ (84) صوتا مقابل (48) صوتا للمعارضة. وكان لتظاهر خالد العظم بالتهذيب والترفع، والعطف على فارس الخوري على حساب رفاقه في المعارضة أثره ايضا في نوال حكومة الخوري هذا العدد الكبير من الاصوات، وقد اتصل بي فارس الخوري بعد اليوم الثاني لنوال حكومته الثقة وأبلغني أنه استقال من عضوية إدارة البنك السوري.

كان لهذه الجلسة أثارها البعيدة إذ قللت من أهمية انتصار الرجعية في الاستيلاء على رئاسة المجلس والحكومة، وأظهرت تحولا في أوضاع البلاد، وأبرزت قيادات جديدة شابة ذات جدارة وكفاءة كالاستاذ عبد الكريم زهور والاستاذ خليل كلاس والدكتور وهيب الغانم، كما كان خالد بكداش موزونا ومعتدلا في آرائه فأظهر أن الشيوعية ليست انسلاخا عن شؤون المجتمع ومشاكله، وخلاصة القول فقد كان لهذه الجلسة ما بعدها في تاريخ البلاد.

1954 : سـورية تـرفض المسـاعدات الغربيـة ومشـاريع الـدفاع البريطانيـة والأميركيـة - مصـر وبريطانيا توقعان اتفاقية الجلاء عن قنـاة السـويس- محاولـة اغتيـال عبـد الناصـر- إعـدام قـادة الأخـوان المسلمين- ورود الانباء عن بدء الثورة في الجزائر .

في الربع الأخير مـن عـام1954 بـدأت سـورية تواجـه احـداثا عربية ودولية مصيرية فكان على الحزب أن يتحمل مسؤولياته، بعد أن وضعه الشعب إثر الانتخابات في الصف القيادي الأول، فما هـي هذه الاحداث وما هو موقف الحزب منها؟

المشاريع البريطانية الاميركية والأحداث العربية.

اسـتمرت بريطانيـا فـي محاولاتهـا تنفيـذ مشـاريعها فـي المنطقـة العربيـة، ممـا كـان يقتضـي اسـتدراج سـورية لمنطقـة نفوذها، وخلال زيارة نوري السـعيد لتركيـا التـي بحـث فيهـا قضـايا الحلف التركي الباكسـتاني والتـي انتهـت بتـاريخ 54/11/17 صـرح نوري السعيد بما يلي :

"إن سياسة العراق الخارجية تقوم على أسـاس الصـداقة المتينـة مـع تركيا وإيران، وإن سياسة الحياد الايجابي ستكون مجرد وهم، وأن التعاون مـع الغـرب أمـر ضـروري ومفيـد جـدا بعـد أن تـتم تسـوية قضـية الجـلاء عـن قنـاة السويس وتسوية قضية فلسطين:

وقد كتبت بعض الصحف الايرانية خلال الزيارة نبأ لمراسـلها فـي انقـرة يقول: "إن نوري السعيد اقترح اثناء زيارته الأخيـرة لتركيـا عقـد تحـالف دفـاعي يربط كلا من العراق وتركيا وإيران والباكستان بالولايات المتحـدة وبريطانيـا، وأن هذا الاقتـراح قـد لاقـى موافقـة وزارة الخارجيـة الاميركيـة عنـدما عـرض علـى حكومة واشنطن، وأن فوسـتر دالاس وزيـر الخارجيـة الاميركيـة يعتـزم الحضـور إلى عواصم الدول المعنية بالأمر في الشرق الأوسط لبحث شروط تنفيذ هـذا الحلف".

كانت مساعي نوري السعيد مترافقة مع جولة قام بها (ايفلين شاكبورغ) مساعد وزير الدولة البريطاني لشؤون الشرق الأوسط في البلاد العربية واسرائيل وأنهاها لعقد مؤتمر للديبلوماسيين البريطانيين في بيروت للبحث في النقاط التالية :

1- رد الفعل العربي على المحاولة البريطانية للتسوية بين العرب واسرائيل.

2- موقف الدول العربية من التعاون مع الغرب في ظل حلف للدفاع عن الشرق الأوسط.

3- دراسة إمكانية تحقيق الاتحاد السوري العراقي من خلال الموقف الجديد لسورية بعد الانتخابات الأخيرة وعلى ضوء معارضة مصر والسعودية لهذا المشروع.

4- دراسة أوضاع شركات البترول البريطانية وعلاقتها بالشركات الأميركية.

وهكذا كان الوضع الجديد في سورية محور البحث بالنسبة للسياسة التي تزمع بريطانيا انتهاجها في منطقة الشرق الأوسط.

بيما كان المستر ألن مساعد وزير الخارجية الاميركي يعد مؤتمرا لدبلوماسيي الولايات المتحدة في دمشق، وكانت السياسة الأميركية تعتبر قبول الدول العربية للمساعدة الاقتصادية والعسكرية بمقدار لا يتعدى بعض الاسلحة الخفيفة التي تصلح فقط لحفظ الأمن الداخلي والتي لا تثير خواطر اسرائيل وسيلة لارتباط العرب بها.

أما الضغط على الدول العربية للصلح مع اسرائيل فإن الولايات المتحدة -كما يبدو- كانت مقتنعة بعدم استطاعة أي حكومة عربية عقد الصلح في تلك الظروف، ولذلك فإن كل ما أصبح مطلوبا من اسرائيل هو أن تحد من عدوانها على العرب، مقابل أن تكف الحكومات العربية عن دفع حق العرب في فلسطين الى الصف الأول من مطالبها، وتحويل المطالبة بتنفيذ مقررات

الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين إلى ما يشبه الحديث الموسمي عن وعد بلفور.

من ذلك يتبدى اتفاق الدولتين بريطانيا والولايات المتحدة في الموقف العدائي الذي يتمثل في حمل العرب على قبول المساعدات العسكرية والاقتصادية وعلى مهادنة اسرائيل، على الرغم من اختلافهما على مناطق النفوذ الذي كان يتجلى في صيغة الاحلاف العسكرية.

لقد أعلنت جميع الحكومات العربية قبول المساعدات العسكرية والاقتصادية من الولايات المتحدة وبريطانيا ما عدا سورية التي بقيت صامدة وظلت ممتنعة عن قبولها.

وفي تاريخ 22-12-54 وصل الى دمشق وزير الخارجية العراقي موسى الشابندر لاقناع المسؤولين بالحصول على المساعدات الغربية والقبول بسياسة الاحلاف ومشروع الاتحاد السوري العراقي اللذين كانا موضع الخلاف بين بريطانيا والولايات المتحدة والمحاور العربية.. وقد صرح وزير خارجية العراق اثر انتهاء مباحثاته في سورية قائلا :

"أخذت بعض الصحف في شتى الاقطار العربية تتحدث في أمر التعاون مع الغرب كأن ذلك بدعة جديدة، أو كأنه نتج عن الاجتماعات الأخيرة للجامعة العربية، والواقع أن العرب متعاونون فعلا مع الغرب منذ نشأتهم السياسية، وليس هنالك دولة غير متعاونة بشتى الطرق مع الغرب، وأنه قد حان الوقت لتنظيم وتنسيق هذه العلاقات العربية الغربية، وإذا ما تم ذلك ستكون الفائدة شاملة وعامة، ويكون ذلك التعاون إحدى وسائل التقارب ما بين الشعوب العربية نفسها بدلا من أن يكون سببا للتفريق، بالنظر إلى التزاحم الموجود بين الغربيين أنفسهم في اسداء تلك المساعدات".

كما أذيع من القاهرة في هذه الفترة بتاريخ 12-10-1954 "بأن رجال الأمن في الدول العربية سيعقدون مؤتمرهم خلال شهر كانون الأول القادم للبحث في وضع خطة موحدة للبحث في مكافحة الشيوعية، وأن اللجنة السياسية للجامعة العربية كانت قد أوصت في دورة عام 1951

بالتعاون فيما بينها للقضاء على الشيوعية" وقد كان مفهوما أنه مع مكافحة الشيوعية مقاومة القوى العربية التقدمية.

كنا على ادراك تام بما كان يبيته الاستعمار لبلادنا.. ولذلك كانت التحركات البريطانية والاميركية موضع رصدنا وانتباهنا ونضالنا، وقد كان إحباطها الموضوع الرئيسي لنضالنا على جميع المستويات، الشعبية والمجلسية والحكومية والصحافية.. مما دعا رئيس الوزارة الاستاذ فارس الخوري في الجلسة المنعقدة بتاريخ 4-12-54 أن يصرح :

"أنني أؤكد للسيد الحوراني ولأعضاء المجلس بأنه لا يمكن أن يجري شيء في أيام وزارتنا ما يخشى منه الاستسلام إلى حلف أو معاهدة أو اتفاق يغير ما أبديناه في بياننا الوزاري في فقرتيه المكتوبة والشفوية" "أما الزائر البريطاني الذي تحدث عنه السيد أكرم الحوراني (ويقصد شاكبورغ) فلم يبحث معنا شيئا ولم يتقدم إلينا بشيء" "وأما المؤتمر الاميركاني أي مؤتمر سفراء الولايات المتحدة الذي يجتمع اليوم بدمشق فإنه يجتمع في السفارة الاميركية بصورة مكتومة خاصة بهم" "وأما إذا تذاكروا بإمورنا الخاصة وراحوا يقررون دفاعا مشتركا أو استثمارا للبلاد أو استعمارا، فلا يمكن أن نكون نحن المسؤولين عما يجري في سرهم وخفائهم، أما إذا أدى سرهم إلى علانية ، فإن الجواب يكون حاضرا تلك الساعة كما تعلمون، وكما سبق وأبدينا" "وقد اسلفناهم وأفهمناهم أن من العبث أن يتعرضوا لهذا الأمر".

في هذه الفترة وقعت مصر وبريطانيا بتاريخ 19-10-1954 اتفاقية الجلاء عن قناة السويس، وتعد هذه الاتفاقية بما رافقها من تفاصيل أطول الاتفاقات التي عقدت بين دولتين (تتألف من مئة وعشر صفحات من القطع الكبير، فيها مواد المعاهدة الثلاث عشرة وملاحقها والمذكرات المتبادلة الست عشرة ومحضر يختتمها) وقبل أن يعود السيد انطوني ناتنغ وزير الدولة البريطاني للشؤون الخارجية، وكان قد اشترك مع سفير بريطانيا في القاهرة في مفاوضات اتفاقية الجلاء وتوقيعها، عقد مؤتمرا صحافيا قال فيه مطمئنا إسرائيل :

"إن الاتفاق المصري البريطاني كما يعتقد لن يحدث أثرا في ميزان القوى في الشرق الأوسط" وأضاف "أن بريطانيا لا ترى مصر محقة في منع السلع غير الحربية من الوصول إلى اسرائيل عبر القناة، وهي ما تزال ترجو الوصول الى نقطة تنتهي بها حالة الحرب بين اسرائيل والعرب" ، وقال حين تناول حديثه الدفاع عن الشرق الأوسط: "إن العالم الحر يهتم بميثاق الضمان الجماعي العربي وبالميثاق التركي الباكستاني معا" وفي إشارة إلى ميثاق الضمان الجماعي قال:

"إن خير ميثاق للدفاع عن الشرق الأوسط ما نبع من الباطن ونما نموا طبيعيا، ونحن على أهبة لتقديم عوننا، ولكننا لا نستطيع فرض نظام دفاعي معين على الشرق الأوسط".

□

في ليلة الأربعاء 26-10-54 كنت جالسا في مقهى الروضة القريب من مجلس النواب أصغي للخطاب الذي كان يلقيه البكباشي جمال عبد الناصر في ميدان المنشية بالاسكندرية احتفالا باتفاقية الجلاء، وفجأة انطلق صوت رصاصات وحدث هرج ومرج ولكن عبد الناصر استمر بإلقاء خطابه، قائلا: "انني أموت من أجلكم ومن أجل مصر وأن جمالا أخر سيخلفني من بعدي وأن الثورة ستستمر" وقد أثر في نفسي موقفه وملابسات الحادث تأثيرا كبيرا وأصبحت الشكوك تساورني حول صحة تقييمي لهذا الرجل الذي كنت اعتبره ديكتاتورا عسكريا من صنائع الغرب مهمته تصفية الحركات الشعبية التقدمية في مصر العربية.

أعقب محاولة الاغتيال الفاشلة، اعتقال الألوف من الاخوان المسلمين وقادتهم، وقد أعلن زكريا محيي الدين بتاريخ 30-10-54 اعتقال الشيخ الهضيبي- مرشد الاخوان المسلمين، كما أقال مجلس الثورة بتاريخ 14-11-54 محمد نجيب من رئاسة الجمهورية ووضعه في الاقامة الجبرية، وتسلم عبد الناصر مهمام رئاسة الجمهورية، وقد كشفت محاكمات الأخوان ان محمد نجيب كان على علاقة بهم وأنه كان يعمل لإعادة الحياة النيابية ويعارض

اتفاقية الجلاء، بينما حكم على الهضيبي وستة آخرين من زعماء الاخوان المسلمين بالإعدام شنقا.

هزت أحكام الاعدام سورية من أقصاها إلى أقصاها، واجتمعت قيادة الحزب لتحديد موقفه من الاحداث الجارية في مصر وقررت إصدار البيان التالي :

"في هذه المرحلة التي أصبح فيها تعاظم النضال الشعبي، يتهدد الاستعمار ومصالحه في الوطن العربي بالزوال، يحاول الاستعمار جاهدا أن يحقق في كل قطر من أقطار الوطن العربي الاوضاع التي تضمن له التمكين لنفسه وحماية مصالحه واستمرار سيطرته التي تمكنه من تنفيذ خططه المرسومة في حماية هذه المصالح الاقتصادية والبترولية ومن تحقيق خططه العسكرية، وهي خطط تنطوي على طعن للقضية العربية في التحرر من الاستعمار والسير نحو الوحدة والحرية والاشتراكية. كما تهدف الى ربط الأمة العربية بأحلافه، وترمي لتصفية القضية الفلسطينية تصفية تنتهي بالصلح مع اليهود كضرورة تمليها مصالح الاستعمار والصهيونية.

من أجل ذلك، وجد الاستعمار ان السبيل لتحقيق أهدافه وخططه هو في كبت حرية الشعب النامية في هذه المرحلة، وتفاديه كل اتجاه نحو تحقيق وحدة النضال العربي المنبثق عن وحدة القضية العربية ووحدة شعور الأمة العربية بمصالحها ومشاكلها، ولذلك عمد الاستعمار إلى خلق الديكتاتوريات أو تشجيعها كما حدث في سورية، وكما هو حادث في مصر، ويبدو جليا للشعب العربي ان خطط الاستعمار مهما تنوعت أساليبها وأشكالها وسواء اعتمدت على الفئات الرجعية أم على الديكتاتورية فإنها تهدف في بلاد العرب إلى هدف واحد هو القضاء على الديمقراطية ومقاومة النهضة العربية الشاملة.

ليس الإرهاب الذي يعانيه الشعب العربي في مصر في ظل الحكم الديكتاتوري، وليست الآلام والمآسي التي يعانيها شعبنا من جراء مؤمرات الاستعمار والطبقة الحاكمة إلا الثمن الذي يقدمه الشعب العربي في سبيل إدراك الحقائق التي لا بد أن يرتكز عليها نضاله، حتى يؤدي مهمته التاريخية، فلا يفرق بين التقدمية والحرية، ولا يفصل هذين الهدفين عن وحدة مصيره ونضاله" (الرأي العام 7-12-54).

وقد قررنا الاشتراك في المظاهرات التي شملت جميع انحاء البلاد، كما قررنا أن نطلب من الحكومة التدخل رسميا لمنع تنفيذ أحكام الأعدام، ثم كلف الحزب نائبه الاستاذ خليل كلاس أن يثير في الجلسة التي عقدها المجلس بتاريخ 1954/12/4 قضية الحكم بالاعدام على زعماء الأخوان المسلمين فقال :

"نحن الذين نرى قضايا العالم العربي وحدة لا تتجزأ، ونحن الذين نرى في حرية مصر حريتنا، لا نرى في حديثنا عن احكام الاعدام واستنكارنا لها تدخلا في شؤون لا علاقة لنا بها، فالجرائم التي نسبت للاخوان المسلمين على فرض ثبوتها انما تعتبر جرائم سياسية، ولما كانت القوانين والاعراف لا تجيز احكاما كهذه على المجرمين السياسيين لهذا نطلب أن تتوسط الحكومة السورية لمنع تنفيذ أحكام الإعدام" وقد أيد المجلس بجميع فئاته أقوال الكلاس.

كنت في تلك الفترة رئيسا للجنة الموازنة كما كنت عضوا مؤثرا فعالا في لجنة الشؤون الخارجية، فعقدت لجنة الخارجية اجتماعا اتخذت فيه قرارا بإجماع اعضائها كلفت فيه الحكومة الاتصال فورا بالحكومة المصرية لإبلاغ رغبة سورية الاجماعية بعدم تنفيذ أحكام الاعدام، وقد بلغ رئيس الوزارة قرار لجنة الخارجية ورغبة المجلس والحكومة والشعب الى ممثل مصر في سورية.. ولكن عبد الناصر لم يلب هذا الرجاء، وأعلن اعدام الاخوان المسلمين الستة في صباح اليوم الثاني الذي أعلن فيه ابرام الاتفاقية المصرية مع بريطانيا، وقد قابل شهداء مصر الستة الموت بشجاعة وايمان.

لقد هز إعدام عبد الناصر قادة الاخوان المسلمين الضمير العربي والاسلامي والعالمي فعمت المظاهرات جميع أرجاء العالم العربي والاسلامي ودامت في سورية أكثر من أربعة أيام، وقد حمل حزب البعث بصدق لواء هذه القضية ، ولكن مما أوقعني في خيبة الأمل ما قاله لي الشيخ مصطفى السباعي :

إن البعث لم يكن مخلصا في موقفه وانه أراد أن يركب الموجة الشعبية.

وقد رافق هذا الاتهام الظالم حادثة وقعت في حماه إبان المظاهرات احتجاجا على تنفيذ أحكام الإعدام ، عندما اعتدى بعض الاقطاعيين المنتسبين للاخوان المسلمين على علم البعث العربي دون مبرر مما زادني اقتناعا بأنه لا يمكن الفصل بين الرجعية وبين الحركات الدينية وقد أضعفت هذه القناعة في نفسي التعاطف مع حركة الاخوان المسلمين.

الثورة في الجزائر .

بدأت الأنباء ترد منذ مطلع شهر تشرين ثاني عام 1954 عن اندلاع الثورة في الجزائر، وقد اعترف وزير الدفاع الفرنسي" ن الثوار دخلوا مدينة بطمة في سيارات كبيرة بينما دخلت وحدات أخرى مدينة خنشله" وقطعت أسلاك الهاتف وجردت رجال البوليس من اسلحتهم، وأضاف : "إن الموقف خطير جدا في مدينة ايريس، عاصمة منطقة الأوراس، وقد احتلتها قوات الثورة وأعلن أن مواجهة الثائرين في هذه المنطقة تحتاج إلى قوات كبيرة ووقت طويل" ثم بدأت الانباء ترد عن عجز الجيش الفرنسي عن قمع الثورة، وأخذت الحكومة الفرنسية تهدد مصر بفرض عقوبات اقتصادية إذا ظلت إذاعة صوت العرب في القاهرة تحض عرب شمال افريقيا على الثورة.

ألهبت أخبار الثورة الجزائرية مشاعرنا فتقدمت الى المجلس النيابي في 9-11-54 باقتراح جاء فيه " انسجاما مع أحكام الدستور، وتنفيذا لنصوصه بالعمل على تحقيق الوحدة العربية التي لا يمكن أن تتحقق الا بزوال الاستعمار في الوطن العربي، كان من واجب الحكومة السورية أن تعمل مع الدول العربية الأخرى صفا واحدا تجاه أعمال الطغيان والقمع التي ترتكبها فرنسا في الجزائر خاصة وشمال افريقيا عامة. وذلك بمقاطعتها اقتصاديا وثقافيا وسياسيا حتى تكف عن غيها في المغرب العربي وتصغي إلى مطالب الشعب الحقة بالحرية والاستقلال".

وقد ثنى الاستاذ صلاح على هذا الاقتراح وطالب: "أن تقود الجامعة العربية حملة المساعدات المالية، فتخصص كل دولة عربية من ميزانيتها الجزء الذي تستطيعه لمد يد المعونه

للمجاهـدين فـي تلـك الـبلاد" ثـم تتـابع جميـع ممثلـي الفئـات والاحـزاب فـي المجلـس يسـتنكرون عـدوان الاسـتعمار الفرنسـي ويشـيدون بنضال الشعب العربي في شمال افريقيا، وعندما اقتـرح الـدكتور معـروف الـدواليبي إرسـال برقيـة الـى مجلـس النـواب الفرنسـي عدت الى الموضوع قائلا :

"إننـي أؤيـد الـزملاء سـواء بإرسـال تحيـة إلـى المجاهـدين العـرب أو بإرسـال برقيـة إلـى المجلـس الـوطني الفرنسـي، كمـا أؤيـد جمـع التبرعـات ولكنني بصراحة لا أرى أن ذلك وحده ناجعا في مثل هـذا الموضـوع لأن قضـية الثورة فـي شـمال افريقيـا ليسـت حديثـه العهـد، بـل ان موضـوع الصـراع بـين القوى العربية الحرة وبين الاستعمار الفرنسي قد مر عليه وقت طويل، ولـذلك لا أريد أن يتكرر موقف المجلس من إثارة هذه المواضيع دون أن نحـدد الموقـف الذي يمليه علينـا الواجـب والشـعور القـومي وأنـا لا أرى سـبيلا إلـى ذلـك إلا بتصريح الحكومة بأنها سوف تعمل مع الحكومات العربيـة الأخـرى علـى اتخـاذ خطة موحدة لتحرير شمال افريقيا كمقاطعة فرنسا اقتصاديا وثقافيا وسياسـيا حتى ترجع عن غيها وعدوانها على الشـعب العربـي، فـنحن لا نريـد أن نظهـر مشاعرنا فقط بل نريد أن تتحد المواقف التي يستفيد منها اخواننا في شـمال افريقيا، وإذا لم يكن باستطاعتنا المسـاعدة العسـكرية فعلينـا علـى الاقـل أن نقوم بواجباتنا التـي يمكـن أن نقـوم بهـا، ولـذلك فـإنني أؤكـد اقتراحـي الـذي تقدمت به في هذه الجلسة وأطلب من الحكومة أن تحدد موقفها صراحة مـن هذا الموضوع الخطير".

أحال رئيس المجلس اقتراحـي الـى لجنـة الخارجيـة وتعهـد وزير الخارجية أن يقوم بجميع المساعي في جامعة الدول العربيـة لاتخـاذ الخطـوات الكفيلـة بتنفيـذ الاقتـراح، كمـا أرسـل المجلـس النيابي برقيتين احداها إلى المجلـس الـوطني الفرنسـي والثانيـة الى مكتب المغرب العربي في القاهرة.

كان ذلك الخطوة الأولى في سبيل دعم الثورة الجزائرية، ثم تبعتـه خطـوات أخـرى علـى مختلـف المسـتويات سـواء بالمـال والسلاح أو بالمقاطعة الاقتصادية أو بالاعلام والمواقـف السياسـية كما سيرد تفصيله فيما بعد.

108

1954 : محاولات استدراج سورية إلى المعسكر الغربي - لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب السوري تستجوب وزير الخارجية - سورية ترفض المساعدات الغربية وتحاول تمويل مشاريعها الانمائية من مواردها الخاصة- رئيس وزراء تركيا في دمشق بعد زيارة بغداد- إذاعة نبأ الاتفاق العراقي التركي والضغط على سورية للدخول في الاحلاف الدفاعية الغربية- موقف حزب البعث من الاتفاق.

الجامعة العربية تتخذ وسيلة لاستدراج سورية إلى احضان الغرب.

في أجواء الاحداث العربية اللاهبة في الأردن ومصر والعراق وشمال افريقيا، ورحلات نوري السعيد ووزير خارجيته، وفي جو انعقاد مؤتمر الديبلوماسيين الاميركيين والبريطانيين وتوقيع الاتفاقية المصرية البريطانية انعقد مجلس الجامعة العربية في القاهرة بتاريخ 29-11-1954.

كان لبنان مكلفا بالمبادرة لطرح المواضيع التي تهم كلا من بريطانيا والولايات المتحدة، فما أن وصل وزراء الخارجية العرب إلى مصر حتى أعلن ناطق باسم وزارة الخارجية اللبنانية بأن هناك مواضيع سيثيرها لبنان غير مدرجة في جدول الأعمال، ومن بين هذه المواضيع المساعي التي تقوم بها بعض الدول الكبرى لايجاد تسوية بين العرب واسرائيل وموقف العرب من التحالف مع الغرب بعد توقيع اتفاقية الجلاء المصرية البريطانية- والحلف التركي الباكستاني، وان وفد لبنان في الجامعة سيصر على بحث هذه القضايا في حال تجنب بعض الدول العربية الأخرى الخوض في بحثها، وقد كان هذا هو الهدف الحقيقي من اجتماعات مجلس الجامعة، أما جدول الأعمال لاجتماعات مجلس الجامعة فقد كان

ستارا لها، وقد انعقد مجلس الجامعة برئاسة الفريد نقاش وزير خارجية لبنان بينما انعقدت اللجنة السياسية برئاسة محمود فوزي وزير خارجية مصر.

وفي تاريخ 2-12-54 أذيع من القاهرة أنه طرأت تطورات هامة في مجلس الجامعة العربية وانقلب اجتماعها التقليدي الى مؤتمر جدي لحل المشكلات العربية على أسس صريحة وأنها تتجه في سبيل إقناع الحكومات العربية التي ما تزال (عاصية) بقبول مبدأ التعاون مع الغرب، وقد عزي هذا التطور الى المحادثات التي أدت إلى تفاهم ثلاثي بين مصر والعراق ولبنان.

وفي تاريخ 11-12-54 انتهت اجتماعات مجلس الجامعة العربية وخرج المجتمعون بقرارات روتينية وقرارات أخرى لم تكن موضع الاهتمام الحقيقي، واستمر مؤتمر وزراء الخارجية إلى ما بعد النصف الأول من شهر كانون الأول، وقد انتهت اجتماعاتهم بإعلان الاتفاق على جعل ميثاق الدفاع المشترك العربي الأساس الوحيد الذي ينظم شؤون الدفاع عن الدول العربية في حين ترك لكل دولة عربية على حدة أمر الاهتمام بالحصول على السلاح من الدول الغربية.

وفي هذه الفترة نشرت وكالة الاسوشيتد برس النبأ التالي :

"يقول العالمون ببواطن الأمور في سورية بأن من المرجح وقوع انقلاب آخر لأن ضعف الحكومة، والأزمة الاقتصادية الآخذة بالتفاقم قد تجعل حدوث انقلاب عسكري آخر أمرا لا بد منه" وقد تناقلت هذا الخبر وكالات الانباء العالمية والعربية، وكان نشر هذه الاخبار الكاذبة تهديدا للحكومة السورية التي جبن وزير خارجيتها عن القبول الصريح بالمساعدات العسكرية والاقتصادية في الولايات المتحدة الاميركية.

لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب السوري تناقش المقررات التي صدرت عن اجتمعات مجلس الجامعة العربية :

استغرقت مناقشة مقررات مؤتمر وزراء خارجية الدول العربية الذي عقد في القاهرة عدة جلسات استعرض فيها وزير الخارجية فيضي الأتاسي مقررات مجلس الجامعة كتكليف سورية بالادعاء على اسرائيل أمام مجلس الأمن لاغتصابها مياه الأردن وتحويل مجراه، وتكليف السعودية بإثارة قضية الجزائر أمام الأمم المتحدة، وتقرير ايجاد نظام موحد في البلاد العربية لمقاطعة اسرائيل، ومنها إنشاء مكتب للدعاية العربية في الولايات المتحدة، وطلب الحكومات العربية اعطاءها كميات من الأورانيوم للابحاث الذرية، بعد أن طلبت اسرائيل من الولايات المتحدة تزويدها بالأورانيوم، واعتبارها البحرين جزءا من العالم العربي بعد ادعاء ايران بأنها جزء من الامبراطورية الايرانية... ولما سألته عن قضايا المساعدات العسكرية والاقتصادية الغربية أجاب : لقد اتفق في مؤتمر وزراء الخارجية أن يترك الخيار لكل دولة عربية بأن تنهج السياسة التي تراها، وذكر أن العراق قد قبل بالمساعدات من الولايات المتحدة وأن الشحنة الأولى من السلاح قد وصلت فعلا إلى البصرة، وأن مصر قد تلقت من المساعدات الاميركية الاقتصادية ما قيمته 40 مليون دولار وانها تعمل للحصول على مساعدات أخرى كبيرة وتسعى للحصول على مساعدات عسكرية، ثم قال:

إن السعودية قد قبلت مشاريع النقطة الرابعة وهي تؤجر مطاراتها المهمة إلى الحكومة الاميركية، كما أن بترولها تستثمره الشركات الاميركية، والأردن أيضا وافق على المساعدات الاميركية الاقتصادية والعسكرية، أما لبنان فموقفه يتجلى في قبوله مشاريع النقطة الرابعة وفي الاتصالات التي تقوم حكومته للحصول المساعدات العسكرية.

لقد توليت في إحدى تلك الجلسات استجواب وزير الخارجية فسألته عما إذا كان قد دافع في المؤتمر عن وجهة النظر السورية القائلة بضرورة التزام الحياد بين المعسكرين وعدم قبول المساعدات ورفض مشاريع الغرب ما دام هنالك قضايا عربية مصيرية لم تتحقق، فقال إنه لم يحاول جعل نظرية سورية تسود

اتجاه الحكومات العربية التي خطت خطوات بعيدة في قبول مشاريع المساعدات أو الحصول عليها، ثم بدأ يتحدث عن شكوى الحكومات العربية من عدم استقرار الحالة في سورية واستمرار المظاهرات التي تقع فيها مما أساء إلى علاقاتنا مع كثير من الدول العربية والاجنبية، وضرب على ذلك مثالا بالمظاهرات التي قامت ضد إعدام الاخوان المسلمين والمظاهرات التي شجبت سياسة زاهدي في ايران ومظاهرات الاحتجاج على سلب لواء الاسكندرون: قلت له:

كان من الواجب أن تدافع عن الاسباب التي جعلت سورية ترفض التعاون مع الغرب والقبول بمشاريعه ومساعداته وأن توضح لأعضاء مجلس الجامعة حقيقة الحال في سورية التي هي اكثر استقرارا بالمعنى الديموقراطي الاصيل من أي بلد عربي آخر. لقد أراد وزير الخارجية من خلال استعراضه للموقف أو يوحي للجنة الخارجية بالمخاطر التي تحيط بسورية من جراء تمسكها بالحياد فقال :

"لقد فهمت من حديثي مع مستر ألن موفد الولايات المتحدة ومع شاكبورغ موفد بريطانيا أنهم غير مرتاحين لأوضاعنا".

ضحك خالد بكداش وقال :

" طبيعي ألا ترتاح الولايات المتحدة وبريطانيا من أوضاعنا طالما أن في المجلس ثمانية عشر نائبا اشتراكيا ونائبا للحزب الشيوعي فعلقت على ذلك:

لا يهمنا أن ترتاح الدول الاستعمارية لسياسة بلادنا، فنحن لسنا تبعا لأي دولة أجنبية، ولكن الذي يهمنا أن يرتاح شعب سورية والبلاد العربية إلى أن سياستنا تخدم مصالح العرب وتحقق أهدافهم القومية.

حضر ناظم القدسي رئيس المجلس بعض هذه الجلسات ليؤيد وزير الخارجية فتحدث بأسلوبه المتصف بالكثير من المواربة والتخويف والتيئيس عن هبوط شأن سورية الدولي بسبب عدم قبولها المساعدات، وعندما قال :

إن وزير الخارجية قد تقيد بسياسة البيان الوزاري، أجبته :

إن رئيس الحكومة في جلسة التصويت على الثقة صرح بأن حكومته ترفض سياسة التحالفات والاتفاقات والارتباطات والمساعدات عموما وأنه يعتبر هذا الايضاح الشفهي جزءا من بيانه الوزاري.

وبعد أن رجعنا إلى محاضر جلسة الثقة تركزت المناقشة على النقطة التالية:

كان على وزير الخارجية إذن أن يرفض في اجتماع وزراء الخارجية العرب قضية قبول المساعدات صراحة وأن يدافع عن موقف بلاده، لا أن يكتفي بالسكوت مما جعل قرار وزراء الخارجية العرب قرارا إجماعيا.

كنت أسرب عمدا أخبار مناقشات لجنة الخارجية الى الشعب عن طريق بعض الصحف مما كان يلجم عملاء الغرب ويجعلهم متحفظين أمام تيار الشعب الجارف، وكان جو البلاد يعكس آثاره على المجلس النيابي في عدائه لمشاريع الغرب، لذلك كان معظم أعضاء لجنة الخارجية والنواب الحاضرون هذه الاجتماعات يؤيدون آراءنا ويدعمون موقفنا بحماسة ظاهرة ويبدون شكوكهم من توجهات وزير الخارجية، وكان من راي الجميع أن تحاول سورية قيادة مجلس الجامعة العربية في اتجاه سياستها المتحررة.

محاولة لوضع ميثاق وطني يلزم الاحزاب السورية بالسير في السياسة العربية المتحررة من كل الارتباطات :

لقد رأيتها فرصة مناسبة أن اقترح صياغة سياستنا العربية والخارجية في ميثاق تتبناه جميع الأحزاب والكتل النيابية، وأن تتحمل جميع الفئات تبعة هذا الميثاق الذي يجب أن يذاع على الشعب العربي ليدفع حكوماته إلى تبنيه، وقررنا أن توالي لجنة الشؤون الخارجية اجتماعاتها وأن تدعو إليها ممثلي الأحزاب والكتل البرلمانية لتخطيط هذه السياسة، وقد تعددت اجتماعات لجنة الشؤون الخارجية مع ممثلي الأحزاب والكتل المجلسية،

واستغرق البحث والمناقشة في هذه القضايا جلسات طويلة، لتوضيح الالتقاء التام بين الاستعمار الغربي واسرائيل تجاه قضية العرب المصيرية فلسطين وزيف المساعدات العسكرية والغرض الاستعماري منها كوسيلة لقهر الشعب العربي لا كوسيلة للدفاع عن نفسه، كما شرحنا بالأمثلة الحسية كيف أن المساعدات الاقتصادية لن تكون وسيلة للازدهار الاقتصادي بقدر ما هي وسيلة لتغلغل الاستعمار وتسلطه وإفساده... وقد لاذ معظم ممثلي الحزبين، الشعب والوطني بالصمت والاستماع في بداية الأمر، ثم انتقل بعضهم بمساعدة اعوانهم من النواب الى الدفاع عن الغرب، فرأيت أنه لم يأت الأوان لتحقيق هذا الميثاق، ولكنها كانت المحاولة الأولى للميثاق الوطني الذي وضع فيما بعد، **فاختتمت المناقشات بوعد من وزير الخارجية أن يصدر بيانا عن مباحثات القاهرة ينفي فيه التصريحات التي أدلى بها وزراء الخارجية العرب والتي تقول انهم قرروا (بالاجماع) قبول المساعدات من الغرب وقد أصدر وزير الخارجية بيانه الموعود، وعلى الرغم مما لف به ودار، فقد اعترف بأنه لم يعارض القرار الذي اتخذه وزراء الخارجية العرب لقبول المساعدات الاقتصادية والعسكرية.**

وقبل أن استوفي بحث المناقشات والقرار الذي أصدرته لجنة الشؤون الخارجية وما رافقه من أحداث دولية وعربية لا بد أن نشير إلى المعركة التي كانت مفتوحة ومستمرة -آنذاك- في الجلسات العامة للمجلس النيابي عن عائدات النفط والموازنة الاستثنائية.

شركات النفط : شركة نفط العراق تقوم بتهريب البضائع إلى سورية

لم يكن انزعاج بريطانيا والولايات المتحدة من الوضع الجديد في سورية لأنه يرفض -فقط- أحلافهما ومشاريعهما ومساعداتهما، بل لأنه أصبح خطرا على امتيازاتهما النفطية، إذ أننا لم نجد أمامنا، ونحن محاصرون في سورية، من سبيل لتنفيذ برامج التنمية بعد أن سرنا في سياسة رفض المعونات الاقتصادية

من الغرب إلا إعادة النظر بما تتقاضاه سورية من البترول العربي المار عبر أراضيها، وقد مر تعديل اتفاقيات شركات النفط بمراحل عديدة، وابتدأت المرحلة الأولى بالسؤال الذي تقدمت به في جلسة المجلس المنعقدة بتاريخ 14-12-54 وفيما يلي نص السؤال:

"إلى مقام رئاسة مجلس النواب الموقر :

ما تزال شركة نفط العراق تطالعنا كل فترة بمخالفة جديدة للقوانين النافذة في هذه البلاد، ولا تزال قضية تلك المخالفات تستهلك حيزا من وقت مجلس الأمة، وقد كانت آخر الحلقات ما قامت به الشركة من تهريب البضائع على نطاق واسع جدا، وحرمان خزينة الدولة من الرسوم المتوجبة على البضائع المهربة والتي تبلغ ملايين الليرات السورية.. وقد شكلت لجنة جمركية أنيط بها التحقيق في أمر التهريب والتلاعب، فاستطاعت رغم مداورة الشركة ورغم ما لقيته من محاولات ترمي إلى طمس الحقائق، أن تضع يدها حتى الآن على وثائق تثبت بشكل حازم أن للخزينة على هذه الشركة ما يقرب من مليوني ليرة سورية رسوما تهربت من دفعها بشتى الوسائل..

وإن ما هو أدهى من ذلك أن هذه الشركة تلقى في كل مناسبة عونا لها وسندا من كبار المسؤولين مما يشجعها على المضي في مخالفاتها هذه، وما شعرت أن التحقيق يكاد يؤتي ثماره وأن أمر التهريب افتضح، حتى لجأت الى وسائلها المعتادة وتدخلاتها غير المشروعة، فكان ان عقد اجتماع في مكتب وزير المالية حضره وزير المالية والأمين العام ومدير الجمارك ووكيل الشركة، سبقه اجتماع بين وزير المالية والسفير البريطاني وقد انكشف هذا الاجتماع عن خطة لنسف التحقيق نهائيا بالمماطلة والمداورة، وتغطية الشركة تغطية كاملة دون النظر الى مصلحة الخزينة، والخطة المذكورة تقضي بألا تتلقى لجنة التحقيق الأجوبة على ما تطرحه من أسئلة مباشرة مع المحقق معهم من موظفي الشركة كما تقضي القوانين ، وكما يستلزم منطق التحقيق نفسه، وانما ترفع تلك الاجوبة الى مديرية شركة نفط العراق في حمص وهذه ترسلها بدورها إلى ممثلها في دمشق وهو يرفعها بدوره إلى مديرية الجمارك العامة التي تحيلها بدورها إلى مديرية التفتيش وهذه الأخيرة ترسلها الى لجنة التحقيق، وقد بلغت الحكومة المحققين رسميا وجوب السير على هذه الخطة الفذة واخال ان هذه الدورة التي رسمت لكل

جواب ستستلزم من الوقت ما يضيق عنه العمر بكامله ولا ندري **إذا كانت نية وزير المالية أن يعهد إلى أبناء المحققين فيما بعد أن يتموا ما بدأ به آباؤهم**.

ولذا أرجو من مقام الرئاسة أن تحيل سؤالي هذا إلى معالي وزير المالية حتى يوضح لنا المبررات التي دفعته إلى الأمر بانتهاج هذه الخطة التي ليس فيها إلا خدمة الشركة، مع العلم بأن الشركة قد وافقت قبل أن تتلقى نتائج الاجتماع المنوه عنه بساعات أن تقدم للمحقق مباشرة كل ما يستلزمه التحقيق من معلومات ووثائق".

كان جواب وزير المالية الذي تلي في جلسة 3-1-55 والذي حاول فيه أن يدحض التهم الموجهة إلى الوزارة متضمنا بعض النقاط التي تثير الريبة والتساؤل وتجعل التهم التي وجهتها في سؤالي أقرب إلى الحقيقة وفيما يلي بعض منها :

"1- إن زيارة السفير البريطاني لوزير المالية لم تكن زيارة تتعلق بالشركة وانما كانت زيارة ود ومجاملة وتعارف.

2- ان الشركة استغلت المادة الخامسة من الاتفاق المعقود بينها وبين الدولة السورية والذي يقضي بإعفاء لوازم الشركة المستعملة في الاستثمار من الرسوم الجمركية، وقد لاحظت وزارة المالية ضخامة المستوردات التي استوردتها الشركة والتي تبلغ 150 مليونا وان هذه البضائع تباع في الاسواق، وذلك فقد أرسل لها مفتش جمركي وما زال المفتش يقوم بالتفتيش مدة ثلاثة أشهر.

3- في اجتماع عقده وزير المالية مع ممثل الشركة في دمشق بحضور الأمين العام والمدير العام للجمارك اعترض ممثل الشركة على الطريقة المتبعة في التحقيق مستندا في اعتراضه إلى فقدان النص في قانون الجمارك الذي يسمح فيه لإدارة الجمارك بالتفتيش في محلات الشركة. وبالتدقيق في حساباتها ووثائقها وأوراقها، وطلب أن تأتي الأجوبة عن طريق مديرية الشركة في دمشق الى مديرية الجمارك العامة لأنه هو الاسلوب الذي يفرضه نظام الشركة ولكن هذا الطلب قد رفض رفضا باتا.

4- صحيح أنه قد وردت برقية من المفتش الجمركي في حمص إلى مديرية الجمارك العامة يقول فيها أن مدير الشركة في حمص أخطره أنه

بالاتفاق مع مدير الجمارك العام سيقدم الايضاحات والافادات بطريق التسلسل، ولكن الجمارك العامة أجابت على هذه البرقية بأنه لا صحة لما تدعيه الشركة وأخطرت المحقق بضرورة القيام بالتحقيق بسرعة وأنه إذا ما قامت أمامه عقبات فيقتضي الاتصال بمديرية الجمارك العامة ...

لم يكن جواب الحكومة مقنعا فتوليت من جديد ايراد بعض الحقائق التي تدل على سوء نية الشركة واستغلالها للمادة الخامسة فقلت ما معناه :

إن تجار البلاد قد ضجوا من البضائع التي أغرقت الشركة بها الأسواق، وإن الشركة قد وصلت إلى استيراد الآلات الموسيقية، بل هي تستورد البضائع التي تنتجها هذه البلاد، وان تحقيقات متعددة تثبت ان الشركة تقوم بشكل دائم بأعمال التهريب منذ أن وضعت أقدامها في البلاد وقد أدينت الشركة في 30 قضية صالحت عليها ورفضت الصلح في قضايا أخرى وأحيلت للمحاكم... **إن هذه الشركة لم تكن فقط قاعدة للتهريب وانما اصبحت قاعدة للتدخل السياسي في البلاد، ولقد شجعت ديكتاتورية الشيشكلي في بداية الأمر لتسهيل مرور خط بانياس البترولي وعندما افتتح هذا الخط قدمت المفاتيح الذهبية إلى الرئيس سلو والشيشكلي وقد حشدت لذلك الافتتاح حشدا كبيرا تكلفت الشركة في سبيل إقامته الأموال الجمة.**

ثم أشرت إلى مقال نشر في جريدة الشعب الناطقة بلسان حزب الشعب ووصفت هذا المقال بأنه يدل على وعي سياسي وأن حزب الشعب مقتنع بتدخل الشركة السياسي، وأنهيت كلمتي قائلا: انه لا يمكننا أن نسكت عن تصرفات هذه الشركة دون أن تنال سورية حصتها من البترول الذي ينبع من اراض عربية ويمر عبر أراضينا، وطلبت من المجلس والحكومة والشعب الوقوف موقفا حازما لتحصل سورية على حصتها العادلة، لا سيما وأن ميزانيتنا قد أصبحت في معظمها رواتب للموظفين دون أن يكون لدينا ما ننفقه على مشاريع التنمية.

ثم قلت في النهاية :

"إنني أرجو أن يعير المجلس هذا الأمر الخطير بالغ الأهمية، وقلت أن الشعوب قد تنبهت في جميع انحاء العالم وأن على الشركات البترولية أن تأخذ العبرة مما جرى في ايران والذي لا بد أن يجري في البدان العربية .."

كانت هذه الجلسة الحامية في المجلس نقطة الانطلاق في تعبئة المجلس والشعب للمطالبة بتعديل الاتفاقية التبرولية - كما ستمر تفاصيله فيما بعد- وقد أيد المجلس على مختلف فئاته وأحزابه موقفي، حتى أن رئيس المجلس تحدث عن إجماع النواب "بأنه يثلج الصدر".

كما أيد المجلس اقتراحا للدكتور عبد الوهاب حومد بتشكيل "لجنة برلمانية بترولية" تمثل مختلف الاحزاب والهيئات تكون لها صفة الديمومة لتصل إلى نتائج حاسمة ... وقد وجدتها مناسبة لمطالبة المجلس بأن يتفق على حكومة قومية لتكون أحزاب المجلس وهيآته المشتركة في لجنة البترول مطمئنة الى تنفيذ مقرراتها وسياستها البترولية بواسطة ممثليها في الوزارة القومية.

وقد أيد وزير الاقتصاد في نهاية الجلسة سياسة المجلس النيابي فقال :

"إن الحكومة تشارك النواب في شعورهم وانها أرسلت للشركة انها لن تستطيع الاستمرار على ما كانت عليه الأمور في الماضي، وأن الحكومة تريد أن تفاوض من جديد لتنال حقوقها".

وفي أواخر كانون الثاني تم انتخاب أعضاء لجنة البترول من قبل شعب المجلس الثلاث، فكان من بين اعضائها :

أكرم الحوراني ، خالد العظم ، خالد بكداش ، صلاح البيطار ، وهيب الغانم صبري العسلي ، معروف الدواليبي.

وقد صرحت للصحف اثر انتخابات اللجنة :

"أن لجنة البترول البرلمانية ستجتمع للتداول بالأسس التي ستجري عليها المفاوضات بين الحكومة وشركات البترول،

وستدرس توصيات ومقترحات ومقررات لجنة البترول العربية التي أقرها المجلس الاقتصادي العربي، وستطلع على التقارير الفنية الموجودة في مديرية المعادن بشأن الثروة البترولية الدفينة في أرض سورية وبالطرق والأساليب الواجب اتباعها للكشف عن هذه الثروة واستثمارها، وستبحث أيضا إنشاء مصفاة لتكرير البترول".

وفي أوائل شهر شباط 1955 بدأت الحكومة أول اتصال بها مع مدير شركة نفط العراق البريطاني لإعادة النظر بالاتفاقية وزيادة العائدات :

كما صرحت لوكالة الأنباء السورية بأن أبحاثا مماثلة ستجري مع شركة التابلاين.

الموازنة السورية بين إعادة النظر باتفاقيات شركات البترول وبين قبول المساعدات والقروض الأجنبية.

تقدمت الحكومة للمجلس النيابي بالموازنة العامة العادية لعام 1956، وقد خصصت الجلسة المنعقدة بتاريخ 11-1-655 لمناقشة بيان الحكومة المالي، فاقترحت تأجيل المناقشة الى جلسة 15-1-55، وبصفتي رئيسا للجنة الموازنة لفت نظر المجلس إلى أهمية تقديم الموازنة الاستثنائية، إذ لا يمكن لهذا المجلس ولا للجنة الموازنة أن تدرس مشروع الموازنة العادية إلا بعد أن تكون لديها الموازنة الاستثنائية، وطلبت من الحكومة أن تبين ما إذا كانت مستعدة لتقديم الموازنة الاستثنائية، على أن تكون موضحة فيها مواردها ومشاريعها الانشائية فوعد وزير المالية رزق الله انطاكي بتقديمها على هذا الشكل خلال اسبوعين.

أعلن خالد بكداش تضامنه معي وقال :

"لقد جاء في بيان وزير المالية مسألة اللجوء الى قروض اجنبية، وهذا أمر خطير لا يعقل أن يكون بعيدا عن موضوع الموازنة العادية لأن المسألة تتعلق عندئذ بمجمل سياسة الحكومة التي لا يمكن تجزئتها إلى جزئين : الأول يتعلق بالمشاريع العادية والثاني يتعلق بالمشاريع الاستثنائية وواردتها... وقد عدت للكلام مرة أخرى قائلا :

"لا يخفى أن موضوع الموازنة من أهم الأمور التي ينظر فيها المجلس النيابي، ولا يخفى بأن الموازنة العادية لهذا العام تمس المال الاحتياطي من أجل مادة الرواتب أي لنفقات عادية ومستمرة، وهذا من الأمور الخطيرة ولا سيما إذا علمنا أن موارد الموازنة الاستثنائية كما جاء في بيان وزير المالية تستند إلى الأمور التالية :

1- تخصيص بعض موارد الموازنة العادية.

2- القروض الداخلية.

3- احتياطي الدولة الذي خصص منه مبلغ 10 ملايين ليرة للرواتب أي لنفقات عادية ومستمرة.

4- القروض الخارجية الدولية والاستعانة بالشركات.

وجميع هذه الموارد وبحثها وإقرارها من الخطورة بمكان، ولا سيما وأن بيان وزير المالية لم يحدد بصورة نهائية المشاريع الاستثنائية مع أن هناك بعض المشاريع التي أشير إليها على أنها استثنائية هي من المشاريع العادية التي لا تدخل عادة في الموازنات الاستثنائية كالطرق وأبنية الحكومة وتأسيس المراكز الزراعية ومستودعات الحبوب وتنمية الثروة الحيوانية ولذا أرجو من الحكومة تأجيل مشروع الموازنة العادية إلى الوقت الذي تردنا فيه الموازنة الاستثنائية".

وهكذا انفضحت لعبة الحكومة في اتخاذها الموازنة الاستثنائية وسيلة لقبول المساعدات والقروض الاجنبية، وشتان بين أن يكون تمويل الموازنة الاستثنائية عن طريق إعادة النظر باتفاقية البترول وزيادة العائدات، وبين أن يكون تمويلها عن طريق المساعدات والقروض الاجنبية، الغربية... هكذا كانت خلفية القضية التي بدأ النقاش على أساسها بين القوى التقدمية والقوى الموالية للغرب .. قال رشدي الكيخيا :

إذا كانت غاية طلب التأجيل مجرد إفساح وقت أرحب للدراسة فلا بأس، أما إذا كانت الغاية ألا تناقش العادية إلا بعد الاستثنائية فنحن لا نوافق... وقد انبرى الدكتور وهيب الغانم مؤيدا

اقتراحي، كما ذكر خليل كلاس المجلس بأنه عندما تقدم وزير المالية حسن جبارة في مطلع عام 1949 بمشروع الموازنة العادية مع الوعد بتقديم موازنة استثنائية فيما بعد، اعترض على ذلك نواب حزب الشعب ونادوا بوحدة الموازينتين ومنهم وزير المالية الحالي .. وقد تعاقبنا على الكلام مرات عديدة ولكن رئيس المجلس رفض تعليق مناقشة الموازنة العادية بداعي أن كلا من الموازنتين يجب أن يصدر بشكل مستقل.

وفي أواخر كانون ثاني عام 55 وفي إبان الأزمة التي انفضحت بها سياسة الحكومة الخارجية والعربية بعد انضمام العراق إلى الأحلاف، أمكنني إقناع أعضاء لجنة الموازنة بإصدار قرار برد مشروع الموازنة العادية، فكان لقرار الرد في ذلك الظرف العصيب صدى مرعب بالنسبة للحكومة مما اضطرها للاسراع في تقديم مشروع الموازنة الاستثنائية بتاريخ 3-2-55 .

كان تقديم مشروع الموازنة الاستثنائية نصرا للشعب وللقوى التقدمية حيث أصبح للدولة وللمرة الأولى خطة خمسية، كما جعل المجلس والحكومة مضطرين لتعديل اتفاقيات البترول وزيادة العائدات بغرض تمويل هذه الموازنة بعد أن استبعدات فكرة المساعدات والقروض الخارجية .. وقد تضمن مشروع الموازنة الاستثنائية : مصفاة البترول في حمص والخطوط الحديدية وسد يوسف باشا (سد الفرات) ومشروع التف (على الخابور) ومشروع وادي بردى (الري والكهرباء) ومشروع النهر الكبير ومطار دمشق الدولي ومستودعات الحبوب، وإنشاء مرفأ طرطوس بالاضافة إلى مشاريع أخرى شرع في تنفيذها قبل ذلك، ولما لم يكن لجميع هذه المشاريع دراسات جاهزة فقد قدرت نفقات انشائها بـ 391 مليون ل.س ولا شك أنه كان للأمين العام لوزارة المالية الدكتور عزت الطرابلسي أثر في تبني سياسة التخطيط الانمائي للبلاد.

□

زيارة عدنان مندرس لبغداد ودمشق وبيروت.

وصل عدنان مندريس رئيس وزراء تركيا مع وزير الخارجية بتاريخ 6-1-55 الى بغداد على رأس وفد مؤلف من 28 شخصا، ثم أعلن بشكل مفاجئ بعد الاجتماع الذي تم بين الحكومة السورية والقائم بأعمال المفوضية التركية في دمشق ان عدنان مندريس ووزير الخارجية التركية سيمران بدمشق ويجتمعان بالحكومة السورية، وقد تبين أخيرا أن الحكومة السورية قد دعت رئيس الوزارة التركية ووزير خارجيتها لدمشق أثناء مروره بالطائرة من بغداد إلى بيروت وتقرر أن يقيم رئيس الجمهورية السورية دعوة غداء على شرف الضيف التركي يوم 14-1-55 وتقرر أن يحضر هذا الحفل عن الجانب السوري رئيس مجلس النواب ورئيس الوزراء واعضاء الوزارة ورئيس لجنة الشؤون الخارجية احسان الجابري ورئيس الأركان العامة ووزير سورية المفوض في تركيا كما تقرر أن يجرى للوفد التركي استقبال حافل في المطار.

هذا بينما كانت وكالات الانباء تذيع بأن المحادثات الدائرة بين رئيس الوزارة التركية والعراقية في بغداد هي الخطوة الأولى نحو تحقيق مشروع للدفاع عن الشرق الأوسط، وأنه أعد بالاتفاق مع لندن وواشنطن وستتألف كتلتان دفاعيتان مرتبطة كل منهما بالأخرى، أما الكتلة الأولى فستضم تركيا وإيران والباكستان، بينما تتألف الكتلة الثانية من دول ميثاق الضمان الجماعي العربي وسيكون العراق همزة الوصل بين الكتلتين تساعده تركيا على القيام بهذا الدور نظرا لقوتها المستمدة من صفتها عضوا في الحلف الأطلسي.

وكان يلاحظ في غضون ذلك أن حكومة الخوري تحاول أن تتخلص من القفص الذي وضعت نفسها به عندما أعلنت في جلسة الثقة أمام مجلس النواب أنها لن تقبل المساعدات الاجنبية ولن ترتبط بأي مشاريع لا مع دول الشرق ولا مع دول الغرب.

وفي تاريخ 55/1/12 أذيع في كل من انقره وبغداد نبأ الاتفاق بين العراق وتركيا ووصف بأنه "يرمي إلى تحقيق التعاون وزيادته لضمان استقرار منطقة الشرق الأوسط وسلامتها" وأنه "كان موضع بحث خلال زيارة السيد نوري السعيد لتركيا في نيسان الماضي" "وإن الاتفاق سيتضمن تعهدا بالتعاون لصد أي اعتداء قد يقع على تركيا والعراق من داخل المنطقة أو خارجها، أي من أي جهة كانت، وذلك استنادا إلى حق الدفاع الشرعي الذي قررته المادة 51 من ميثاق الأمم المتحدة وأنه سيكتسب شكله النهائي ويتم التوقيع عليه في وقت قريب للغاية" "وأن الحكومتين التركية والعراقية تعتقدان أن مثل هذا الاتفاق في الشرق الأوسط يحترم مبادئ ميثاق الأمم المتحدة ويحقق استقرارا يستند إلى تلك المبادئ والمقررات المتخذة بموجبها ويعمل على تقوية الأمن، وذلك بأن يحول دون ما قد يظهر من نيات عدوانية بأي شكل من الأشكال، كما أنه يعمل على حماية السلم، ولذلك فإنهما تعتبران من الضروري والمفيد أن ينضم إلى هذا الاتفاق غيرهما من الدول التي تثبت عزمها على العمل لتحقيق أهدافه، أو التي تستطيع أن تعمل على ذلك بحكم موقعها الجغرافي أو امكاناتها، ولهذا فإنها في هذه المدة الباقية التي ستسبق عقد هذه الاتفاقية ستكونان على اتصال وثيق بالدول التي تبدي رغبتها بالعمل معهما في هذا السبيل وإلى أن يتم التوقيع على هذه الوثيقة مع الدول المذكورة في وقت واحد إن أمكن، وعلى أي حال فإنهما ستوليان بذل الجهود نفسها بعد التوقيع عليها أيضا".

كان واضحا منذ البداية أن سورية هي التي ستكون هدفا لضغط هذا الحلف... وكان من المستغرب أن يعلق رئيس الحكومة فارس الخوري على نبأ الاتفاق العراقي التركي بقوله : "إن لحكومة العراق الحق في أن تفعل ما تريد" وعندما سئل عن موقف حكومته من النداء العراقي التركي الذي يدعو سورية وبقية الدول العربية للانضمام إليه، قال بأنه لم يبلغ شيئا عنه، وأضاف أنه لن يباده زميله التركي اليوم (أي خلال زيارة مندريس) بموضوع هذا الاتفاق، فإذا ما بحث معه الرئيس التركي، تدارس الأمر مع الحكومة وشكل رأيا وعرض الأمر على مجلس النواب.

إن زيارة عدنان مندريس لدمشق وتصريحات الخوري والأتاسي كانت سببا في إثارة مظاهرات صاخبة انطلقت في

جميع المدن السورية وهي تهدف ضد وزير الخارجية لدعوة عدنان مندريس، كما هتفت المظاهرات في حلب بوجه خاص بسقوط أحمد قنبر وحزب الشعب. وهكذا عمت المظاهرات والاضرابات التي كان يقودها حزب البعث العربي الاشتراكي والشيوعي والقوى التقدمية جميع انحاء البلاد، وقد استجاب الشعب واشترك مع الطلاب في مظاهراتهم، وقد استمر هذا الجو اللاهب أياما عديدة سقط خلالها عشرات الجرحى، من الطلاب والشباب، ومن رجال الأمن، بسبب دعوة عدنان مندريس لزيارة سورية.

وفي جلسة المجلس النيابي التي انعقدت بتاريخ 11-1-55 حاول الدكتور وهيب الغانم أن يعلق على دعوة عدنان مندريس، فحاول رئيس المجلس أن يمنعه من الكلام بحجة الاستمرار بمناقشة بيان وزير المالية ولكنه اضطر أخيرا أن يسمح له بالكلام :

"لقد استقبلت دمشق بالأمس رئيس مجلس الوزراء التركي وقد سمعنا لأول مرة بزيارة هذا الرجل فقيل لنا أنه قد يأتي وقد لا يأتي، ثم قيل أنه سيمر عابرا في سماء دمشق ويحط موقتا في مطار المزة! ثم قيل أن واجب الضيافة العربية يقتضي أن ندعوه الى قصر الرئاسة!! ثم تحولت المسألة إلى أبحاث رسمية كما أذاعت الأمانة العامة للقصر الجمهوري، والشيء الذي نريد أن نؤكده لوزير الخارجية هو أن الشعب قد وجد في حادثة أمس تحديا لشعوره القومي وتهديدا لمستقبل بلاده الخ... "

ثم عقبت على خطابه قائلا :

"نقلت الصحف تصريحات لرئيس الوزراء، وأريد أن استفهم عن مدى صحتها، قال رئيس الحكومة بأن مجلس الجامعة قد ترك لأعضاء الجامعة أن تقرر موقفها بشكل منفرد وبشكل مستقل وفي تصريح آخر أجاب بعض الصحفيين عن موقف حكومته من الحلف العراقي التركي "بأن سياسة سورية الخارجية لم تقرر بعد" ان هذه التصريحات بالغة الخطوة، لأنها تخالف البيان

الوزاري الذي نالت الحكومة على أساسه الثقة ولهذا أريد أن استوضح عن نقطتين :

1- أصحيح ما قاله رئيس الحكومة من أن سورية لم تقرر سياستها بعد تجاه الأحلاف؟

2- أصحيح بأنه قال : ان مجلس الجامعة قد قرر حرية العمل للأعضاء وذلك في معرض تبرير سياسة حكومة العراق في التحالف مع تركيا؟

اعتذر وزير الخارجية من الإجابة على هذه الاسئلة لأن رئيس الحكومة كان متغيبا عن الجلسة، ولكنه ألقى كلمة برر فيها دعوته لتحسين العلاقات بين تركية وسورية لأنهما بلدان إسلاميان متجاوران بينهما حضارة مشتركة.

وقد تولى الاستاذ عبد الكريم زهور الرد على خطابه فقال :

"إن الأتراك لم يساهموا مع العرب في تكوين الحضارة الاسلامية" وحمل حملة شعواء على تركيا، فاحتج وزير الخارجية ورئيس المجلس على كلامه، واعتبره ضارا ومؤذيا، ولكن عبد الكريم تابع كلامه مفندا قول محمد المبارك: "إن الغرب إذا أمن لنا مصلحتنا ربما كان لنا منه موقف آخر".

"إن سياسة الغرب استعمارية لا يمكن أن تؤمن في أي يوم مصلحة شعب من الشعوب التي يدعونها متخلفة..." وبعد أن تكاثرت المهاترات بين عبد الكريم زهور ورئيس المجلس حاولت أن أحسم الموضوع فقلت :

"نحن لا نقر بعض الالفاظ التي ندت من أفواه بعض الزملاء، كما أننا في الوقت نفسه لا نجيز لوزير الخارجية أن يقول: أنه ليس بإمكانه أن يتعاون مع نواب يطلقون مثل هذه الالفاظ، انني اقول لوزير الخارجية :

إن النواب أحرار في هذه الندوة بالتعبير عن آرائهم حتى لو كان بها مثل هذه الالفاظ أو أكثر منها، ولا سيما وأن وزير الخارجية لا يجهل ما بصدر الشعب العربي من جراحات وجراحات من شتى الجهات الاستعمارية... إن

هؤلاء النواب الذين تعلن بأنك غير مستعد للتعاون معهم هم نـواب نفخر بهم لأنهم خرجـوا بـإرادة الشـعب فهـم يعبـرون إذا عـن إرادة الشعب.

لم أكن في حقيقة الأمر موافقا عبد الكريم زهور في حملته القاسية على الشـعب التركـي لأن ذلـك غيـر صـحيح وغيـر جـائز، ولكننـي أردت أن امنـع اسـتغلال رئـيس المجلـس ووزيـر الخارجيـة ونواب حزب الشـعب لهـذه الهفـوة للسـيطرة علـى جـو المجلـس، وانتهت المعركة المجلسية بحذف العبارات التـي أسـيء بهـا إلـى الشعب التركي مثل : " لا ينبت العشب حيث يمر الأتراك".

كـان لهـذه الجلسـة أثرهـا البعيـد علـى المسـتوى الداخلي والخارجي فقد انهزمـت الحكومـة وأعـوان الغـرب في المجلس أمام حملة البعث المركزة، في الوقـت الـذي تجلـى فيـه موقـف الشـعب واضـحا مـن الغـرب وأحلافـه بالمظاهرات الصاخبة التي عمت جميع انحاء البلاد.

وهكذا ظهرت سورية صـلبة متماسـكة ضـد مشـاريع الغـرب وأحلافه، فلم يجرؤ انسان لا فـي المجلـس النيـابي ولا خارجـه أن يخرج عن هذه الإرادة الجماعية.

وفيما يتعلق بلبنان فقـد أعلـن وزيـر الخارجيـة اللبنانيـة بعـد اجتماعه بعدنان مندريس بتاريخ 15-1-55 "إن رئيس الوزارة التركية قد دعا الحكومة اللبنانية رسـميا للانضـمام إلـى الاتفـاق العراقـي التركي، وسلمه نسخة عن هذا الاتفاق" كمـا أبلغـه بـأن حكومتـه لن تعقد معاهدة مع اسرائيل على غرار الاتفاق العراقـي التركـي، أما سـامي الصلح رئـيس الـوزراء اللبنـاني فقـد أبلـغ رئـيس الـوزارة التركية بأن لبنان سيستشير الدول العربية قبـل اتخـاذه اي موقـف حاسـم حيال دعوته للاشتراك في الاتفاق العراقي التركي" وهكذا يظهر بأنه من غير المعقول ألا يكون رئيس الوزارة التركية قد عـرض على سورية طلب الانضمام الى الاتفاق العراقي التركي.

والذي علمته من أحد الوزراء آنذاك وأظن أنـه علـي بوظـو أن فـارس الخـوري دعـا عـدنان منـدريس للتفـاهم حـول قضـية لـواء

الأسكندرون وايجاد تسوية ودية لهذه القضية، فكان جواب عدنان مندريس فظا غليظا وهدد بالمطامع التركية في حلب والقسم الشمالي من سورية فاضطر فارس الخوري أن يلف الموضوع بسرعة.

□

رحب أنطوني ايدن وزير الخارجية بالميثاق العراقي التركي وقال: "إن الدولتين تأملان- أن تشترك فيه بلاد أخرى -فيما بعد- وسيؤدي ذلك إلى زيادة الاستقرار والأمن في الشق الأوسط، وهو ما نود جميعا أن نرى تحقيقه".

كما صرح مستر دالاس وزير الخارجية الاميركية قائلا :

"أن مشروع الميثاق المنوي عقده بين العراق وتركية يشكل تدبيرا بناء يستفاد منه لاستتباب الأمن في الشرق الأوسط" وإذا ما احتلت كل من العراق ايران مكانها لسد الثغرة القائمة بين تركيا والباكستان فإن الأمن والاستقرار سيسودان هذا الجزء من العالم..

ومن هذين التصريحين يظهر اختلاف موقف الدولتين وسياستهما في الشرق الأوسط فبينما يحدد دالاس الدول التي ترغب اميركا بانضمامها الى الحلف وهي تركيا والعراق والباكستان وايران، فإن وزير خارجية بريطانيا يدعو الدول العربية الأخرى للانضمام إليه.

أعلنت السعودية ومصر معارضتهما للحلف العراقي التركي، كما أبلغ وزير الخارجية المصرية المبعوثين السياسيين العرب طلب حكومته عقد اجتماع على مستوى رؤساء الحكومات العربية في القاهرة بتاريخ 22-1-55 للبحث في الموقف العربي بعد الخطوة التي خطاها العراق، وقد جدد المسؤولون في مصر الحملة على الحكم في العراق ونددوا بمواقفه السابقة، واعتبروا الاتفاق بين العراق وتركيا حدثا خطيرا يؤدي إلى تهديد كيان الجامعة العربية ويعرض القومية العربية للخطر، وقد أوفدت الحكومة المصرية محمود رياض مدير إدارة الشؤون العربية في وزارة الخارجية إلى

دمشـق، حيـث اجتمـع مـع رئـيس الـوزارة ووزيـر الخارجيـة، وصـرح محمود رياض بقوله :

إن ما ترجـوه مصـر أن يحضـر نـوري السـعيد اجتمـاع رؤسـاء وزارات الدول العربية، وقال : إن مصر وجهت الدعوة رسميا وعينـت الموعد، وقد اجابت معظم الحكومات العربيـة بالموافقـة. هـذا فـي الوقت الذي كان فيه نوري السعيد يتظاهر بالمرض لأنه كان مزمعا على مقاطعة هذه الدعوة، وقـد تبـين مـن الوثيقـة رقـم (9) التـي ظهرت بين وثائق حلف بغـداد ضـغط بريطانيـا علـى نـوري السـعيد لحضور هذا الاجتماع :

الرقم : 9 التاريخ 22-1-55 (ص 1133 كتاب محكمة الشعب)

من السفارة العراقية في بيروت

إلى وزارة الخارجية

ما يلي من الجمالي إلى فخامة رئيس الوزراء :

استدعاني فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية الساعة العاشرة والنصف ليلا لمقابلته ووجدت لديه دعوة لضيوف بريطانيين فاختلينـا أنـا وإيـاه والسـفير البريطاني ودار الحديث عن تمثيل العراق في اجتماع القـاهرة لشـخص ينـوب عن فخامتكم، ويخشى السفير البريطاني ان وفود سـورية ولبنـان والأردن قـد تضعف أمام مصر إذا لم يكن العراق ممثلا، ويرى أن يمثـل العـراق ويـدافع عـن وجهة نظره بقوة، وقال أن هذا هو رأي السير انطوني ايدن فأجبته بأن الأمر لا يعود إلي فاستقر ألرأي على أن يتصل السفير البريطاني للإعراب عن وجهـات نظره وأيده في ذلك رئيس الجمهورية اللبنانية.

بعد أن اطلعت على ملف الصحافة المصرية بعد العودة صرت اعتقـد أن كرامة العراق تتطلب التريث وعدم الاستسلام لهذا العدوان، وقد حملت لبنـان مسؤولية بهدلة العرب لانهم بقبولهم الذهاب الى القـاهرة بـالرغم مـن طلـب العراق التأجيل تحملوا مسؤولية تشجيع العدوان ولا سـيما ان سـورية علقـت موقفها على لبنان. أتعشى الليلة مع رئـيس الجمهوريـة اللبنانيـة فـي عشـاء خصوصي يحضره رئيس مجلس النواب فقط.

□

وهكذا يبدو من النصح البريطاني، وانزعاج الجمالي من موقف شمعون، ثم انصياع نوري السعيد وإرسال موفديه لمؤتمر رؤساء الحكومات ما يصح فيه قول الشاعر العراقي :

المستشار هو الذي شرب الطلا فلماذا يا نوري السعيد تعربد؟

□

اجتماع لجنة الخارجية من جديد.

دعونا لعقد اجتماع للجنة الشؤون الخارجية بتاريخ 20-1-55 حتى يكون المجلس رقيبا على الحكومة في موقفها اللين من مشروع الاتفاق العراقي التركي الذي سيبحث في مؤتمر رؤساء الوزارات العربية، ولا سيما بعد أن وصلتنا أخبار موثوقة عن تعهد رئيس الجمهورية في لبنان لرئيس الوزارة التركية بأنه سيعمل على انضمام الدول العربية الى الميثاق العراقي التركي، وأنه سيدافع عن فكرته هذه في مؤتمر القاهرة، وأنه سيعمل على إزالة مخاوف مصر والسعودية من هذا الاتفاق، وقد كان معلوما لدينا أن رئيس الجمهورية اللبنانية كميل شمعون كان سمسارا لبريطانيا وعراق نوري السعيد، ولكن الشعب والحركة الطلابية والاحزاب التقدمية في لبنان كانت لرئيس الجمهورية وحكومته بالمرصاد، فقد أوصت لجنة الشؤون الخارجية في المجلس اللبناني - تحت وطأة المظاهرات والاضرابات الطلابية في الجامعة الأميركية والمعاهد الأخرى - حكومة سامي الصلح بما يأتي :

1- الامتناع عن أي اتفاق والدخول في أي حلف قبل مشاورة الدول العربية.

2- التقيد بقرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين وتدويل القدس.

3- التقيد بقرارات الجامعة العربية بشأن مقاطعة اسرائيل الاقتصادية.

هذا بينما كان وزير الخارجية اللبنانية الفرد نقاش يرحب بالصداقة التركية العربية، ويعتبر تركية دولة حليفة تسعى لخير

العرب ويعلن ان الحلف مع تركيا مفيد للبلاد العربية لأنه إقرار بالأمر الواقع، وأن لبنان مشدود إلى الدول الغربية بأواصر كثيرة من الثقافة والمنافع المتبادلة.

ماذا جرى في لجنة الشؤون الخارجية السورية .

أعلن الاستاذ فارس الخوري قبل سفره إلى القاهرة بأنه سيتمسك في اجتماعات القاهرة بميثاق الضمان الجماعي العربي كوسيلة وحيدة للدفاع عن البلاد العربية، وأن نوري السعيد قد خرج على هذا الميثاق عندما انفرد بالاتفاق مع تركيا دون أن يرجع إلى الدول العربية حتى يأخذ موافقتها، وأعلن بأنه ما زال متمسكا بالعهد الذي قطعه لمجلس النواب في جلسة الثقة بعدم ربط سورية بأحلاف مع دول الشرق أو الغرب، وأنه لا يستطيع أن يقول أشياء تفصيلية أخرى عن الموقف الذي سيقفه في اجتماع رؤساء وزرات الدول العربية غدا في القاهرة لأنه لا يعرف بعد الكثير من التفاصيل والدقائق عن مشروع الاتفاق العراقي التركي، وقد أبدى الاستاذ فارس الخوري خوفه على وحدة جامعة الدول العربية لأنها معرضة لخطر شديد وأن من رأيه بذل الجهود للابقاء عليها لئلا ينفرط عقدها.

وهنا تشعب البحث في لجنة الشؤون الخارجية عند مناقشة هذه النقطة بالذات، إذ كان من رأيي أن يكون موقف سورية حاسما جازما، فإما أن تسير حكومة العراق مع القافلة العربية التي ترفض الاحلاف العسكرية مع تركيا والغرب، وإما أن يخرج عراق نوري السعيد من الجامعة العربية، وعندها لن يستطيع نوري السعيد أن يحكم العراق معزولا عن بقية الدول العربية بالحديد والنار وإن ذلك سيؤدي إلى حكم جديد في العراق يتبنى السياسة التي تنسجم مع سياسة الحكومات العربية القائلة بأن العرب هم وحدهم الذين يدافعون عن بلادهم، وأن اسرائيل هي عدوهم الأوحد في اعداد خططهم السياسية والدفاعية وبذلك يعود العراق الى صف الجامعة العربية سليما معافى، وتصبح المنطقة العربية قوية منسجمة، وتكون سورية قد ساهمت في تخليص العراق من حكامها المستبدين.

أما الشعبيون والوطنيون والموالون للغرب فقد لخصوا رأيهم بأن الجامعة العربية هي مسرح للصراع بين المعسكرين العربيين التقليديين: المعسكر المصري السعودي والمعسكر العراقي الهاشمي، وان من واجب سورية إما أن تنضم إلى أحد المعسكرين وإما أن تسعى إلى التوفيق بينهما.

لم يقطع الاستاذ فارس الخوري برأي حول هذا النقاش وقال انه سيتدبر الأمر على ضوء الابحاث التي ستجري في مؤتمر القاهرة، وان كانت لهجته تنم عن أنه أقرب إلى تبني الراي الثاني. وانفضت لجنة الشؤون الخارجية دون اتخاذ أي قرار فقد حال وصول فاضل الجمالي إلى سراي الحكومة قادما فجأة من بغداد دون متابعة البحث مع وزير الخارجية ورئيس الوزراء.

مؤتمر رؤساء الحكومات العربية.

انعقد بتاريخ 22-1-55 مؤتمر رؤساء حكومات ميثاق الضمان الجماعي، وقد انقلب الى مؤتمر لرؤساء جميع الحكومات العربية، ولم يحضر نوري السعيد هذه الاجتماعات ولكنه بتأثير الضغط البريطاني أوفد باش أعيان وفاضل الجمالي الذي أصر منذ الاجتماعات الأولى : "بأن حكومة العراق لم تقنع بجميع الأدلة التي أعطيت في المؤتمر ضد الاتفاق العراقي التركي، وهي لا تزال مصرة على توقيع الاتفاق".

أما فارس الخوري فقد جعل من نفسه قاضيا بين المصريين والعراقيين في الوقت الذي كان فيه فيضي الأتاسي يمهد للشروط التي يقبل بها العرب للدخول بهذا الحلف. كما أبلغ نوري السعيد مؤتمر القاهرة بأنه يصر على ما أسماه حق العراق كدولة مستقلة بعقد أي حلف خارج ميثاق الضمان الجماعي العربي، دون أن يكون ملزما بالتقيد بقرارات جامعة الدول العربية أو حاصلا مقدما على موافقتها، وأشار إلى سياسته في عقد حلف مع تركية وإيران وباكستان تنضم إليه بريطانية والولايات المتحدة ... وهذا ما جعل الاعضاء المؤتمرين في القاهرة يعدلون عن إذاعة البيان الختامي عن أعمال المؤتمر إذ كان من المقرر أن يتضمن

البيان إجماع الحكومات العربية على رفض التحالف مع تحفظ عراقي يشرح الاسباب الموجبة التي جعلته يدخل مفاوضات التحالف مع انقرة.

وعلى اثر ذلك قرر المؤتمر تعليق جلساته إلى 3-2-55 وإرسال وفد للاتصال بنوري السعيد إلى بغداد مؤلف من سامي الصلح رئيس وزراء لبنان وفيض الأتاسي وزير خارجية سورية وصلاح سالم وزير الارشاد المصري ووليد صلاح وزير خارجية الأردن وقد سبق الدكتور فاضل الجمالي أعضاء الوفد لاطلاع الملك وولي العهد ونوري السعيد على تفاصيل الاجتماعات.

فشلت اجتماعات بغداد أيضا واعلن نوري السعيد أنه سيوقع الحلف مع تركية قبل 20-2-55 فهدد عبد الناصر بأن مصر ستنسحب من ميثاق الضمان الجماعي العربي وستشكل حلفا آخر مع الدول العربية التي ترغب في الانضمام إليه، كما بدأت مصر على لسان صلاح سالم في مؤتمراته الصحفية وفي مقالات أنور السادات تفضح مواقف الدول العربية في هذا المؤتمر ولا سيما موقف فارس الخوري وفيضي الأتالسي مندوبي سورية، فكلف الحزب الاستاذ صلاح البيطار بوضع صيغة تصريح نشر على لسان قائد مسؤول في حزب البعث بتاريخ 1955/2/8 تعقيبا على ما نشرته جريدة الجمهورية القاهرية:

"لقد كان حزبنا غير مطمئن في الواقع إلى أن السياسة الخارجية التي نالت الحكومة على أساسها الثقة ستنفذ بأمانة وصدق. ولقد صدق حدسنا عند عودة وزير الخارجية من اجتماع مؤتمر وزير الخارجية العرب بتاريخ 12-1-55 إذ لمسنا عدم ايمان الحكومة بهذه السياسة وعدم إخلاصها في تطبيقها، الأمر الذي جعلنا نطلب في لجنة الشؤون الخارجية التي اجتمعت عدة مرات اتخاذ قرار بأن تكون الحكومة أكثر نشاطا ومبادهة وحركة في توحيد سياسة الدول العربية الخارجية على أساس عدم التحالف مع أي دولة أجنبية وفق تعهدات الحكومة السورية. وقبل سفر الوفد السوري إلى القاهرة مؤخرا طلبت لجنة الشؤون الخارجية الاجتماع إلى رئيس الوزارة ووزير الخارجية لتستوضح منهما موقف الحكومة في هذا المؤتمر حيال اتفاق نوري السعيد مندريس، وطلبنا آنئذ شجب هذا الحلف واعتباره خروجا على ميثاق

جامعة الدول العربية وميثاق الضمان الجماعي وتفكيكا لوحدة الصف العربي، وحذرنا الوفد السوري أن ينجر للسياسة الأجنبية التي ترغب في إخفاء اخطار اتفاق نوري منـدريس وراء الخلاف بين مصر والعراق على قيادة الجامعة العربية، كما حذرنا الوفد من الوقوف موقف المراقب الوسط، وعندما لمسنا منهما جوابا غامضا مترددا حاولنا عبثا أن يضما إليهما وفدا برلمانيا من لجنة الشؤون الخارجية.

وبعد يومين من عودة رئيس الوزراء الى دمشق، اجتمعت لجنة الشؤون الخارجية إليه لتستفسر عن موقف الوفد السوري من الحلف التركي العراقي في مؤتمر القاهرة، فكان في جواب الرئيس مادل على ان وزير الخارجية لن يوافق على شجب الاتفاق ومنع نوري السعيد من عقده، بل اننا لمسنا الدور المريب الذي يقوم به ممثلو الحكومة السورية في هذا المؤتمر لتعطيل أي قرار يحاول المؤتمر اتخاذه في هذا السبيل. وعندئذ أظهرنا للرئيس بوضوح زائد عدم ثقتنا بهذه السياسة المتبعة وبوزير الخارجية الذي بقي وحده في مؤتمر وزراء الخارجية في القاهرة لتنفيذها وطلبنا أحد حلين :

إما أن تتخذ لجنة الشؤون الخارجية قرارا واضحا يلزم وزير الخارجية بشجب الحلف ومنع نوري السعيد من عقده تحت طائل الفصل من ميثاق الضمان الجماعي العربي، أو ايفاد هيئة برلمانية تمثل المعارضة في آخر جلسة يعقدها مؤتمر القاهرة للمساهمة مع الوفود العربية الأخرى في إيضاح وجهة نظر سورية، ليكون بالامكان اتخاذ القرار الذي ينقذ جامعة الدول العربية من التفكك. ولكن مع الأسف لم يوافق رئيس الوزارة على طلبنا هذا، وحدث ما كنا توقعناه وانتهت اجتماعات القاهرة بدون أي قرار كما بين ذلك المسؤولون عن سياسة الحكومة".

لم أعترض على صيغة بيان الحزب الذي وضعه الاستاذ صلاح، وكنت أشعر بطموحه الى تسلم وزارة الخارجية. وهو طموح كنت أراه مشروعا ومفيدا آنذاك. ولكن رأيته يوجه المسؤولية في هذا البيان لوزير الخارجية وحده .. وعلى الرغم من أن رئيس الجمهورية وحزب الشعب عندما أوكلا للخوري تأليف الحكومة، أرادوا أن يستغلوا ضعفه وبراعته في (التلحيم) حتى سمي (بالسمكري) كما مر بيانه. فإن هذا لا يعفيه من المسؤولية ولذلك فإنني سربت للصحف الخبر التالي :

"قال فارس الخوري عندما اجتمع إلى لجنة الشؤون الخارجية ان الحلف العراقي التركي إذا لم ينفعنا فإنه لا يضرنا، وقد ثار اكرم الحوراني في وجه الخوري عندما سمع هذا القول وأوضح لرئيس الوزارة الذي مثل سورية في مؤتمر القاهرة أن قوله هذا يناقض الآراء التي أبداها أمام لجنة الشؤون الخارجية قبل سفره وتعهد أن يسير بموجبها، ومعناه الصريح أن فارس الخوري مهد الطريق أمام نوري السعيد ليتم تحالفه مع تركيا" (الرأي العام 9-2-55).

لقد أصبح واضحا لدينا كل الوضوح أن سورية ستكون أول أهداف هذا الحلف وأنها ستكون مسرحا لأقسى معركة معه.

خرج جمال عبد الناصر من جولته مع نوري السعيد منتصرا على المستوى الشعبي، وقد بدأت سمعته ترتفع في البلاد العربية من الحضيض الذي هوت إليه بعد إعدام قادة الإخوان المسلمين، وكان للاسلوب الاعلامي البارع الذي سلكه بفضح جميع مخبآت هذه المؤتمرات -بتفاصيلها ودقائقها- عارية أمام المواطنين أثر كبير في تبديل قناعاتهم بحكمة ونظامه.

لم نكن نجهل ان التناقض البريطاني الاميركي الاستعماري كان ذا أثر في موقف جمال عبد الناصر من حلف بغداد، فقد كان عبد الناصر من دعاة القبول بالمساعدات الاجنبية الاقتصادية والعسكرية، ولكن هذا لم يقلل كثيرا من أثر موقفه الصلب تجاه حلف بغداد، وهكذا وجدت سورية المحاصرة المعزولة حليفا عربيا تجاه ضغوط بريطانيا والعراق لاستجرارها إلى منطقة نفوذها، وقد كانت مقاومة مصر لحلف بغداد البداية على درب الوحدة المصرية السورية التي انعقدت فيما بعد عام 1958.

وإن المقال الذي نشرته في جريدة البعث بتاريخ 22-1-1955 أي في إبان أزمة الحلف العراقي التركي يعرب عن موقفي من سياسة قبول المساعدات والأحلاف ويبين الطريق الصحيح الذي يجب أن يسلكه العرب للدفاع عن وجودهم وحريتهم أمام غزو الاستعمارين المتحالفين الغربي والصهيوني على المنطقة العربية وكان عنوانه :

لن يقف الشعب متفرجا .

عندما أبرمت اتفاقية المساعدات الاميركية للعراق - في الصيف الماضي- مع صدور بلاغين رسميين يؤكدان بأن هذه المساعدات غير مشروطة وهي لا تلزم العراق بأي ارتباط سياسي سوى عدم استعمالها ضد اسرائيل. كان الناس يتساءلون بين مصدق ومكذب هل تقدم امريكا هذه المساعدات دون مقابل؟

وبعد شهور اجتمعت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية، وبعد مداولات تركت للحكومات العربية حرية قبول المساعدات وعللت ذلك بأنها التماس لأسباب القوة والمنعة، وفعلا فإن امريكا قدمت للعراق الشحنة الاولى من هذه المساعدات.

وقد رافقت هذه الشحنة دعايات المبالغة والتهويل من شتى المصادر الاجنبية حتى قدرت هذه المساعدات بأنها ستجهز أربع فرق مدرعة عراقية على الأقل ! وستقضي قضاء مبرما على اسرائيل! فما على الدول العربية الأخرى إلا أن تسارع في قبول المساعدات العسكرية مجانا، إنها منحه من السماء للخلاص من اسرائيل.

وبين صخب هذه الدعايات فوجئ العالم العربي برحلة عدنان مندريس واتفاقية تركيا والعراق ورغم ذلك لا تزال الدعاية الاجنبية مستمرة بتصوير هذه الاتفاقية على أنها ضربة موجهة إلى قلب اسرائيل، وان تركيا ستتخلى عن اسرائيل! وهي تذكر الآن ماضينا المشترك وما يجمعنا من أصرة الدين! أفلا يقنع العرب -بعد هذا - بالثمن ؟؟

أما إذا لم يستجيبوا لدعوتها الخالصة المسلمة، فهي لا يمكن أن تقف مكتوفة اليدين ووراءها خواء وفراغ العالم العربي الذي يهددها في حالة الحرب!!

هذه قصة المساعدات العسكرية الاميركية واتفاقية تركيا والعراق، وهي ان دلت على شيء فلا تدل إلا على تآمر جامعة الدول العربية أو على خطأ السياسة التي تنتهجها، وفي كلتا الحالتين تدفع الأمة العربية من دمعها ودمها، إذ كيف يمكن لهيئة الجامعة السياسية، منذ البداءة، أن تترك للدول العربية حرية قبول المساعدات العسكرية، وتعتبرها منحة دون مقابل؟؟ مع أنها لم تقدم لدولة إلا لقاء الارتباط بحلف عسكري؟ ويمكننا أن نجزم بأن هذه

المساعدات رمزية ولا يقصد من تقديمها إلا أن تجعل أمريكا لنفسها الحق بمنع العراق من التدخل في أي اعتداء تقوم به اسرائيل على إحدى الدول العربية بحجة تعهده بعدم استعمال هذا السلاح ضد اسرائيل. والاتفاقات الدولية تعتبر دوما لمصلحة الأقوياء، وعلى هذا فكل دولة عربية تقبل المساعدات الاميركية انما تمنح امريكا حق التدخل -عند اللزوم- لمصلحة اسرائيل. فهذا السلاح الاميركي إنما هو موجه لصدر العرب لا لصدر اسرائيل، ومن الغباء المطبق ألا يدرك العرب إدراكا تاما أن سياسة الاستعمار الغربي بقيادة أمريكا في الشرق العربي تنسجم وتسير جنبا لجنب مع اسرائيل ومصلحة اسرائيل.

ان قبول حكومة نوري السعيد، إذن للمساعدات الاميركية وارتباط العراق بحلف عسكري مع تركيا محاولة لجر البلاد العربية وتقديم الشعب العربي طعمة لنيران الحرب دون ثمن اللهم إلا فتح أبواب البلاد العربية أمام جيوش اسرائيل جنبا إلى جنب مع جيوش الحلفاء، في حالة حرب عالمية. ومنح امريكا حق التدخل لمصلحة اسرائيل، عندما تخشى أن تغلب على امرها مغبة عداوتها ومطامعها التوسعية، كما فعلت بالاشتراك مع بريطانيا، بفرض الهدنة الأولى على الدول العربية في حرب فلسطين.

أما ما تزعمه تركية من الفراغ الذي تخلفه البلاد العربية وراءها فهو فراغ مصطنع أوجده الحلفاء إذ بمقدور الدول العربية أن تجعل قوتها العسكرية تضاهي قوة تركية سواء من حيث عدد سكانها أو من حيث توفر مواردها، إن موارد البترول العربي سنة واحدة، إذا سمح الحلفاء بذلك - تقيم جميع أنواع المصانع العسكرية التي تجهز البلاد العربية وتلبسها حديدا وبأسا. كما أن عدد السكان يسمح بتجنيد اكثر من مليوني جندي، مستعدين كشعب ذكي للتدرب والتعلم على جميع أنواع الأسلحة الحديثة- إن استعداد الشعب العربي عسكريا لرد أي عدوان يقع عليه، هو الذي يملأ هذا الفراغ ولا يملؤه شيء سواه.

وقصارى القول أن على الحكومة السورية التي تتحمل اكبر قسط من مسؤولية وضع جامعة الدول العربية المحزن وتآمرها بالماضي، أن تجهر بالحق دون غموض وأن تفضح أغراض وأخطاء إتفاقية نوري السعيد - تركية لأنها الحد الفاصل في السياسة العربية والدولية. وهي أخطر ما عرض من قضايا على الجامعة العربية، بعد كارثة فلسطين، بل هي الفصل الثاني من مأساة

فلسطين. ولا أخال الشعب العربي سيقف مكتوف الأيدي تجاه الحكومات التي تتلاعب بمقدراته وتستهتر بمصالحه وحياته.

□

لأجل أن يقتنع الشعب بأن المجلس النيابي يمثل إرادته وإن باستطاعته منع أي تلاعب بمقدراته:

أعلن القصر الجمهوري استقالة وزارة فارس الخوري ببلاغ رسمي صدر يوم 1955/2/7 .

وقد رأيتها مناسبة -والحديد ساخن- ان نضع حدا لتواطؤ الحكومات على قضايا الشعب المصيرية بمقال نشرته جريدة البعث بتاريخ 1955/2/11 أي قبل تشكيل حكومة صبري العسلي الجديدة، **اقترحت فيه إحالة الحكومة على المحكمة العليا وكشفت فيه خداعها وتلونها أمام لجنة الشؤون الخارجية وكان عنوان المقال: حكومة متآمرة،** وفيما يلي نصه :

استدعت لجنة الشؤون الخارجية السيد فيضي الأتاسي اثر اجتماع وزراء الخارجية العرب بالقاهرة في كانون أول 1954 لتستمع إلى بيانه فأكد الأتاسي التزامه لسياسة سورية برفض الاحلاف وتحفظه أمام قبول الدول العربية للمساعدات العسكرية.

وقد تقدم الحزب بعد نشر تصريحات وزراء خارجية لبنان وشرق الأردن والعراق المتضاربة إلى وزير الخارجية بطلب مقررات وزراء الخارجية المدونة فادعى انه لم يكن هنالك مقررات لمؤتمر وزراء الخارجية كما أنكر اقرارهم لمبادئ التعاون مع الغرب على أساس :

1- حل القضايا العربية حلا عادلا.

2- إتاحة القوى اللازمة للبلاد كي تحافظ على سلامتها وكيانها من أي عدوان بدون أن يكون في ذلك أي انتقاص من سيادتها، ذلك القرار الذي اعترف به زملاؤه وزراء الخارجية العرب بتصاريحهم بعد ارفضاض مؤتمر القاهرة.

وبعد نقاش طويل في لجنة الشؤون الخارجية اقتنعت اللجنة بأن سورية تسلك سبيل سياسة مائعة في جامعة الدول العربية فوضعت بإجماع الآراء صيغة قرار توصي به الحكومة أن تؤكد سياسة سورية برفض الأحلاف والمساعدات والعمل على إقناع الدول العربية الأخرى بذلك.

والغريب أن يرتكب رئيس المجلس النيابي مخالفة عدم تلاوة قرار لجنة الشؤون الخارجية المتخذ بتاريخ 10-1-55 بالمجلس النيابي، ذلك القرار الذي وضعت صيغته بعد نقاش استدام اسابيع حتى وافق حزب الشعب على صيغته النهائية.

وبعد أن أعلن التحالف التركي العراقي، استدعى رئيس مجلس الوزراء السيد فارس الخوري، لجنة الشؤون الخارجية وأبان لها ان هذا التحالف يخالف ميثاق الجامعة والضمان الجماعي. ويجر البلاد العربية للدخول بالاحلاف العسكرية الأخرى كحلف الاطلسي، وانه سيعلن هذه المخالفة الصريحة في مؤتمر الرؤساء الذي سيحضره في القاهرة.

واثر رجوع رئيس الوزراء من القاهرة استدعى لجنة الشؤون الخارجية ولشد ما كانت دهشتنا عظيمة عندما فوجئنا بقوله : إن اتفاقية نوري - مندريس لا تناقض ميثاق الجامعة ولا ميثاق الضمان الجماعي بمادته العاشرة، وانه لا يرى في هذه الاتفاقية ضررا إن لم يكن فيها نفع!

وعندما ثارت ثائرة اللجنة من أقواله المتناقضة قبل ذهابه وبعد رجوعه من القاهرة تراجع مدعيا أن هذه آراؤه الشخصية وليست هي سياسة الحكومة الرسمية، وبعد أن فضحت مصر الدور الذي قام به رئيس وزراء سورية ووزير خارجيتها يمكننا أن نؤكد ما توقعناه منذ انعقاد مؤتمر وزراء الخارجية العرب بالقاهرة، من أن مهمة الحكومة السورية ستكون تسهيل إقرار حلف نوري - مندريس أولا تمهيدا لانضمام سورية والدول العربية الأخرى لهذا الحلف.

إن الحزب قد طرح على لجنة الشؤون الخارجية المخالفات الدستورية التي ارتكبتها حكومة الخوري وهي :

1- انكار السيد فيضي الأتاسي وجود مقررات مدونة بمؤتمر وزراء الخارجية المنعقد في كانون أول 1954 2- إنكاره اقرار المؤتمر لمبدأ التعاون مع الغرب 3- عدم تقيد رئيس الوزراء فارس الخوري بما التزم به أمام لجنة الشؤون

الخارجية من مخالفة الحلف التركي - العراقي الصريحة لميثاق الجامعة والضمانا الجماعي، في مؤتمر الرؤساء بالقاهرة وحمل الدول العربية على اتخاذ قرار بذلك.

ان هذه المخالفة الدستورية التي ارتكبتها وزارة الخوري تضع المجلس أمام مسؤولياته لوضع حد للعبث بالدستور والتلاعب بمقدرات البلاد العربية بتنفيذ الاغراض الاستعمارية الرامية لشطر الجامعة العربية وربطها بعجلة الاستعمار واعطاء الحق لتركيا بمد يدها في شؤون العرب الداخلية.

وذلك بإحالة رئيس الوزارة ووزير الخارجية الى المحكمة العليا حتى يقتنع الشعب بأن المجلس النيابي يمثل إراداته ويحفظ حقوقه وأن باستطاعته منع أي تلاعب بمقدارته.

□

موقف حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق من اتفاقية نوري مندريس

أصدر حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق إثر اعلان اتفاقية نوري - مندريس بيانا جاء فيه :

"إن اعلان هذا البيان المشترك لا يعتبر تحديا صريحا لإرادة شعبنا في التحرر والانعتاق فحسب، ولكن الشعب الذي صارع الاستعمار طوال السنين المنصرمة وسجل في صراعه مواقف بطولية خالدة سيقاوم اليوم بشدة أية اتفاقية استعمارية وخاصة مع تركية :

تركية سالبة لواء اسكندرون العربي، تركية صديقة اسرائيل، تركية التي طالبت ببقاء الجيوش البريطانية في قناة السويس، تركية التي أرادت سلب لواء الموصل من العراق، تركية حليفة الغرب المستعمر.

لقد آن لجماهير الشعب أن تخلع عنها رداء القنوط والانزواء وتبدأ كفاحها لإسقاط حكومة نوري السعيد ولإلغاء معاهدة 1930 العراقية البريطانية لإحباط الاتفاق العراقي التركي والمؤامرات الاستعمارية".

وقد لبت الأحزاب الوطنية في الكليات والمدارس العراقية يساندها الشعب هذا النداء فأغلقت المدارس أبوابها، والقى بوليس نوري السعيد القبض على عشرات من شباب البعث

العربي الاشتراكي، كما طرد عددا كبيرا من الطلاب من مدارسهم، وشملت هذه الحملة دار المعلمين وكليات الآداب والتجارة والعلوم والاقتصاد، وطرد من ثانوية الأعظمية وحدها خمسة عشر طالبا.

معركة على جبهتين

لم يكن الحزب قد انتشر في منطقة الزوية بشكل يستطيع معه أن يحمي الفلاحين من مظالم الاقطاعيين في تلك المنطقة، وقد وردت إلي والى المجلس النيابي عريضة شكوى من قرية الزوية اهتممت بها كثيرا وأثرتها في جلسة 22-1-1955 قائلا :

"وصلني هذا اليوم عريضة اعتقد ان الزملاء قد تلقوا جميعا نسخا منها وهي موقعة من الفلاحين وهم من قضاء الزوية يقولون فيها :

"إننا منذ القديم واضعو اليد على قرانا المذكورة نفلحها ونستثمرها وبنينا فيها البيوت والآبار والأشجار ونستثمرها دون أي منازع وندفع ما يترتب علينا من الأموال الاميرية للدولة، إلا أنه في العام الماضي فوجئنا بحجز أراضينا من قبل ورثة عبد الرحمن باشا اليوسف الذي وضعها تحت تصرفهم وسيطرتهم الزعيم أديب الشيشكلي وابن عمه محيي الدين الشيشكلي، حتى أنهم استحصلوا على أوامر الى رجال درك مخفر خسفين بلزوم تعيين دورية يومية إلى قرانا المذكورة حتى إذا ما وجدوا أحدا منا يفلح ويزرع يسوقونه الى قضاء الزوية ويزجونه في السجن".

ثم يستمرون في عرض ظلامتهم ويطلبون حل قضيتهم بأسرع وقت ممكن وإرجاع الحال إلى قراهم كالسابق وإلا فإنهم مضطرون للمهاجرة في هذه البلاد إلى بلاد أخرى ليؤمنوا عيش عائلاتهم، فرد وزير المالية على تعليقي بأنه يعتقد بأن حجز القرى كان حجزا قضائيا لا إداريا وأنه يجب على أصحاب هذه الشكوى مراجعة القضاء، وقد كان كلام الانطاكي بغضب وانفعال فرددت عليه قائلا :

"كنت أمل أن يثور غضب وزير المالية لهذا الاعتداء على الفلاحين كما أثار غضبي وأن تهتم الحكومة جديا بأمر 5000 نسمة من المواطنين على

حدود فلسطين. إن مثل هذه القضية تستحق عناية بالغة يا وزير الماليـة، وإذا ثرت أنا فالموضوع يستحق الثورة ويستحق اهتمامنا جميعا.

من هنا يبدو أن معركتنا كانـت علـى جبهتـين فـي آن واحـد: معركـة قاسـية مـع حكـم الاقطـاع مـن جهـة ومـع الاستعمار ومشاريعه وأحلافه من جهة أخرى..

أكرم الحوراني إلي يمين قائد الثورة السورية لعام ١٩٢٥ سلطان باشا الأطرش خلال الخمسينات

من اليمين عدنان الحوراني ، أكرم الحوراني ، صلاح الشيشكلي ، غالب الشيشكلي ابن أخت أكرم الحوراني

كيف كان معظم الفلاحين يعيشون في سورية في الخمسينات

كيف كان معظم الفلاحين يعيشون في سورية

في روما

أيام الهرب من حكم أديب الشيشكلي

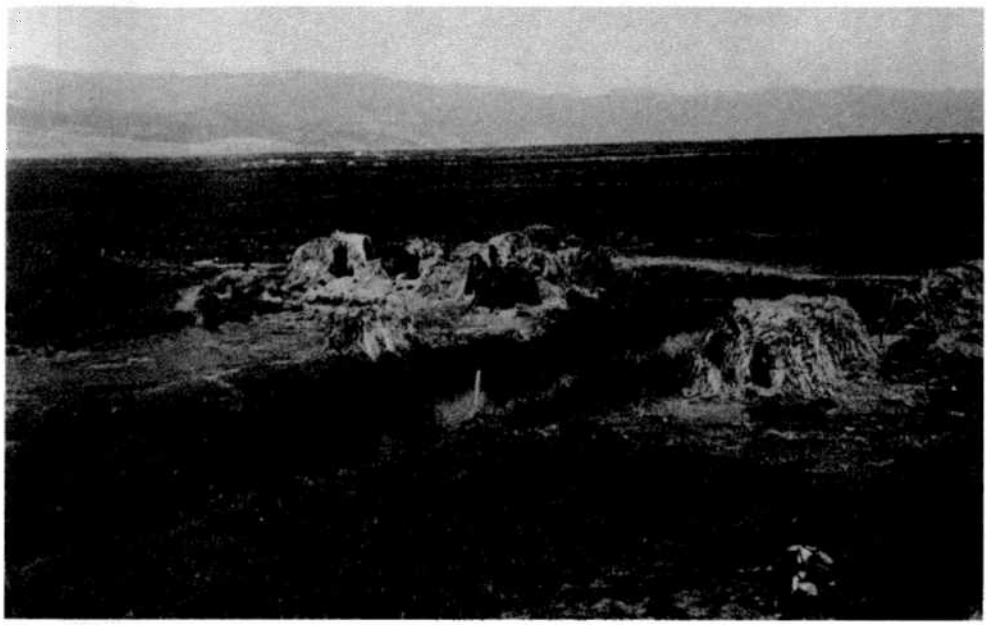

كيف كان معظم الفلاحين يعيشون في سورية
حياة البؤس للفلاحين

في بيروت : رفيق وصديق أكرم الحوراني ومرافقه الشخصي السيد محيي الدين البرازي ، الحوراني ، ثم زوجة الحوراني ، ولقد اشترك الرفيق محيي الدين البرازي في كل المعارك التي خاضها الحوراني في العراق وفلسطين

صيف ١٩٥٣ في روما

الأساتذة الثلاثة : أكرم ، ميشيل ، صلاح

في فلورنسا

من اليمين : الدكتور محسن الشيشكلي ابن أخت أكرم الحوراني ، الدكتور سامي سركيس ، أكرم الحوراني ، الأستاذ أديب اللجمي

الأستاذ أكرم الحوراني والأستاذين صلاح البيطار وميشيل عفلق
صيف ١٩٥٣ منفيين إلى روما

في بيروت شتاء عام ١٩٥٣

من اليمين : الحوراني ، عبد الحليم قدور ، عفلق ، البيطار

محاورة بين الحوراني ورئيف الملطي

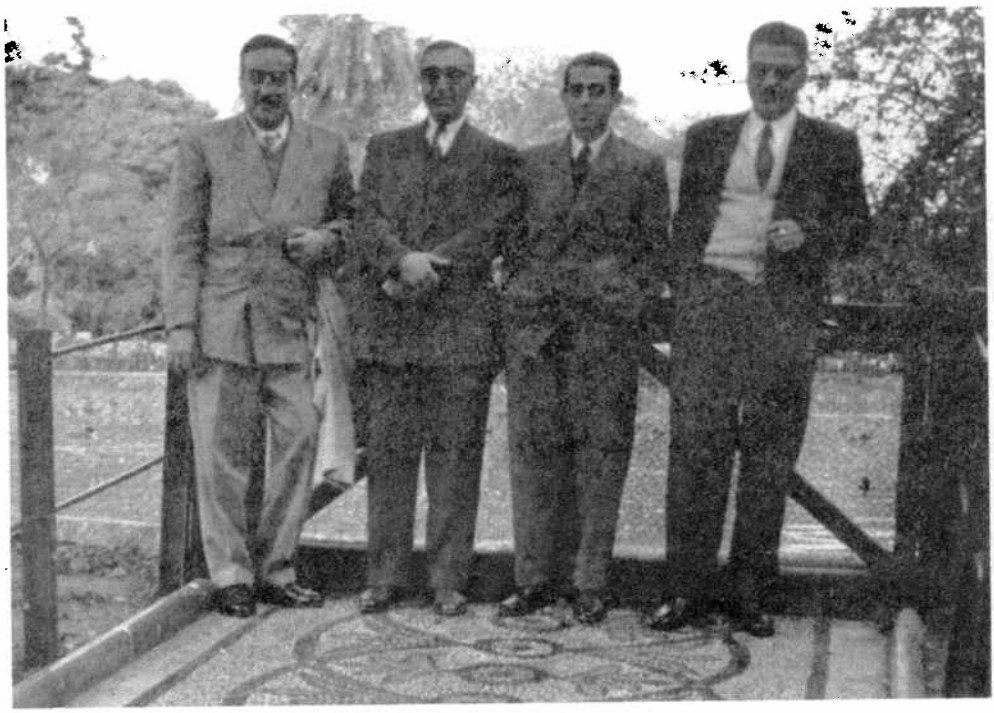

في مصر ١٩٥٦ خلال زيارة الوفد النيابي
من اليمين صاحب جريدة الرأي العام الأستاذ أحمد عسة ثم الحوراني
فصلاح البيطار ، فخالد بكداش

الوفد النيابي السوري في مصر

رئيس الحزب الشيوعي السوري خالد بكداش مع النائب الشيخ أبو طوق

في السعودية

في الوسط الحوراني بالعباءة ، وإلى يمينه رئيس المجلس محمد العايش ، وإلى يساره الشيخ معروف الدواليبي

الوفد النيابي السوري في السعودية

الوفد البرلماني السوري أثناء زيارة بغداد

الوفد النيابي السوري

من اليمين : الحوراني ، ثم وكيل وزارة الخارجية السعودية ، ثم الشيخ معروف الدواليبي

الوفد النيابي في السعودية

وقد بدا أكرم الحوراني لابسًا العقال والعباءة وإلى يمينه النائب نوفل الياس

في مصر ١٩٥٦

الوفد النيابي السوري : في الوسط : رئيس مجلس سورية الدكتور ناظم القدسي والأستاذ الحوراني والأستاذ صلاح البيطار

الوفد النيابي السوري : في الوسط أكرم الحوراني

الوفد النيابي عام ١٩٥٦ في بغداد

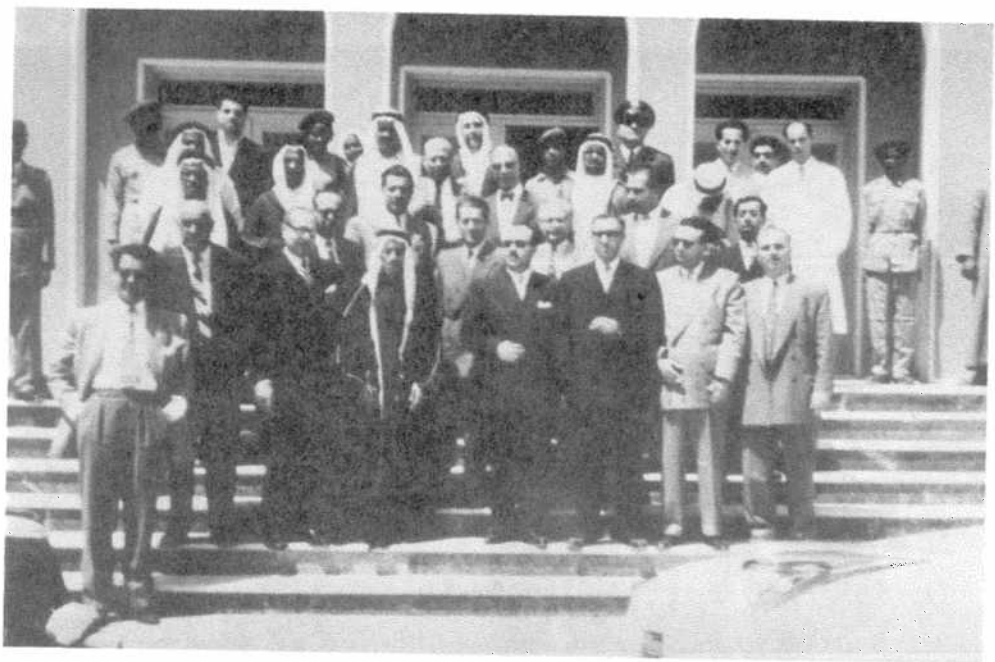

الوفد النيابي السوري في السعودية

من اليسار : النواب : فيصل العسلي ، معروفالدواليبي

الثالث من اليمين : صلاح البيطار ، وخلفه أكرم الحوراني

الوفد النيابي السوري في العراق

الحوراني الثاني إلى اليمين ، ويظهر في أقصى الصورة النائب فرزت المملوك

الوفد النيابي السوري في السعودية

في الوسط النائب الشيخ معروف الدواليبي ، النائب عدنان الأتاسي (ابن رئيس الجمهورية السابق هاشم الأتاسي) ثم أكرم الحوراني في العباءة والعقال

في الأقصر خلال العدوان الثلاثي علي مصر عندما غادرت لجنة الاتصال الشعبي القاهرة
من اليمين : الحوراني ، ثم المحامي أسعد الطباع (عيونه ترصد السماء بسبب الغارات)
يوسف الرويسي (مناضل تونس معروف) ثم الشيخ معروف الدواليبي

الوفد النيابي السوري في مصر

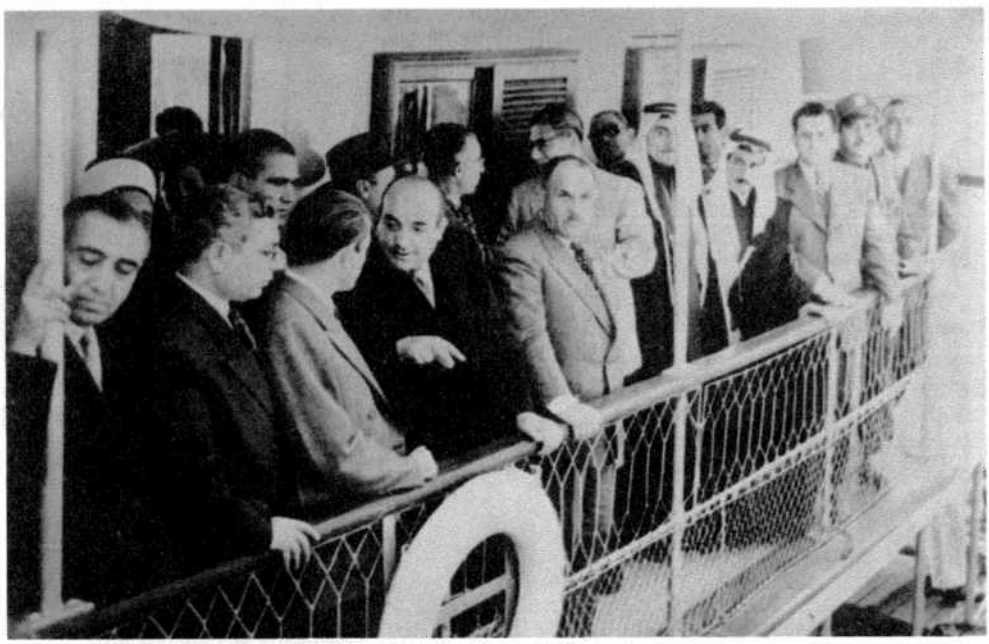

الوفد النيابي السوري-في باخرة نيلية
أكرم الحوراني يتحدث مع علي أمين
وفي أقصى اليسار صلاح البيطار ورياض المالكي أخ الشهيد عدنان المالكي

الوفد النيابي السوري في مصر

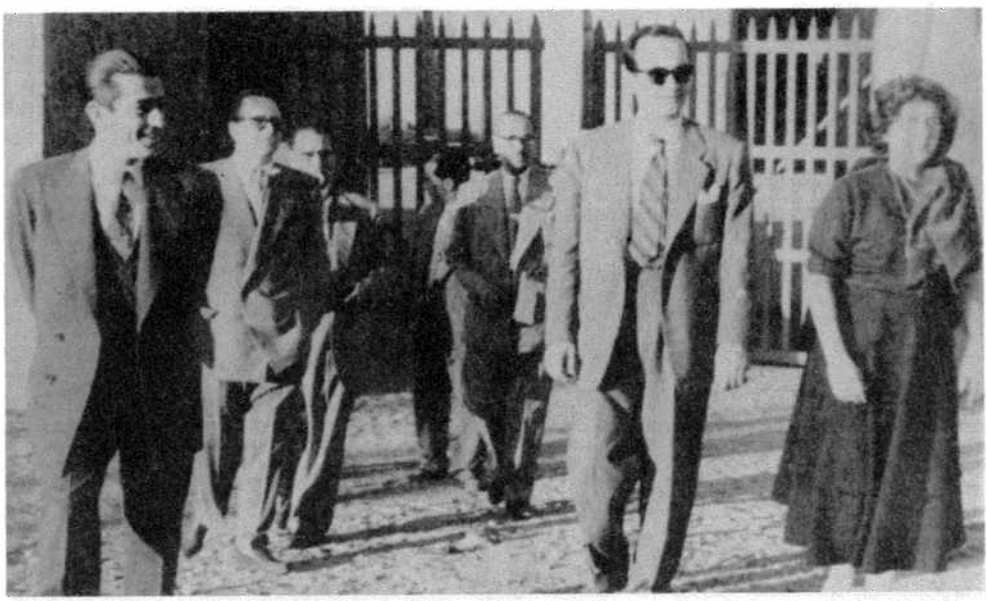

في الأقصر خلال العدوان الثلاثي على مصر
من اليسار أكرم الحوراني ، ثم يوسف الرويسي (تونس) ثم معروف الدواليبي
وبالصدفة كان وجود المحامي أسعد الطباع صه أكرم الحوراني زوجة ابنة أخيه

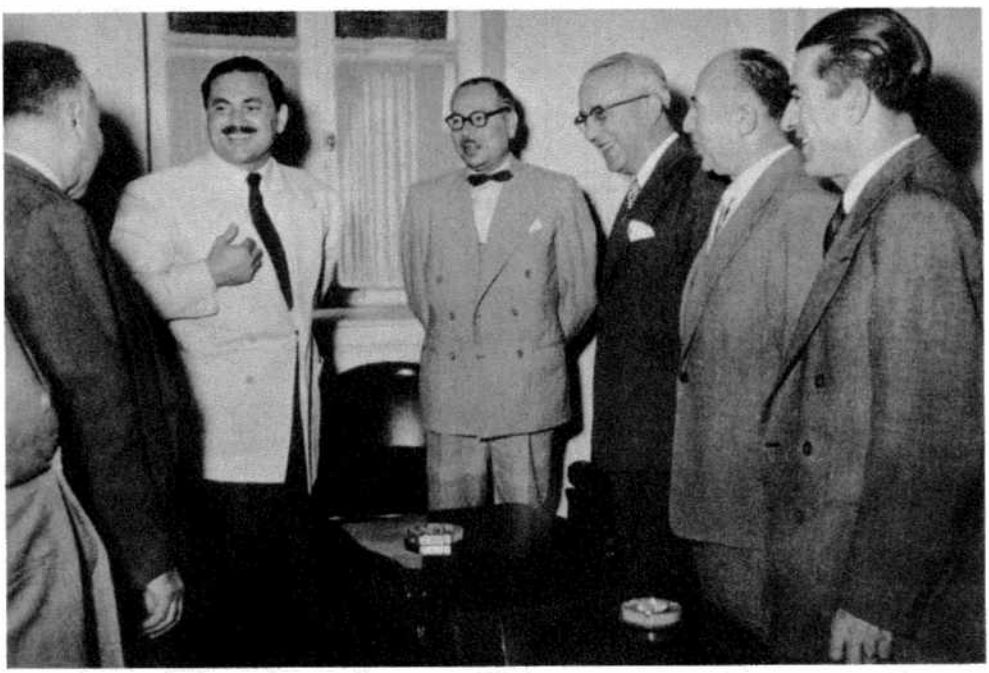

لجنة الاتصال الشعبي الذي صادف وجودها في القاهرة العدوان الثلاثي على مصر
من اليمين : أكرم الحوراني (سورية) ، قاض الكيالي (سورية) ، حميد فرنجية (لبنان) ،
معروف الدواليبي (سورية) ، كمال الدين حسين (مصر) ، فؤاد جلال (مصر)

وفد المجلس النيابي السوري في السعودية بملابس الإحرام خلال تأدية مناسك العمرة .
في الصف الأول : الثاني من اليمين النواب :
جهاد الهوّاش ، محمد العايش ، عدنان الأتاسي ، ..... فرزت المملوك ، فيضي الأتاسي ،
فيصل العسلي ، أكرم الحوراني ، علي عبد الكريم الدندشي

الوفد النيابي السوري في القاهرة

وقد ظهر في الصورة الحوراني ، وإلى يساره خالد بكداش رئيس الحزب الشيوعي

في مصر عام ١٩٥٦ خلال زيارة الوفد النيابي

في الصف الأول من اليمين : النائب فرزت المملوك ، رئيس المجلس ناظم القدسي

صلاح البيطار ، النائب رؤوف أبو طوق ، ثم أكرم الحوراني

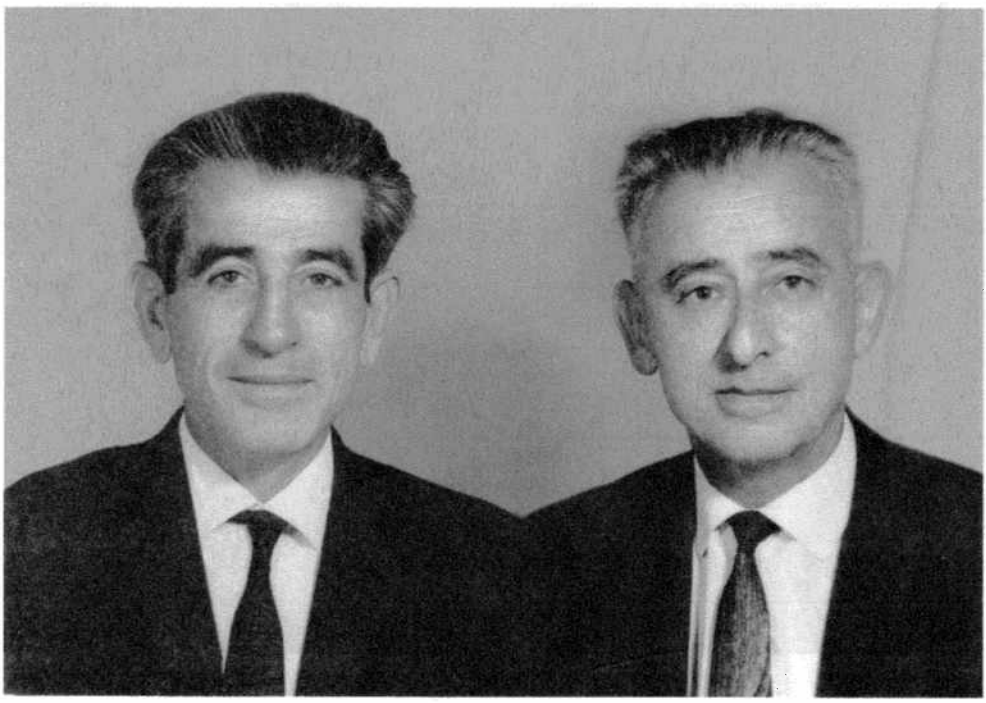

الحوراني مع الشاعر نديم محمد
أهمية العلاقة الرفاقية والصداقة بين الاثنين

لجنة الاتصال الشعبي في مصر

من اليمين : يوسف الرويس(تونس) الحوراني ، معروف الدواليبي ، فاخر الكيالي (عن سورية)

كمال الدين حسين (مصر) حميد فرنجية (لبنان) وفي أقصي اليسار فؤاد جلال (مصر)

خلال زيارة الوفد النيابي السوري للعراق وقد ظهر في الصورة من اليمين ، عبد الإله الوصي علي عرش العراق ، ثم الملك فيصل الثاني ، ثم إحسان الجابري رئيس لجنة الشؤون الخارجية ثم أكرم الحوراني

الحوراني رئيسًا للمجلس مع أحد الوفود

الحوراني رئيسًا لمجلس النواب

١٩٥٧ أكرم الحوراني رئيس مجلس النواب يستقبل أحد الوفود